مجلة الأزهر

٨٤

بسم الله الرحمن الرحيم

سقيفة الصفا العلمية

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

٨٤

المجلد الرابع والستون ـ القسم الثاني

السنة ١٤١٢هـ

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف

مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25899823 / 25907497
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف
١٤٤٥هـ-٢٠٢٣م

SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان ـ ماليزيا
www.saqifat-alsafa.org
E-mail: info@saqifat-alsafa.org

دوريات

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

بالأزهر

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان

إدارة الأزهر بالقاهرة

ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

شعبان ١٤١٢ هـ

فبراير ١٩٩٢ م

الجزء الثامن

السنة الرابعة والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

رفقا بالديمقراطية

ولنا حديث :

ليس لمن شاء أن يتلاعب بالحق ، ويستبدل بالحكمة زينة الدنيا !

ولا إلى راض لنفسه النعمة الرافهة على أى حال يكون ..!

لا .. ، ليس إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .

ذلك لأنه حديث عِلْمٍ .

وحديث العلم إنما يكون لاثنين لا ثالث لهما : لمغتبط بالحق ، ولطالب عِلْمٍ .

و الحديث إلى هذين ؛ فنتساءل :

هل « الديمقراطية » تقابل الدين ..؟

هل تمقت « الديمقراطية » الدين ..؟

هل ثمة « دين » بلا ديمقراطية ، أو « ديمقراطية » بلا « دين » ..؟

إن العلم ـ بكل وقارِهِ ـ يسوق الحق العادل حين يقول :

رفقاً بالديمقـــــــــــراطية

إن الديمقراطية هى حكم الشعب بالشعب ؛ فعن طريق انتخاب نزيه صادر عن حق متوّج بالشرف يختار الحاكم ليكون « وكيلاً » عن الأمة فى تدبير مصالحها بالبحث عن مصادر سعادتها وممارسة توجيه هذه المصادر إلى كل الدروب والآفاق التى تأتى بخير الثمار فترفع من مستوى معيشة الأمة ، وتُؤَمِّنُ استقلالها وسعادتها ، أى أن الأمة اختارت من تراه خير الرجال ووكلت إليه تدبير شئونها فصار وكيلاً عنها « إدارياً » و « وصياً » على تراثها القومى وتقاليدها ، وآلت إليه مسئولية حفظ هذا التراث حتى لا يمس بسوء فضلاً عن أن ينال أثيم منه أدنى نيل .

ولا « أُمَّةَ » بلا دين ، فالدين أعمق تراثها وَأَغْلَاهُ ؛ إذ هو نبع تقاليدها ، وبه وعليه تبدأ حياة كل أسرة فأفرادها ، فالدين فى « الديمقراطية » أخص لوازمها لكى تكون ، فلا ديمقراطية بلا دين ولا دين بلا ديمقراطية .

ومناط الديمقراطية ثلاث :

حرية فى العقيدة ، حرية فى الاختيار ، حرية فى النقد النزيه .

وهل الإسلام إلا ذاك ..!

إن أصغر صورة ديمقراطية بمستواها الحق كائنة فى كل فرد يلحقه « غَبْنٌ » فى شىء ما ، فلا يرضى به ، ثم يذهب فيرفع أمره إلى القضاء ويطلب دفاعاً وكيلاً عنه ؛ فيتسلم محاميه مستندات الدعوى ويكون وصياً عليها ؛ فإن نجح فبها ونعمت ، وإلا كان من حق المغبون سحب ثقته منه فاستبداله .

تلك هى الديمقراطية ، وهى من لباب الإسلام ديننا الذى هو قوام حياتنا فى العاجلة والآجلة .

ثم لنسألْ أىَّ حَىٍّ شجاع الضمير :

هل الديمقراطية فى انجلترا ، أو فرنسا ، أو الولايات المتحدة تعتبر خصماً لدين أهلها ..؟!

إذاً ، كيف تكون خصماً فى الإسلام ..؟!

ومتى صادر الإسلام حرية العقيدة .. أو حرية الاختيار .. أو حرية النقد الأمين ..؟!

إن من قممه الرواسخ : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ..؟

إن الذين يفصلون الديمقراطية عن الدين .

ثم يجعلون الدين خصماً للديمقراطية .. هم ـ ببساطة :

خسروا الدين والديمقراطية جميعاً .

جزاء عادل من رب عادل حكيم .

د. على أحمد الخطيب

محمد حسني مبارك
في ذكرى الإسراء والمعراج
ويوم الدعاة

ألقى الرئيس حسنى مبارك كلمة مساء السبت ٢٧ من رجب سنة ١٤١٢ هـ في الاحتفال بيوم الدعاة وذكرى الإسراء والمعراج .

بدأها الرئيس :

الإمام الأكبر شيخ الأزهر ـ الدعاة الهداة والشيوخ الأجلاء ـ ضيوف مصر من مفكرين وعلماء ـ أيها الإخوة .

كما تأتى الأعياد لتجدد النفوس بالأمل المشرق ، وتشرح الصدور بالرجاء المضيء ، تأتى بعض الأيام خلال كل عام ، لتسعد الأفئدة بالذكريات الجليلة ، وتجمل الحياة بالمعانى النبيلة ، ولاشك أن من أطيب تلك الذكريات وأقربها إلى القلب ما كان متصلا بدين الله الحنيف ، وأن أنبل المعانى هو ما كان مرتبطا بمحمد عليه الصلاة والسلام .

واليوم ـ أيها الإخوة ـ نجتمع فى رحاب ذكرى من أعطر الذكريات ، لنحتفل بها بما يتفق مع جلال المناسبة ، مستلهمين منها أنبل المعانى وأعمق العظات .

إنها ذكرى إسراء المولى بنبيه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ثم عروجه به من الأرض إلى السموات العلا ، وذروة الملأ الأعلى حيث رأى الرسول الكريم ما رأى من آيات ربه الكبرى ، وقد خص الله رسوله الأمين بكل هذا التكريم المعجز ، فى رحلة إلهية فريدة ، ألغيت فيها قوانين الزمان والمكان ، وعطلت حسابات الحركة والجاذبية ، حين شاءت إرادة الله تعالى أن تخص حامل الرسالة بتكريم فريد ، يكافىء جهوده الصادقة المضنية فى حمل الدعوة ، وتبليغ الرسالة ، وأداء الأمانة ، كما أراد الله سبحانه أن يقول للناس : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ ، وأن يوضح للبشر أجمعين أن الذى يعمل ويصبر ، يعينه الله عونا قد لا يخطر على بال أحد ، ولا يخضع للحسابات المألوفة ، فبالعمل الجاد والمثابرة الصادرة عن إيمان عميق ، تتحقق المعجزات الخارقة والنتائج المذهلة ، ويتمكن الإنسان من بلوغ أسمى المراتب وأنبل الغايات ، والتغلب على كافة الصعاب والعقبات .

أيها الإخوة .

إن الاحتفال بهذه الذكرى المجيدة . يواكب أحداثا إقليمية وعالمية كبيرة ، تمس عالمنا الإسلامى مسا مباشرا ، وتدعو أبناء أمتنا جميعا

كلمة السيد رئيس الجمهورية

إلى كثير من اليقظة ، ومزيد من العمل الهادف ، والكفاح بلا كلل أو هوادة لتحقيق الأمل المنشود .

إن هذه الأحداث التى نشهدها فى تلك المرحلة الدقيقة من تاريخ العالم ، تتطلب من المسلمين ـ كغيرهم ـ أن يكون لهم دور إيجابى فعال فى هذا التحول العالمى ، الذى لا مكان فيه لضعيف ، ولا موضع لمتخلف ، ولا دور لمتخاذل أو متردد . ويستلزم هذا الدور من الأمة الإسلامية عددا من الواجبات الأساسية التى تفرضها المعطيات الجديدة ، وتحتمها الأوضاع المحلية والعالمية المتغيرة .

استرداد المكانة

وأول هذه الواجبات الأساسية ، أن نعمل جميعا على أن تسترد الأمة الإسلامية مكانتها ، بشرف وكرامة ، بعد أن اتيحت لها الفرصة فى هذا العالم الجديد ، لتحقيق مزيد من التقدم العلمى والتكنولوجى

إن هذا المناخ الجديد يدعونا إلى أن نتكاتف جميعا من أجل صحوة إسلامية صادقة ، تقاوم التخلف ، وترفض التوقف ، وتدفع إلى العمل البناء والإبداع الخلاق فى سبيل الله والوطن ، وتحمى أمتنا الواحدة من الأخطار التى تحيط بها فى هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ الإنسانية .

جوهر الإسلام

وتتطلب هذه الصحوة الإسلامية الواعية الإدراك السليم لجوهر الإسلام الصحيح ، والتمسك القوى بمبادئه الإنسانية الرفيعة ، والالتزام الواعى بقيمه الحضارية الخالدة ، فهذه المبادىء والقيم ، هى التى تدفع إلى التقدم ، وتعين على الرقى ، كما أنها تشكل جوهر الإسلام ومضمونه السلوكى الذى يجب أن يحرص عليه كل مسلم صادق مع الله ومع نفسه

إن العمل على تحقيق الرقى الذى تسترد به الأمة مكانتها ـ من خلال صحوة إسلامية واعية شاملة ـ هو مسئولية الجميع . فالتبصير بجوهر الإسلام الصحيح ، وقيمه النبيلة ومبادئه الخالدة ، مسئولية الدعاة والعلماء فى المقام الأول ، وهى مسئولية كل مسلم أيا كان موقعه ودوره فى الحياة الاجتماعية .

إن الرقى يبدأ بالفرد وينتهى بالأمة مرورا بالأسرة والمجتمع والدولة ، ومن هنا ، فإن الرقى ينبع أساسا من الفهم الصحيح لجوهر الدين القويم ، والتربية على نهجه السليم ، والسير على هديه فى العلاقة بين الفرد وخالقه ، وفى معاملاته اليومية مع الآخرين .

ولا شك أن الدعاة والعلماء يتحملون المسئولية الأولى فى مجال التنوير والتوجيه ، والكشف عن حقيقة الإسلام المشرقة ، وصورته السمحة المضيئة ، التى أدى الخروج عنها إلى ما يعانى منه العالم الإسلامى اليوم من كثير من السلبيات ، وولد الكثير من الحواجز المعوقة التى تعترض مسيرة الأمة على طريق البناء والتعمير ، وتحول دون تقدمنا وبلوغ غايتنا ، وأخذ مكانتنا اللائقة بنا فى العالمين إن لم نتكاتف على إزالتها .

وثانى الواجبات الأساسية التى تفرضها المرحلة الحالية هو أن تتجه سياستنا نحو السلام العادل بحيث يكون السلام منهجا ومبدأ لنا .. لا فى علاقاتنا فيما بيننا فحسب وإنما يكون كذلك أسلوبنا ومبدأنا فى التعامل مع غيرنا ، فالسلام هو الأصل الذى شرعه الله بارىء الحياة للحفاظ على تلك الحياة ، وهو السبيل إلى الاستقرار والتنمية والازدهار ثم هو روح العصر ، وهو التوجه الغالب فى عالم اليوم ، بعد أن مرت الإنسانية بحروب طاحنة كلفت الشعوب كثيرا من الشقاء والمعاناة .

إن التناحر والصراع لا يترتب عليهما إلا

إضاعة الجهد ، وإهدار الموارد وتوقف التنمية وهما يؤديان فى كثير من الأحيان إلى الخراب والدمار وسفك الدماء ودفع الحياة والأحياء إلى مهاوى الفناء .

وقد سن الإسلام بسماحته وإنسانيته **الدعوة إلى السلام والحث عليه بل إنه جعله القاعدة الأساسية فى العلاقات والمعاملات الدولية ، فقال الله تعالى وهو احكم القائلين :** ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ بل إن المولى تقديرا للسلام قد اتخذه اسما من أسمائه الحسنى فهو «الملك القدوس السلام» كما أطلق جل شأنه على مجتمع المسلمين اسم «دار السلام» ، ودعا الناس إلى أن يستظلوا بما فى هذه الدار من سماحة وأمن ، وفى هذا يقول فى كتابه الحكيم : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .

وحين أباح الله القتال للمسلمين جعله قاصرا على الدفاع عن النفس ووقاية للجماعة من العدوان ، فقال عز من قائل : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ﴾ .

وهكذا كانت الحرب استثناء من الأصل فى الإسلام ، كما كانت وضعا مشروطا لا توسع فيه ولا تجاوز .

وثالث الواجبات الأساسية التى تفرضها علينا المرحلة الحالية ، هو أن نتجه بسياساتنا وخطواتنا نحو التجمع والترابط ، وذلك سعيا إلى تحقيق التضامن والتكافل ، لأن عالم اليوم هو عالم الكيانات القوية المتراصة ، باعتبار أنها الاقدر على التعامل مع التحديات ومواجهة المشكلات ، والتغلب على المصاعب والمعوقات ، وقد سبق الإسلام إلى الدعوة إلى هذا التجمع والترابط حين قال المولى عز وجل : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ ، فنحن حين نوحد صفوفنا ونطهر قلوبنا ، نضاعف قوتنا ونعزز سيرتنا ، ونحمى وجودنا ومصالحنا ، ونحث الجميع على الإصغاء إلينا واحترام إرادتنا .

وعلينا فى سبيل تحقيق هذا الواجب الأساسى ، أن نبدأ بالنواة الأولى للمجتمع ، فنرسخ قيم التماسك والترابط فى نطاق الأسرة ، بحيث تقوم العلاقة بين أفرادها على المودة والرحمة ، وعلينا بعد هذا أن نرسخ تلك القيم داخل المجتمع ككل ، حتى تبتعد كل طوائفه وفئاته ، عن كل ما يشق تلاحمه أو يهز وحدته أو يمس تماسك بنيانه ، فبهذه الأسر الإسلامية المتراحمة والمجتمعات الإسلامية المتلاحمة ، تتألف الأمة الإسلامية الفتية القوية ، الجديرة بالحياة الحرة الكريمة فى المجتمع الدولى المعاصر .

ورابع الواجبات الأساسية التى تتطلبها الصحوة الإسلامية ، أن نطبق الديمقراطية الحقة فى حياتنا ، وننتزه عن التحكم والفردية ، ففى ظل الديمقراطية الحقة ، يشعر الناس بإنسانيتهم ، فينتمون ويعملون ويبدعون ، ويعيشون على أرضهم وهم سعداء آمنون .

وقد سبق الإسلام بالدعوة إلى الشورى منذ اكثر من ألف عام ، حين أمر الله نبيه أن يشاور أصحابه ، وألا ينفرد بالرأى فى الأمور التى تتصل بمصالح المسلمين ومصائرهم ، وذلك رغم انه نبى يتلقى الوحى من الله جل شأنه ، والحكمة من هذا التوجيه الإلهى للرسول الكريم ، هى أن المولى سبحانه وتعالى أراد أن تكون الشورى دستورا مقررا وأساسا ملزما ، وفى ذلك قال لنبيه : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ ووصف المسلمين بأنهم أهل شورى بحكم كونهم مسلمين ، فقال عنهم : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ .

وليست الشورى مطلوبة منا فى نظام الحكم فحسب ، وإنما هى مطلوبة كأسلوب حياة ونظام معيشة فى كل المواقع وعلى كافة المستويات ، فى الأسرة والمدرسة ، فى المصنع والشركة ، فى الإدارة والوزارة ، فى المؤسسات الرسمية والشعبية على السواء ، وبهذا وحده تكون

كلمة السيد رئيس الجمهورية

الديمقراطية طابعا عاما يميز الأمة ، ويجعلها مؤهلة لأن تنال مكانها المأمول فى عالم اليوم والغد .

وخامس الواجبات الأساسية التى تفرضها مرحلتنا الحالية هى أن نرسخ مبدأ الحرية الملتزمة ، البعيدة عن التحكم والتسيب جميعا ، فالحرية فطرة الإنسان الأولى ، ومصادرتها تعتبر مصادرة لفطرته ، والحرية حق الشعب المقدس ، والنيل منها عدوان على مقدساته وإهدار لإنسانيته وحياته .. فالله قد خلق الإنسان حرا ، وكرمه على سائر المخلوقات ، حتى ملائكته المقربين ، فقال فى تنزيله الحكيم : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ ولاشك أنه لا كرامة لإنسان فقد حريته ، ولذا كان من أول المسلمات أن الحرية حق مقدس للفرد ، وحق مقدس للشعب والأمة .

لكن الحرية الصحيحة التى تحفظ كرامة الفرد ، وتصون نظام المجتمع ، وتصلح أمر الأمة ، هى الحرية الملتزمة ، التى لا اعتداء فيها على حق الغير . ولا تجاوز يسىء إلى مصلحة المجموع . ولا إخلال بالتوازن المطلوب بين المصالح المختلفة ، إنها الحرية المنضبطة، ذات الضوابط التى تحمى من الفوضى ، وتضمن الا تتحول الأوضاع إلى همجية مدمرة ، تنذر بأوخم العواقب ، وتهدد المجتمع بالعودة إلى الوراء ، والقضاء على المكاسب التى حققها الشعب على طريق الديمقراطية .

وعلينا إذن أن نمضى يدا واحدة فى طريق الحرية الملتزمة الواعية ، سائرين بخطوات واثقة رشيدة ، تضمن لنا حياة آمنة ، وتفتح الباب فسيحا للبناء والإنجاز وتنطلق الجموع فى موكب الزحف الحضارى الكبير ، تبنى وتعمر ، فيرتفع البنيان ، وترفرف أعلام الجد والعزة .

وسادس الواجبات التى تفرضها المرحلة الحالية ، أن نعمق الإحساس بقيمة الإخاء بيننا ، وأن نجعله أساس علاقاتنا فى كل حياتنا ، حتى يعم التعاطف ، ويشيع التعاون ، وتتعمق المحبة فى النفوس فالإخاء مطلوب بين الأفراد ، ومطلوب بين الجماعات ومطلوب بين الدول ومطلوب بين عناصر الأمة ، فبه يختفى العداء وينتهى الشقاق ويزول الصراع وتتلاشى كل عوامل التفرق والتمزق ، والاتجاه نحو التجمع والترابط لا يتحقق على وجهه الصحيح إلا فى ظل سيادة الإخاء بين البشر ، ومن هنا اعتبر الإسلام جميع أبنائه إخوة ، والنصوص الكثيرة فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف تلح على تأكيد هذه الأخوة وترتفع بها إلى درجة تشبه الأخوة فى النسب فالقرآن الكريم يقول : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ والرسول الأمين يقول : المسلم أخو المسلم بل إن النبى ﷺ ، جعل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

ولو أننا أخذنا أنفسنا بمبدأ الإخاء وجعلناه طريقا إلى التقارب والترابط لجعلنا من أنفسنا تلك الأمة التى تشبه الأسرة الواحدة التى أساسها الحب والتعاطف وقوامها التسامح الحق ورباطها التعاون الراسخ والتى يكون أفرادها إخوة حقيقيين يجمع بينهم الشعور الواحد ويدفعهم إلى التقدم الأمل الواحد ويظلل وجودهم الإيمان بالله الواحد .

وسابع الواجبات الأساسية تفرضها المرحلة الحالية ، أن تنهض بلادنا بالتنمية الشاملة وحسبنا أن نذكر قول الله سبحانه : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ وأن نستوعب المعنى الذى قصده الرسول الكريم حين قال لرجل صافحه فوجد يده خشنة من أثر العمل بالفأس : هذه يد يحبها الله ورسوله ، فالتقصير عن العمل والقعود والكسل ليسا من

سمات المسلم ولا مما يقره الإسلام ، والزهد السلبى الذى يولى الظهر لإيجابيات الحياة والعمل فيها والإنتاج لها والإبداع من أجلها ، يتعارض مع خُلق المسلم الصحيح وجوهر الإسلام الصحيح ولنذكر دائما قول الرسول الكريم : « إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن يغرسها فليفعل » فإذا أردنا أن تأخذ أمتنا مكانها الجدير بها فى العالم الجديد ، فعلينا أن نأخذ بالتنمية الشاملة التى توفر للأمة قوتها وتلبى مطالبها وتغنى مواردها وتعزز استقلالها وحرية إرادتها .

إننا إذ ندعو إلى تنمية القوة الأمنية والدفاعية للبلاد ، فإنما ندعو إلى حماية سلامنا وسلام الآخرين ، فتلك القوة تحول دون الصدام المسلح وترد على التفكير فى الحرب أى أن الاستعداد والتسلح بالقوة يكون مشروعا عندما يستخدم لتأمين البلاد لا لشن العدوان ، وللحماية لا للبغى وللدفاع والوقاية لا للهجوم وترويع الآمنين .

وثامن الواجبات المفروضة علينا فى هذه المرحلة ، أن يحمل كل منا أمانته بشرف ؛ وأن يرعى صالح الأمة فيما يأخذ وفيما يترك ، وأولى الأمانات هى أمانة الكلمة ، فلا ينبغى أن توظف الكلمة للتضليل أو المزايدة أو التزييف ، ولا يصح أن تعبأ الجماهير بالشعارات البراقة والهتافات الجوفاء ، من أجل غرض شخصى زائل أو مكسب حزبى رخيص .. إن الكلمة شرف ورسالة ، وما أصدق قول المولى سبحانه ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ. تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ وما أروع قوله جل شأنه : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ .

العمل لمساعدة المسلمين

وتاسع الواجبات الأساسية فى هذه المرحلة التحولية ، أن نضاعف العمل من أجل إخواننا المسلمين ومساعدتهم فى حل مايواجههم من مشكلات ، وما يعترض حياتهم من مصاعب على امتداد خريطة عالمنا المعاصر ، وتلك هى مسئولية جماعية تفرضها علينا روح الإسلام وتدعو إليها تعاليمه ، التى تحض على التكافل والتواصل والتراحم .

أيها الإخوة :

هذه الواجبات الأساسية التسعة هى خواطرى التى استلهمتها فى هذه الذكرى العطرة .. ذكرى ليلة الإسراء .. وكلها واجبات أداها المسلمون الأوائل ، فبلغوا بأنفسهم وأمتهم أعلى مكان ، وخُلد عملهم وما قدموا على مر الأزمان . وأرى أننا إذا أدينا هذه الواجبات الأساسية على وجهها الصحيح ، فإننا نكون قد سرنا فى الطريق المستقيم ، وبلغنا بعونه تعالى الأمل المنشود .. إنها واجبات دعا إليها ديننا العظيم ، وحث عليها رسولنا الكريم الذى نحتفل اليوم بذكرى إسرائه ومعراجه ، فليكن احتفالنا بداية لصحوة إسلامية كبرى نستدرك بها ما فات ، ونصل عن طريقها ما انقطع ، ونبلغ عند تحقيقها ما نؤمله لأمتنا الإسلامية من مكانة رفيعة فى العالم الجديد .

أما أنتم أيها الدعاة الهداة .. فتحية لكم فى يومكم .. تحية تقترن بالإجلال لدوركم والاعتزاز بعلمكم .. فالداعية يتحمل مسئولية كبرى فى الدعوة إلى الحق .. وإبراز الوجه المشرق للإسلام الحنيف ، وتنقية حاضرنا من شوائب الفهم المغلوط للشريعة السمحاء .. ومحاولات استخدام الدين العظيم لستر جرائم ضد أمن المسلمين ، واستقرار أوطانهم وسلامة شعوبهم .

والله نسأل أن يساعد أمتنا ، ويحقق صحوتنا ونهضتنا ، ويعلى فى عالم اليوم والغد قدرنا ومكانتنا .. فهو حسبنا ونعم الوكيل .. وكل عام وأنتم بخير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شيخ الأزهر

الإسراء معجزة ذاتية للرسول علينا أن نحمى بيت المقدس

القى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر كلمة فى الحفل حيا فيها حفاوة الرئيس محمد حسنى مبارك بالدعاة .

وقال : إننا نحتفل هذه الليلة بذكرى معجزة ذاتية لرسول الله - ﷺ - لقد أسرى الله به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى .

هذا الإسراء وهذه الرحلة كانت رحلة لتسلم القيادة قيادة الدين إذ أن الله أسرى بعبده ليشهد مع الرسل السابقين الذين صدقوا برسالته فجاءوا ليؤمهم ويسلموه قيادة وحدة الدين .

هذه الرحلة لم تكن مجرد رحلة عادية وإنما أنعم الله بها على نبيه - ﷺ - حافزا على المضى فى دعوته وتقديرا لما تحمَّل فى سبيلها وفى وقت اشتدت عليه وأمامه المعوقات .. فكان فى حاجة إلى أن يشد الله أزره ويطلعه على ما لم يطلع عليه غيره فكانت هذه الرحلة إلى بيت المقدس ..

ثم كان عروج النبى - عليه الصلاة والسلام - من هذه البقعة المباركة إلى حيث شاء له ليتلقى أوامر الله ومنها الصلاة .. الصلاة التى قال عنها رسول الله - ﷺ - انها عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين .

هذه الصلاة التى هى مناجاة بين المسلم وربه يخلو بها إلى ربه يخاطبه بآياته وبقرآنه ليذكرنا ان هذا القرآن هو سبيلنا إلى الله وسبيلنا إلى النصرة فى الدنيا والفوز فى الآخرة .. تلقى الرسول - ﷺ - فرض الصلاة وجاء بها مبلغا رسالة ربه .

تلك المعجزة من مكة إلى المدينة ذاتية بكل المعايير والمقاييس لم يسبق إليها ولم يمنح أى من رسل الله - صلوات الله وسلامه عليهم - هذا الفضل الكبير .

ثم هذه الرحلة من مكة إلى المدينة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليعود الرسول - ﷺ -

ومعه زمام القيادة إلى القبلة الدائمة إلى القبلة التى ستكون الصلاة إليها إلى يوم الدين ، فانتقلت بذلك الرياسة ووحدة الدين ليشهد الناس وليعلموا أنه خاتم الرسل - ﷺ - وصاحب الرسالة الخاتمة وأن كتابه القرآن هو الكتاب الحكم العدل إلى يوم القيامة ..

فهل لنا نحن المسلمين أن نسارع إلى حماية بيت المقدس وأن نعمل على صيانته وأن نساند القائمين على أمره الذين يحمونه بأجسادهم وبأرواحهم .. هل لنا أن ندعمه وأن نسانده بكافة ما تكون به المساندة .

إننا فى حاجة إلى أن نظهر ونبرز مساندين ومساعدين لهؤلاء الذين يحمون هذا المسجد .. ويحمون الموقع الذى كان منه عروج الرسول - ﷺ - وأن تظل كل البلاد الإسلامية والأمة الإسلامية متصلة .

وإننا لا ننسى ما تقوم به مصر فى هذا السبيل وما يقوم به الرئيس محمد حسنى مبارك ، من جمع الكلمة ووحدة الصف والسعى إلى استخلاص الحق .

نسأل الله بحق هذه الليلة المباركة وبحق هذا الجمع الذى جاء ليحتفل بهذه الذكرى ، نسأل الله أن يثبت أقدام المفاوضين وأن يؤيدهم بنصر من عنده وأن يشرح قلوبهم للحق وأن يعينهم وأن يوفقهم لإنهاء هذه المأمورية لتأمن فلسطين وليأمن المسجد الأقصى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

شهر شعبان

وليلة النصف منه

بقلم صاحب الفضيلة الإمام الأكبر

جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر

لشهر شعبان فى الإسلام مكانة خاصة بين الشهور ، فهو شهر النفحات والفيوضات والبركات .

ولقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخص هذا الشهر بالكثير من الصوم ، روى النسائى عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : قلت يارسول الله ، لم أرك تصوم فى شهر من الشهور ما تصوم من شعبان قال : « ذلك شهر يغفل عنه الناس بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين وأحب أن يرفع عملى وأنا صائم » .

والمراد أنهم يغفلون عن تعظيم شعبان بالصوم كما يعظمون رمضان ، وكانوا يعظمون شهر رجب فى الجاهلية . قال الشوكانى : ولعل الحكمة فى صوم شهر شعبان أنه يتعقبه رمضان وصومه مفترض ، وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يكثر من الصوم فى شعبان قدر مايصوم فى شهرين غيره لما يفوته من التطوع الذى يعتاده بسبب صوم رمضان .

وعن أم سلمة رضى الله عنها : « أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكن يصوم من السنة شهراً تاماً إلا شعبان يصل به رمضان » .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « لم يكن النبى ـ صلى الله عليه وسلم يصوم أكثر من شعبان فإنه كان يصومه كله » .

وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : « ما رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصوم شهرين متتابعين إلا شعبان ورمضان » رواه الترمذى وقال حديث حسن وأبو داود ولفظه قالت : « لم يكن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصوم من السنة شهراً تاماً إلا شعبان كان يصله برمضان » رواه النسائى باللفظين جميعاً .

وفى الحديث الذى رواه الطبرانى وابن حبان فى صحيحه عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « يطلع الله على جميع خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن » .

وفى رواية الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « يطلع الله عز وجل إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده إلا اثنين : مشاحن أو قاتل نفس » .

هذه الأحاديث وغيرها تعلى من شأن ليلة النصف من شعبان ، وتعظم ذلك اليوم وتدعو المسلمين إلى الإقدام على طاعة الله فيها ، وصوم يومها طلبا لرحمة الله ومغفرته واستزادة من مرضاته ، واستقبالاً لخيره الذى لا ينقطع عمن تاب إليه وأناب ، فإنه سبحانه يوفى الطائعين الصابرين الصائمين أجرهم بغير حساب ، وخير مايعبد الله به فى هذه الليلة المباركة الصلاة وتلاوة القرآن والدعاء بما يفتح الله به على المسلم فى خشوعه وعبادته ، وخير الدعاء ماعلمنا الله إياه فى القرآن ، وما ورد عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلنحرص على إحياء هذه الليلة بالطاعة ، بالصلاة ، وتلاوة القرآن ، والاستغفار ، والتسبيح والتهليل والتكبير وسائر أنواع الذكر ، وعلى صوم يومها كما أثر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

هذا : ولم يؤثر عنه عليه الصلاة والسلام دعاء خاص فى هذه الليلة ، ولعل الأولى التأدب بأدب القرآن والتزام ماجاء فيه من أدعية جرت بها آياته ، وما أثر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من جوامع الدعاء ، إذ بها تتنزل الرحمات ، وتقضى الحاجات ، وتنغلق أبواب الشرور والآفات ، ومن أدب الدعاء الإخلاص والإقبال على الله ، فادعوا الله مخلصين له الدين واقبلوا على الله لاسيما فى مواسم الخير والبر يكن الله معكم .. بالحفظ والرعاية والتوفيق .

ومن الأحداث العظيمة التى وقعت فى هذا الشهر المبارك تحويل القبلة فى الصلاة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة ففى الصحيحين عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلى نحو المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحب أن يوجه إلى الكعبة فأنزل الله : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ **فتوجه نحو الكعبة وقال السفهاء من الناس ـ وهم اليهود ـ** ﴿ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ **فصلى مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجل ثم خرج بعد ما صلى فمر على قوم من الأنصار فى صلاة العصر نحو بيت المقدس فقال : هو يشهد أنه صلى مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنه توجه نحو الكعبة فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة » .**

وقد ضبط أهل الحديث والسير أن الأمر بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام فى قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ .

هذا الأمر كله كان فى شعبان من السنة الثانية للهجرة ، وقد كان استجابة لدعائه وابتهاله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأمر بالتوجه إلى القبلة التى كان يود التوجه إليها ويرضاها ، وأن ذلك هو الحق من الله ، والكعبة هى قبلة إبراهيم عليه السلام .

بيان من الأزهر الشريف

حول الفتن المثارة على الساحة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وأصحابه ومن والاه وبعد
فلقد تفرقت بالأمة السبل ، وضل بنوها الطريق حتى استهدفهم الغير ، وتضافرت عليهم قوى الباطل ، وتناصرت طواغيت البغى ، : تبغى النيل من الإسلام ، وإضعاف حال المسلمين ، وتمزيق شملهم ، وتشتيت جمعهم ، وبث روح الفرقة والاختلاف والنفار فيما بينهم .

الأمر الذى يتطلب من المسلمين ان يكونوا فى يقظة من امرهم ، وفطنة فى تقديرهم ، وحرص على تفويت الفرصة على اعدائهم ، والتصدى لهم بكل ما أوتوا من قوة ..

وإنه مما يؤسف له انه فى تلك الآونة التى تحتاج منا إلى مزيد من الوعى واليقظة ، والتآلف والتراحم ، والتكاتف والتلاحم ؛ نسمع أصواتا تنبعث من بين صفوفنا ، لتبث روح الخلاف فيما بيننا ، وتشغلنا عن قضايانا الأساسية والمصيرية بقضايا جانبية هامشية ، حتى صار بأسنا بيننا شديدا ، ونار الفتنة تضطرم هنا وهناك ، حتى لتكاد تصل إلى حد الاقتتال ، وإهدار الدماء ، مع أن رب العزة ـ جل شأنه ـ حذرنا من ويلات الفتن كلها قائلا : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الآية ٢٥ من سورة الأنفال) .

كما حكم سبحانه على الفتنة هذا الحكم الواضح الصريح فقال ـ جل شأنه ـ : ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ (من الآية ١٩١ من سورة البقرة) .. وفى الآية السابعة عشرة بعد المائتين من نفس السورة قال عز من قائل ـ : ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ .. ذلك : لأن من شأن الفتنة أن تضرم نارا لا يعلم مداها إلا الله .. قد تبدأ بالسباب والنفار .. وصولا إلى الاقتتال والدمار ، وسباب المسلم فسوق وقتاله كفر .. كما جاء فى الهدى النبوى الشريف ، وكيف لا يكون قتاله كفرا وقد جاء فى قول من لا ينطق عن الهوى ـ صلوات الله وسلامه عليه : وذلك فيما رواه الشيخان وأبو داود .. والنسائى عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ .. « لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » .

كما روى الشيخان والترمذى ـ عن أبى موسى ـ مرفوعا ـ .. « من حمل علينا السلاح فليس منا » .

وجاء ـ متفقا عليه ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : « قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « لايشر احدكم إلى أخيه بالسلاح ، فإنه لا يدرى لعل الشيطان ينزع فى يده فيقع فى حفرة من النار » .

وإن من الفتنة أن يستبيح أصحاب الأقلام والمتحدثون لأنفسهم المساس بالقيم والمبادىء الإسلامية عن وعى أو غير وعى ، أو يدلى انصاف المتعلمين بدلوهم فى أمور الدين التى لا يحيط بها خبرا إلا المتخصصون الذين عناهم قول رب العالمين سبحانه فى الآية الثانية والعشرين بعد المائة من سورة التوبة : ﴿ وَمَا كَانَ

الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ ، فإن هذا بلا شك يثير حفائظ الغيارى على دينهم فتنشب الفتن » .

كما أن من الفتنة ايضا تلك النغمة التى سرت من رمى بعض المسلمين لإخوانهم بالكفر .. لا لشىء إلا لأنهم قد صدرت عنهم هفوة ، أو وقعت منهم زلة ، أو اقترفوا ذنبا ، مع أن المسلم لا يكفر بذنب أبدا إلا إذا جحد ماهو معلوم من الدين بالضرورة .

ومن هنا فلا يصح لمسلم أن يسب أخاه أو يرميه بالكفر ، فلقد حذرتنا السنة المطهرة من ذلك فيما رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « إذا قال الرجل لأخيه ياكافر فقد باء ـ أى رجع ـ بها أحدهما ، فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه » .

كما روى البخارى ومسلم عن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « ومن دعا رجلا بالكفر أو قال ياعدو الله وليس كذلك إلا حار ـ أى رجع ـ عليه » .

وروى البزار ـ ورواته ثقات ـ عن عمران بن حصين ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « إذا قال الرجل لأخيه : ياكافر .. فهو كقتله » .

والأزهر الشريف يهيب بالكتاب والمتحدثين أن يلتزموا بالكلمة الطيبة .. فإن الله قد ضرب لها مثلا فى قرانه فقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ . تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ . (الآيتان ٢٤ / ٢٥ من سورة إبراهيم) ..

كما ضرب الله مثلا للكلمة الخبيثة فقال ـ جل شأنه ـ : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ (الآية ٢٦ من سورة إبراهيم) .

وما ذلك إلا لنقتدى وننهج نهج القرآن فى الإيضح والإفصاح .. فإن للكلمة أثراً يظل مستقرا فى النفوس فإن كانت طيبة أثرت وأينعت ، وإن كانت خبيثة أثارت وأحرقت ، وقد قيل :

جراحات السنان لها التئام

ولايلتام ماجرح اللسان

ثم إن الأزهر الشريف لينصح أصحاب القصص والروايات بأن يتقوا الله فى أمتهم وفى دينهم ، فلا يتمثلوا حدود الإسلام وحرماته من خلال رؤاهم ، وفيما يبتغون من قصص وروايات ، وليتركوا الغيبيات فى حدودها التى سترها الله عن بنى الإنسان ، ولنؤمن بما أوحى الله فى قرآنه من ثواب وعقاب فإن هذا من أصول الإيمان ، ولنبتعد عن محاولة الولوج وراء أستار الغيب ، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، ولنعلم أن كل إنسان محاسب على حصائد لسانه وقلمه ، وفى هذا كان توجيه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للصحابى الجليل معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ حين قال له : « أمسك عليك هذا ـ وأشار إلى لسانه ـ فتساءل معاذ بن جبل فى دهشة : وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به يوم القيامة ؟ فأجابه الرسول الكريم : ثكلتك أمك يامعاذ ، وهل يكب الناس على وجوههم فى النار يوم القيامة إلا حصائد ألسنتهم » .

الا :

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (الآية ٦٣ من سورة النور) فلقد كان من دعاء سلفنا الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ..

والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل .

نداء من مشيخة الأزهر

للوفاق بين الفرقاء المتقاتلين من المسلمين

شيخ الأزهر
جاد الحق على جاد الحق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله - وبعد - فهذه الأمة الإسلامية اجتمعت على كلمة الله (القرآن) وعلى هدى رسول الله محمد - ﷺ - الذى ضمن لها الهداية والسعادة فى الدين والدنيا والآخرة إذا هى اعتصمت بهذين المصدرين :

روى الإمام مالك :

أن النبى - ﷺ - قال :

تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ .

وفى كتاب الله القرآن قوله تعالى فى سورة آل عمران : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ . وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا . . ﴾ .

فهذا أمر من الله سبحانه بالوحدة والجماعة ونهى عن التفرقة والاختلاف .

وفى الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله - ﷺ - قال : « إن الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا : يرضى لكم : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ، ويسخط لكم ثلاثا قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال وفى سورة الأنفال قول الله سبحانه : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ . . ﴾ .

وهذا أمر آخر من الله للمؤمنين بطاعته سبحانه وطاعة رسول الله - ﷺ ، ونهى عن التنازع الذى يترتب عليه الفشل والتفرق والضعف الذى يودى بالأمة .

ولقد مرت بأمة المسلمين أحقاب حالكة وظلمات قاتلة منذ تفرقت بها السبل ، وقامت على أرضها القبلية والعرقية ، فبعد أن كانت أمة واحدة يسعى بذمتها أدناها وهم يد على من سواها ، فرقها الاستعمار حتى صارت شعوبا وقبائل وأوطانا مختلفة ، وأقام بين هذه الأوطان حدوداً وفواصل ، وأذكى بينها روح العداوة والبغضاء ، حتى نسيت الأمة الواحدة تاريخها الماضى وسهل عليه أن يقودها إلى ما يريد من فرقة وضعف ، وتمكن من انتهاب ثرواتها وتبديدها واستثمر موقعها الممتاز فى معالجة الاستعمارية ونسيت أمة الإسلام ما بينها من أواصر القربى تلك الأواصر التى صنعها الله سبحانه .

فهذا القرآن الكريم نزل به الروح الأمين هو عقيدتكم وشريعتكم وحبل الله المتين الذى يربط بين قلوبكم ، هو مرآتكم الذى تستعيدون به وفيه ماضيكم التليد وتصلون به حاضركم الجديد وتستطلعون فيه مستقبل أجيالكم .

وهذه سنة رسول الله - ﷺ - فيها تبيان ما خفى عنكم ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ .

وهذا الإسلام دين الله جمع الله به شملكم وآخى بينكم ففى سورة الأنبياء : ﴿ . . . . إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ . . ﴾ .

ولقد اختبر الله سبحانه وحدة هذه الأمة ليعلم الصابرين منها وليبلوا أخبارها . ولم تكن هذه الاختبارات فى صورة واحدة وإنما فى صور متنوعة .

وكان مما ابتلى به الله هذه الأمة حديث المستعمرين عن المذاهب والأعراق وأنها لا تلتقى ، حتى اشتعلت هذه الفتنة لدى الأمة الإسلامية سببا للتفرقة والوهن من وحدتهم ، وليحول دون اتحادهم فى الاتجاه والغاية ، مع أن الله قد حذر المسلمين فى كتابه من هذه الحال فقال فى سورة آل عمران : ﴿ وَلَاتَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ . . . ﴾ وقال فى سورة النساء : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِى الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ .

وبهذا نهى الله عن الفرقة والاختلاف الذى يهدد وحدة الأمة ويجعلها طوائف متقاتلة ، وأوضح طريق التغلب على هذه الفرقة ، وصون الوحدة عند الاختلاف ، ذلك هو تحكيم كتاب الله وما أثر عن رسول الله - ﷺ - من صحيح القول وثابت العمل والقضاء .

فهذه رابطة الدين توثق وحدتكم وتجمع كلمتكم وهى مرآة حياتكم ، تزيد تعاونكم ، وتستديم مودتكم ، وتستكثر لقاءاتكم وتدعوكم إلى التعاون فى دفع محاولات أعدائكم نحو الكيد بكم والنيل منكم .

ثم هذه رابطة الرحم والجوار بعد إذ امتد بكم الإسلام إلى رقعة فسيحة من الأرض متصلة من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب وقد فرض الله عليكم أن تعرفوا حق الرحم والجوار فى آيات عديدة من القرآن طلبا للترابط والتراحم فيما بينكم حتى تكونوا كما وصفكم رسول الله - ﷺ - فيما رواه البخارى ومسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » . وشبك بين أصابعه .

لقد وجب - بهذا - على أمة المسلمين أن تستمسك بهذه الروابط إمامة القرآن والسنة ، الدين الواحد ، وصلة الرحم والجوار . لصيانة حوزتها وتقوية وحدتها والدفاع عن حرماتها وعن المستضعفين من شعوبها .

للوفاق بين الفرقاء المتقاتلين من المسلمين

ولقد وضع الإسلام مبدأ لإخماد حركات التآمر على المسلمين ، ووقف إثارة فتنة الفرقة بينهم .
وعبر القرآن الكريم عن هذا المبدأ بقول الله تعالى فى سورة آل عمران : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ .

ومشيخة الأزهر الشريف عندما تسوق هذا النصح إلى جماهير الأمة الإسلامية وإلى زعمائها فى كل مكان ، إنما تعنى التنبيه إلى ظاهرتين خطيرتين تظلان كثرة من الشعوب الإسلامية بظلال كدرة عليها فترة :

أولاهما: أن بعض الأقليات الإسلامية تتعرض لمحن قاتلة ، فهى مستضعفة فى أوطانها مطرودة من ديارها ومساجدها ومدارسها مهددة بالتدمير كما يحدث فى الهند وبلاد أخرى دون ردع أو حماية من حكومات تلك البلاد وكأن هؤلاء ليسوا من المواطنين لهم حقوق على تلك الحكومات .
وأن الأخوة الإسلامية تقتضى مؤازرة هؤلاء المستضعفين والسعى لحماية حقوقهم فى دورهم ومساجدهم ومدارسهم والحفاظ على حياتهم وأموالهم ، فى وقت تتنادى فيه الدول والشعوب بالمساواة وتتواصى بحقوق الإنسان وبحرمة العقائد والأديان .

الظاهرة الأخرى : هذا الشقاق والاختلاف والاقتتال الدائر فى الصومال وفى القرن الإفريقى بوجه عام ، وفى بؤر إسلامية أخرى هنا وهناك ، يقتل بعضها بعضا ويهدمون الدور والمساكن ويهلكون الحرث والنسل غافلين عن قول الرسول - ﷺ - الذى رواه ابن عمر فى مسند الإمام أحمد : « لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ..» .

ياأيها الفرقاء المتقاتلون فى أى مكان من أرض المسلمين اتقوا الله فى أنفسكم وأهليكم وأرضكم وأمتكم .
هذه الأرواح التى أزهقت وتزهق فى سبيل الشيطان والخسران وهذه الدور والمدارس والمستشفيات التى أحرقت وهدمت وهؤلاء النساء والأطفال والشيوخ الذين لا حول لهم ولا طول الذين تشردوا وصاروا بلا مأوى ولا زاد ولا دواء ولا سقاء .
ما بال كل هذا لم يحرك الرحمة فى قلوبكم ولم ينبهكم إلى إنهاء القتال حفاظا على مستقبل أمتكم وأوطانكم .
أيها المتقاتلون على أرض المسلمين ، كونوا عباد الله إخوانا واجلسوا معا وتحاوروا وتشاوروا فإن الله شرع الشورى بين المسلمين فقال سبحانه فى سورة آل عمران مخاطبا رسول الله - ﷺ - ومن ورائه أمته ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ ﴾ وفى سورة الشورى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ .
ولقد نفذ أصحاب رسول الله - ﷺ - ورضى الله عنهم هذه الشورى حين لحق - ﷺ - بالرفيق الأعلى

حيث تركوه مسجى فى فراشه واجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة فى حوار لا شقاق فيه ولا نفاق وإنما الرأى والرأى الآخر .

وحين وضح الأمر واتضحت الحجة قام عمر الفاروق - رضى الله عنه - وقال لأبى بكر رضى الله عنه : « رضيك رسول الله - ﷺ - لديننا أفلا نرضاك لدنيانا ابسط يدك أبايعك » فبايعه وقام الحاضرون وبايعوا أبا بكر خليفة .

فعليكم أن تسلكوا هذا الطريق القويم ولا يكن أمركم عليكم غمة .

ولقد فتح الله لكم وعليكم باب رحمته حتى توقفوا الاقتتال وتثوبوا إلى الأخوة والمودة والرحمة بهذه الدعوة العاجلة من مصر لجامعة الدول العربية ولكم فى إخوانكم وزعماء المسلمين السند الذى يرفع عنكم إصركم .

وإن مشيخة الأزهر الشريف لتتوجه إلى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية بكل التقدير لهذه المبادرة إلى دعوة الجامعة العربية لأخذ دورها نحو جمع هؤلاء الإخوة الفرقاء المتحاربين على أرض المسلمين فى أفريقيا ليجلسوا للصلح وجمع الكلمة ووحدة الصف حتى يصيروا عضدا قويا وعضوا نافعا وعاملا فى أمن وأمان وحماية الأمة الإسلامية والأمل أن يستجيب هؤلاء ويتم الوفاق فإن ما صلح عليه أول هذه الأمة يصلح به آخرها وحاضرها .

إيمان وكفاح وتضامن فى تماسك وقدرة على تجاوز الأخطاء ونقاء من الأنانية والتباغض والتحاسد وصون لمصلحة الأمة وإغلاق لأبواب الفتن ما ظهر منها وما بطن وصبر حتى النصر : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

مع سورة الأنفال

النصر من عند الله

دكتور: عبد الجليل شلبى

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ . وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

المفردات اللغوية :

تستغيثون :من الغوث والإغاثة ، بمعنى تستنصرون ، أى تطلبون النصر على الأعداء والظفر بهم . أو بمعنى تستجيرون ، أى تطلبون الخلاص والإنقاذ من الهلكة والشدة ، وكلا المعنيين مناسب فى الآية ، فإن المسلمين استغاثوا بالله ليخلصهم وينقذهم من أعدائهم ، ولينصرهم عليهم .

مردفين :بوزن اسم الفاعل بمعنى متتابعين يردف بعضهم بعضا ، أى يتبعه ويأتى عقبه ، قال ابن عباس : ملك وراء ملك . وقيل التقدير : ألف من الملائكة مردفين مثلهم ، أى ألف بعد ألف ، كما نقول أردفت فلانا دابتى ، وكان فلان ردفا أو رديفا لصاحبه ، يعنى يتبعه ويمشى وراءه ، ففى الآية مفعول محذوف .

وقرىء : مردَفين ـ بفتح الدال ، وبصيغة اسم المفعول ـ من أردف ، أى إن الله أردف المسلمين بهم .

وقرىء أيضا « مُرَدَّفين » . بضم الميم وفتح الراء وتشديد الدال مفتوحة ، من الفعل ردَّف ، بوزن كلَّم . وقرىء أيضا .. مُرُدِفين .. بضم الميم والراء ، وبكسر الدال مخففة غير مشددة . ويجوز فى اللغة أيضا مردِّفين ـ بكسر الدال المشددة ، مع فتح الراء ، ومُرُدِّفين ـ بضم الميم والراء ـ مع كسر الدال المشددة أيضا ، وجاء فى الصيغة نفسها مُرِدِّفين ـ بكسر الراء .

قال سيبويه : أصل الكلمة : مُرتدفين ، فأدغمت التاء فى الدال ، أى بعد قلبها دالا ، كما فى ازدلف ، وازدجر ، وادكر ـ طرحت حركة التاء على الراء ، فصارت ـ مردِّفين ـ وإن شئت لم تطرح حركة التاء ، فيكون كسر الراء لالتقاء الساكنين .

والذين ضموا الراء، ضموها اتباعا لحركة الميم.

والمعنى فيها جميعا واحد – قال الزجاج: يقال: ردفت الرجل إذا ركبت خلفه، وأردفته إذا أركبته خلفى، ويقال: دابه لا ترادف، ولا يقال: لاتردف، ويقال أيضا: أردفت الرجل إذا جئت بعده.

المعنى الإجمالى

لما كان يوم بدر – وهو أول معركة حربية للمسلمين مع المشركين – ولم يكن المسلمون مستعدين لحرب، نظر رسول الله – ﷺ – إلى أصحابه وكانوا قلة لا يتجاوزون ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا، ونظر إلى المشركين. وكانوا ألفا و ويزيدون فأشفق على أصحابه، ولم يجد إلا اللجوء إلى الله فى هذه الشدة، فاستقبل القبلة ومد يديه إشارة إلى الضراعة والابتهال. وكان عليه رداؤه وإزاره، وأخذ يناشد ربه – سبحانه – ويبتهل إليه، ومن دعائه فى هذا الموقف: «اللهم أنجز لى ما وعدتنى اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد فى الأرض أبدا». وظل يهتف وظل يدعو ويبتهل ماداً يديه حتى سقط رداؤه من فوق كتفيه، فأتاه الصديق أبو بكر، فرد عليه رداءه، ثم التزمه من ورائه، وقال له: يانبى الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك.

وتدل أدعية رسول الله – ﷺ – الكثيرة على مدى ما كان يخشاه على أصحابه من كثرة أعدائهم وقوتهم عددا وعدة، مع قلة المسلمين أمامهم، ونقص آلاتهم، فلم يكن بينهم فارس إلا رجلاً واحدا، هو المقداد بن الأسود، وكان الكثير منهم مشاة يحاربون على أقدامهم.

وجاء أيضا فى صفة هذا الموقف أنه – ﷺ – كان يدعو وهو يصلى. ففى رواية سعيد بن منصور أنه صلى ركعتين وأبو بكر عن يمينه، وكان يقول وهو فى صلاته: «اللهم لا تودع منى، اللهم لا تخذلنى، اللهم لا تترنى [من وتره يتره، إذا مسه بالأذى أو نقصه حقه – ومنه فى القرآن: ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ –] اللهم أنشدك ماوعدتنى، اللهم هذه قريش أتت بخيلائها وفخرها تحادك، وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذى وعدتنى».

ويروى أيضا دعاء آخر يقول فيه:

«اللهم إنى أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد» فأخذ أبو بكر بيده وقال: حسبك – فخرج من صلاته وهو يقول: «سيُهزم الجمع ويولون الدُّبر» وبدا عليه البشر، وذهب خوفه.

كشف الله له عن مصارع الصناديد من المشركين، فصار يعين أمكنة مصارعهم لأصحابه فانبعثت فى نفوسهم الحمية، وزال ما بهم من خوف وتردد.

ويفهم من كلام المفسرين ورواياتهم أنه – ﷺ – قبل أن تكشف له مصارع القوم، كان كثير الدعاء شديد الضراعة، وقد تعددت صيغ الأدعية التى دعا بها، وبعضها كان فى صلاته، وبعضها كان فى غير صلاة، وبعضها سمعه أبو بكر وعمر وحدهما، وبعضها سمعه غيرهم من الصحابة وأمنوا عليه، وكلمة أبى بكر: «بعض مناشدتك ربك تنبىء عن طول هذه المناشدة وكثرة الدعاء.

وإسناد الفعل «تستغيثون» إلى واو الجماعة، إمَّا لأن النبى – ﷺ – يمثل المسلمين

النصـــــــــر من عند الله

الذين معه فى هذا الموقف جميعا ، وإما لأنهم هم أيضا كانوا يدعون ويستغيثون والذين أمنوا على دعائه هم أيضا مستغيثون ، لأن من أمن على دعاء فقد دعا به .

وقد استجاب الله لهذه الفئة القليلة من المؤمنين فغلبوا الفئة الكثيرة من المشركين قتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين وردوهم على أعقابهم خاسرين .

ويثار هنا أمر جدير به أن يبرز تلقائيا ، ذلك أن الله وعد النبى - ﷺ - إحدى الطائفتين طائفة العير القادمة من الشام مع أبى سفيان ، وطائفة النفير التى خرجت من مكة ، وفيها صناديد قريش وكبراؤهم . وقال له : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ ، وهذا يقتضى انه كان يعلم أن المسلمين منتصرون لا محالة ، لأن طائفة العير قد مرت ، ولم يبق إلا هذه الطائفة ، فلم كان هذا الخوف ، ولم كان الدعاء والاستغاثة ؟

فللمفسرين فى هذا أقوال قد تكون كلها جيدة .

قيل إن هذا لأنه كان مشفقا خائفاً على صحبه ، فهم قد ينتصرون ولكن بعد أن يقتل منهم عدد كبير ، وخصوصا أن قريشا رمتهم بأفلاذ أكبادها . وصناديد محاربيها ، وهؤلاء الأشداء من قريش لابد أن يكون لهم أثر ورهبة فى نفوس أعدائهم ، وهو رأى لا يخلو من وجاهة .

وقيل إن الوعد بهذا النصر لم يأت إلا فى وقت الاستغاثة ، وأن جملة ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾بدل من جملة ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ﴾ -أو إن تقدير الكلام : أن الله وعدكم حين كنتم تستغيثون - فالاستغاثة والوعد والاستجابة كلها كانت فى زمن واحد ، استغاث رسول الله - ﷺ - واستغاث المؤمنون فاستجاب الله لهم وأخبرهم بأنهم منتصرون ، وأطلع نبيه على مواضع مصارع القوم ، ولهذا أعقب النبى هذا الدعاء باطلاع أصحابه على مصارع القوم ، وقد عينها لهم ثم كانت فعلا كما عين . وقد انبعثت فى نفوس المسلمين الشجاعة وقويت معنوياتهم لأنهم مؤمنون يثقون بقول نبيهم - ﷺ .

ويتصل بهذا أيضا ما كان عليه أبو بكر من الاطمئنان والهدوء . إزاء ما كان عليه النبى من القلق ، وقد عمل أبو بكر على تهدئته ، وأخذ يطمئنه بأن الله سينجزه ما وعده ، وطلب منه أن يكف عن مناشدته ربه ، وكان النبى - ﷺ - أولى وأحق بالأطمئنان . والثقة بوعد ربه .

وقد أفاض المفسرون فى شرح هذا الموقف ، قال الإمام الخطابى : لايجوز أن يتوهم أحد أن أبا بكر كان أوثق بربه فى تلك الحال ، فإن الحامل للنبى - ﷺ - على هذا الدعاء هو شفقته على أصحابه ، ورغبته فى تقوية قلوبهم ، فبالغ فى التوجه والدعاء تسكينا لنفوسهم ، فهم يعلمون أنه - ﷺ - مستجاب الدعاء ، وقد ظهر ذلك فى اطمئنان أبى بكر ، وهذا يعنى أن اطمئنان أبى بكر ناشىء من ضراعة النبى وابتهاله .

وقيل أيضا إن الوعد بالانتصار على إحدى الطائفتين ، ليس من الحتم أن يكون فى هذا اليوم ولا فى هذا الموقف ، وقد يكون بعده فى موقف أو مواقف أخرى .

ويذكر فى هذا الصدد أن أبا بكر يوم هجرة النبى - ﷺ - إلى المدينة ، إذ هما فى الغار كان هو الخائف الوجل ، وكان النبى آمنا مطمئنا ،

يقول له : لاتحزن أن الله معنا ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما ، فهو الذى كان يهدىء أبا بكر ويسكن من خوفه ، على عكس ما فى هذا الموقف ، فما الفرق بين يوم الهجرة ويوم بدر ، وكان يوم الهجرة أشد خطرا !

والفرق بين الموقفين أن النبى - ﷺ - كان واثقا من نصر ربه ، إذ أنزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنوده من الملائكة ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم ، بينما كان أبو بكر خائفا على رسول الله - ﷺ - أن ينال منه المشركون ، فتذهب الدعوة نهائيا ، ونفس رسول الله أعز على أبى بكر من نفسه .

والتفت صاحب المنار إلى أمر آخر ، هو الفرق بين مواقف التوكل ومواقف الخوف ، وموقف التوكل - كما شرحه - يكون بعد أن يهيىء الشخص للأمر أسبابه ، ويعد له كل عدده ، وكل هذه الاستعدادات لاتضمن العاقبة المرجوة ، لأن النصر من عند الله ، فهذا مقام التوكل والاعتماد على الله ، أما موقف الخوف فيكون عند نقص العدة ، وعدم استكمال الأسباب . ويوم الهجرة كان النبى - ﷺ - قد استكمل كل ما يحتاج إليه ، وأعد لرحلته كل ما يمكن أن يعد لها ، أعد الراحلتين ، وأعد الدليل الذى يقوده وصاحبه فى الصحراء وأخفى خروجه عن قريش ، واصطحب معه زاده ... ، فلم يبق للخوف مكان فى نفسه ، أما يوم بدر فلم يكن المسلمون مستكملى عدتهم ، ولا كان فى بالهم أنهم سيحاربون ، وقد بدا منهم من قبل تردد وهيبة ، كأنما كانوا يساقون إلى الموت وهم ينظرون ، ثم هم قلة ظاهرة أمام كثرة فاشية ، وأعداؤهم شاكو السلاح لديهم الظهور ، وهؤلاء ليس بينهم إلا فارس واحد ، والناقة أو الجمل يعتقب عليه الاثنان والثلاثة .. هذا المقام إذاً هو مقام الخوف ، وليس مقام التوكل ، ولا يليق بالمسلم أن يقول إنى متوكل على الله بدون أخذ العدة لما يريد .

أما نزول الملائكة ووقوفهم بجانب المسلمين فكان مددا روحيا معنويا ، وقد رؤيت الملائكة فى صفوف المسلمين على هيئة رجال ذوى عمائم ، وقال الله سبحانه : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ . وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ﴾ .

ونزول الملائكة أمر مقطوع به ، وقد قال عمر ابن الخطاب ، - رضى الله عنه - : أما يوم بدر فلا نشك أن الملائكة - عليهم السلام - كانوا معنا فيه ، واختلفت الروايات فى عددهم وفى ألوان عمائمهم ، ولا أود أن أقف عند هذه الأقوال ، وأشير فقط إلى أن الآية ذكرت أنهم كانوا ألفا مردفين ، ففهم بعض المفسرين أنهم كانوا ألفا متتابعين يردف بعضهم بعضا وقيل كانوا ألفا اتبعوا وأردفوا بآخرين ، وهذا أوضح فى القراءات التى جاءت بفتح الدال .

وجاء عن الإمام الشعبى أنهم كانوا ألفا مردفين ، وثلاثة آلاف منزلين ، فكانوا أربعة آلاف ، وهذا العدد هو مدد المسلمين فى ثغورهم . وقيل كان عددهم أكثر من ذلك ، ولا يعنينا بيان عددهم ، ولا استقصى ما قيل عنه . ويكفى أن ملائكة نزلت فى هذا اليوم ، ولا أميل إلى رأى الذين بالغوا فى عددهم ولا داعى له . وقد كان المشركون ألفا أو مايزيد عليه أفرادا ، ولم تنزل الملائكة ليحارب كل ملك واحدا من المشركين ، ولا لكى يكون فى مقابلة المشرك الواحد عدد من الملائكة .

وقد كان هذا الإمداد كما ذكرت الآية بشرى للمؤمنين بأنهم منصورون ، ولتسكن برؤيتهم قلوب المؤمنين الفزعة الخائفة من كثرة المشركين ،

البقية ص ١٠٩

مساكين يعملون فى البحر

بقلم الأستاذ الدكتور
السيد الجميلى

قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ « يوسف ٢ » .

وقال ايضا : ﴿ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ « النحل ١٠٣ » .

وقال عز من قائل : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ « الشعراء ١٩٥ » .

إن لغة العرب البلغاء بما احتوته واشتملت عليه من بيان ومعانٍ ـ هى المفتاح إلى كنوز القرآن الكريم ، لفهم معانيه السامية ، والترقى إلى مقاصده الشريفة .

قال تعالى : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾« الكهف ٧٩ » .

قال الإمام الطبرى فى تفسيره : « وكان وراءهم : أى وكان أمامهم ، كقوله تعالى : ﴿ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ ﴾ « إبراهيم ١٦ » ، لأن وراء من حروف الأضداد .

يقول القرطبى فى الجامع لأحكام القرآن (١١/٣٤) : « كانوا تجاراً ، ولكن من حيث هم مسافرون على قلتٍ فى لجة البحر ، وبحال ضعف عن مدافعة خطب عُبِّر عنهم بمساكين » . أهـ .

قال كعب وغيره : كانت لعشرة إخوة من المساكين ورثوها من أبيهم ، خمسة زمنى ، وخمسة يعملون فى البحر .

قال فرقة من العلماء : (لِمَسَّاكين) بتشديد السين .

وقيل : هم مَلَّاحو السفينة ، وذلك أن المسَّاك هو الذى يمسك رجل السفينة .

جاء فى تفسير « تنوير المقباس » المنسوب لابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ إشارة إلى عملهم هذا فقال : ص ٢٥١ « فكانت لمساكين يعملون فى البحر » ، أى « فيعبرون بالناس » أ هـ . وهذه إشارة إلى صفة العمل وكيفيته ، أى إن هؤلاء المساكين كانوا أُجَراء عاملين ولا مانع ، بل وليس هناك معارض إلى جواز تقرير عدم ملكيتهم للسفينة .

يقول البيضاوى ص ٣٩٨ فى التفسير :

« قال : وهو دليل على أن المسكين يطلق على من يملك شيئاً ـ إذا لم يكفه » أ هـ .

كذا ؛ وابن منظور ـ فى اللسان (١٣/ ٢١٤) يفرق بين الفقير والمسكين فيقول : « إن الفقير أحسن حالاً من المسكين ، والفقير الذى له بعض ما يقيمه ، والمسكين أسوأ حالاً من الفقير ، وعزاه لابن السكيت » .

ثم ذكر قول الراعى : ـ

أما الفقير الذى كانت حلوبته
وفق العيال فلم يترك له سبد .

ثم يعقب على ذلك بقوله : « أثبت فقره لعدم حلوبته ، بعد أن كان مسكيناً قبل عدم حلوبته ، ولم يرد أنه فقير مع وجودها » أ هـ .

والفقير الذى لا يسأل ، بيد أن المسكين هو الذي يسأل ، وهذه كانت حجة القائلين إن المساكين أحسن حالاً من الفقراء ، وهذا القول موضع نظر .

قال قتادة : إن الفقير هو الذى به زمانة [عاهة] ، والمسكين هو الصحيح المحتاج . لسان العرب ١٣ /٢١٦ .

وبناء على ذلك ؛ فإن الصحيح متى كان محتاجاً فإنه مسكين .

وفى الكشاف للزمخشرى ـ فى الآية :
« قيل : كانت لعشرة إخوة مساكين : خمسة منهم زمنى ، وخمسة يعملون فى البحر » .

ورأى بعض المفسرين أن حال الفقير ـ فى الضر ـ أشد من حال المسكين .

قال ابن قتيبة : الفقير الذى له بلغة من العيش ، والمسكين الذى لا شىء له .

ورأى الثعالبى ـ ونعم مارأى ـ وسجل ذلك فى (فقه اللغة وسر العربية) : أن (اللام) فى قوله (لمساكين) ليست للملكية ، ولكنها لشبه الملكية وهى للمصاحبة .

قال صاحب : « موسوعة النحو والصرف والإعراب » ص (٥٦٢) عند الكلام عن معانى اللام الجارة ، إن من معانيها :

« شبه الملك ، بمعنى أن مجرورها يملك مجازاً لا حقيقة ، وتسمى هنا لام الاستحقاق ، أو لام الاختصاص .

نحو : « هذا الاصطبل للبقرة » .

لذا أرى : أن نقول : إن (المساكين) يرجح أنهم لم يكونوا أصحاب السفينة ، بل كانوا مجرد أجراء عاملين عليها ، فهم مالكوها مجازاً ، لا حقيقة ، ويؤكد قولنا هذا ما ذكره ابن قتيبة ، وقريباً منه ابن عباس ، والذى حملنا على هذا صعوبة الظاهر من كونهم مساكين يملكون سفينة على الحقيقة ؛ فإن هذا من المسائل التى يكتنف التسليم بها تَكَلُّفٌ ، ومن ثَمَّ كان التحول إلى الملكية المجازية أمراً مقبولاً لا وكف فيه ولا ضير متى كان مؤدياً إلى نتيجة مقبولة لا تتعارض مع الأصول الشرعية واللغوية ، والله تعالى أعلم .

حول القضاء في الإسلام

للأستاذ الدكتور
أحمد حسن مسلم

عن معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ ان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال له حين بعثه إلى اليمن : « بم تحكم ؟ » قال بكتاب الله ، قال : « فإن لم تجد ؟؟ »، قال : بسنة رسول الله ، قال : « فإن لم تجد ؟ » قال : اجتهد رايى ، فضرب فى صدره وقال : « الحمد لله الذى وفق رسولَ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما يرضى رسول الله ».

رواه احمد وابو داود والترمذى وابن ماجه

الحكم فى الناس أمانة كبرى ، ونعمة عظمى من حيث رفعة القدر ، وجلالة الشأن ، والوجاهة بين البشر ، غير أن هذه النعمة لها مسئولياتها الكبرى التى تتناسب مع وجاهتها ـ أو بعبارة أخرى :

هذه النعمة مقرونة بأمانة لعلها من أكبر الأمانات التى حُمِّلها هذا الإنسان ، فإن عدل وأنصف ، وأعطى كل ذى حق حقه ، وبذل من الجهد ما يعين على هذه الغاية فى صبر واحتساب فإنه يُحسُّ بكثير من طمأنينة القلب وراحة النفس وهدوء البال ، وبهجة الخاطر ، وبقدر هذه المشاعر الكريمة التى تغمر نفسه يسعد به مجتمعه الذى يعيش فيه ، ويجد الناس فيه ، ومعه ، سروراً لا يعدله سرور ، وطمأنينة تملأ القلب وتفيض على الجوارح ، وإن غفل عن القيام بحق هذه الأمانة فتراخى وأهمل ، أو جار وظلم ، فإنه يحس فى قرارة نفسه بالتقصير فى حق هذه الأمانة التى حُمِّلها ، والتقصير فى أداء الأمانة ظلم للنفس ، كما هو ظلم للغير ، وصدق رب العالمين حيث يقول فى محكم التنزيل : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ (١) .

(١) الإسـراء ٧ .

نعم إن الإحسان أثره يلحق المحسن قبل أن يصل إلى المحسن إليه ، كما أن الإساءة أثرها يلحق المسيء قبل أن يصل إلى من أسيء إليه .

وهذا الحديث الشريف الذى صدَّرنا به القول يعطى منهجاً واضحاً لمن يتولى الحكم فى ظلال الإسلام ، وهو دين الله وشرعه ، وهو النظام العالمى العام الكريم الذى يجعل حياة البشر مليئة بالبهجة والهناء عند العمل به والوقوف عند أحكامه ؛ لأنها شرعة الخالق الذى أعطى كل شىء خَلْقَهُ ، ثم هدى ، كما أن هذا الحديث يرشد كل مسئول إلى ما يوجهه لمن اختاره للحكم والقضاء ؛ لأن النبى الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى اختار معاذ بن جبل قاضياً وحاكماً سأله هذا السؤال الكريم : « بم تحكم ؟ » ، أى بم تقضى فى قضايا الناس ؟؟ وبم تفصل فى خصوماتهم ؟ فقال معاذ : بكتاب الله ، أى أن القانون الذى أرجع إليه عند الفصل فى قضايا الناس هو ما فى كتاب الله ـ عز وجل ـ من الأحكام التى شرعها ، قال تعالى : فى محكم التنزيل : ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « فإن لم تجد ؟ » قال : « بسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ » . ومعنى هذا أن المصدر الأول للحكم والتشريع والتقنين هو ما فى كتاب الله ـ تعالى ـ ، والمصدر الذى يليه وهو مصدر التطبيق والتوضيح والبيان المستوعب لسائر شئون الناس هو ما فى سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال له النبى الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « فإن لم تجد ؟ » قال : أجتهد رأيى فضرب فى صدره وقال : (الحمد لله الذى وفق رسولَ رسولِ الله لما يرضى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم) .

ومعنى ذلك أنه أَخَّرَ تفكيره ورأيه واجتهاده إلى المقايسات التى تؤخذ بمقياس النظر والاجتهاد ، واستخدام قوة العقل السليم فى الوصول إلى الحكم بالعدل ، وما يحقق معنى الإنصاف فى القضية التى ينظرها ، وفى الخصومة التى بين يديه للفصل فيها ، وهذا هو الدستور السليم المستقيم الذى يحقق الطمأنينة فى قلوب الناس ، وأنه بهذا لا يقدم بين يدى الله ورسوله ، إذ الأصل الذى يجب أن يتبعه المسئول المسلم هو النظر أولاً فى كتاب الله عند الفصل فى أى قضية من القضايا ؛ فإن لم يجد فعليه أن ينظر فى سنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنها التطبيق العملى المستوعب لجميع أحوال الناس ، ويدرك ذلك تمام الإدراك ، ويعلمه أكمل العلم من درس سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى البخارى ومسلم والترمذى وأبى داود وابن ماجه ومسند الإمام أحمد .

ولقد سُرَّ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما أجاب به معاذ مما يدل على ذهن متفتح وقلب مشرق ، وعقل كبير ، وعندئذ حمد الله تعالى وأثنى عليه بقوله الشريف : « الحمد لله الذى وفق رسولَ رسول الله لما يحبه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ . نعم إن ما يحبه رسول الله هو الحكم بالعدل النابع من النظر فى الكتاب ، أو فى السنة أو النابع من الاجتهاد الخالص لوجه الله الكريم .

هذا وبالله التوفيق ...

تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة الشريفة

للشيخ
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال « بَيْنَما النَّاسُ بِقُبَا. فى صَلَاةِ الصُّبح ، إِذْ جَاءهُمْ آتٍ فَقَالَ : إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآن ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الكَعْبَةَ فَاسْتَقْبِلُوهَا ، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَـى الشَّامِ ، فَاسْتَدَارُوا إِلَى الكَعْبةَ » : (١)لقد فضَّل الله بعض الأزمنة على بعض ، وفضل بعض الأمكنة على بعض ، لحكم خاصة ، وأسرار هامة ، وقد جعل لبعض الليالى والأيام ، مكانة خاصة تتميز بها ، عما سواها ، لأحداث عظيمة اجراها فيها .. ولعل من مفاخر شهر شعبان ، ذلك الحدث التاريخى ، الذى كان له ابعد الأثر ، فى تاريخ المجد الإسلامى .. ذلك ، هو تحويل القبلة من صخرة بيت المقدس ، إلى الكعبة المشرفة فى ليلة عظيمة مباركة هى ليلة النصف من شهر شعبان ؛ التى اختصها الله تبارك وتعالى بالكثير من الخيرات والرحمات .

فقد روى عن عطاء بن يسار رضى الله عنه أنه قال : «ما بعد ليلة القدر ، أفضل من ليلة النصف من شعبان » وكيف لاتكون كذلك ، وقد اقرَّ الله فيها عين نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وحقق له امنية عزيزة ، طالما تاقت إليها نفسه ، وهفت إليها روحه ، فقد كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتجه فى صلاته إلى صخرة بيت المقدس ، رجاء أن يكون فى ذلك تأليف لأهل الكتاب ، لاسيما اليهود ، وتحويل لنفوسهم إلى التبصر فى دينه ، والانحياز لدعوته ، والاهتداء بهديه ، والانضواء تحت رايته ، ولكنه كان كلما أمعن فى التقرب منهم ، ازدادوا منه ، بعدا ، وكلما أراد التودد إليهم ، جددوا له بغضاً : وهم بسوء صنيعهم هذا قد بدلوا نعمة الله كفرا واخذتهم العزة بالإثم ، واصروا على الضلال والعناد ، وأحلوا بالمسلمين اذاهم ، وأعرضوا عن هداهم ، وعارضوهم فى مسعاهم ، ولا غرابة فى أن يحصل كل هذا واكثر منه من اليهود ، والحال ان الله تعالى قد أخبرنا فى محكم كتابه ، بخبث طباعهم ، وسوء نياتهم ، وفساد ضمائرهم ، وتغلغل العداوة والبغضاء فى صدرهم ، فقال تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾(٢)

(١)اخرجه البخارى ومسلم ..

(٢) المائدة : ٨٢ .

لذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الرغبة ، عظيم الضراعة ، كثير الابتهال إلى الله ، أن يحوله عن قبلة قوم لم تلن قلوبهم لدعوة الحق ، ولم تخشع نفوسهم لصيحة الصدق ، ولم تتفتح بصائرهم لنور اليقين إلى قبلة أبيه وقومه وأهله وعشيرته ، روى أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لجبريل عليه السلام : وددت لو حولنى الله إلى الكعبة ، فإنها قبلة أبى إبراهيم ، فقال له جبريل : إنما انا عبد مثلك . وأنت كريم على ربك ، فسل أنت ربك ، فإنك عند الله بمكان » فكان كثيرا مايقلب بصره إلى السماء ، داعيا ربه أن يحقق له ما تصبو إليه نفسه ، فحقق له رغبته ، واستجاب دعاءه وأنعم عليه بالقبلة التى يرضاها ، ويروم التوجه إليها ، وانزل عليه قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَاكُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾(٣)وذلك بعد أن مكث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه الكرام يتجهون فى صلاتهم إلى صخرة بيت المقدس ستة عشر شهرا ، عن البراءبن عازب رضى الله عنه قال : وصليت مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا ، حتى نزلت الآية التى فى البقرة ﴿ وَحَيْثُمَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ فنزلت بعد ما صلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فانطلق رجل من القوم فمر بناس من الأنصار وهم يصلون فحدثهم فولوا وجوههم قبل البيت » (٤) .. مكان ذلك التحويل كما يذكر بعض المؤرخين فى ليلة النصف من شهر شعبان .. وإنه مما لاشك فيه أن تحويل القبلة كان امتحانا وابتلاء للمسلمين والمشركين واليهود والمنافقين فأما المسلمون فقالوا : سمعنا وأطعنا ، أمنا به ، كل من عند ربنا ، وهم الذين هدى الله ، ولم تكن كبيرة عليهم ، وأما المشركون فقالوا : كما رجع إلى قبلتنا ، يوشك أن يرجع إلى ديننا .. وأما اليهود فقالوا : خالف قبلة الأنبياء ، ولو كان نبيا حقا لاستمر فى صلاته إلى قبلتهم ، وأما المنافقون فقالوا : مايدرى محمد أين يتجه فى صلاته ، إن كانت الأولى حقا ، فقد تركها ، وإن كانت الثانية : هى الحق ، فقد كان على باطل . وكثرت أقاويل السفهاء من الناس ، فرد الله عليهم بقوله : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَاوَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٥) .

فجدير بنا معشر المسلمين أن نأخذ من ذكرى استقلال القبلة العزم على أن يكون للأمة الإسلامية استقلالها فى كل شأن من شئون حياتها ، فلا تمشى فى فلك غير فلكها ، ولا تتبع جهة غير الجهة التى أرادها الله لها ، وقد أراد الله تعالى لنا أن نكون رءوسا ، فلا ينبغى أن نكون أذنابا ، وأراد لنا أن نكون قادة ، فلا يجمل

---

(٣) البقرة : ١٤٤ .

(٤) اخرجه مسلم فى صحيحه .

(٥) البقرة : ١٤٢ ، ١٤٣ .

تحويل القبلة من القدس الى الكعبة المشرفة

بنا أن نضع أنفسنا موضع المنقادين المنساقين ، نحن أكثر من ألف وأربعمائة مليون مسلم فى جميع أنحاء العالم ، توحد بيننا قبلة واحدة . فيجب أن يوحد بيننا هدف واحد ، وغاية واحدة ، يجب أن يبقى المسجد الأقصى خالصا للمسلمين .

لقد كان من أسباب الفتح العربى الإسلامى لفلسطين هو إنقاذ هذه الأرض الطيبة ، من أيدى الروم والبيزنطيين ؛ لأن فيها المسجد الأقصى الذى سماه الله تعالى فى كتابه مسجدا ، وبارك حوله بالأشجار والأزهار ، والزروع والثمار ، ونزول الوحى على رسل الله المصطفين الأخيار قال الله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٦) ولكونه : أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ، وقد خصه الله تعالى بمعجزة الإسراء ، وجعله نافذة الأرض إلى السماء ، عندما جعل المعراج من حرمه ، ومن فوق صخرته ، ولم يجعله أولى القبلتين ، لمجرد الصدفة ، بل ليشد إليه القلوب ، ويوجه نحوه الأبصار ويُحمِّل المسلمين مسئولية تحريره ، والحفاظ عليه : إلى أن تقوم الساعة .

ولهذا فإن الواجب الإسلامى يقضى على المسلمين ويحتم عليهم أن يعملوا على إنقاذ القدس وتحريره ، وتحرير المسجد الأقصى من براثن الصهيونية ، وأرجاسهم لتحقيق هذا الغرض النبيل ، وأن نمحو من أذهان اليهود ما تخيلوه؛ من أن قبلتنا الثانية سوف تنسينا قبلتنا الأولى ، أو سنتحول عنها ، ولا نسعى إلى تخليصها ، حتى يعود السلام إلى مدينة السلام .

تصويب

جاء ص (٧٣٨) من عدد رجب ١٤١٢ سطر ١٨ :
ويارب .. هذه أمتك عاشت معى على أنقى من الراحة .
وصحتها : ويارب هذه أمتك عاشت معى على خير نعمة ، فلم تكن أنقى من الراحة .
رجاء التصحيح .

(٦) الإسراء : ١ :

استحقاق الشفعة في الفقه الإسلامي

للدكتور: محمد حسين قنديل

احترم الإسلام الملكية الخاصة للإنسان وجعل له السلطان الكامل على ملكه ، فهو احق به يتصرف فيه كيف يشاء مادام فى الحدود التى وضعها الشرع ، وليس لأحد ان يتملكه او ينتفع به إلا إذا أذن المالك له وطابت نفسه به عملاً بقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا يحل لامرىء من مال أخيه إلا ما طابت به نفسه » (١) ..

واستثناء من اختصاص المالك بملكه وحرمة تملكه قهراً عنه اجاز الشارع الحكيم نزع ملكية المالك جبراً عنه فى أحوال خاصة تستدعى ذلك .

ومن الحالات الخاصة التى اجاز الشارع نزع ملكية المالك قهراً عنه ودون رضى منه :

أن يشترى مالك جديد عقار مالك قديم ، ويحل محله فى ملكية العقار ، ويرى شخص ثالث يتصل ملكه بالعقار المباع أن هذا الحلول فيه إضرار به ، فيكون له شرعاً أن ينزع ملكية المشترى الذى حل محل المالك القديم فى ملكية العقار ليدفع عن نفسه ما قد يتوقعه من ضرر ، وهذا ما يعرف فى الفقه بحق « الشفعة » ، فقد جعل الشرع للشفيع ـ وهو من يتصل ملكه بالملك المبيع ـ أن يأخذ العقار المبيع من يد الذى اشتراه جبراً عنه ليدفع عنه ضرراً قد يصيبه من

(١) مسند الإمام احمد بن حنبل ٣ / ٤٢٣ ط : دار المعارف بمصر . شرح وتصنيف احمد شاكر ، وقال عنه الزيلعى فى نصب الراية ٤ / ١٦٩ . ط : دار الحديث : « إسناده جيد » ، وجاء فى مجمع الزوائد ٤ / ١٧١ ـ ١٧٢ . ط : مكتبة القدسى بالقاهرة : « رجال احمد ثقات » .

استحقاق الشفعة فى الفقه الاسلامى

جراء دخول المالك الجديد ، وحلوله محل المالك القديم .

ولأهمية الشفعة فى الفقه الإسلامى قمت ببحث ودراسة الأسباب التى تجيز الأخذ بالشفعة فى هذا ، وجعلت عنوان الدراسة « استحقاق الشفعة » ، أى الأسباب التى تجيز الأخذ بالشفعة . وقد اتبعت فى هذه الدراسة بعد التمهيد منهجاً يتكون من مبحثين وخاتمة :

وقد بينت فى المبحث الأول بعد تعريف الشفعة لغة واصطلاحاً آراء الفقهاء فى الشركة التى تجيز الأخذ بالشفعة .

على حين خصصت المبحث الثانى للحديث عن استحقاق الشفعة بالشركة فى حقوق الملك .

وأوضحت فى الخاتمة أهم النتائج التى انتهت إليها الدراسة .

معنى الشفعة

١ ـ **فى اللغة** :[٢] الشفعة : (بضم الشين وإسكان الفاء) من الشفع بمعنى الضم على الأشهر ، من شفعت الشىء ضممته ، وسميت بذلك لضم نصيب الشريك إلى نصيبه .

أو من الشفاعة : أى الزيادة ، لأن المبيع يزيد فى ملك الشفيع ، أو لأن الرجل كان إذا أراد بيع داره أتاه جاره وشريكه فيشفع له فيما باع ، فشفعه وجعله أولى به .

٢ ـ **وفى الاصطلاح** :

عرفها الأحناف بأنها [٣] : تمليك البقعة جبراً على المشترى بما قام عليه ، وزاد بعضهم (شركة أو جواراً) .

وقال المالكية [٤] : هى استحقاق شريك أخذ مبيع شريكه بثمنه .

ووافق الحنابلة[٥] فى تعريفهم ما ذكره المالكية من حيث المضمون مع الاختلاف فى الألفاظ .

وقال الشافعية [٦] : هى حق تملك قهرى يثبت للشريك القديم على الحادث فيما ملك بعوض لدفع الضرر .

ونلحظ من هذه التعريفات أن الأحناف لم يشيروا فيما ذكروا إلى العوض الذى يأخذه المشترى من الشفيع لينتقل المبيع إلى ملكه بالشفعة ، وزاد الأحناف على غيرهم فى بعض التعريفات بيان أسباب الشفعة .

وزاد الشافعية فى تعريفهم على ما قال به الأحناف والمالكية بيان حكمة الأخذ بالشفعة ، ومع هذا الاختلاف بين التعريفات إلا أنها جميعاً تلتقى فى كون الشفعة تمليك الشريك حصة شريكه من يد من انتقلت إليه .

ويتفق المعنى اللغوى مع الاصطلاح فى أن كلا منهما يفيد الزيادة فى ملك الشريك بأخذه حصة شريكه من يد المشترى .

ولقد ثبتت الشفعة بالسنة المطهرة ، فروى جابر أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « قضى بالشفعة فى كل ما لم يقسم . فإذا وقعت الحدود وصُرِّفت الطرق فلا شفعة » [٧] .

---

(٢) مختار الصحاح للرازى ص ٣٤١ . ط : دار الحديث بمصر ، الصحاح للجوهرى ٣ / ١٢٣٨ . ط : دار العلم للملايين ـ ببيروت .

(٣) البحر الرائق ٨ / ١٤٣ . ط : دار المعرفة بيروت .

(٤) شرح الزرقانى على مختصر خليل ٦ / ١٦٩ ط : دار الفكر بيروت .

(٥) كشاف القناع ٤ / ١٣٤ . ط : عالم الكتب بيروت .

(٦) حواشى الشروانى وابن قاسم العبادى ٦/٥٣ . ط : دار صادر بيروت .

(٧) فتح البارى ٤/٤٣٦ . ط : دار المعرفة بيروت .

وحكمة تشريعها [8] ، دفع الضرر عن الشريك بمطالبة المشترى للشريك الآخر بالقسمة واحتياج الشريك إلى استحداث المرافق فى الحصة الصائرة إليه كمصعد ومنور وبالوعة ، ودفع أجرة القاسم ، وهو ضرر بالشريك لا يمكن دفعه إلا بالأخذ بالشفعة .

المبحث الأول

الشركة التى تبيح الأخذ بالشفعة

اتفق فقهاء المذاهب الأربعة ، والظاهرية على أن الشفعة تثبت للشريك فى ذات المبيع ، فلو باع أحد الشريكين حصته فى العقار المشترك كان لشريكه الآخر أن يأخذ الحصة المبيعة بالشفعة وليس لأحد أن يزاحمه فى هذا الحق [9] .

واستدل الفقهاء على هذا بما روى عن جابر ابن عبدالله ـ رضى الله عنهما ـ قال : قضى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالشفعة فى كل شركة لم تقسم ربعة أو حائط لا يحل له أن يبيع حتى يؤذن شريكه فإن شاء أخذ ، وإن شاء ترك ، فإذا باع ولم يؤذنه فهو أحق به [10] .

ورغم اتفاق الفقهاء على ثبوت حق الشفعة للشريك فى الحصة المبيعة من العقار المشترك إلا أنهم اختلفوا فى هذا الحق ، هل هو حق مقيد بأن يكون العقار يقبل القسمة جبراً بالقضاء ، أو هو حق مطلق يثبت بمجرد بيع الحصة المشتركة سواء كان العقار يقبل القسمة جبراً بالقضاء أو لا يقبلها ؟

وكان اختلافهم فيما سبق على رأيين :

الرأى الأول :

وهو للمالكية فى الراجح عندهم [11] ، والشافعية فى الأصح [12] ، والحنابلة [13] .

ومضمون هذا : أن الشفعة تثبت فى العقار الذى يقبل القسمة جبراً عند طلبها من القضاء .

واختصت الشفعة بما ينقسم لأن ما لا ينقسم إذا طلب الشريك فيه البيع أجبر شريكه عليه معه بخلاف ما ينقسم ، فانتفى ضرر نقص الثمن فيما لا ينقسم لجبر الشريك على البيع معه .

وأما ما يقبل القسمة ، فإن ضرر نقص الثمن فيه لم ينتف لعدم جبر الشريك على البيع ، ولذا شرعت الشفعة فيه لإزالة الضرر .

ويرى أصحاب هذا الرأى أن الشفعة لا تثبت فيما لا يقبل القسمة قضاء ، كالرحا والبئر الصغيرة والحانوت فى السوق والحمام ، وغير ذلك من العقارات التى لا تقبل القسمة .

ادلة الرأى الأول :

استدل القائلون بأن الشفعة لا تثبت إلا فيما يقسم بما يأتى :

١ ـ عن جابر بن عبدالله ـ رضى الله عنهما ـ

(٨) عون البارى لحل أدلة صحيح البخارى ٤ / ٩ . ط : سنة ١٤٠٤ هـ بدولة قطر ، المهذب للشيرازى ١ / ٣٨٤ ط : دار المعرفة بلبنان .

(٩) رد المحتار على الدر المختار ٥ / ١٣٨ . ط : دار إحياء التراث العربى بيروت ، حاشية الدسوقى على الشرح الكبير ٤٧٤/٣ . ط : المطبعة الازهرية بمصر ، المجموع ١٤ / ١٣٢ . مطبعة التضامن الأخوى ، المغنى ٣٠٨/٥ . ط : عالم الكتب بيروت ، المحلى ٩ / ٨٢ ط : دار التراث بالقاهرة .

(١٠) صحيح مسلم بشرح النووى ٤ / ١٢٨ . ط : دار الشعب .

(١١) بداية المجتهد ٢ / ٢٥٦ . ط : دار المعرفة بيروت .

(١٢) نهاية المحتاج ٥ / ١٩٥ . ط : مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر .

(١٣) شرح منتهى الإرادات ٢ / ٤٣٣ . ط : عالم الكتب ـ بيروت .

استحقاق الشفعة فى الفقه الاسلامى

قال : « قضى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالشفعة فى كل ما لم يقسم . فإذا وقعت الحدود وصُرِّفت الطرق فلا شفعة » . متفق عليه [14] ، واللفظ للبخارى [15] .

وفى مسلم [16] : « الشفعة فى كل شرك : فى ارض ، أو ربع ، أو حائط » .

وفى رواية أخرى عند مسلم : « لا يحل أن يبيع حتى يعرض على شريكه » .

فهم أصحاب الرأى الأول من الحديث برواياته المتعددة أن الشفعة لا تكون إلا فيما يقبل القسمة وتقع فيه الحدود من العقار وما الحق به ، وكأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : الشفعة فيما يمكن قسمته مادام لم يقسم ، وهذا استدلال بدليل الخطاب ، كما ذكر ابن رشد [17] .

٢ ـ أخبر أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أن عثمان ـ رضى الله عنه ـ قال : إذا وقعت الحدود فلا شفعة ، ولا شفعة فى بئر ولا فحل نخل [18] .

استدل بهذا على أنه لا شفعة فى البئر لأنه لا يمكن قسمته ، ولأن إثبات الشفعة فيه يضر بالبائع ، إذ أنه لا يمكنه التخلص من إثبات الشفعة فى نصيبه بالقسمة ، وقد يمتنع المشترى لأجل الشفيع فيتضرر البائع ، وقد يمتنع البيع فتسقط الشفعة ، فكان الأولى منعها فيما لا يمكن قسمته كالبئر والحمام والرحا وغيرها [19] .

٣ ـ الدليل من المعنى :

العقار الذى لا يقبل القسمة لا تثبت فيه الشفعة ، لأنها شرعت لدفع الضرر الذى يلحق الشريك بالمقاسمة ، وذلك لا يوجد فيما لا يقسم [20] .

الـراى الثانى :

يرى الأحناف [21] ، والمالكية [22] فى غير المشهور عندهم أن الشفعة تثبت فى كل عقار مشترك سواء أكان يقبل القسمة أم لا يقبلها .

وذهب الظاهرية ، والهادوية إلى صحة الشفعة فى كل شىء [23] ، وفسر ذلك ابن حزم فقال [24] : (الشفعة واجبة فى كل جزء بيع مشاعاً غير مقسوم بين اثنين فصاعدا من أى شىء كان مما ينقسم ومما لا ينقسم من أرض ، أو شجرة واحدة فأكثر ، أو عبد ، أو ثوب ، أو أمة ، أو من سيف ، أو من طعام ، أو من حيوان) .

ادلة الراى الثانى :

استدل الأحناف ومن معهم على أن الشفعة تثبت فيما يقسم وما لا يقسم من العقار بما يأتى :

١ ـ حديث جابر السابق برواياته المتعددة يدل

---

(١٤) سبل السلام ٣ / ١٥٣ . ط : دار الكتاب العربى .
(١٥) فتح البارى ٤ / ٤٣٦ .
(١٦) صحيح مسلم بشرح النووى ٤ / ١٢٩ .
(١٧) بداية المجتهد ٢ / ٢٥٨ .
(١٨) موطأ مالك ص ٣٠٥ . ط : المكتبة العلمية .
(١٩) شرح منتهى الإرادات ٢ / ٤٣٥ ، المهذب ١ / ٣٨٤ .
(٢٠) المغنى ٥ / ٣١٣ . ط : عالم الكتب .
(٢١) مجمع الأنهر فى شرح ملتقى الأبحر ٢ / ٤٧٢ . ط : دار إحياء التراث العربى للنشر والتوزيع .
(٢٢) شرح الخرشى ٦ / ١٦٤ . ط : ٢ سنة١٣١٧ هـ .
(٢٣) سبل السلام ٣ / ١٥٤ .
(٢٤) المحلى ٩ / ٨٢ .

على أن الشفعة تثبت مطلقاً للشريك دون تفريق بين ما يقبل القسمة وما لا يقبلها .

ويدل أيضاً على أن الشفعة تثبت فى العقار دون المنقول ، لأن الشفعة إنما شرعت لدفع ضرر سوء الجوار على الدوام ، وما ينقل ويحول لا يدوم ، فلا يدوم الضرر فيه كما يدوم فى العقار ، ولأن المنقول يشترى للبيع عادة ولمصلحة المعاش ، ثم يخرجه عن ملكه إذا قضى وطره ، ولا كذلك العقار [٢٥] .

٢ ـ وعن ابن عباس عند الترمذى مرفوعاً « الشفعة فى كل شىء » ، ذكر هذا الصنعانى وقال [٢٦] : (وإن قيل إن رفعه خطأ فقد ثبت إرساله عن ابن عباس وهو شاهد لرفعه على أن مرسل الصحابى إذا صحت إليه الرواية حجة) .

وقال الشوكانى [٢٧] : (رجال حديث ابن عباس ثقات إلا أنه أعل بالإرسال . وأخرج الطحاوى له شاهدا من حديث جابر بإسناد لا بأس برواته كما قال الحافظ) .

ولقد أشار الشوكانى إلى ما ذكره الطحاوى فى شرح معانى الآثار[٢٨] ، وهو إسناد حديث جابر ، قال الطحاوى : (حدثنا محمد بن خزيمة قال : ثنا يوسف بن عدى ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال : « قضى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالشفعة فى كل شىء » . فإن قال قائل : الحديث يوجب الشفعة فى كل شىء من حيوان وغيره وأنت لا توجب الشفعة فى الحيوان ، قيل له : ليس هذا على ما ذكرت إنما معنى الشفعة فى كل شىء أى فى الدور، والعقار ، والأرضين سواء أكان يقبل القسمة أم لا يقبلها . والدليل على عدم ثبوت الشفعة فى الحيوان قول ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : « لا شفعة فى الحيوان ») .

٣ ـ ومن المعنى قالوا [٢٩] : إن الشفعة عندنا وجبت معلولة بدفع ضرر الدخيل وأذاه على سبيل اللزوم ، وذلك يوجد فيما يحتمل القسمة ، وفيما لا يحتمل القسمة على السواء .

واستدل ابن حزم على ماقال به الظاهرية والهادوية من أن الشفعة تثبت فى كل شىء بما يأتى :

١ ـ حديث جابر السابق والذى رواه الطحاوى .

٢ ـ وحديث ابن عباس السابق والذى أخرجه الترمذى مرفوعاً ، البيهقى [٣٠].

٣ ـ وعن ابن جريج أن أبا الزبير أخبره أنه سمع جابر بن عبدالله يقول قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الشفعة فى كل شرك فى أرض أو ربع أو حائط لا يصلح أن يبيع حتى يعرض على شريكه فيأخذ أو يدع فإن أبى فشريكه أحق به حتى يؤذنه [٣١] ، وبعد أن ذكر ابن حزم

(٢٥) تبيين الحقائق ٥ / ٢٥٢ . ط ١ سنة١٣١٥ هـ .
(٢٦) سبل السلام ٣ / ١٥٤ .
(٢٧) نيل الأوطار ٦ / ٨٤ . ط : دار الجيل ـ لبنان .
(٢٨) شرح معانى الآثار ٤ / ١٢٦ . ط : دار الكتب العلمية . مع التصرف فى النص .
(٢٩) البدائع ٦ / ٢٧٠٠ ـ ٢٧٠١ . مطبعة الإمام بمصر .
(٣٠) نيل الأوطار ٦ / ٨٤ .
(٣١) صحيح مسلم بشرح النووى ٤ / ١٢٩ .

◆ استحقاق الشفعة فى الفقه الاسلامى

الأحاديث السابقة قال [٣٢] : (فهذه آثار متواترة متظاهرة بكل ما قلنا . جابر ، وابن عباس عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن الشفعة فى كل مال وفى كل شىء وفى كل ما لم يقسم ، ورواها كذا عن جابر أبوالزبير سماعا منه وعطاء . وأبو سلمة ، ورواه عن ابن عباس ابن أبى مليكة فارتفع الإشكال جملة ولله تعالى الحمد) .

٤ ـ واستدل ابن حزم أيضاً على ثبوت الشفعة فى غير العقار وفيما لا يمكن قسمته فقال :[٣٣] (لا تخلو الشفعة من أن تكون من طريق النص كما نقول نحن ، أو من طريق النظر كما يقول المخالفون ، فإن كانت من طريق النص فهذه النصوص التى أوردنا لا يحل الخروج عنها ، وإن كانت من طريق النظر كما يزعمون أنها إنما جعلت لدفع ضرر عن الشريك ، فالعلة بذلك موجودة فى غير العقار كما هى موجودة فى العقار بل أكثر وفيما لا ينقسم كوجودها فيما ينقسم بل هى فيما لا ينقسم أشد ضرراً) .

مناقشـة الأدلـة

أولاً : مناقشة أدلة القائلين بأن الشفعة لا تثبت إلا فيما يقسم :

ناقش المخالفون للجمهور أدلتهم فقالوا :

١ ـ استدلال الجمهور بحديث جابر ـ رضى الله عنه ـ على أن الشفعة تثبت فيما يقبل القسمة استدلال مردود ، لأن الحديث برواياته المتعددة يدل على ثبوت الشفعة فى العقار المشترك بالشركة دون تفريق بين ما يقبل القسمة وما لا يقبلها[٣٤] .

ولقد روى عن جابر عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « الشفعة فى كل شىء » ، فتخصيص الشفعة بالعقار الذى يقبل القسمة من قبل الجمهور تخصيص لا دليل عليه ويتعارض مع حديث « الشفعة فى كل شىء » .

٢ ـ وفيما يتعلق بالأثر المروى عن عثمان ـ رضى الله عنه ـ فإنه لا ينهض أن يكون حجة تخالف أخباراً تثبت صحتها عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تفيد أن الشفعة جائزة فى كل شىء .[٣٥]

ويمكن حمل هذا الأثر على الرواية التى تجيز الشفعة فى البئر عند المالكية ، حيث فسر الإمام مالك البئر بأنه الخاص بالصحارى التى تعمل فى الأرض الموات ، لا التى تكون فى أرض متملكة [٣٦] .

٣ ـ ناقش المخالفون دليل الجمهور : فقال الأحناف [٣٧] : لا نسلم أن الشفعة وجبت لدفع أجرة القسمة ، وكيف يكون ذلك وأجرة القسمة

(٣٢) المحلى ٩ / ٨٤ .
(٣٣) المحلى ٩ / ٨٤ ـ ٨٥ .
(٣٤) المحلى ٩ / ٨٦ .
(٣٥) المرجع السابق .
(٣٦) بداية المجتهد ٢ / ٢٥٨ .
(٣٧) تبيين الحقائق ٥ / ٢٤٠ الطبعة السابقة .

مشروعة ، وكيف يجوز أيضاً إلحاق الضرر بالمشترى بأخذ ماله بغير رضاه لدفع حكم مشروع ، وإنما العلة فى تشريع الشفعة هو دفع ضرر يلحقه بسوء العشرة على الدوام ، ولو كان لدفع أجرة القسمة لوجبت فى المنقول ، وهو ما لا تقولون به .

وقال ابن حزم [٣٨] : (إذا كانت علة الشفعة كما قلتم هى دفع ضرر القسمة ، فَلِمَ لم تقولوا بها فى غير العقار مع انها تتعدى إلى كل شىء ، فقصرها على ما يقسم من العقار قصر بلا دليل ، فهو باطل ، والصحيح أن علة الشفعة هى دفع ضرر الشركة فى كل شىء فى العقار وفى غيره ، فيما يقسم وما لا يقسم) .

١ ـ ناقش ابن حزم دليل الأحناف من السنة على أن الشفعة تثبت فى العقار الذى يمكن قسمته ، والذى لا يقسم فقال [٣٩] : (وأما الخلاف فيما تكون فيه الشفعة فإنهم قالوا : إنما ذكر فى حديث جابر من رواية أبى الزبير فى كل شرك فى أرض أو ربع أو حائط ، وفى رواية أبى سلمة عنه : « فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة » ، وجوابنا عن هذا أنه لا حجة لهم فى هذين اللفظين ، أما قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : فى كل شرك فى أرض أو ربع أو حائط فليس فيه أنه لا شفعة إلا فى هذا فقط ، وإنما فيه إيجاب الشفعة فى الأرض والربع والحائط ، وليس فيه ذكر هل الشفعة فيما عداها أم لا ؟ فوجب طلب حكم ماعدا هذا فى غير هذا اللفظ ، وقد وجدنا خبر جابر هذا نفسه من طريق عطاء بأن الشفعة فى كل شىء ..

وأما اللفظ الذى فى رواية أبى سلمة عن جابر : « فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة » ، فلا حجة لهم فيه ، لأنه ليس فى هذا اللفظ نص ولا دليل على أن ذلك لا يكون إلا فى الأرض ، والعقار ، والبناء بل الحدود واقعة فى كل ما ينقسم من طعام وحيوان ونبات وعروض وإلى كل ذلك طريق ضرورة ، كما هو إلى البناء وإلى الحائط ولا فرق ، وكان ذكره عليه السلام للحدود والطرق إعلاماً بحكم ما يمكن قسمته وبقى الحكم فيما لا يقسم على حسبه فكيف وأول الحديث بيان كاف فى أن الشفعة واجبة فى كل مال يقسم ، وفى كل ما لم يقسم) .

٢ ـ ونوقش حديث ابن عباس الدال على أن الشفعة تثبت فى كل شىء ، بأنه حديث مطلق قيده حديث جابر من أن الحدود إذا اقيمت وصرفت الطرق فلاشفعة ، وهو ماأجمع عليه أهل الأمصار[٤٠] ، أى أن العقار المشترك إذا قسم قبل الأخذ بالشفعة لا تثبت فيه الشفعة .

٣ ـ رد ابن حزم قياس الأحناف فقال [٤١] : (قياس الأحناف ما لا يقسم من العقار على ما يقسم بجامع الضرر لا شىء فيه ، والخلاف فى قصر الضرر على نوع واحد من المال ، وهو العقار ، فهو قصر بلا دليل لأن علة الضرر تتعدى إلى سائر الأملاك ، فكان ينبغى عليهم أن يعمموا الحكم للاشتراك فى العلة ، وخاصة انهم لما قاسوا فى الربا قاسوا على الذهب ، والفضة ، والبُـر ، والشعير ، والملـح ، والتمر سـائر الأنواع) .

---

(٣٨) المحلى ٩ / ٨٤ ـ ٨٥ بالمعنى .
(٣٩) المحلى ٩ / ٨٥ ـ ٨٦ .
(٤٠) بداية المجتهد ٢ / ٢٥٨ .
(٤١) المحلى ٩ / ٨٦ مع التصرف فى النص .

استحقاق الشفعة فى الفقه الاسلامى

مناقشة أدلة الظاهرية ومن معهم

ناقش المخالفون للظاهرية أدلتهم فقالوا :

١ ـ ما ذكره ابن حزم من السنة بعضه يعارض البعض الآخر ، فحديث أبى الزبير والذى سمعه من جابر يدل على أن الشفعة لا تكون إلا فى العقار ، كما قال الجمهور والأحناف ، وحديث جابر الذى رواه الطحاوى والمؤيد بحديث ابن عباس يدل على أن الشفعة تثبت فى كل شىء ، ولقد ذكر الطحاوى ما يزيل هذا التعارض فقال (٤٢) : (ومعنى الشفعة فى كل شىء ، أى : فى الدور ، والعقار ، والأرضين سواء أكان يقبل القسمة أم لا يقبلها . والدليل على عدم ثبوت الشفعة فى الحيوان قول ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : « لا شفعة فى الحيوان ») .

٢ ـ وقولهم بتعدى العلة الموجبة للشفعة إلى كل شىء : قول يخالف حقيقة مشروعية الشفعة ، لأنها شرعت على خلاف القياس ، ولأن الأصول تقتضى ألا يخرج ملك أحد من يده إلا برضاه ، وأن من اشترى شيئاً فلا يخرج من يده إلا برضاه حتى يدل الدليل على ذلك (٤٣) ، فوجب أن تقتصر الشفعة على دفع الضرر الأشد ، وهو ما يتحقق فى القول بوجوبها فى العقار فقط .

الرأى الراجح فى الموضوع

بعد العرض السابق لآراء الفقهاء وأدلتهم والمناقشات التى وردت على الأدلة أرى أن الرأى الراجح فى الموضوع هو رأى الأحناف ، ومن قال بقولهم من المالكية والشافعية ، وهو أن الشفعة تثبت للشريك فى العقار الذى يمكن قسمته والذى لا يقبل القسمة ، وسبب هذا هو أن علة الشفعة تتحقق فيما يقسم وفيما لا يقسم ، وحاجة ما لا يقبل القسمة للشفعة أشد مما يقسم ، ولقد نقل الإمام النووى (٤٤) الإجماع من العلماء على ثبوت الشفعة للشريك فى العقار على أن يكون ذلك قبل القسمة ، ثم قال : (قال العلماء الحكمة فى ثبوت الشفعة إزالة الضرر عن الشريك ، وخصت بالعقار لأنه أكثر الأنواع ضرراً ، واتفقوا على أنه لا شفعة فى الحيوان والأمتعة وسائر المنقول) .

أشار الإمام النووى فيما سبق إلى حكمة الشفعة فى العقار ، وهى تؤيد رأى الأحناف كما قلنا . والله أعلم .

---

(٤٢) شرح معانى الآثار للطحاوى ٤ / ١٢٦ .
(٤٣) بداية المجتهد ٢ / ٢٥٧ .
(٤٤) صحيح مسلم بشرح النووى ٤ / ١٢٨ .

النصر من عند الله ـ بقية

فهذا فى مقابلة قول الله تعالى : ﴿ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾ . فهنا تقوية لقلوب المؤمنين على القتال دون ـ هبة . وهناك توهين وإزعاج وخوف .

وليس النصر من نزول الملائكة ولا من قوة المحاربين أو كثرتهم . وإنما هى وسائل وأسباب لابد منها ، وقد يهزم القوى وينتصر الضعيف ، وقد تغلب الفئة القليلة الفئة الكثيرة ، فما النصر إلا من الله وحده .

وقد نصر الله المسلمين يوم بدر على قلتهم على المشركين مع كثرتهم ، ويكفى فى هذا النصر أنهم قتلوا سبعين وأسروا سبعين ، ولم يكن قتلاهم ولا أسراهم من الضعفة ولا أغمار الناس ، وإنما كانوا من الكبراء الأشراف ، عتبة وأخوه وابنه ، وأبو جهل ، وكان فى الأسرى العباس بن عبد المطلب ـ عم رسول الله ـ ﷺ ـ وسهيل بن عمرو ، وعند عودة المسلمين إلى المدينة ، قال واحد منهم ما قتلنا إلا قوما ضعافا ، فقال له النبى ـ ﷺ ـ أولئك الملأ من قريش ، والملأ هم أشراف الناس وكبراؤهم ، والغلبة على مثل هؤلاء القوم لها أثرها فى نفوس الغالبين والغلوبين جميعا ، فهى إذ ترفع معنويات المنتصرين ، تشعر المغلوبين بالذلة وتفل عزائمهم .

ولا ريب أن المسلمين يوم بدر أخلصوا النية لله تعالى ، واستماتوا فى الحرب لنصر دينهم ، فلم يضن الله عليهم بنصره ، ثم كانت لهم منزلة خاصة عند الله ، والله لا يضيع أجر المحسنين .

بقى أن أقول : إن الملائكة يوم بدر لم تقاتل ، وأنها لم تنزل إلا للبشرى وتثبيت القلوب ، ولم يقتلوا أحدا من المشركين ، وقد اشتد فى تفنيد رأى القائلين أنهم قاتلوا من السابقين أبو بكر الأصم ، فقال : إنه إذا كان المراد من نزول الملائكة قتال المشركين ، فقد كان يكفى نزول جبريل وحده فيفعل بهم ما فعله بقوم لوط ، فإذا حضر فلا حاجة إلى هذا العدد من الملائكة ، وكبار القرشيين الذين قتلوا معروفون ومعروف من قتلهم من المسلمين . ولم يذكر أحد شيئا عن قتل الملائكة المشركين سوى رواية عن الربيع بن انس ، أن الناس يوم بدر كانوا يعرفون قتلى الملائكة بما ضربوا فوق الأعناق وعلى البنان مثل سمة النار قد أحرق به وهى رواية أنكرها الكثيرون من المحققين ، ومنهم ابن جرير الطبرى .

إن السبعين الذى قتلوا معروفون ، ولم يميز بينهم قتلى لغير المسلمين . ثم إن أهل بدر لهم مكانتهم وثوابهم على حسن جهادهم ، وقال فيهم رسول الله ـ ﷺ ـ لعمر : ومايدريك لعل الله ـ عز وجل ـ اطلع على أهل بدر فقال : « اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم » ، فإذا كان الملائكة حاربوا وقاتلوا فلامزية لأهل بدر ولافضل ، وقد قاتل المسلمون بعد ذلك وأبلوا بلاء حسنا ولم تكن لهم ميزة أهل بدر . ويوم حنين انزل الله جنودا له انتصر بهم المسلمون بعد فرارهم . فهل يكون اهل بدر مثل هؤلاء فى موقفهم ؟! أو يستحق أصحاب حنين مثل ما استحق أهل بدر .

إننا لابد أن نأخذ بمعنى القصر فى قول الله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى ﴾ .

قضية كشمير المسلمة

٢

للأستاذ / ماهر الشيمى

قضية كشمير والأمم المتحدة :

أوفدت الأمم المتحدة لجنة للهند وباكستان فى يوليه ١٩٤٨ لبذل مساعيها الحميدة لإعادة السلام بين الدولتين وإجراء استفتاء . وقد أصدرت اللجنة قرارين بموافقة حكومتى باكستان والهند ، الأول فى ١٣ أغسطس ١٩٤٨ والثانى فى ٥ يناير ١٩٤٩ يقضيان بما يلى :

ـ وقف القتال وتعيين خط له .

ـ انسحاب الجيش الباكستانى ورجال القبائل والرعايا الباكستانيين إلى ماوراء الخط المعين لهم . وكذلك انسحاب القوات الهندية إلى ماوراء الخط المعين لها . أى تجريد الإمارة من السلاح .

ـ إجراء استفتاء حيادى تحت إشراف الأمم المتحدة لتقرير المصير .

وقد قبلت الدولتان هذين القرارين ، وعقدت اتفاقية بينهما بذلك . وعلى هذا الأساس توقف القتال فى ٥ يناير ١٩٤٩ . وتعين خط وقف إطلاق النار فى ٢٧ يوليه ١٩٤٩ .

الهند تستولى على كشمير :

ومضت سنوات وسنوات على صدور هذين القرارين وتوقيع هذه الاتفاقية ، ورغم ذلك فالهند لا تسمح بإجراء الاستفتاء ، فقد عدلت عن موقفها منه ، لأنها وجدت فى طلب انضمام المهراجا إليها وثيقة شرعية . وقد صرح بذلك رئيس وزراء الهند (نهرو) فى مارس ١٩٥٦ فى البرلمان الهندى عندما قال : « إن الحديث عن إجراء استفتاء فى كشمير ليس له ما يبرره » . وفى أبريل ١٩٥٦ أعلن نهرو إلغاء اتفاقية الاستفتاء متذرعا بأن انضمام باكستان إلى الحلف المركزى قد قضى على أسس الاستفتاء . وبعد عام من هذا التصريح وضعت الجمعية التأسيسية[١] للإمارة مسودة دستور اعتبرت بموجبها كل الإمارة ـ بما فى ذلك كشمير الحرة ـ جزءًا لا يتجزأ من الاتحاد الهندى .

وفى ٢٥ أغسطس ١٩٦٠ أعلن وزير الدفاع الهندى (كريشنا مينون) « إن كشمير جزء

(١) « كانت الانتخابات التى جاءت بهذه الجمعية عام ١٩٥٧ انتخابات مزيفة وقد وصفتها صحافة العالم بذلك » . « مأساة كشمير » ص ٦٦ سفارة باكستان ١٩٦٥ .

لا يتجزأ من الهند مثلها مثل راجستان أو مدراس » كما أعلن رئيس وزراء الهند نهرو مرارا : « إنه لن يكون هناك استفتاء بكشمير لا الآن ولا فيما بعد » .

وفى يوليه ١٩٦٥ قبضت الهند على ناصية الحكم فى كشمير وانزلت علم الإمارة عن مبنى المجلس النيابى فى سرينجار عاصمة كشمير ورفعت مكانه العلم الهندى واعتبرتها ولاية هندية .

وصرح أحد الوزراء الهنود (ناندا) بقوله : « لقد ضُمت كشمير نهائيا إلى الهند وبلا رجعة ، وأصبحت جزءًا منها ، ولم يعد هناك معنى لتقرير المصير » . وبعد ذلك هدد رئيس وزراء الهند (لال بهادر شاسترى) ووزير الدفاع (شافان) بمعاقبة كل من يصر على غير هذا القول ، بل وطالبا أيضا بضم كشمير الحرة إلى الهند .

وفى سبتمبر ١٩٦٥ دعا رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى زعماء الهند وباكستان للالتقاء فى (طشقند) لمحاولة تسوية النزاع بطريقة سلمية . ووقعت اتفاقية طشقند فى ١٠ يناير ١٩٦٦ بين الدولتين ، وتقضى بالعمل على إحلال السلام بين الدولتين وتسليم أسرى الحرب وبحث القضايا الخاصة بمشاكل اللاجئين وغير ذلك من الأمور التى تهم كلا الطرفين ، ولكن الاتفاقية لم تتعرض للبحث عن حل لمشكلة كشمير ويبدو أن كلا من الدولتين قد قنع بنصيبه من كشمير .

محاولات الهند للقضاء على الإسلام فى كشمير[٢] :

أدركت الهند أن شعب كشمير لن يكف عن المطالبة بالانفصال عن الهند طالما كان الإسلام

قويا فى وجدانهم . ولذلك وضعوا خططا جهنمية فى محاولة دائبة للقضاء على الإسلام والثقافة الإسلامية فى كشمير . فأرسلت الهند وفدا من الخبراء إلى أسبانيا لدراسة الوسائل التى تم بها القضاء على الإسلام فى الأندلس . وقدم هذا الوفد بعد عودته تقريراً مفصلا عن هذه الوسائل والأساليب التى يراها كفيلة لتحقيق هذا الغرض . كما قدم السفير الهندى فى الاتحاد السوفيتى تقريراً عن الوسائل التى استخدمها الاستعمار الشيوعى السوفيتى للقضاء على الإسلام والمسلمين فى الولايات الإسلامية فى آسيا الوسطى . وعلى ضوء هذين التقريرين تم مايلى :

— تغيير المنهج التعليمى الإسلامى إلى المنهج التعليمى الهندوسى .
— تحويل المعاهد العلمية إلى أوكار لنشر الفساد الخلقى .
— تشجيع الزواج بين المسلمين والهندوس .
— إباحة الخمر وترويجها على حساب الدولة فى

(٢) « المختار الإسلامى » العدد ٩١ اغسطس ١٩٩٠ ص ٥٠ « جامو وكشمير » .

جميع أنحاء الولاية .

— تجريد اللغة الكشميرية من الألفاظ العربية للقضاء على الصلة بين الجيل الناشىء وبين الكتب الإسلامية .

— بث الفرقة والخلاف بين المسلمين .

— استخدام وسائل الإعلام للأساليب الإباحية . والدعوة إلى القومية الهندية .

— طمس معالم التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية .

— التنكيل بالعناصر المجاهدة .

الجهاد فى وجه الاستعمار الهندى لكشمير :

ورغم كل هذه المخططات اندلعت حركة الجهاد الإسلامى فى جامو وكشمير وعملت على توحيد جهود المسلمين وربطهم بالعالم الإسلامى عموما وباكستان خصوصا . كما عملت على نشر الدعوة الإسلامية من خلال الأساليب المتاحة مثل الدعوة الشخصية وإعداد الكتب وإنشاء المكتبات الإسلامية ، وإنشاء المدارس الإسلامية فى أنحاء الولاية . وتوعية أهالى الولاية بالمخططات الاستعمارية الهندوسية . كما ظهر « حزب المجاهدين » كمنظمة جهاد مسلحة . و « حركة تحرير كشمير » كمنظمة سياسية علنية تحت قيادة السيد (على الجيلانى) . وبدأت حركة المسيرات والإضرابات والكفاح المسلح للمطالبة بإجراء استفتاء لتقرير مصير الولاية .

وكان من الطبيعى أن يرد الاستعمار الهندوسى بوسائله التقليدية على هذا كله . فقام بإعلان حظر التجول . وسلم الولاية إلى الجيش الهندوسى ليحكمها حكما عسكريا شرسا . وطرد مندوبى الصحف والمجلات العالمية من الولاية ، وأوقف الجرائد المحلية . ونظم المذابح للرجال والنساء والأطفال ، وزج بالأهالى فى السجون ، وهتك أعراض النساء المسلمات . ومنع وصول المواد الغذائية والأدوية إلى الولاية كما حُلت الجماعة الإسلامية والمنظمات الإسلامية والسياسية ، وقُبض على زعمائها وأعضائها . وأحرقت المئات من القرى لقمع ثورة الشعب المسلم الحر حيث أغلقت أبواب البيوت على ساكنيها ثم أشعلت فيها النيران .

وكانت نتيجة تلك الإجراءات الوحشية أن بلغ عدد الشهداء أكثر من خمسة آلاف شهيد وستة آلاف جريح و ١٢ ألف معتقل تعرضوا لأشد أنواع التعذيب الوحشى فى سجون الهندوس . وفضلا عن ذلك فهناك عشرات الألوف من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، قد فروا بدينهم وأعراضهم تاركين أراضيهم وأموالهم فى موجات هجرة إلى باكستان بعد أن تحولت كشمير إلى سجن واسع كبير .

ولقد قام وفد من باكستان برئاسة القاضى حسين أحمد[٣] بزيارة للقاهرة فى العام قبل الماضى (١٩٩٠) ضمن جولة شملت عددا من البلاد الإسلامية . وذلك لنشر الوعى بين مسلمى هذه البلاد حول أساليب الإبادة والاضطهاد التى يتعرض لها إخوانهم المسلمون فى كشمير ، وعرض أبعاد مشكلة كشمير ، ووجه نداءه إلى المسلمين فى كل مكان بمد يد العون إلى إخوانهم فى كشمير ، وأن يسعوا إلى نشر الوعى حول هذه القضية . وناشد الوفد الباكستانى جميع مسلمى العالم أن يهبوا لنصرة إخوانهم .

وبرغم القهر والتعذيب والدم المهدر فستنتصر بمشيئة الله إرادة الشعب المسلم فى كشمير . ذلك الشعب المجاهد الذى ينادى الضمير الإسلامى والإنسانى فى كل مكان بالتضامن معه من أجل مطالبه العادلة . ووقف المذابح وإجراءات القمع الوحشية التى يمارسها الهندوس ضدهم .

(٣) « مجلة المختار الإسلامى » نفس العدد السابق .

جمهورية تركمانستان

٤

إعداد: عادل خفاجة

تقع هذه الجمهورية الإسلامية شمال افغانستان ، وشمال شرق إيران ، كما يحيط بحر الخزر بأعلى نصفها الغربى ، وتلف أوزبكستان شرقها وشمالها الشرقى ، بينما يقع جزء من (كازاكستان) فى بقية شمال (تركمانستان) ، فيشترك بحر الخزر و (كازاكستان) و (أوزبكستان) فى الإحاطة بشمال هذا الإقليم الإسلامى المجيد .

وتبلغ مساحة هذا البلد الحبيب (٤٨٨,٠٠٠) أى ما يقرب جداً من نصف مليون كيلومتر مربع ، يسكنه نحو ثلاثة ملايين ونصف نسمة اغلبهم من المسلمين ، فنحو (٦٨ ٪) منهم تركمان ، و (١٢٪) روس ، و (٩٪) أزبك ، و (٣٪) كازاك[1] بالإضافة إلى جنسية أخيرة تبلغ نحو (٨٪) .

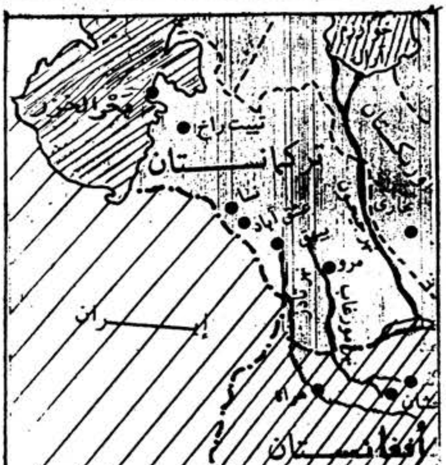

طبيعة البلاد :

وأغلب مناطق تركمانستان صحراوية ، فى حين نجد القسم الجنوبى المحاذى لأفغانستان ، يمر به نهر (مورغاب) الذى ينبع من جبال (هندكوش) فى أفغانستان .

(١) المسلمون والروس يقررون مصير العالم . للأستاذ محمد جلال كشك .

جمهـوريـة تـركمـانسـتـان

كذلك يمر فى القسم الجنوبى أيضاً نهر (تادز) وهو امتداد لنهر (هارى رد) يمر بمدينة (هرات) ثم يتجه شمالاً قريباً من الحدود بين تركمانستان وإيران . وتقع عليه مدينتا (سرخس) و (بيهق) ، كما يمر نهر (جيحون) موازيا الحدود بين (التركمانستان) و (أوزبكستان) . وبالإضافة إلى هذه الأنهار فإن هذا القسم من البلاد تسقط على الأمطار بغزارة .

اقتصاد البلاد :

تنتج تركمانستان من القطن ما يوازى (٥٤٠) ألف طن سنويا ، وما يوازى (٢٠) ألف طن من القمح ، وما يعادل (٢٤) ألف طن ذرة . وبها ما يزيد عن أربعة ملايين رأس من الماعز ، بالإضافة إلى إنتاجها من البترول والكبريت والغاز الطبيعى . كما تنتشر بها صناعة السجاد الفاخر .

العاصمة وأهم المدن :

تقع العاصمة (عشق آباد) آشخباد بالقرب من جبال (كوت داغ) ، وقد ظهرت مدينة (عشق آباد) عام ١٨٨٢ بعد الاحتلال الروسى سنة ١٨٨٢ م ، وذلك بعد أن خُربت مدينة (نسا) الشهيرة التى أنجبت الإمام النسائى ، المحدث وأحد أصحاب الصحاح الستة ـ رحمه الله .

اهم مدنها :

تضم هذه الجمهورية عدداً من المدن ـ وإن كانت أكثر هذه المدن قد صارت أثراً بعد عين إلا أنها تستمد أهميتها بما خرجت للعالم الإسلامى من رجال كتب التاريخ أسماءهم بحروف من نور .

من هذه المدن :

● **مرو** : وكانت عاصمة إقليم خراسان بأكمله ، وفى مرو هذه حملت أم الإمام أحمد به وهو الإمام أحمد بن حنبل بن هلال الشيبانى المروزى (نسبة إلى مرو) وولد فى بغداد سنة ١٦٤ هـ فهو مروزى بغدادى ـ رضى الله عنه ـ كما أخرجت لنا الأئمة : سفيان بن سعيد الثورى ، وعبدالله بن المبارك ، وبشر الحاق ، والفضيل بن عياض ، وهم أئمة هداة محدثون وبمرو قبور بعض الصحابة والتابعين منهم : الحكم بن عمرو الغفارى ، وسليمان بن بريدة ، وبريدة بن الحصيب الأسلمى الذى رفع للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لواء عند دخوله المدينة مهاجراً(٢) .

ويجرى فى مرو نهران صغيران هما (الرزيق) و (الماجان) .

● **نسا** : وهى التى سيَّر لها عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ لواء بقيادة سارية ، فسار إليها وحاصرهم ، فجاءتهم الإمدادات وسارية فى صحراء ، إن أقاموا بها أحاط بهم العدو وإن تحصنوا بالجبل لم يستطع العدو إلا أن يأتيهم من الأمام .. وكان عمر بن الخطاب يخطب على المنبر فصاح فجأة « ياسارية الجبل الجبل » ثلاثاً . حتى دهش لصرخته الناس وعقب الصلاة ، دخل عليه عبدالرحمن بن عوف ـ رضى الله عنه فقال ـ لعمر : إنك لتجعل لهم على نفسك مقالاً بينا ، أنت تخطب تصيح : ياسارية الجبل .. أى شىء هذا ؟

قال عمر : إنى ـ والله : ما ملكت ذلك رأيتهم يقاتلون عند جبل يُؤْتَوْن من بين أيديهم ومن

(٢) المسلمون فى الاتحاد السوفيتى عبر التاريخ للدكتور محمد على البار حـ ٢ .

خلفهم فلم أملك أن قلت : ياساريةُ الجبلَ ؛ ليلحقوا بالجبل) .. يقول رسول سارية الذى قدم بكتاب الفتح أنهم سمعوا صوت عمر يصيح : ياسارية الجبل الجبل فمالوا إلى الجبل وانتصر المسلمون .

روى أئمة الحديث هذه القصة بأسانيد صحيحة مثل البيهقى وأبو نعيم وابن مردويه ، قال العلامة ابن كثير صاحب التفسير المعروف : « إسناده جيد . والجيد أحد أقسام الصحيح .

فتح الله على المسلمين (نسا) فأنجبت من الأئمة والأعلام :

ــ أبا عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن على النسائى صاحب كتاب (السنن) أحد كتب الحديث الستة الصحيحة المشهورة .

ــ أبا عباس الحسن بن سفيان الشيبانى النسوى كان محدثا ، مقدماً فى الفقه والأدب توفى سنة ٣٠٣ هـ ، وهى نفس السنة التى توفى فيها الإمام النسائى .

ــ أبا أحمد حميد بن زنجويه الأزدى النسوى صاحب كتاب (الترغيب) وكتاب (الأموال) .

● سرخس : كانت تقع على نهر (تادز) وهو امتداد نهر (هارى رد) وقد أخرجت من الأئمة الأعلام :

ــ الإمام محمد بن أحمد بن سهل السرخسى صاحب كتاب (المبسوط) وهو أحد مراجع الفقه الحنفى .

ــ والإمام عبدالرحمن بن أحمد بن محمد الراز السرخسى المحدث الفقيه .

● **بيهق** : وتقع بيهق على نهر (هارى رد » ، ومن أشهر أئمتها :

ــ الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن على بن عبدالله بن موسى البيهقى المحدث الشهير صاحب كتاب (دلائل النبوة) وكتاب (مناقب الشافعى) ... وغيرها ..

ــ والإمام أحمد بن على بن محمد البيهقى صاحب (المحيط بلغات القرآن) ، و(تاج المصادر) . وغيرهما .

● **آمل** : تقع آمل على بعد ميل غرب نهر (جيحون) .

ومن أشهر أئمتها :

ــ الإمام ابن جرير الطبرى صاحب التفسير والتاريخ المشهورين .

ــ والإمام أحمد بن هارون الآملى .

ــ والإمام أبو إسحاق إبراهيم بن بشار الآملى .

وهذه المدن هى التى أنزل بها الاستعمار الروسى ، ثم الشيوعى حقده كاملاً فأبادها فاستحالت خراباً فأثراً بعد عين .

الإسلام يطرق ابواب هذه البلاد :

فى عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ دخل الإسلام بلاد (خراسان) عندما وجه الخليفة عمر ـ رضى الله عنه ـ الأحنف بن قيس عام ١٨ هـ إلى (خراسان) فتم فتحها بفضل الله تعالى فى سنة ٢٣ هـ . وتركمانستان آنذاك جزء مما تضمه (خراسان) .

وقد كانت تلك البلاد فى عهود المسلمين آيةً من آيات الرخاء ، حتى أن أسواقها كانت مفروشة بالآجر واهتموا بالزراعة ، وحفروا قنوات الرى ، وتعهدوها فأنتجت العديد من الفواكه ، وأصبحت البلاد ملاذاً للعلماء والزهاد ، كما كانت مركزاً للتجارة والصناعة والزراعة .

جمهورية تركمانستان

ثم كانت الشيوعية :

جاءت الشيوعية فخربت أفدح مما خَرَّبَ القياصرة . فكان المسلمون ضحية فى الحالين ، ليس لأنهم خنعوا ، حاش لله ، بل لأن الاستعمار دأب فى كلا العهدين على تجريد المسلمين من أى سلاح ، ولو كان تافهاً لا قيمة له .

وها هو لينين يعترف بما اقترفه الحكم القيصرى من آثام وما ارتكبه من مصائب .

عندما أعلن فى أول بيان أصدره فى نوفمبر ١٩١٧ تأكيده أن الثورة قامت من أجل حرية الأديان ، فنجده يقول : « يامسلمى روسيا يامسلمى الشرق أيها الرفاق أيها الإخوة » :

(ثوروا من أجل دينكم وقرآنكم وحريتكم فى العبادة .. واعلموا أن جميع حقوقكم الدينية والمدنية مصونة بقوة الثورة) ..

كما أعلن أن الاتفاقيات السرية المعقودة بين روسيا وبريطانيا وفرنسا كانت لاقتسام العالم الإسلامى فهى لاغية .

ثم قام بخديعة كبرى يثبت بها حسن الطوية فسلم مصحف عثمان ـ رضى الله عنه ـ إلى ممثلى مسلمى روسيا فى مؤتمر بتروجراد ، وما أن تمت مساعدة المسلمين ونال مايريد حتى انقلب عليهم بحرب إبادة ، فتمت فى عهده الأسود مذبحة القرم والمجاعة ـ المتعمدة ـ [٣] التى انتشرت فى ربوعها ، والتى أجبرت المسلمين فيها على أكل الكلاب والقطط ، وقام بإغلاق المساجد والمدارس الإسلامية ، وتشريد الملايين منهم ، وليس أدل على هذا التسلط والتعسف إلا أن نذكر أن الاتحاد السوفيتي على اتساعه الذى يصل إلى ٢٢,٢٧١,٠٠٠ كيلو متر مربع ، وعلى ما به من مسلمين لا يوجد به سوى مدرستين رسميتين لتعليم القرآن . والتعاليم الإسلامية ، واحدة فى (بخارى) والأخرى فى (طشقند) [٤] . ويكفى أن نقول : إن الأرض التى تحتفظ بأحد مصاحف عثمان الأربعة لم تتوافر نسخة من المصحف فى كل مسجد فيها ، وإذا وجدت فهى تعامل كأثر ، فتحفظ فى خزانة لها مفتاح يبقى فى عهدة المشرف على المسجد ، ولا تفتح إلا لكبار الزوار [٥] .

وقد استخدمت روسيا القيصرية والشيوعية من بعدها أخس الأساليب فى محاولة إحكام قبضتها على المسلمين ، وقد سبق ذكر بعض من ألوان ذلك ، فليس غريباً أن نرى تركمانستان التى كانت آهلة بالمدن العامرة مثل (مرو) و(سرخس) و(آمل) و(نسا) و(بيهق) تكاد تكون خالية من السكان فى القرن العشرين بعد أن دنستها أقدام البلاشفة الروس وأبادوا سكانها وأحرقوا ديارها ..

وها قد اختفى الاتحاد السوفيتى من الوجود ، وانتهى إلى الأبد فهل تقوم علاقة طيبة بين الروس والمسلمين ، ويستوعب الروس الدرس الإلهى الذى قضى به ـ سبحانه وتعالى ـ عليهم ، فأطاح بدولتهم حتى تبين للناس أنها سراب .

وهل يستوعب العقل الروسى معنى قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ .

---

(٣) راجع : مجلة الأزهر ـ العدد السابق ـ جمهورية القرم الإسلامية .

(٤) المسلمون فى الاتحاد السوفيتى عبر التاريخ للدكتور محمد على البار .

(٥) المسلمون والروس يقررون مصير العالم . للأستاذ محمد جلال كشك .

أشد الناس عداوة للذين آمنوا

ملامح النظام السياسى في الدولة اليهودية

بقلم: لـواء. أ. ح
د. فوزى محمد طايل

إن من يتتبع سير الحياة اليومية فى الدولة اليهودية سوف يقف على حقيقة مفادها : أن أهم ما يشغل بال الخاصة والعامة عندهم مسالة « الأمن القومى » الذى لن يتحقق ، بحسب اعتقادهم ، إلا عندما تقوم « إسرائيل الكبرى » بعاصمتها الأبدية « القدس » ، وبهيكلها الثالث . من أجل هذا فإن الحرب والاستعداد لها هما جزء من الحياة الخاصة لكل إسرائيلى . يقول الله تبارك وتعالى فى وصف هذه الخصلة : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً . . . ﴾ (البقرة / ٧٤) .

الأمن القومى فى العقيدة الصهيونية :

إن خلاصة مفهوم « الأمن القومى » عند الإسرائيليين هو : الاستيلاء على الأرض ، وتحريك الحدود ، وجلب المهاجرين اليهود ، وطرد السكان العرب . وتستخدم إسرائيل أدوات وقدرات مختلفة من أجل تحقيق الأمن بهذا المفهوم . بيد أن أهم هذه الأدوات هو القتال المستمر وعدم المهادنة ، وهذا أمر راسخ فى أذهان الكافة عندهم ، لأنه جزء من العقيدة اليهودية(*) ، من ناحية ، ولا يكف قادتهم وزعماؤهم عن التذكير به من وقت لآخر من جهة ثانية ، كما أنه يشغل مساحة كبيرة فى « التأهيل الاجتماعى » للشعب الإسرائيلى من خلال وسائل التعليم والإعلام والثقافة .

وحسبنا أن نورد بعض ماقاله مفكروهم وقادتهم فيما يلى :

ــ قال المفكر والكاتب الصهيونى الكبير سير إشعيا : « لاشك أن دماء الشهداء قد عجلت

(*) راجع : « سفر الخروج : ٣٤ : ١١ ــ ١٣ ، ١٥ ، ٢٤ » « سفر اللاويين : ٢٦ : ٧ ــ ٨ » ــ « سفر العدو : ٣٣ : ٥٥ ــ ٥٦ » وغيرها كثير .

ملامح النظـــــام السياسـى

بإذكاء الروح القومية التى كانت تحتاج وقتا أطول كى تنمو » .. ويبرر مقولته بأن : « الحرب تعد من أفضل العوامل التى تؤدى إلى التضامن والانسجام بين الجماعات » .

ـ لطالما كرر « جابوتنسكى » الزعيم الصهيونى قوله : « إن التوراة والسيف أنزلا علينا من السماء » .. ويردد « مناحيم بيجين » رئيس الوزراء الأسبق معنى هذه المقولة بتعبير آخر : « إن قوة التقدم فى التاريخ ليست للسلام وإنما للسيف » . والعجيب ليس قول هذه العبارة ، ولكن العجيب أن قائلها هو الذى وقع « اتفاق السلام » مع مصر عام ١٩٧٩ م .

ـ فى خطاب « لشمعون بيريتس » عندما كان وزيرا للدفاع ـ وهو كما يدعون « من الحمائم » ـ قال فيما نشرته جريدة معاريف فى أول نوفمبر ١٩٧٤ : « .. يشكل جيش الدفاع الإسرائيلى الأداة الرئيسية لتنفيذ سياسة (الأمن القومى) هذه .. وأحيانا يكون الجيش هو الأداة الوحيدة لذلك .

ـ قام أريل شارون فى الثانى عشر من ديسمبر ١٩٨٢ م بتوضيح حدود « المجال الحيوى لإسرائيل » فقال أمام « لجنة الشئون الخارجية والأمن » « بالكنيست » : « إن مصالح إسرائيل الاستراتيجية فى الوقت الحاضر تتضمن جميع مناطق العالم العربى علاوة على إيران وتركيا وبـاكستـان وشمـال أفـريقيـا .. وحتى « زيمبابوى » .. » .

ـ وفى شهر يونيو عام ١٩٩٠ م أعلن مساعد رئيس الأركان العامة فى إسرائيل : « إن حربا مع الدول العربية المجاورة لإسرائيل سوف تقع حتما ، وعندئذ لن تتوقف قوات الدفاع الإسرائيلى عند الضفة الشرقية لقناة السويس » .. وقد نشرت وسائل الإعلام العالمية والعربية هذا التصريح فى حينه .

ـ ظهر « جوزيف سيرج » عالم الآثار الإسرائيلى على شاشة « التلفاز » الفرنسى فى أعقاب مذبحة المصلين فى ساحة المسجد الأقصى (فى الثامن من اكتوبر ١٩٩٠ م) ليصرح « أن إسرائيل تبدأ قريبا جداً فى إقامة « الهيكل الثالث » على أنقاض « المسجد الأقصى » ، الذى تستطيع إسرائيل تصديعه باستخدام التقنية الحديثة » .

ـ أما « يتصحق شامير » ـ رئيس الوزراء الحالى ـ فقد صرح فى نهاية شهر نوفمبر ١٩٩٠ م فى حديث له لإحدى محطات « التلفاز » الأمريكى(*) : إن المهاجرين الجدد يتوجهون للتوطن بالضفة الغربية وقطاع غزة باعتبارهما ـ على حد تعبيره « جزءاً من إسرائيل » .. وعلق على « مذبحة القدس » بقوله : إن الوقت قد حان كى تمتد حدود إسرائيل فى هذه المرحلة « من البحر إلى النهر » .. وتحت ضغط الاستنكار عاد ليقول إن تصريحاته لم تكن سوى « مجرد أحلام » !

ـ وأخيراً فقد صرح « يتصحق رابين » ، وزير الدفاع الإسرائيلى السابق ، وهو ممن يدعونهم بالحمائم ايضا ـ فى محاضرة القاها بجامعة حيفا ، فى إطار ندوة اقيمت فى الأسبوع الأول من شهر يونيو سنة ١٩٩١ م : « إن إسرائيل تمتلك أسلحة نووية وأسلحة دمار شامل أخرى .. وأنه يتعين على جيش الدفاع الإسرائيلى أن يظل هجوميا ، بكل ما فى هذه العبارة من معان ، وأن

(*) كانت هذه المرة الثانية لمثل هذا التصريح ، إذ صرح قبلها فى الثامن عشر من نوفمبر ١٩٨٩ فى حديث أجرته المذيعة الأمريكية « ليسلى ستول » المسئولة عن البرامج السياسية لمحطة C.B.S. برفضه الكامل لمبدأ مبادلة الأرض بالسلام قائلا إن « أرض فلسطين ميراث لإسرائيل » !

يظل قادرا على نقل المعركة إلى أراضى العدو بكافة الوسائل .. وأن « الردع » يعتمد على أن تظل القوات الإسرائيلية الأقوى والأفضل تسليحا بالمنطقة » .

إن فكرة « أرض الميعاد » التى عرضنا لها تفصيلا فى المقال الأول من هذه السلسلة تعنى ببساطة الاستيلاء التدريجى على الأرض من خلال عمليتين متتاليتين هما « الضم » و« الاستيعاب » ، وهذا ما حدث خلال الجولة الأولى عام ١٩٤٨/ ١٩٤٩ م(*) ، والجولة الثانية عام ١٩٥٦ م (باستيلائهم على منطقة العوجة منزوعة السلاح) ، والجولة الثالثة عام ١٩٦٧ م إذ احتلت إسرائيل الضفة الغربية ، وقطاع غزة ، ومرتفعات الجولان . ومنذ ذلك الوقت حتى الآن تعمل إسرائيل على الاستيلاء على الأراضى المملوكة للعرب : كرها بإصدار قوانين وأوامر عسكرية ظالمة ، أو عن طريق التزوير ، أو إجبار بعض العرب على التوقيع عن عقود تنازل عن اراضيهم تحت التهديد ، وفى بعض الحالات عن طريق الإغراء بالمال وتوفير فرص العمل الدائمة بقارتى أمريكا وقارة استراليا ، وغيرها .

و « الدولة اليهودية » ليست كأية دولة ، فهى ترفض أن يكون لها حدود ، بل تسعى دائما لتحريك حدودها بدعوى الأمن ، وتستند فى ذلك أيضا إلى دعاوى دينية تاريخية .. فتحريك الحدود يعد بمثابة جزء لا يتجزأ من العقيدة اليهودية كتبوها بأيديهم فى « التلمود » : ففى سفر حطين (٥٧ أ ص ٢٦٢) تشبيه لحدود إسرائيل بجلد الغزال الذى لديه من المرونة ما يمكنه أن يستوعب لحم وعظام ذلك الغزال ، وفى سفر كتوبوت « ١١١ ص ٧١٧ » أن حدود إسرائيل سوف تمتد وتتسع كلما ازدادت امتلاء ، وكثافة .. وفى هذا إشارة بضرورة التوسع الإقليمى التدريجى بما يتناسب وتزايد السكان اليهود .

وكثيراً ما تحدث الساسة والمفكرون فى إسرائيل عما يسمى « بالحدود الآمنة » التى يسهل الدفاع عنها والتى يظنون أنها لا تخترق . وقد وضعوا هذا موضع التطبيق منذ اللحظة الأولى لإقامة الدولة اليهودية ، إذ أحاطوها بخط متصل من المستعمرات الحصينة ، وفى أعقاب حرب عام ١٩٦٧ م قاموا ببناء خط بارليف الحصين على طول قناة السويس ، ورفعوا على حافتها ردما ترابيا كان يبلغ ارتفاعه عشرين مترا فى بعض المناطق .. وعلى جبهة القتال مع سوريا قاموا بحفر خندق عميق يعوق تقدم الدبابات .. ومع ذلك فقد أمكننا الله تعالى منهم خلال حرب رمضان ١٣٩٣ هـ ، فسقطت بذلك نظريتهم فى الحدود الآمنة . وصدق الله تعالى إذ يقول : ﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ (الحشر ـ ١٤) .

هذا ويعد جلب معظم يهود العالم إلى أرض فلسطين أهم الأهداف القومية للدولة اليهودية ، بل هو جوهر الفكرة الصهيونية ذاتها . وتستخدم إسرائيل كل الإمكانات المتاحة لها : الاقتصادية ، والاستخباراتية ، و« الدبلوماسية » ، والسياسية من أجل تحقيق هذا الهدف الذى يعد جزءاً هاما فى عقيدتهم . ويرتبط هدف الهجرة هذا ، بالضرورة ، بعملية تفريغ « القدس » ، والضفة

* تم الاستيلاء على أراض تزيد عن تلكم التى حددها قرار الأمم المتحدة رقم ١٨١ لعام ١٩٤٧ ، والذى يعد السند القانونى الوحيد لقيام الدولة اليهودية .. كما تم الاستيلاء على قرية أم الرشراش فى الفترة الزمنية الواقعة بين توقيع اتفاق الهدنة مع مصر ، وتوقيع اتفاق الهدنة مع الأردن .. وتم تحويل هذه القرية إلى ميناء « إيلات » ، وبذا تمكنت إسرائيل من الإطلال على البحر الأحمر والتغلغل فى أفريقيا .

ملامح النظـــــــام السياسى

الغربية لنهر الأردن (التى يطلقون عليها يهودا والسامرة) ، وقطاع غزة من سكانها ، وتهديد هذه المناطق من خلال إقامة المستوطنات فيها على شكل خطين كبيرين يحصران بينهما الضفة الغربية لنهر الأردن ، ومجموعة من الدوائر المحيطة بأهم المدن والقرى الفلسطينية ، فضلا عن ربط مدينة القدس بالمستوطنات الكبيرة التى اقيمت حولها حتى تصبح نسبة اليهود فى المدينة ككل هى الأكبر .

ويتحدث الساسة الإسرائيليون ويخططون لتنفيذ فكرتين فى هذا الإطار هما : « الطرد الجماعى التدريجى » ، و« الوطن البديل » .. وقد جاءت هاتان الفكرتان على سبيل المثال فى صحيفة « جيروساليم بوست » عـلى لسان «بنيامين نتانياهو » نائب وزير خارجية إسرائيل يوم التاسع عشر من نوفمبر ١٩٨٩ م ، وبحث مجلس الوزراء الإسرائيلى المصغر « المنوط به اتخاذ القرار كما سبق أن ذكرنا » ، هذين الموضوعين عدة مرات ووضع لها الخطط ، وتناقلت وسائل الإعلام المختلفة هذه الأنباء .

ولعل من أخطر ما قرات الحديث الصريح الذى أدلى به « رحبعام زعيفى »* ونشرته جريدة « نيوزويك » فى صفحتها الأخيرة (ص ٥٦) ، وأجرى الحديث معه الصحفى « شلومو آرد » . وقد جاء بهذا الحديث :

— إن الحل الوحيد للمشكلة هـو فصل الفلسطينيين عن اليهود بأن يعود كل من الطرفين إلى أرض أجـداده .. وارض أجـداد الفلسطينيين ـ على حد قوله ـ هى العربية السعودية ، والسودان ، وليبيا .. أما إسرائيل فهى أرض اليهود .. إن الفلسطينيين ما هم إلا « طابور خامس » !

— أمـا عن الحرب والسـلام فقد قـال « زعيفى » .. إننا عقدنا اتفاق سلام مع مصر لكنه لا يعدو قطعة من الورق « nothing but a piece of paper » .. ثم يتساءل هل ستبقى مصر ساكنة خلال الحرب القادمة حينما نصبح على أبواب « دمشق » أو « عمان » ؟

— إن هذه الفكرة يمكن تنفيذها من خلال سياسة المغناطيس السلبى « negative magnet Policy » وذلك من خلال مغادرة « مائة وثمانين ألف فلسطينى » هذه الأرض (يقصد غزة والضفة الغربية) كل عام !! .. ويضيف « زعيفى » أن غالبية متزايدة فى الشعب اليهودى تؤيد هذه الفكرة .

— ولعل آخر سؤال وجه إليه كان عن توقعه للسلام ولأمن إسرائيل خلال حياته فكانت إجابته التى لا تحتاج منا إلى تعليق :

« إن السلام يحتاج أجيالا طويلة كى يتحقق .. ولا اظن انه سوف يتحقق فى حياة أطفالى ! I don't think that in my children's life time we Will have peace »

قال الله تعالى : ﴿ .. قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (آل عمران / ١١٨) .

---

* أحد القادة السابقين بالجيش الإسرائيلى ، وزعيم حزب « موليدت » ، « أى الوطن القومى » وهو حزب دينى متشدد ، ضمه « يتصحق شامير » إلى وزارته العام الماضى كوزير بلا وزارة ، لكنه استقال فى منتصف شهر يناير ١٩٩٢ م احتجاجا على قبول حكومة شامير الدخول فى محادثات سلام .. والحقيقة أن الاستقالة هى جزء من مسرحية تؤدى إلى إجراء انتخابات مبكرة .

ادوات تحقيق الامن القومى من جهة الخارج :

١ ـ جيش الدفاع الإسرائيلى (تصاهال)(*) :

تكونت نواة الجيش الإسرائيلى منذ الأيام الأولى للهجرة الأولى إلى فلسطين عام ١٨٨٢ م ، وكان ذلك فى هيئة قوات شبه عسكرية تسمى « شومريم » أى « الحراس » وفى عام ١٩٠٩ م تم تنظيم هذه النواة وتوزيعها على المستوطنات اليهودية بفلسطين ، واعيد تسميتها بـ « هاشومير » أى « الحارس » أو « المراقب » .. وقد اندرج معظم هؤلاء فى « الفيلق اليهودى » الذى قاتل إلى جانب الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى .

وفى عام ١٩٢٠ م زاد النشاط الاستيطانى اليهودى فى فلسطين ، وأرادوا استخدام العنف فى سلبهم للأرض ، بجانب قيامهم بشراء بعضها عن طريق « الصندوق القومى اليهودى » فشكلوا « عصابة الهاجاناة » وهى تعنى « الدفاع » ، وكانت منظمة عسكرية سرية ، فى الوقت الذى شكلوا فيه « اللواء اليهودى » الذى شارك فيما بعد فى الحرب العالمية الثانية مع الحلفاء .

شكل « فلاديمير (زعيف) جابوتينيسكى Jabotinski ، و« مناحيم بيجين » « المنظمة العسكرية الوطنية » (إرجون تصفائى لئومى) ، ويشار إليها عادة باختصار « الأرجون » ، وذلك لمعاونة الإنجليز فى ضرب ثورة ١٩٣٦ م التى قام بها عرب فلسطين فى مقابل ما كانوا يلقونه من عسف وظلم وقتل وتشريد وطرد .. وقد مارست هذه العصابة « ارجون » كل صنوف التخريب والسلب والإخافة والقتل الذى شمل بعض الضباط الإنجليز أيضا إلى جانب العرب .. وأثناء الحرب العالمية الثانية انفصل عن « الأرجون » عصابة أخرى كانت تقاتل إلى جانب الإنجليز ، أطلق عليها عصابة « شتين » نسبة إلى مؤسسها (أفراهام شتين) الذى شاركه (إسرائيل ليحى) .

بحلول عام ١٩٤٤ م كان بالجيش الإنجليزى ٣٢,٠٠٠ يهودى يقاتلون فى صفوفهم إلى جانب « اللواء اليهودى » الذى كان يتكون من ٥٠٠٠ يهودى أيضاً .. فى نفس الوقت الذى كانت عصابة (الهاجاناه) قد شكلت فيه ـ منذ عام ١٩٤١ م ـ قوة خفيفة الحركة للقتال ضد الفلسطينيين أطلق عليها اسم « بالماخ » Pal-mach ، وكان قوامها قوات من الصاعقة (الكوماندو) .. ضمت بين صفوفها معظم كبار القادة الذين تولوا قيادة الجيش الإسرائيلى فيما بعد .

ومنذ الخامس عشر من مايو ١٩٤٨ م تشكل « جيش الدفاع الإسرائيلى » وألغيت هذه التنظيمات إذ اندرجت فيه تباعا .. وقد خاضت إسرائيل الجولة الأولى مع العرب وجيشها قوامه مائة ألف رجل .. كان معظمهم قد اكتسبوا خبرة قتال من اشتراكهم فى الحرب العالمية الثانية .. وكانوا مسلحين بأسلحة من الكتلة الشيوعية ، بصفة أساسية ، ثم تولت الولايات المتحدة الأمريكية إمدادهم بالطائرات « بـ ـ ١٧ » التى كانت نواة القوات الجوية لديهم . وفى أعقاب الحرب بدأت إسرائيل تحصل على سلاحها بصفة أساسية من بريطانيا وفرنسا ، وفى أعقاب عدوانها على البلاد العربية عام ١٩٦٧ أصبح

* مختصر لعبارة « تصافاه هاجناه ليسرائيل » .

ملامح النظـــــام السياسى .

اعتمادها الأساسى فى التسليح على الولايات المتحدة الأمريكية بالاستيراد فى البداية ، ثم بالتصنيع والتطوير المشترك بعد ذلك .. وزاد الارتباط بين الجانبين بعد توقيع « مذكرة التفاهم » ـ التى يطلق عليها « اتفاقية التعاون الاستراتيجى » ـ فى الثلاثين من نوفمبر عام ١٩٨١ م .

هذا وقد وقع وزير الدفاع الأمـريكى « ريتشارد تشينى » اتفاق تعاون جديدا مع الإسرائيليين أثناء زيارته « للدولة اليهودية » فى أواخر شهر مايو ١٩٩١م معلنا أن بلاده تمول مشروعات دفاعية مشتركة بين البلدين أهمها الصاروخ « حيتس » المضاد للصواريخ ، وأن بلاده تقوم بتكديس مخزون « استراتيجى » من السلاح فى إسرائيل يسمح لأى من الدولتين باستخدامه .. تحسبا لنشوب حرب جديدة فى الشرق الأوسط ! ولقد ترى إسرائيل أنها أمنت جبهتها الجنوبية من خلال اتفاقية السلام مع مصر عام ١٩٧٩ م ، وأنها أمنت شمالها الغربى بإقامة ما أطلقت عليه « الحزام الأمنى » فى جنوب لبنان فإنها تتطلع إلى المزيد من التأمين من خـلال الاحتفـاظ « بـالضفـة الغـربيـة » و« الجولان » ، وربما إقامة « حزام أمنى » آخر على الضفة الشرقية للأردن . ولا تخفى البحوث الاستراتيجية الصهيونية أن ميدان المعركة القادم ، خلال التسعينيات سوف يتركز أساسا فى اتجاه سوريا(*) .

لئن كان « جيش الدفاع الإسرائيلى » قد اعتمد حتى الآن على جيش عامل محدود يستكمل القوات الاحتياطية ، التى يتم استدعاؤها تباعا خلال ٤٨ ـ ٧٢ ساعة ، فإن الهجرات الكثيفة المتنوعة ، والتى احتوت بالضرورة على جنود ، وشباب فى سن التجنيد سوف ترفع من قدرة إسرائيل على الاحتفاظ بجيش نظامى أكبر حجما وأكثر احترافا .

ويتبع الجيش الإسرائيلى وزير الدفاع ، الذى يعد ثانى أو ثالث شخصية فى الدولة ، وهو رجل سياسى ذو خلفية عسكرية ، يتولى قيادة الجيش من خلال « رئيس الأركان العامة » الذى يتبعه قوات برية وجوية وبحرية يعمل بها متطوعون ومجندون فضلا عن المستدعين من الاحتياط .

ويتم تجنيد الشباب من الجنسين (عدا المتزوجات المتدينات اللاتى يرفضن التجنيد) فى سن الثامنة عشرة ، وقبل بدء الـدراسة الجامعية ، لمدة عامين ونصف ، يرقى خلالها النابهون إلى درجات ضباط الصف وحتى رتب الضباط الاحتياط .. وبعد انتهاء مدة التجنيد يبقى المسرحون بالاحتياط فيستدعون لمدة شهر كل عام وفى حالات الطوارىء والحروب ، حتى سن الخامسة والخمسين للرجال والتاسعة والثلاثين للنساء .. ثم يعملون بعد ذلك فى أعمال الدفاع المدنى .. وبطبيعة الحال لا يسمح للمسلمين ولا للنصارى بالانضمام إلى الجيش لكن تشكل وحدات خاصة قوامها « الدروز » .

حقا « إن الدولة اليهودية لمعسكر كبير » ، ففضلا عن القوات « العاملة » و« الاحتياطية » يشكل الفتية ممن هم دون الثامنة عشرة وأكبر من الرابعة عشرة كتائب الشباب (جدود نوعار) وتختصر (جدناع) ، وهى تشكل فى وحدات

• Hirsh Goodman- W seth Carus, The Future Battle field and the Arab- Israeli Conflict, Transaction Publishers, New Brunswich (U.S.A) 1990

« وهذا الكتاب هو نشر لدراسة قام بها معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى » .

برية ، وأخرى بحرية ، وثالثة جوية ، ورابعة للاستخبارات بهدف تأهيل الشباب للخدمة بالجيش ، فضلا عن المساهمة فى القتال إن لزم الأمر .. كما يوجد نوع آخر من القوات يطلق عليهم « ناحال » وهو اختصار لعبارة « شباب الطليعة المقاتل » (نوعار حلوتصى لوحم) ، وهؤلاء هم العاملون فى المستعمرات (قيبوتص) الحدودية ، فهم يعملون بالزراعة ويستعدون للدفاع عن الحدود من داخل التحصينات .

وهنا نتساءل : هل يمكن لمجتمع منظم بهذه الكيفية أن يفكر فى السلام ؟ ذلك ، وللجيش وظائف إضافية يقوم بها من أجل دعم الأمن القومى من جهة الداخل .. فهو يبث ويحافظ على القيم الصهيونية ، ويحدث التماسك والصهر داخل المجتمع .. كما أن له دورا اقتصاديا هاما .. وسوف نعرض لهذه الأمور تفصيلاً فى المقال القادم بإذن الله .

٢ ـ مجتمع الاستخبارات الإسرائيلى :

يعتبر العمل السرى وتبنى العقائد الباطنية ، واستخدام أساليب تدبير المكائد والتآمر والإفساد فى الأرض ركنا ركين فى الثقافة اليهودية بوجه عام ، ووسيلة رئيسية من وسائل تحقيق الأهداف الصهيونية منذ نشأت هذه الحركة .

نشأ « مجتمع الاستخبارات اليهودى » فى اليوم الثلاثين من يونيو ١٩٤٨ م على انقاض جناح استخبارات الجيش السرى اليهودى الذى سبقت الإشارة إليه ، وبعد عدد من التعديلات صار هذا المجتمع يتكون من ستة أجهزة استخباراتية :

● « **الموساد** » وهذا اختصار لعبارة « موساد مركازى لمودعين أو لتفقيديم ميوحاديم » ، وهى قريبة الشبه من حيث التنظيم والمهام بوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية CIA و« الموساد » أشهر أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية ، وتعمل فى تعاون وثيق مع أجهزة الاستخبارات الغربية وغيرها ، وميدان عملها خارج إسرائيل ، وتستخدم كل ما لا يخطر ببال من أعمال التآمر ، والقتل ، والتخريب ، والجنس ، والمخدرات ، وزرع الجواسيس ومقاومة التجسس ، والاختراقات الاجتماعية .. إلخ من أجل تحقيق أهدافها .. وللموساد « محطات » للعمل من خلالها فى أوروبا وأمريكا وشرق أفريقيا .. وبلدان أخرى فى العالم .

● « **أمان** » وهذا اختصار لعبارة تعنى « إدارة الاستخبارات العسكرية » وهى أقوى هذه الأجهزة وميدان عملها هو « المجال الحيوى الاستراتيجى » الذى حدده « آريل شارون » وذكرناه آنفا ، وتقوم بأعمال شبيهة بأعمال الموساد فضلا عن أعمال الاستطلاع فى ميدان المعركة ، ولديها وحدات خاصة تلبس الملابس المدنية لقتال الفلسطينيين من خلال تواجدها فى صفوف المستوطنين اليهود بالأراضى المحتلة ، كما أنها تقوم بأعمال « إرهابية » وبأعمال لمكافحة الإرهاب والرقابة على الصحف ووسائل النشر المحلية والأجنبية (شين بيت) وهذا اختصار لعبارة « شيروت بيطاحون كيلالى » بمعنى خدمة الأمن العام ، وهى شبيهة بأجهزة المباحث العامة وأمن الدولة » بيدأن ميدانها الأساسى هو العمل ضد الفلسطينيين أينما كانوا ، فضلا عن قيامها ببعض أعمال الأمن الداخلى والمراقبة فى الداخل .

● « **لاكام** » ، وهو جهاز « للاستخبارات العلمية والتقنية » ، ويطلق عليه « مكتب الاتصال العلمى » ، وهو يتبع وزير الدفاع ، وتتركز مهمته فى القيام بأعمال التجسس على الأسرار العلمية والتقنية وسرقة هذه الأسرار لدعم القدرة العلمية والتقنية والنووية الإسرائيلية .. ومجال عمله الرئيسى البلدان المتقدمة علميا وصناعيا فى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية .

ملامح النظام السياسى

ـ يضاف إلى هذه الأجهزة الأربعة : « **مكتب مستشار رئيس الوزراء لمقاومة الإرهاب** » و« **الإدارة السياسية بوزارة الخارجية** » .. ووظيفتاهما واضحة من اسم كل منهما .

هذا ، وتعمل هذه الأجهزة فى تناسق فيما بينها من خلال « لجنة » « ڤاعاداه » وتأتمر بأمر رئيس الوزراء .

ولعل مما يدعم هذا المجتمع إعداد إسرائيل لدخول عصر « تكنولوجيا التجسس الفضائى » بإطلاق قمر تجسس فى سلسلة أقمار « أوفيق » .

٣ ـ وزارة الخارجية :

وهى الجهة التى يناط بها التخطيط للسياسة الخارجية ، وتنفيذها من خلال العلاقات « الدبلوماسية » وأدوات أخرى . ويدير هذه الوزارة وزير يعد ثانى أو ثالث شخصية فى إسرائيل ، وغالبا ما يكون رجلا ذا خلفية عسكرية (وزير دفاع ـ رئيس اركان) .

هذا ويمكن التعرف على أهم أهداف السياسة الخارجية الإسرائيلية فيما يلى :

ـ تسوية النزاع **العربى الإسرائيلى** : والمقصود هنا هو حل النزاع حسب وجهة النظر الإسرائيلية التى ترى أنه لا مجال للتفاوض حول « القدس » الموحدة « عاصمة إسرائيل الأبدية »(*) ـ ولا مجال للحديث عن دولة فلسطينية ، بل حكم ذاتى لا يتضمن أمور الدفاع أو الشئون الخارجية أو المياه ـ ولا مجال للحديث عن وقف هجرة اليهود إلى فلسطين .. إذاً فالحل هو إذعان العرب وقبولهم قيام « إسرائيل الكبرى » .

ـ تامين اعتراف كل دول العالم وإقامة علاقات « دبلوماسية » معها .. وهو هدف كاد يتحقق بعد اعتراف الصين الشعبية بإسرائيل وإقامة علاقات دبلوماسية معها .. ولا يبقى سوى بعض الدول العربية وقليل من الدول الإسلامية غير العربية .

ـ ترقية العلاقات الاقتصادية والثقافية مع كل دول العالم : وهو هدف حققت إسرائيل منه قدرا كبيرا خلال الأربعين سنة الماضية إذ تغلغلت فى أفريقيا وأمريكا اللاتينية وآسيا واقامت من العلاقات مع هذه البلدان ما يدعم أمنها القومى من جهة الخارج ،

هذا وتتطلع إسرائيل لإحداث « تكامل اقتصادى » مع الدول العربية إذا ما تمكنت من عقد اتفاق « سلام » نهائى معها .. تقدم إسرائيل فيه الخبرة والتكنولوجيا الحديثة » وتقدم فيه الدول العربية المال ، والأرض ، والمياه ، والعمالة !

ـ دعم العلاقات الدينية والثقافية والتكافلية مع باقى يهود العالم خارج إسرائيل وتأمين عودتهم إلى « وطنهم القومى » .

وبعد ... فالدولة اليهودية تعلو علوا كبيراً ، وتفسد فى الأرض أيما إفساد ، وهى تحقق من خلال ذلك « أمنها القومى » من جهة الخارج ... فكيف تحقق الدولة العبرية أمنها من الداخل ؟ هذا ما أرجو أن أستكمل به الملامح الرئيسية للنظام السياسى فى الدولة اليهودية فى المقال القادم بإذن الله .

* راجع سلسلة مقالات « القدس » بين المواثيق الدولية والأطماع الصهيونية ، مجلة الأزهر ، ١٤١١ هـ ولعل من المفيد أن نورد مما يروونه فى مزامير داوود ، المزمار المائة والسابع والثلاثون : « كيف ترنم ترنيمة الرب فى ارض غريبة ، إن نسيتك يا أورشليم تنسنى يمينى . ليلتصق لسانى بحنكى إن لم اذكرك إن لم أفضل أورشليم على اعظم فرحى ..» وهذا يوضح مكانة القدس فى العقيدة اليهودية .

الفتاوى

إعداد: على حامد عبد الرحيم

هل هناك عذاب فى القبر ؟

س : هل هناك عذاب فى القبر ، وإذا كان هناك عذاب فى القبر فهل يتم ذلك بدون حساب ؟ أفيدونى .

مهدى الجميل المحامى
منيا القمح ـ شرقية

جـ : جاء فى سورة غافر قول الله ـ عز وجل ـ : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ . وقد جاء فى الحديث الشريف أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مَرَّ بقبرين فقال إنهما يعذبان ومايعذبان فى كبير : أما أحدهما فكان لا يستبرىء من بوله ، وأما الآخر فكان يمشى بين الناس بالنميمة ..

وقوله : القبر إما روضة من رياض الجنة ، وإما حفرة من حفر النار .

وهذا بعد سؤال الملكين للعبد .

فأما قول السائل : فهل يتم ذلك بدون حساب ؟

نقول : لا ؛ فإن أهم مقدمة للحساب نوقش فيها من قبل الملكين ؛ فتبين كفره ، وذلك حين قوله ـ رداً على سؤالهما : ما ربك ؟ وما دينك ؟ وما الرجل المبعوث فيكم ؟ فيقول : لا أدرى .. كنت أقول ما يقول الناس ، والإجابة واضحة تبين عقيدته ، وما ربك بظلام للعبيد .

متى تم تحويل القبلة إلى الكعبة ؟

س : ما تفسير قوله تعالى :
﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ

الفتـــــــــــــاوى

قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ . . . ﴾« سورة البقرة ١٤٤ » .

يوسف حماد .. طهطا

جـ ـ لما هاجر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة ، وكان أكثر أهلها من اليهود ، أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ، فاستقبل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيت المقدس ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر شهراً ، وفرح اليهود ـ وقالوا فى ذلك كلاماً كثيراً .

وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحب قبلة إبراهيم ـ عليه السلام ـ (الكعبة) فكان يدعو الله وينظر إلى السماء فى ضراعة ، فنزل قول الله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ ..

فارتاب اليهود من ذلك وقالوا : « ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها » قال تعالى : ﴿ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾ فليست العبرة بالجهة ، إنما العبرة بالامتثال والطاعة . ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ .

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ ﴾ .. وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « البيت قبلة لأهل المسجد ـ أى الكعبة ذاتها ـ والمسجد قبلة لأهل الحرم ـ أى البعيدين عن المسجد ـ والحرم قبلة لأهل الأرض فى مشارقها ومغاربها من أمتى » .

وكان التحول من بيت المقدس إلى المسجد الحرام يوافق ليلة النصف من شهر شعبان .. والله أعلم .

هل تكفى الشبكة والفاتحة فى الزواج ؟

س : هل تعتبر الفتاة إذا استخدمت (الشبكة) وقرأ أهلها الفاتحة مع أهل الخطيب زوجة ويجوز معاشرتها ، أم لابد من عقد القران .؟

سالم محمود ـ إمبابة

جـ : المقرر لكى تصبح المرأة زوجة للرجل شرعاً ، أن يتم العقد الشرعى المستوفى لجميع الشروط والأركان التى اشترطها الإسلام ودونها الفقهاء . من إيجاب وقبول بين طرفى العقد ، وأن يستمع الشاهدان الحاضران الإيجاب والقبول من الطرفين ـ إلى غير ذلك من بقية الشروط ..

وبالتالى : لا يحل للخاطب أن يعاشر ـ من قدم لها الشبكة وقرأ الفاتحة مع أهلها ـ معاشرة الأزواج ؛ لأنها أجنبية عنه ، فهذه الأمور لا يتم بها زواج شرعاً ، وإنما هى مقدمات للزواج فقط .

أما كتابة العقد فإنما هى توثيق له باسم الدولة ، وليست شرطاً لصحة الزواج ، وهذا التوثيق يمنع الجور والإنكار ، وتثبت به الحقوق .

صلاة المرأة فى ثوب قصير

س : هل يجوز للمرأة أن تصلى فى ثوب قصير ، أو بنصف كم ، وهى فى خلوة أم لا ؟

فاطمة محمد ـ الوراق ـ الجيزة

جـ : صلاة المرأة فى ثوب قصير لا يستر جميع جسدها لا تصح ، ولو كانت فى خلوة بعيدة عن أعين الرجال ؛ لأن الستر هنا من أجل صحة الصلاة ؛ وليس لئلا يراها الناس .

ثم إن جميع بدن المرأة عورة يجب عليها ستره .. ماعدا الوجه والكفين ، لقول الله - عز وجل - : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ « سورة النور ٣١ » .

ولقول النبى - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه الخمسة إلا النسائى ، وصححه ابن خزيمة والحاكم - : « لا يقبل الله صلاة حائض (أى بالغة) إلا بخمار » .

ولقوله - صلى الله عليه وسلم - : فيما أخرجه أبو داود - عن أم سلمة - رضى الله عنها - أنها سألت النبى - صلى الله عليه وسلم - « أتصلى المرأة فى درع - أى قميص - وخمار بغير إزار ؟ قال : « إذا كان الدرع سابغا بحيث يغطى ظهور قدميها .

وكشف المرأة لذراعيها - أو ساقيها من العورة التى يجب سترها فى الصلاة عند الأئمة الثلاثة : أبى حنيفة والشافعى وأحمد وتبطل الصلاة لفقد شرط من شروطها ، وتعيد الصلاة أبدا بعد ستر هذه الأعضاء ، وقال المالكية : إن كشف الذراعين أو الساقين من العورة المخففة ، وعليه فصلاة المرأة بثوب قصير ، أو بنصف كم صحيحة ، ولكن يستحب أن تعيد الصلاة فى الوقت مستورة هذه الأعضاء لأن كشف هذه الأعضاء مكروه فى الصلاة ويحرم النظر إليها .

إمـــامـة الصبـــى

س : لوحظ أن بعض الأشبال فى سن الرابعة عشرة والخامسة عشرة يؤمون الناس بعد أداء خطبة الجمعة : فما موقف الإسلام من إمامة الصبى .. أفيدونا .

عبدالواحد جبر
بهتيم - قليوبية

جـ : جاء فى تفسير القرطبى - رحمه الله - روى مسلم : عن أبى مسعود عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله .. » .

وروى البزار - بإسناد حسن - عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : وإذا سافرتم فليؤمكم أقرؤكم وإن كان أصغركم ، وإذا أمكم فهو أميركم » .

قال ابن المنذر بهذا القول ؛ لأنه موافق للسنة ، وقال : روينا عن الأشعث بن قيس أنه قدم غلاماً وقال : إنما أقدم القرآن ، وممن أجاز إمامة الصبى غير البالغ الحسن البصرى وإسحاق بن راهويه ، واختاره ابن المنذر إذا عقل الصلاة ، وقام بها لدخوله فى جملة قوله - صلى الله عليه وسلم - : « يؤم القـوم أقرؤهم » ، ولم يستثن - ولحديث عمرو بن سلمة الذى ثبت فى البخارى .

وأجاز ذلك : ابن سيرين والثورى وأصحاب الرأى .

وقال الشافعى : فى أحد قوليه : يؤم فى سائر الصلاوات ، ولا يؤم فى الجمعة .

وقال الأوزاعى : لا يؤم الغلام فى الصلاة حتى يحتلم . إلا أن يكون قوم ليس معهم من القرآن شىء فإنه يؤمهم الغلام المراهق .

وقال الزهرى : إن اضطروا إليه أمهم .

الفتـــــــــــــاوى

ومنع الإمام مالك إمامة الصبى فى الفرض وأجاز إمامة الصبى فى النافلة ، كما أجاز الحنابلة إمامة الصبى فى النافلة فقط ، وبلوغ الإمام شرط لإمامة الصبى فى الفريضة والنافلة لما روى عن ابن عباس : « ولا يؤم الغلام حتى يحتلم » ـ رواه الأثرم

وما قال به الأئمة الثلاثة أبو حنيفة ومالك وأحمد . من اشتراط البلوغ لصحة الإمامة فى الصلاة المفروضة ، وهو ما قال به أبو بكر الصديق ، وعمر ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وغيرهم من الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ كما فى الزيلعى .

وعلى ذلك يصح أن يؤم الصبى فى سائر الصلاة إلا الجمعة ، وله أن يخطب الجمعة ويصلى غيره من البالغين .

مـــيراث

ورد إلى المجلة من (م . ف . غ) بولاق الدكرور الأسئلة الآتية :

س ١ : توفى رجل عن زوجة ، وأخ لأب ، وأولاد أخ شقيق ، فمن يرث ومن لا يرث ؟ وما نصيب كل وارث ؟

س ٢ : توفى رجل عن زوجة ـ وأولاد أخ شقيق ـ وأولاد اخ لأب ـ فما نصيب كل وارث ؟

س ٣ : توفيت بنت عن أب وأم وأخ شقيق وأخت شقيقة ، وأخوات لأب وزوجة أب ، فما نصيب كل وارث ؟

الإجابــــة :

جـ ١ : للزوجة الربع فرضاً لعدم وجود الفرع الوارث ـ ولقوله تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ﴾ ـ والباقى للأخ لأب تعصيباً ، ولا شىء لأولاد الأخ الشقيق ... والله أعلم ..

جـ ٢ : للزوجة الربع فرضاً لعدم وجود الفرع الوارث ـ والباقى للذكور من أولاد الأخ الشقيق تعصيباً ـ ولا شىء للذكور من أولاد الأخ لأب لحجبهم بأولاد الأخ الشقيق ـ ولا شىء للإناث من أولاد الأخوين لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحابه الفروض والعصبات .. والله أعلم ..

جـ ٣ : للأم الثلث لوجود عدد من الإخوة ـ والباقى للأب ولا شىء ـ للإخوة جميعاً ـ والله أعلم ...

الشعر والشعراء

إشراف: رشاد محمد يوسف

الحنين إلى الرسول

عود إلى الله

حصاد الأمل

التسامح

الحنين إلى الرسول

صلى الله عليه وسلم

شعر

أحمد عبد السلام على

ياايها القطبُ الشهيرُ سلامُ ... قلبى بذكرك طائر رنَّامُ

يشدو بحبك والحنينُ يمدّه ... والشوق فى فيض الحنين ضرامُ

يهتاجنى املٌ لقربك مسْعِدٌ ... وتذيب قلبى صفوة وهيام

اصبو إلى طيب اللقاء بروضةٍ ... غناء فيها منبر ومقام

زهراء ينساب الجلالُ بنورها ... ويفيض بين ظلالها الإكرام

ورقاء لم يذبلْ بها ذكرٌ سرى ... تشدو به الأيام والأعوام

وازيَّنت بسنا النبىِّ « محمد » ... واقام فوق (سنائها) الإعظام

قد كبر الطير الطروب لحسنها ... فأجابت الألوان والأنسام

ياايها المبعوث فينا رحمة ... وسراج هدى . نوره الإسلام

اثنى عليك الله فى قرآنه ... خلقا وقلباً شفَّ عنه وئام

ألَّفت بين العالمين بشرعة ... فيها الأخوة حرمة وذمام

الفضل فيها للتَّقِىِّ ومؤمن ... لا اللون معتبر ولا الأجسام

ياخاتم الرسل الكرام وتاجهم ... بل انت فى اللوح الكريم إمام

خُلق الوجود لأجل حبك والورى ... وترقبت اضواءك الأحلام

نور ابان العرش عن إشراقه ... حملته من فيض الهدى ارحام

ولدته « آمنة » الشهاب لأفقه ... وتنورت بضيائه الأجرام

طوبى لأرض شرُفت بخطى الهدى ... وسمت بها للمصطفى اقدام

باتت تباهى الأفق وهى سعيدة ... بخطى البشير ووجها بسام

ياايها المحمودُ مِنْ ربِّ الورى ... قد زاد بى شوق وفاض غرام

حبى إليك مدائح من مهجتى ... تجرى بها الأشعار والأقلام

كن لى شفيعا يوم تسمع صيحة ... والناس سكرى والمساق زحام

صلى عليك الله ما قلبٌ شدا ... « ياايها القطب الشهير سلام »

عود إلى الله

للشاعر

عبد العاطى موسى عبد العاطى

قذفت بالكاس ، بالطاغوت ، بالراح افقت من غفلتى ، ابصرت مصباحى
هذا لسانى ظلام الغى ألجَمهُ واليوم قد زانه نطقى وإفصاحى
فَرِحْتُ باللهو لا ادرى عواقبه وكم تجاهلت من يعنيه إصلاحى
فبارقات الهدى بالدرب خافتة ولافتات التقى تبدو كاشباح
تَبَدَّلَ الامرُ مذ عادت لخالقها نفسى ، فعادت مع الإيمان افراحى
وازدان قلبى بنور الله وانقشعت فلول ليل مضى يمحوه إصباحى
يسبح الكون إجلالاً لخالقه كفاك لهواً وعد لله يا صاح

حصاد الألم

للشاعرة جليلة رضا

عجيب أن أعيش وأن أُغنى ... وقد نال الفناء مناهُ منّى
عجيب أن أرى الأضواء تزهو ... وأن أصغى إلى صوتى المرن
فقد مرت على قلبى هموم ... لو انقسمت على الأحياء تفنى
ولست ألوم من سئموا فولوا ... ومن واسوا على حرص وضن
فلو أنى حملت هموم غيرى ... ولو غيرى تحمل عبء حزنى
لضقنا بالحياة وما عليها ... وما عدنا نقارن بين خدن
ولست ألوم من صمتوا كموتى ... وكانوا يسألون النجم عنى
نَبَشُّ فيقبلون فإن حزنّا ... فقد قلبوا لنا ظهر المجن

* * *

ولكنى حصدت ثمار حزنى ... وحنكنى الأسى فجلوتُ ذهنى
وبت أرى الحياة بعين قلبى ... وكنت أرى زواياها بعينى
عرفتُ الحبّ فى الأفراد سفراً ... حوى صور الجحود بكل لون
ولكن إذ عرفت فتحت قلبى ... وبالحب الكبير شملت كونى

وقلت ـ برغم إخفاقى : سأحيا ... اصون على المدى من لم يصنى
فقلبى ـ إذ سما فى ظل روحى ... تساوى الأخذ والإعطاء منى

* * *

ويسّر لى الأسى صلتى بربى ... وناجيتُ الطبيعة فى تَأَنِّ

رأيت الله فى ليلى وصمتى ... وفى نوم الوجود المطمئن
رأيت يداً مضوأة تجلت ... لتحتضن الورى من كل ركن
فمرت فوق أفئدة اليتامى ... وكفكفت الدموع بكل عين
وطافت بالجبال ذرىً وهاما ... وحول خطى النمال بكل كنٍّ
فقلت : حنانك اللهم عفوا ... جهلتك يا رحيم وأنت عونى
جهلت حنانك الفياض يطغى ... على بحر التمرد والتجنى
فهب قلبى عيونا من ضياء ... يصد بها عثار اليأس عنى
وزد مقدار حبك فى فؤادى ... لأ ملأ ما استطعت فراغ دنى
لأنى إذ أحبك يا إلهى ... أحب الناس والدنيا وكونى

* * *

التسامح

للشاعر
سيد عبد الرءوف سيد

أرانى جاوزت حد الصواب ... واسرفت فى نظرتى للصحاب
رجعت لنفسى فعاتبتها ... وقد نشدت صاحبا لا يُعاب
لقد ضل سعياً لعمرى امرؤ ... يروم الملائك بين الثياب
إذا رجحت كفة بالهدى ... فامسك صفوحاً وخلِّ العتاب
وكن انت إما بدت هفوة ... سريع التجاوز عف الخطاب
وأى جميل إذا صرتما ... سواء ولم تجنحا للصواب
الا بارك الله خلاً عفا ... واغضى صفوحاً رحيب الجناب
ولو ان نفسى عاتبتها ... مُلِحًّا لعشت بها فى عذاب
بصير لما دقَّ من صاحب ... وعيبى عليه كثيفُ النقاب
واين السماح المرَجَّى إذا ... وقَفْتَ لبادرةٍ بالحساب ؟
اخى قد صفوت فعد صافياً ... سارنو بعين الرضا للصحاب

***

المستدرك على ديوان شعر

عمرو بن كلثوم التغلبى

للأستاذ
أيمن محمد ميدان

فى تموز من عام ١٩٢٢ م ، وبمجلة « المشرق » نشر المستشرق (فريتس كرنكو) ديوان عمرو بن كلثوم التغلبى عن نسخة خطية كائنة بمسجد الفاتح بتركيا ، مذيلا إياه ببعض التعليقات البسيطة والتراجم المبتسرة ، وعن هذه النشرة اصدره « الأب لويس شَيْخُو » فى كتيب مُسْتَقِلّ .

ومنذ ذلك التاريخ البعيد وحتى يومنا هذا ظلت نشرة (ف . كرنكو) للديوان رفيق الباحثين فى ميدان اللغة العربية والعاشقين لادبها مع مايعترى هذه النشرة من جوانب قصور كثيرة ، واخطاء فى الضبط واوهام فى القراءة لا تُحْصَى تجعل من إعادة تحقيق الديوان ونشره مَطْلَباً علمياً اكثر إلحاحاً .

فقد جاءت مقتصرة على ذكر مقطعات الديوان ونتفه وابياته المفردة دونما تفسير لألفاظه المُسْتَغْلَقَة ، او شرح لمعنى بيت غامض ، بالإضافة إلى ان (ف . كرنكو) لم يُصَدِّرْهُ بمقدمة يميط اللثام فيها عن سيرة عمرو بن كلثوم الذاتية ، او يسلط الضوء من خلالها على قبيلته وتاريخها الحافل الطويل ، ولم يصف الأصل الخطى الذى اتخذه اساساً لنشرته .

هذا ولم تخلُ « توطئة » لويس شَيْخُو - على قصرها - من اخطاء ، فقد ظَنَّ - او تَوَهَّمَ - انَّ إسقاط معلقة عمرو بن كلثوم فعلٌ اقدم عليه (ف . كرنكو) نظراً لشيوعها ، على حين يكتشف الناظر - وللوهلة الأولى - فى صحائف الأصل الخطى لنشرته انَّ إسقاط المعلقة من صُنْعِ جامع الديوان وليس (ف . كرنكو)(١) .

(١) شعر تغلب فى الجاهلية .. جمع وتحقيق ودراسة - أطروحة ماجستير للكاتب بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة - ٣ / ٦٥ .

عمــرو بن كلثـوم التغـلبى

ومن خلال رحلة بحثى الواسعة الميدان والحثيثة الخُطَى استطعتُ أن استدرك بعض الأبيات الشعرية المنسوبة لعمرو بن كلثوم ولم ترد ضمن ديوانه ، رأيتُ ضرورة نشرها لَحْقاً لديوانه ، حتى تَعُمّ الفائدة ، ويفيد بها الباحثون فى ميدان اللغة العربية وأدبها .

ـ ١ ـ

قال ابن الأعرابى : بلغ عمرو بن كلثوم أنَّ النعمانَ بْنَ المنذرِ يتوعده ، فدعا كاتباً من العرب ، فكتب إليه :

أَلَا أَبْلِــغِ النُّــعْـمَـانَ عَنِّــى رِسَـالَــةً ... فَمَـدْحُــكَ حَـوْلِــىٌ وَذَمُّــكَ قَــارِحُ
مَتَــى تَلْقَنِــى فى تَـغْلِـبَ ابنَـةِ وَائِــلٍ ... وَأَشْيَــاعِهَـا تَـرْقَــى إِلَيْـكَ المَسَـالِـحُ

ـ ٢ ـ

قال أبو الفرج الأصفهانى* : « أخبرنى على بن سليمان قال : أخبرنا الأحول عن ابن الأعرابى قال : زعموا أن بنى تغلب حاربوا المنذر بن ماء السماء فلحقوا بالشام خوفا منه فمر بهم عمرو بن أبى حجر الغسانى(١) ، فتلقاه عمرو بن كلثوم ، فقال له : ياعمرو ، مامنع قومك أن يتلقونى ؟؟ . فقال له : ياعمرو ... فإن قومى لم يستيقظوا لحرب قط إلا علا فيها أمرُهم ، واشتدَّ شأنهم ، ومنعوا ما وراء ظهورهم .

فقال له : أيقاظ نَوْمةٍ ليس فيها حُلم ، أجتثُّ فيها أصولهم ، وأنفى فَلَّهُم إلى اليابس الجَرِدِ والنازح الثَمَدِ .

فانصرف عمرو بن كلثوم ، وهو يقول :(٢) .

(*) البيتان على بحر « الطويل » .

البيتان وردا معزوين لعمرو فى : الأغانى (الثقافة) ١١ / ٥٢ .

(١) الحَوْلِىُّ من الإبل : ما أتى عليه حَوْلٌ أى عام . والقارح منها : ما انتهت أسنانه وتنتهى أسنانه فى خمس سنين .

.. روى البيت برواية ثانية فى : نقد الشعر ١٧٩ ، وهى .

أَلَا أَبْلِغِ النُّعْمَانَ عَنِّى رِسَالَةً ... فَمَجْدُكَ حَوْلِىٌ وَلُؤْمُكَ قَارِحُ

يريد أن يقول : إنَّ مَجْدَكَ ناشىء وضئيل ، ولؤمك قديم مُتَأَصِّلٌ فيك .

(٢) تغلب : قبيلة الشاعر . وأشياع : جَمْعُ جَمْعٍ ، واحدها الشِّيعَةُ ، والشِّيعَةُ : أتباع الرجل وأنصاره ، وقيل : القوم الذين يجتمعون على الأمر . والمَسَالِحُ : واحدها المَسْلَحَةُ ، والمَسْلَحَةُ :قوم ذوو سلاح ... وقيل : قوم فى عُدَّةٍ بموضع رَصَدٍ قد وُكِّلُوا به بإزاء ثَغْرٍ ، واحدهم مَسْلَحِىٌّ .

الا فَاعْلَمْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ أنَّا — على عَمْدٍ سَنَأْتى ما نُريدُ(٣)
تَعَلَّمْ أنَّ مَحْمَلَنَا ثَقِيلٌ — وأنَّ زِنَادَ كَبَّتِنَا شَدِيدُ(٤)
وأنَّا لَيْسَ حَىٌّ مِنْ مَعَدٍّ — يُوَازِنُنَا إذا لُبِسَ الحَدِيدُ(٥)

ـ ٣ ـ

قال عمرو بن كلثوم :

تَبْنِى سَنَابِكُهُمْ من فَوْقِ أرْؤسِهِم — سَقْفاً كَوَاكِبُهُ البِيضُ المباتِيرُ(١)

يتبع

(*) الاغانى (الثقافة) ١١ / ٥١ ـ ٥٢ .
ورد الخبر والأبيات أيضا فى : الكامل لابن الاثير ١ / ٥٤٠ مع خلاف طفيف فى رواية بيت ، أو جملة من الخبر .
(١) فى الكامل : « بل خرج ملك غسَّان بالشام خوفا فَمَرَّ بهم الحارث بن أبى شمر الغسانى » .
(٢) الأبيات على بحر « الوافر » .
(٣) أبيت اللَّعْنَ : من تحيات الملوك فى الجاهلية ... ومعناه : أبيت أن تاتى من الامور ما تُلْعَنُ عليه ، وتذم بسببه . والعَمْدُ : القَصْدُ .
.. روى البيت بالرواية السابقة فى شعراء النصرانية ١ / ٢٠٢ ، وبرواية ثانية فى الكامل لابن الاثير ١ / ٥٤٠ وهى :

الا فَاعْلَمْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ أنَّا — أَبَيْتَ اللَّعْنَ نَأْبى ما تُرِيدُ

ونأبى : نرفض .
(٤) المَحْمَلُ : الحَمْلَةُ فى الحرب والدفعة فى القتال . وكبة كل شىء : شدَّتُهُ ودفعته مثل كبة الشتاء والجرى .
.. روى البيت بالرواية السابقة فى شعراء النصرانية ١ / ٢٠٢ ، وبرواية ثانية فى الكامل لابن الاثير ١ / ٥٤٠ ، وهى :

تَعَلَّمْ أنَّ مَحْمَلَنَا ثَقِيلٌ — وأنَّ دِبارَ كَبَّتِنَا شَدِيدُ

دبار : هلاك . واشار لويس شيخو إلى رواية ثالثة وهى : « دِبَارَ كَتْبَتِنَا » ، وعَلَّقَ عليها بقوله : وهو غلط .
(٥) مَعَدٌّ : هو معدُّ بن عدنان الجد الأعلى لقبائل الشمال . ويوازينا : يساوينا ويجارينا . ولُبِسَ الحديدُ : أى إذا احتكم إلى السلاح .
.. روى البيت بالرواية السابقة فى شعراء النصرانية ١ /٢٠٢ . وبرواية ثانية فى الكامل لابن الاثير ١ / ٥٤٠ ، وهى :

وأنَّا لَيْسَ حَىٌّ مِنْ مَعَدٍّ — يُقَاوِمنا إذا لُبِسَ الْحَدِيدُ

يقاومنا : يجابهنا ويصد جمعنا .
(*) البيت على بحر « البسيط » .
ورد البيت معزوا لعمرو فى الحيوان ١ / ١٢٧ .
(١) تبنى : تقيم وتشيِّدُ . والسَّنَابِكُ : واحدها السُّنْبُكُ ، وهو طرف الحافر وجانباه من قُدُم . وارؤس : جميع قلة ، واحدها راس ، وراس كل شىء أعلاه ، والراس فى الإنسان معروفة . والسقف : غماء البيت ، والجمع سقف وسقوف واسقف . والبيض : السيوف اللامعة . والمباتير : واحدها الأبتر ، والابتر : السيف القاطع .

من أعلام الأزهر

الشيخ على محفوظ

للـواء . أ . ح

محمد جمال الدين على محفوظ

« خياركم من تذكركم بالله رؤيته ، ويزيد فى عملكم منطقه ، ويرغبكم فى الآخرة عمله » .

● فى محلة روح مركز طنطا غربية ، كانت تقيم أسرة « محفوظ » وهى أسرة طيبة يتصل نسبها بالحسن بن على رضى الله عنهما .. فى تلك القرية ولد الشيخ على محفوظ وفيها نشأ ، وحفظ القرآن الكريم واستوعب حفظ بعض المتون .

● وفى عام ١٣٠٦ للهجرة التحق بالجامع الأحمدى بطنطا واشتغل بتجويد القرآن الكريم على بعض الفقهاء ، ثم بدأ يتلقى العلم على كبار شيوخه ، فكان من أساتذته الشيخ عبد الرحمن الدماطى والشيخ محمد الشبينى الكبير ، والشيخ على المنوفى والشيخ قطب بكر .. وكان فى أثناء طلبه العلم مثلا حسنا للطالب المجد ، واستمر بالجامع الأحمدى نحوا من عشر سنوات ظهر فيها نبوغه وتفوقه على أقرانه .

● ثم رأى شيخه الأكبر الشيخ الدماطى أن ذلك النبوغ يجب أن يفيد منه الأزهر الشريف ، فحبب إليه طلب العلم فيه فتوجه فى عام ١٣١٧ هـ إلى مصر ونزل بالأزهر المعمور ، ثم مالت نفسه إلى مذهب أبى حنيفة بعد أن كان شافعى المذهب ، فتتلمذ على صفوة علمائه من أمثال الشيخ محمد الحلبى ، والشيخ بكر الصدفى ، والشيخ أحمد أبو خطوة والشيخ محمد بخيت والأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، وفى عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٧ م) حصل على شهادة العالمية ، ثم اشتغل بالتدريس .

● لعله مما يجدر ذكره أن نشأة الكاتب فى المناخ الدينى جعلته يطبع أعماله بطابع الدين ، وأبلغ دليل على ذلك أنه حين عين - عقب حرب يونيو ١٩٦٧ - مديراً للتوجيه المعنوى للقوات المسلحة قرر اتخاذ منهج الإسلام لبناء الروح المعنوية وإرادة القتال ، فجعل « الجهاد فى سبيل الله » : عقيدة للقتال للقوات المسلحة ، وجعل « النصر أو الشهادة » : شعارا لها ، وجعل « الله أكبر » صيحة للقتال ، وجعل لعلماء الدين والوعاظ دوراً فعالاً فى معايشة القوات المسلحة وتحريض رجالها على القتال تحت لواء الجهاد ، وربط أعمالهم فى السلم والحرب بالدين ، وقد كان هذا المنهج - بفضل من الله وعون - من أهم أسباب النصر فى حرب رمضان ١٣٩٣ هـ - اكتوبر ١٩٧٣ م . الكاتب

● ولما أدخل النظام فى الأزهر عام ١٩١١ سار فيه حتى بلغ القسم العالى ، وفى عام ١٩١٨ أنشىء قسم الوعظ والإرشاد فى الأزهر ، فكان أول من تعهده بالتأسيس والتوجيه ، وفى هذا القسم وجد ضالته ، فجاهد فيه بكل قواه ، ووقف عليه فكره ووقته ، وسرعان ما أنجب على يديه رجالاً دعاة خير ورسل إصلاح ، اشربو حب الفضيلة ونمت فيهم نازعة الخير .

● وفى عام ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٧ م أوفد على رأس « أول بعثة أزهرية » إلى الأقطار الحجازية لأداء فريضة الحج ، وفى عام ١٩٣٩ قدرت هيئة كبار العلماء مزاياه وعلمه وفضله ، فقررت ضمه إلى عضويتها ..

● وقد لقى مولاه فى يوم الأربعاء الثالث من ذى القعدة ١٣٦١ هـ الموافق ١١ نوفمبر ١٩٤٢ م .

● نشـــاطـه :

● نظر الشيخ على محفوظ بفكره الثاقب إلى العلم والعلماء ، فوجده أشبه بصناعة خاصة بين طائفة خاصة فى مكان خاص لا يعدو العالم والمتعلم ، وقد دأب الأزهر على ذلك جيلاً بعد جيل ، وسواد الأمة عن هذا النور محجوب باحتجاب العلماء عنهم ، اللهم إلا بصيص من النور يظهر فى بعض البلاد التى ينبت فيها العلم بوجود عالم من العلماء أو طالب من الطلاب فى ليالى شهر رمضان المعظم من كل عام .. فأخذ على نفسه المواثيق أن يجدد عهد السلف الصالح ، وأن يقوم بنشر الدعوة الصحيحة بين طبقات الشعب المصرى الكريم .

● وضع اسس فن الوعظ والخطابة :

● ولقد أحب فن الوعظ والإرشاد حبا لا يعدله حب ، وأخلص له إخلاصاً مابعده إخلاص ، وامتزج هذا الحب وهذا الإخلاص بإيمان قوى

لا حد له ، ثم سكن هذا المزيج المبارك فى قلب كريم فى نفس طيبة راضية مطمئنة .

وبهذا القلب ، عقد اللواء ، وتأهب للغزو ، فأخذ يبث فكرته بين طبقات الأزهر من علماء وطلاب ، فكان من ثمرات هذا الجهاد إنشاء قسم الوعظ والارشاد فى كلية أصول الدين .

● الوعظ فى المساجد والمجامع العامة :

● ثم انتقل إلى الناحية العلمية ، فكان يغشى المساجد « كل أسبوع » والمجامع العامة ناشراً الفضيلة ، داعيا إلى التمسك بحبل الله المتين ، فظهر نجمه وسطع نوره ، ورمقته العيون ، وأسكنته القلوب فى سويدائها لما عرف فيه من علم ، وما أوتيه من قوة البيان ، ودقة الأسلوب ، وسلاسة التعبير ، وقد أنتجت قريحته الفذة فى هذا الفن كتاب « سبيل الحكمة فى الوعظ والخطابة » ثم أعقبه بكتابه « هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة » وهو يعتبر أول كتاب حديث من نوعه ، وقد فرغ من تأليفه فى التاسع

الشيـــــــخ على محفـوظ

من شهر ربيع الأول عام ١٣٤٥ هـ ، وقال عنه فى مقدمته : « هذا مختصر نفيس فى الوعظ والخطابة جعلته نبراسا للدعاة الناصحين وسراجا يضىء للخطباء الراشدين » .

● الوعظ فى القرى :

● وقد رأى ـ طيب الله ثراه ـ أن كثيراً من القرى الريفية قد حرم من العلم فكان يذهب إليها مرشداً وداعياً إلى الله بإذنه ، مضحياً فى ذلك بماله وراحته ووقته ، فكان يقضى العطلة الصيفية متنقلاً بالوعظ والإرشاد فى شتى البلاد[١] ، وقد كان يسجل موضوعات خطبه وتواريخها فى سجل خاص حتى بلغ مجموعها نحو (١٠٠٠) خطبة .

● محاربة البدع والخرافات :

● ورأى ـ رحمه الله ـ أن كثيراً من البدع والخرافات قد استحكم فى نفوس الشعب حتى أبعدهم عن طريق الدين المستقيم ، فأخذ يكافح ويجاهد ويذكر القوم بمحاسن الدين وقبائح البدع ولم يثنه عن سبيله ما اقامه دعاة تلك البدع من عراقيل وعقبات .. وظل ثابتا على عزمه حتى اقتلع الأوهام من القلوب وعاد بالناس إلى حظيرة الدين ، وقد ألف فى هذا كتابه العظيم « الإبداع فى مضار الابتداع » وهو كتاب فى أصول البدع وفروعها وبيان مساوئها ومضارها ، ليكون عدة للواعظ فى مهمته ونبراسا يضىء له الطريق لإخراج الناس من ظلمة الجهالة والابتداع إلى نور العلم واليقين ، وقد فرغ من تأليفه يوم الجمعة ١٦ من جمادى الثانية عام ١٣٤١ هـ .

● الجمعيات الإسلامية العامة :

● وقد أيقن الشيخ على محفوظ أن الجمعيات الإسلامية خير معين على نشر الفضائل بين الأمة ، فساهم فى تأسيس « جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية » وكان من أعضـائها البارزين ، وفى تأسيس « جمعية الهدايـة الإسلامية » وقد انتخب وكيلاً لها فى أول جلسة عقدت لتأسيسها فى عام ١٣٤٦ هـ ، وكذلك ساهم فى تأسيس « جمعية تحفيظ القرآن بالعباسية » وكان من أعضائها المخلصين ، وقبل الحرب العالمية الأولى كانت « جمعية الرد على المبشرين » بالخرنفش تناهض المبشرين فكان رحمه الله خطيبها وحامل لوائها ، وفازت جمعية « نشر الفضائل والآداب الإسلامية » بالكثير من نشاطه ، ولما تكونت « جمعية أنصار الحج » ساهم فى جهادها بكل قواه .

● الجمعيات الخاصة :

● ولم يكتف ـ رحمه الله ـ بكل هذه الأعمال الجليلة ، بل نظر فى صفوف الأمة ، فوجد طائفة من عظمائها المخلصين قد عكفوا على مالديهم من الأعمال ، فتلطف فى الدخول إليهم ، واستعمل ذكاءه وفطنته فى استمالتهم وهمس فى آذانهم بأحكام الدين الحنيف ، فوصلت دعوته إلى قلوبهم ، ووجد التربة صالحة للغرس ، والجو ملائماً للإنبات ، فكون جمعية قوامها العظماء

---

(١) مما يجدر ذكره اننى صحبته عام ١٩٣٩ فى إحدى تلك الرحلات إلى قرية تزمنت الشرقية مركز بنى سويف تلبية لدعوة رجل فاضل من أهلها فرايت مايثلج صدر كل مسلم غيور على دينه ، فقد دعا المضيف اهالى القرى المحيطة بتلك القرية ضيوفاً عليه ، واعد للدروس مكاناً فسيحاً مجهزاً بالإضاءة وقد استمرت ضيافته ثلاثة ايام متتالية .

وعنصرها « الطبقة الراقية » مثل الدكتور سالم هنداوى باشا وسليمان عزمى باشا والدكتور عبد العزيز إسماعيل باشا وغيرهم من طبقتهم ، واشتغل معهم بتفسير القرآن الكريم فى ليلة معينة من كل أسبوع ، واتخذ لذلك عيادة الدكتور سالم باشا بعابدين حتى أتمه فى بضع سنين ، ثم انتقل إلى السنة الشريفة فقرأ معهم كتاب البخارى بأكمله ، وقد كان من آثار هذا الغرس أن طلع الدكتور عبد العزيز باشا إسماعيل على العالم الإسلامى بكتابه العظيم « الإسلام والطب الحديث » .

كما كون ـ رحمه الله ـ جمعية أخرى قوامها الدكتور عبد السلام العيادى ونخبة من خيرة « المتعلمين مابين مهندس وتاجر وموظف » وجعل مقرها عيادة الدكتور العيادى بالدرب الأحمر ، وقد ابتدأ فى تفسير القرآن الكريم حتى أوشك على إتمامه ولكن المنية عاجلته قبل ذلك بقليل .

● وأنشأ جمعية ثالثة قوامها جماعة من « أرباب المعاشات » فغرس فيهم الروح الدينية الحقة ، وكان مقرها منزل السيد أحمد فهمى المهندس فى المغربلين ثم بالعباسية .. وامتد نشاطه إلى « الطبيبات والممرضات » داخل المستشفيات فتعهدهن فى مستشفى فؤاد الأول بالموعظة الحسنة والنصائح الغالية مما كان له أثر محسوس فى قيامهن بواجبهن الإنسانى على خير الوجوه .

● **أول درس دينى فى الإذاعة اللاسلكية :**

● وفى عام ١٩٣٩ نبتت فكرة إلقاء الدروس الدينية على أمواج الأثير ، فكان الشيخ على محفوظ أول من وقع عليه الاختيار لهذا العمل الجليل ، فكان يلقى درساً كل شهر تقريباً حتى لقى ربه .

● **دروس شهر رمضان فى الأزهر الشريف :**

● وكان من عادته ـ رحمه الله ـ أن يلقى درساً فى الجامع الأزهر بعد صلاة العصر من كل يوم من أيام شهر رمضان المبارك ، وقد ظل محافظاً على هذه العادة الجليلة وكان فيها مخلصاً متفانيا ، ولا أدل على ذلك من حرصه عليها وهو فى مرض الموت .

● **مؤلفاته :**

● ألف رحمه الله الكتب الآتية :

١ ـ الأخلاق ، وكان يدرس فى المعهد الابتدائى .

٢ ـ هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ، وقد قرر للدراسة فى كلية أصول الدين قسم إجازة الوعظ والإرشاد .

٣ ـ الإبداع فى مضار الابتداع ، وقد قرر للدراسة فى كلية أصول الدين .

٤ ـ الخطابة ، وقد طبع بعد وفاته بعنوان « فن الخطابة وإعداد الخطيب »

● وهكذا كان الشيخ على محفوظ شعلة من نور وعلم ، تفرقت أشعتها فى كل ناحية من نواحى الأمة ، فكانت السراج الذى يهتدى به المهتدون ، وقد كان يرى أن « العلم ثروة وزكاتها الوعظ والإرشاد » ليكون علما مباركاً طيباً يزيده الله من فضله ، ولقد كان واعظاً بسمته وهيئته ووقاره ووقفته ومشيته قبل أن يكون واعظاً بقوله ومنطقه ، فكان فى ذلك مصداقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« خياركم من تذكركم بالله رؤيته ، ويزيد فى علمكم منطقه ، ويرغبكم فى الآخرة عمله »** . (رواه الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما) .

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

طرائف ومواقف

«شكر عباد الله على قدرهم»

عن أبى الجلد قال : قرأت فى مسألة موسى عليه السلام أنه قال : «يارب ، كيف لى أن أشكرك ، وأصغر نعمة وضعتها عندى من نعمك لايجازى بها عملى كله ، قال : فأتاه الوحى ، أن ياموسى الآن شكرتنى» .

«شرار الناس وخيارهم»

★ الأشرار يتتبعون مساوىء الناس ويتركون محاسنهم ، كما يتبع الذباب الموضع الفاسد من الجبل ويترك الصحيح منه .

★ الشجاع يختار حسن الذكر على البقاء ، والجبان يختار البقاء على حسن الذكر .

«أفضل من الحق !»

أريقت دماء من بطنين من قريش ، فجمع أبو سفيان كبارهم وقال : هل لكم يامعشر قريش فى الحق أو ماهو أفضل منه ؟

فقال القوم : وهل من شىء أفضل من الحق ؟ فقال أبوسفيان : نعم إنه العفو ، فقام القوم وتصالحوا .

«من وصايا لقمان»

لا تكن النملة أكيس منك تجمع فى صيفها لشتائها ، ليس مال كالصحة ، ولا نعيم كطيب النفس .

من يَرحم يُرحم ، ومن يصمت يسلم ، ومن يقل الخير يحمد ، ومن يقل الشر يأثم ومن لايملك لسانه يندم .

«نِعم تستوجب الشكر»

عن يونس بن عبيد قال : « قال رجل لأبى نميمة : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت بين نعمتين لا أدرى أيهما أفضل : ذنوب سترها الله فلا يستطيع أن يعيرنى بها أحد ، ومودة قذفها الله فى قلوب العباد لم يبلغها عملى »

«من دعـاء النبى»

عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يقول : « اللهم إنى

أعوذ بك من زوال نعمتك وفجأة نقمتك وتحول عافيتك وجميع سخطك » .

« تقدير النعم »

عن عائشة رضى الله عنها قالت :

« دخل علىّ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فرأى كسرة ملقاة ، فمسحها فقال : «ياعائشة حسنى جوار نعم الله عز وجل ـ فإنها قلما نفرت عن أهل بيت فكادت أن ترجع إليهم » .

« خير الدنيا وخير الآخرة »

قال على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه :

« من أعطى أربع خصال فقد أعطى خير الدنيا والآخرة وفاز بحظه منها : ربح يعصمه من محارم الله وحسن خلق يعيش به فى الناس ، وحلم يدفع به جهل الجاهل وزوجة صالحة تعينه على أمر الدنيا والآخرة .

« من الشقى ؟ »

قيل : لم أر أشقى من البخيل بماله ، لأنه فى الدنيا يشقى بجمعه ، وفى الآخرة يحاسب على منعه ، غير آمن فى الدنيا من همه ، ولاناجٍ فى الآخرة من إثمه .

قال الحكيم

عمدة الدين عندنا كلمات
أربع من كلام خير البرية
اتق الشبهات ، وازهد ودع
ما ليس يعنيك واعملن بنية
دواء قلبك خمس عند قسوته
فدم عليها تفز بالخير والظفر
إخلاء بطن ، وقرآن تدبره
كذا تضرع باك ساعة السحر
كذا قيامك جنح الليل أوسطه
وأن تجالس أهل الخير والخبر

وجوه النعمة فى المصيبة

عن سعيد بن عبد العزيز قال : قال شريح :

« ما أصيب عبد بمصيبة إلا كان لله عليه فيها ثلاث نعم .

— ألا تكون كانت فى دينه .
— ألا تكون أعظم مما كانت .
— وأنها لابد كائنة فقد كانت » .

« دعـــاء »

من دعاء على بن حسين بمنى :

« كم من نعمة أنعمتها على قل لك عندها شكرى !

وكم من بلية ابتليتنى بها قل لك عندها صبرى !

فيامن قل شكرى عند نعمته فلم يحرمنى ؛ ويامن قل صبرى عند بلائه فلم يخذلنى ، ويامن رآنى على الذنوب العظام فلم يفضحنى ولم يهتك سترى ، وياذا المعروف الذى لاينقضى ، وياذا النعمة التى لا تحول ولا تزول ، صل على محمد وعلى آل محمد واغفر لنا وارحمنا » .

مجدنا فى ديننا

لفضيلة الشيخ محمود جميلة
إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

إن عظمة الإسلام . وسمو شريعته . ووفاء نظامه إنما كانت بتلبية حاجات الأمم ومصالح الشعوب وهذه حقيقة لا جدال فيها . وتاريخ المسلمين الأول اكبر شاهد واقوى دليل على صدقها :

فبفضل هذا الدين عز المسلمون وسادوا . وكانوا قادة الدنيا واساتذة العالم . حملوا مشعل النور فاضاءوا للبشرية طريق الخير ، ولقنوها مبادىء الحق والعدل والحرية والمساواة . فكانوا بحق خير امة اخرجت للناس . هكذا ينبغى ان نفهم ديننا وان نحيا به ومعه حياة طيبة نستحق بها ان نكون خلفاء الله فى الأرض .

قال الأستاذ :

التدين فطرى فى الإنسان ، والفطر السليمة تدعو العبد إلى الإخبات لمن تولى خَلْقَه وتعهد بقاءه ، وما انحرفت تلك العقيدة عن وضعها إلا نتيجة صدأ أصاب الفِطَر ، وعتامة رنت على القلوب فجعلت الأبصار قاصرة ، والبصائر حائرة وتغلب إلف المرء لحسه فاتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم ، وقد أقام الله الحجة على العباد فأرسل فيهم رسله ليتم الإلزام ، وتقطع الأعذار

فلما نضجت الإنسانية بعد عمليات عنيفة فى تطهيرها وتشذيبها ختم الله الرسالة بمحمد بن عبد الله ، وجعل دينه خالداً بما أودعه من تعاليم تكفل سعادة البشرية وتسمو بالحياة إلى ذروة ما يصبو له المصلحون .

لقد جاء الإسلام بمبادىء الإصلاح العام والأخوة الصادقة فدعا الناس جميعا إلى الاجتماع بفنائه والانضواء تحت لوائه والوقوف

عند حدوده والرمى بما وراء ذلك تحقيقا لتوحيد الأمة فى كيانها وتوحيدها فى عقيدتها .

فإن ما جنته الإنسانية من صنوف العسف والعنت ألوانا كان نتيجة تفرق الكلمة ، وشق العصا وانفصام العرى وانقسام الجماعات .

وليس بدعاً أن نرى هذا الاختلاف بين الأمم المتباعدة فى العقائد والمتباينة فى الأهداف ، ولكن العجب العاجب أن تختلف أمة التوحيد بعد أن ربط الإسلام بين قلوبها ووحد بين شعوبها وأقام بها دولة الدنيا والآخرة فى ظل كتاب : ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

لقد شع نور هذا الدين فاستقرت به النظم واستقامت عليه الطريقة ، ووضع به ميزان العدالة فى الأرض ، وكان عجبا فى كل نواحيه وهديا فى كل مراميه . فما من شاردة ولا واردة إلا ولها فيه حكم معلوم وطريق مرسوم .

تناول الأفراد والجماعات والأحرار والعبيد والرجال والنساء والأحمر والأسود والعقيدة والسياسة والبيت والمدرسة والطريق والنادى فهو رابطة عامة بين الإنسان وأخيه وبين الإنسان وخالقه ، وهو رابطة تهدف إلى الكمال فى اسمى معانيه وارفع مقاصده .

فما من غاية إصلاحية ولا فضيلة بشرية إلا ومصدرها منه ومرجعها إليه فهو رمز للوطن ورمز للعلم ورمز للسياسة ورمز للديمقراطية ورمز لغير ذلك من معان ابتكرها من فقدها وتشبث بها من سلبها ، وإذا كان من الأمم من أعوزته المبادىء السامية والنظم القويمة والأخلاق الفاضلة فأخذ يرنو ببصره إليها حتى أصاب منها ، وجعلها أساسا لحضارته ودعامة لمجده ، فإن من العجب أن تتخلى الأمة الإسلامية ذات المبادىء الرشيدة والأخلاق الفاضلة عن مقوماتها ومدعماتها حتى أصبحت مهداً للغاصبين وغرضاً للمغرضين .

لم يبن الإسلام حضارته على مادة محضة كما فعل الأوروبيون الحديثون ولا على روحانية محضة كما فعل الأقدمون ، وإنما جعل أساس دولته يرتكز على الأمرين ، ويعتمد على السببين فكانت نهضته مادية روحية ، وكانت سيطرته إصلاحية دينية فهو دين ودولة وعلم وعمل ودنيا وآخرة ، ولن يجد المسلم غناء فى غيره مهما زينت له وساوسه وصورت له أوهامه .

وأمة اختصها الله بهذا الدين جدير بها أن تتخذ تعاليمه نبراساً تهتدى به فى ظلمات الوجود وتسير عليه فى شعاب الحياة ، فلا اضل ممن أطفأ مشعله فى ليل بهيم وهو يفتش عن ضالة منشودة ورغبة مقصودة ، إن مروق كثير من الشبان ووقوعهم فى غياهب الجهالة وظلمات الحيرة ، إنما هو نتيجة حتمية لهذا الانحلال الذى أصاب الدولة الإسلامية فى صميمها وهو لابد سائر بهم إلى التحلل من العقيدة الصحيحة وواصل بهم إلى الزيغ والإلحاد .

وليس هناك ما يدفع هذا البلاء ويرد هذا الطغيان إلا أن يتغلب سلطان الدين على النفوس ولا سبيل إلى هذا التغلب إلا أن تتغلغل تعاليم الإسلام الصحيحة وتنشر مبادئه بين الأفراد والجماعات فنرى الفرد مسلماً والتاجر مسلماً والبيت مسلماً والمدرسة مسلمة والعامل مسلماً والأمة مسلمة والحكومة مسلمة .

عند ذلك يتبوأ الإسلام مكانته ويأخذ وضعه ويعيش المسلم عيشة الأحياء الناطقة لا البهائم الهائمة .

إن كل نهضة إصلاحية لا تبنى على أساس من الدين والأخلاق لا يقر لها قرار ، ولا يستقيم

مجتنا في ديننا

لها وجود ، فيجب أن نعتمد فى نهضتنا على ديننا وهو دين سلم وحرب وإيمان وعمل وصناعة وزراعة وحياة وموت وجنة ونار .

إن البيت المسلم يجب أن تظهر فى جوانبه تعاليم الدين الحنيف فترى الأبناء صورة الإسلام ممثلة فى آبائهم وأمهاتهم وذويهم وأن المدرسة الإسلامية يجب أن تدعم مناهجها بدراسة الدين ، فهو أجدر العلوم بالعناية وأولاها بالرعاية . فمنه تكون الأخلاق ومن الأخلاق تكون الأمم .

وإنمــا الأمــم الأخــلاق مــا بقيت
فــإن همو ذهبت أخـلاقهم ذهبـوا

وإن الفرد المسلم أيا كان طريقه فى مسالك العيش ونظام الحياة يجب أن تظهر عليه دلائل الدين وعلامات الإيمان ، فنريد من الزارع المسلم أن يكون مسلما ومن الصانع المسلم أن يكون مسلما ومن الخصم المسلم أن يكون مسلما ومن القاضى أن يكون مسلما ، فإن الإسلام جماع الفضائل وأساس العمران وهو وحده كفيل ببث الطمأنينة فى النفوس وتهذيب القلوب ونشر ألوية السلام فى ربوع الأرض فقد عم القلق وشاع الفساد وكثرت المطامع واتسع الظلم وتبرم الحق .

وإن الحكومة الإسلامية يجب أن تبرهن للناس على صدق إيمانها فتريهم من نفسها مثلا من أمثلة المسلمين الصادقين الذين ينشر الله بهم الدين ويرد بهم كيد الخائنين « وأن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » ويرد بالسيف ما لا ترده العبرة .

وإن الأمل ليملأ جوانبى ثقة بأن أمراء المسلمين وقادتهم قد اقتنعوا بضرورة رد الأمة إلى دينها حتى تمتلىء به القلوب ، فلا تتفتح لقبول الأفكار الهدامة ، والمبادىء الفتاكة من كل ما عكر صفو الوجود وكدر الحياة فى نظر العاملين .

ولقد خطت بعض الدول خطوات مباركة لتشجيع التعليم الدينى وإحياء المدرسة الإسلامية من جديد ، وها هو ذا الأزهر العتيد ، ثمرة القرون ومعهد المسلمين ، ومعقد آمالهم ، يرسل بعوثه إلى مختلف البلاد الإسلامية ، ويفتح أبوابه لمن يفد إليه من أبناء المسلمين تحقيقا لهذه الغاية النبيلة ، ورغبة فى بث تعاليم الدين الحنيف مكن الله له حتى يؤدى رسالته ، ويبلغ دعوته ، فإن فى عنقه الآن الدعوة إلى الله ونشر كتاب الله .

وإنى أتمثل بالأثر الخالد متضرعاً متوجهاً لمن يملك النواصى فأقول :

اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الأرض .

وفق الله ولاة أمور المسلمين أن يشدوا أزره ، ويردوا عليه هيبته ويقوموا بنصره وتأييده .

العلوم الكونية

الملاحة وعلوم البحار

العقل

اللغز العجيب

الجديد في العلم والتقنية

العلوم الكونية فى التراث الإسلامى

الملاحة وعلوم البحار

أ.د. أحمد فؤاد باشا

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . وَأَلْقَى فِى الْأَرْضِ رَوَاسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾(١)

صدق الله العظيم

مغالطات تاريخية :

يعتقد بعض المؤرخين الغربيين أن علوم البحار Oceanography من العلوم الحديثة التى لا جذور لها فى تاريخ الحضارات السابقة . فيزعم الإيطاليون أن المؤسس الحقيقى لعلوم البحار هو مواطنهم « لويجى فرناندو مرسيلى » Luigi Fernando marsigli (١٦٥٨ - ١٧٣٠ م) الذى ألف فيه رسالة بعنوان «التاريخ الطبيعى للبحر » ويؤكد البريطانيون أن « السير چون مراى »Sir john Maurray هو صاحب الفضل الأول فى استحداث هذا المبحث الهام عندما أشرف على رحلة سفينة الأبحاث البريطانية « المتحدية » التى استغرقت ثلاث سنوات ونصفا بين شهرى ديسمبر ١٨٧٢ ومايو ١٨٧٦ م وقام بدراسة شاملة لمحيطات الكرة الأرضية ، أما الأمريكيون فيزعمون أن ضابط البحرية الأمريكية « ماتيوس فونتين ماورى » Mathews Fontaine Maury (١٨٠٦ - ١٨٧٣) هو الأحق بأن ينسب إليه هذا الفضل لأنه جمع معلومات كثيرة من « قباطنة » السفن بحكم عمله كمشرف على المرصد البحرى فى

(١)سورة النحل : ١٤ - ١٦ .

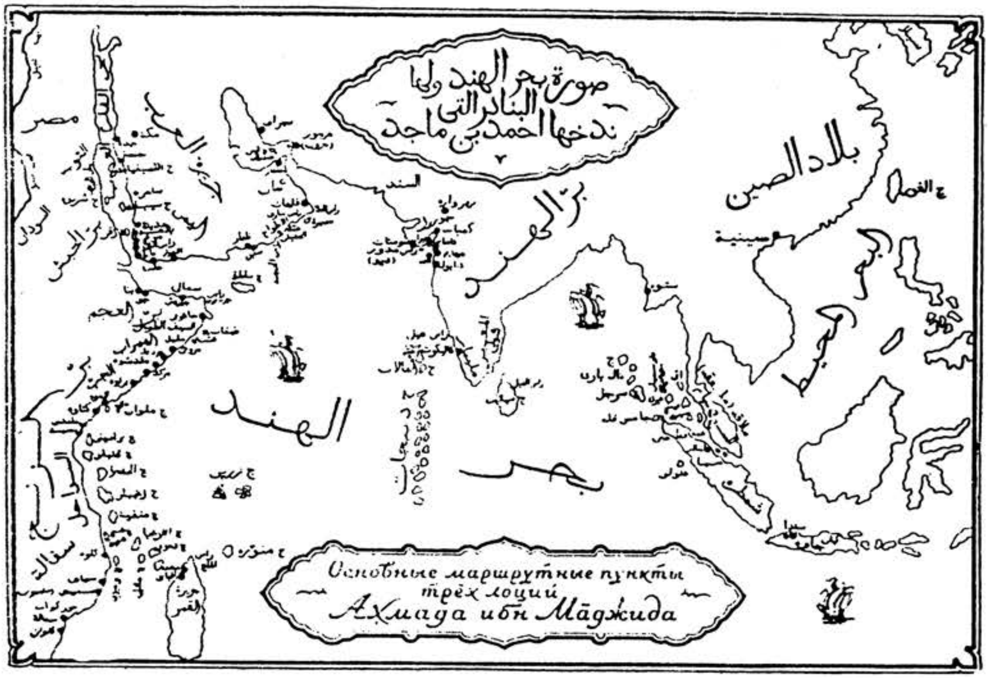

واشنطن ، وكتب فى ذلك مؤلفا بعنوان « الجغرافيا الطبيعية للبحر »(٢) .

حقائق منغمسة فى الشبهات :

وحقيقة الأمر أن علاقة الإنسان بالبحر قديمة قدم التاريخ الإنسانى ذاته ، وخاصة أن هذه العلاقة قد توطدت وتطورت بمرور الزمن بعد أن وجد الإنسان فى البحر (٣) مصدرا من مصادر الرزق ووسيلة من وسائل النقل ، فأنس له وتجرأ على ركوبه والسفر فيه ، ويشهد تاريخ الملاحة البحرية على أن استخدام الإنسان للبحر فى العصور القديمة ، سواء لأغراض سلمية أو حربية ، إنما تم بالاستناد إلى قدر مناسب من المعارف والخبرات المتعلقة بأمور البحر وظواهره . بل إن هناك مايشير إلى قيام القدماء برحلات بحرية قريبة الشبه إلى حد كبير ببعثات البحث العلمى فى وقتنا الحاضر ، وما تزال أخبار

(٢) راجع فى ذلك : د . زكى زكى الشعراوى ، المدخل لدراسة القانون البحرى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٨٩ ، ص ٢٢ ـ ٢٧ .

راجع أيضا : تاربوك ولوتجنز ، الأرض ، مقدمة للجيولوجيا الطبيعية ، الترجمة العربية ، منشورات مجمع الفاتح للجامعات ـ ليبيا ١٩٨٩ ، ص ٤٦١ .

(٣) البحر : الماء الكثير ، ملحا كان أو عذبا ، وقد سب على الملح حتى قل فى العذب ، وجمعه أبحر وبحور وبحار(راجع : لسان العرب لابن منظور ، مادة «بحر») . وقد استخدم العرب لفظ «بحر» بمعنى البحر والخليج والمحيط ، وكذلك بمعنى النهر

الملاحـة وعلـوم البحــار

مثل هذه البعثات منقوشة على جدران معبد الدير البحرى بمصر[٤] . ولم يتخلف العرب القدامى عن ركوب البحر الذى يحيط ببلادهم من جهات ثلاث ، فقد كان عرب الجنوب على وجه الخصوص أصحاب علم ودراية بالبحر ومسالكه ، وكانوا يبحرون فى سفن كبيرة لأغراض التجارة مع الهند وجزر الملايو واندونيسيا وسواحل أفريقيا ، ونشطت فى ذلك الوقت موانى الإحساء والبحرين وعدن وعمان وموزاMuza (وهى «مخا » الحالية باليمن و« أيلة » (وهى قريبة من « السويس » حاليا أو « القلزم » قديما) .

وعندما قامت الدولة الإسلامية كان من الطبيعى أن تعتمد فى أوائل عهدها على أبناء الأمم التى دانت لها ، وفيهم الملاحون المهرة الذين برعوا فى صناعة السفن وأتقنوا قدر مناسبا من الخبرة الملاحية . فتاريخ الحضارة البشرية لم تصنعه « المعجزة اليونانية » ولا « الحضارة الأوربية » ـ وحدهما ـ على حد زعم المتعصبين من مؤرخى العلم والحضارة ، وإنما ساهمت فى صنعه أمم مختلفة فى عصور متعاقبة على امتداد آلاف السنين . وكان للحضارة الإسلامية دورها الرائد والأساسى فى دفع حركة التقدم والرقى إبان العصور الوسطى ، خاصة بعد أن استقر ملكها وطابت ثمارها وامتدت رقعتها من الشرق إلى الغرب فى موقع من الأرض ، حضارات الهند والصين والفرس شرقا وحضارات روما واليونان غربا . ويكفى أن نستدل على حقيقة هذا التفاعل الحضارى بين الأمم على اختلاف أجناسها بما نجده فى معجم المصطلحات الملاحية من ألفاظ عديدة ترجع أصولها إلى اللغات الفارسية أو الهندية أو اللاتينية أو اليونانية أو الصينية ، بالإضافة إلى اللغة العربية فكلمة « أسطول » على سبيل المثال لاتينية ، وكلمة «غليون» اسبانية ، وكلمة « ربان » فارسية ، وكلمة « بارجة » هندية ، وكلمات « أميرال » (أمير البحر) و « كابل » (من حبل) و « فلوكة » (من فلك عربية .

علم الملاحة وعلوم البحار فى التراث الإسلامى :

اهتم المسلمون بالملاحة كثيرا وأكثروا من بناء السفن حتى ملأوا البحار بالجوارى المنشآت ، ووضعوا لها الأسماء بحسب اختلاف أشكالها وتباين أجرامها وحجومها ، على أنه مهما تعددت أنواع السفن وتنوعت حجومها لاتخرج عن كون جزئها السابح فى الماء يشبه الحوت فى عومه ، وفى ذلك يقول ابن خلدون : « وهى أجرام هندسية صنعت على قالب الحوت واعتبار سبحه فى الماء بقوادمه وكلكله ليكون ذلك الشكل أعون لها فى مصادمة الماء ، وجعل لها عوض الحركة الحيوانية التى للسمك تحريك الرياح ، وربما أعينت بحركة المقاذيف كما فى الأساطيل »[٥] .

ومن الطبيعى أن يكون تطور الملاحة مرتبطا بتطور العلوم الأخرى كالفلك والأرصاد والجغرافيا والجيولوجيا وغيرها . ويمكن أن نلمس الكثير من مظاهر هذا التطور فى كتب العجائب والجغرافيا وأدب الرحلات البحرية ، فنجد المقدسى ، على سبيل المثال ، فى القرن

(٤) لمعرفة المزيد من التفاصيل فى هذا الشأن راجع :
ـ د . سعاد ماهر . البحرية فى مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، القاهرة ١٩٦٩ .
ـ د . أنور عبدالعليم ، الملاحة وعلوم البحار عند العرب ، عالم المعرفة، الكويت ١٩٧٩ .

(٥)عن د . سعاد ماهر ، مرجع سابق ، ص ١٦٥ .

الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) يقول فى كتابه « أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » فى معرض حديثه عن المحيط الهندى :« وأما أنا فسرت نحو ألفى فرسخ ودرت على الجزيرة كلها من القلزم إلى عبادان ، سوى ما توهت بنا المراكب إلى جزائره ولججه . وصاحبت مشايخ فيه ولدوا ونشأوا من ربابين وأشاتمة ورياضيين ووكلاء وتجار ، ورأيتهم من أبصر الناس به وبمراسيه وأرياحه وجزائره ، فسألتهم عنه وعن أسبابه وحدوده ، ورأيت معهم دفاتر فى ذلك يتدارسونها ويعولون عليها ويعملون بما فيها »[٦] . والدفاتر التى ذكرها المقدسى فى هذا النص ماهى إلا كتب الإرشادات الملاحية التى كانت تحتوى على الجداول الفلكية وخطوط عرض المـوانى ، بالإضافة إلى كل مايحتاج الربان (قائد السفينة) إلى معرفته من معلومات عن الرياح والسواحل والشعاب والجزر والنجوم وغيرها مما يساعد على الاهتداء فى الملاحة وعلى الاقتراب بالسفن من مراسيها . ومن أقدم الكتب التى ألفها علماء الحضارة الإسلامية فى علم الملاحة وفنونه ، وما تزال مراجع عالمية لها قيمتها كتاب « المترجم بالمدخل الكبير إلى علوم البحر » الذى ألفه أبومعشر . وكتاب « الرهمانى »[٧]الذى ألفه الثلاثة محمد بن شاذان وسهل بن أبان وليث بن كهلان فى العصر العباسى ، وقد دون العرب بعض هذه الإرشادات الملاحية على شكل « أراجيز » تسهيلا لحفظها .

على أن أهم مايذكر فى علم الملاحة عند المسلمين هو « كتاب الفوائد فى أصول علم البحر والقواعد » لشهاب الدين أحمد بن ماجد السعدى النجدى[٨] ، وفيه يوضح المؤلف تاريخ علم البحر والملاحة حتى القرن الخامس عشر ، ويلقى الضوء على مدى تأثر البرتغال بعلوم المسلمين وبالتقاليد الملاحية التى أرسوها فى الملاحة البحرية بشكل عام وفى المحيط الهندى بشكل خاص . ويبين ابن ماجد بشىء من التفصيل العلوم والثقافات التى يجب أن يلم بها « ربان » السفينة فيقول : « إن لركوب البحر أسبابا كثيرة فأهمها وأولها معرفة المنازل والأخنان والمسافات والقياس والإشارات وحلول الشمس والقمر والرياح ومواسمها ، ومواسم البحر وآلات السفينة ، وما يحتاج إليه ... وينبغى أن تعرف المطالع والاستوايات ، وجلسة القياس ومطالع النجوم ومغاربها وطولها وعرضها وبعدها وممرها ، وينبغى أن تعرف الرياح والمد والجزر فى كل طريقة ويتفقد فى أحضان السفينة وآلاتها ورجالها ولايشحنها غير العادة ...» ويضيف ابن ماجد إلى كل ذلك مايسميه بعلم الإشارات ، ويقصد بها معالم السواحل والجزر وخصائص المياه وطبيعة القاع وقدرا من المعلومات عن الأسماك والطيور وحشائش البحر التى تعين الربان على التعرف على السواحل المختلفة . وتستغرق المعلومات الفلكية جانبا كبيرا من اهتمام ابن ماجد فى مؤلفاته ، ثم هو يطبق معلوماته على وصف الطرق الملاحية التى سلكها

البقية ص ٩٥٤

(٦) راجع فى ذلك : س . م ضياء الدين علوى ، الجغرافيا العربية فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين (الثالث والرابع الهجريين ، تعريب وتحقيق د . عبدالله يوسف الغنيم ود . طه محمد جاد ، جامعة الكويت ، الكويت ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨٠ م ، ص ١٠٨ . راجع ايضا : د . أنور عبدالعليم ، مرجع سابق ، ص ٥١ .

(٧) عرف العرب المرشدات الملاحية بأسمائها الفارسية وهى « الراهنامج » (من راه : طريق ، ونامة : كتاب) أى كتاب الطريق ، وحرفت إلى رهمانج ورهمانى ورحمانى وربانى .

(٨) شهاب الدين أحمد بن ماجد من علماء فن الملاحة وتاريخه ، توفى فى مستهل القرن العاشر الهجرى ونهاية القرن الخامس عشر الميلادى . ورث العلم عن أبيه وجده ، وهو ايضا شاعر رقيق ، وقد استغل موهبته فى نظم القصائد التى ضمنها كل خبراته ، لكن شعره يضعف حين يحمله الاصطلاحات الفنية ويختل وزنه أحيانا ، أو يضطر إلى الوقوع فى اخطاء صرفية .

العقم (٢)

للدكتور
أحمد رجاء عبد الحميد

عوداً إلى ما قلنا باختصار نستطرد إلى بيان ما ينبغى ان يتخذ إزاء (ظاهرة عدم الحمل) بعد الزواج بفترة ـ قصرت أم طالت ـ جرت فيها المعاشرة الزوجية دون ان تسبب قلقاً ما ، نقول :

إن الشكوى تبدا عادة إذا لم يحدث الحمل ـ فى فترة معتادة ، عندئذ يبدا القلق ، ثم تنمو الشكوى ، وقد يبدأ الزوجان انفسهما بالشكوى ، وقد يدفعهما إليها لوم الاقرباء لاحد الطرفين ، أو كليهما ، وقد يشتد هذا اللوم حتى يكون ـ فى ذاته مشكلة امام الزوجين . ويحدث كثيراً ـ ان تبدا الزوجة خطواتها فى البحث عن سبب عدم الحمل ، فتذهب بمفردها إلى الطبيب ، وهذه الخطوة المفردة خطا من جانبها : ذلك ان عدم الإنجاب هو مشكلة الزوجين معاً لا احدهما ، وفى أحيان كثيرة ادت دقة الكشوف ان السبب ـ فى النهاية ـ يكمن فى الزوج ، ولذلك يجب أن يصطحب الزوجان نفسيهما إلى الطبيب .

وإذا تبين ـ عند الطبيب المختص ـ أن عدم الإنجاب استغرق مدة اقل من سنة فى حالة العقم الأَوْلى ، أو سنتين فى حالات العقم الثانوى ؛ فإن على الطبيب ان يؤجل ابحاثه حتى تكتمل مدة متعارف عليها ، وبعد أخذ تاريخ مَرَضِىّ مُفَصَّل (سيتم شرحه فى فصل التشخيص) يقوم الطبيب بالفحص على الوجه الآتى :

* ماذا يفحص الطبيب ؟

يبدأ الطبيب بفحص الزوجة ، وهذا يستدعينا أن نقدم تشريحاً للجهاز التناسلى للمرأة .

أولاً . الأعضاء التناسلية الخارجية :

(الفرج) ويتكون من :

أ ـ العانة . ب ـ الشَّفْران . جـ ـ البظر .

د ـ المدخل ـ أو الدهليز والإحليل . هـ ـ غشاء البكارة . و ـ الجسم العِجَانِى .

(أ) العانة ـ الزهرة أو التل العانى :

وهو تجمع دهنى يقع مباشرة فوق الالتصاق العانى ، وهى ليست عضواً مميزاً ، ولكنها منطقة ينبت بها شعر العانة عند البلوغ ، ويكون توزيعه بهذه المنطقة مميزاً للأنثى عن الرجل ، حيث انه فى الأنثى يكون على شكل مثلث قاعدته لأعلى عكس الرجل ، وبفحص هذه المنطقة يتكون للطبيب فكرة مبدئية عن مستوى الهرمونات الأنثوية والذكرية للسيدة .

(ب) الشفران : وثمة شفران كبيران ، وهما الخارجيان ، ودونهما شفران صغيران .

الشفران الكبيران : وهما طيّتان مستطيلتان من الجلد على جانبى الفرج ، وهما أكثر الأعضاء بروزاً للخارج ، أما الصغيران ، فهما طيتان مستطيلتان تقعان بين الشفرين الكبيرين ومدخل (المهبل) .

(ج) البظر : وهو عضو مشابه للعضو الذكرى طوله (١ ـ ٣ سم) يقع فى الخط الأوسط أمام فتحة القناة البولية مباشرة ، ويتكون من : (جسمين انتصابيين) كل يتصل بالالتصاق العانى على أحد جانبيه ، ثم (الرأس) الذى يحتوى نهايات أعصاب حسية ، ومغطى غطاء جزئياً بالشفرين

الصغيرين . وعادة مايزال هذا الجزء ـ أثناء إجراء عملية (الخفض) هو والشفران الصغيران .

(د) الدهليز أو المدخل : هو المنطقة المثلثة التى يحوطها الشفران الصغيران ، وفتحة الإحليل ، ويوجد غُدَّتان صغيرتان تسميان (غدتى سِكِين) بالجهة الخلفية الجانبية لفتحة الإحليل تقومان بإفرازات ملينة ، وهما أكثر الأماكن إصابة فى حالات (الالتهابات السيلانية) المبكرة .

ومن هنا تظهر قيمتهما التشخيصية .

غدتا بارثولين :

هما غدتان توجدان على الجانبين السفليين لمدخل المهبل ، ولهما قناتان (١ ـ ٢ سم) تفتحان بين الشفرين الصغيرين وغشاء البكارة ، وتفرزان مادة ملينة أثناء العملية الجنسية .

(هـ) غشاء البكارة :

غشاء رقيق مغطى من كلا الجانبين بالنسيج الظهارى ، ويتخذ الشكل الدائرى أو الهلالى ، أو متعدد الثقوب ، وفى بعض الأحيان يخلو من الثقوب فيحدث انسداداً مَرَضياً ، وفى هذه الحالة ـ وحين تصل الفتاة إلى مرحلة البلوغ ـ يتجمع دم الطمث خلف هذا الغشاء ، ويحدث مشاكل طبية واجتماعية من مثل انقطاع الطمث ـ أو ظن انقطاعه ـ وكبر حجم البطن ، مما قد يؤدى إلى الاعتقاد بأن ثَمَّةَ حَمْلاً ولا حمل ، وفى ذلك ما فيه من مشاكل اجتماعية يعلم الأطباء منها الكثير ، وعلاج هذه الحالة يكون بإحداث قطع فى غشاء البكارة مع علاج هرمونى للفتاة ـ حيث إن بطانة الرحم قد تتأثر بوجود الدم بها ـ لفترة تختلف حسب شدة الحالة .

(و) الجسم العجانى ـ الحفرة الزورقية :

الجسم العجانى ، ويتمثل فى هذا الجزء من الجلد ، وطبقة ما تحت الجلد الواقعة ما بين فتحتى الشرج والمهبل .

الحفرة الزورقية :

عبارة عن حفرة تتكون من التقاء الطرفين

◆ العقم

الخلفيين للشفرين الصغيرين ، وتقع أمام غشاء البكارة .

الأعضاء التناسلية الداخلية :

أ ـ المهبل ، ب ـ عنق الرحم ، جـ ـ الرحم ، د ـ قناتا فالوب ، هـ ـ المبيضان .

المهبل :

عبارة عن قناة عضلية مطاطة ، مغلقة جزئياً ، طولها (٨ ـ ١٠سم) وعرضها (٤سم) ، وتمتد من فتحة الفرج حتى عنق الرحم الذى يبرز فى الجزء العلوى منها مُكَوِّناً أربعة جيوب (أمام ـ خلف ـ جانبين) ، ويقع المهبل بين المثانة البولية (أمامه) ، والمستقيم (خلفه) ويحده من الأمام أربطة عنق الرحم ، والعضلة رافعة الشرج .

ويوجد بجدار المهبل ثنيات عرضية ، و(بخاصة فى المرأة التى لم تحمل من قبل) تساعد فى زيادة الإحساس الجنسى ، كما تساعد على التمدد أثناء الولادة .

عنق الرحم :

هو مدخل الرحم ، وهو قناة طولها (٢ ـ ٤ سم) تصل بين المهبل وتجويف الرحم ، وهو ـ فى السيدات اللاتى لم يلدن بعد ـ على شكل قمعى ، وصلب الملمس إلى حد ما ومحيطه (٣ ـ ٥ سم) ونصفه الأسفل غائر ، ونصفه الأعلى فوق المهبل ، ويحده من الأمام مباشرة المثانة البولية ، ويكون مسدوداً بالمخاط الذى تفرزه الغدد المبطنة له ، ووظيفة هذه السدادة أنها تقوم بالعمل كمرشح يسمح بمرور الحيوانات المنوية فقط ، أى بدون السائل المنوى ، كما يعمل عنق الرحم كمخزن للحيوانات المنوية التى تقوم بضخها ـ داخل الرحم ـ بطريقة فسيولوجية منظمة .

الرحم :

عضو عضلى على شكل حبة الكمثرى المقلوبة ، وله تجويف ضيق طوله حوالى (٧ ـ ٨ سم) فى المرأة التى لم تحمل بعد ، وعرضه نحو (٤ سم) يحده من الأمام المثانة البولية ، ومن الخلف المستقيم ، ويقع كله فى تجويف الحوض ، وتتصل به ـ على كلا جانبيه ـ (قناتا فالوب) ، ويكون الرحم فى الحالات التى لم تنجب فيها المرأة مائلاً للأمام ـ غالباً ـ على المحور المركزى للمهبل ، وذلك فى نحو (٦٥ : ٧٥٪) من السيدات ، بينما يكون (٢٥ : ٣٥٪) مائلاً للخلف .

وأهمية معرفة هذا التوزيع ما نراه ـ فى بعض عمليات فتح البطن ـ لتصحيح وضع الرحم ، وفى الحقيقة إن كل ما يلزم ليس إلا تغيير وضع الجماع .

مثبتات الرحم :

(أ) الأربطة : الرباط المستدير ، (من قمة الرحم ـ كلا الجانبين)

(ب) الرباط المتسع : وهو طية الغشاء الصفاقى فوق (قناتى فالوب) وجسم الرحم حتى الجدار الجانبى للحوض .

(جـ) الرباطان الرحميان العجزيان : وهما زوج من الأربطة اللينة المتصلة بين الجزء السفلى من جسم الرحم عند اتصاله بعنق الرحم ، ويمتدان للخلف حتى عظمة العجز .

(د) الرباطان المروحيان :

(هـ) العضلة الرافعة للشرج ، وتعتبر أكبر عضلة من مكونات الحجاب الحاجز الحوضى ، وتمتد على جانبى المستقيم حتى الجدار الجانبى للحوض .

(و) الغشاء المبطن للرحم ، وهو يتكون من طبقتين :

١ ـ سطحية ؛ وهى تنمو وتضمر تحت تأثير الهرمونات .

٢ ـ وداخلية ؛ وهى دائمة .

ويلاحظ أن الطمث هو عبارة عن تساقط الطبقة السطحية مع بعض الدم .

الإمداد الدموى :

وذلك عن طريق الشريان الرحمى (واحد بكل جانب) وفرع من الشريان المبيضى ، ويكون الصرف عن طريق الوريدين الرحميين ، والأوردة المبيضية (اثنان بكل جانب) .

الإمداد العصبى :

الأعصاب الخارجة ـ عن طريق الأعصاب العجزية (٢ ، ٣ ، ٤) ـ الأعصاب الداخلة عن طريق النهايات الظهرية (٥ ـ ١٢) والعجزية (٢ ، ٣ ، ٤) التى تحمل الأعصاب اللا إرادية .

٤ ـ قناتا فالوب (قناتا المبيض) :

وهما قناتان رقيقتان لهما حركة دودية من (١٠ ـ ١٢ سم) ، ويوجد بجدارهما طبقة عضلية ، كما توجد بداخل جدار كل منهما أهداب تعمل على دفع البويضة ناحية الرحم ، وتمتدان من جانبى الرحم عند الفتحة القرنية ، وتتجهان جانباً للخلف حيث تفتحان فى التجويف الصفاقى للمبيض بجوار أسفل المبيض على كلا الجانبين حيث تتصل كل أنبوبة بالمبيض عن طريق نهاية خملية ، وهى أطول النهايات الخملية للقناة .

ووظيفة هاتين القناتين هى التقاط البويضة ، ثم دفعها لملاقاة الحيوانات المنوية لتلقيحها ، ثم دفع البويضة الملقحة ناحية الرحم .

أجزاء القناة :

(أ) الجزء الطرفى (الخملى) وهو عبارة عن مجموعة الخملات ، من (٥ ـ ٨) وأحدها الأطول ، وتتجه ، وتمسك بالمبيض ، وتسمى الخملة المبيضية .

(ب) الجزء القمعى (من ٢ ـ ٣ ـ سم) ، وتلى الخملات ، ولها شكل قمعى .

(جـ) الجزء الجرابى (من ٦ ـ ٨ سم) ، وهو الجزء الأكثر اتساعاً للأنبوبة .

(د) الجزء البرزخى ، وهو أضيق الأجزاء (١ ـ ٢ سم) ويمتد من الجزء الجرابى إلى جدار الرحم .

(هـ) الجزء البايظرجى : وهذا يقع داخل النسيج الرحمى (١ سم) ، ويكون تجويف القناة أضيق من قبل (١ سم) .

المبيـــض :

وهو الغدة التناسلية للأنثى ، وهما زوج من الغدد التناسلية ، لونها أبيض بيضاوى ، صلب الملمس ذو سطح مجعد حوالى (١,٥ × ٣ × ٣,٥ سم) ، ويقعان على الجانب الحوضى من الصفاق فيما يسمى بالحفرة المبيضية ، ويتصل بالرحم عن طريق الرباط المبيضى ، ويتكون من القشرة والنخاع ، والقشرة تحتوى على البييضات داخل حويصلاتها ، وتنمو عدة (بييضات) كل شهر ، وعادة لا تفرز سوى بويضة واحدة ، ويضمر الباقى ، أما النخاع فهو الجزء الداخلى ، ويقوم المبيض بإفراز الهرمونات الأنثوية (الأوستروچين والبروچيستيرون) فى الدم .

العلامات الأنثوية الثانوية :

وأهمية فحص هذه العلامات أنها تعطى للطبيب انطباعاً عن مستوى الهرمونات الأنثوية والذكرية (للمريضة) ، وهى :

١ ـ الثديان : نمو الثديين وبروزهما .

٢ ـ الشعر : شعر الرأس ، وهو مستدير على الجبهة ، وشعر العانة ، وهو ذو حد أفقى من أعلى .

٣ ـ توزيع الدهون فى الجسم ، وبخاصة حول الأرداف والثديين .

٤ ـ الصوت : ناعم أو حاد .

٥ ـ الجلد : ناعم لوجود طبقة دهنية تحته .

اللغز العجيب

للأستاذ
مجدى عبد الحميد بشير

بإنفاق أكثر من أربعين بليونا من الدولارات كل عام فى عمليات من قبيل قص الشعر وتثبيته والتكيف مع ما يقتضيه ـ عليهم ـ مظهرهم الجديد من أمور ، أو حتى تغيير هذا الغطاء الخاص الذى ميز فترة من حياتهم اكتست رءوسهم فيها بشيء هو للفراء أقرب منه للشعر الآدمى المعروف . وبرغم هذا الاهتمام المنصب عليه يظل الشعر من أكثر المكونات غير المفهومة الأسرار فى الثدييات إلا أن العلماء بدأوا مؤخراً فى إزالة ذؤابة الغموض التى جللت الهام لأجيال متتالية .

إن إدراك حقيقة : أن الشعر يمكن أن يكمن فيه الجواب على عديد من الأسئلة التى حار العلماء فيها جوابا ، وذلك بخصوص الحياة العضوية أو « البيولوجية » للخلية ، هذه الحقيقة دفعت العلماء وحفزتهم على أن يركزوا مجهوداتهم من جديد على الشعر ، وأن يولوه ذات الاهتمام الذى أولوه لمساويات الشعر فى الكائنات الأخرى من ريش وقشور .

وفى حالات كثيرة يتم توفير المصادر المالية

تركوه يطول ويطول وقالوا : « هيبز » ثم ملوا فمالوا إلى تصفيفه وتهذيبه والأخذ من أطرافه حتى صار « فيرانئ » الشكل ، وقالوا « يوبز » .

من مجيرى من الذين اللواتى !!؟

ثم زعموا أن النساء اللاتى يقمن بقص بعض شذرات صفراء منه هن أكثر ملاحة والطف سجايا . أما الرجال الذين تاخذ مقدمات رءوسهم فى التعرى منه شيئاً فشيئاً والكشف عن أمور يستثقلونها فسرعان ما يفزعهم اختفاؤه ، موفرين بذلك فرصة لا تعوض ، لازدهار صناعة المراهم ورواج « الكريمات » ، وارتفاع أسعارها إلى أرقام فلكية ، تُدفع أيضاً فى عمليات من قبيل زرع بعض خُصلاته ، واستنبات بعض جدائله ، ذلكم اللغز المثير ، هو الشعر ، الذى شرع الباحثون فى رفع النقاب عن حياة خلاياه الموغلة فى الإغراب .

فالشعر فى بنى البشر على الأقل يحمل من المعانى الرمزية وعمق المغزى ، ما يفوق بكثير مايمكن أن يتوقعه الواحد منا من مجموعة من الزوائد الميتة ، ففى أمريكا وحدها يقوم الراغبون فى تصفيف الشعر الرافضون قبول ما افترضته عليهم بُصيلات شعورهم من أقدار يقومون

للبحوث الخاصة بالشعر من طرق كثيرة أهمها : شركات الغزل والنسيج ، وشركات الصيدلة ، وذلك على أمل تحقيق أرباح جمة من الخوض فى بحار هذا العلم ، وقد أدى هذا العمل الجديد فى إحدى أغرب مراحله إلى استحداث نظم استزراع معملية جديدة ، تجعل من اليسير على العلماء استنبات كميات ضئيلة من الشعر فى مساحات زرعت على جلد صناعى ذى بصيلات شعر غنية ، وبرغم النفقات الضرورية الباهظة التى انفقت على إجراء مثل هذا النوع من التجارب ، فإن أحداً لم يتمكن من زراعة كميات يعتد بها من الشعر فى أى مكان غير الجسم البشرى ذاته ، وهى حقيقة تقدم دليلاً لا يرقى إليه الشك ، وشهادة مؤكدة على ما امتاز به الشعر من حياة ملغزة مُطَلْسَمَة .

ومن الأسباب التى جعلت الناس يتحاشون الغوص فى أسرار الشعر هو أنه موضوع شديد التعقيد ، كما يقول (هاوارد بادن) الذى يقوم بدراسة البيولوجية الذرية للشعر وجزيئاته فى المدرسة الطبية بـ« هارفارد » فى « بوسطن » الذى يضيف إلى ذلك قوله :

إن العلماء الآن بدأوا يدركون أنه خير مثل يتخذ للتعرف على كثير من المشاكل « البيولوجية » فى أعماق جذورها ، ولقد جذبت « بيولوجيا الشعر » انظار الباحثين من أوساط علمية عديدة منها ـ على سبيل المثال :

أخصائيو السرطان الذين اخذوا فى استكشاف الشعر وبصيلاته على اعتبار انها هى الأجزاء الوحيدة دون بقية أجزاء الجسم التى حباها الله القدرة على أن تموت وتتوالد ذاتياً عبر حياة الإنسان وذلك لعدة مرات متكررة . ومن ثم ، فإن هذا الأمر يوفر بالنسبة للعلماء مصدر تكهن وتمحيص للأجزاء التى تسيطر على الخلية ، والتى تتحكم فى وظائفها ، وهى الأجزاء التى تأخذ فى التغضن والالتواء ، ما إن يصيب الجسم سرطان الجلد أو أية اختلالات تكاثرية أخرى .

أما علماء تنمية البدن فإن طول دورة الحياة الشَّعْرِيَّة ، ثم موتها ثم إعادة توالدها ، ذاتيا ، يقدم لهم سلسلة من « الأدوات المتكررة لتلك الوظائف الجديرة بالملاحظة » والتى تجعل من السهل على العلماء أن يتفحصوا غير مرة حياة الشعرة ، ثم يقوموا بحساب مراحل نمو الخلية وموتها ، ثم حساب الفرق بين مدة الحياة والموت فى كل مرة .

أما المهتمون بتطوير الغزل والنسج ، فإن الآمال تعظم لديهم فى أنَّ تَفَهُّماً لنمو الخلية على المستوى الجزيئى أو الذرى سيؤدى إلى توليد أغنام عن طريق الهندسة الوراثية ، أغنام تحمل نوعيات محسنة من الصوف وهو حافز يفسر الكم الهائل من بحوث الشعر التى يقومون بها فى استراليا .

أما علماء ومصنعو المساحيق ، والصيادلة ، فإن كل مُعْطَى جديد متعلق بالشعب وإعادة تولُّده يمثل لديهم مبعث أمل ومصدر ثراء وأرباح طائلة ، يجنونها من جيوش جرارة ، من الرجال الطاعنين فى السن الذين يأبون ـ بعناد ـ قبول ما تخبئه لهم أقدارهم من نقر أى مساحات كبيرة خلت من الشعر .

يقول : « استيوارت يوسبا » بالمعهد القومى للسرطان فى « بات سدا »:منذ بضع سنوات فقط لم يكن الشعر مجالاً لبحوث ريادية ، ولم يكن يهتُّم بدراسة نمو الشعر وبصيلاته إلا قلة قليلة من الناس ، إلا أنه تم حل لغز الكثير من المشاكل الأساسية فى حياة خلايا الجلد مما حفز الكثير إلى الولوع بالتصدى لتحد جديد ، ولا يخرج ذلك التحدى الجديد عن كونه ذلك العجب العجاب « بصيلة الشعر » .

اللغــز العجــــيب

وكمميز تنفرد به الثدييات وعامل لا يُنكر أثره المحبب فى التواصل الجنسى ؛ فإن الشعر كان مثار اهتمام الكثير من دراسات العلماء على المستــويــين : التجــريــدى والمجــهــرى الميكروسكوبى .

وقد اتضح - فيما تلا ذلك - الوظائف العديدة المنوطة بالشعر فإن كان زغبا أو فروا ، أمد حامليه بمصدر لا يبارى من التمويه والعزل والحماية ، أما إذا كان شوارب أو قرون استشعار فلا تنكر حساسيته الشديدة ، وأهميته الملموسة للكائنات التى زودها البارى بمثل هذه المنن العظام .

أما إذا نظرنا إليه كأهداب وجفون وشعر ينبُت فى داخل الأنف فإن الذين ينهون عن السنة النبوية وَيَنْأَوْن عنها ، ويقومون بقص مثل هذا النوع من الشعر فيفقدون ميزة الحماية من الأتربة وغيرها مما يحمله الهواء الداخل إلى رئاتنا من أمور نسأل الله السلامة منها .

وانظر إلى شدة العناية الإلهية حيث تقوم حوالى مائة ألف من الألياف الشعرية بحماية فروة الرأس فى الشخص العادى . فإذا تم النظر إليها بشكل عرضى لبدا الشعر ببيضاوى الشكل فى القوقازيين منبسطاً مسطحاً فى السود ، دائرياً فى الآسيويين .

يقول « كيرت استن » بجامعة « يل » : إن أجزاء الجسم المغطاة بالشعر هى أساساً بمثابة فروق اجتماعية بين الأجناس .

إن مما يمثل أهمية خاصــة « لعلماء البيولوجيا » تلك الملاحظة التى تقول :

إن الشعر ينمو فى دورات . ففى الإنسان على سبيل المثال ينمو الشعر فى الفرد منا على فترات تتراوح بين سنتين إلى خمس سنوات .

ثم يأخذ الشعر فترة راحة من أربعة إلى ستة أشهر ، وتشمل عملية النمو المذكورة تلك التكاثر السريع للخلايا داخل بصيلة الشعر ، وهو أمر ينفرد به الجلد .

إن نمو أو إنتاج شعرة واحدة داخل البصيلة يشبه صورة مصغرة لتخلق مجموعة من الخطوط شديدة الدقة . فبينما تأخذ خلايا الشعرة المنقسمة الجديدة فى دفع خلايا الشعرة القديمة المسنة إلى أعلى ثم طردها إلى خارج الجلد فإن الخلايا الملـونة والمسمـاة بالصـابغات أو (MELAMOCYTES) تشرع فى الدخول إلى الليفة الناشئة وذلك لإكسابها اللون . وفى ذات الوقت فإن سلسلـة من التفاعـلات « المبلمرة » : أى التى اتحدت فيها أجزاء متعددة من مادة واحدة معاً تبدأ فى الربط بشكل عرضى تقاطعى بين عشرة أنواع مختلفة من جزيئات البروتين ، أو ما يعرف بالقرنيات فى داخل خلايا الشعر إلى أن يبرز إلى حيز الوجود ذلك الشىء المنسق الخشن الملمس الجميل الشكل ألا وهو الشعر .

كل هذا يحدث بينما تنمو الشعرة الجديدة بمعدل شديد البطء يبلغ حوالى ثلث ملليمتر فى اليوم أو نصف بوصة فى الشهر . وفى أثناء فترة الراحة يتوقف النمو تماما وتذوى كثير من الخلايا فى بصيلة الشعر وتموت ، لكنها لا تبيد عن آخرها ، بل يظل مخزون منها مما يسمى « بالحُلَيْمِيَّات » وهى : الخلايا القادرة على إعادة زرع البصيلة تظل هذه الخلايا مختبئة كامنة داخل البصيلة الضامرة .

ثم يحدث - فيما بعد استجابة لإشارات جزيئية أفرزتها خلايا مجاورة - أن تقفز البصيلة إلى الحياة من جديد ثم تقوم « الخلايا الحُليمية » بالانتقال إلى قاع البصيلة ثم تبدأ فى الانقسام ،

وسرعان ما يأخذ أنبوب شعرى جديد فى الصعود إلى أعلى طارداً الشعرة المسنة أثناء مسيره .

وفى الكائنات البشرية على خلاف مايحدث للحيوانات التى اعتادت أن تقوم بنسل شعرها والتخلص منه بصورة منتظمة أو موسمية ، فإن دورات النمو والراحة فى شعر الفرد غير متناسقة أو منتظمة ، لذا فإنك تجد أنه فى أى وقت من الممكن أن ينمو مايقرب من تسعين فى المائة من الشعر بينما لا ينمو بقية الشعر ، لكن دورات نمو الشعر خصوصا فى الرجال تقصر وتقل مع تقدم السن إلى أن يزيد الوقت الذى تستغرقه كل بصيلة فى الراحة على الوقت الذى تقضيه فى النمو ، فضلا عن ذلك فإن البصيلات تصبح أكثر صغرا وأكثر ضحالة مخرجة بذلك شعرات أوهى متانة وأقل سمكاً . وبالنسبة لأناس أتموا العقد الثالث أو الرابع من أعمارهم فإن نظرة فى المرآة كفيلة بتقديم الدليل الكافى على نموذج لصلعة أحد الذكور متمثلة فى خط متقدم منه الشعر توسط تاجا خف من الشعر أو زال .

إن العلماء يأملون أنه عن طريق دراسة الدورة الشعرية يمكنهم أن يتوصلوا إلى الطريقة التى يستطيعون بها التحكم فى نمو وإعادة توالد الشعر والجلد ، وسواء كان الهدف إبطاء عملية الصلع فى الرجال ، أو زيادة إنتاج الصوف فى الأغنام ، أو إيقاف تكاثر خلايا الجلد فى مرضى السرطان ، فإن مفتاح السر يكمن فى تفهم الإشارات الجزيئية التى يوكل إليها تنظيم دورة النمو والراحة فى الشعر .

ــ وكما يقول يوُسْبا فإن الدورة الشعرية شديدة الانضباط فائقة الانتظام ، وهما أمران مبنيان على ظهور أو اختفاء الجزيئيات المنظمة وعلى وجود وغياب المستقبلات داخل كل بصيلة ، ولكى نتمكن من إعادة تدوين مفردات هذه السيمفونية التنظيمية البديعة فإن الباحثين فى حاجة ماسة إلى طريقة لأختبار تأثيرات الهرمونات التى يتناولها الفرد . وكذا عوامل نمو الخلية فى نسق منضبط .

ومن ثم فإن معظم البحوث التى تُجرى مؤخراً على الحياة العضوية للشعر ركزت أشد مايكون التركيز على تطور الشعر المزروع معمليا .

وحتى أيامنا هذه فإن الطريقة الوحيدة لاختبار تأثيرات العقاقير أو العوامل التى تحدث فى أثناء نمو الخلية بشكل طبيعى تعتمد على رش المحاليل والمراهم على الحيوانات ذات الأجساد الفرائية .

وفى واقع الأمر فإن قليلا من الحيوانات ازدادت شعبيتها بسبب مثل هذه الدراسات . فعلى سبيل المثال فإن نسناس جنوب شرق آسيا المبتور الذيل أو الأقطع واسمه العلمى (MACACA ARCTOIDES) يحدث له الصلع بين العام الرابع والسابع من عمره ، وهو ما تكهن به العلماء وكان غالبا ما يحدث فعلا وهو أمر يُحتج به فى سرعة حدوث الصلع فى الإنسان فى زعم أولئك العلماء . إن التجارب الأولى التى استُخدم فيها عقار MANOXIDIL (وهو عقار الشعر الوحيد المستخدم فى إعادة توليده والذى صرحت باستخدامه إدارة الأغذية والعقاقير الأمريكية) . أجريت على مبتورات الذيول ومايزال العلماء يواصلون استخدام هذه الحيوانات لاختبار وتجريب عقاقير أخرى مهمتها إكساب الشعر شيئا من السُمك ولكنها عقاقير معملية بحتة .

وأحد النماذج الأخرى للحيوانات المشهورة فى إجراء تجارب نمو الشعر هو المدعو (الفأر الزغَبى) أى الكثير الزغب أى الشعر الرفيع ، وهذا الفأر هو ناتج التوليفة المهجنة من الفأر الأمْهَق (أى الذى به بياض فى العين والجلد والشعر والذى يتأذى من الشمس وهو كثيف الشعر) . والفأرة الملونة عديمة الشعر . وكانت النتيجة أن أنبت ما بالفأر من بصيلات صغيرة خصلات جيدة تشبه الشعرات الرفيعة فى الصلع من الرجال .

يتبع

الجديد في العلم والتقنية

إعــداد
د. نجــوى السـيد أحـمد

حاسب الى لإرشاد الغواصين

تم إنتاج أحدث جهاز « كمبيوتر » للغوص في البحار ، طولُهُ (٤ بوصات ، وعرضه ٢ ١/٤ بوصة) وسُمْكُهَ (٧ بوصات) يعمل ببطاريات « ليثيوم » تدوم سبع سنوات ، وله شاشة بلورية . والجهاز يزود الغواص بمعلومات مهمة ، ويُؤَمِنَ سلامته ويحدد خط سيره ، ومعدلات الأعماق المختلفة ، وأقصى عمق يمكنه الوصول إليه ، والفترة الزمنية لبقائه في الأعماق ، ومعدلات الضغط ، ودرجات الحرارة ، كما أنه يعطي إشارات تنبيه عند الصعود السريع إلى السطح . والجهاز يمكن أن يتم ربطه في رسغ اليد أو إدخاله داخل الجيب ، ويتميز بأنه ضد المياه ، وسهل الاستخدام ، ولا يحتاج لأعمال صيانة .

تجارب لاستزراع بعض نباتات في الفضاء

تجرى الآن تجارب لإنتاج آلة في أحد مراكز الأبحاث التابع لوكالة الفضاء الأمريكية يمكنها تربية منتجات زراعية مثل الخس والجزر والطماطم ونباتات الحدائق المفيدة غذائياً في الفضاء لكي يستفيد منها ملاحو المحطات الفضائية أثناء رحلاتهم الفضائية الطويلة ، كما أن وجود مثل هذه النباتات في الفضاء لا يفيد غذائياً ، فقط بل معنوياً أيضاً . ولكن النباتات التي ستنتج في الفضاء سوف تكون أصغر حجماً من تلك التي تنتج على سطح الأرض .

مصباح يضيء ويطفيء تلقائيا

أنتجت إحدى الشركات البريطانية مصباحاً اقتصادياً في استهلاك الطاقة ، ويقلل من انبعاث غاز ثاني أكسيد الكربون الذي يزيد من (طبقة الأوزون) . المصباح يعمل بمجرد استشعاره وجود شخص في الغرفة التي يوضع بها بواسطة الأشعة المنبعثة من جسم الشخص . ويتأكد المصباح من أن النور في الغرفة كاف بواسطة خلية ضوئية كهربية فيه . وإذا كان الضوء غير كاف قام المصباح بإشعال نفسه تلقائياً ، وعندما يخرج الفرد أو الأفراد من الغرفة ينطفيء

تدريجياً ، وبمجرد عودة أى فرد إلى الغرفة يضىء وهكذا .. وإذا ثبت المصباح قريباً من النافذة فإنه يقلل الضوء المنبعث منه تبعاً لحجم الضوء القادم من النافذة .

الليزر للرقابة الصناعية

تمكن الباحثون فى إحدى الجامعات البريطانية من تطوير جهاز جديد يمكنه قياس سرعة الدوران فى أية آلة ومحرك ، وكذلك قياس درجة الالتواء للسيور والاهتزازات والتذبذبات وغيرها بواسطة (أشعة الليزر) حيث يتم توجيه شعاعين من الليزر منخفض الطاقة إلى الجزء المتحرك المراد قياس حركته أو سرعته من الماكينة أو المحرك . ومن المعروف أن الاهتزاز الالتوائى لأى جزء مثل عمود المرفق للمحرك قد يؤدى إلى تلف هذا العمود مع الوقت وتآكل أسنان التروس مع زيادة الضوضاء الناتجة ، فضلاً عن انزلاق السيور الناقلة للحركة وانخفاض الأداء مع مرور الوقت ، ولذلك يجب قياس الاهتزاز الالتوائى بدقة وإصلاح العطل فى الحال . وبذلك أمكن حل الكثير من مشاكل القياس الميكانيكى والهندسة بواسطة (أشعة الليزر) دون زيادة التكاليف ، أو الحاجة إلى إيقاف المحرك .

سيارة المستقبل متعددة المزايا

قام مهندسو إحدى الشركات اليابانية لإنتاج السيارات بتصميم سيارة جديدة المفهوم للتغلب على مشكلة ازدحام أماكن وقوف السيارات ، إذ يكفى أن يضغط الشخص على زر بالسيارة لكى تنتصب واقفة على مؤخرتها ، وتبدو عندئذ وكأنها مدخل البيت . ويمكن لهذه السيارة أن تحمل أربعة ركاب عندما تكون فى وضع السير على الطريق .. وعندما تكون واقفة ينفتح هيكلها ليشكل ما يشبه العمودين الجانبيين . وتجهز المرآتان الجانبيتان بإضاءة مميزة لكى لا يخلط زوار الليل بين السيارة ومدخل البيت الحقيقى .

قفاز لمساعدة المعوقين عن الكلام

اخترع علماء كنديون جهازا جديدا من الكمبيوتر لمساعدة المعوقين عن الكلام . والجهاز يستخدم شبكات عصبية يمكنها أن تتعرف على حركات اليد وتترجمها إلى أصوات . ولتشغيل الجهاز يرتدى مستخدمه قفازاً أسود اللون يتصل بأسلاك من « الفيبرجلاس » متصلة بالكمبيوتر ، وعند ابتداء القفاز تضىء الأسلاك فيقرأ الكمبيوتر حجم الأصابع ، وسرعة حركتها ، ويستعد لإيجاد الأصوات التى تلائم كل حركة ، وتدخل هذه الأصوات إلى المسجل فيترجمها إلى كلمات .

تنظيم ضربات القلب بالموجات اللاسلكية

توصل أحد أطباء القلب بأمريكا إلى أسلوب جديد لضبط ضربات القلب غير المنتظمة عن طريق إرسال دفعة من الموجات اللاسلكية إلى أجزاء فى عضلة القلب ، وقد نجح فى علاج ٩٥٪ من المرضى الذين عولجوا بها . ويتميز هذا الأسلوب بأمان بالغ ، ولا يعرض المريض لأية مخاطر على المدى البعيد . وعدم انتظام ضربات القلب مرض يهدد بصفة خاصة الأطفال والشباب الصغار الذين يعانون من نوبات من الدوخة نتيجة لارتفاع معدل ضربات القلب . وكان الأسلوب المتاح أمامهم إما تناول العقاقير التى قد تسبب لهم بعض الآثار الجانبية ، أو الجراحة التى تنطوى على نوع من المخاطرة .

فى المحيط الهندى بين موانى الجزيرة العربية وسواحل أفريقيا وآسيا وجزر أندونيسيا والبحر الأحمر (انظر فى الشكل خريطة علم البحار كما وضعها أحمد ابن ماجد).

وبذلك يكون ابن ماجد قد أرسى أصول « علم البحار » كما نعرفه اليوم بأنه مجال تتجاذبه اختصاصات عدة Interdsciplinary Field لدراسة البحار والمحيطات من مختلف جوانبها الطبيعية والجيولوجية والبيولوجية والكيميائية والقانونية وغيرها ولعل فى هذا ما يؤهله لما سجله التاريخ فى حقه من أنه قاد الملاح البرتغالى « فاسكو دى جاما » فى سنة ١٤٩٨ م فى بحر العرب حتى وصل به إلى مرفأ « كاليكوت » على الساحل الجنوبى الغربى من شبه جزيرة الهند . وفى تلك الرحلة كان مع ابن ماجد خارطة لجميع شواطىء الهند وعدد من الآلات والأدوات التى تعكس المستوى المتقدم للملاحين العرب .

وكان سليمان بن أحمد المهرى (المتوفى بعيد ٩٥٠ هـ - ١٥٥٣ م) ملاحا عربيا من حضرموت لايقل مقدرة عن ابن ماجد وله عدد من المؤلفات اهمها اثنان : « العمدة المهرية فى ضبط العلوم البحرية » فى الجانب العلمى النظرى من الملاحة ، ثم « المنهاج الفاخر فى علم البحر الزاخر » فى الجانب الفنى العملى من الملاحة ، ويرجع الفضل فى اكتشاف مؤلفات ابن ماجد وسليمان المهرى لجهود المستشرق الفرنسى جبرييل فران G. Ferrand فى الربع الأول من القرن العشرين(٩) .

أراء متقدمة لابن سينا فى علم البحار :

وتحدثنا مخطوطات التراث العلمى الإسلامى أن ابن سينا أيضا قد ساهم فى تطوير المعارف عن البحار ، حيث تناول توزيع القارات والمحيطات فوق سطح الكرة الأرضية ، ومصدر مياه البحر والأملاح فيها ومنشأ البحار والجبال والتيارات والأمواج ، وعلاقة المياه السطحية والجوفية بمياه البحر ، والعلاقة المتبادلة بين البحر واليابسة عبر العصور . ومن أوضح النصوص فى ذلك قوله : « البحر ساكن فى طباعه ، وإنما يعرض مايعرض من حركته بسبب رياح تنبعث من قعره ، أو رياح تعصف فى وجهه ، أو لمضيق ينضغط فيه الماء من الجوانب لثقله فيسيل مع أدنى تحرك ، ثم يلزم ذلك لصدم الساحل والنبو عنه إلى الناحية التى هى أغور ، أو لاندفاع أودية فيه مموجة له بقوة ، وخصوصا إذا ضاقت مداخلها وارتفعت وقل عمقها فيعرض أن يتحرك إلى المغار.. (١٠) .

وهنا يميز ابن سينا بين حركات مختلفة تعرف اليوم باسم التيارات المائية ، كما أنه يشير لأول مرة فى تاريخ العلم إلى وجود تضاريس متعرجة فى قيعان البحار والمحيطات . ذلك أنه لم يتم التعرف على طبيعة التضاريس المتباينة فى قيعان المحيطات إلا فى العصر الحديث ، عندما تمكن العلماء من قياس أعماق المحيطات ومد أسلاك (كابلات) الاتصال عبر المحيط الأطلسى . وطالما كان ضروريا أن نقيس عمق المحيطات مباشرة لقياس أبعادها بدقة ، فقد بقيت معرفتنا فى هذا الشأن محدودة إلى أن تم اكتشاف جهاز قياس الأعماق الكترونيا عن طريق الصدى Echo Sounder خلال العشرينيات من القرن الحالى(١١) .

وهكذا يتضح لنا كيف يسعى المتعصبون إلى طمس جهود السابقين والانحراف بتاريخ العلوم وتقنياتها عن مساره الصحيح ، وعلينا نحن معشر الأحفاد لخير سلف أن نعمل على إظهار الحقائق المنغمسة فى الشبهات .

(٩)راجع فى ذلك : عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٢١١ ومابعدها . راجع أيضا : د . انور عبدالعليم ، مرجع سابق ، ص ٥٢ .

(١٠) د. عدنان عاكف حمودى ، علم البحار عند ابن سينا ، ١٩٩٠ .

(١١) تاربوك ولوتجنز ، مرجع سابق ، ص ٤٦١ وما بعدها .

اللغة والأدب والنقد

لغة الاسبرانتو بين المد والجزر

نحو دراسة مقارنة لمدرسة الديوان
بين العقاد وهيني

منهج ابن الأثير في كتاب
أسد الغابة في معرفة الصحابة

لغة الاسبرانتو

بين المد والجزر

للدكتور/ توفيق محمد شاهين

تزداد وسائل الاتصال سرعة اليوم ، ولا ندرى ما يخبئه المستقبل حين يستقر أمر الصواريخ فتصبح وسيلة انتقال عادية .. وتتحدث الأرقام الهائلة عن كثافة سكانية فى أرجاء المعمورة ، وفى بعض البلاد تتطلب حنكة من حكومتها فى سبيل تثقيفها ورقيها وتوفير الحياة الكريمة لها .

ويتبع هذا وذاك كثرة كاثرة فى تنوع اللغات واللهجات على الصعيد المحلى والعالمى مما يجعل التفاهم بين أهل هذه الأقطار عسيراً فيما بينها ، فضلاً عن تفاهمها مع غيرها أو من الوافدين عليها سريعا ، والمقيمين بها مؤقتاً ، وما أكثر هذا فى هذا العصر لتبادل الخبرات ، أو بيعها ، أو تثبيت أركانها بالاستشارة ، أو السفر للمتعة والسياحة والترويح عن النفس ، أو دراسة أحوال الشعوب ، أو الاستكشاف .

وتقف اللغات عائقاً عن التفاهم المرجو ، والتعارف المطلوب ، والشرح الواف ، والوقوف على جلية الأمر .. اللهم إلا إذا كان هناك لغة حية مشتركة عالمية تشرح القصد ، وتعين على التفاهم والتخاطب .. وما أندرها أحياناً فى أقطار كثيرة مما يجعل الإشارة والحركة والتمثيل لغة تفاهم مبتور ، أو حوار مبغوم .

وهذا يقتضى أهل اللغة أن يبحثوا عن مخرج من هذه المآزق التى يتعرض لها الغرباء ، والوافدون ، والرواد ، وأصحاب الفكرة ، وتجار السلعة .

وكل قوم بلغاتهم معجبون ، وعنها لا يريمون حتى ولا بجذع الأنف ، وقديماً قال العرب : كل فتاة بأبيها معجبة .. ومازلنا نسمع صدى ذلك فى عصرنا هذا .. ولعله يمتد فى المستقبل قرونا .

ومن العسير أن نحمل الناس على تعلم لغة عالمية أو أكثر ، لضغط الحياة وقصور برامج التعليم ، وضيق الوقت .. مع أن الضرورة تحتم على المثقف أن يتقن أكثر من لغة حية فى عصرنا هذا ، الذى يمكننا فيه أن نفطر فى لندن ، ونتغدى فى كندا ، ونتعشى فى أمريكا الشمالية أو الجنوبية ، فإذا لم يلم المسافر بلغة حية فالحسرة

أمامه فى كل خطوة يخطوها والصعوبات تكتنف طريقه وسيره ، ويقع فى الحيرة أو الابتئاس .. إذا لم يجد إلا لغة قبيله فقط ، ولم يجد من يتفاهم معه أو يفهم عليه .

وتعلم اللغات ضرورة لاشك فى ذلك .. وناشىء الفتيان قادر على استيعاب أكثر من لغة ، وقد خطت دول كثيرة فى هذا السبيل لشبابها وطلابها .. ولكن بقيت بلاد كثيرة لم تخط سوى خطوات هزيلة فى هذا الصدد ، وعلى غير جدية .. ورحم الله أساتذة كانوا يصدون عن تعلم اللغات الأجنبية فى الأزهر ، مع أن ذلك ـ أى تعليم اللغات ـ من هدى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقومه ، ليأمنوا مكر غيرهم على الأقل .. وحين يقول : « اطلبوا العلم ولو بالصين » .. على الرغم مما قاله بعضهم من ضعف الحديث .. فإننا نقويه بأنه لا يصادم حث الاسلام على طلب العلم وتعليمه .. وليس فى الصين لغة عربية مثلاً ـ اللهم إلا من باب ترويج المعاملات التجارية أو السياسية ـ فإن حديث الرسول يوحى بنقل التكنولوجيا ـ على الأقل ـ وتعلم لغة الغير ، حتى لا توقع الإشارة فى حرج غير مأمون العواقب إطلاقا .

فلماذا لا نشجع « لغة الاسبرانتو » على أن تكون لغة تفاهم وتخاطب عالمية على الأقل ؟ وقديما حاول ابن عربى أن ينشىء لغة خاصة لأتباعه من الصوفية « بليبلان » ويبدو أن الكسل طواها فى زوايا النسيان .

ونحن نعلم أن لكل أبناء حرفة لغة يتفاهمون بها ولا يعلمها غيرهم إلا لماماً بكلمات وإلا إذا اندمج معهم فى حرفتهم ، وبخاصة اللصوص والشطار مثلاً .. على نحو ما حكى الدكتور عبد الصبور شاهين فى كتابه(١) : وقرأ العميان وفكروا بطريقة « برايل » واللمس البارز ، وأشرطة التسجيل .

وقبل أن نذكر شيئاً عن لغة « الاسبرانتو » التى نحبذها لغة تفاهم .. نذكر شيئاً عن صعوبات التفاهم فى الدنيا حتى بين أبناء البلد الواحد ، لا البلدان الأخرى تجاوزت أو تباعدت .

عشت فى نيجيريا مدرسا للعربية فى أوائل السبعينيات ، وكانت اللغة الرسمية هى الانجليزية ، للتبعية السابقة للبلاد . وبقيت لغة المستعمر بعد الاستقلال . وسألت عن لهجات التخاطب على الصعيد الشعبى ، فقيل لى : إنها اكثر من مائتين وخمسين لهجة فى أرض نيجيريا ، وتتشابك أكثر من ذلك مع مجاوريها . فكيف يكون الالتحام والتمازج الروحى والشعور الوطنى الواحد لشعب بين هذه التراكمات ؟ وأليس هذا بالتالى يسهل على العدو تمزيق وحدة الوطن أكثر وأكثر ، حينما تشيع اللهجات ، وتعتز كل قبيلة بما ألفت وعرفت ؟ وليس كل الناس يعرفون الانجليزية ، للصعوبات الناشئة عن الأمية أو الجهل فى تعلمها .. إلخ .

ومثل آخر فى الهند أرض العجائب ، نذكره عن مجلة شهيرة لاستطلاع وتحقيق عن الهند الشقيق ، جاء فيه : عالم الهند (عالم واسع غامض ، تعداده يزيد على سبعمائة وعشرين

(١) علم اللغة العام ـ د / عبد الصبور شاهين ط ثانية ١٣٩٧ هـ

لغة الأسبرانتو

مليون نسمة ، سيكون بعد عام ٢٠٥٠ « مساويا لعدد سكان الصين » .. والشعب الهندى خليط من القبائل والأجناس والأعراف والأديان ، وبالتالى : العادات والثقافات ، والتقاليد ، واللغات .

فهناك : التورانيين ، والمنغول ، والعجم ، والأفغان ، والبنغاليون ، والتاميل ، والهندوس ، والبنجابيون ، والآساميون ، وغيرهم ..

وهم يعتنقون أدياناً مختلفة ، منها : المسيحية ، والإسلام . وفى الهند ثانى أكبر مجموعة إسلامية فى العالم ، تشكل حوالى ١٠٪ من السكان ، ويفوق عددها مائة مليون نسمة ، والهندوس حوالى ثلاثمائة مليون نسمة ، وطائفة السيخ حوالى ١٤ مليون نسمة .

وتتخاطب شعوب شبه القارة الهندية باللغة الانجليزية ، مضافا إليها اللغات المحلية ، التى يصل عددها إلى ١٦٥٢ لغة منها ١٥ لغة معترفا بها رسمياً ، وهى المستخدمة من قبل ٩٠٪ من مجموع سكان الهند . واللغة الانجليزية فى الهند لغة رسمية تقابلها لغة الهندى ، التى تعتبر اللغة المحلية الأكثر تداولاً .

وفى الهند تفاعل إعلامى يترجم يوميا وأسبوعيا ودورياً عبر ١٩ ألف مطبوعة ، تعبر عن آراء مجموع الشعب الهندى وعقائده وأفكاره . وهى تصدر بحوالى ٨٤ لغة دولية ومحلية ، وتوزع الصحف يوميا ٥١ مليون نسخة .. مع غناها بالمواد التحريرية ، وحرية التعبير فى الرأى ، مع الالتزام بقواعد الحرية .. فضلاً عن وسائل الإعلام الأخرى ولهجاتها(٢) .

هذا ماقيل عن الهند ، ويمكننا أن نقول قريبا منه عن الباكستان ، وبنجلادش وغيرهما .. فأى صعوبة فى التفاهم على الصعيد الوطنى ، وأى حيرة وبلبلة للشعور ، وأى عذاب للوافد والزائر

الذى لا يعرف لغة تفاهم ، أو لهجة تخاطب ، وأى عذاب للسائح الذى لا يعرف لغة عالمية كالانجليزية ؟ وأنى لإنسان إتقان حوالى خمسين لغة مستخدمة اليوم ؟

****

أرى أن لغة « الاسبرانتو » تحل قدرا من هذه المشاكل بشكل عام - إذا ما قدر لها النجاح والانتشار - وتعين على نشر السلام والوئام فى أرجاء الدنيا ، وخاصة وقد اتضحت معالمها وتسامع الناس المثقفون بها ، ولها نـواد ومشجعون وأعضاء ، واستقرت لها كلمات وقواعد ، تجعل منها لغة رشيقة خفيفة ، تفى بالغرض ، وتؤنس النفس ، وتسد فراغا - لا كل الفراغ بالطبع - فى دنيا سيطرت فيها : الانجليزية ، والفرنسية والأسبانية ، وغطت معظم أرجاء المعمورة ، وتعصب للأولى والثانية أصحابها ، وحاولوا - بدفع قوى - إحلالها الذروة ، والتمكين لها ، والتشجيع عليها ، حتى وبدون مقابل فى الكنائس وأماكن الدراسة فيما وراء البحار ، لأغراض اجتماعية وسياسية

(٢) مجلة الحوادث الصادرة فى لندن ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٨٤ عدد ١٤٦٥ صـ ٩١ .

وتجارية فى المقام الأول ، بينما غيرها يدور فى فلك ضيق وفى مكان محدود .

فلم لا نولى لغة « الاسبرانتو » عناية ، ونأخذ بيدها ، علها تثير شاكلة انتباه للغة ، أو لغات أفضل منها وأسهل وأوقع ، للتفاهم والتقارب على الصعيد المحلى والعالمى .

لقد رأيت سائحين فى القاهرة ومدنها فى حيرة لانعدام من يفهم عنهم ومنهم ، وقال لى مبعوث من مصر إلى بلاد أوروبا من قبل : أنهم بكوا حين استقروا فيما وراء البحار لحاجز اللغة البغيض والسميك ، ولعل المخرج أو بعضه فى الاسبرانتو .

****

كثير من الشعوب والأمم يتعصب للغتهم ، ويفضلها على غيرها ، فقيل إن لسان أهل الجنة بالسريان . وقيل : بل تخاطبهم سيكون بالعربية ، وإن سخر ابن حزم من ذلك وهذا . وقرأت أخيراً أن التركية لغة أهل الجنة ، ولعل هذا من تأثير الخلافة الإسلامية حينما كانت فى تركيا . وأغرب ما قرأت أن لغة آدم فى الجنة كانت « سويدية » ولذلك كان من الصعوبة البالغة اختيار لغة عالمية من لغات بعينها . وحسنا فعل طبيب العيون « زامنهوف » فى اختياره « الاسبرانتو » وأخذ معظم مفرداتها من « اللاتينية » والبقية من لغات كثيرة ، ولا تزيد مفرداتها على ألف كلمة ، وقواعدها تنحصر فى ست عشرة قاعدة فقط . وجعلها من المرونة أو السهولة بما يتمكن المتعلم لها من استيعابها واستعمالها فى أقصر وقت ، فضلاً عن « ديناميكيتها » ، مما جعلها عند بعض المثقفين لغة الأمل الجديد ، لنتحدث بها إلى الناس ـ أو بعضهم ، فتفهم عليهم ، ويفهمون منك ، فلها قدرة سحرية على التفهيم والإفهام لطرفين وأطراف .

فما هى « الاسبرانتو » ؟ ومامعنى اسمها ؟ وما أهميتها ؟ ومن أشهر الذين تعلمـوها وتعاطفوا معها ؟ وما هوية مؤلفها ؟ وكيف استنبط فكرتها ؟ وما رأى « الاسبرنتيين » فيها ؟ وما مميزاتها ؟ وما مستقبلها ؟ وما هى الجهود التى تبذل فى سبيل انتشارها ؟ ولماذا تقام الصعوبات فى وجهها وهل لاختلاف مذاهب وآراء معتنقيها دخل فى تعثرها ؟

أسئلة كثيرة متعددة ومتشابكة .. إن أجبنا عليها فى إيجاز .. أزحنا الستار عن وجه « الاسبرانتو » ، وأشركنا القارئ الكريم فى الحكم لها أو عليها ، وفى التعاطف معها أو ضدها .. فليس فى مقدور إنسان أن يتكلم خمسين لغة هى الأكثر انتشاراً على الكرة الأرضية اليوم ، فلنحاول ، والله معنا ، علها محاولة تنجح ، فتنتشر بها أيضاً بعض ثقافتنا العربية والإسلامية فى العالم كله .. ونلقى بدلونا بين الدلاء .

« يتبع »

نحو دراسة مقارنة لمدرسة الديوان

بين العقاد وهينى

٢

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ

بعد أن تحدثنا فى المقال التمهيدى السابق[١] ، عن مدرسة الديوان ، والخصومة الأدبية التى نشبت بين عملاقين من عمالقة هذه المدرسة ، هما : عبد الرحمن شكرى ، وإبراهيم عبد القادر المازنى .. نرى أنه قد آن أن نتحدث عن العملاق الثالث ـ فى الترتيب الزمنى ، وليس فى التقدير : عباس محمود العقاد .

نشأت الصلة الأدبية ، أولا ، بين شكرى والمازنى ، حينما كانا طالبين فى مدرسة المعلمين العليا ، يقول العقاد : « فتعارفا وتزاملا قبل لقائى لهما ببضع سنوات .. أما أنا ، فلم ألق الأستاذ عبد الرحمن إلا سنة ١٩١٣ م ، بعد عودته من البلاد الإنجليزية ، ولم ألق الأستاذ المازنى إلا قبل ذلك ببضعة أشهر »[٢] ويقول : « فدراستى الآداب الأوروبية ، ومطالعاتى فى تواريخها ومذاهبها ، سابقة لمعرفتى بالأستاذين : شكرى والمازنى »[٣] .

وليست محاولة الحديث عن العقاد ، كرائد للاتجاهات المعاصرة فى الشعر العربى ، بالأمر الهين ، بل يجب ـ كما يقول الدكتور غنيمى هلال ـ رحمه الله : « أن يتهيبها ويتروَّى فيها كل من يحسّ بتبعة الكتابة عن أعظم شخصية ظهرت فى تاريخ فكرنا الحديث ، وليس ذلك بسبب غزارة النتاج الفكرى والفنى والنقدى ، وعمق هذا النتاج وامتداد ميادينه فحسب ، مما انفرد به العقاد بين مفكرينا منذ

---

(١) انظر عدد مجلة الأزهر الغراء ، الصادر فى غرة رجب سنة ١٤١٢ هـ .

(٢) ، (٣) انظر كتاب : (رواد الشعر الحديث فى مصر) للدكتور مختار الوكيل رحمه الله ص ١٠١ ـ ١٠٤ ط دار المعارف سنة ١٩١٣ م (الطبعة الثانية) .

نهضتنا الحديثة .. ولكن ـ على الأخص ـ لأن وراء ذلك كله ، شخصية العقاد ، التى تنتظم هذا النتاج كله ، وتؤلف بينه ، وتتوحّد معه »[٤] .

وبهذه العبارات الدالة الموجزة ، استطاع الدكتور غنيمى هلال أن يصور شخصية العقاد خير تصوير .

فقد بدأ العقاد رحلة العمر وهو لا يحمل غير الشهادة الابتدائية ، وعاش فى أقصى صعيد مصر ، بمدينة اسوان ، بعيداً عن الأضواء ومناهل الثقافة الثرَّة ، فى أسرة متوسطة الحال .. إلا أن ذلك لم يفُتَّ فى عضده ، فشمَّر عن ساعد الجد ، وأصبح أستاذ نفسه ، ووجد فى التثقيف الذاتى ، سبيله المنشود إلى التفوق والامتياز ، وتعويض ما فاته فى مقاعد الدراسة بالمدارس والجامعات .. وكأنى بلسان حاله ، فى نهمه للتحصيل العلمى والأدبى ، يَمْثُلُ فى قول صديقه الشاعر السكندرى الراحل عبد اللطيف النشار :

ظمئِـى إلى الـعـرفـان لايُـرْوَى وإن انـْزَفْتُ مـاء الفكـر فى بحـر الكُتُبْ

وبعد أن قطع العقاد شوطا كبيرا فى الاطلاع الواسع العميق ، على الأدبين : العربى والإنجليزى .. زادت ثقته بنفسه ، وبخاصة بعد أن وَفَدَ إلى القاهرة ، واستقر بها بصفة نهائية ، واحتك بكبار أدبائها ومفكريها ، وصال وجال مع بعضهم فى معارك أدبية عديدة ، نرجو أن نعود إلى تفصيلاتها فى مقال تال .

وقد توطدت صلة العقاد بسعد زغلول ، وأصبح كاتب الوفد الأول ، فى المعترك السياسى .. وبلغ من إعجاب سعد بالعقاد ، أن قال عنه ، إنه : (جبَّار القلم) ..

وقد أشار العقاد ، فى رثائه لسعد ، إلى هذه التسمية التى أطلقها «سعد» عليه ، بقوله :

انـا (جَبَّـارك) .. لا تـعـهـدنـى ذلـك الجبـار .. فى الـدمـع السخـين

ولسنا اليوم فى مجال الحديث المستفيض عن شتى جوانب عبقرية العقاد الفكرية والأدبية ، ولكننا سنقتصر على جانب واحد فقط من شاعريته ، فى معرض الدراسة المقارنة التى نتوخاها .. فهو ـ منذ قال بلسانه ، ولسان زميليه : شكرى والمازنى :

وإنّـا لمـرآة لمـا فى زمـاننـا تحـدث عنه .. حيث نـدرى ولا نـدرى

قد كان ايضا مرآة لمشاعره وأحاسيسه الذاتية ..

وسنوضح ذلك فى المقارنة التالية ، ما بين بعض نفثات العقاد الشعرية ، فى موضوع الانشغال والتفكير فى : (نهاية الحياة) ، وبين نفثة مماثلة للشاعر الألمانى : هنريك هَيْنِى[٥] (١٧٩٧ ـ ١٨٥٦) ، صادفتنى أثناء قراءتى لشعره المترجم إلى الإنجليزية .

(٤) انظر كتابه : (دراسات ونماذج فى مذاهب الشعر ونقده) ص ٢٩ .

(٥) وقد قام العقاد بترجمة بعض شعر هينى إلى العربية ـ شعرا ونثرا ـ ونشره بين دفتى ديوانه الذى يحمل عنوان : (عرائس وشياطين) وقد كان العقاد كثير القراءة لأشعار هينى ، كما يقول الدكتور عبد الفتاح الديدي بكتابه : (عبقرية العقاد) ص ٨٨ ط سنة ١٩٦٤ .

بين العقـــــاد وهينـــى

ترجمتنا الشعرية للنص :

خيالاتى التعيسة لا تحيدى
عن الإيقاع .. باللحن الشرود
وهيا واكبى يوم احتضارى
بتابوت عميق .. لى .. مديد
فسوف أصون فى التابوت سرا
اضن به .. على هذا الوجود

**

وهات النعش لى ضخماً كبيراً
يلائم ما بسرى سوف يودى
.. ليحمله الأشاوس من جنود
أشدَّاءٍ .. بعزم من حديد
لكى يمضوا إلى بحر عميق
ويُلْقُوا النعش فى القاع البعيد
فليس القبر متسعا بأرض
لهذا النعش .. بالجهد الجهيد

**

ولكن ياترى ما شأن سر
به التابوت يقبع فى جمود ؟
بدا كالطود فى أعْتَى رسوخ
مُحال أن يزحزح فى صعيد !

**

أرى فى الوهم أحلامى حيارَى
لكشف السر فى تَوْقٍ شديد :
لقد أوْدعْتُ طىَّ النعش حزنا
ووجدا .. من لظى قلبى العميد(٦)

(نص هينى بالإنجليزية) :

The evil dreams and bitter,
Old lilts of wicked song,
To bury now, come, bring me
A coffin deep and long.
I'll lay therein things many,
But what, I'll tell to none,
This coffin must be bigger
Than Heidel berg's great tun.
And bring a hier to match it,
Each stout and mighty beam
Long as the bridge that crosses
By mainz, the broad Rhine - stream
And bring me eke twelve giants,
Each stronger in the spine
Than stout St. Christopher's self in
The minster at Kolno Rhine
The twelve shall carry the coffin
No meaner grave should be

But Know ye why this coffin
Is heavy and hard to move ?
I've laid therein my sorrow,
I've laid therein my love.

---

(٦) يوجد بالنص الإنجليزى للقصيدة ـ كما هو واضح ، بعض أسماء لأماكن ببيئة الشاعر ، آثرنا عدم ترجمتها ، لأنها لا تهم القارىء ، ولا يعوق السياق حذفها . ولهذه القصيدة ترجمة نثرية للعقاد ، بديوانه (عرائس وشياطين) ص ١٤٢ ـ ١٤٣ فليرجع إليها من يشاء .

ونثبت ، بعد ذلك ، فيما يلى ، نص أبيات القصيدة الأولى للعقاد ، فى ذات الموضوع :

إذا شيعونى يوم تَقْضِى منيَّتِى وقالوا : أراح الله هذا المُعذَّبا
فلا تحملونى صامتين إلى الثرى فإنى أخاف اللحد أن يتهيبا
وما النعش إلا المهد .. مهد بنى الورى فلا تُحْزنوا فيه الوليد المغَيَّبا
ولا تذكرونى بالبكاء ، وإنما أعيدوا على سمعى القصيد فأطربا

وقد تم تنفيذ (وصية) العقاد هذه ، بعد أربعين عاما من نظمها ، عند وفاته فى الثانى عشر من مارس سنة ١٩٦٤م ـ ونلاحظ أن العقاد ، فى البيت الأول ، يتحدث عن رحمة الله سبحانه وتعالى ، التى ستكفل الراحة لهذا (المُعذَّب) .. فالعذاب إذن قاسم مشترك فى القصيدتين ، يجمع بين طياته مشاعر الأسى العميق .. إلا أن « هينى » يبدو أشد حزنا ، بدليل هذا التابوت الضخم الذى طلب استحضاره لحمل بثه ووجده الشديدين .. معه كما أنه يخاطب فى مستهل قصيدته أحلامه وخيالاته التعسة فى حين يخاطب العقاد أصدقاءه ومُريديه ..

ونعش العقاد نعش عادى ، هو (مهد) بنى الورى أجمعين وأبيات العقاد تنم عن طبيعته المتفائلة ، حتى فى هذا الموقف الفاجع ، فهو يطلب من مشيِّعيه أن يكفوا عن البكاء ، ويستعيضوا عنه بالتغنى بالشعر ، الذى كان أقرب الأجناس الأدبية إلى نفسه .. بل إننا نرى العقاد ، فى أبيات أخرى ، فى ذات الموضوع ، يقول ما يؤيد ما ذهبنا إليه :

ستغرب شمس هذا العمر يوما ويغمض ناظرى ليل الحِمام
فهل يسرى إلى قبرى خيال من الدنيا .. بأخبار الأنام
ويُمْسى طيف من أهوى سميرى ويؤنس وحشتى ترجيعُ هام
وأحلم بالزواهر دائرات وبالزهر المنوّر والغمام
.. ألا ليت النيام هناك تحظى بأحلام كأحلام النيام
وليت الورد يُورق فوق رمسى فتعبق فى نوافحه عظامى !
وأبسم فى أزاهره ، لدنيا عبسْتُ لوجهها .. فوق الرغام

فنحن فى هذه الأبيات ، نراه مازال يحن إلى بنى الدنيا وأنبائهم ، بعد الرحيل عنهم ، ويشتاق إلى مباهج الحياة .. فى حين نجد هينى ، يريد أن يسرع بالرحيل ، متعجلا ، عن دنيا البشر ، إلى أغوار بحر عميق ، حيث يتلاشى ، مع سره الرهيب ، فى قرارة موجاته .

وفى قصيدة شامخة ثالثة للعقاد ، يكتمل إطار الصورة ، التى تمثل ثورة نفسه ، ولواعجه وتفرده بالأسى والألم ، فى ساعة عصيبة مر بها فى حياته الحافلة .. وكأنه يُفَصِّل فيها ما أجْمله هينى فى قصيدته ، ويشرح الآلام الرهيبة الدفينة ، التى لم يحاول « هينى » أن يُصرِّح بها ، ويعرضها علينا بإفاضة وإسهاب .. يقول العقاد ، بالتياع ـ ولكن بقوة احتمال .. يتفق وما عُرف عنه من زهو واعتداد بالنفس :

البقية ص ٩٧٢

ثانيا: منهج ابن الأثير في كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة

للدكتور شكرى يوسف حسين أحمد

هذا الكتاب حلقة فى سلسلة طويلة من الكتب التى بداها أبو الحسن على بن عبد الله شيخ البخارى ، وحمل الشعلة من بعده تلميذه محمد بن إسماعيل البخارى صاحب الصحيح ، وقد تعاقبت عليها من بعدهما أيدى الحفاظ والمؤرخين حتى إمامنا عز الدين صاحب هذا الكتاب(١٥)

وموضوع هذه الكتب جميعا هو : أصحاب النبى - عليه الصلاة والسلام - الذين وعوا علمه ، وحملوا رسالته ونقلوا أحاديثه ، وتشبهوا به فى كل شىء حتى فى حركاته وسكناته ، الأمر الذى حفز هؤلاء الأئمة إلى التعريف بهم والترجمة لهم ، وذكر ما حُفظ من مآثرهم ومفاخرهم ومواقفهم فى ساحات الجهاد فى سبيل الله تحت راية النبى - على الصلاة والسلام .

وقد صدر ابن الأثير كتابه أسد الغابة هذا بخطبة ألمح فيها إلى الظروف التى كانت تحيط به عند تأليف هذا الكتاب ، والأسباب التى دفعته إلى السير فيه على الرغم من قلة المراجع والمصادر لديه فنراه يقول : « واتفق أنى سافرت إلى البلاد الشامية ، فلما دخلتها اجتمع بى جماعة من

* انظر عدد مجلة الأزهر - رجب ١٤١٢هـ - ص ٨٣١ .

(١٥) ابن الأثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة جـ ١ ص ٤ ، ٦ .

أعيان المحدثين وقالوا : إننا نرى كثيرا من العلماء الذين جمعوا أسماء الصحابة يختلفون فى النسب والصحبة والمشاهد التى شهدها الصاحب ، إلى غير ذلك من أحوال الشخص ، ولا نعرف الحق فيه ، وحثوا عزمى على جمع كتاب لهم فى أسماء الصحابة - رضى الله عنهم - أستقصى فيه ما وصل إلىّ من أسمائهم ، وأبين فيه الحق فيما اختلفوا فيه ، فاعتذرت إليهم لتعذر وصولى إلى كتبى وأصولى ، وأننى بعيد الدار عنها ، ولا أرى النقل إلا منها ، فألحوا فى الطلب ، فثار العزم الأول ، وتجدد عندى ما كنت أحدث به نفسى ، وشرعت فى جمعه والمبادرة إليه »(16) .

ثم تحدث حول المنهج الذى التزمه فى إعداده لهذا الكتاب ، وعقد بعد ذلك فصلين ، أحدهما للكتب التى رجع إليها ، وقد بدأها بذكر كتاب « تفسير القرآن المجيد لأبى إسحاق الثعلبى »(17) ، وانتهى منها بذكره لكتاب « مغازى ابن إسحاق »(18) وكتاب « طبقات محدثي الموصل » .

وكانت وجهة نظره تجاه هذا الأمر أن يذكر أسانيد الكتب الكبار التى خرج منها الأحاديث وغيرها والتى تكرر ذكرها فى كتابه كى لا يطول السند ، ولا يذكر فى ثنايا الكتاب إلا اسم المصنف وما بعده مراعاة للاختصار وعدم الإطالة على حد تعبيره(19) .

فنراه يقول - على سبيل المثال - فى كتاب « تفسير القرآن المجيد للثعلبى » : أخبرنا به أبو العباس أحمد بن عثمان بن أبى على بن مهدى الزرزارى قال : أخبرنا الرئيس مسعود بن الحسن القاسم الأصبهانى ، وأبو عبد الله الحسن بن العباس الرستمى ، قالا : أخبرنا أحمد بن خلف الشيرازى ، قال : أنبأنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى بجميع كتاب : (الكشف والبيان فى تفسير القرآن) سمعت عليه من أول الكتاب إلى آخر سورة النساء ، وأما من أول سورة المائدة إلى آخر الكتاب فإنه حصل لى بعضه سماعا وبعضه

(16) ابن الأثير : أسد الغابة جـ 1 ص 11 .

(17) الثعلبى : هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى النيسابورى ، كان أوحد زمانه فى علم التفسير ، صنف التفسير الكبير الذى فاق غيره من التفاسير ، وله كتاب (العرائس) فى قصص الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، ويقال له الثعلبى ، والثعالبى وهو لقب له وتوفى رحمه الله سنة ٤٢٧ هـ . ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ 1 ص 61 .

(18) ابن إسحاق : هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار ابن جبار - المطلبى بالولاء المدنى ، صاحب المغازى والسير ، كان ثبتا فى الحديث عند أكثر العلماء ، أما المغازى والسير فلا تجهل إمامته ، وكان جده يسار مولى لقيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف القرشى ، قال ابن شهاب الزهرى : من أراد المغازى فعليه بابن إسحاق ، وذكره البخارى فى تاريخه ، وروى عن الشافعى - رضى الله عنه - أنه قال : من أراد أن يتبحر فى المغازى فهو عيال على ابن إسحاق ، وقد أتى ابن إسحاق أبا جعفر المنصور وهو بالحيرة فكتب له المغازى ، فسمع منه أهل الكوفة بذلك السبب ، أما مولده فقد كان سنة ٨٥ هـ واختلف فى سنة وفاته والأرجح أنها كانت سنة ١٥١ هـ ، ودفن فى مقبرة الخيزران بالجانب الشرقى من بغداد ، ومن كتبه - رحمه الله - أخذ عبد الملك بن هشام سيرة النبى - عليه الصلاة والسلام . ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٤٠٥ د / جاد محمد رمضان : تاريخ الحضارة الإسلامية ص ٩٦ الطبعة الأولى سنة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م ، دار الطباعة المحمدية بالأزهر ، د . محمد عبد الوهاب فضل : التاريخ وتطوره فى ديار الإسلام ص ١٢٨ .

(19) ابن الأثير : أسد الغابة جـ 1 ص 14 .

أسد الغابة فى معرفة الصحابة

إجازة ، واختلط السماع بالإجازة ، فأنا أقول فيه : أخبرنا به إجازة إن لم يكن سماعا ، فإذا قلت : أخبرنا أحمد بإسناده إلى الثعلبى فهو بهذا الإسناد »[٢٠] .

أما عن كتاب « مغازى ابن إسحاق » فيقول : أخبرنا به أبو جعفر عبيد الله بن أحمد بن على ، أخبرنا أبو الفضل محمد بن ناصر بن على ، قال : أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمود بن النقور إجازة ، قال أبو جعفر : وأخبرنا أبو الحسن على ابن عساكر البطائحى ، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين بن على المرزوقى ، أخبرنا أبو الحسن بن النقور ، أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص ، أخبرنا : أبو الحسن رضوان بن أحمد الصيدلانى ، أخبرنا : أبو عمر أحمد بن عبد الجبار العطاردى ، حدثنا يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، فإذا قلت فى الكتاب بهذا الإسناد فهو معروف[٢١] .

وأما الفصل الثانى : فكان لطرف من سيرة النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ من مولده حتى هجرته ، ثم لجملة من الحوادث التى وقعت بعد ذلك[٢٢] ، وختم هذا الفصل الأخير بذكر أشياء مما كانت تخصه ـ عليه الصلاة والسلام ـ من سلاح ، وثياب ، وجُمَلٍ من أخلاقه ومعجزاته ـ ﷺ [٢٣] .

ثم انتقل بعد ذلك إلى الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فترجم السبعة آلاف وخمسمائة وأربعة وخمسين منهم ، فيما ذكره صاحب الإصابة[٢٤] .

والذى يقرأ فى تدبر منهج ابن الأثير فى هذا الكتاب يلاحظ أنه قد تميز بالدقة التى تجاوزت الحد .

فهو قد رتب الأسماء التى ترجم لها ترتيبا هجائيا جمع فيه بين الدقة والوضوح .

وأثبتت المصادر التى رجع إليها بأسمائها وأسماء أصحابها .

ثم فسر الألفاظ الغريبة حتى يكفى القارىء مؤنة الوقوف عندها والتنقيب عليها فى المعاجم والقواميس .

وليس هذا فحسب فقد تجنب الإطالة وذلك باختصار عبارات الرواة واكتفائه منها بالزبدة والخلاصة حتى لا يسأم القارىء ولا يمل من كثرة ترديد المعنى الواحد بألفاظ مختلفة[٢٥] .

أضف إلى هذا كله أن ابن الأثير قد اعتمد فى تأليف هذا الكتاب على أربعة من أقطاب هذا الفن وأعلامه وهم : ابن منده[٢٦] وقد رمز إليه

(٢٠) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .
(٢١) ابن الأثير : أسد الغابة جـ ١ ص ١٧ .
(٢٢) ابن الأثير : أسد الغابة جـ ١ ص ١٣ .
(٢٣) المرجع السابق نفس الجزء ص ٣٥ ، ٣٦ .
(٢٤) ابن حجر : الإصابة فى تميز الصحابة جـ ١ ص ٣ تحقيق على محمد البجاوى ، ط ونشر دار نهضة مصر ـ الفجالة بالقاهرة .
(٢٥) ابن الأثير : أسد الغابة جـ ١ ص ١٢ .
(٢٦) ابن منده : هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن منده العبدى الحافظ المشهور ، كان أحد الحفاظ الثقات ، ومن أهل بيت كبير خرج منه جماعة من العلماء ، ووالدته اسمها برة بنت محمد وكانت من بنى عبد ياليل فنسب إلى أخواله وتوفى رحمه الله سنة ٣٠١ هـ . ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٤١٦ .

(بالدال) وأبو نعيم[٢٧] وقد رمز إليه (بالعين) ، وابن عبدالبر[٢٨] وقد رمز إليه (بالباء) ، وأبو موسى[٢٩] وقد رمز إليه (بالسين) .

وعلى الرغم من اعترافه برسوخ هؤلاء فى العلم وبروزهم فى دنيا هذا الفن ، فإنه قد استدرك عليهم ونبه إلى ما تبين له من وهم أو خطأ .
وأضاف إلى ما نقله عنهم الكثير مما لم يرد له ذكر فى كتبهم[٣٠] .

ويكفى أن نعرف أن ما جمعه ابن الأثير فى كتابه أسد الغابة قد كان ضعف ما جمعه ابن عبد البر تقريبا فى كتابه (الاستيعاب) فقد ترجم لأربعة آلاف ومائتين وخمسة وعشرين من صحابة رسول الله - رضوان الله عليهم - اجمعين[٣١] .

مما تقدم نرى أنه من أجل هذه الجهود المضنية التى بذلها فى هذا الكتاب ، وهذه المزايا الكثيرة التى انفرد بها من بين الكتب التى سبقته فى هذا الميدان ، فقد استقبل فى الأوساط الثقافية أحسن استقبال ، ونشط فحول العلماء كما هى العادة لمدارسته والاستدراك عليه ، وقد عرض له الحافظ ابن حجر فى كتابه « الإصابة فى تميز الصحابة » بالمدح والتقريظ غير أنه قد أخذ عليه امورا منها :

أنه قد خلط بأصحاب النبى - عليه الصلاة والسلام - ما ليس منهم ، وقد أغفل الكثير من الأوهام الموجودة فى الكتب السابقة عليه ، وعلل هذا بأنه قد كان ناقلا ينسخ ما كتبه غيره[٣٢] .

وعندنا : أن عز الدين بن الأثير قد كان رجل تاريخ ، ولم يكن رجل حديث ، وأنه من أجل ذلك كان ينقل عن غيره ، وأكثرهم من حفاظ السنة وائمتها المبرزين فيها .

---

(٢٧) أبو نعيم : أحمد بن عبد الله بن احمد ابن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهانى الحافظ المشهور ، كان من اعلام المحدثين وأكابر الحفاظ الثقات ، أخذ عن العلماء الأفاضل ، وأخذوا عنه وانتفعوا به ، له مؤلفات عديدة منها : كتابه (حلية الأولياء) ، وكتاب (تاريخ أصبهان) ، وقد ولد رحمه الله فى رجب سنة ٣٣٦هـ . وتوفى سنة ٤٣٠ هـ بأصبهان . ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ص ٧٥ .

(٢٨) ابن عبد البر : أبو عمر يوسف ابن عبد البر بن محمد بن عبد البر عاصم النمرى القرطبى ، إمام عصره فى الحديث والأثر وما يتعلق بهما ، صاحب كتاب الاستيعاب ، له تصانيف عديدة : فقد ألف فى الموطأ كتبا مفيدة منها : كتاب التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد ، وله كتاب « جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته وحمله » ، وكتاب الدرر فى اختصار المغازى والسير ، وكتاب العقل والعقلاء وما جاء فى أوصافهم ، إلى غير ذلك من التصانيف العديدة ، قال القاضى أبوعلى بن سكرة : سمعت شيخنا القاضى أبا الوليد الباجى يقول : لم يكن بالأندلس مثل أبى عمر بن عبد البر فى الحديث ، وقال أيضا : أبو عمر احفظ أهل المغرب ، وقد ولد هذا العالم فى شهر ربيع الآخر سنة ٣٦٨ هـ وتوفى رحمه الله يوم الجمعة آخر شهر ربيع الآخر سنة ٤٦٣ هـ : ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٦ ص ٦٤ ، ٦٩ .

(٢٩) أبو موسى : هو محمد بن أبى بكر عمر بن أبى عيسى أحمد بن عمر بن محمد بن أبى عيسى الأصبهانى المدينى الحافظ ، كان إمام عصره فى الحفظ والمعرفة له فى الحديث والمعارف تصانيف مفيدة ، فقد الف كتاب (المغيث) فى مجلد كمل به كتاب الغريبين للهروى ، وله كتاب (الزيالات) جعله ذيلا على كتاب شيخه أبى الفضل محمد بن طاهر المقدسى الذى سماه كتاب الأنساب ، وكانت ولادته فى ذى القعدة سنة ٥٠١ هـ ، أما وفاته فكانت فى جمادى الأولى سنة ٥٨١ هـ . ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٤١٤ .

(٣٠) ابن الأثير : أسد الغابة جـ ١ ص ١٣ .

(٣١) ابن عبد البر : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب جـ ٤ ص ١٩٦٥ ، تحقيق على محمد البجاوى ، ط ونشر مكتبة نهضة مصر - القاهرة .

(٣٢) ابن حجر : الإصابة جـ ١ ص ١٦ .

أسد الغابة فى معرفة الصحابة

وسبب آخر وهو أنه قد كتب مؤلفه هذا بعيدا عن كتبه ، فلم تكن لديه المصادر التى تعينه على مناقشة هؤلاء الأعلام ، والتعرض لما وقعوا فيه من الأخطاء والأوهام[٣٣] ، وقد صرح ابن الأثير نفسه بأنه كان يريد إعادة ما كتب لذكر الأسانيد ، لكن كان له عذره الذى حال بينه وبين ذلك فنراه يقول : « ثم إنى عدت إلى الوطن بعد الفراغ منه ، وأردت أن أكثر الأسانيد ، وأخرج الأحاديث التى فيه بأسانيدها ، فرأيت ذلك متعبا يحتاج أن أنقض كل ما جمعت ، فحملنى الكسل وحب الدعة والميل إلى الراحة إلى أن نقلت ما تدعو الضرورة إليه مما لا يخل بترتيب ، ولا يكثر إلى حد الإضجار والإملال »[٣٤] . والحق : إن أسد الغابة على الرغم من المآخذ التى أخذت عليه ، كتاب قيم ، يحيط القارىء علما بالفترة التى عاشها النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ والأحداث التى وقعت فيها من خلال ما ترجم لهم من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كما أن القارىء سوف ينقصه الكثير إذا لم يتناول هذا الكتاب الجليل .

ونسأل المولى سبحانه وتعالى العون والتوفيق .

مصادر البحث

أولا : المصادر القديمة :

ابن الأثير : على بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى ت سنة ٦٣٠ هـ .

١ ـ أسد الغابة فى معرفة الصحابة . ط الشعب سنة ١٩٧٠ م .

٢ ـ الكامل فى التاريخ . ط بيروت سنة ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .

ابن حجر العسقلانى : أحمد بن على ت سنة ٨٥٢ هـ .

٣ ـ الإصابة فى تميز الصحابة . تحقيق على محمد البجاوى ط ونشر دار نهضة مصر بالفجالة ـ القاهرة .

ابن خلطان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن إبراهيم ت سنة ٦٨١ هـ .

٤ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ط ونشر مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٤٨ م .

السبكى : تاج الدين أبى نصر عبد الوهاب بن تقى الدين السبكى ت سنة ٤٢٢ هـ .

٥ ـ طبقات الشافعية الكبرى . ط ونشر دار المعرفة بيروت .

ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن أحمد ت سنة ٤٦٣ هـ .

٦ ـ الاستيعاب فى معرفة الأصحاب . تحقيق على محمد البجاوى ط ونشر مكتبة نهضة مصر ـ الفجالة بالقاهرة .

المسعودى : على بن الحسن ت سنة ٣٤٥ هـ .

٧ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر . تحقيق

(٣٣) ابن الأثير : أسد الغابة جـ ١ ص ١١ .

(٣٤) المرجع السابق : نفس الجزء والصفحة .

محيى الدين عبد الحميد سنة ١٣٧٧ه ، ١٩٥٨ م المكتبة التجارية بالقاهرة ـ الطبعة الثالثة .

ابن النديم : أبو الفتح محمد بن إسحاق ت سنة ٣٨٥ هـ .

٨ ـ الفهرست . المطبعة الرحمانية بالقاهرة سنة ١٣٤٨ هـ .

ياقوت : شهاب الدين الحموى ت سنة ٦٢٦ هـ .

٩ ـ معجم البلدان . دار إحياء التراث العربى بيروت سنة ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م

١٠ ـ معجم الأدباء ـ ط دار المأمون بالقاهرة ـ الطبعة الأخيرة .

ثانيا : المراجع الحديثة :

إبراهيم زكى خورشيد وآخرون .

١١ ـ دائرة المعارف الإسلامية ، مراجعة محمد أحمد جاد المولى .

دكتور / جاد محمد رمضان .

١٢ ـ تاريخ الحضارة الإسلامية . ط دار الطباعة المحمدية بالأزهر سنة ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م ـ الطبعة الأولى .

دكتور / محمد عبد الوهاب فضل .

١٣ ـ التاريخ وتطوره فى ديار الإسلام حتى نهاية القرن الثالث الهجرى ومناهج البحث فيه . ط الأمانة ـ جزيرة بدران شبرا ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٩ هـ ـ سنة ١٩٨٨ م .

قراءة في كتاب

مـواقف من السيرة النبوية

تأليف: مصطفى حسين عطار

اصدار: دار العلم للملايين / بيروت

عـرض وتعليق

أحمد السـيد تقى الديـن

تغير العالم بعد بعثة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانتقلت الإنسانية من فصل قحل فى العقيدة إلى فصل ينبض كله بالروح السليم والعقل الصحيح ، فتغيرت طباع الناس ، وأشرقت القلوب ، بنور ربها وعم الإقبال على الله ، واطلع الإنسان على طعم جديد لم يألفه ، وذوق لم يجربه ، وهيام لم يعرفه .

من هنا تأتى أهمية الكتابة والتأليف من وحول تاريخ السيرة النبوية العطرة ومن هنا كان اختيار هذا الكتاب للعرض فى هذا العدد والكتاب يحمل عنوان « مواقف من السيرة النبوية للأستاذ مصطفى حسين عطار الذى يصف كتابه بأنه :

فصول مختارة كان قد كتبها قبل عشر سنوات للإذاعة السعودية لتذاع ضمن برنامجها العام كحديث للسهرة مساء كل أربعاء ، وهى مواقف مختارة من سيرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويؤكد المؤلف أنه أعد هذه الأحاديث أساسا للشباب الذين نعدهم للحياة الفاضلة مسلحين بسلاح الدين لنقدم لهم صورا فريدة فى التاريخ الإنسانى لمكارم الأخلاق صالحة للاقتداء جديرة بالتأسى .

وقد سطر المؤلف من فصول السيرة النبوية بعض ماهو خاص بالرحمة العظيمة التى كانت السمة اللازمة لرسول الهدى ـ صلى الله عليه وسلم ـ استوحاها من جملة مواقفه مع أصحابه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشفقته على أمته ورأفته بها ، وذلك بعد كتابته عن تاريخه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل البعثة ، والأدوار التى مرت بحياته الشريفة بدءا بدور الحمل والرضاعة والكفالة فى عهد الطفولة وما كان من حماية الله سبحانه وتعالى لعبده ـ صلوات الله وسلامه

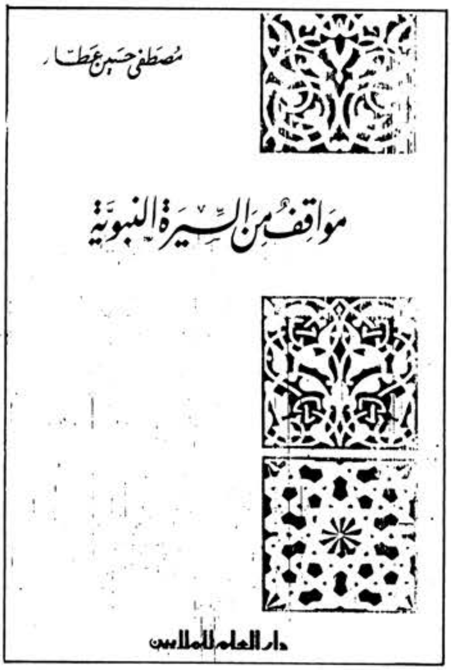

عليه — من أرجاس الجاهلية ، ثم انتقل إلى زواجه من خديجة — رضى الله عنها — ثم تناول مقدمات حمل الرسالة وما كان من تعبده بغار حراء ونزول الوحى عليه — صلوات الله وسلامه عليه .

ثم تحدث المؤلف عن الحب الذى كان يغمر قلوب الصحابة — رضوان الله عليهم — للرسول الكريم — صلى الله عليه وسلم — وخص بالذكر الصديق — رضى الله عنه — وعمر بن الخطاب ، وسعد بن معاذ — رضوان الله عليهم أجمعين .

وحرص المؤلف كذلك على تناول مكانة المرأة فى الإسلام ، وتوجيهات الإسلام للأمة عن ضرورة إكرام المرأة ، وعدم إهدار حقوقها ، ورعاية جانبها أختا وزوجة ، ولاسيما وهى حقوق منصوص عليها حقا بعد آخر ، ولم يتركها القرآن للاستنتاج .

ثم ختم المؤلف كتابه بالحديث عن غزوة حنين وماجرى فيها من أحداث عظام تدفع بالعبر وتهدى إليها .

هذا ملخص تقريبى لما احتواه هذا الكتاب الذى انتظمت موضوعاته فى إطار (٣٦٠) صفحة ولنا عليه ملاحظات لاتقلل من قيمته ، بل تؤكد أهمية مضموناته .

المؤلف نبه فى مقدمته إلى أن كتابه هذا كان جملة أحاديث كتبها للإذاعة السعودية لذا كنا نود عند رصدها فى كتاب أن يصل بينها فتخرج للناس كتابا ذا وحدة فى الموضوع لها كل سمات الوحدة وعضويتها ، فللكتاب بقاء قد لايطاوله الحديث الإذاعى الذى قد ينتهى بعد إلقائه .

ولقد ضم الكتاب خمسة وثلاثين موضوعا ، حبذا لو ضمها الكتاب بصورة أشمل من تجزئتها فى هذه الحلقات ليستطيع أن يتابع وحدتها القارىء والباحث على حد سواء لاسيما وهى موضوعات جليلة تتناول جوانب ثرة فى حياة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كمثل : « الرسول والرفق » « الرسول والرحمة » « الرسول والوفاء » .... الخ .

ويبدو أن المؤلف لم يأت فى كتابه بكل ماأذاعه بل اختار ماأمكنه منها ، ويبدو لى أنه لو توفرت للمؤلف كتاباته الإذاعية لأمكنه أن يضع عناوين شاملة للعديد منها ، فكان يقول — مثلا —

قراءة فى كتاب

مواقـف من السـيرة النبويـة

« الأسرة فى الإسلام » بدلا من تجزئه الموضوع إلى العديد من الحلقات بعناوين متقاربة .

كذلك يسوق المؤلف موضوعاته ومعها آيات من الكتاب العزيز وأحاديث من السنة النبوية الكريمة ، وهذا الكم الوفير الذى اضطلع المؤلف بتدوينه دليل على اهتمامه بموضوعاته ، لذا نرجو عند إعادة طبع هذا الكتاب أن يلحق بالآيات والأحاديث بيان مواطنها من القرآن الكريم ومصادر السنة ، ففى ذلك هدى وبيان يقطع على القارىء الشك فى صحة الأحاديث ، حبذا لو عنى فى الطبعة اللاحقة برصد المصادر بطريقة واحدة لاتختلف من صفحة إلى أخرى ليتم لها نسق واحد ، يساعد القارىء والباحث تماما على دقة الإلمام بالمصدر وأهميته ، ولقد يكون ذلك غير مطلوب فى الحديث الإذاعى ، لكنه فى الكتاب ضرورة علمية .

وقد وفق المؤلف فيما جرى به قلمه من أسلوب ، فقدم مادته دون غموض أو عبارة مسفة ، وذلك يضفى على المؤلَّف وقارا يتناسب مع الموضوع .

ويعتبر اختيار المؤلِّف فى هذه الجوانب اختيارا موفقا حتى إن اختياره لموضوع الشفاعة كان جديرا بالإشادة به ، فإن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينفرد بها نعمة للمؤمنين .

وحديثه للشباب يجعل اختياره لموضوع آداب الزواج اختيارا فى محله حتى تستقيم للشباب معرفة بالواجب ، وحقوق البيت والزوجة ، وقيمة ذلك كله فى الإسلام .

نسأل الله الكريم للمؤلف دوام التوفيق رفعة للإسلام وتبصرة للمسلمين .

نحو دراسة مقارنة لمدرسة الديوان - بقية

ظمـآن ظمـآن لا صـوب الـغمـام ولا عـذب المدام .. ولا الأنـداء تـروينـى
حـيران حـيران .. لا نجـم السمـاء ولا مـعـالـم الأرض فى الـغمَّـاء تـهـدينـى
يقظـان يقظـان .. لا طيب الـرقـاد يـدا نينـى ، ولا سَمَـرُ السُّمَّـار يُلـهينـى
غصَّـان غصَّـان لا الأوجـاع تبلينـى ولا الكـوارث والأشجـان تبكينـى

إلى أن يقول فى هذه الزفرات الحارة الملتهبة :

هم أطلقـوا الحزن ، فـارتاحت جـوانحهم ومـا استـرحـت بحـزن فىً مـدفـون
أسـوان أسـوان ، لا طـب الأسـاة ولا سحـر الـرقـاة مـن الـلأواء يشفينـى
أصـاحـب الـدهـر ، لا قلبٍ فيسـعـدنى عـلى الـزمـان ، ولا خِـلّ فيـأسـونـى
.. يديْك فَامْحُ ضَنىً ، ياموتُ .. فى كبدى فلسـتَ تمحـوه إلا .. حـين تمحـونـى

والبيت الأخير ، يتفق فيه مع هينى ، فى شدة الحزن ، والرغبة الشديدة فى الاستراحة ، بالموت ، من الحياة .

أنباء وآراء

إعداد عبد المنعم فودة / مصطفى عبد المجيد

أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر

الإمام الأكبر يشهد مؤتمر ضوابط وأخلاقيات التكاثر البشرى بكلية الطب - جامعة الأزهر

شهد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر مؤتمر ضوابط وأخلاقيات التكاثر البشرى الذى نظمه المركز الدولى الإسلامى للدراسات والبحوث السكانية بجامعة الأزهر .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر فى الكلمة التى القاها أمام المؤتمر على المقاصد الخمسة للشريعة الإسلامية التى تستلزم من الفرد والمجتمع الحفاظ عليها وهى حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال .

كما أكد فضيلته على أن مهمة الطب حفظ الصحة الموجودة ورد الصحة المفقودة وأشار فضيلته إلى أن أولى أخلاقيات العلماء الشعور بالمسئولية تجاه هذه الإنسانية فلا يسعون إلى هدم مابناه الله .

وطالب فضيلته المؤتمر أن يمد بحوثه إلى معالجة العقم طلبا للاستقرار النفسى لأولئك الذين لم تثمر زيجاتهم مولودا حتى يستديم حبل المودة والرحمة .

وأكد فضيلته فى ختام الكلمة التى القاها أمام المؤتمر على أن الإسلام يدعو إلى المباعدة بين الإنسان وبين أن يكون حقل تجارب فى أى طور من أطوار وجوده .

٧١ ألف جنيه لترميم المعاهد الأزهرية بمحافظة شمال سيناء

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر مبلغ ٧١ الف جنيه لترميم وتجديد خمسة معاهد أزهرية بمحافظة شمال سيناء وهى : معهد العريش النموذجى ، وبئر العبد الإعدادى الثانوى ، ورابعة ، والعريش القديم ، وضاحية السلام .

أنبـــــاء وآراء

الإمـام الأكبـر يلتقى ولجـان التوعية الدينية بمحافظات الصعيـد

عقد فضيلة الإمام الأكبر عدة لقاءات مع لجان التوعية الدينية بمحافظات الصعيد .

وقد اكد فضيلته خلال هذه اللقاءات على ضرورة قيام الدعاة بأداء واجباتهم مطالبا لهم بضرورة معالجة القضايا التى تعانى منها الجماهير فى معاملاتهم وسلوكياتهم ومايثار على الساحة من قضايا تشغل اهتماماتهم العلمية والعملية ومعالجتها بعيدا عن الأساليب التقليدية .

الأزهـر يشـارك فى طبـع وتصحيـح المصحف الشريـف بسلطنـة برونـاى

أوفد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فضيلة الشيخ محمود برانق رئيس لجنة المصحف بالأزهر للمشاركة فى تصحيح المصحف الشريف الذى تقوم بطبعه سلطنة بروناى والإشراف على المسابقة الدولية للقرآن الكريم هناك .

الإمام الأكبر يستقبل وزير التعليم الليبى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور المدنى أبو الطويرات أمين اللجنة الليبية للتضامن ووزير التعليم والوفد المشارك فى الأسبوع الثانى للتضامن العربى المصرى الليبى الذى عقد بالقاهرة .

وقد أبدى فضيلة الإمام الأكبر اهتمامه بسلامة الشعب الليبى .

أنباء العالم الاسلامى

« المسلمون الصينيون يواجهون حملة اعتقالات شرسة من جانب الحكومة »

شهدت مقاطعة (يوننان) الصينية ذات الأغلبية المسلمة مؤخرا صدامات عنيفة إثر احتفال الجالية المسلمة بمسجد النور بإحدى المناسبات الدينية .

وقد اعتقل عدد من أطفال المسلمين وجرح وقتل عدد آخر وقد اعتقل الشيخ (هان يوتشين) إمام مسجد النور .

هذا وقد نظم المسلمون جنازة جماعية للقتلى .

« استمرار حكومة بورما فى تعذيب واضطهاد شباب المسلمين »

أعلنت الحكومة فى (بنجلاديش) أن عدد اللاجئين الفارين من بورما قد وصل نحو أكثر من خمسين ألف لاجىء .

وقد ذكر اللاجئون القادمون من بورما أن حكومة بورما البوذية اعتقلت أكثر من خمسة آلاف من شباب المسلمين ، وتقتل المئات منهم .

وأوضح المسئول البنجلاديشى أنه سوف يجتمع قريبا بالمسئولين من بورما لبحث إعادة اللاجئين إلى بلادهم على أن تهيىء لهم الحكومة معيشة مرضية .

« إنشاء مدرسة إسلامية كبيرة فى شيكاغو »

يفتتح فى مدينة شيكاغو بالولايات المتحدة الامريكية خلال شهر سبتمبر القادم ـ بمشيئة الله ـ مدرسة إسلامية كبيرة تسع لـ ٤٠٠ طالب ، وستقوم المدرسة بتدريس المواد الإسلامية وعلوم القرآن وتجويده وتحفيظه .

بالمدرسة مكتبة كبيرة بها أمهات الكتب الإسلامية التى تساعد كل من يرتادها على الدراسة فى العقيدة والشريعة والتاريخ الإسلامى ... الخ .

وتعقد بالمكتبة الندوات الدينية خلال الأعياد الإسلامية ، وأيام الجمع من كل أسبوع .

« مسلمو ألبانيا ٩٠٪ من مجموع السكان »

آخر إحصاء أجرى فى البانيا بعد انتهاء الحكم الشيوعى البغيض ، اثبت الإحصاء أن المسلمين يشكلون ٩٠٪ من سكان البانيا البالغ عددهم ٣ ملايين نسمة .

الجدير بالذكر :

أنه يوجد الآن بالقاهرة خمسة من الأئمة والوعاظ الألبانيين يحضرون الدورة العالمية السادسة عشرة للأئمة والوعاظ الوافدين من العالم الإسلامى والتى تنظمها الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر برعاية فضيلة الإمام الأكبر الشيخ / جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ورئيس اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف .

« الحزب الشيوعى السوفيتى فى ذمة التاريخ »

ذكرت وكالة الأنباء السوفيتية الجديدة (ريتا ـ تاس سابقا) أنه قد انتهى الحزب الشيوعى السوفيتى ، وأصبح فى ذمة التاريخ بعد (٧٤) عاما من الحكم المطلق فى الاتحاد السوفيتى ، وقد صودرت كل ممتلكات الحزب وحظرت أنشطته فى القوات المسلحة والمخابرات .

وذلك بعد أن ثبت بما لا يدع مجالا للشك فشله فى حل مشاكل الجماهير ورفاهيتها كما كان يدعى أعضاء الحزب المذكور .

****

أذاعت إذاعة لندن صباح الاثنين ١٥ من رجب سنة ١٤١٢ هـ الموافق ٢٠ يناير سنة١٩٩٢ م . أن مسئولا فرنسيا كبيرا زار الجزائر سرا ، واجتمع بالرئيس الشاذلى بن جديد ، قبل استقالته بثلاثة أيام .

ويعتبر تصريح الرئيس فرانسوا ميتران الذى نعى فيه على غياب الديمقراطية عن الجزائر نوعا من التغطية الرسمية لتحتفظ بماء وجهها أمام الشعب الجزائرى .

سبق لفرنسا أن أذاعت أنها تقطع المساعدات والقروض عن الجزائر ـ دون أن تذكر اسمها ـ لأن الحكم الإسلامى يمنع الفائدة على القروض .

فهرس العـــدد

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحية « رفقا بالديمقراطية »	
للدكتور على أحمد الخطيب	٨٦٥
● كلمة السيد رئيس الجمهورية فى ذكرى الإسراء والمعراج ويوم الدعاة	٨٦٧
● كلمة فضيلة شيخ الأزهر« الإسراء معجزة ذاتية »	٨٧٢
● شهر شعبان وليلة النصف منه	
لصاحب الفضيلة الإمام الأكبر	٨٧٤
● بيان من الأزهر	
حول الفتن المثارة على الساحة	٨٧٦
● نداء من مشيخة الأزهر للوفاق بين الفرقاء المتقاتلين من المسلمين	
لفضيلة شيخ الأزهر	٨٧٨
● مع سورة الأنفال ـ النصر من عند الله	
للدكتور عبد الجليل شلبى	٨٨٢
● مساكين يعملون فى البحر	
للدكتور السيد الجميلى	٨٨٦
● حول القضاء فى الإسلام	
للدكتور أحمد حسن مسلم	٨٨٨
● تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة الشريفة	
للشيخ عبد المنصف محمود عبد الفتاح	٨٩٠
● استحقاق الشفعة فى الفقه الإسلامى	
للدكتور محمد حسين قنديل	٨٩٣
● قضية كشمير المسلمة	
للأستاذ ماهر الشيمى	٩٠٢
● الإسلام والمسلمون فى الاتحاد السوفيتى	
إعداد : عادل خفاجة	٩٠٥
● ملامح النظام السياسى فى الدولة اليهودية	
بقلم لواء أ . ح . د . فوزى محمد طايل	٩٠٩
● الفتـــــاوى	
إعداد : الشيخ على حامد عبد الرحيم	٩١٧
باب الشعر والشعراء	
إشراف : رشاد محمد يوسف	
● الحنين إلى الرسول ﷺ	
شعر : أحمد عبد السلام على	٩٢٢
● عود إلى الله	
للشاعر عبد العاطى موسى عبد العاطى	٩٢٣
● حصاد الألم	
للشاعرة جليلة رضا	٩٢٤
● التسامح	
للشاعر سيد عبد الرءوف سيد	٩٢٦
● المستدرك على ديوان عمرو بن كلثوم التغلبى	
للأستاذ أيمن محمد ميدان	٩٢٧
● من أعلام الأزهر «الشيخ على محفوظ»	
للواء أ . ح محمد جمال الدين محفوظ	٩٣٠
● طرائف ومواقف	
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٩٣٤
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر «مجدنا فى ديننا» للشيخ محمود جميلة	
إعداد وتقديم عبد الفتاح حسين الزيات	٩٣٦
باب العلوم الكونية	
● الملاحة وعلوم البحار	
أ . د . أحمد فؤاد باشا	٩٤٠
● العقـــم	
للدكتور أحمد رجاء عبد الحميد	٩٤٤
● اللغز العجيب	
للأستاذ مجدى عبد الحميد بشير	٩٤٨
● الجديد فى العلم والتقنية	
إعداد : د . نجوى السيد أحمد	٩٥٢
باب اللغة والأدب والنقد	
● لغة الاسبرانتو بين المد والجزر	
للدكتور توفيق محمد شاهين	٩٥٦
● نحو دراسة مقارنة لمدرسة الديوان بين العقاد وهينى	
للأستاذ أحمد مصطفى حافظ	٩٦٠
● منهج ابن الأثير فى كتاب «أسد الغابة فى معرفة الصحابة»	
للدكتور شكرى يوسف حسين أحمد	٩٦٤
● قراءة فى كتاب «مواقف من السيرة النبوية»	
عرض وتعليق : أحمد السيد تقى الدين	٩٧٠
● أنباء وآراء	
إعداد : عبد المنعم فودة مصطفى عبد المجيد	٩٧٣
القسم الفرنسى	
● المقالة الأولى :	
للأستاذة رقية جابر	٩٨١
القسم الانجليزى	
● المقالة الثانية :	
للأستاذ لطفى على سلطان	٩٨٦
● المقالة الأولى :	
للدكتور أنس مصطفى النجار	٩٩٠

comment saurais-je que je suis bienfaisant? Le Prophète (b.s.) répondit demande à tes voisins. S'ils disent que tu es bienfaisant tu es bienfaisant, s'ils disent que tu es malfaisant, tu l'es réellement"

c'est pour cette raison que les hommes de bien font tous leurs efforts pour traiter leur voisin de façon à satisfaire Allah. En effet la vie serait magnifique si chacun se montrait bienfaisant et charitable envers son voisin. L'Islam défend de faire du mal ou de porter préjudice au voisin. On dit un jour à l'Envoyé d'Allah (b.s.) Une femme jeune le jour, prie la nuit, mais elle est violente et nuit à ses voisins par ses insultes. le Messager d'Allah que la bénédiction et la paix soient sur lui-dit: ni ses prières, ni son jeune ne seront agréés par Allah. Elle habitera l'enfer " .

Al Hassan AlBasri a dit" le bon voisinage ne consiste pas à cesser de nuire, mais le bon voisinage consiste à être supporter avec patience le mal causé par autrui, et la malfaisance du voisin .

On raconte que Abou Hanifa El Nooman avait un voisin savetier qui travaillait le jour et qui, de retour chez lui le soir, soupait et buvait. Lorsque la boisson s'emparait de lui, il chantait jusqu' à ce que le sommeil le gagnât Abou Hanifa l'entendait chaque nuit .

Une nuit, la voix de cet homme ne se fit pas entendre. Il se renseigna sur lui et apprit que la police l'avait arrêté. Abou Hanifa monta sur sa mule et, arrivé chez l'émir des croyants, il demanda audience. Que désires-tu lui demanda l'Emir.? Il répondit, vous solliciter en faveur de mon voisin. L'Emir dit alors : "relâchez-le ainsi que tous ceux qui ont été arrêtés cette nuit. De retour, Abou Hanifa dit au savetier :"jeune homme t'avons-nous perdu?-au contraire, lui dit le savetier, tu m'as protégé et tu as pris soin de moi. Qu'Allah te récompense pour la protection de ton voisin et la défense du droit .

Le Prophète que la bénédiction et la paix soient sur lui a défini en détail les droits du voisin .

Mo'az Ebn Gabal dit : les amis du Prophète que la bénédiction et la paix soient sur lui demandèrent: "S'il veut s'emprunter prête-lui, s'il demande ton aide, aide-le; s'il tombe malade assiste-le, s'il a besoin, donne-lui, s'il appauvrit, console-le; si un malheur le touche, présente-lui tes condoléances, s'il meurt suit ses funérailles, ne le gêne pas, n'élève pas les murs de ta construction sans sa permission. Si tu achètes des fruits offre-lui quelques-uns. Dans Sahih Moslem selon Abou Saleh le Prophète que la bénédiction et la paix soient sur lui dit: «Que celui qui croit en Allah et au Jour Dernier, fasse la charité à son voisin» .

Le Musulman est, en vérité, un symbole vivant de bonté de noblesse et d'humanité .

Said Ebn Al'As aimait aider autrui, Son voisin Ebn Abi Al Gahm voulut vendre sa maison, L'acheteur lui offrit cent mille derhems. Ebn Abi Al Gahm lui dit alors:et pour combien achètes-tu le voisinage de Said? L'acheteur répondit:je n'ai jamais vu un voisinage se vendre. Ebn Abi Gahm revint alors sur la vente et dit: «Je ne quitte pas le voisinage d'un homme qui aime m'aider. Si je m'absente, il s'enquiert à mon sujet, s'il m'aperçoit il m'accueille cordialement, si je lui demande, il me donne, et si je ne lui demande pas il dévance ma demande le premier. Lorsque Said apprit cela, il lui envoya le prix de sa maison et le laissa habiter .

Voici Abd Allah Ebn Maas'oud, qui dit d'un homme, en se plaignant de lui: «J'ai un voisin qui me fait du tort, m'insulte, et me gêne!» On lui répondit : «Va' s'il désobéit à Allah, agis-toi en obéissant à Allah .

Que chacun de nous traite son voisin suivant les principes de l'Islam .

Ainsi tout le monde doit travailler à assurer la gloire de l'Islam et le bonheur des Musulmans .

"LE BON VOISINAGE"

Par
Mohammad Omar Mohammad
Traducteur en chef
à L'Académie des Recherches Islamiques

Au nom d'Allah, Clément et Miséricordieux Louange à Allah, maître des mondes et la meilleure rétribution est pour les croyants. La bénédiction et que la paix soit sur Son serviteur et Son Envoyé Mohammad, (b.s.) ainsi que sur tous les siens et tous ses compagnons .

Voici un principe de notre religion : nous devons posséder une compréhension humaine et une courtoisie plus grande et nous comporter avec noblesse et modestie.Les mauvaises manières, l'oppression, l'agression et l'étroitesse d'esprit sont contraires à l'esprit de l'Islam .

Ceci est un article condensé à propos du "Bon Voisinage" .

Allah a dit : "Adorez Allah et ne lui associez aucune divinité. Manifestez de la bienveillance envers vos pères et mères, aux proches, aux orphelins, aux pauvres, aux proches parents, au compagnon de lutte , au voyageur et à vos esclaves. Allah n'aime pas celui qui est insolent et rempli de suffisance" (Sourate 4, Le sens du verset 36) .

C'est pour cela que L'Islam est venu fonder la société humaine sur une base de fraternité, d'affection et d'amour. L'Islam insiste sur le respect de droits du voisin et l'obligation de le traiter avec affection et douceur .

Allah, le tout Clément - gloire à Lui - ordonne aux fidèles d'être charitables envers le voisin .

Le "voisin" est mentionné dans le Coran avec quatre significations :

La première dans le sens de celui dont la maison est proche. c'est le voisin "Zil Korba" (Parent), le voisin étranger (Al Gonob) .

La seconde dans le sens de celui qui a besoin de secours "il demande du secours et n'est jamais dans le besoin" .

La troisième dans le sens de soutien et de défenseur .

La quatrième dans le sens celui à qui l'on prête assistance "Secourez le païens s'il vous demande du secours" .

Selon IBN ABBAS, le voisin (Zil Korba) est celui qui est lié à la personne par la parenté, et le voisin (Al Gonob) est celui qui n'est pas lié à la personne par une parenté. Notre prophète, Mohammad (b.s.) a dit : "Les voisins se divisent en trois catégories : ceux à qui reviennent trois droits : le droit du voisinage, le droit de pauvreté,le droit de l'Islam et le droit de parent. D'autres possèdent deux droits : le droit du voisinage et le droit de l'Islam. le païen a un seul droit: celui du voisinage .

On raconte qu'un homme vint vers le Messager d'Allah et lui dit ô Envoyé d'Allah, indique-moi une action qui me fasse entrer au paradis, le Parophète (b.s.) répondit : "Sois bienfaisant" L'homme dit "Envoyé d'Allah

2 - Le substantif (mar'ah) (المرأة) désigne souvent les épouses (l'épouse de Imran, de Noé, du Pharaon, etc). La reine de Saba dans l'histoire de Solaiman a été également désignée par ce terme .

3 - Le substantif (untà) est employé pour parler de tout ce qui concerne le sexe féminin : la grossesse, l'enfantement, etc .

Les emplois des équivalents du mot «homme» :

1 - Le terme (ragul) prend un sens assez particulier dans les versets du texte coranique :

- Ce terme désigne également les messagers d'Allah : les prophètes, les envoyés, mais aussi les croyants dont la foi est sincère . Nous trouvons ainsi plusieurs versets qui commencent par (Nous leur avons envoyé un homme ...) .
- Le Prophète Mohamed (à lui bénédiction et salut) est parfois désigné par ce terme .
- Enfin (ragul) c'est celui qui possède les qualités qui en font un être humain à l'exclusion de toutes les autres créatures : anges, djinns .
  Par contre, dans la bouche des infidèles (toujours d'après le Coran) ce terme désigne un homme, c'est-à-dire simplement une créature du sexe masculin .

2 - Le substantif (dakar) lui, ne désigne que ce dernier emploi du terme (ragul) pour établir, lorsqu'il s'agit de rapports humains, une simple distinction de sexe .

Les versets où l'on trouve un homme et deux femmes, montrent en outre qu'il existe des cas précis où un homme vaut deux femmes (l'héritage - le témoignage) .

Cependant, en échange des droits qu' Allah a accordés à l'homme, il l'a chargé de certains devoirs envers sa femme, sa fille, sa mère ou sa soeur : l'homme doit les protéger et subvenir à leurs besoins matériels . C'est en fonction de cela que la femme lui doit obéissance et soumission, comme le montre la parole divine : (Les hommes ont autorité sur les femmes, en vertu de la préférence qu'Allah leur a accordée sur elles, et à cause des dépenses qu'ils font pour assurer leur entretien) Sourate IV « Les Femmes » le sens du verset 34 .

Si dans la vie il existe une supériorité de l'homme sur la femme, c'est une supériorité et des devoirs que l'homme doit accomplir. Après la mort ils sont égaux devant Allah . En effet, dans l'Islam, la femme a une volonté et une responsabilité indépendantes de celles de son époux et en fonction de ses devoirs religieux . Le Coran nous en offre maints exemples. Le Jour du Jugement Dernier, elle sera jugée indépendamment de son smari . Elle porte seule la responsabilité de sa foi ou de son impiété .

Les Sourates de Médine ne représentent qu'environ le quart du nombre des sourates de la Mecque .

Ces résultats montrent clairement que les sourates de Médine où sont les fondements de la loi islamique sont celles où Allah s'adresse de façon spécifique à l'homme ou à la femme .

En effet ce Livre est un trésor inépuisable qui ne connaît ni les limites du temps ni de l'espace. Dans sa recherche de la Vérité l'homme doit posséder avant tout la foi, car il existe un rapport étroit entre la science et la foi .

A chaque époque l'humanité découvre dans le texte Coranique la réponse à ce qu'elle cherche . C'est en cela que consiste le miracle du Coran .

langue arabe, de cerner les occurrences des termes désignant l'homme d'une part, et la femme, d'autre part .

Or, l'arabe étant une langue particulièrement riche, nous trouvons dans le Coran plus d'un substantif pour désigner l'homme et la femme .

Nous commençons par donner la translitération des équivalents des substantifs « femme» et « homme » en langue française .

Pour désigner la femme, il existe trois termes dans le Coran : (nisa'), (mar'ah) (المرأة) et (untà) .

Pour désigner l'homme, nous trouvons (ragul) et (dakar). D'autre part, chacun de ces termes apparaît dans le corpus avec ses différentes déclinaisons selon sa fonction grammaticale et selon son nombre (un, deux plusieurs) .

Après avoir procédé à un travail de lemmatistion des différents termes désignant l'homme et la femme, on remarque que les substantifs désignant la femme ont une fréquence réelle supérieure à celle des termes désignant l'homme .

Ce résultat nous prouve déjà la place accordée à la femme dans le Coran et l'importance du rôle qu'elle remplit dans la société islamique .

Les emplois des différents équivalents du mot « femme » :

Le contexte dans lequel apparaissent ces substantifs, c'est-à-dire les versets du Coran, nous permet de tirer les conclusions suivantes :

1 - Le substantif (nisa') est employé :

- Pour désigner les épouses du Prophète Mohamed (à lui bénédiction et salut) . Ce sont les seules épouses désignées par ce substantif dans lc Coran pour les honorer et les distinguer de toutes les autres. En effet ce sont des élues que le Prophète n'a pas choisies (à l'exception de Khadiga) mais qu'il a épousées pour des raisons précises : Voici ce qu'on trouve à ce sujet dans le texte coranique :

(o vous, les femmes du Prophète !
Vous n'êtes comparables à aucune autre femme)
Mais aussi leur châtiment pour tout péché commis sera double .

Les Factions, XXXIII
Le sens du verset 32

- Pour parler de Marie qui est aussi une élue parmi toutes les autres femmes puisque «Allah» l'a choisie pour enfanter Jésus, Son prophète et Son messager .
D'ailleurs Marie est le seul nom de femme qui figure dans Coran .
- Ce substantif est également utilisé chaque fois que sont formulées les lois qui régissent les rapports humains dans la société. Ainsi les différens versets relevés nous apprennent :
- la supérioité de l'homme par rapport à la femme lorsqu'il s'agit d'héritage ou de témoignage, mais aussi dans la mesure où l'homme doit la prendre à sa charge .
- l'interdiction dans l'Islam d'épouser certaines femmes : sa mère, sa fille, sa soeur, sa tante ... etc[1] .
- tout ce qui a trait à la relation conjugale (les fiançailles, la dot versée, le mariage, l'adultère, la séparation de biens, etc) .

1 - Voir le sens des versets 22, 23-24 Sourate [Les Femmes] .

LA DESIGNATION DE L'HOMME ET DE LA FÉMME DANS LE CORAN : ETUDE STATISTIQUE

Rokeya GABR

Université Al-Azhar

Une étude portant sur la langue du Coran est une expérience unique, exceptionnelle . Cette langue est la parole sacrée du Créateur, c'est pourquoi elle est différente de tout langage humain .

Le Coran est en langue arabe et il fut révélé au Prophète Mohamed (à lui bénédiction et salut) à une époque où chez les Arabes l'éloquence verbale était à son apogée .

Or, un livre sacré s'adresse d'abord à ceux qui savent sa langue . Comme la naissance du texte coranique fut un miracle, on ne peut espérer en le traduisant pouvoir refaire ce miracle . C'est pourquoi les essais d'interprétation du Coran que nous mettons dans cette étude ne rendront peut-être que d'une façon imparfaite les beautés de ce texte .

Comme le Coran est le dernier des Livres Saints, Allah a pris en charge de le conserver intact sans suppressions ni changements jusqu'au jour du Jugement Dernier, comme le prouve la parole divine :

(Nous avons fait descendre le Rappel ; nous en sommes les gardiens) Sourate XV Al Hijr, Le sens du verset (9)

Ce livre ignore les limites spatiales et temporelles . Il nous rappelle l'histoire de la création et celle de tous les prophètes et messagers qui ont précédé Mohamed (à lui bénédiction et salut) et nous annonce l'avenir de cet univers et ce qui adviendra des hommes après le Jugement Dernier . Il s'adresse non seulement à l'ensemble de la nation islamique (O vous les croyants), mais encore à tous les humains (O vous les hommes) .

A travers ce livre nous trouvons un tableau complet de la société parfaite qu'Allah a voulu pour les humains .

Nous avons voulu à travers cette étude voir la place accordée à l'homme et à la femme de façon spécifique dans le texte coranique .

Un dépouillement fait grâce à l'ordinateur nous a permis de retrouver, à travers le corpus constitué par le texte authentique du Coran en

REVUE AL-AZHAR

Section Française

Comité de Redaction :
D[r] Rokaya GABR. Professeur adjoint au
Département de Langue Française et de Traduction
M.Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

CONTENU

1) Dr Rokaya Gabr

La Designation de L'homme et de famm dams la Coran :

Etude statistque .

2)m. Mohammad Omar Mohammade

le Bon voisinage

In the text of the Holy verse of Surat Al-Anam, attention to the Straight Way, the Way of Allah. Mankind is commanded to follow it, and warned not to follow other paths, which will lead to dispersion and scatter from the Divine Path, the transcendent milieu, the only Way that leads to righteousness and felicity in this worldly life and in the Hereafter. The Glorious Qur'an says: "Those who believe and work righteousness, joy is for them and a blissful home to return to" (The Thunder, XIII: 29). The Prophet - peace and blessings from Allah be upon him said : "Allah does not accept belief if it is not expressed by deeds, and does not accept deeds if they do not conform to belief".

Islam is a wholesome integrated practical religion, a comprehensive code of life which does not indulge in empty and futile dialectic arguments. It teaches that faith is not a mere conviction of beliefs; it is the very mainspring function of life. Righteous conduct must follow belief in Allah. Religion, worship, righteousness and all moral teachings are things to be lived, and not objects of lip-praise or lip service. The doctrinal teachings of Islam are the Divine Culture for human enlightenment

Therefore, any custom like the pagan custom of sacrificing children in favour of animistic spirits and powers stands condemned. Then, comes the moral prohibitions against lewdness and all shameful and unseemly acts, relating to unsanctioned sex or otherwise, open or secret. This is followed by the prohibition of killing. It is not only that human life is sacred, but all life is sacred. Even the slaughter of animals for food, a dedicatory formula ' In the name of Allah ' has to be mentioned in order to associate all actions to Allah. All these things are conformable to our interests, and therefore, true wisdom from our point of view.

Concerning the orphan, Islam instructs not to come nigh to his property except to improve it, until he attains the age of his full maturity, strength and understanding. Then, comes the Divine Command to give measure and weight with justice; this is not only right in itself but is ultimately to the best spiritual and material advantage for the individual who deals with justice. Whenever we speak, we must speak justly, even when a near relative is concerned; and after that we are ordered to fulfil the covenant of Allah. Muslims we are commanded to fulfil all obligations constituting the integrated doctrinal teachings of Islam. First, there are the divine obligations that arise from our spiritual nature and our relation to Allah, Glory be to Him. He created us and honoured us. He characterized the human mind with the faculty of knowledge and wisdom, besides intuition and rational thought.Allah made nature responsive to our needs, and rendered the infinite wonders of creation subject to human exploitation. Allah revealed knowledge through Divine messages with Messengers teachers and sages to transmute mankind from the dungeon darkness of ignorance to the liberal rational thought of mental enlightenment.

The whole integrated component of human knowledge if fundamentally the result of the function of the human faculty of thought. This human faculty is an independent act motived by powers of virtue or by powers of vice. The function of the thought faculty through the powers of virtue will always lead mankind to social progress, stability, health and social promotion. The function of the thought faculty through the powers of vice will always lead human societies to social degradation, chaos, disease, and disintegration. Enlightenment must ensure the path of virtue; and true human civilization is the organized function of thought that benefits mankind.

During our own human and material life, we undertake mutual obligations expressed and implied. We enter into commercial or social contracts; associated into contracts of marriage; provinces and pledges, perform work and develop trusts. Muslims must faithfully fulfil all obligations in all these relationships. There are tacit obligations; which must be devotedly observed in civil society with respect to social conventions unless they are morally wrong, indecent, vulgar, or unchaste. Other symbolic implicit obligations appear in social life between employer or employed, wayfarer, companion, host or guest, etc., which every man of Faith must administer their rites conscientiously. All these obligations are inter-connected being an integrated component of human function. Truth and fidelity are important aspects of faith that are associated with all dealings and relations of human life.

The range of morality in Islam is so inclusive and integrative that it combines at one and the same time belief in Allah, religious rites, spiritual observances, decision making, intellectual pursuits, social conduct, manners of speech, habits of consumption and all other aspects of human life. Because morality is such an integral part of Islam, the moral tone underlies almost all the passages of the Qur'an and the moral teachings are repeatedly stressed in various contexts throughout the Holy Book. This makes it difficult to devise any reasonably brief classification of these moral teachings according to their citations in the Qur'an. Every principle is mentioned many times in various contexts. It appears either as a single significant principle or as an element of a total system of mortality, which itself is an element of a complete religious supersystem.

In view of this, the following passage must be taken only as a representative selection from the Glorious Qur'an: "Say : 'Come, I will rehearse what Allah has (really) prohibited you from': join not anything as equal with Him; be good to your parents; kill not your children on a plea of want; for We provide sustenance for you and for them; come not night to shameful deeds, whether open or secret; take not life which Allah has made sacred, except by way of justice and law : thus does He command you, that you may learn wisdom" . "And come not nigh to the Orphan's property, except to improve it, until he attains the age of full strength; give measure and weight with (full) justice; - no burden do We place on any soul but that which it can bear; whenever you speak, speak justly, even if a near relative is concerned; and fulfil the Covenant of Allah: thus does He command you, that you may remember" "Verily this is My Way, leading straight: follow it; follow not (other) paths: they will scatter you about from His Right Path. Thus, does He command you, that you, that you may be righteous" (Surat Al-Anam, VI, 151 - 153)

Instead of following pagan superstition, and being in constant terror of imaginary taboos and prohibitions, we should study the true moral code, whose sanction is Allah's Law, as presented in the above Qur'anic passage - from Surat Al-An'am. The first step is the recognition that Allah is the One and Only Sovereign and Cherisher. He is the Only One to Whom true worship is due. Sincere devotion must be to Him only; He is near us; He cares for us and we owe our existence to Him. All other things or beings that we can think of are His creatures and in no way comparable to Him. He is Eternal, without beginning or end, Absolute, not limited by time or place or circumstances, the Reality before which all other things are mere shadows or reflections. The Supreme Being, The Omniscient, The Equitable and Transcendent.

The mention of goodness to parents that immediately follows, suggests that Allah's love of us and care for us may - on an infinitely higher plane - be understood by our ideal of paternal love, which is purely unselfish; and that our first duty among our fellow creatures is towards parents whose love leads us to the conception of divine love. Arising from that is the understanding of our duties to our children. Allah the Almighty provides sustenance, material and spiritual, not only for us, but for them.

THE MORAL SYSTEM OF ISLAM

By: Lotfi Ali Sultan, B.A. (Hons.), M.Ed., M.A.

Within an integrated system of culture, the Islamic Theism presented some universal fundamental rights for humanity as a whole, which are to be observed and respected under all circumstances of human life. To achieve these rights, Islamic teachings provide not only legal safeguards but also a very effective moral framework. Therefore, whatever leads to the effective welfare of the individual or the society is morally good, and whatever is injurious or deterrent, is morally bad. The initial platform of promotion of Faith is the confident belief in the Creator "Al Tawhid". From this, Islam attaches so much importance to the love of Allah and the love of fellowmen; and optimizes the concept of the human community as the "Ummah". The text of the Holy Quran addresses the whole human society through the medium of Islamic teachings. The maxims of Muslim Theism aim at the enlightenment of mankind.

Before laying down any moral injunctions Islam seeks to implant firmly in man's heart the conviction that all human dealings are with Allah, Who seeks him at all times and in all places. Man may hide himself from the whole world but not from Allah; that he may deceive everyone but cannot deceive the Creator; that he can flee from the clutches of anyone but not from the judgement of The Sovereign, The Just.

Therefore, the achievement of Divine contentment as the objective of man's life, Islam had furnished the highest possible standard of morality. This is bound to provide limitless avenues for the moral evolution of humanity. It provides a sanction to morality in the love and fear of Allah, which will impel man to obey the Divine moral code even without any external pressure. Through belief in Allah and the Day of Judgement, it provides a force that enables the individual to adopt the moral conduct with sincere conviction, earnest devotion, and confident belief.

The Islamic perceptive of humanity is based upon the understanding of unity; the unity of mankind, the human covenant. Such a concept cannot be realized except through an intimate belief in Allah. The Transcendent Supreme Guardian Creator; and through genuine love to Allah. All other manifestation of the emotional sentiment of love in all its forms are proliferations that actually arise from the mother love to Allah. In Islamic understanding; it is perceived that all love is basically to Allah, and all actions are inherently related to Allah. With this understanding, a true genuine Muslim is one whose love and actions are originally intimately related to Allah, as an initial component of his faith.

understanding of the Islamic jurisprudence, enabled Omar ibn Al-Khattab to derive and formulate concepts of action that did not contradict the basic injunctions, but provided a modified arrangement of action that remained within the frame of reference of the accepted doctrines. This flexible, resourceful understanding of the injunctions of the Islamic Theism was skillfully recognized and adopted by Omar ibn Al-Khattab in circumstances that necessitated a decision according to his own aptitude of conceptualization. The ultimate concern of his decision was the needs of the Ummah within the framework of Islamic doctrines. The Islamization process was promoted as a paradigm of social justice and accepted with conviction of such ecumenic understanding and implementation of Islamic teachings.

These are the tenets of nobility, uniqueness; of those who restrain themselves in perpetual observance, judging themselves before they face the Day of Judgement. This is the crescendo of pontifical greatness materializing the personality of the greatest of men. The man who carried the heavy burden of responsibility of an expanding new creed, and of heterogeneous nations in the process of Islamization to develop in complete social integrated transformation to become the Muslim Ummah. Omar ibn Al-Khattab, the man who declared, "I shall be most firm to implement the doctrines of Islam, and I shall put down my cheek on the ground to those of chastity, righteousness and real content.

The expeditious growth of Muslim profundity was indeed promoted and publicized in practice by the meticulous paradigm of governance that Omar ibn Al-Khattab exercised and implemented in the administration of the Muslim Ummah. The injunctions of the Muslim Theism were instituted with rigorous precision; and the ecumenism, justice, social rights and forbearance, were practiced with maximal optimization. Every detail of the individual life of Muslims was the intimate concern of Omar ibn Al-Khattab. His famous words became a motto epigram of administrative responsibility, "If a mule blundered on a distant trail, Omar would be to blame for not paving its path".

The preservation of the Muslim Theism necessitated the conservation of the Arabic Language as the language of the Holy Revelation of the Quran. Indeed, the concept is reciprocal, the preservation of the Quran will conserve the Arabic language. This understanding was very vivid in the mind of Omar ibn Al-Khattab who with adamant persistent demanding rationalization convinced Abu Bakre Al-Siddiq to compile the text of the Quran from fear of loss or forgetfulness over the years. The present compilation of the Quran is attributed to the efforts of Omar ibn Al-Khattab, and the sagacity and foresight of Abu - Bakre. The fundamental process of mental function in Omar's mind was the benefit of Islam and Muslims. In this process, Omar followed the path of the Prophet, and the policy of Abu Bakre Al-Siddiq. Through the continued practice of these channels, and his arduous efforts, Omar ibn Al-Khattab maintained the preservation of the Muslim Theism, and escalated the proliferation of its doctrinal prescriptive injunctions, ecumenical teachings, eschatological percepts, social concepts, and the infallible authenticity of its Divine nature.

The Islamization process was on several occasions confronted with issues that required deliberation and legislative enactments. Such matters were resolved through committee considerations and consultative procedures to reach a consensus on decisions. Omar ibn Al-Khattab possessed an inherent perceptive understanding in social, financial, and religious matters. He was conversant with the various shades of human nature, and had the conviction that the proper application of religious Divine ordinances, strongly resisted temptation, developed self-restraint, self content and cultivated the concept of social equality and advanced the inherent human tendency of the natural affection of love. On several occasions, the opinion of Omar ibn Al-Khattab was contrary to others. On such occasions, he debated the issues with men of knowledge and wisdom, listening and presenting rational evidence, exercising broad understanding, patience, and accommodating tolerant cordial graciousness. Omar responded to the consensus of opinion according to what he believed to be for the total benefit of the Muslim Ummah, and the subsequent generations. The Prophet said "The syllables of truth are on the heart and tongue of Omar".

Omar ibn Al-Khattab was known to act according to the inherent purpose of jurisprudence and not according to the text of its injunctions. This ecumenic conceptualization was instrumental in enhancing the Islamization process not only in Persia, but also in territories where Christianity had prevailed. The broad deep

paradigm of governance by Omar ibn Al Khattab resulted into the acceptance of Islamic doctrinal teachings as a model of faith that addresses every function of human life. The continuous brilliant triumph of the Muslim warriors, their devotion to the cause, the wisdom of leadership and the courage of men; all indicated the existence of a potential power that directed the fate and destiny of these Muslims. It was the power of faith, and the strength of Belief. Behind these warriors, there was an optimally organized system of governmental order, which was basically structured upon justice. The implementation of justice according to Islamic understanding embraced both Muslims and non-Muslims, conditions of truce, war treaties, affiliations, agreements, respect of civilian rights, individual and public property, and respect to human life. All these matters brought about the doctrinal teachings of the Muslim Faith to the foreground of thought in the mind of people living in territories where Islam had crusaded.

The whole structure was organized on the conviction of belief. Gradually, the whole composite integrated nation absorbed the fundamental tenets of Islamic teachings, accepted them, and instituted the elements of Islamic culture in the social functions of human life. This process brought about a homogeneous communal reciprocal correlation among the various fractions of the society. Indeed, the Islamization process was the ultimate outcome of a multifactorial mechanism that was meticulously indoctrinated through the implementation and practice of the social principles of Islamic culture, jurisdiction, jurisprudence, justice, attainment of human rights, preservation of property, and the establishment of a profound intelligent milieu of freedom. The regency of Omar ibn Al-Khattab was supremely distinguished by the realization of these achievement thought the optimal exercise and practice of the Divine teachings of Islam; and the concurrent triumphant efforts in the managerial administration of the affairs of state, and the manipulative maneuvering, shrewd strategy of the Muslim crusades in Persia, Syria, Palestine and Egypt. All these factors promoted the expansion and progressive preponderance of the Islamization process among the inhabitants of the territories where the warriors of Islam had achieved dominant victories over the forces of tyranny of both Persian and Roman Empire. The Islamic ideology was readily accepted with rapid propagation, bringing about an identity of integration, surfeited sufficiency, indoctrinated justice, stability of social relationships, deep seated confidence between the governance and the governed, and very distinct opulence and cultural advances.

The Islamization process ascended to become a coherent facultative function of human life that brought about progressive mental enlightenment, which was the roots of one of the most authoritative commanding influential educational civilizations known in the history of mankind. The percepts and doctrinal teachings of the Islamic civilization remain to be actively existent as the only truly ecumenic, tolerant, charitable, magnanimous, enlightening, and didactic system of belief that completely satisfies both the materialistic practical demands of the body, and its seraphic requirements to attain an equilibrium balance and purpose of human life.

Omar Ibn Al-Khattab.

The Process of Islamization

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

The renaissance of the Islamic cultural proliferation was established to govern all the nations into which the doctrines of Islam had become acknowledged. These nations were distinctly different in language, culture, beliefs, social structure, economy, environment, and racial identity. The assimilation of these contrasting populations within a unified system of governance, resulted into an advanced integrated theocratic socio-political order which became established during the regency of Omar ibn Al-Khattab. This social unification did not materialize by action of force, thought control, subjugation, or tyrannic despotism. This identified fraternal approbation between previously contrasting nations, manifested itself through a spontaneous voluntary instinctive communal socialistic mechanism, the ideologic milieu of which was the diffusion of the Islamic cultural teachings into every element of social function of those nations.

The spread of the cultural teachings of Islam was not indoctrinated by compulsion, intimidation, or coercion. The thought transfer of maxims and precepts of the Divine injunctions of Muslim Theism was dissiminated by voluntary autonomy of self determination. These Divine injunctions presented an optimally organized fully integrated modus operandi for all pursuits of human life, which through their own tangible characteristics became accepted by the population groups resident in the lands which Islam had infiltrated. These tangible characteristics proffered to humanity the true genuine channel of independent free thought, the liberalism of absolute will, and the discretion of individual self determination. The ultimate and fundamental human link is with the Supreme Divine Being, which represents itself as the backbone of human freedom; freedom of speech and expression, freedom from fear, freedom from want, and freedom of knowledge. These are the basic criteria for human emancipation and enlightenment, the promotive elements of the mental faculty of mankind.

The new creed of Islam and its teachings became subject of much interest, concern and attention. The doctrines of that creed proved to be most suitable for the social and spiritual life of individuals. The optimal justified implementation of the Islamic

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 64, Part VIII

Shaaban, 1412, Hijrah

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH. D.

CONTENTS

1. Omar Ibn Al Khattab

The Process of Islamization.

By: Anas Moustafa El Naggar.

2.The Moral System of Islam.

By: Lotfi Ali Sultan.

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان
إدارة الأزهر - بالقاهرة ..
تليفون : ٢٦٣٨٥٩٩
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

رمضان ١٤١٢ هـ
مارس ١٩٩٢ م
الجزء التاسع
السنة الرابعة والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

الصائمون والإعلام

وعزيز علينا ـ واللهِ ـ هؤلاء الصائمون ، فيما يكنه الإعلام لهم .. وينسجه حولهم .. ويطرحه عليهم .

وحرب الإعلام للإسلام قديمة ، وإن استثنينا ـ من رجاله ، حديثاً ـ قلة تخشى الله ؛ فتأبى أَذِيَّةَ الصائمين .

أراد أعشى قيس ، النابغة الجاهلى المعروف : أَعْشَى بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب بن علىَ ابن بكر بن وائل ـ أراد يُسْلِم ، وسَعَى إلى مقابلة رسول الله ـ ﷺ ـ وَلِعُلُوِّ منزلته ؛ ثم للإعجاب بشعره خشيت قريش إسلامَ الأعشى فيتبعه إسلامُ قومه وهدايتهم ؛ فرصدت له مِقْوَالا خبيثا داهية يَرُدُّهُ عن الإسلام ، وأجمعت على هذا التآمر ، وقد تأكدت من عزمه حين أرسل ـ بين يديه ـ أبياتاً ـ تسبقه إلى رسول الله ـ ﷺ ـ يقول فيها ـ ذاكراً جَهْدَ ناقته للقائه بمحمد ـ ﷺ :

الصائمون.. والإعلام

وَآلَيْتُ لا آوِى لها من كَلالَةٍ ... ولا من حَفًى حتى تُلاقِي مُحَمَّدا
مَتَى ما تُنَاخِى عند باب ابن هاشم ... تُراحِي وَتَلْقَىْ من فَوَاضِلِه نَدَى
نَبِيٌّ يَرَى ما لا تَرَوْن وَذِكْرُهُ ... أغَارَ لعمرى فى البلاد وأنجدا
أجِدَّك لم تسمع وَصَاةَ محمد ... نبىّ الإلهِ حيث وُصَى وأشْهَدا
إذا أنتَ لم تَرْحَلْ بزادِ التُّقَى ... وَلَاقَيْتَ بعد الموت من قد تَزَوَّدا
نَدِمتَ على أن لا تكون كمثله ... فَتُرْصِدَ للأمرِ الذى كان أرصدا

والأبيات ناطقة بالتسليم برسالة النبى الكريم ـ ﷺ ـ إيماناً بالله واليوم الآخر والثواب والعقاب ، ولهفته للإيمان تمنعه أن يعطى ناقته راحة حتى يلتقى بالرسول ـ عليه السلاة والسلام .

إذاً الأمر حق فرأت قريش أن تسرع بمسعاها لتنقض على الرجل أمره وتفسد إسلامه ، فالتقى بالأعشى أحد رجلين : أبو جهل بن هشام ، أو عامر بن الطفيل ، وبادره السؤال :

ـ أين تريد يا أبا بصير ؟

ـ أريد رسول الله ـ ﷺ ـ .. لأسلم ..!

ـ يا أبا بصير ، إنه يحرم الزنا ..!

ـ والله ، إن ذلك لأمر ما لى فيه من أَرَب[1] .!

يا أبا بصير ؛ إنه يحرم الخمر .!

ـ أما هذه ، إن فى نفسى منها العُلالات[2] ، ولكنى منصرف فَأَتَرَوَّى منها عامى هذا ، ثم آتيه فَأُسْلِم .

وانصرف ، ونجح إعلام قريش فساداً وإفساداً ، فإن الأعشى مات ، من عَامِهِ هذا ، ولم يلق النبى ـ ﷺ ـ وما أخرجه عن كفره قوله : ثم آتيه فأسلم .

والحق أن الإعلام مُغْرًى بالأتقياء .. مُغرًى بالعبث بهم ، والإفساد عليهم ، والمكر بهم ، والسخرية منهم والسخرية بكل عزيز عليهم حتى بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر .. ومن قبل ذلك ومن بعده بشريعة رب العالمين جميعاً .

ذلك هو الإعلام إلا من عصم ربى .

فلا غرو أن يكون الود مفقوداً بين الإعلام والصائمين .

إن طالب الهُدَى من الإعلام رجل يُغْرِى إبليس بالتقوى .

وهل رأيت أضَلَّ ممن تَسُوءُهُ توبةٌ ممثلة . وقديماً قالت العرب :

اليأس إحدى الراحتين .

ومع ذلك ؛ فالله على كل شىء قدير .

د. على أحمد الخطيب

---

(١) كان الأعشى قد طعن فى السن .

(٢) العُلال : ما يُتَلَهَّى به .

مع
الإمام الأكبر

فى استقبال رمضان

بقلم فضيلة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر الشريف
جاد الحق على جاد الحق

فى سورة البقرة قول الله سبحانه :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى
الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ
مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ
طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ
إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى
لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ
وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ
الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ
مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

تشير هذه الآيات إلى أن صوم شهر رمضان فريضة على كل مسلم ومسلمة فى كل عام متى ثبت دخول الشهر برؤية هلاله أو بإكمال شهر شعبان ثلاثين يوما إذا تعذرت الرؤية . وصوم شهر رمضان أحد أركان الإسلام الخمسة التى حددها رسول الله ﷺ : فى الحديث المشهور الذى رواه ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان »[1] .

(متفق عليه)

وإذا كانت الأجساد تنشط وتتمتع بما أحل الله من طيبات وتهفو النفوس إلى كل شهى فى المنظر والمطعم والمشرب فإن ربيع الأرواح فى شهر رمضان ، حيث يكون صيام الجوارح عن الأذى وانقطاع المشاعر عن الهوى .

يستقبله المسلمون بعد أحد عشر شهرا قضوها فى جهاد العيش واستجلاب الرزق وصراع المادة ، وقد تكدر فيها القلب وتبلد الحس الرفيع وتلوث الضمير بما ران على القلوب من صخب المعاملات ، وتكاثر المظالم والحادثات ـ يُهل الله هذا الشهر المبارك على أمة الإسلام ـ فيجلو فيه صدورهم بالذكر « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » ويطهر نفوسهم بالعبادة ، ويزود قلوبهم بالأمن والسكينة وبما يقويها على احتمال الفتن والمحن فى دنيا الآمال والآلام بقية العام .

ومن ثم كان صوم شهر رمضان ـ فى شرع الله الإسلام ـ طهورا مما اكتسبه الناس من رجس ، وهداية فى حرب القوت وروحا فى مادية هذه الحياة ـ شهر رمضان يشترك المسلمون فى صومه ويكثرون من الذكر وتلاوة القرآن ومدارسته ، ويتأدبون بآدابه وأخلاقه فيغضوا أبصارهم عما حرم الله ، ويغذوا بصائرهم بالتفكر والتذكر والصلاة ، ويكفوا ألسنتهم عن الفحش ، ويصموا آذانهم عن اللغو ، ويغلوا أيديهم عن الأذى ، ويصدوا أهواءهم عن السوء .

هذا الشهر ليس فى الحقيقة واحدا من الأشهر ، وانما فصل نفسانى كفصول الزمن فى دورانها ، لكنه فى حلوله يحمل السحب كما يحمل الغيث ، ومن عمله إمداد الحياة بوسائل لها ما بعدها من إحياء الإرادة الحازمة ، وتنمية الوازع الدينى فى قلوب الصائمين ليظل حارسا مهيمنا ومرشدا طوال العام ، فالصوم جنة : أى وقاية كما جاء فى الحديث الشريف وفيه اتقاء ضرر لجلب منفعة ، واعراض عن

(١) رياض الصالحين ص ٥٢٣ .

فى استقبال

رذيلة لجلب فضيلة ، وإلى هذا أشارت آيات الصوم فى قوله سبحانه فيها : ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

فتقوى الله ومجاهدة النفس هما الغاية من هذه الحكمة .

وقد اجتمعتا فى قول الله تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾

فالخوف من الله هو التقوى ، ونهى النفس عن الهوى هو المجاهدة .

تلك حكمة من حكم شرعية الصوم .

ولرمضان سمات يرعاها الصائمون ، بل والمفطرون على حد سواء ، فالسكير يهجر الكأس والمقامر يترك الورق والشرير ينسى أو يتناسى شروره وجريرته وكلهم يتشبهون بالصالحين الطائعين ويتقون الشبهة ويصنعون المعروف .

على المسلمين أن يستقبلوا هذا الشهر بما يعلى كلمة الله ، وذلك بطاعته والإقبال على عبادتـه بالصلاة والصدقات ، وبالتعاون على البر والتقوى ، وبالابتعاد عما يفسد النفوس ويغويها ، ويضلها ويرديها ، والهجرة إلى ما يصلحها وينقيها .

هذا موسم المغفرة والمثوبة ، قد فتح الله أبواب رضوانه وبسط يده للمستغفرين التائبين من خلقه .

فهلموا أيها المسلمون إلى مائدة ربكم ، فإن من لم يقدم بقلبه ونفسه على الله فى هذه الأيام ، فقد فاته خير كثير ، بل كل الخير . فقد صح عن رسول الله ﷺ قوله : « من لم يغفر له فى رمضان فمتى ؟ » .

لقد اختار الله لعباده دينا قيما ، يرعى كيان المسلم ، بدنه وروحه ، يرقى الأخلاق ، ويعلى كيانها ويقيم طاعته على العبادة والعمل .

ذلك قول الله :

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾

وقوله تعالى : ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ۝ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾

تلك هداية الله ، هداية الإسلام لا هداية فى غيره ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

والصيام جنة كما جاء فى الحديث الشريف ، أى وقاية للفرد وللمجتمع وتربية من الله لعباده المؤمنين .

واننا لنشهد بين المسلمين اليوم تيارات تشدهم إلى المادية أو الجدلية البحتة وتيارات أخرى تريد لهم أن يعزفوا عن مطالب الحياة وأن يعتزلوها ليتركوا خيرات أوطانهم لغيرهم .

وتلك دعوات خاطئة حادت عن حكم الله ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾

ذلكم رمضان وخيره الذى افاء الله به على عباده . ألم يأن للذين آمنوا أن يوحدوا صفوفهم وأن يوقفوا

رمضان

هذه الحروب والفتن الدائرة فيما بينهم وأن يواجهوا أعداءهم الذين يتربصون بهم الدوائر .

ألم يأن لهؤلاء الذين يوغرون الصدور ويثيرون النعرات العرقية والقبلية بين المسلمين حتى تقطعت منهم الأوصال ، وقتلوا أبناءهم وخربوا بيوتهم بهذه الحروب المدمرة ، ألم يأن لأولئك أن يكفوا عن هذا الإغواء ؟ .

ألم يأن للذين آمنوا أن يعودوا إلى ذاتهم ليكون لهم قدرهم وكيانهم بين الأمم وليست ذاتهم إلا فى العودة إلى القرآن والاحتكام إليه وإلى سنة الرسول ﷺ فيما شجر بينهم حتى ترتفع هذه الفتن وتعود الوحدة والقوة إلى الأمة الإسلامية .

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

هل لهؤلاء المتحاربين من المسلمين أن يفيقوا إلى أنهم يخربون بلادهم ويقتلون إخوتهم وأبناءهم دون مبرر .

هل لأولئك أن يذكروا أن الأمة الإسلامية فى محنة من هذه الانفجارات التى تثير الفتن من داخلها .

إن الشر لا يكون وسيلة إلى خير ، والنزاع والاختلاف طريق الفشل وصدق الله الذى أمر المسلمين ونصحهم فقال :

وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ

ألا فليكف المسلمون المتنازعون فى بلاد القرن الافريقى وفى الجزائر وأفغانستان وغيرها عما هو قائم من قتال ونزاع وليجمعوا الصفوف وليوحدوا كلمتهم ليواجهوا حاجة الشعوب التى انتهكت حرمتها .

وليجلس المتنازعون ويصلحوا ذات بينهم حقنا للدماء وطلبا لمصلحة الأمة ودفعا للغمة التى أحاطت بها .

وليعلموا أن من مقررات الإسلام أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

وان الأزهر الشريف فى هذه المناسبة ليهنىء الأمة الإسلامية على اختلاف ألسنتها وألوانها ومواقعها شعوبا وحكومات وملوكا ورؤساء وأمراء بدخول شهر الصوم ، وكل عام وأنتم بخير .

وأدعو الله سبحانه أن يمن على أمة الإسلام ببركة هذا الشهر الكريم شهر القرآن بالخير والسعادة والحسنى وزيادة ، وأن يجعله طهرة للقلوب وجلاء للبلاء والفرقة والاختلاف .

فاعقدوا – أيها المسلمون – فى هذا الشهر الكريم صفقة مع الله ، فانها الصفقة الرابحة

هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ

التمسوا الخلاص بالاحتكام إلى الله فى قرآنه وإلى رسوله ﷺ فى سننه ، وسلوا الله العفو والعافية .

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ

مع سورة الأنفال

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم
مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ
عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي
مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ
فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ

لفضيلة الأستاذ الدكتور

عبد الجليل شلبى

أنزل الله القدير العليم على المسلمين يوم بدر، وأيضاً يوم أحد ـ نعاساً جعلهم يستلقون على الأرض، ويغطون فى النوم العميق، بثاً للأمن فى نفوسهم ودفعاً للخوف عنهم، لأن النوم غفلة وذهول عن الأخطار المحدقة بهم، والمسلمون يوم بدر كان ينتابهم خوف شديد وفزع، لما كان عليه عدوهم من القوة وكثرة العدد، بينما كان المسلمون قلة، وقد أخذوا على غرة لحرب لم يعدوا لها عدتها، فلم يكونوا يتجاوزون الثلاثمائة إلا ببضع عشرة رجل، وكان فى جيشهم خمسة أفراس، وقال على بن أبى طالب: ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد، ويبدو أن المقداد هو الذى حارب فارساً، والآخرون حاربوا رجالاً.

ولم يكن لديهم غير سبعين بعيراً، يتعقب الثلاثة والأربعة البعير الواحد، ومنهم المشاة على الأقدام، هذه القلة التى لم تستكمل عدتها للحرب، كانت تواجه عدواً معه مائة فرس عليها مائة درع سوى دروع المشاة، وقد خرجوا على الصعب والذلول[1] ممتلئين حماساً وحمية.

هذا الموقف كان لا بد أن يبعث خوفاً فى نفوس المسلمين، حتى النبى ـ ﷺ ـ لم ينج من الخوف، فنجده يكثر من الدعاء على القرشيين والدعاء للمسلمين، ويناشد الله النصر والسلامة من هذا الجيش الزاحف،: اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها[2] تجادلك، فنصرَك الذى وعدتنى ... اللهم أمنهم الغداة، اللهم لا تفلتن أبا جهل فرعون هذه الأمة، اللهم لا تُفلتَنَّ زمعة بن الأسود .. اللهم ... ويدعو لأصحابه ويستعطف عليهم: اللهم انهم حفاة فاحملهم. اللهم إنهم عراة فاكسهم، اللهم إنهم جياع فاشبعهم، وعالة فأغنهم من فضلك ...

هذا الجو يوضح حال المسلمين وحاجتهم إلى الطمأنينة والأمان. وقد أمدهم الله بما يطمئنهم ويهدىء روعهم، فحين المعركة أنزل الملائكة تقف بجانبهم، وقبل المعركة غَشَّاهم النعاس، فناموا جميعاً، وقال على: .. ولقد رأيتنا وما فينا الا نائم، إلا ما كان من رسول الله ـ ﷺ ـ كان يصلى تحت شجرة حتى أصبح.

والنعاس أول النوم، ويستمر فى هجومه على الجسم حتى يصل إلى الهجوع أو الهجود، وهو النوم العميق.

وإذ فى الآية فى موضع نصب بتقدير اذكروا إذ يغشيكم النعاس، فهو تذكير لهم بمنة من المنن التى أنعم الله عليهم بها فى هذا اليوم، وأكثر القراءات بتشديد الشين ـ من غَشَّى بمعنى غطى، والفاعل هو الله تعالى، وقرأ ابن كثير وابن عمر ﴿ يَغشاكم ﴾ أى يشملكم، وقرأ نافع « يُغْشِيكم » بتخفيف الشين، والمعنى واحد فى هذه القراءات كلها، ولكن اعراب كلمة النعاس يختلف، إذ تكون مرة فاعلاً وأخرى مفعولاً، و « أمنة » بالنصب مفعول لأجله، ويجوز أن يكون حالاً أى أمنين، جمع آمن كما يقال كاتب وكتبة، والتقدير أنزل الله عليكم النعاس فبتُّم آمنين بفضل ما أنزل عليكم، وأعربت أيضاً مفعولًا مطلقاً على أنها مصدر.

﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ ﴾

(١) على صعب الانقياد وسهله، وذلك لما كانوا عليه من العجلة.

(٢) بكبريائها وتباهيها بقوتها.

مـــع ســـورة

وهذه منة أخرى مما منَّ الله به على المؤمنين ، ومما كان له أثر فى انتصارهم على المشركين فى ذلك اليوم .

وقد جاء فى الآثار أن المشركين غلبوا فى أول المعركة على الماء ، فظمىء المسلمون ، وأصبحوا مجنبين محدثين ، فصلوا على حالتهم ، وغمرهم الحزن ، ووسوس لهم الشيطان : أتزعمون أن فيكم نبياً ، وأنكم أولياء الله وتصلون مجنبين (على جنابة) فأنزل الله عليهم من السماء هذا الماء حتى سال الوادى ، فشربوا وتطهروا ونشطوا للحرب ، وقال ابن القيم :

إن المطر فى تلك الليلة نزل على المسلمين وعلى المشركين ، ولكن أثره كان مختلفاً ، فقد كان على المشركين وابلاً شديداً حتى منعهم من التقدم ، وكان على المسلمين هينا طهرهم الله به وأذهب عنهم رجز الشيطان ووطأ الأرض ، وصلب الرمل وثبت الاقدام ، وبه ربط الله على قلوبهم .

وكلام ابن القيم يستقيم لأن المكان الذى كان به المشركون كان أرضاً صلبة يجتمع فيها الماء ، ويحول دون التقدم فيه ، بينما كان المسلمون فى أرض دهسة

وعثاء ، تغوص الأقدام فى رمالها ، ولذا تشربت الماء الماء فتجمدت وصلبت ، وسهل على المسلمين الحركة فوقها . وقد جمعوا منه ما تطهروا به وما يكفى لشربهم ، وذهبت به عنهم الوساوس . وصنعوا أيضاً الحياض التى يختزنون فيها الماء .

وتأتى بجانب هذا مشورة الحباب بن المنذر ، إذ نزل المسلمون أولاً الأمر عند أول الماء ، فسأل الحباب رسول الله ـ ﷺ ـ : أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نجاوزه ، أو هو منزل نزلته للحرب والمكيدة ، فقال النبى ـ ﷺ ـ بل للحرب والمكيدة ، فقال الحباب إنه ليس بمنزل ، ولكن سر بنا حتى ننزل أدنى ماء يلى القوم ونُغَوِّرُ ما وراءه من القُلُب [1] ، ونستبقى الحياض ، فيكون لنا ماء ، وليس لهم ماء ، فقال له : أشَرْتَ بالرأى ، وأمْضَى مشورته .

وهذا ماء غير الذى نزل من السماء .

ومعنى الربط على القلوب تقويتها وتثبيتها ، فلا يكون بها جزع ولا هيبة ، وكلمة « على » صلة ، كما يقال : بارك الله عليه ، أى باركه ، وفى القرآن :

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا

بمعنى ثبتناها وجعلناها ذات صبر على غياب ولدها ، وهنا ربط الله على قلوب المسلمين فتشجعوا وقويت عزائمهم على الجهاد .

وقد يكون فى تثبيت الأقدام معنى آخر غير ثباتها على وعثاء الرمال ، وهو الاستقرار وقوة العزيمة على الحرب دون هيبة أو تردد ، وهذا يستعمل كثيراً ، فيقال فى الدعاء ، ثبت الله أقدام جيشنا وقوى عزائمهم ، وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن الفاعل فى هذه الأفعال هو الايمان المفهوم من سياق الكلام

إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا

(١) بضم القاف واللام ، جمع قليب ، أى البئر التى لم تطور بالبناء ، ونغور أى نهدم .

الأنفال

هذا الظرف « إذ » إما معمول لفعل محذوف كالذى قبله ، أى اذكر إذ يوحى ، أو هو معمول ليثبت ، بمعنى يثبت الله أقدامكم على الرمال بالمطر أو الإيمان حين كان يوحى إلى الملائكة أن ثبتوا المؤمنين بوقوفكم إلى جانبهم ، وبوحيهم إليهم أنهم منصورون ، وجاء فى بعض الآثار ، ان الملك كان يأتى الرجل من المسلمين فيقول له : إن القوم من المشركين يقولون : لئن حمل المسلمون علينا لَتُكْشَفَنَ ، ويحدث المسلمون بعضهم بعضاً بذلك ، فتقوى أنفسهم . ومع أن هذا القول مما حكاه الطبرى لا أجد نفسى تميل إليه ، ولا يجمل بالملائكة أن يقولوا قولاً غير صحيح ، وإنما يكون تثبيتهم بمؤازرتهم وتكثير عددهم ، بالوقوف فى صفوفهم ، وهذا كاف ، وهو منة عظيمة .

وحين كان يجد المسلمون هذا التشجيع كان أعداؤهم يواجهون تثبيطاً إذ ألقى الله فى قلوبهم الرعب والفزع ، فاختلفت كلمتهم ، منهم من آثر الرجوع كما فعل الأخنس ابن شريق بمن معه ، إذ انخذلوا من القوم ، ولم يجدوا داعياً ولا مبرراً لهذه الحرب ، والآخرون منهم من اقترح العودة بدون حرب ودعا إليها ومنهم من وقف متردد حائراً ، فكانوا على كثرتهم وتمام عدتهم خائرين ، بينما كان المسلمون على قلتهم يشعرون بالشجاعة والاقدام . ومرد ذلك كله إلى الايمان ، فالمسلمون باعوا أنفسهم لله ، واسترخصوها بجانب ما يرجون من ثواب الآخرة ، وأعداؤهم يجدون أنهم يخاطرون بأنفسهم فى حرب لم يبق لها سبب بعد أن أفلتت قافلة أبى سفيان ـ هؤلاء خافوا وترددوا وهؤلاء شجعوا وتقدموا .

أما الخطاب فى قوله تعالى : فاضربوا فوق الأعناق فهو موجه إلى النبى ـ ﷺ ـ وإلى المسلمين المحاربين . ولا ينبغى أن يكون موجهاً للملائكة ـ كما جنح إلى ذلك بعض المفسرين .

وقال صاحب المنار مستنكراً هذا الرأى : وما أدرى أين يضع بعض العلماء عقولهم عندما يغترون ببعض الظواهر وبعض الروايات الغريبة التى يردها العقل ، ولا يثبتها ما له قيمة من النقل ، فإذا كان تأييد الله للمؤمنين بالتأييدات الروحانية .. وتسهيله لهم الأسباب الحسية .. لم يكن كافياً لنصره إياهم على المشركين ، حتى كان ألف أو آلاف من الملائكة يقاتلون معهم .. فأى مزية لأهل بدر فضلوا بها على سائر المؤمنين ممن غزوا بعدهم وأذلوا المشركين ، وقتلوا منهم الألوف ؟

وبماذا استحقوا قول الرسول ـ ﷺ ـ .... لعل الله ـ عز وجل ـ اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ

أى هذا الذى سبق من تأييد المؤمنين ، وإلقاء الرعب فى قلوب المشركين بسبب أن المشركين نازعوا الله ورسوله ، وعادوهما ، فكانوا فى شق غير الشق الذى به متبعو كلام الله ، أو هو تعليل للأمر بالضرب فوق الأعناق وقطع كل بنان منهم .

ثم وجه ـ سبحانه الخطاب للمشركين فى قوله :

ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ أى ذوقوا مرارة هذه الهزيمة فى الدنيا ، وعذاب النار فى الآخرة أشد وأنكى .

قبس من أنوار النبوة

التنافس في .. الخير

للشيخ على حامد عبد الرحيم

عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال : « أمرنا رسول الله ﷺ بالصدقة فوافق ذلك مالا عندى ، فقلت : اليوم أسبق أبا بكر ، إن سبقته يوما . فجئت بنصف مالى ، فقال رسول الله ﷺ : ما أبقيت لأهلك ؟ فقلت : مثله . قال : وأتى أبو بكر بكل ماعنده ؛ فقال رسول الله ﷺ ما أبقيت لأهلك ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله . قلت : لا أسابقك إلى شىء أبدا » أخرجه أبو داود ، والترمذى وصححه .

فى هذه الأيام المباركة ، وهذا الشهر العظيم ، شهر البر والرحمة .. نعيش مع المثل العليا ، مع صحابة رسول الله ﷺ ، فهم الذين اتصفوا بكل صفات الخير ، وخاصة صفة الجود ، فقد كانوا يلتمسون جود رسول الله وكان أجود مايكون فى رمضان .. فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة ـ رواه البخارى .

روى مسلم : عن جرير بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ أن قوما من مضر اقبلوا على الرسول ﷺ فى صدر يوم من الأيام ، وقد بدت عليهم أمارات الفقر والفاقة يضعون على أجسادهم مزقا لاتكاد تسترها حتى لكأنهم عرايا ، فتغير لذلك وجه الرسول ﷺ وبدا عليه الغضب الشديد ، وَرُئى ﷺ يومئذ مهتما قلقا ، يدخل ويخرج ، ويقوم ويقعد ، ثم أمر بلالا أن يؤذن فى الناس فأذن بلال ، وحضر الناس ، وأقيمت الصلاة ثم خطب فقال :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (١) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۚ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (٢)

ألا فليتصدق رجل من ديناره ، من درهمه ، من ثوبه ، من صاع بره من صاع تمره ، إلى أن قال : « ولو بشق تمرة » فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها ، بل قد عجزت ثم تتابع الناس حتى تجمع كومان من طعام وثياب : فتهلل وجه النبى ﷺ لما رأى من تلبية ندائه ، واستجابة دعوته ثم قال : « من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شىء ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شىء » .

لقد تعلموا من رسول الله ﷺ حيث قال : فيما رواه أبو داود عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ :

(١) النساء ١ .

(٢) الحشر الآيات : ١٨ ـ ٢٠

« أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عُرْيٍ كساه الله من خضر الجنة ، وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة ، وأيما مسلم سقى مسلما على عطش سقاه الله من الرحيق المختوم » .

لقد كان صحابة رسول الله ﷺ يبحثون عن كل مايقربهم إلى الله فيسارعون إليه .

روى البخارى ومسلم وغيرهما عن أنس ــ رضى الله عنه ــ قال : كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل ، وكان أحب أمواله إليه « بيرحاء » اسم حديقة ــ وكانت مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب .

قال أنس : فلما نزلت هذه الآية :

لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ (١) .

قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله إن الله تبارك وتعالى يقول : لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ وإن أحب أموالى إلىَّ (بيرحاء) وإنها صدقة أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يارسول الله حيث أراك الله فقال رسول الله ﷺ : بخ(٢) ــ ذاك مال رابح ذاك مال رابح » .

وحسبنا أن القرآن الكريم سَجَّل للأنصار فى المدينة صورة راقية عن الإخاء والمواساة والإيثار فقال :

وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٣).

روى الإمام مالك فى (موطئه) أنه بلغه عن عائشة ــ رضى الله عنها ــ أن مسكينا سألها ، وهى صائمة ، وليس فى بيتها إلا رغيف ، فأمرت جارية لها أن تعطيه الرغيف فقالت الجارية ، ليس لك ماتفطرين عليه ؟ فقالت : « أعطيه أياه » ففعلت .

وروى الحاكم فى (المستدرك) أن معاوية بن أبى سفيان بعث بثمانين ألف درهم إلى عائشة ــ رضى الله عنها ــ وكانت صائمة ، وعليها ثوب خلق فوزعت هذا المال من ساعتها على الفقراء والمساكين ، ولم تبق منه شيئا ، فقالت لها خادمتها : يأم المؤمنين ، مااستطعت أن تشترى لنا لحما بدرهم تفطرين عليه ؟ فقالت يابنية لو ذكرتنى لفعلت .

فإذا كان المسلمون الأولون قد سارعوا إلى الخير ، وتنافسوا فى عمل يقربهم إلى الله ــ عز وجل ــ فإنهم عند حلول شهر رمضان كانوا أكثر تنافسا اقتداء برسول الله ﷺ : الذى يقول : فيما رواه الطبرانى وابن النجار عن عبادة بن الصامت ــ رضى الله عنه ــ أتاكم شهر رمضان ، شهر بركة فيه خير يغشيكم الله فينزل الرحمة ويحط فيه الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، ينظر الله إلى تنافسكم ويباهى بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيرا، فإن الشقى من حرم فيه رحمة الله عز وجل .

وحديث الباب ــ معنا ــ يسوق أوضح دليل على التنافس فى فعل الخير ، والمبادرة إليه كما نرى رسول الله ﷺ متألما مستاءا لما عليه ضيوفه من فاقة ، يصورها حديث جرير بن عبد الله ــ رضى الله عنه ــ الذى رواه الإمام مسلم ، ولاينزاح عنه ألمه ــ عليه الصلاة والسلام ــ حتى يجد بين يديه من تعاون أصحابه مايرفع فاقة القوم .

كما يبدو إيثار عائشة أم المؤمنين وأصحابه ﷺ على أروع مايكون فأم المؤمنين على صيامها لا تتذكر أن تبقى لنفسها شيئا من خبز أو مال وهكذا لايتأتى أن يكون المسلمون جسدا واحدا إلا بهذا القسط من التعاون الذى دعا إليه الإسلام ومارسه الرسول الكريم ﷺ وصحبه رضوان الله عليهم أجمعين .

---

(١) آل عمران (٩٢) .
(٢) (بخ) كلمة استحسان .
(٣) الحشر (٩) .

من فقه الأئمة

للشيخ محمد حسام الدين

أستروح كثيرا بالقراءة لما كتب أئمة الفقه الإسلامى ــ رحمهم الله ــ وهى فى جملتها : قرآن ، أو سنة ــ أو مايدور فى فلكهما ــ واستخراج دقيق للأحكام الشرعية ، يأتى على مستوى العلم ، والفضل والسبق الذى حباهم الله إياه .

وقد طالعت لعهد قريب فى موطأ مالك ــ رضى الله عنه ــ باب صوم المسافر فى رمضان .

ورأيت هذا الإمام يزجى ماثبت لديه من روايات السنة فى المسألة ؟ ولا يعلق عليها بشىء مما يعهد عنه من عباراته الفاصلة .

كقوله : الأمر المجتمع عليه عندنا الذى لااختلاف فيه ، والذى أدركت عليه أهل العلم ببلدنا كذا ، أو قوله : إن أحسن ماسمع فى المسألة كذا .. أو ــ وهذا أحسن ماسمعت ــ أو ــ وهذا أحب ماسمعت إلىَّ .. وأمثال هذه التعليقات ، وأكتفى الإمام بدلالة السياق للإشارة إلى اختياره فى الموضوع .

لقد نشأ الخلاف فى المسألة تبعا للخلاف فى فهم قوله تعالى﴿ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيامٍ أُخر ﴾ هل الآية على غير محذوف ؟ أم أنها على تقدير محذوف تدخل عليه الفاء ؟ والتقدير : فالذى ينوب عن صومه فى وقت الصوم عدة من أيام أخر كما يقول الزجاج[1] .

أو أن التقدير : فأفطر فعدة من أيام أخر ؟

هل الإفطار فى السفر فى رمضان عزيمة بحيث لايجزىء فيه الصيام عن الفريضة ؟ أم أنه رخصة : إن شاء صام المسافر أو أفطر ؟

هذا هو منشأ الخلاف فى الرأى ، قال القرطبى : استدل بهذه الآية من قال : إن الصوم لاينعقد فى السفر ، وعليه القضاء أبدا ، فإن الله تعالى يقول : ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ﴾[2] ، أى فعليه عدة ، ولا حذف فى الكلام ولا إضمار ، وبقوله عليه الصلاة والسلام : « ليس من البر الصيام فى السفر »[3] قال[4] : مالم يكن من البر فهو من الإثم ، فيدل ذلك على أن صوم رمضان لايجوز فى السفر .

(١) معانى القرآن وإعرابه ٢٣٩/١ بتحقيق الدكتور عبد الجليل شلبى .
(٢) الآية ١٨٤ من سورة البقرة .
(٣) ثابت فى الصحيحين .
(٤) أى من استدل بهذا الحديث .

والجمهور يقولون فيه محذوف تقديره : فأفطر ، وهو الصحيح ، لحديث أنس : قال : « سافرنا مع رسول الله ﷺ فى رمضان ، فلم يعب الصائم على المفطر ، ولا المفطر على الصائم » رواه مالك عن حميد الطويل عن أنس ، وأخرجه مسلم عن أبى سعيد الخدرى » أ.هـ(١) .

وقد يكون مع الرأى الأول من هذين مارواه مالك فى موطئه عن نافع ، أن عبد الله ابن عمرو رضى الله عنهما — كان لايصوم فى السفر .

قال ابن عبد البر : كان ابن عمر يرى أن الصوم فى السفر لايجزىء ؛ لأن الفطر عزيمة من الله تعالى ،.. وبه — أى بهذا الرأى — قال أبوه عمر ، وأبو هريرة ، وعبد الرحمن بن عوف — رضى الله عنهم — وقوم من أهل الظاهر . قال : ويرده أحاديث الباب : « أى فى الموطأ » أ.هـ — ابن عبد البر —(٢) .

وكذلك اتجه إلى هذا الرأى فقهاء الشيعة الإسماعيلية . قال فقيههم الكبير : القاضى النعمان : أبو حنيفة بن محمد بن منصور بن أحمد بن حَيُّوق التميمى المغربى المتوفى سنة ٣٦٣ هـ(٣) : « أوجب الله عز وجل على المسافر فى أيام شهر رمضان صيام عدة أيام سفره من غيره ، ولم يوجب عليه الصوم فى السفر ، فكان على هذا القول : من صام فى السفر صام مالم يفرض عليه صيامه ، وعليه أن يأتى بما فرض عليه من أيام أخر » .

« وقد روينا عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه أن رسول الله ﷺ سافر فى شهر رمضان فأفطر وأمر من معه أن يفطروا ، فتوقف قوم عن الفطر ، فسماهم العصاة .

وذلك لأنه أمرهم ﷺ فلم يأتمروا لأمره ، وفى ذلك خلاف على الله عز وجل ، وعلى رسوله .

وإنما أمرهم بالفطر ﷺ ليعلموا وجه الأمر فى ذلك ، وأن صومهم فى السفر غير مُجْزِ عنهم على ظاهر كتاب الله عز وجل » أ.هـ .

كما أتجه إلى هذا الرأى فقهاء الشيعة الإمامية الاثنى عشرية : قال المحقق الحِلِّى : أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن المتوفى سنة ٦٧٦ هـ : « ولا يصح الصوم الواجب من مسافر يلزمه التقصير(٤) ، إلا ثلاثة أيام فى بدل الهدى ، وثمانية عشر يوما فى بدل البدنة لمن أفاض من عرفات قبل الغروب عامدا ، والنذر المشروط سفرا وحضرا ، على قول مشهور . وهل يصوم مندوبا ؟ قيل : لا . وقيل : نعم وقيل : يكره ، وهو الأشبه » أ.هـ(٥) .

هذا : ولعله من المعلوم أن فقهاء أهل السنة فى جمهورهم على أن الإفطار للمسافر فى رمضان رخصة له : إن شاء صام ، أو شاء أفطر .

واختلفوا فى الأفضل منهما : الفطر ؟ أو الصوم ؟.

« فقال مالك والشافعى فى بعض ماروى عنهما : الصوم أفضل لمن قوى عليه ، لكن جمهور أصحاب مالك وأصحاب الشافعى على الرأى بالتخيير للمسافر دون تفضيل » .

أما أبو حنيفة وأصحابه فهم على أن الصوم فى السفر أفضل لمن قدر عليه .

وقد رُوِىَ عن ابن عمر وابن عباس أن الرخصة أفضل ، وبه قال سعيد ابن المسيب ، والشعبى ، وعمر بن عبد العزيز ، ومجاهد ، وقتادة ،

---

(١) تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن ٦٦٢/٢ — ط الريان .
(٢) أنظر شرح الزرقانى على الموطأ .
(٣) دعائم الإسلام ٢٧٦ ط دار المعارف .
(٤) أى يلزمه قصر الصلاة — وهو بشروطه عزيمة لديهم .
(٥) شرائع الإسلام فى مسائل الحلال والحرام ١٧٨/١ — ط جمعية آل البيت .

من فقه الأئمة

والأوزاعى ، وأحمد ، وإسحاق بن راهويه ، فكل هؤلاء يقولـون : الفطر أفضل[1] ، لقولـه تعالى : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾

وبهذا الذى قدمناه يتضح مانحا إليه الإمام مالك ، وقد عرض ــ بما أورده من أحاديث وآثار ــ وجوه الرأى فى المسألة .

قال فى الموطأ : « حدثنى[3] يحيى عن مالك عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ خرج إلى مكة عام الفتح فى رمضان حتى بلغ الكديد ، ثم أفطر الناس ، وكانوا يأخذون بالأحدث من أمر رسول الله ﷺ » .

قال : « وحدثنى عن مالك عن سُمَىٍّ مولى أبى بكر ابن عبدالرحمن ، عن أبى بكر بن عبد الرحمن ، عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ أمر الناس فى سفر عام الفتح بالفطر ، وقال : تَقَوَّوا لعدوكم . وصام رسول الله ﷺ قال أبو بكر « أى أبو بكر بن عبد الرحمن » قال الذى حدثنى : لقد رأيت رسول الله ﷺ بالعَرَج يَصُبُّ الماء على رأسه من العطش ، أو من الحر ، ثم قيل لرسول الله ﷺ : إن طائفة من الناس قد صاموا حين صمت ، قال : فلما كان رسول الله ﷺ بالكديد دعا بقدح فشرب فأفطر الناس » .

قال : « وحدثنى عن مالك عن حميد الطويل عن أنس بن مالك أنه قال : سافرنا مع رسول الله ﷺ فى رمضان ، فلم يعب الصائم على المفطر ، ولا المفطر على الصائم » .

قال : « وحدثنى يحيى عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه أن حمزة بن عمرو الأسلمى قال لرسول الله ﷺ : يارسول الله : إنى رجل أصوم .. أفأصوم فى السفر ؟ فقال له رسول الله ﷺ : إن شئت فصم ، وإن شئت فافطر » .

وحدثنى عن مالك عن نافع أن عبد الله بن عمر كان لايصوم فى السفر .

وحدثنى عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان يسافر فى رمضان ، ونسافر معه ، فيصوم عروة ونفطر نحن ، فلا يأمرنا بالصيام .

هذا ما أورده الإمام مالك فى الموطأ فيما يخص صوم المسافر فى رمضان ، وقد علق عليه الفقهاء بأن الزيادة فى حديث ابن عباس الذى رواه مالك عن ابن شهاب الزهرى هى من زيادة الزهرى . وهى : « وكانوا يأخذون بالأحدث فالأحدث من أمر رسول الله ﷺ » على مايتبين من رواية البخارى ومسلم . قال الحافظ ابن حجر : وظاهره أنه ــ أى الزهرى ــ ذهب إلى أن الصوم فى السفر منسوخ ، ولم يوافق[4] ــ بالبناء للغائب ــ أ.هـ .

أما إغفال ذكر الصحابة فى رواية أبى بكر بن عبد الرحمن فإنه لا يضر بالحديث ذلك لأن الصحابة جميعا عدول ، وهذه الرواية كشفت عن السبب فى الأمر بالإفطار وأنه من أجل أن يتقووا للعدو .

---

(٢) الآية ١٨٥ من سورة البقرة .

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى .

(٣) القائل : « حدثنى » هو عبيد الله بن يحيى بن يحيى بن كثير الليثى راوى الموطأ عن أبيه يحيى بن يحيى بن كثير ، وقد اشتهر عبيد الله بفقيه قرطبة ، وكان ذا حرمة وجلالة روى عنه خلق كثير ، وتوفى سنة ٢٧٨ هـ .
أما يحيى فهو : يحيى بن يحيى بن كثير الليثى القرطبى راوى الموطأ ، وروايته أشهر الروايات بالمغرب ، توفى سنة ٢٣٤ هـ . أنظر تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ، وتاريخ التراث العربى لسيزكن ، وشرح الموطأ للزرقانى . مقدمة .

(٤) تنوير الحوالك للسيوطى .

أما رواية أنس بن مالك ، ورواية حمزة بن عمرو الأسلمي ، ورواية هشام ابن عروة عن أبيه فهي توضح الرأى بالخيار بين الصوم والفطر للمسافر في رمضان ، دون تفضيل لأى منهما على الآخر ، وهو مانحا إليه الإمام مالك ، ومع هذا فإنه لم يتأخر عن أن يثبت مذهب ابن عمر رضى الله عنهما بوجوب الإفطار في هذا الحال .

ولقد سار الشافعي على منهج أستاذه مالك فيما رآه في المسألة ، غير أن أسلوب الشافعي في الكتابة يتسم بمواجهة المخالفين له ، ودفع الحجة بالحجة « قال الشافعي »[1] : « وقد نهى[2] عن صيام السفر ، وإنما نَهى عنه عندنا — والله أعلم — على الرفق بالناس ، لاعلى التحريم ، ولا على أنه لايجزىء ، وقد يسمع بعض الناس النّهى ، ولايسمع ما يدل على معنى النهى ، فيقول بالنهى جملة[3] » .

« قال الشافعي » : والدليل على ماقلت لك أنه[4] رخصة في السفر أن مالكا أخبرنا عن هشام بن عروة عن أبيه : عن عائشة أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال : يارسول الله : أصوم في السفر ؟ وكان كثير الصوم . فقال رسول الله ﷺ : « إن شئت فصم ، وإن شئت فافطر » .

أخبرنا مالك عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : سافرنا مع رسول الله ﷺ في رمضان ، فلم يَعبْ الصائم على المفطر ، ولا المفطر على الصائم .

« قال الشافعي » : وهذا دليل على ماوصفت .

فإن قال إنسان : فإنه[5] قد سَمَّى الذين صاموا[6] : العصاة ؟؟ فقد[7] نهى النبى عليه الصلاة والسلام عن الصيام في السفر للتقّوِّى للعدو . وذلك أنه كان محاربا عام نهى عن الصيام في السفر ، فأبى قوم إلا الصيام ، فَسَمّى بعض من سمع النهى : العصاة . إذ تركوا الفطر الذى أمروا به .

وقد يمكن أن يكون قد قيل لهم ذلك على أنهم تركوا قبول الرخصة ، ورغبوا عنها ، وهذا مكروه عندنا .

إنا نقول : يفطر أو يصوم .. وهو يعلم أن ذلك واسع له . فإن جاز ذلك فالصوم أحب إلينا لمن قوى عليه .

« قال الشافعي » : فإن قيل : قد روى : ليس من البر الصيام في السفر . قيل : ليس هذا بخلاف حديث هشام بن عروة[8] ، ولكنه[9] كما وصفت[10] إذا رأى — أى الرجل — الصيام برا ، والفطر مأثما وغير بر ، رغبة عن الرخصة في السفر . أ.هـ .

هذا : وبالله التوفيق

---

(١) ٨٧/٢ — الأم — ط دار الشعب .

(٢) أى نهى النبى ﷺ بقوله : « ليس من البر الصيام في السفر » .

(٣) أى النهى العام بما يشمل معنى التحريم .

(٤) أى أن الأفطار رخصة .

(٥) أى النبى ﷺ .
(٦) أى في سفره لفتح مكة .
(٧) هذا جواب لقول القائل أو سؤاله عن تسمية الصائمين يومئذ : العصاة .
(٨) الحديث الذى أورده آنفا ، والذى أفاد التخيير .
(٩) أى ولكن نفى البر عن الصوم .
(١٠) أى كما بينت .

أحكام نية الصوم فى الفقه الإسلامى

الدكتور/ محمد حسين قنديل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين آمين .

وبعد ......

فإن نية الصوم من المسائل التى كثر فيها القول من قبل العلماء ، وتعددت فيها الآراء عند الفقهاء ، ولما كان الصوم ركن من أركان الإسلام ، وفريضة متجددة كل عام على القادر عليه وتتوقف صحته على النية ، آثرت أن أتناول هذا الموضوع بالدراسة المقارنة حتى يتبين للقارىء المسلم الرأى الذى يمكنه العمل به فى كل مسألة من مسائل النية .

وجعلت منهجى فى هذه الدراسة :

١ ـ عرض الآراء فى كل مسألة من المسائل .

٢ ـ وذكرت بعد كل رأى أدلته ، ووجه الدلالة منها ما أمكننى ذلك .

٣ ـ ثم ناقشت الأدلة ، وذكرت الأجوبة عن الاعتراضات إن وجدت .

٤ ـ وأخيرا رجحت ماظهر لى ترجيحه ، وبينت سبب ذلك .

والله أسأل أن ينفعنى وأبناء المسلمين بهذا العمل ، وأن يجعله فى موازين أعمالنا يوم القيامة آمين ، وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الأستاذ المساعد بكلية الشريعة جامعتى الأزهر وقطر

تمهيـد ويتضـمن : تعريف النية :

أولا : فى اللغة :

نوى ـــ نوًى ، ونية : تحول من مكان إلى آخر . ونوى : بعد . و ـــ التمر : صار له نوًى .

ونوى الأمر نية : قصده وعزم عليه . ويقال : نويت منزل كذا ، ونويت أمرا . ويقال : نواه الله بخير : قصده به رأوصله إليه .

ونوى الشىء : جد فى طلبه . و ـــ فلانا : قضى حاجته[1] .

والنيّة مؤنث النـوى ، فالنيـة والنـوى معنـــاهما واحد[2] .

والنِيَّة بالتخفيف لغة فى النية كما قال صاحب الـلسان : « النيّة بالتشديد هى النِيَة مخففة » والنية وإن كانت مصدرا ، إلا أنها تجمع على نيات باعتبار تنوعها ، فقد تكون النية فعلية موجودة ، أو حكمية معدومة ، أو باعتبار مقاصد الناوى ؛ يقول الطيبى مبينا مايمكن أن ينويه من أراد أن يفعل شيئا : « فنية العوام فى طلب الأغراض مع نسيان الفضل ، ونية الجهال التـحصن عن سوء القضاء ونزول البلاء ، ونية أهل النفاق التزين عند الله وعند الناس ، ونية العلماء إقامة الطاعات »[3] .

ثانيا : فى الاصطلاح :

قال النـووى[4] : « النيـة هى الـــقصد إلى الشىء والعزيمة على فعله » وقال القرافى[5] : وهى قصد الإنسان بقلبه مايريده بفعله » .

نلحظ من هذين التعريفين أنهما عرفا النية بالقصد والعزم ، وهذا يتفق مع مدلول الكلمة فى لغة العرب .

وقد عرف ابن القيم النيـة بأنها عمـل القـلب[6] . وعرفها التيمى بأنها وجهة القلب[7] .

وتعريفها بذلك لايعارض تعريفها بالقصد والعزم ، إذ القصد والعزم عملان من أعمال القلوب ، والتعريف بهما تعريف غير مانع ، لأن وجهة القلب وعمله قد تكون رغبة أو رهبة أو حبا ، أو كراهية ، وقد تكون إرادة ، وقد تكون نية : قصدا أو عزما . فتعريف النية بأنها عمل القلب أعم من المعروف[8] .

وقد عرف البيضاوى النية تعريفا مميزا عما سبق فقال[9] : « النية عبارة عن انبعاث القلب نحو مايراه موافقا لغرض من جلب نفع أو دفع ضر حالا أو مالا » .

المبحـث الأول
فى حكـم النيـة فى الصـيام

يرى جمهور الفقهاء[10] أنه لايصح صوم إلا بنية ، سواء أكان الصوم واجبا أم تطوعا .

وبرهان ذلك :

١ ـــ قوله تعالى[11] : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ ، فصح أنهم لم يؤمروا بشىء فى الدين إلا بعبادة الله تعالى ، والاخلاص له فيها بأنها دينه الذى أمر به .

---

(١) انظر : المعجم الوسيط ٩٦٥/٢ . إدارة إحياء التراث الإسلامى بدولة قطر .

(٢) انظر : تهذيب اللغة ٥٥٦/١٥ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء ، لسان العرب ٣ / ٧٥١ ـ دار لسان العرب ـ بيروت .

(٣) دليل الفالحين ٥٤/١ . مطبعة حجازى بالقاهرة ، فيض القدير ٣٤/١ المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

(٤) المجموع ٣٦٧/١ . الناشر زكريا على يوسف . القاهرة ، فيض القدير ٣٠/١ .

(٥) أنظر : الذخيرة للقرافى ١٣٤/١ مطبعة كلية الشريعة بالقاهرة .

(٦) بدائع الفوائد لابن القيم ١٩٢/٣ إدارة الطباعة المنيرية بالقاهرة .

(٧) الكرمانى على البخارى ١٨/١ . الطبعة الأولى ١٣٥١ هـ .

(٨) انظر : مقاصد المكلفين للدكتور عمر سليمان الأشقر ص ٣٠ مكتبة الفلاح بالكويت .

(٩) انظر : الكرمانى على البخارى ١٨/١ ، فيض القدير ٣٠/١ ، عمدة القارى للعيْن ٢٣/١ . إدارة الطباعة المنيرية بمصر .

(١٠) أنظر : الهداية مع شرح فتح القدير ٢٣٥/٢ . دار إحياء التراث العربى ـــ بيروت ، القوانين الفقهية لابن جُزَىّ ص ٧٩ . دار القلم ـــ بيروت ؛ المجموع شرح المهذّب للنووى ٢٨٨/٦ . دار الفكر ، المغنى لابن قدامة ٩١/٣ . عالم الكتب ـــ بيروت .

(١١) سورة البينة الآية رقم ٥ .

أحكام نية الصوم في الفقه الإسلامي

وقال رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه : « **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى** »[1] .

فصح أنه لاعمل إلا بنية له ، وأن ليس لأحد إلا مانوى . وصح أيضا أن من نوى الصوم فله الصوم ، ومن لم ينوه فليس له صوم .

ومن طريق النظر : أن الصوم إمساك عن الأكل والشرب ، وتعمد القيء ، وعن الجماع ، وعن المعاصي ، فكل من أمسك عن هذه الوجوه ــ لو اجزأه الصوم بلا نية للصوم ــ لكان في وقت صائما ، وهذا مالايقوله أحد[2] ولأن الصوم عبادة محضة فلم يصح من غير نية كالصلاة[3] .

وخالف الجمهور عطاء ، ومجاهد ، وزفر ، فقالوا : من صام رمضان ، وهو لاينوى صوما أصلا ، بل نوى أنه مفطر في كل يوم منه ، إلا أنه لم يأكل ولم يشرب ، ولاجامع ، فإنه صائم ويجزئه ، ولابد له في صوم التطوع من نية .

واحتجوا على ماسبق : بأن النية إنما تشترط للتعيين ، والحاجة إلى التعيين إنما تكون عند المزاحمة ، ولا مزاحمة لأن الوقت لايحتمل إلا صوما واحدا في حق المقيم ، وهو صوم رمضان ، فلا حاجة إلى التعيين بالنية[15] .

ورد الجمهور على زفر ومن معه بالنصوص الآمرة **بالنية في العبادات عموما ، وفي الصوم على وجه الخصوص ،** كقوله ﷺ : « **إنما الأعمال بالنيّات** » ، قوله ﷺ : « **لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل** »[4] .

ورد الشافعي حجتهم في أن الصوم لايحتاج إلى نية ، لأنه متعين بصورته ، إذ له وقت محصور محدود ، بأن هذا يمكن أن يقع في الصلاة .

فوقت الصلاة قد يتضيق حتى لايسع إلا الفرض ، ومع ذلك لابد للصلاة التي وقعت في الوقت المتضيق من نية[5] .

وقال على[6] : قول زفر حجة عليه ، مبطل لقوله ، لأنه لما كان موضعا للصوم لا للفطر أصلا وجب أن ينوى مافترض الله تعالى عليه من العبادة بذلك الصوم ، وأن يخلص النية لله تعالى فيها ، ولايخرجها مخرج الهزل واللعب .

ووجه آخر : وهو أن شهر رمضان أمرنا بأن نجعله للصوم ، ونهينا فيه عن الفطر ، إلا حيث جاءنا النص بالفطر فيه ، فهو وقت للطاعة ممن أطاع بأداء ما أمر به ووقت – والله – للمعصية العظيمة فمن عصى الله تعالى فيه وخالف أمره عز وجل فلم يصمه كما أمر ، فإذا هو كذلك ــ يقينا بالحس والمشاهدة ــ فلا بد ضرورة من قصد إلى الطاعة المفروضة ، وترك المعصية المحرمة ، وهذا لايكون إلا بنية لذلك . وهذا في غاية البيان والحمد لله ؟!

ووجه ثالث : وهو أنه يلزم على هذا القول أن من لم يبق له من وقت صلاة الصبح إلا مقدار ركعتين فصلى ركعتين تطوعا أو عابثا : أن يجزئه ذلك من صلاة الصبح ، لأن ذلك الوقت وقت لها ، لا لغيرها أصلا ، وهذا هو القياس : إن كان القياس حقا ؟!

---

(١) انظر : صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ١٦٠/١ المطبعة السلفية .

(٢) أنظر : المحلى بالآثار لابن حزم ٢٨٦/٤ تحقيق الدكتور / عبد الغفار سليمان البنداري . دار الكتب العلمية ــ بيروت .

(٣) أنظر : المجموع ٢٨٨/٦ .

(٤) أنظر : شرح فتح القدير ٢٣٨/٢ ، البدائع للكلاساني ٨٣/٢ . الطبعة الأولى ١٣٢٧ هـ ، المحلى بالآثار ٢٨٦/٤ .

(٥) يأتي تخريجه ، لأنه يحتاج إلى تفصيل دقيق .

(٦) أنظر : الأم للشافعي ٨٣/٢ كتاب الشعب .

(٧) أنظر : المحلى بالآثار ٢٨٩/٤ .

والراجح مما سبق هو رأى الجمهور ، لقوة أدلتهم ، وسلامتها من المناقشة ، ولأن الصوم عبادة ، والعبادات لاتصح إلا بالنية ، لقوله ﷺ « **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى** » والله أعلم بالصواب .

المبحث الثانى
فى تحديد وقت النية للصوم

الصوم إما أن يكون فرضا أو نفلا ، وتحديد وقت النية لكل منهما مختلف فيه عند الفقهاء ، ونفصل هذا من خلال المطلبين الآتيين :

المطلب الأول
فى تحديد وقت النية لصوم الفرض

اختلف الفقهاء فى تحديد وقت النية لصوم الفرض ، وذلك على رأيين :

الرأى الأول :[1] ذهب الجمهور مالك ، والشافعى ، وأحمد ، وإسحق ، وداوود وأبى سليمان — إلى أن تبييت النية شرط فى صوم رمضان وغيره من الصوم الواجب ، فلا يصح صوم رمضان ولا قضاء ولا الكفارة ، ولا صوم فدية الحج وغيرها من الصوم الواجب بنية من النهار .

ولا يصح أيضا صوم النذر الواجب بنية من النهار عند الجمهور .

أدلة الجمهور على ماذهبوا إليه :

١ — روى النسائى من طريق أحمد بن أزهر عن عبد الرزاق عن ابن جريج عن ابن شهاب عن سالم عن عبد الله بن عمر عن حفصة ، قالت ، قال النبى ﷺ : « **من لم يبيت الصيام من الليل فلا صيام له** » [3] .

وقال النووى بعد أن ساق الحديث[3] : (حديث حفصة — رضى الله عنها — رواه أبو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجة والبيهقى وغيرهم بأسانيد كثيرة الاختلاف ، وروى مرفوعا كما ذكره المصنف ، وموقوفا من رواية الزهرى عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن أخته حفصة واسناده صحيح فى كثير من الطرق فيعتمد عليه ولايضر كون بعض طرقه ضعيفا أو موقوفا ، فإن الثقة الواصل له مرفوعا معه زيادة علم فيجب قبولها كما سبق تقريره مرات ، وأكثر الحفاظ رواية لطرقه المختلفة النسائى ثم البيهقى ، وذكره النسائى فى طرق كثيرة موقوفا على حفصة ، وفى بعضها موقوفا عن عبد الله بن عمر ، وفى بعضها عن عائشة وحفصة موقوفا عليهما .

وقال الترمذى : لانعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه ، وقد روى عن نافع عن ابن عمر قوله وهو أصح .

وقال البيهقى : هذا حديث قد اختلف على الزهرى فى إسناده وفى رفعه إلى النبى « قال وعبد الله بن أبى بكر أقام إسناده ورفعه وهو من الثقات الاثبات . وقال الدارقطنى : رفعه عبد الله بن أبى بكر وهو من الثقات الرفعاء . ورواه البيهقى من رواية عائشة عن النبى ﷺ قال : « **من لم يبيت الصيام قبل طلوع الفجر فلا صيام له** » . قال البيهقى قال الدارقطنى إسناده كلهم ثقات . قلت : والحديث حسن يحتج به إعتمادا على رواية الثقات الرافعين ، والزيادة من الثقة مقبولة .

وجه الدلالة من الحديث :

يدل الحديث على أنه لايصح الصيام إلا بتبييت النية ، وهو أن ينوى الصيام فى أى جزء من الليل ، وأول وقتها الغروب ، وذلك لأن الصوم عمل والأعمال بالنيات ، وأجزاء النهار غير منفصلة من الليل بفاصل يتحقق ، فلا يتحقق إلا إذا كانت النية واقعة فى جزء من الليل [4] .

٢ — واستدلوا بالقياس فقالوا [5] : نقيس صوم رمضان على القضاء والكفارة ، بجامع الفرضية والوجوب فى كل .

---

(١) مواهب الجليل من أدلة خليل للشنقيطى ٣٠/٢ . إدارة إحياء التراث الاسلامى بدولة قطر ، المهذب للشيرازى ١٨٧/١ دار المعرفة بيروت ، كشاف القناع للبهوتى ٣١٤/٢ عالم الكتب — بيروت ، المحلى بالآثار ٢٩٦/٤ .

(٢) سنن النسائى ١٩٦/٤ المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

(٣) انظر : المجموع ٢٨٩/٦ .

(٤) انظر : سبل السلام للصنعانى ٣١٣/٢ — دار الكتاب العربى — بيروت .

(٥) انظر : المغنى ٩٢/٣ .

أحكام نية الصوم في الفقه الإسلامي

الرأى الثانى[1] : ذهب الإمام أبو حنيفة وأصحابه إلى أن صوم رمضان يتأدى بنية من بعد غروب الشمس إلى منتصف النهار .

وخالف زفر من الأحناف فى المريض والمسافر إذا صام رمضان فقال : لايجوز رمضان من المسافر والمريض إلا بنية من الليل : لأنه فى حقهما كالقضاء لعدم تعينه عليهما .

ورد الحنفية على زفر فقالوا : لاتفصيل فيما ذكرنا فى الواجب المعين ، ثم هما إنما خولف بهما الغير شرعا فى التخفيف لا التغليظ ، وصوم رمضان متعين بنفسه على الكل ، غير أنه جاز لهما تأخيره تحقيقا للرخصة ، فإذا صاما وتركا الترخص إلتحقا بالمقيم .

أدلة أبى حنيفة وصاحبيه :

١ ــ حديث سلمة بن الأكوع ــ رضى الله عنه ــ أن النبى ﷺ بعث رجلا ينادى فى الناس يوم عاشوراء : **« أن من أكل فليتم ، أو فليصم ، ومن لم يأكل فلا يأكل »**[2] .

الحديث فيه دليل على أنه كان أمر ايجاب قبل نسخه برمضان ، إذ لايؤمر من أكل بإمساك بقية اليوم إلا فى يوم مفروض الصوم بعينه ابتداء ، بخلاف قضاء رمضان إذا أفطر فيه ، فعلم أن من تعين عليه صوم يوم ولم ينوه ليلا أنه يجزيه نيته نهارا ، وهذا بناء على أن عاشوراء كان واجبا[3] .

واحتجوا بالقياس من طريقين :

الأول[4] : قياس الفرض على النفل بجامع أن كلا منهما صوم ، ولقد صح فى النفل أن الرسول ﷺ كان ينويه من النهار ، فيجوز ذلك فى الفرض أيضا .

والثانى[5] : قياس النية المتأخرة على المتقدمة من أول الغروب والجامع بينهما التيسير ودفع الحرج .

وبيان هذا : أن الأصل أن النية لاتصح إلا بالمقارنة ، أو مقدمة مع عدم اعتراض ماينافى المنوى بعدها قبل الشروع فيه ، فإنه يقطع اعتبارها على ماقدمناه فى شروط الصلاة . ولم يجب فيما نحن فيه ، لا المقارنة وهو ظاهر ، فإنه لو نوى عند الغروب أجزأه ، ولا عدم تخلل المنافى لجواز الصوم بنية يتخلل بينها وبينه الأكل والشرب والجماع مع انتفاء حضورها بعد ذلك إلى انقضاء يوم الضوم . والمعنى الذى لأجله صحت المتقدمة لذلك التيسير ودفع الحرج اللازم لو ألزم أحدهما ، وهذا المعنى يقتضى تجويزها من النهار للزوم الحرج لو ألزمت من الليل فى كثير من الناس ، كالذى نسيها ليلا ، وفى حائض طهرت قبل الفجر ولم تعلم إلا بعده وهو كثير جداً فإن عادتهن وضع الكرسف عشاءاً ثم النوم ، ثم رفعه بعد الفجر ، وكثيراً ممن يفعل كذا تصبح فترى الطهر ، وهو محكوم بثبوته قبل الفجر ، ولذا نلزمها بصلاة العشاء . وفى صبى بلغ بعده ، ومسافر أقام ، وكافر أسلم .

فيجب القول بصحتها نهارا ، وتوهم أن مقتضاه قصر الجواز على هؤلاء ، أو أن هؤلاء لايكثرون كثرة غيرهم بعيد عن النظر ، إذ لايشترط اتحاد كمية المناط فى الأصل والفرع ، فلا يلزم ثبوت الحرج فى الفرع ، وهو المتأخرة بقدر ثبوته فى الأصل وهو المتقدمة ، بل يكفى ثبوته فى جنس الصائمين ، كيف والواقع أنه لم يعتبر المصحح الحرج الزائد ولاثبوته فى أكثر الصائمين فى الأصل ، فكذا يجب فى الفرع ، وهذا لأن أكثر الصائمين يكونون مفيقين قريب الفجر ، فقوم لتهجدهم ، وقوم

---

(١) أنظر : فتح القدير المطبوع مع شرح فتح القدير ٢/ ٢٣٩ ، حاشية ابن عابدين ٢/ ٩٢ مصطفى البابى الحلبى بمصر .

(٢) البخارى المطبوع مع فتح البارى ٤/ ١٤٠ .

(٣) أنظر : فتح القدير مع شرحه ٢/ ٢٣٧ .

(٤) أنظر : المغنى ٣/ ٩١ .

(٥) أنظر : فتح القدير المطبوع مع شرحه ٢/ ٢٣٨ .

لسحورهم ، فلو ألزمت النية قبل الفجر على وجه لايتخلل المنافى بينها وبينه ، لم يلزم بذلك حرج فى كل الصائمين ولافى أكثرهم ، بل فيمن لايفيق إلا بعد الفجر وهم قليل بالنسبة إلى غيرهم ، بخلاف المفيقين قبله إذ يمكنهم تأخير النية إلى مابعد استيفاء الحاجة من الأكل والجماع ، فتحصل بذلك نية سابقة لم يتخلل بينها وبين الشروع ما ينافى الصوم من غير حرج بهم ، فلما لم يجب ذلك علم أن المقصود التيسير بدفع الحرج من كل وجه من كل صائم ، ويلزم المطلوب من شرعية المتأخرة .

مناقشة الأدلة

أولا : مناقشة أدلة الجمهور :

١ ـ ناقش الأحناف الدليل الأول للجمهور فقالوا :

(أ) الحديث الذى استدل به الجمهور ضعيف لاتقوم به حجة ، وقد تكلم جماعة من الحفاظ فيه ، وضعفوا رفعه إلى النبى ﷺ ورجحوا أنه موقوف [١] .

وأجيب عن هذا من وجهين :

الأول : أن بعض الحفاظ حكموا بصحة الحديث مرفوعا ، منهم ابن خزيمة ، وابن حبان ، وقال الحاكم فى « المستدرك » صحيح على شرط البخارى . وقال البيهقى : رواته ثقات إلا أنه روى موقوفا [٢] .

وقال ابن حزم بعد أن ساق رواية النسائى [٣] .

(وهذا إسناد صحيح ، ولايضر إسناد ابن جريج له ، أن أوقفه معمر ، ومالك ، وعبيد الله ، ويونس ، وابن عيينة ، فابن جريج لايتأخر عن أحد من هؤلاء فى الثقة والحفظ ، والزهرى واسع الرواية ، فمرة يرويه عن سالم عن أبيه ، ومرة عن حمزة عن أبيه ، وكلاهما ثقة ، وابن عمر كذلك ، مرة رواه مسندا ، ومرة روى أن حفصة أفتت به ، ومرة أفتى هو به ، ولكل هذا قوة للخبر) .

والثانى :

وعلى فرض التسليم لهم بضعف الحديث : فإنه قد روى موقوفا عن ثلاثة من الصحابة بأسانيد صحيحة ، وهم : ابن عمر ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب ، وعائشة بنت أبى بكر ـ رضى الله عنهم جميعا ـ وقد **قال النووى عن الحديث بعد أن ذكر ما سبق [٤] :** والحديث حسن يحتج به اعتمادا على رواية الثقات الرافعين ، والزيادة من الثقة مقبولة .

(ب) **وقالوا ليس معنى الحديث كما ذكروا [٥] أنه لا صيام** لمن لم ينو الصيام من الليل ، وإنما معناه لاصيام لمن لم ينو أن صيامه من الليل بل نوى أن صيامه من وقت النية .

قيل الصلة إذا تعقبت فعلا ومفعولا وأمكن تعلقها بكل واحد منهما ، فإنها تتعلق بالفعل دون المفعول ، كما يقال أتيت فلانا من بغداد ، فإن كلمة من تعلقت بالاتيان لا بالمفعول كذلك ههنا .

---

(١) أنظر : فتح القدير المطبوع مع شرحه ٢/٢٣٦ ، سنن النسائى بشرح السيوطى وحاشية السندى ٤/١٩٦ . دار البشائر الاسلامية ـ بيروت .

(٢) أنظر : المحلى بالآثار ٤/٢٨٨ .

(٣) انظر : المحلى بالآثار ٦/٢٨٧ بتلخيص الحبير فى تخريج أحاديث الرافعى الكبير للعسقلانى ٢/١٨٨ شركة الطباعة الفنية المتحدة .

(٤) المجموع ٦/٢٨٩ .

(٥) انظر : شرح العناية على الهداية المطبوع مع شرح فتح القدير ٢/٢٣٦ .

وأجيب عن هذا :

بأن ماذكروه لادليل عليه ، وأن معنى الحديث يرد هذا التأويل ، إن معنى (يبيت) من بيت بالتشديد إذا نوى ليلا ، يقال بيت فلان رأيه إذا فكر فيه وخمره ، وكل ما فكر فيه ودبر بليل فقد بيت[1] .

(جـ) وقالوا أيضاً[2] : يحمل الحديث على نفي الفضيلة والكمال ، كقوله ﷺ : « **لاصلاة لجار المسجد إلا فى المسجد** » .

وأجيب عن هذا :

بأن هذا الحديث ضعيف[3] ، ولو ثبت لما صحت صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد ، ونظيره الصحيح قوله ﷺ : « **لا صلاة لمن يقرأ بفاتحة الكتاب** » فنفى الشيء كالصلاة والصوم لعدم وجود شيء يدل على وجوبه لا استحبابه[4] .

٢ ــ ونوقش القياس من قبل الأحناف بأنه قياس مع الفارق ، لأن الوقت فى رمضان متعين لصومه ، أما فى القضاء والكفارة فالوقت غير متعين لهما شرعا ، ولأن الوقت خارج رمضان متعين للنفل ، فلا يكون لغيره إلا بتعيينه ، فإذا لم ينوِ من الليل صوما آخر بقى الوقت متعينا للتطوع ، فلا يملك تغييرة[5] .

وأجيب عن هذا :

بأنه منتقض بالصلاة إذا لم يبق من وقتها إلا قدر الفرض ، فإن هذا الزمان مستحق لفعلها ، ويمنع من ايقاع غيرها فيه ، وتجب فيها النية بالإجماع ، وقد يجيبون عن هذا بأن ذلك الزمان وإن كان لايجوز فيه صلاة أخرى لكن لو فعلت انعقدت وقد ينازع فى انعقادها لأنها محرمة ، وقد سبق أن الصلاة التى لاسبب لها لو فعلت فى وقت النهى لا تنعقد على الأصح[6] .

ثانيا : مناقشة أدلة الأحناف :

ناقش المخالفون للأحناف أدلتهم فقالوا :

(أ) حديث سلمة بن الأكوع الوارد فى عاشوراء يناقش بما يأتى :

١ ــ أنه لم يكن واجبا ، وإنما كان تطوعا متأكدا شديد التأكيد ، وهذا هو الصحيح عند أصحاب الشافعى[7] .

ويدل على ماسبق ماروى عن معاوية قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **هذا يوم عاشوراء ، ولم يكتب عليكم صيامه ، وأنا صائم فمن شاء فليصم ، ومن شاء فليفطر** »[8] .

فلو كان واجبا لم يبح فطره ، فإنما سمى الإمساك صياما تجوز بدليل قوله : ومن كان أصبح مفطرا فليصم بقية يومه . ولم يفرق بين المفطر بالأكل وغيره ، وقد روى البخارى أن رسول الله ﷺ أمر رجلا أن أذن فى الناس « **أن من كان أكل فليصم بقية يومه** » وإمساك بقية اليوم بعد الأكل ليس بصيام شرعى ، وإنما سماه صياما تجوزا ، ثم لو ثبت أنه صام فالفرق بين ذلك وبين رمضان ، أن وجوب الصيام تجدد فى أثناء النهار فأجزأته النية حين تجدد الوجوب ، كمن كان صائماً تطوعاً فنذر إتمام صوم بقية يومه ، فإنه تجزئه نيته عند نذره بخلاف ما إذا كان النذر متقدما[9] .

---

(١) أنظر : شرح السيوطى على سُنن النسائى ١٩٦/٤ .

(٢) أنظر : البدائع ٨٦/٢ .

(٣) المقاصد الحسنة للسخاوى ص ٤٦٧ مكتبة الخانجى ومكتبة المتنبى ــ بغداد .

(٤) أنظر : مقاصد المكلفين للدكتور عمر سليمان الأشقر ص ١٨٣ الفلاح بالكويت .

(٥) أنظر : بدائع الصنائع ٨٦/٢ .

(٦) أنظر : المجموع ٣٠١/٦ .

(٧) أنظر : المرجع السابق .

(٨) صحيح البخارى مع فتح البارى ٢٤٤/٤ .

(٩) أنظر : المغنى ٩٢/٣ .

أحكام نية الصوم في الفقه الإسلامي

٢ ـ أنه لو سلمنا أنه كان فرضا ، فكان ابتداء فرضه عليهم من حين بلغهم ، ولم يخاطبوا بما قبله كأهل قبا فى استقبال الكعبة ، فإن استقبالها بلغهم فى أثناء الصلاة ، فاستداروا وهم فيها من استقبال بيت المقدس إلى استقبال الكعبة ، واجزأتهم صلاتهم حيث لم يبلغهم الحكم إلا حينئذ ، وإن كان الحكم باستقبال الكعبة قد سبق قبل هذا فى حق غيرهم ويصير هذا كمن أصبح بلا نية ثم نذر فى أثناء النهار صوم ذلك اليوم .

٣ ـ أنه لو كان عاشوراء واجبا فقد نسخ بإجماع العلماء ، وأجمع العلماء على أنه ليس بواجب ، وإذا نسخ حكم شىء لم يجز أن يلحق به غيره(١) .

(ب) ونوقش قياس الأحناف على التطوع من وجهين(٢) :

الأول : أن التطوع يمكن الإتيان به فى بعض النهار بشرط عدم المفطرات فى أوله بدليل قوله عليه السلام فى حديث عاشوراء فليصم بقية يومه ، فإذا نوى صوم التطوع من النهار كان صائماً بقية النهار دون أوله ، والفرض يكون واجبا فى جميع النهار ، ولايكون صائما بغير النية .

والثانى : أن التطوع سومح فى نيته من الليل تكثيرا له ، فإنه قد يبدوله الصوم فى النهار ، فاشتراط النية فى الليل يمنع ذلك ، فسامح الشرع فيها كمسامحته فى ترك القيام فى صلاة التطوع ، وترك الاستقبال فيه فى السفر تكثيرا له بخلاف الفرض(٣) .

ونوقش قياس النية المتأخرة على المتقدمة بأنه يلزمهم على القول بهذا إجازة الصوم بنية من النهار قبل الزوال وبعده ، لا كما يقولون بأن النية بعد الزوال لا تصح ، وذلك لأن الحرج قد يوجد بعد الزوال ، فقد يبلغ الصبى ، ويسلم الكافر ، ويفيق المجنون ، ويصحو المغمى عليه ، وهم لا يقولون بذلك(٤) .

الرأى الراجح فى الموضوع :

بعد أن ذكرت أقوال الفقهاء فى تعيين وقت النية لصوم الفرض ، وأدلتهم ، والمناقشات التى وردت عليها ، وما أجيب به عن بعضها ، يظهر لى أن رأى القائلين بأن تبييت النية شرط فى صوم رمضان وغيره من الصوم الواجب ، هو الأولى بالقبول ، لقوة أدلته وسلامتها من المناقشة ، ولأنه قد صح الإجماع على أن من صام ونواه من الليل فقد أدعى ماعليه ، ولانص ولا إجماع على أن الصوم يجزىء من لم ينوه من الليل(٥) والله أعلم بالصواب .

ويترتب على ماسبق بعض الأمور التى تحتاج إلى تفصيل ، نقوم به وذلك من خلال الفروع الاتية ....

فإلى عدد قادم إن شاء الله

---

(١) أنظر : المجموع ٦/٢٠١ .

(٢) أنظر : المرجع السابق .

(٣) أنظر : المغنى ٣/٩٢ .

(٤) أنظر : مقاصد المكلفين للدكتور عمر الأشقر ص ١٧٨ ـ ١٧٩

(٥) أنظر : المحلى بالآثار ٤/٢٨٦ .

رمضـــان والصـلاة الخاصـة

إن لشهر رمضان من الخصائص الجليلة والسمات المميزة ما يفضل به الشهور جميعاً ، وما ينبغى أن تخفى هذه الخصائص على الذين يحبون أن يكونوا على بيّنة من أمر دينهم ودنياهم انطلاقاً من الشهر الكريم ، وأخذاً لهداياته ما حيينا .

فرمضان شهر الإسلام ، رسولاً ورسالة وأمة هى خير أمة أخرجت للناس ، منذ اصطفى الله سيدنا محمداً وأنزل عليه القرآن تبيانا لكل شىء ، وأرسله رحمة للعالمين ، وهو شهر الصيام الذى نسبه الله لنفسه ــ وكل العبادات له سبحانه ــ فقال فى الحديث القدسى « الصيام لى وأنا أجزى به » . أخرجه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه . وفى رمضان كانت غزوة بدر ، وفيها قاتلت ملائكة الله مع المسلمين لأول مرة فى تاريخ الرسالات السماوية على نحو ما فصلت السنة النبوية وقال تعالى ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ (سورة الأنفال ــ آية : ١٢) .

للشيخ معوض عوض إبراهيم

وفى رمضان كان فتح مكة حيث اندحرت الوثنية ، وسيطرت فى الجزيرة عقيدة التوحيد ، وفى العشر الأواخر من رمضان كانت ليلة القدر التى أنزل فيها القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، ثم ابتدأ نزوله على المصطفى المختار فى الليلة المنفوحة المباركة ، فى ثلاث وعشرين سنة ، كما أمتن الله بذلك على رسوله فقال :

﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾

(سورة الإسراء ــ آية : ١٠٦)

وجلَّ الله الذى يعلم مَنْ خلق ، ويُجرى بحكمته أقداره وهو يزيد حكمته بتنجيم القرآن الذى امتاز بها على الكتب السماوية فيقول :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ۝ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ (سورة الفرقان ــ آيـــة ٣٢ ــ ٣٣) ــ تلك طائفة من خصائص الشهر الكريم ألمحُ إليها ولا استـــقصيها ، لأخـــلص إلى صلاة التراويح ، تلك الصلاة الخاصة التى تقترن بلياليه ، ولا تقوم على هيئتها الّا فيـه ، منذ سَنها النبى

– ﷺ – ، أخرج الجماعة عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله – ﷺ – كان يرغب فى قيام رمضان من غير أن يأمر فيه بعزيمة فيقول :

«من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » .

وقيام رمضان كما قال الإمام النووى فى شرحه لصحيح الإمام مسلم جـ ٦ ص ٣٩ « والمراد بقيام رمضان صلاة التراويح والشوكانى يقول : المراد قيام لياليه مُصلِّياً ، ويحصل بمطلق ما يَصْدُقُ عليه القيام ، وليس من شرطه استِغراق جميع أوقات الليل ، ويورد قول النووى آنفاً ، ويقول إنه يعنى أنه يحصل بصلاة التراويح المطلوب من القيام لأن قيام رمضان لا يكون إلا بالتراويح وَرَدَ الشوكانى قول الكرمانى « اتفقوا على أن قيام رمضان صلاة التراويح » والإمام النووى يقرر ان قيام رمضان ليس على الايجاب والتحتيم ، وإنما هو على الندب والاستحباب ، أخذاً من قول أبى هريرة رضى الله عنه « كان رسول الله – ﷺ – يُرغِّب فى قيام رمضان من غير ان يأمرهم فيه بعَزِيمة » قال الإمام النووى « واجتمعت الأمة على أن قيام رمضان ليس بواجب » ص ٦٠ جـ ٦ شرح النووى على صحيح مسلم والشوكانى يَعْرض كلام ابى هريرة رضى الله عنه ويقول انه يفيد الندب لا ايجاب صلاة التراويح ، ثم يقول فى عبارة « وَسَنَنْتُ قِيامَه » أصرح فى أن حكم صلاة التراويح على الاستحباب ، دون الايجاب » .

وأبو عبد الله الدمشقى العثمانى الشافعى من علماء القرن الثامن الهجرى يقول فى كتابه « رحمة الأمة فيما اختلف فيه الأئمة » ص ٥٨ يقول « ومن السنن صلاة التراويح فى شهر رمضان عند أبى حنيفة والشافعى وأحمد » وهى سنة مؤكدة كما قال ابن قدامة الشيبانى فى « المغنى » جـ ١ ص ٨٠١ – وهـذا يحدد الثلاثـة إلا مالكاً رحمه الله فهو يرى أن حكمها الندب تأكيداً وهو مع الثلاثة فى انها على الرجال والنساء .

وسميت هذه الصلاة بالتـراويح ، لأنهم كانـــوا يستريحون بين كل تسلميتين – كما قال ابن الاثير فى « النهاية » جـ ٢ ص ٢٧٤ وقال وهى جمع ترويحة وهى مرة واحدة منها كالتسليمة من السلام .. وتسنُ فيها الجماعة فى المسجد وهو قول الشافعى وجمهور أصحابه وأبى حنيفة وأحمد وبعض المالكية ودليلهم أظهر وأبهر وأسير فى الناس منذ فعل ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه والصحابة الثقاة واستمر عمل المسلمين عليه – كما قال النووى والشوكانى وغيرهما وقالوا « لأن الاجتماع عليها من الشعائر الظاهرة فأشبه صلاة العيد » .

والإمام مالك وأبو يوسف وبعض الشافعية يرون الأفضـل صلاتها وهم فرادى فى البيوت للحديث المتفق عليه بألفاظ « فان خير صلاة المرء فى بيته إلا الصلاة المكتوبــة » « فإن أفضل صلاة المرء فى بيتـــه إلا المكتوبة » البخارى ومسلم وأبو داود ، وهو عند النسائى بلفظ « فإن أفضل الصلاة ... » .

وقد بالغ الطحاوى فقال : « إن صلاة التراويح فى الجماعة واجبة على الكفاية » كما قال الشوكانى ؛ وقد علمنا أن الصحابة صلَّوْها ليالى فى المسجد خلف النبى – ﷺ – حتى خشى أن تفرض عليهم .. ومع اليقين فى صحة حديث « صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة » فإن صلاتهم مع النبى ، وإجماع الصحابة وأهل الأمصار على ذلك منذ تجميع عمر المسلمين عليها عملٌ يرجح فى الاستدلال » والأحاديث فى مقابلة هذا الحديث كثيرة متفق عليها والإمام النووى يحكى فى المجموع ص ٣٥ جـ ٤ أن « على بن موسى القمى ادّعَى فى الجماعة الإجماع » .

وهـى تُصلى عقب صلاة العشاء إلى الفجـر ، والحديث الذى أخرجه البخارى عن عائشة ، وهو فى مسلم « ان رسول الله – ﷺ – خرج ليلة فى جوف الليل فصلى فى المسجد ، وصلى رجالٌ بصلاته ، فأصبح الناس فتحدثوا فاجتمع أكثر منهم فصلَّوا معه ، فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة ، فخرج رسول الله – ﷺ – فصلَّى فصلَّوا بصلاته ، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله ، حتى خرج لصلاة الصبح ، فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال : « أما بعد .. فإنه لم يَخْفَ علىَّ مكانكم ، ولكنى خشَيْتُ أن تُفْرض عليكم فتعجزوا عنها ، فتـوفى رسول الله – ﷺ – ، والأمـر على ذلك » .

رمضان والصلاة الخاصة

أخرج الإمام البخارى عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن ابن عَبدِ القارى أنه قال « خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليلة فى رمضان إلى المسجد ، فإذا الناس أوزاعٌ متفرقون ـ طوائف من التفريق ـ يصلّى الرجل لنفسه ، ويصلّى الرجل فيصلى بصلاته الرهط ـ ما دون العشرة إلى الأربعين رجلاً ليس منهم امرأة ـ النهاية لابن الأثير ـ فقال عمر ، إنى أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل ـ أفضل ـ ثم عزم فجمعهم على أبىّ بن كعب ، ثم خرجت معه ليلة أخرى ، والناس يصلون بصلاة قارئهم قال عمر : « نعم البدعة هذه والتى ينامون عنها أفضل من التى يقومون ، يريد آخر الليل ، وكان الناس يقومون أوّلَهُ وصلى الله على الرءوف الرحيم سيدنا محمد ، فقد قال الشوكانى بعد أن نظر إلى التفات النبى إلى أصحابه وقال لهم « خشيت أن تُفرضَ عليكم . قال : « إذا تعارضت مصلحة لهم ، وخوف مفسدة ، أو مصلحتان ، اعتبر اهمها لأن النبى ـ ﷺ ـ كان رأى الصلاة فى المسجد مصلحة فلما عارضه خوف الافتراض عليهم ، تركه لِعظم المفسدة التى هى عجزهم وتركهم للفرض ، وابرز ـ رحمه الله ـ لطيفة ملْهمة مُعلمّه فقال : وفى الحديث ان الإمام وكبير القوم إذا فعل شيئاً خلاف ما يتوقعه أتباعه ، وكان له فيه عذر ، يذكره لهم ، تطييباً لقلوبهم ، لئلا يظنوا خلاف هذا » .

ولقد استحسن أبو حفص ـ رضى الله عنه ـ الاجتماع الذى هو مراد الله بالدين الجامع ، كما أكثر الخطر الذى يُتوقع حين يمضى الناس أوزاعاً متفرقين فينتفخ الشيطان فى رُوعهم بما يكونون به أهون شىء على عدوهم الذى يتربص بهم الدوائر ، ويقعد لهم كل مرصد يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ (سورة التوبة ـ اية : ٤٧) .

والبدعة فى روايات الحديث من قول عمر « نعمت البدعة » ليست المقابلة للسنة ، ولكنها الأمر المستحدث فى الدين ، وله أصلٌ ثابت من عمل النبى ، كما هنا فقد ترك خروجه إليهم ، والصلاة بهم جماعة ، خشية أن تفرض عليهم ، ولم يجمعهم بعده أبو بكر لانشغالهم فى قمع ما استشرى من أمر الردَّة ، حتى جاء عمر وسنَّ الجماعة التى له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة .

ذلك الماحُ لما ذكره ابن الأثير فى جـ ١ ص ٢٨٠ عن كتابه « جامع الأصول فى حديث الرسول » وتلخيص لما فى ص ١٢٢ من جـ ٦ من هذا الجامع .

وفى عدد ركعات التراويح خلاف الفقهاء ابتداء من ثمان ركعات ، وانتهاء بالأربعين سوى الوتر ، وكونها بالوتر ثلاث وعشرون ، أصح ما قيل . قال ابن أسحق فى الفتح جـ ٦ ص ٢٥٤ « وهذا أثبت ما سمعت فى ذلك وهو فى الموطأ ورواه البيهقى فى السنن عن السائب بن يزيد جـ ٢ ص ١٩٢ قال « وكانوا يقومون على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى شهر رمضان بعشرين ركعة » الحديث .

وابن قدامة يورد فى جـ ١ ص ٨٠٣ أن علياً رضى الله عنه أمر رجلاً أن يصلى بهم عشرين ركعة ، قال ابن قدامة : وهذا كالاجماع وروى قول إسماعيل بن زياد ان علياً رضى عنه مرَّ على المساجد وفيها القناديل فى شهر رمضان فقال « نورَّ الله على عمر قبره كما نوَّر علينا مساجدنا» رواه الأثرم .

والقراءة كالعدد فى التراويح من الخير أن تراعى فيهما أحوال الناس وما يطيقون من ذلك ولابن تيمية فى فتاواه الكبرى وفى صحيح مسلم وغيرهما من يشهد بذلك .

ولقد وفق الله الإمام ابن حجر أحسن توفيق فقال فى جـ ٤ ص ٢٥٣ « والجمع بين هذه الروايات ـ أحاديث التراويح وآراء الفقهاء ـ ممكن باختلاف الأحوال ، ويحتمل أن ذلك الاختلاف بحسب تطويل القراءة وتخفيفها فحيث يطيل القراءة تقل الركعات وبالعكس ، بذلك جزم الداودى وغيره .. فلنأخذ خصيصة التراويح بقصد فى القراءة وعدد الركعات وخشوع وتأسّى بالرسول وسلف هذه الأمة لنحرز خيرها فى الحياة ، ونجنى ثمرها يوم نلقى الله ، ولا قوة إلا بالله هو حسبنا ونعم الوكيل .

خواطر رمضانية

بين يدى شهر الصيام

د. مبروك عطيه أحمد أبو زيد ●

الحمد لله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على ذى الخلق العظيم ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه وآمن بنوره ، ورضى بسنته إلى يوم الدين .

وبعد

فها هو ذا شهر رمضان المبارك يعود من جديد كريمًا معظَّمًا ، يرسل النور ويبعث الأمل فى نفوس المؤمنين ، الذين خاطبهم ربهم بقوله عز وجل : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُم الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(١) .

والنفس المؤمنة تستبشر بالطاعة ، وتهش لكل عمل يقربها من رضا الله ورضوانه ، وإذا كان لكل زرع موسم حصاد ، فإنَّ رمضان موسم عبادة ، والعبادة موسم الحصاد الذى يحصد فيه المسلمون ثواب صيامهم بالنهار ، وقيامهم بالليل ، فيغفر الله لهم ، وقد شفع الصيام فيهم وخصَّهم سبحانه بالدخول من باب الريَّان ، فعن سهل رضى الله عنه عن النبى ـ ﷺ ـ قال : « إنَّ فى الجنة بابًا يُقَال له الرَّيَّان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحَدٌ غيرهم ، يُقَال : أين الصائمون فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم ، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد »(٢)

● مدرس اللغويات بجامعة الأزهر كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج

(١) البقرة / ١٨٣

(٢) الحديث رواه البخارى فى باب (الريان للصائمين) .

خواطر رمضانية

وتتجلى فى الشهر الكريم حقائق إسلاميَّة يدركها المسلمون ومَنْ حاول أن يدرك من غير المسلمين ، ومن تلك الحقائق الوحدة وتحقق معنى الأمة التى اجتمعت على هدف واحد ، وعمل واحد ، فها هم أولاء قد امتنعوا عن شهوتى البطن والفرج من مطلع الفجر إلى مغرب الشمس ، ومع انطلاق أجمل صيحة فى الوجود « الله أكبر » يكون صيامهم ، ومعها أيضًا يكون إفطارهم .

« ومنها » وحدة السلوك ، فخلق الصائمين واحد ، والمسلمون ـ وإن كانوا بعيدين عن الزور والعمل به ـ هم فى رمضان عن الزور والعمل به أبعد وإلَّا فلا خير فى صيامهم ، ولا معنى لحرمانهم ، فهم يقضون رمضان وملء قلوبهم وأسماعهم قول نبيِّهم عليه الصلاة والسلام : « مَنْ لم يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِى أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَه »(١)

وعبارة « إنِّى صائم » هى القول السلام الذى يرد به الصائمون على مَنْ سبَّهم أو شتمهم ، فهم كما وصفهم ربهم ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُم الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾(٢) فقد روى البخارى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « قال الله : كل عمل ابن آدم له إلَّا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به ، والصيام جُنَّةٌ ، وإذا كان يومُ صَوْمِ أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابَّهُ أحد أو قاتله فليقل إنى امرؤ صائم ... » الحديث .

(ومنها) البرهان على يسر هذا الدين الحنيف ، حيث لم يفرض الصيام إلَّا شهرًا واحدًا فى كل عام ، وقد فرض على القادرين من المسلمين والمسلمات ورخص الإفطار فيه للمسافر ، والمريض ، والهرم ، والحامل ، والمرضع وفى ذلك يقول ربنا جل وعلا : ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٣)

(ومنها) التكافل الاجتماعى ، الذى يضمن للمجتمع التوازن والمؤاخاة فالمسلمون وقد جربوا الجوع اختيارًا منهم بامتثالهم لأمر الله عز وجل يعطفون على من عاشوا الجوع اضطرارًا لضيق ذات اليد ، وقد علموا أنَّ قدوتهم ـ ﷺ ـ أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون فى رمضان ، وهم أحرص ما يكونون على اتباع هديه ، والاقتداء به فى رمضان وفى غيره من شهور السنة كلها ، يزينون شهرهم بصدقة الفطر حتى إذا ما أتى يوم عيدهم بدا السرور وعمت الفرحة والسعادة غنيهم وفقيرهم .

ورمضان كله خير ، يومه وليله ، البر فيه موصول ، والخير فيه مأمول ومع حركة الحياة بالنهار تجد المسلم صائمًا ممتثلًا لأوامر الله عز وجل ومع سكون الحياة بالليل تجد المسلم قائمًا ، يصلى القيام ، ويقرأ القرآن فيتدبر الآيات ، ويستعيد الذكريات ، فيستحضر نصر الله للمؤمنين فى بدر وهم يومئذ قلَّة ، لأنهم آمنوا فما ضعفوا وما استكانوا فثبتهم الله وأيدهم بنصره ، ويطل من نافذة قلبه ووجدانه على سيدنا ومولانا رسول الله والمؤمنين وهم عائدون إلى مكة ، وقد فتحها الله لهم ، فجاء الحق وزهق الباطل ، وخسر هنالك المبطلون فيعلم إن قست الحياة عليه أنَّ مع العسر يسرًا ، وأنَّ فرج الله قريب وأنَّ الباطل مجتث لا محالة ؛ فلا أصل له ولا قرار ، وإن صوَّر الشيطان غير ذلك ، وفوق كل ذلك يعيش نزول القرآن وهو يقرأ قول الله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾(٤).

فيعظم كتاب الله ، ويقدس كلامه ، ويجدد عهده به ، وصحبته له ، نوقنا بأن من طلب الهدى فى غيره فلن يهتدى أبدًا .

وفى رمضان مسك اللسان وعطر البيان ، فكل مسلم يهنىء أخاه وما أكثر ما تسمع فى رمضان قول المرء لأخيه : « كل سنة وأنت طيب » « كل عام وأنت بخير » ،

---

(١) فى البخارى عن أبى هريرة (باب من لم يدع قول الزور والعمل به فى الصوم) .
(٢) الفرقان : ٦٣ .
(٣) البقرة : ١٨٤
(٤) البقرة : ١٨٥

«إن شاء الله فطارك عندنا غدًا أو اليوم» «كله من فضل الله» ، «تقبل الله منا ومنك» ، «أراك فى صلاة الفجر إن شاء الله» ، «أعاده الله على الأمة الإسلامية باليمن والخير والبركات» ، «رمضان كريم» ، «الله أكرم» هذا المعجم الرمضانى نحن فى حاجة إليه فى هذه الأيام لاصلاح ما أفسده الجاهلون ، وإحلاله محل ما فرضوه من معجم المعتدين على اللغة والذوق من «طناش ، وزنبة ، قشطة عليه ، وميت مسا ، .... » وينبغى على الدعاة فى شهر الصيام أن يهتموا بتلك القضيَّة إلى جانب ما يقدمونه للناس من وعظ وإرشاد يتصل بمسائل الصوم وأحكامه ، وخلق المسلم وآدابه ، فإنَّ الأرض فى رمضان قد نزل عليها ماء الرحمة من السماء ، فهى أصلح ما تكون الآن لتنبت من كل زوج بهيج ، ليبينوا للشباب المسلم الصائم أنهم بهذا المعجم يشعلون الثقاب فى العود الأخضر ، ويطفئون نور الفجر الأنور ويعتدون على موسم المستقبل ونحن نريد له أن يثمر ، ليكن معجم رمضان الطيب مرتشفًا للشفاه بعد رمضان ، ولست أدرى لمصلحة مَنْ تشجع أجهزة الاعلام خصوصًا «التليفزيون» على تزكية هذا المعجم ؟

ففى رمضان الذى كاد الشباب يعرفونه بشهر الفوازير يقدِّم أهل الفن إضافة جديدة إلى هذا المعجم ، فتتسع الدائرة ، وتكثر الألفاظ الغريبة ، فضلًا عما بها من مشاهد لا تمت إلى الاسلام بصلة وفى الوقت نفسه يجتمع جهابذة اللغة العربية لغة الذكر الحكيم فى مجمعها أو كلياتها المتخصصة لتستنكر هذه الألفاظ ، وتحاربها فها هنا هدم ، وهنالك محاولة إصلاح تتعثر أمام هذا الوابل الذى نمطره بأنفسنا على أنفاس الطهارة والذوق السليم وبدلًا من أن يجتمع العلماء محاولين تعريب الأعجمى ، وتفسير المشكل والدفاع عن لغة الضاد ينصرف جهدهم معظمه أو جميعه إلى مناقشة الأسباب التى أدَّت إلى انتشار هذا الوباء ، ولو أنَّ الجهود تضافرت ، والأيدى جميعها تلاقت وتصافحت ، وقيل للجميع : ماذا نقدِّم ؟ كيف نكتب ؟ وفى أى ضوء نتحرك ؟ لكان ذلك خيراً للأمة كلها .

لقد عاش الناس زمانًا كان الواحد فيه يقول لمخاطبه : «سآتيك بعد صلاة العصر ، أو المغرب» فكانت مواعيده متصلة بمواقيت الصلاة ، فالحياة والكلام عمل وعبادة ، فلما أصبح الواحد يقول لمخاطبه : «سآتيك فى السادسة أو السابعة» قلنا : يحمد هذا ولا يذم ، ولا جرم فالاسلام يحترم الدقة وهو عنوان الالتزام ، والوقت عمر الانسان ، وسوف يسئل عنه وعليه ألَّا يضيعه .

ولكن ما قول الذين دافعوا عن قول القائل : «ألقاك فى السادسة مساءً» فى قول الشاب لزميله : «ألقاك بعد المسلسل» هل يقولون بجوازه ، ولهم فيه مخرج ، وهو حمله على الكناية ؛ إذ أن مثل هذه العبارة كناية عن الساعة المعلومة التى ينتهى عندها المسلسل والحق أنَّ مثل هذا التسمح لا يجوز ؛ لأنه سيؤدى إلى مخاطر لا يعلم مداها إلَّا الله وحده .

وأجهزة الاعلام المختلفة من النعم التى لا ينكرها عاقل ، وهى سلاح ذو حدين كما يقولون ، فمتى أحسن استغلالها أحصدت فى كل حين لأن تأثر الناس لا سيما الشباب بالاعلام واضح ، وقوى ، وقد تسببت قصص «جوته» فى انتحار كثير من شباب أوربا ؛ برغم أنه كتب فكرة الانتحار ليتخلص منها ، حيث كانت تراوده ، فانظر إلى الخطب من أين يؤتى ، رجل يريد الانتحار ،

خواطر رمضانية

فيتخلص من تلك الفكرة بأن يرسم أبطال قصصه ويصورها فى مجموعة عشاق ، يؤدى بهم العشق فى النهاية إلى الانتحار ، فينجو بنفسه من قتل نفسه ويقدّم طريق خلاصه سلاحاً يقتل به الشباب أنفسهم على أرض الواقع ، يقول (برتون راسكو) : لقد كتب « جوته » قصته فرتر ؛ لكى يتخلص من فكرة الانتحار فهو يجعله بطل القصة العاطفى يقتل نفسه فرَّج بطريقة تعويضية عن نزعة كانت تتهدد سلامته العقلية ، والمؤسف فى هذا أنَّ القصة كانت سببًا عند نشرها فى وقوع سلسلة وبائية من حوادث الانتحار بين المراهقين من الشباب فى أوربا كلها ، وفى ألمانيا بخاصة »(١) .

وقد يقول قائل : إنَّ هذا شأن الغرب وما بالنا به ؟ إن لنا قيمنا وديننا فكيف تقيس هذا على ذاك ؟ أقول : لاتتسرع بالحكم ، فإننا مولعون بالغرب ، شيقون لأعماله ، متأثرون به فى كثير من الأشياء ، وما فعله جوته فعله بعض كتاب العرب وأدبائهم ، وإن اختلفت النتيجة إلَّا أنه ليس اختلافًا كليًّا ، وبعيد كل البعد عن الانصاف من ظن أنَّ الناس معظمهم لا يتأثرون بما يقدَّم لهم مسموعًا أو مرئيًّا أو مقروءًا ، ولو استقرأت ما فى أذهان الناس وفكرهم ووجدانهم من آثار ذلك الذى قدّم لهم لأعياك الحصر ، فهم يحاكون البطل فى ثيابه وطريقة كلامه ، وأسلوبه ، بل وفى حركاته وسكناته ، بل إنَّ أسماء المحال فى بلادنا هى بعينها أسماء الأبطال ، والقصص ، والجمل والعبادات اللهم إلَّا ماندر .

فماذا يحل بمصر أو بغيرها من بلاد العرب والمسلمين إذا وجَّه الاعلام شطر دين الله وتوجيهاته ، وآداب رسوله وأخلاقياته ، لقد عاشت مصر رمضان قبل أن تهتدى إلى التليفزيون وبث قنواته وعاشت قرى مصر بالذات رمضان قبل أن تصل إليها الكهرباء فانظر كيف كانت ! عمل بالنهار دون ملل ، وقيام بالليل دون سأم أو سقم ، المساجد معمورة بالمصلين ، والأطفال ينتظرون على بوابات الحارات إعلان المؤذن « الله أكبر » فينطلقون مسرعين إلى بيوتهم ، قائلين فى ترنيمة شجيَّة ، وتغريدة نديَّة « أذن .. أذن .. أذن » ويهرع الناس بعد الافطار إلى المساجد ، يصلون المغرب جماعات ويلتفون حول الواعظ ، يسمعون الدرس ، ويسألون ويناقشون ويفهون أمور دينهم ودنياهم ، ثم يصلون العشاء فتراهم كأنهم فى يوم جمعة ، صفوفهم كثيرة ، وقلوبهم فيَّاضة ، وثيابهم طاهرة ثم يصلون القيام ، وينصرفون ليقضوا بعض الليل نيامًا ، حتى يستطيعوا استئناف عملهم فى نهار صائم جديد ، توقظهم (طبلة) المسحراتى فينعمون ببركة السحور ، ويبادرون إلى صلاة الفجر دون أن يتخلف منهم أحد ، ويحفظ الناس الذين عاشوا تلك الفترة نصوصًا أدبية ، كان الموشحون يتغنون بها فى الليالى الأخيرة من الشهر الكريم ومنها قولهم :

ومن بعدك يا رمضان يقل من بالمساجد
ويقل منها الراكع والساجد

فيبكى الناس أو يتباكون ، ويودعون شهرهم وهم يتمنون لو كانت السنة كلها رمضان ؛ لأنهم علموا بعض ما فيه من خير وأصابوه أمًا وقد تحسن الحال ، وازداد حسنًا على حسن ، فأصبح الواعظ بين يدى كل الناس ، وأى واعظ ؟ إنه العالم الكبير ، أو الشيخ الجليل أو المحقق الأمين ، الذى كان مجرد معرفة اسمه ، أو الاستماع إليه فى سفرة من الأسفار ندرة حديث بين الناس قديماً ، الآن أصبح مسموعًا مرئيًّا للجميع ، فهَلَّا زادت المدة ، وتواترت الأحاديث وترادفت الأقوال وفق منهج إسلامىٍّ مخطط بدقة وأمانه وحرص على سلامة المجتمع المسلم ، وهلَّا أخلصت الأجهزة المسئولة النية لله فى رمضان ؛ لتعالج قضايا الأمة والشباب ، فيهتدى الناس إلى الصواب ، ويستقبلون شوال وذا القعدة وما بعدهما وهم مبصرون ، فإنَّ الأرض فى رمضان صالحة للزراعة ، والقلوب فى رمضان تقول : هل من زارع للحب فينا ؟

وكل عام والمسلمون جميعًا بخير والله ولى التوفيق هو حسبنا ونعم الوكيل .

---

(١) عمالقة الأدب الغربى ٣/٥ بترجمة دريني خشبة وأحمد قاسم جودة ط روز اليوسف سنة ١٩٦١ .

مبحث الصيام

لفضيلة الشيخ/ محمد مرسى عامر

مفهوم الصوم

المفهوم اللغوى للصوم هو مطلق الامساك ـ قال أبو عبيدة ـ كل ممسك عن طعام أو كلام أو سير فهو صائم ، وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ـ فى قول الله تعالى : ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾

وقال ابن دريد كل شىء تمكث حركته فقد صام ومنه قول النابغة :

خيل صيام وخيل غير صائمة ∴ تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

والمفهوم الفقهى له : هو الإمساك عن شهوات البطن من المفطرات وشهوات الفرج يوما كاملا من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .

مبحث الصيام

وهذا المفهوم الفقهى فى الإسلام يختلف عن مفهوم الصوم فى الأمم السابقة ، فإن مانراه فى صوم اليهود والنصارى الآن يختلف عن طبيعة صيامنا وجوهره زمنا وكيفية والمماثلة التى تشير إليها الآية الكريمة فى قوله تعالى ﴿ **كما كتب على الذين من قبلكم** ﴾ يمكن أن تتحقق بأصل وجوب الصوم على معنى أنه فرض علينا كما كان فريضة عن الأمم قبلنا وفى هذا تأكيد لحكم الصوم وترغيب فيه ، وتطييب الأنفس المكلفين به على قبوله ، وتحمّل مشاقة ، فإن الأمور الشاقة إذا كانت عامة هامة تحملها ، وطابت النفوس بها ، وصبرت عليها .

على أنه ليس فى النصوص مايمنع أن يكون الصيام الواجب على الأمم الأخرى قد فرض عليهم مماثلا للصيام المفروض على المسلمين زمانا وكيفية ، ومانراه الآن من مخالفة صيامهم لصيامنا إنما هو نتيجة لتحريفهم فى شرائعهم ، وتبديلهم لأحكامه حسب أهوائهم ، وماتقتضيه أحوالهم ، وظروف معيشتهم ، وقد عرف عنهم هذا التحريف والتبديل ، وتحدث به عنهم القرآن الكريم ـ قال تعالى : ﴿ **من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه** ... الآية ﴾ .

أنواع الصيــــام

هذا والصيام أنواع : صيام مفروض ، ومندوب ، ومحرم ، ومكروه ، أما الصيام المفروض فهو أنواع أيضا :

منها صيام شهر رمضان

وهو فرض على كل من بلغ درجة التكليف من الذكور والاناث المقيمين غير المسافرين القادرين على أدائه فى غير مشقة ولا إرهاق ويبلغ الذكور درجة التكليف بالبلوغ وأهم أماراته الاحتلام ، ويبلغ الاناث ذلك بالحيض .

والذى لم يبلغ درجة التكليف يؤمر به لسبع ويضرب عليه لعشر ان أطاقه وذهب بعض الأئمة إلى أنه لا يؤمر به إلا بعد بلوغ درجة التكليف أو لأنه طاقة لا عادة .

والمسافر سفرا تقصر له الصلاة يجوز له الفطر إن بيت النية على السفر وكان الصوم يشق عليه ويجهده ، وأجاز بعض العلماء الفطر فى كل سفر تحصل به مشقة وإن كان دون مسافة القصر ، والصوم على كل حال أفضل لقوله تعالى : ﴿ **وأن تصوموا خير لكم** ﴾ وإذا أفطر المسافر وجب عليه قضاء كل يوم أفطر فيه من شهر رمضان .

والقدرة على الصيام شرط فى وجوبه على المكلف ، فمن عجز عن الصيام لمرض أو حمل أو إرضاع أو هرم أو غير ذلك من الأعذار جاز له الفطر ، غير أن المريض مرضا يحتمل فيه البرء ، والحامل التى تخاف على جنينها والمرضع التى تخاف على ولدها يجب عليهم جميعا قضاء الصوم أما المريض مرضا مزمنا لايحتمل له برء والشيخ الفانى فيفطران ويطعم كل منهما مسكينا عن كل يوم يفطره ، ولا يجب عليهما القضاء لأن عجزهما عن الصوم مستمر فى شهر رمضان ، وفى غيره ومثلهما فى ذلك من يحمله الصوم مشقة يخاف على حياته منها .

ولابد فى الصوم من نيه مبيته ، ووقتها من غروب الشمس إلى الفجر فى أكثر المذاهب ، والحنفية يرون إجزاء النية من بعد غروب الشمس إلى ما قبل نصف النهار ، ويسن التلفظ بها لأنه أعون للقلب ، وإن كان يجزىء تبييتها ، وإجراؤها فى القلب والسحورخية مالم تصحبه نية عدم الصوم ، ويرى بعض المذاهب تجديدها كل ليلة ، وتكفى عند المالكية نية واحدة فى كل صوم يجب تتابعه كصوم شهر رمضان ، وصوم الكفارات وإن كان الأفضل تجديدها فى كل ليلة .

ثبوت رمضــان

يثبت رمضان بأحد أمرين :

١ ـ إتمام عدة شعبان ثلاثين يوما عند تعذر رؤية الهلال لغيم أو نحوه .

٢ ـ رؤية عدلين أو جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب هلال رمضان لقوله ﷺ : « **صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما** » .

ومتى ثبتت رؤية الهلال بقطر من الأقطار الاسلامية وجب الصوم على بقية الأقطار إذا بلغهم خبر الرؤية من طريق موجب للصوم ولا عبرة باختلاف المطالع .

ويجب على المسلمين أن يلتمسوا الهلال فى غروب اليوم التاسع والعشرين من شعبان حتى يكونوا على بينة من أمر صيامهم .

وإذا رأى الهلال عدل واحد وجب عليه وحده الصوم ولورد الحاكم خبره .

ويثبت هلال شوال بما ثبت به هلال رمضان فيجب الفطر بإتمام عدة رمضان ثلاثين يوما أو برؤية عدلين أو جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب لهلال شوال .

غير أن رؤية العدل الواحد لهلال شوال لا تبيح له الأكل والشرب مخافة أن يتهم بالفسق ، وإنما يبيت الفطر بالنية فقط .

« يوم الشك »

يوم الشك هو اليوم الثلاثون من شهرى شعبان ورمضان إذا لم تثبت فيهما رؤية هلال رمضان وشوال ـ إذ يحتمل أن يكون يوم الثلاثين من شعبان هو أول أيام رمضان ـ ويوم الثلاثين من رمضان هو أول أيام شوال الذى هو يوم عيد الفطر .

ولا يصام يوم الشك لتعذر النية القاطعة بتعين زمانه ، ويجوز صومه بنية التطوع أو موافقة عادة أو قضاء ما عليه ، أو وفاء نذره ، ويكره صيامه للاحتياط من رمضان .

مايبطل به الصوم

يبطل الصوم بأمور :

١ ـ الأكل والشرب فى نهار رمضان فإن كان الأكل والشرب عمدا ففيهما مع فساد الصوم القضاء فى بعض المذاهب ، والقضاء والكفارة فى البعض الآخر .

٢ ـ الجماع فى رمضان نهارا ـ وهو موجب للقضاء والكفارة .

٣ ـ نزول المنى بمداعبة أو نظر أو استمناء فى اليقظة ـ وهذا يوجب القضاء فى بعض المذاهب ، ويوجب القضاء والكفارة فى بعضها الآخر عند من يتعمد ذلك ويعلم أن من عادته الانزال به ، وأما نزول المنى فى النوم فى نهار رمضان بالاحتلام أو الاعياء فلا يفسد الصوم .

٤ ـ الاستقاءة ، وهى تعمد القىء وهى تفسد الصوم ، وتوجب قضاءه إلا أن يرجع شىء من القىء إلى الحلق فيجب القضاء والكفارة .

وأما من غلبه القىء فقاء فلا شىء عليه إلا إذا رجع من القىء شىء إلى الحلق ولو غلبه ففيه القضاء .

ويفسد الصوم بوصول شىء إلى المعدة من أعلى أو من أسفل إذا كان من منفذ كالدبر ووصول مائع إلى الحلق من فم أو أذن أو عين أو أنف ، ومثل ذلك الدخان الذى اعتاد الناس شربه ، والاكتحال نهارا إذا وجد طعمه فى الحلق . أما إذا اكتحل ليلا ثم وجد طعم الكحل نهارا فلا شىء عليه ، وتناول الدواء لمرض أو تناول أى مفطر لعذر ومن غير انتهاك لحرمة الشهر كسهو أو نسيان يفسد الصوم ويوجب القضاء فقط .

« مايكره للصائم »

يكره للصائم ذوق شىء لا يتحلل منه ما يصل إلى الجوف إلّا فى ضرورة كمن صناعته الطبخ مثلا ويمج ما ذاقه ومضغ شىء بلا عذر كمضغ المرأة الطعام لولدها إذا لم تجد من يمضغه ، ومضغ اللبان إذا لم يتحلل منه شىء ، وجمع الريق وابتلاعه ، والقُبْلة ومقدمات المباشرة

مبحث الصيام

لمن يأمن على نفسه ، أمّا من لا يأمن على نفسه فيحرم عليه ذلك .

ويكره للصائم أن يصبح على جنابة أو يفعل ما يضعف احتماله للصوم كالحجامة والفصد إن كان مريضا وأمن السلامة من زيادة المرض بذلك فإن خاف زيادة المرض بحيث يؤدى ذلك إلى الفطر حرم فعلهما هذا وينبغى للصائم أن يصون لسانه عن السفه وأحاديث الهوى ، وأن يكف جوارحه عن المحرمات والأذى ، ويبتعد عن مجالس السوء ، وأن يكثر من الصلاة والصدقة والاحسان إلى ذوى القربى والأرحام ، والذكر والصلاة على النبى ﷺ وقراءة القرآن ، وملازمة المساجد فإن ذلك أزكى للصوم ومن الصيام الواجب : صيام النذر ، وهو ما ألزم المكلف به نفسه وأرجى للقبول كأن يقول لله على نذر إن شفى الله مريضى أو قضى حاجتى أن أصوم له يوما أو أسبوعا أو غير ذلك — ومتى حصل عنده ما نذر لأجله وجب عليه أداء ما نذره .

ومن ذلك أيضا صيام الكفارات إذا تعين الصوم للكفارة والكفارات التى يجزى فيها الصوم كفارة اليمين ، وكفارة القتل وكفارة الفطر فى رمضان فيما تجب فيه الكفارة ، وتتعدد كفارة الفطر بتعدد الأيام التى يقع فيها هذا النوع من الفطر ، ولا تتعدد بتعدد الفطر فى يوم واحد ، وتكفى له كفارة مهما تعدد الفطر فيه .

ويستحب للصائم تعجيل الفطر بمجرد غروب الشمس ، وأن يكون على شيء حلو من رطب أو غيره وإلا فعلى الماء أحب عبادى إلى ، وأن يدعو عقب فطره حديث فطر الرسول وأحب الدعاء المأثور كأن يقول **« اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت وعليك توكلت ، وبك آمنت ، ذهب الظمأ ، وابتلت العروق ، وثبت الأجر إن شاء الله »**

ويستحب السحور لقوله ﷺ : **« تسحروا فإن السحور بركه »** والأفضل تأخيره إلى ما قبل الفجر بحيث ينتهى منه قبل الفجر بما لا يوقع فى شك .

الصــوم المندوب

يندب للمسلم القادر الذى لا يعوقه الصيام عن متابعة عمله المعتاد أو يسبب قلة انتاجه أن يصوم ثلاثة أيام من كل شهر ، والأفضل أن تكون الثلاثة البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر وأن يصوم من المحرم ، وأفضل صيام فيه يوم التاسع والعاشر منه وأن يصوم ستة أيام من شوال والأفضل أن تكون متتابعة وأن تكون متصلة بعيد الفطر ، والمالكية يخالفون فى ذلك .

ومن الصوم المندوب صوم الثمانية الأيام الأولى من ذى الحجة — أما اليوم التاسع فصومه مندوب لغير الحاج — والأصل فى هذا تفضيل هذه الأيام بالقسم بها فى القرآن الكريم قال تعالى والفجر وليال عشر ، وأكثر العلماء كراهة التاسع من ذى الحجة بالنسبة للحاج ، ولا حرج مطلقا فى التطوع بالصيام فى كل أيام السنة ماعدا الأيام التى نصت الشريعة على حرمة الصيام أو كراهته فيها لحكمة رآها الشارع ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

« الصــوم المكروه والصيام الحرام »

المعروف عقلا أن أية عبادة من العبادات لا تكره أو تحرم لذاتها لأنها شرعت تقربا إلى الله ، ورغبة فيما عنده من الثواب وإنما تتعلق الحرمة بعوارض أخرى تعرض لها من حيث الزمن الذى تقع فيه أو الملابسات التى تحيط بها ، وعلى هذا يقال صوم مكروه وصوم حرام ، وصلاة مكروهة وصلاة حرام وهكذا .

وعلى ضوء هذا التوجيه يمكن أن نعرف الصيام المكروه والصيام الحرام .

فمن الصيام المكروه صيام يوم الشك للاحتياط من رمضان — على معنى أن ينوى الصيام به صيام يوم رمضان إن تبين أنه من رمضان أو ينوى به النفل إن تبين أنه من شعبان أو شوال — وهو بهذا يفقد النية القاطعة ، وقد يكون من أول أيام شوال فيكون عيدا وصومه حرام .

ومن الصيام المكروه إفراد يوم بعينه كيوم الخميس من كل أسبوع مثلا لأنه قد يوافق مرضا أو سفرا أو عملا

مضنيا فيشق ذلك على من حدده ويكره صوم الدهر لمن يضعفه ذلك ، وتخصيص صيام النيروز ، وصوم المسافر إذا كان يجهده السفر ويشق عليه الصيام ، وصوم المرضع والحامل والمريض إذا خافوا أذى من الصوم .

كما يكره الصوم تطوعا لمن عليه قضاء ، ويكره صوم المرأة تطوعا بغير إذن زوجها المقيم فإن كان مسافرا أو حاجا أو معتمرا أو فهمت رضاه منها بذلك لمرض أو نحوه فلا كراهة .

وأما الصوم الحرام فهو الصوم فى يومى عيد الفطر وعيد الأضحى ويومين بعد عيد الأضحى أو ثلاثة الا لمتمتع أو قارن فى الحج فيجوز لهما صيام اليومين أو الثلاثة بعد عيد الأضحى ويمكن أن يعتبر من الصوم الحرام صوم المريض الذى يستيقن الموت أو يظنه ظنا راجحا بسبب الصيام لأنه تعريض لما نهى الله عنه من إلقاء النفس فى التهلكة .

ويمكن أن نلخص من ثنايا الأحكام السابقة للأمور الآتية :

« **أولا** » مالا يفسد به الصوم من الأعمال والأعراض .

لا يفسد الصوم بالمضمضة والاستنشاق ، ولا بالسواك ، والأفضل تركه فى آخر النهار ولا بالاغتسال للتبرد ، ولا بتأخير غسل الجنابة إلى النهار ، ولا بشم الروائح العطرية والأولى عدم التطيب فى نهار رمضان ــ ولا بغبار طريق أو غربلة دقيق ، أو سبق ذباب إلى الحلق رغما عنه .

وكذلك لا يفسد الصوم بغلبة القىء إلا إذا رجع منه شىء ، ولا من ابتلاع ريق ، أو ابتلاع ما بين الأسنان من أثر الطعام إلّا إذا اعتبره العرف كثيرا ، ولا بالفصد والحجامة إذا أمن عدم زيادة المرض أو الضعف بهما عن تحمل الصوم ، ولا بوضع دهن أو دواء على جرح غائر وإن كان فى بطنه ، ولا بسيل دم من جسده لرعاف أو غيره ، ولا بالاحتلام نهارا ومن طلع عليه الفجر وهو يأكل أو يشرب فقذف المأكول أو المشروب من فمه بمجرد طلوع الفجر فصومه صحيح .

« **ثانيا** » ما يوجب القضاء والكفارة :

يجب القضاء والكفارة بالأمور الآتية :

١ ــ قضاء شهوة الفرج بالجماع عمدا فى نهار رمضان .
٢ ــ تناول مفطر من أكل أو شرب أو غيرهما عمدا أو بقصد انتهاك حرمة الشهر وعدم المبالاة والاكتراث .
٣ ــ الاستمناء ، وهو قصد إنزال المنى بالمداعبة أو مداومة التفكير والنظر إذا كان من عادته الانزال بذلك .
٤ ــ رجوع شىء إلى الحلق من قىء تعمده من غير عذر أو ضرورة فإن لم يرجع منه شىء ففيه القضاء فقط .

« **ثالثا** » ما يوجب القضاء فقط :

كل ما يحدث للصيام أو يعرض له من أمور ليست من بين المباحات المتقدمة ولا من بين ما يوجب القضاء والكفارة ، وهى تخل بحقيقة الصوم يجب بها القضاء فقط . ومن ذلك تناول دواء أو طعام أو شراب لمرض أو لعذر شرعى كالمرض أو السفر وتناول شىء من ذلك خطأً أو نسيانا ــ وغلبة الماء إلى الجوف فى المضمضة وغير ذلك مما يخل بالصيام ولا يقصد معه انتهاك حرمة الشهر ، والمعول عليه فى هذا كله هو النية أو القصد ، وسل قلبك وإن أفتوك وأفتوك رجوع شىء إلى الحلق من قىء غلبه ، أو وصول شىء إلى الحلق من أنف أو أذن أو عين .

« **رابعا** » من يرخص لهم فى الفطر :

يرخص الفطر للأشخاص الآتية :

١ ــ المريض مرضا يشق به الصوم بحيث يظن مضاعفة

مبحث الصيام

المرض إذا صام فإذا تيقن ذلك أو ظنه ظنا قويا تأكد عليه الفطر .

وقد يصبح الفطر واجبا إذا تأكد الإهلاك والتلف بالمضاعفات إذا صام .

٢ ـ الحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما أو ولدهما بالصوم المرض أو زيادته رخص لهما فى الفطر ، ويشترط فى المرضع أمًّا أو غيرها ، أن تتعين للارضاع لعدم وجود غيرها ، أو لعدم قبول الولد سواها .

٣ ـ المسافر سفرا طويلا تقصر فيه الصلاة على المشهور فى ذلك إذا كان فى السفر مشقة يضاعفها الصوم ، وشرع فى سفره قبل الفجر .

فإن كان سفره فى أثناء النهار وقد بيَّت الصوم فعليه أن يتم صوم ذلك اليوم لقوله تعالى : ﴿ **ولاتبطلوا أعمالكم** ﴾ . وإذا كان السفر دون مسافة القصر فأكثر الفقهاء على عدم جواز الفطر وأجازه جماعة منهم للاطلاق فى الآية الكريمة إذا كان السفر مما يشق ويوقع فى الجهد والارهاق .

٤ ـ الشيخ الفانى الذى لا يستطيع الصوم ، ولا يقدر على تحمله .

٥ ـ الحائض والنفساء يفطران ولا يقبل منهما صيام فى فترة الحيض المعتادة ، ولا فى مدة النفاس ، وإذا صامتا لزمتهما الحرمة ، وصيامهما باطل .

« **خامسا** » من يجب عليهم القضاء ، ومن تجب عليهم الفدية :

يجب قضاء مافات من رمضان على من يرخص لهم بالفطر فى البحث السابق إلّا :

(ا) الشيخ الفانى الذى لا يستطيع فى وقت من الأوقات فلا قضاء عليه وتلزمه فدية عن كل يوم من أيام رمضان .

وهى إطعام مسكين إطعاما كاملا إفطارا وسحورا ما يعتاده الناس فى بيئته .

(ب) المريض مرضا مزمنا لا يرجى برؤه لا قضاء عليه إذا أفطر ، ويطعم مسكينا عن كل يوم على النحو الموضح سابقا .

واختلف العلماء فى المرضع التى تخاف على ولدها فقط فقال جماعة منهم بالفدية عليها مع الزامها بقضاء مافاتها ، وقال آخرون بعدم الفدية نظرا لأن الواجب إما القضاء وإما الفدية ، ولا يجمع بينهما .

مكانة الصيام فى الإسلام :

الصوم فرض من فرائض الإسلام ، وعبادة تتكرر كل عام لتتجدد آثارها وتؤتى ثمارها ، وإذا كان الصوم عبادة فى الأديان السابقة ، فهو فى الإسلام عبادة ، وهو فى الإسلام كفارة لكثير من الخطايا ، وقربة يتقرب بها العبد إلى ربه فى النفل ، وفيما يلزم به نفسه من نذر .

وحسب الصوم مكانة فى الإسلام أن تعمد فطر يوم يكفر عنه بصيام ستين يوما ، وهيهات مع هذا أن يحصل أجره ، أو يدرك ثوابه وقد جاء فى الأثر من أفطر يوما من أيام رمضان متعمدا فلم يغنه عنه صيام الدهر وإن صامه .

الصوم بين الافراط والتفريط :

اعتاد المسلمون أن يحفلوا برمضان ، ويهشو للقائه ، وينشطوا لأدائه ، ويستعدوا لأيامه ، ويظهر أثر ذلك فى بيوتهم ومتاجرهم ويتمثل واضحا فى بيوت الله التى تكتظ بالمسلمين نهارها كليلها وليلها كنهارها تلهج ألسنتهم

بالذكر ، وتلاوة القرآن ، وتجود أيديهم بالعطاء والإحسان ، وتدور مجالسهم بالعلم ، ويعظم حرص كثير منهم على أداء الفريضة مهما كلفهم ذلك من عنت وارهاق ، لا يعذرون أنفسهم بمرض وإن أدى بهم إلى الموت ولا سفر وإن أشرف على الهلاك والتلف ، ولا هرم وإن عقد ألسنتهم عن الكلام ، وقعد بهم عن الحركة إرهاقا وخورا وهؤلاء مُفرطون يفهمون الدين على غير وجهه ، ويوغلون فيه بعنف ، ويأبون ما رضيه الله فإن الدين يسر ، وإن الله سبحانه عقب آيات الصوم بقوله جل شأنه : ﴿**يُرِيدُ اللهُ بِكُم الْيُسْرَ وَلاَيُرِيدُ بِكُم الْعُسْرَ**﴾، وإن الله الذى فرضه قد رخص فى فطره لأصحاب الأعذار والله يحب أن تؤتى رخصه ، كما يحب أن تؤتى عزائمه ﴿ **قُلْ كُلٌّ مِن عِنْدِ اللهِ فَمَا لِهَؤلاءِ القَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا** ﴾ .

الحائض

وإلى جانب هؤلاء المساكين المُفْرطين على أنفسهم قوم آخرون أصحاء لاتقوم بهم أعذار ولاتقعد بهم أمراض أولو قوة وألو بأس شديد ، وهم إلى جانب هذا يفطرون فى نهار رمضان جهارا فى غير خجل ولا استحياء ، وربما حملتهم قوتهم على البطر فراحوا يتحدون فى صفاقة وكبرياء .

هؤلاء هم المفرِّطون الذين يعيشون فى غير حساب الزمن لا يسترهم ليل ، ولا ينأ بهم نهار ، ولا يجدى فيهم نصح ، ولا يخزيهم عار أنهام فى المعاصى لا ينتهى نهمهم ، يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم .

وهكذا تختلف درجات الناس فى استقبال هذه الفريضة وأدائها ، ولكل درجات ﴿ **فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ. فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ. وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ. فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ. وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ. فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ. وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ. إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ. فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ** ﴾ .

كيف عالج الإسلام الفقر ؟

للاستاذ الدكتور/ عبد المقصود محمد نصار

يقول الرسول ﷺ : « من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه » .

الإنسان فى هذه الحياة ضعيف ، لأنه محتاج إلى غيره ـ محتاج لقدرة فوقه ، مهما كان عظيما ، محتاج فى كل لحظة الى عون الله تبارك وتعالى .

كما يجب أن نؤمن بأن الصحة الغالية ، وراحة البال ، والمجد المرموق ، ودفع مفاجآت الدهر ليس لها سبيل إلا ما نقدم ، وأنا بكل صدق وحب أتوسل إلى كل مسلم بأن يقدّم الخير ، ويبذل الخير الذى ينمو أجره . ويتكاثر ثوابه ـ لا ـ لفلان صاحب السلطان أو الجاه . أو الرياسة . وإنما يبذله لغير هؤلاء ، يبذله خالصا لله تعالى ـ ليكسب الأمل ، ويظفر برضا الله تبارك وتعالى . وذلك أكبر .

أيها المسلم !؟ سؤالان فما الجواب عنهما ؟

ما الوقاية من أحداث الحياة ؟ وما السبيل إلى لطف الله تعالى إذا هى نزلت ؟.

ومن شمخ الانسان ما يصبو إليه وينشده ؟.

الجواب ، إن سبيل الوقاية هو ما أقوله فى هذه الكلمات التى أكتبها لأنها من الله تعالى ، وعن رسوله محمد ﷺ ـ الوقاية هى الإحسان إلى البائس ، والاسهام فى علاج مشاكل الفقر ، بتخفيف دموع المحتاجين ، وإشاعة الرحمة والعطف لمن يتطلع إليهما ، وبذل الخير للفقير والمسكين ، ووسائله كثيرة لا تحصى كما هو مسطور فى القرآن الكريم وأقوال الرسول صلوات الله وسلامه عليه.

وكأنى بنبل ضميرك الانسانى السامى يهتف بك لتستجيب ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾

وإنى مؤمن بأنك أيها الأخ المسلم متفق معى على قول الله ـ تبارك وتعالى ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾(1) نعم ـ أنت موافقنى على أنه ليس هناك جزاء للاحسان إلا الاحسان ، إذا كنت موافقنى ، وقطعا موافقنى ، فأنت البتَّة مكلف من قبل ضميرك بأن تسهم فى علاج هذه المشكلة (مشكلة الفقر) زكاة لبدنك زكاة لروحك ، زكاة عن أولادك .

الانسان صنعة الله تعالى :

وصانع الشىء هو الذى يضع له قوانين إصلاحه ـ هذا أمر لا يختلف عليه العقلاء ، وعلى ذلك فيمكن أن نتفق على أن إصلاح الناس فى اتباع التعاليم التى وضعها خالق الانسان سبحانه وتعالى ، ولا سبيل للاصلاح سوى هذا .

ومن الأمراض التى تحتاج إلى علاج حاسم (مشكلة الفقر) .

وإنى أتوسَّل إلى القراء أن يكونوا مسلمين بالمعنى الدينى والمعنى اللغوى ، أى مذعنين لتعاليم الإسلام ولما أقول من توجيهات مأخوذة من القرآن الكريم وسنة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه . خاصة ونحن أحوج ما نكون فى هذا الزمن إلى التعاطف والتراحم على مبادىء الاسلام ، الأمة الاسلامية جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

نحن أحوج ما نكون إلى اتباع تعاليم الاسلام ، خاصة فى هذا العصر الذى نعيشه ، لأن نسمع ونقرأ عن متاعب العالم الاسلامى والاسلامى خاصة ـ والتى تحتاج إلى علاج لا يجرح الكرامة الانسانية ، أو يخدش مقومات الإنسان الغريزية ، أو يحد من الحقوق المقررة للإنسان مما هو مبسوط ومقرر فى تعاليم الشريعة الإسلامية .

لقد عالج الإسلام الفقر ، علاجا ماديا وروحيا ، قائما على التكافل والتكامل ، والإخاء والمساواة ، والتوازن ، ذلك لأنه من أهم مبادئه عدم الاعتراف بالطبقية ، فلا أحساب ، ولا أنساب ، (لا يأتونى الناس بأعمالهم وتأتونى بأحسابكم وأنسابكم ، إعملوا لا أغنى عنكم من الله شيئا) . فالعمل هو الميزان ، به يصعد المسلم أو ينحدر به فى مكان سحيق .

مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ كما لا يعترف بالفوارق التى صنعها الناس ، يقول الله تبارك وتعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(1) ولنتوج هذا بقول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾(2) اختلف العلماء فى المقصود من الآية الكريمة ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ .

---

(1) يقول بن كثير : أى لا ، لمن أحسن العمل فى الدنيا إلا الاحسان إليه فى الآخرة ، كما قال الله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة . اهـ

(1) سورة الحجرات اية : ١٣ .

(2) سورة التوبة آية : ٣٤ ، ٣٥ .

كيـــف عــالج الإسـلام الفقـر ؟

فقد روى عن ابن عمر أنها نزلت قبل أن تفرض الزكاة ، فلما نزلت آية الزكاة جعلها الله طهراً للأموال ــ كما قال ذلك عمر بن عبدالعزيز فالكنز كان ممنوعا منعا باتا ، فلما فرضت الزكاة عمل الناس بها وأصبح الكنز جائزا مادام حق الفقير قد خرج بالزكاة .

ومنعه قوم على الاطلاق ، وحرموا إدخار المال إطلاقاً إذ لابد من انفاقه فيما يعود على الانسان بالخير[٣] .

ولا مانع من القول بأن جمع المال وادخاره بعد اخراج زكاته ليس حراما على إطلاقه ، ولا حلالا على إطلاقه ، مراعاة لحاجة المجتمع فالكنز الذى خرجت زكاته يجب أن يقدم إلى الأمة فى السنين الشديدة والأزمنة العجاف ، ولظروف استثنائه كظرف الحرب ضد العدو ، والجهل والمرض والفقر ، وما شابه ذلك ، ولعل المعنى الفقهى للآية الكريمة يساعدنا على أن نقول : إننا لابد وأن ننظر إلى المعركة الهائلة التى لا تنقطع فى سبيل القوت ، ولا تتوقف رحاها ترمى على جنبات الحياة قتلى وصرعى أولئك الذين هاجمهم الضعف فماتوا شهداء ، أو عاشوا فقراء . وغالبا ــ ما داموا فقراء فهم مرضى وجهلاء .

وللحق أقول : لقد حاربت الحكومات هذا اللون من المرض الاجتماعى وستظل فى جهاد مع أعداء الانسانية حتى ترجع إلى صانعها ــ وهو الله ــ تبارك وتعالى . لأنه هو وحده الذى وضع قوانين الاصلاح والعلاج ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ .

وإننا لا تعوزنا الأمثلة على صدق ما نقوله : ففى أرضنا الزراعية الغنية يقوم كل يوم مائة دليل ودليل على غرابة أمرنا ــ فيشتكى الفقر غادينا ورائحنا ، ونحن نمشى على أرض من الذهب . والقول الفصل فى ذلك هو قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ﴾[١]

وعلى هذا فنحن المقصرون والمسئولون عن سوء حياتنا الاقتصادية ولذلك فإن الأعداء الثلاثة كانت ولاتزال موضوع الطب الاجتماعى وعلماء السياسة والاقتصاد ويعملون على تسكين آلامها ــ وتخفيف حدتها بتدبيج المقالات والخطب والعويل الممل فقط .

ونسى هؤلاء أن الدواء الناجح سيظل متواريا حتى نرجع إلى الله تعالى ، باتباع ما دعا إليه وتطبيق شرعه .

وعلى ضوء ذلك ، فإنك إذا رأيت فى وطن الاسلام طرائد للفقر وفرائس للجوع فصدق الله تعالى وكذب نفسك ، لأن ما نراه فى العالم الاسلامى ، أنه لم يعد ذلك الوطن الذى أشرق بنور الله تعالى ، وتعطر بريح الجنة ووسم بدستور القرآن الكريم ، وإنما هو بيت هجره أهله ، ومريض فرط فيه أطباؤه ، وأمم نسيت معانى دستورها فتعبدت بألفاظه ، وحكام أشكلت عليهم أصول الحكم فاكتفوا بصوره .

فلو كان للاسلام رأى مسموع فى الحكم وسلطان على الأمة ، لكان الوطن كله أسرة واحدة ، والناس

---

(٣) وفى هذا ، قال مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر : الكنز هو المال الذى لا تودى زكاته ، وعنه أيضا أنه قال : « ما أدى زكاته فليس بكنز ، وإن كان تحت سبع أرضين ، وإن كان ظاهرا لا تودى زكاته فهو كنز وقد روى هذا أيضا عن ابن عباس ، وجابر وأبى هريرة موقوفا ومرفوعا ، وقال عمر بن الخطاب بنحو هذا .

فالمال الذى لم تؤد زكاته فهو كنز يكوى به صاحبه ، وإن كان على وجه الأرض ، كما قال ذلك : عمر بن عبد العزيز ، وقال غيرهما : أنها نسخت بقول الله تبارك وتعالى ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾ الآية اهـ اختصار من تفسير بن كثير حـ٢ ص ٢٥١ ــ وما بعدها .

(١) سورة فصلت أية ١٠ ــ قدر الله تعالى فيها ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق وأماكن الزرع والغرس ، وقال بعضهم من له حاجة إلى رزق فإن الله تعالى قدر له ما هو محتاج إليه اهـ ابن كثير حـ٤ ص ٩٤ .

كلهم إخوة ، تجد الفقير ولا تجد المحروم ، وترى الضعيف ولا ترى المظلوم ، لأن شريعة الله تبارك وتعالى جعلت بين الغنى والفقير سببا هو البر وأنشأت بين القوى والضعيف نسبا هو الرحمة ، وهنا يتضح أن الاسلام رحمة وعدالة ، ولم يكن مثل الأنظمة الأخرى فى ماديته المعقدة .

علاج الفقر : اهتم الاسلام بعلاج الفقر علاج من يعلم أنه أصل الداء ، ولذلك فقد كاد العلاج أن يكون من أرفع أركانه شأنا بعد توحيد الله تعالى وأداء الصلاة .

فلو رحت تستقصى ما نزل من الآيات القرآنية الكريمة ، وما ورد من الأحاديث النبوية فى الزكوات والصدقات والبر والاحسان لحسبت أن رسالة الاسلام اهتمت وركزت على انقاذ الانسانية من غوائل الفقر أكثر وأكثر .

وكأنما اختار الله تعالى لكفاح الفقر أشح البلاد طبيعة ـ وأشد الشعوب فقرا ليصرعه فى أمنع خصومه وميادينه ـ لأنه إذا انهزم فى قفار الحجاز كانت هزيمة فى أى بقعة أسرع وأظهر لقوة المبادىء .

جاءت التعاليم الاسلامية فقلمت أظافر الفقر ، ومسحت دموع البائسين بأن آخت بين الناس وساوت بين الأجناس وطهرت الأموال من الربا .

كما قرر الاسلام مبدأ ما كانت تحلم به أية جماعة انسانية ، ذلك المبدأ هو الاعتراف بحق الفقير فى مال الغنى ، واعتباره مالكا له ، ولا يكمل دين المرء إلا بهذا الاعتراف وذلك الحق هو الركن الثالث من أركان الاسلام يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾(١) .

فالزكاة من أهم الوسائل التى تحفظ التوازن الاقتصادى وتذيب الفوارق بين الطبقات ، وتطهر القلوب مما يغشاها من الحقد والحسد ، بل ستجعل منهم أخوة متحابين فى الله متعاطفين مع بعضهم ، كما تحول بين تجميع الثروات فى يد واحدة .

وإنها ليست بالقدر الذى يخفى أثره فى حياة الفقراء والمساكين ، ولكنها إذا جمعت بالأمانة على حسابها المقرر ، ووزعت على نظامها المفروض لأنقذت المجتمع . فلا تجد سائلا ولا جائعا ولا جاهلا ، ومن الأمثلة الواضحة على ما نقول : إنه فى عهد عمر بن عبد العزيز بحثوا عن مستحق للزكاة فلم يجدوا .

أنواع الزكاة : أنواعها كثيرة ومتنوعة ، فهناك زكاة المحاصيل وزكاة المال ، وزكاة التجارة ، وزكاة المعادن التى تخرج من باطن الأرض ، وزكاة الكنوز التى توجد مطمورة لأفراد ذهبوا وزكاة الابل والبقر والغنم ـ وزكاة الفطر . وغير ذلك مما لو أحصيناه إحصاء دقيقا حسبما أمر الله تعالى وجمعناه جمعا عادلا ، ووزعناه توزيعا حكيما ، لما وجدنا بائسا ولا فقيرا .

موارد أخرى : لم تقف موارد البر عند ذلك ، بل شرعت موارد للبر لا يأسن لها معين ، ولا ينقطع عنها رافد . يحنث الرجل فى يمينه فيكفر باطعام عشرة مساكين ، ويقسم ألا يفعل شيئا ثم يرى الخير من فعله فيكفر باطعام عشرة مساكين ، ثم يفعله ، أو يظاهر من زوجته ، ثم يبدو له أن يعود فيطعم ستين مسكينا ، ويرمى صيدا أو هدفا مّا ، فيقتل نفسا من غير عمد فيطعم فضلا عن التعويض .

ويعجز عن صوم رمضان لمرض لا يرجى برؤه أو الشيخوخة فينظر ويطعم عن كل يوم مسكينا ، ويفطر عامدا متعمدا فى رمضان من غير علة فيطعم ستين مسكينا ، ويخل الحاج بشرط من شروطه فيكفر عنه بذبح يقدمه للمساكين ، ويتجرد من المخيط فى الحج ، فاذا لبس شيئا لزمته الفدية ، ويرزق الرجل ولدا ذكرا فيعق عنه بذبيحة يقدمها للفقراء يوم أسبوعه ، ويقبل عن الفطر أو عيد الأضحى ، فيجب على الأغنياء أن يُرفهوا عن الفقراء بزكاة الفطر ـ ولحوم الأضاحى ، وينذر المسلم بنذر ، فيوجب عليه الدين أن يفى به برا بالفقراء ، ويعجز الرجل عن تكاليف المعيشة فيوجب الدين عليه أن ينفق الابن على الأب ، والأب على الابن

(١) سورة المعارج آية ٢٤ ، ٢٥ .

كيف عالج الاسلام الفقـــر ؟

والأخ على الأخ ووواخ ـ ألم أقل موارد لا يأسن لها معين ؟

إضافات أخرى : نوهت السنة النبوية بالصدقة الجارية التى كانت والحمد لله تعالى بركة من بركات الرسول ﷺ على المرضى والزمنى ، وذوى الخصاصة ، وأبناء السبيل ، وطلاب العلم والجهاد فى سبيل الله تعالى وبناء معاهد العلم وإقامة المستشفيات للمرضى وبناء المساجد .... الخ .

هذا بالاضافة إلى ما جاء فى كتاب الله تعالى من الحث على الانفاق فى وجوه الخير والترغيب فيما عند الله تعالى من جزيل الثواب ، وأما السنة فقد بينت حق الفقير قولا وعملا ، محددة للمقادير ، ومايجب فيه الزكاة ومالا تجب ذلك لتأسيس مجتمع قائم على الايمان والفضيلة والترابط على المحبة والإخاء ، كما كانت شاملة لكل الأفراد القادرين للسائل والمحروم ، وأن شريعة الإسلام جعلت الزكاة ثالثة دعائم الإسلام وشرط من شروط الإسلام .

لهذا أوعدت المانعين لها بالعذاب الأليم ، جحودا وإنكارا ، يقول الله تعالى : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴾(1)

كما يشير القرآن الكريم إلى العذاب الأليم الذى يستحقه أصحاب القلوب القاسية ، وأن مصيرهم النار ، فى قوله تعالى : ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ ذلك لأنه كان لا يؤمن بالله العظيم ، ولا يحض على طعام المسكين(2) والرسول صلوات الله وسلامه عليه أنذر مانعى الزكاة فقال فى هذا : « ما منع قوم الزكاة إلا ابتلاهم الله بالسنين » أى المجاعة والقحط كما قاتل أبو بكر مانع الزكاة جحوداً لأنه بذلك يعتبر مرتدا ومنكرا لما علم من الدين بالضرورة لثبوتها بالقرآن الكريم والسنة النبوية

طرق أخرى هامة جدا :

لقد عالج الاسلام الفقر من طريق آخر غير طريق الزكاة والصدقات ، عالجه عن طريق الكسر من حدة الطمع ، فقد رغب الغنى فى ترك الاسترسال وراء الشهوات ، والترف والملذات ، وأمر الواجد بالاعتدال ، ومدح الفقير بالتعفف ، وحثه على العمل ، يقول الله تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ ويقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾

ذلك ما عالج به الاسلام داء الفقر الذى أعيا الانسانية منذ الدهر الأول ، وهو على إحاطته وبساطته ينهض دليلا وأى دليل على حمق الذين يقولون إن دستور

---

(1) سورة المدثر آية ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ .

(2) سورة الحاقة من آية ٣٠ إلى آية ٣٧ ، ولا يحض على طعام المسكين أى لا يقوم بحق الله تعالى عليه من الاحسان والمساعدة على البر والتقوى

(3) رواه الطبرانى والبيهقى عن فقه الزكاة حـ١ ص ٧٦ .

القرآن الكريم ، لا يأتلف مع المدنيـة ، وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ .

هذا بالاضافة إلى توجيه المسلمين إلى أثر البذل والانفاق فى آيات كثيرة ، وأحاديث رسول الله ﷺ الحافلة بالكثير من ذلك .

فلو أن كل رجل أدى حق الله تعالى فيما عنده ، ثم انقاد لأريحية الطبع ، وكرم النـفس ، وأعطى من فضل ، وواسى من كفاف ، وآثر من قله ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ . ثم قيض الله تعالى لهذا من ولاة الأمور من يجمعه على أكمل وجه ، ويوزعه على أعدل قسمة ، لكان ذلك عسيا أن يُقر السلام فى الأرض ويشيع الوئام فى النـاس ، وتهدأ ضلوع حاقدة ، وتكفكف دموع بائسة ، وتسكن أجواف خاوية ، ويذهب خوف الغنى ، ويتذوق الناس فى ظلال الرجاء سعادة الأرض ونعيم السماء :

بهذا يتقرر المستقبل فى العالم الإسلامى لمبادىء الإسلام ، لأنها من صنع الله سبحانه وتعالى ، ولن يتخلص الناس من المشاكل الاقتصادية التى يئنون منها إلا بالرجوع إلى تطبيق المبادىء الاسلامية ، بل وكل مشكلات المجتمع من أخلاق وبطالة وسلوك ، وما إلى ذلك ، وأما النظم الزائفة فهى مسكنة على الرغم من افتتان الناس بها باسم المدنية والعلم .

لهذا فإن من واجبنا أن نحمل أنفسنا على غرس مبادىء الاسلام فى مدارك شبابنـا ، والعمـل على تحصينهم من المؤثرات السلبية بجميع مستحدثاتها ومن جميع المجالات التى يتحرك فيها الشباب داخل الأسرة والمجتمع حتى يكون محَصَّنا من مخاطر العصر الذى نعيشه .

وإن خير ما أختم به القول : ماقاله معلم البشرية محمد ﷺ « إخوانكم جعلهم الله فتية تحت أيديكم ، فمن كان له إخوه تحت يده فليطعمه من طعامـه ، وليلبسه من ثيابه ، ولا يكلفه ما يغلبه ، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه »[1] .

---

(١) سنن الترمذى حـ٤ ص١٨٦ عن د/ محمد الخطيب . دراسات فى الحضارة الاسلامية .

الزبير بن العوام حوارىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم

للدكتور عبد العزيز غنيم

فى مكة البلد الحرام ، وقبل خمسة عشر عامًا[١] من مبعثه عليه الصلاة والسلام ، وُلِدَ الزبير بن العوام بن خويلد ابن أسد بن عبد العُزىَّ بن قُصَىَّ .

وأمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى ، فهو أسَدِىٌّ[٢] من جهة أبيه ، وهو هاشمى من جهة أمه ، وهو يشترك مع النبى صلوات الله وسلامه عليه فى قُصَىّ بن كلاب مُجمِّعِ قريش ومُحضرِ مكة ، وصاحب السقاية والرِّفادة والحجابة والندوة[٣] واللواء .

ويبدو لِىَ أن صفية كانت تحب أخاها الزبير حُبًّا شديداً وتطرى مزاياه ومناقبه ، وترجو أن ينسجَ ولدُها على منواله ويدرج على سجاياه وشمائِله ، ومن أجل هذا أطلقت عليه اسمه وكنيته فسمته الزبير وكنته أبا الطاهر[٤] ، وظلت هذه كُنيتَهُ حتى تزوج أسماء ذات النطاقين ، وأنجب منها أول مولود ولد للمسلمين فى المدينة .

---

(١) الاستيعاب ـ لابن عبد البر حـ١ ص ٥٨٠ ـ ط دار الفكر بيروت .

(٢) الطبقات الكبرى ـ لابن سعد حـ٣ ص ١٠٠ ط دار بيروت للطباعة والنشر

(٣) السيرة النبوية ـ لابن هشام حـ١ ص ١١٤ ط مكتبة الكليات الأزهرية

(٤) الاصابة فى تمييز الصحابة ـ لابن حجر حـ١ ص٥٤٥ ط دار الفكر بيروت

وهو عبد الله ، فكُنيني[1] به حتى لقى ربه .

ويقول المؤرخون وكتاب السير إن صفية قد كانت تحب ولدها هذا ، وتطمعُ فى أن يكون بطلا مغوارًا يقود الجيوش ، وفارسا معلّمًا . يسوقُ الزَّحوف ، ومن أجل ذلك قَسَتْ عليه فى طفولته فكانت تلومه إذا هَفَا ، وتحاسبه إذا أخطأ ، وتَضربُه ضربًا موجعًا إذا آنست منه شيئًا من الميل أو الإعوجاج ، وقد أسرفت فى ذلك حتى لَامَها أَحَدُ أقاربِ أبيه وادعى أنها تكرهه وتتمنى الخلاصَ منه ، وقد أغضب صفية هذا الكلام فزجرت الرجل فى عنف ونهرته فى شدَّة ، وأنشدت أبياتًا كشفت فيها النِّقاب عن العِلل والأسباب التى من أجلها كانت تقسو عليه ، ولاتتسامح فى محاسبتها له على أخطائه ومن هذه الأبيات قولها[2] :

من قال أنى أبغضه فقد كذب
وإنما اضربـــه لكــــى يَلِبُّ
ويهزم الجيش ويــأتى بالسَّلَبْ
ولا يكن لمالــه خبــأ مخب
يأكل فى البيت من تمر وحب

وكم كان فرحُها عظيما عندما يبلغُها أن ولدَها يصرُع أقرانه ، ويَقْهَرُ أَتْرَابَهُ ، رأت يومًا شابًا محمولًا كَسِرَتْ يَدهُ ، وجدع أنفهُ وضرب ضربًا أذْهلَهُ عن وعَيْه ، فقالت : ماهذا ؟ فقيل لها : هذا شابٌ قَاتَلَ الزبير فصنع به ماتَرَيْن[3] ، فتهللت أساريرُهَا ، وانبسطت قسمات وجههَا ، وراحت تُطْريه وتثنى عليه ، ولم يكن الزبير قَوِيَّ الجسم ، متين الجوارح وحسب ، وإنما كان ذا عقل حاد وذهنٍ متوقد ، وقريحةٍ تختار فَتَحْسِنُ الاختيار ، وتنْفى فتبلغ الغاية فى الانتقاء ، وليس أدلَّ على هذا من إنقِطاعه لأبى بكر ، واطمئنانه إليه ، وثقته فيه ، واصطفائه لنفسه أخا حميما ، وصديقًا كريما ، على الرغم من فارق السنِّ ، واختلاف العمر . فقد كان أبو بكر فى الأربعين وكان هو غلامًا فى العام الخامس عشر ، أو العام الذى يليه ، وجاء الإسلام فاعتنقه أبوبكر ، وانضوى تحت لوائه ، ولأنه هو والنبى كليهما قد كان يدعوان إلى هذا الدين فى الخفاء ، وعلى خوف من المشركين أن يفتنوهم ويقطعوا عليهم طريقهم فإن أبا بكر لم يكن يدعو إلى الإسلام من يعرف ومن لا يعرف ، وإنما كان يتخير من أصحابه من لا يَهْتِكُ سِتره ، أو يذيع أمرَه ، وقد كان الزبير[1] هو أحد من دعاهم أبوبكر إلى الدين الجديد ، وأماط أمامهم النقاب عن مبادئه وتعاليمه ، وقد استقبلت عشيرةُ الزبير دخُوله فى الإسلام استقبالًا سَيِّئًا ، فآذته وأعنتته وأمعنت فى تعذيبه والاساءة إليه ، حتى إنَّ عمَّهُ قَد كان يعُلقُهُ فى حصير ويُدَخَّنُ عليه ، وأمام ما كان يَلْقَىَ من ألوان الكَيْد وأنواع الاضطهاد فإن النبى عليه الصلاة والسلام قد أشار عليه بالهجرة إلى الحبشة[3] فيمن أشار عليهم ، فهاجر إليها فى المرة الأولى وهاجر إليها فى المرة الثانية ، ولم يكد يعود إلى مكة حتى كان الأنصار قد بايعوا النبى عليه الصلاة والسلام عند العقبة ، وحتى كان الله قد أذِن للمسلمين فى الهجرة إلى المدينة ، هاجر الزبير إليها فيمن هاجر وكان نزوله فيها على المنذر بن محمد[4] بن عقبة ابن أحيحة . ولما آخى النبى عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين آخى بين الزبير وابن مسعود[5] ــ ولما آخى بين الأنصار آخى بينه وبين كعب بن[6] مالك ولما خط للمهاجرين مساكنهم خط له مسكنًا[7] فسيحاً يناسب قدره ويتفق وشأنه ومنزلته . وقد تجلت عبقرية الزبير رضى الله عنه فى المدينة وزاد نشاطه وكفاحه . فلم يترك الرسول صلوات الله عليه فى مشهد ولم يتخلف عنه فى

(١) الإصابة ــ لابن حجر حـ١ ص٥٤٥ .

(٢) الإصابة ــ لابن حجر حـ١ ص٥٤٥ .

(٣) الطبقات الكبرى ــ لابن سعد حـ٣ ص ١٠١ الإصابة ــ لابن حجر حـ١ ص٥٤٥ .

(١) السيرة النبوية ــ لابن هشام ــ حـ١ ص ٢٣٢ .
(٢) الطبقات الكبرى ــ لابن سعد ــ حـ٣ ص ١٠٢ ، الإصابة لابن حجر حـ١ ص٥٤٥ .
(٣) الاصابة ــ لابن حجر ــ حـ١ ص٥٤٥ .
(٤) الاستيعاب ــ لابن عبد البر حـ١ ص ٥٨٠ .
(٥) الاصابة ــ لابن حجر ــ حـ١ ص٥٤٥ .
(٦) الطبقات الكبرى ــ لابن سعد ــ حـ٣ ص ١٠٢ .
(٧) الطبقات الكبرى ــ لابن سعد ــ حـ٣ ص ١٠٣ .

الزبير بن العوام

غزوة[1] . ولم يتأمر على سريه إلا كان موضع التقدير من أصحابه وموضع الثناء من النبى صلوات الله وسلامه عليه وقد سجل له التاريخ فى صحائفه الكثير من المزايا والمناقب . ففى بدر كان يحرس النبى إلى جانب العريش[2] الذى نصب له . وفى أحد كان مضرب المثل فى الذب عنه والضرب بين يديه[3] وفى الأحزاب كان هو الذى نقل أخبار اليهود[4] إلى رسول الله صلوات الله عليه بعد مانكثوا عهده ونقضوا ميثاقه ووضعوا أيديهم فى أيدى قريش وغطفان .

وفى فتح مكة[5] كان هو الذى يحمل لواء المهاجرين إلى غير ذلك مما أفاض الرواه فى ذكره والتنويه به ، وهكذا كان الزبير مضرب المثل فى حبه للنبى وطاعته إياه وانقياده لأمره ونهيه حتى جعله ضمن العشرة الذين بشرهم بالجنة ـ وقال فيه وهو يطريه ويزكيه إن لكل نبي حوارى وإن حوارى الزبير[6] ـ ولو لم يكن للرجل فى حياة النبى عليه الصلاة والسلام غير هذه المناقب لكان كافيًا لكنه رضى الله عنه كانت له مناقب أخرى كثيرة فهو أول رجل سلَّ سيفا ، فى الإسلام . وهو أول رجل جمع له النبى عليه الصلاة والسلام بين أبويه . فقال له وهو يمسح التراب عن وجهه فداك أبى وأمى ـ وكما كان الزبير رضى الله عنه سيفًا فى يد النبى ﷺ إن شاء سله وإن شاء شامه . فقد كان كذلك فى يدى خليفتيه من بعده أبى بكر وعمر . فقد شارك فى حراسة طرق المدينة عندما توقع أبوبكر الهجوم عليها من قبل المرتدين وشارك فى فتوح فارس[7] ومصر وفى الإستيلاء على حصن بابليون[8] إلى غير ذلك مما لاتتسع لتسجيله هذه السطور . ويقول المؤرخون وكتاب السير إن الزبير رضى الله عنه كان يحب الفاروق حبًا شديدًا وإنه كان يبادله مثله وليس أول على هذا من أنه لما استشهد عمر عمد الزبير إلى الديوان فمحى[9] اسمه منه حزنًا عليه وتألمًا لفقده وإن عمر لما أدرك أنه مقبول لا محالة وأنه سوف يموت من الطعنات التى سددها إليه أبو لؤلؤة جعل الزبير ضمن[10] الستة الذين اختارهم للشورى .

وفى خلافة عثمان كان الزبير من بين الصحابة الكبار الذين أذن لهم الخليفة فى مغادرة المدينة والإقامة فى الأمصار ولأن الرجل قد كان على علم ودين فإن أهل الكوفة قد ألتفوا حوله وأطروا مناقبه وشمائله وطمعوا فى أن يكون هو الذى يتولى شئون الأمة ويصرَّف الأمور فيها ومع ذلك فإن الزبير لم يدعو إلى نفسه ولا قال فى عثمان إلا ما يزينه ويدفع قالة السوء عنه . ولما قتل رضى الله عنه لعن الزبير قاتليه[11] . وأعلن أنهم قد فتحوا على الأمة باب فتنة لا يغلق إلى يوم القيامة ـ ولما عرض الثوار عليه الخلافة ضمن من عرضوها عليهم من أصحاب الشورى رفضها وتبرأ منها ولما اضطر علىَّ كرم الله وجهه إلى قبولها كان الزبير فى مقدمة من بايعوه وأعطوه[12] صفقه أيديهم ـ ويقول الرواة : إنه هو وطلحة بن عبيد الله دخلا[13] عليه وطلبا منه أحدهما إمرة البصرة وطلب الثانى إمرة الكوفة ولأن عليا قد كان حريصًا على أن يكونا إلى جانبه ينصحانه ويسددانه فإنه أبى هذا الطلب وألح عليهما فى البقاء فى المدينة وأمام هذا الرفض طلب الرجلان منه الإذن

---

(١) الاستيعاب ـ لابن عبد البر ـ حـ١ ص ٥٨٠ .
(٢) الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ حـ٣ ص ١٠٣ .
(٣) الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ حـ٣ ص ١١٢ .
(٤) الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ حـ٣ ص ١٠٦ .
(٥) الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ حـ٣ ص ١٠٤ .

(٦) الاستيعاب ـ لابن عبد البر حـ١ ص ٥٨١ ، الاصابة ـ لابن حجر حـ١ ص ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، الطبقات الكبرى ـ لابن سعد حـ٣ ص ١٠٥ .
(٧) الاستيعاب ، حـ١ ص ٥٤٥ ، الطبقات الكبرى حـ٣ ص ١٠٢ .
(٨) الاصابة حـ١ ص ٥٤٥ ، الطبقات الكبرى حـ٣ ص ١٠٢
(٩) الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ حـ٣ ص ١٠٢ .
(١٠) الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ حـ٣ ص ١٠٧ .
(١١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبرى حـ٥ ص ٣٣ ، ٤٢ ط دار القلم ـ بيروت .
(١٢) تاريخ الخلفاء للسيوطى : ص ١٦٢ ، ١٦٣
(١٣) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبرى ـ حـ٥ ص ١٥٣

لهما فى العمرة ، فأذن لهما وهو يقول : ما العمرة اردتما ولكن أردتما الغدرة .

وفى مكة اجتمع الزبير وطلحة وأم المؤمنين عائشة واتفقوا على الخروج[١] إلى البصرة مطالبين بالقوة ممن قتلوا الخليفة . ودارت بينهم وبين عثمان بن حنيف[٢] عامل أمير المؤمنين على هذه المدينة معركة كان النصر فيها إلى جانبهم فقد أُسر ابن حنيف وهزم جنده وأُرسل إلى على فى أسوء حال وأتعس هيئة وزحف على حتى دخل البصرة . ودارت مفاوضات بين الفريقين[٣] تستهدف العدول عن الحرب والدخول فى السلم ولكن الظروف قد كانت أقوى من إرادة الفريقين فتعبأ الفريقان للقتال وقبل أنَ تنشب المعركة بينهما ـ طلب على من الزبير أن يلقاه فقبل ودنا الرجلان كل منهما من صاحبه فقال على أنشدك الله يا زبير ـ ألم تسمع رسول الله ﷺ يقول لك : وقد جئت تشكونى إليه تقاتله وأنت ظالم[٤] له قال : بلى ولو ذكرتها ما أتيت إلى هذا المكان أبدا وغادر الرجل العراق إلى الحجاز والبصرة إلى مكة ولم يدر أن الموت رابضٌ له بالمرصاد . فقد مرَّ في طريقه بالأحنف بن قيس[٥] فلما رآه قال إن هذا الرجل مازال بالمسلمين حتى فرقهم ثم هو الآن يعود إلى أهله فتبعه ابن جرموز حتى إذا كان بوادى السباع عدا عليه وقتله ـ وحمل رأسه وذهب إلى على وهو يظن أنه سيجذل له جائزته فلما استأذن عليه لعنه ورفض أن يجيزه وقال أبشروا وقاتل الزبير بالنار[٦] وأخذ سيفه وهزه وبكى وأعلن أن هذا السيف كثيراً ماجلى الكرب عن النبىَّ صلوات الله وسلامه عليه . ثم ذكر أنه هو والزبير وطلحة سيكونون مما قال الله فيهم ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾[٧]

وبعد فهذه صور أو لمسات من حياة رجل كرس عمره للعمل من أجل الاسلام والجهاد فى سبيله والرغبة فى نشر لوائه وإعلاء كلمته فاستمرأ الأذى واستعذب العنت وغادر وطنه ومسقط رأسه إلى الحبشة والمدينة وخاض المجامع القاسية والمعارك الضارية مقدمًا غير محجم كرارًا غير فرار . وكان لا يضن على دينه بشىء ولا يبخل فى سبيل عقيدته بنفس ولا مال فاستحق ثناء النبى عليه ورضاه عنه ودعاؤه له وضرب المثل بعد المثل فى كل جانب من جوانب الحياة فرحم الله الزبير بن العوام وجعله من الذين قال الله فيهم ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾[٨]

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبرى ـ حـ٥ ص١٥٨ ، ١٥٩

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبرى ـ حـ٥ ص١٦٨ .

(٣) الكامل ـ لابن الأثير حـ٣ ص٨٨ ، ٩٠ .

(٤) البداية والنهاية ـ لابن كثير حـ٧ ص٢٣٧ .

(٥) الاصابة ـ حـ١ ص٥٤٦ .

(٦) الطبقات الكبرى ـ بن سعد حـ٣ ص١١٠ ، الاصابة حـ١ ص٥٤٦.

(٧) الطبقات الكبرى حـ٣ ص١٠٥ .

(٨) سورة الحجر آية : ٤٧ .

(١) سورة النساء آية : ٦٩ ـ ٧٠ .

خلال أربعة شهور على التوالى عرضنا للثقافة السياسية وللقيم العليا فى الدولة اليهودية ، وأجبنا على سؤالى : من يحكم إسرائيل ؟ وكيف تُحكم إسرائيل ؟ وتناولنا فى المقال السابق مفهوم « الأمن الاسرائيلى » وأدوات وأسلوب تحقيقه من جهة الخارج . ونستكمل هذه السلسلة بالقاء الضوء على بعض جوانب تحقيق « الأمن الاسرائيلى » فى الداخل .

أشد الناس عداوة للذين آمنوا

ملامح النظام السياسى للدولة اليهودية

(٥)

بقلم لواء ا . ح دكتور / فوزى محمد طايل

ونقصد « بالأمن اسرائيلى فى الداخل » مواءمة المجتمع للحفاظ على القيم الصهيونية ، واستمرار استثارة الشعور القومى لدى أفراد الشعب اليهودى من أجل دعم تحقيق أهدافه القومية التى سبق تحديدها فى المقال السابق .

ونظرا لصغر مساحة رقعة الأرض التى أقام اليهود عليها دولتهم عام ١٩٤٨ م ، إذ لا تتجاوز ٢٠,٧ ألف كيلو متر مربع ، وصغر عدد السكان* فإن المجتمع الاسرائيلى فى حالة استنفار شبه دائمة .. وتعمل وسائل الاعلام والتعليم والثقافة ، وتصريحات القادة هناك على المحافظة على حالة من التوتر واليقظة والشعور الدائم بالخطر لدى كل فرد . حتى المشروعات الاقتصادية ومنشآت البنية الأساسية ، واستغلال المصادر الطبيعية ، والتخطيط العمرانى ، والاستيطان والزراعة .. كلها تتم مع الأخذ فى الاعتبار المتطلبات الأمنية والاستعداد للحرب المقبلة !

ويعبر أحد علماء السياسة والاجتماع الاسرائيليين المعاصرين (آشير آريان ـ سبق الاشارة إلى مؤلفه) ،

* بلغ عدد سكان إسرائيل فى شهر مايو ١٩٨٨ م قرابة ٤,٤٧٦ مليون نسمة ، منهم ٣,٦٥٩ مليون يهودى ، و ٦٣٤,٦ ألفاً من المسلمين ، و ١٠٥ آلاف من النصارى ، و ٧٨ ألفاً من الديانات الأخرى .. وذلك حسب تقديرات مكتب الاحصاء المركزى فى إسرائيل ، وتوقع أن يكون عدد اليهود قد بلغ هذا العام قرابة ٤,١ مليونا مع الأخذ فى الاعتبار معدل المواليد وتعاقب الهجرات المكثفة ، وهؤلاء يشكلون ٢٧٪ تقريباً من يهود العالم . فى حين يتوقع أن يكون عدد السكان العرب من كل الديانات قد بلغ قرابة ٩٠٠ ـ ٩٥٠ ألفاً ، أى بنسبة أكثر من ١٨٪ من سكان إسرائيل .

يعبر عن هذا الوضع الشاذ الفريد من نوعه بأن « الوضع النموذجي الطبيعي لاسرائيل هي أن تكون أمة مسلّحة ، أمة محاصرة .. »

the nprman pattern is anation inarms amation basieged...

ويستطرد قائلا : « من أجل هذا فإن الجيش يعمل كشريك فى العملية السياسية ويتكامل فى الحياة المدنية ، فى مجالات تقع فيما وراء تحقيقه للأمن القومى » .

هذا ويشاء قدرهم أن اكون أهم الأهداف القومية لاسرائيل هى ذاتها أهم أسباب التهديد الداخلى للأمن القومى ، فاستدعاء الهجرات اليهودية من كل أنحاء العالم إلى مايدعون أنه « أرض الميعاد » قد أدى إلى أن اجتمع إلى هذه الدولة صغيرة المساحة ثقافات شتى ، ومذاهب دينية متنافرة ، وعرقيات متناسقة ، وقد أدى هذا بالتالى إلى وجود صعوبات اقتصادية مزمنة يصعب تصور حلها دون اعتماد إسرائيل على المعونات والتبرعات التى تحصل عليها من بعض الدول الغربية ، خاصة الولايات المتحدة الأمريكية ، ومن المجتمعات اليهودية الغنية فى تلكم البلدان .

ومن مظاهر الأزمة الاقتصادية الكبيرة التى سببتها هذه الهجرات ارتفاع أعداد من يعانون من المعيشة تحت حد الفقر فى إسرائيل إلى أكثر من ثلاثة أرباع المليون ، قوامهم اليهود « السفارديم » خاصة القادمين من اثيوبيا ، واليمن ، والهند ، ودول العالم الثالث الأخرى .. كما أن من مظاهر هذه الأزمة تزايد معدلات البطالة من ٦,٤٪ عام ١٩٨٨م إلى ٩٪ عام ١٩٨٩ ، ثم ١٠,٥٪ عام ١٩٩٠م ، ثم ١٢٪ عام ١٩٩١ ، ويتوقع أن تصل ١٤٪ بنهاية عام ١٩٢٢م . وإذا ما علمنا أنه يضاف إلى هذه الأوضاع وجود مشكلات متزايدة فى مجال الاسكان لامكننا توقع أن تقوم اسرائيل بتجميد انشاء مستوطناتها فى الضفة الغربية والقدس وغزة والجولان .. لا إذعانا للضغط الأمريكى عليها ، كما يتصور البعض ، ولكن لاستحالة الاستمرار فى تطبيق سياسة الاستيطان بالمعدلات المخططة وتجميد المستوطنات لا يعنى إزالتها .. فى نفس الوقت الذى ستتمكن اسرائيل فى مقابل ذلك من الحصول على المعونات والتبرعات الأمريكية واليهودية والأوربية كاملة ، يضاف إليها مبلغ العشرة مليارات دولار المطلوبة كضمانات قروض غالبا ما تتحول إلى منح لاترد بمرور الوقت .. وهذا يمكنها من استعادة قدرتها الاستيعابية لجلب المزيد من المستوطنين المهاجرين اليهود خلال السنوات القادمة .

ومن مظاهر الأزمة الاقتصادية الاسرائيلية الناجمة عن الهجرة أيضا احتمالات أن تعانى اسرائيل من نقص شديد فى المياه رغم قيامها بسرقة المياه من الانهار العربية ومن المياه الجوفية .. حتى لو تم تنفيذ المشروع التركى بإمدادها بنصف مليار من الأمتار المكعبة من المياه سنويا .

ولقد انعكست الأزمة الاقتصادية على الأحوال الاجتماعية والنفسية فزادت حالات الانتحار بسبب عدم القدرة على التواؤم مع المجتمع الجديد ، وزادت حالات تعاطى المخدرات وادمانها .. كما زادت حوادث العنف بين اليهود أنفسهم وبين بعضهم البعض .

ولعل التباين الثقافى والعرقى والمذهبى بين طوائف الشعب فى الدولة اليهودية يعد من أبرز وأخطر مهددات « الأمن القومى » الاسرائيلى من الداخل ، منذ قيام الدولة وحتى الآن ، رغم الجهود الكبيرة للتغلب عليه ، ولعل أهم هذه الطوائف مايلى :

الأشكنازيم والسفارديم* :

الأشكنازيم :

(٨٥٪ من يهود العالم) ، ومعظمهم من سلالة « قبائل الخزر » .. من جنس مغولى .. فهم ليسوا من سلالة اسرائيل (يعقوب) عليه السلام ، ولاهم « ساميون » كما يدعون . وقد كانت « قبائل الخزر » هذه وثنية ، لكنهم دخلوا اليهودية بعد ذلك وانتشروا

---

* راجع عدد جمادى الآخرة ١٤١٢ هـ ، ص ٦٥٨ .

* كانوا يمثلون ١٢٪ من السكان حتى منتصف الخمسينيات .. وبالتالى الهجرات القادمة من أوروبا أصبح عددهم الآن أكثر من ٤٥٪ من سكان إسرائيل .

ملامح النظام السياسى للدولة اليهودية

فى أوربا ، خاصة شرقها ووسطها (لذا ينسبون « لأشكناز » بمعنى ألمانيا) ، ويتحدثون لغة « اليدش » وهى خليط بين الألمانية والعبرية ، ولهم صحافة تصدر بهذه اللغة حتى الآن فى اسرائيل . وقد كان هؤلاء أول من هاجر فى الموجات الأولى إلى فلسطين لاقامة الدولة . وعلى الرغم من أنهم كانوا أقلية بالنسبة لباقى اليهود الذين وصلوا حتى قيام الدولة اليهودية** ، فقد كانوا هم الطائفة الاغنى ، والأكثر ثقافة وتعليما .. ومنهم خرج قادة اسرائيل ومن كانوا يشغلون المناصب العليا فى كل مناحى الحياة خلال الثلاثين السنة الأولى من قيام الدولة .. بل إن علماء هذه الطائفة وحاخاميها هم الذين صاغوا الفكرة الصهيونية ذاتها .

ويتحيز الأشكنازيم فى غالبيتهم لحزب العمل الاسرائيلى بسبب الخلفية الثقافية الاشتراكية التى تجمع بين الطرفين ، ولاحتياجهم إلى خدمات الاسكان والصحة والعمل التى كان حزب العمل مهيمنا عليها حتى مطلع السبعينيات من خلال علاقاته المتميزة مع « الهستدروت » .. بيد أنه بمرور الزمن ، وفى نفس الوقت الذى كان عدد الأشكنازيم يتزايد ، توجه الجيل الثانى منهم (من ولدوا فى اسرائيل) تلقاء حزب « الليكود » الأكثر تشددا فى الفكر الصهيونى ، فأصبح أكثر من ثلث الأشكنازيم يعطون أصواتهم الآن « لليكود » .

هذا ولم يكن « الأشكنازيم » معترفا بهم من قبل « الحاخامية اليهودية » بفلسطين حتى عام ١٩٢١م ، إذ كان « الحاخام باشى » يعين من طائفة السفاراديم بمعرفة الخليفة العثمانى .. ونظرا للاختلاف الكبير بين الطائفتين فى أمور الأحوال الشخصية (من زواج وطلاق وبنوة ومواريث ... الخ) فقد قامت سلطة الانتداب البريطانى بتعيين « حاخام باشى » آخر من الأشكنازيم ، وأصبحت هناك رئاستان دينيتان ، وقضاءان دينيان منذ ذلك الوقت ، وفى عام ١٩٧٨م تم تشكيل « مجلس حاخامى » أعلى ، وألغى منصبا « الحاخام باشى » ، وأصبح المجلس المشار إليه يتكون من رئيسين ، وعشرة أعضاء من كل طائفة .. وتم توحيد قانون الأحوال الشخصية لتصبح « اليهودية الارتودوكسية » هى القانون الملزم .

السفاراديم :

وهم اليهود الذين شتتهم الرومان عندما قضوا على دولتهم الثانية ، وبقايا من ظلوا مشتتين منذ تدمير « نبوخذ نصر » لدولتهم الأولى . وقد عاش هؤلاء فى كنف دولة الإسلام* لأكثر من ألف وثلاثمائة عام وتركزوا فى بلاد الاندلس والمغرب وشمال أفريقيا (لذا فهم ينسبون إلى « سفاراد » أى أسبانيا ، ويتحدثون لغة « اللادينو » ، وهى خليط بين الاسبانية والعبرية .

وقد تأثرت عقيدتهم الدينية كثيرا بالفقه الإسلامى ، وصاروا أكثر تمسكا فى الجملة بيهوديتهم بأكثر من « الأشكنازيم » الذين يكثر بينهم

---

* يعبر كتاب (Isyael (a Country studg الصادر عن الجامعة الأمريكية عن أحوال اليهود فى ذلك العصر فى ص ٢١ معتبراً اياه (أى ذلك العصر) هو العصر الذهبى لليهود فيقول بالحرف الواحد : « The Golden age of the Diaspora reprented the height of Jewish intellecual activity, Political power, and social involement Maslim rule » .

«العلمانيون» و« الملحدون » ، رغم تمسكهم الشديد بصهيونيتهم وعدم إنكارهم الانتماء إلى اليهودية .. وفى هذا تناقض عجيب .. ولم العجب .. وقد قال أسلافهم لموسى عليه السلام من قبل « أجعل لنا إلها كما لهم آلهة » ١٢٨ الأعراف .. وعبدوا العجل وهو بين ظهرانيهم ، وعصوا ، واستكبروا ، وجبنوا وقالوا لرسول الله موسى عليه السلام « فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون » المائدة ٢٤ .

وتجد أن معظم السفاراديم يعطون أصواتهم فى الانتخابات للأحزاب الدينية ولكتلة « ليكود » ، وينتمى معظمهم إلى من يطلق عليهم « اليهود الارتودوكس » Orthodox Jews ، الذين يشكلون قرابة ٣٥٪ من المجتمع فى اسرائيل .

ورغم أن السفاراديم يشكلون ـ حتى الآن أغلبية بين الطوائف المختلفة فى الدولة اليهودية إلا أنهم فى مستوى اجتماعى واقتصادى وتعليمى أقل من الأشكنازيم ، وبالتالى فهم يشعرون بشىء غير قليل من الدونية والاضطهاد .

ويعرف « السفاراديم » عادة « باليهود الشرقيين » ، وأحيانا « باليهود السود » ، وهو تعريف له دلالته الاجتماعية عندهم فى مقابل تعريف الاشكنازيم « باليهود الغربيين » ـ رغم أن معظمهم من شرق أوربا وأواسط آسيا .. وعلى أى الأحوال فإن هاتين الطائفتين لا تزالان تشكلان ثقافتين متباينتين ، وطبقتين متميزتين كلا منهما عن الأخرى ، وهذا أمر ينتظر بقاؤه لعشرات السنين القادمة مشكلا تهديدا أمنيا داخليا كبيرا .

العلمانيون والارتودوكس والمتشددون :

على الرغم من تمسك اليهود بانتسابهم الدينى والعرق وبدعواهم التاريخية الداحضة فهم للكفر أقرب منهم للإيمان ، ولعل هذا التناقض يرجع إلى التشديد الذى شدده اليهود على أنفسهم فشدد الله عليهم ، فمن يتمسك حرفيا بيهوديته عليه أن يأتى بعدد من الأعمال فى اليوم والليلة تبلغ ٦١٣ عملا وتسمى « ميتصفوت » ، لذا فقد جاءت نتيجة أحد استطلاعات الرأى ـ وما أكثرها وأدقها لديهم ـ جاءت كما يلى :

- من يمارسون الدين بحرفيته ٩٪ .
- من يمارسون الدين غالبا ١٤٪ .
- من يمارسون الدين أحيانا ٤٣٪ .
- من لا يمارسون الدين على الاطلاق ٣٤٪ .

ومع ذلك فالملحدون عندهم يظلون يهودا ـ ففى شرعهم ـ « أن اليهودى يظل يهوديا ولو بدل دينه ، ولو انتحر » .

ويرى « العلمانيون » ـ وغالبيتهم من الاشكنازيم ـ ان القوانين المشتقة من « الهالاخاه » ـ أى الشريعة اليهودية ـ تعد أمرا مزعجا ، خاصة تلك التى تفرض على الناس أن « يسبتوا » .. كما يرون أن الدين يعوق الكثير من الأمور اللازم الاتيان بها لتسيير الدولة .. ومع ذلك فهم لا يجرؤون على القول « بعلمانية الدولة » وإلا فقدت سبب وجودها ذاته «raison d'etre» .. لذا فدعواهم هامشية فالقوانين المشتقة من الهالاخاه تتزايد ، والتيار اليهودى المتشدد يتزايد ، وكل المؤسسات التى تتلقى دعما ماليا من الدولة خاصة الجيش والتعليم وغيرها تراعى ما يفرضه القانون من تعاليم يهودية أخصها « يوم السبت » ، والطعام الحلال « الكوشير » ... الخ .

ويكاد يكون « الارتودوكس » هم الذين يسيرون أمور الدولة اليهودية من خلال الأحزاب الدينية والمحاكم الدينية ومن خلال سيطرتهم على وزارتى التعليم والاديان ، كما أنهم يشكلون كبرى حركات الضغط من أجل الحفاظ على هوية الدولة اليهودية والسير قدما فى اتجاه تحقيق الأهداف الصهيونية .

ملامح النظام السياسى للدولة اليهودية

هذا ، ويشكل المتشددون (٩٪ من الشعب اليهودى) ، ويطلق عليهم « أولترا ارتودوكس » Ultra Orthodox . وهؤلاء منهم من يشارك فى الحياة الاجتماعية والسياسية ويندرج فى الأحزاب الدينية المتشددة التى تنادى بضرورة الطرد الفورى للعرب وتحريك الحدود لبلوغ غايتهم بتحقيق « إسرائيل الكبرى » انتظاراً « لوصول المسيح* ، ملك بنى إسرائيل » وحكم العالم .

بيد أن هناك طائفة أخرى تنهج منهجا مخالفا ، وهم يسمون « نيتورى كارتا » Neturie Karta ، أى « حراس المدينة » ، وهم غير معلومى العدد بالضبط لانعزالهم الكامل عن المجتمع ، ولا يتجاوزون بضعة الاف ، ويعيشون وراء أسوار عالية فى حى خاص بهم بمدنية القدس ، وهم يرفضون الاعتراف « باسرائيل » كدولة ، اذ يقولون انها ما كانت لتقوم قبل بعث « المسيح » الذى يتولى إقامتها بنفسه وحكم العالم منها .. وهم لا يستخدمون اللغة العبرية لانها لغة مقدسة لايجب تدنيسها باستخدامها فى دولة « علمانية » .

ويعد يوم قيام اسرائيل يوم حداد بالنسبة لهم ، لذا فقد أحرقوا علمها علناً عام ١٩٦٥ احتجاجاً على قيامها .. كما يقومون بقذف السيارات ورجال الشرطة والاسعاف الذين يسيرون على الطريق يوم السبت .

ولهذه الطائفة مدارسها الخاصة بها ، التى لا علاقة لها بالدولة . ولهم قضاء خاص بهم ، ولهم أماكن خاصة لذبح الحيوانات .

ومما يجدر ذكره أن هذه الطائفة هى من « الاشكنازيم » ! ، وأنه رغم انعزالهم وضئالة عددهم فلهم تأثير كبير على مسلك « الارتودوكس » بوجه عام .

القـــراءون والربانيـــون والمحافظون والاصلاحيـون :

القراءون : وهى طائفة ظهرت أول ما ظهرت فى بغداد فى القرن الثامن الميلادى ، ثم استقرت فيما بعد فى مصر تحت زعامة « عنان بن داود » ، واتخذوا لهم تقويماً خاصاً بهم ، وهم لا يعترفون إلا بالتوراه المكتوبة ، ويقيسون على أحكامها ، ويجعلون من الاجماع والعرف مصدران آخران للشريعة عندهم ، وهم بذلك يخالفون الربانيين فى المعاملات ، والأحوال الشخصية ، والمواريث ، والأعياد .

وقد هاجر القراءون إلى اسرائيل فى الخمسينيات (قرابة ثمانية آلاف) واستقروا فى الرملة واشدود وبير سبع وعكا . وهم شديدو التمسك بالسبت ، ولا يتزوجون من غير طائفتهم ولا يستخدمون غير اليهود فى أعمالهم .

---

* ما يقصدونه هنا ليس هو المسيح عيسى بن مريم ، وإلا لكانوا قد آمنوا به !

* الاصلاحيون : هم أنصار حركة ظهرت فى كل من فرنسا وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية منذ مطلع القرن التاسع عشر بغرض مواءمة اليهودية مع الأوضاع الاجتماعية فى الدول النصرانية الغربية ، فأعطت تعريفاً جديداً لليهودية وأقرت بأن « السلطة الدينية » اليهودية هى سلطة روحية فقط (اسوة بالأفكار العلمانية التى كانت تسود أوروبا) .

** المحافظون : وهم بخلاف الأرتودوكس ، بل بين الطائفتين عداء شديد . وقد ظهرت الحركة « المحافظة » فى ألمانيا عام ١٨٤٥ م بغرض اصلاحى مؤداه حصر استخدام اللغة العبرية فى العبادات الرئيسية ، وتنادى بالتمسك بالتقاليد لذا سميت « بالحركة التقليدية » (هاتنوّح هامسوراتيت) . وقد هاجر أنصار الحركة إلى فلسطين عام ١٩٣٧ م وأقاموا ٢٥ معبداً وعدداً من المدارس ، وعدداً من المستعمرات .

هذا ، ولم يعترف بهم كيهود إلا عام ١٩٧٣ م وإن ظل الزواج بهم حتى الآن يعد بمثابة الزنا الذى يحرم النسل الناتج عنه أن يتزوج من اليهود حتى الجيل الثامن ! لذا نجد بينهم وبين طائفة « الربانيين » عداء شديد .

أما الربانيون : فهم الغالبية العظمى من اليهود وهم يؤمنون « بالشريعة » « هالخاه » التى يعتبرون أن مصادرها هى : التوراه (الاسفار الخمسة الأولى من العهد القديم) وهى بمثابة القانون المكتوب ، كما يؤمنون « بالمشناه » ، أى التوراه الثانية ، وهذه قد كتبت فى القرن الثانى الميلادى ، وهذه تتكون من القانون الشفهى الذى تم تدوينه فى صورة « التلمود » ، و « الجماراه » أى التفاسير التى قام بها العلماء والشراح .. يضاف إلى ذلك « المدراش » الذى هو بمثابة الفقه .

وينقسم الربانيون إلى سبع فرق .. ويهود أوروبا أغلبهم من الربانيين .

وفضلاً عن هاتين الطائفتين طائفتان هامشيتان لم يكن يعترف بهما رسمياً ، بل إنهم لم يكونوا يعتبرونهما من اليهود ، وهما طائفة الاصلاحيين ، وطائفة المحافظين .. ومع ذلك فلهم معابدهم ومدارسهم ، وقد نالوا اعتراف المؤتمر الصهيونى التاسع والعشرين الذى انعقد فى فبراير ١٩٧٨ م .. فاعترفت بهم الدولة فى إطار الحرية الدينية ، أى كاعترافهم بالجاليات المسلمة والنصرانية والدرزية .

بنو إسرائيل والفالاشا :

« بنى يسرائيل » كما يسمون بالعبرية هم مجموعة من الفلسطينيين اليهود الذين هربوا فى القرن الثانى الميلادى بسبب اضطهاد الرومان لهم فغرقت بهم سفينتهم بالقرب من شواطىء الهند ، فعاش من نجا منهم بالقرب من مدينة « بومباى » ، واختلطوا بالهنود وأخذوا عنهم بعض ثقافتهم الهندوكية ، ولبسوا ملابسهم ، وتحدثوا لغتهم ، لكنهم ظلوا يحتفظون بهويتهم اليهودية ، ويطبقون بعض الشريعة اليهودية ، ويسبتون ، ويحتفلون بأعيادهم إلى أن بدءوا الهجرة إلى فلسطين مرة ثانية منذ عام ١٩١٩ م ، فبلغ عددهم عام ١٩٤٨ حوالى سبعة آلاف (من إجمالى سبعة وثلاثين الفاً) ، وقد ظلوا منبوذين فى إسرائيل ، لا يعترفون بهم ولا يتزوجون منهم حتى اعترفت بهم الدولة عام ١٩٦٤ م ، ومع ذلك فلا يزال هناك شك فى يهوديتهم .

أما الفالاشا : فهم من ذوى البشرة السوداء الداكنة ، وكانوا يعيشون ، فى عزلة وفى حالة شديدة من البؤس والتخلف فى اثيوبيا . وكانوا يسمون أنفسهم « بَيْتا يسرائيل » أى « بيت إسرائيل » ، لكن الاثيبيين اطلقوا عليهم اسم « فالاشا » Falashas بمعنى مرادف « لأبناء الزنا غير المعلوم نسبهم » . وكان عددهم يبلغ فى منتصف القرن العشرين قرابة ٢٠ ٠٠٠ يهودى يتركزون فى منطقة « قوندار » Gondar وضواحيها .

وهناك من الإسرائيليين من ينكر يهودية هؤلاء القوم تماماً ، ومنهم من يقول إنهم من سلالة سليمان (عليه السلام) ، فهم بمثابة القبيلة الثالثة عشرة . وقد تشدد اليهود « الارتودوكس » فى بادىء الأمر فى رفض هجرة « الفالاشا » إلى إسرائيل ، لكن الدوافع السياسية أدت إلى تعاون إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية وبلجيكا ، ودول أخرى لجلب هذه الجالية على مرحلتين .. الأولى : تمت خلال شهرى مارس وابريل من عام ١٩٨٤ م ونقلت قرابة أحد عشر ألفاً منهم جواً وبحراً ، بطريقة سرية عبر بعض الأراضى العربية ، فيما سمى بالعملية « موسى » .

أما المرحلة الثانية فقد تمت خلال شهر مايو ١٩٩١ وتم خلالها تهجير خمسة عشر ألفاً . ويبقى ألفان ـ تحولوا إلى النصرانية ـ لكن إسرائيل لا تزال تعتبرهم يهوداً ، وتسعى إلى تهجيرهم إليها .

ولعل الدافع السياسى الكامن وراء ذلك هو استبدال العمال العرب بهؤلاء « الفالاشا » تضيقاً على العرب فى إطار إرغامهم أو إغرائهم بترك أراضيهم والهجرة كى تخلص الأرض لليهود .

« متبع بالفصل الأخير »

لحظات طيبات مع الإمام

سعيد بن المُسَيَّب *

إعداد : عادل خفاجة

قال عنه عبدالله بن عمر رضى الله عنهما :
« لو رأى رسول الله ﷺ هذا لَسَرَّهُ » .
وقال ابن المسيب عن نفسه : « ما أحد أعلم بقضاء قضاه رسول ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر منى » .

هو سعيد بن المسَيَّب بن حَزْنْ بنّ أبى وهب بن عمرو بن عائذ ابن مخزوم بن يقظة ، الإمام العلم ، أبو محمد القرشى المخزومى عالم أهل المدينة ، وسيد التابعين فى زمانه .

• مولده :

ولد « سعيد » بالمدينة المنورة ، لسنتين مضتا من خلافة « سيدنا عمر بن الخطاب » ، فكانت سنه عند وفاة عمر ثمانى سنوات تقريبا ومن ذكرياته عن سيدنا عمر وهو فى هذه السن المبكرة ، قوله : سمعت من عمر — رضى الله عنه — كلمة مابقى أحد حى سمعها غيرى ، كان عمر إذا رأى الكعبة قال :
« اللهم أنت السلام ، ومنك السلام » .

• والــده :

« المسيب » بن حَزْن وهو صحابى مشهور من المهاجرين ، ومن أهل بيعة الرضوان الذين قال الله — تعالى — فيهم :
﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ

* قال «على بن المدينى» : « أهل العراق يقولون المسَيَّب ، يفتحون الياء وأهل المدينة يكسرونها ، وأما سعيد نفسه ، فإنه يفتح الياء » ، ونحن نختار ما اختاره سعيد لنفسه .

﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[1]

● حيـاته :

عاش سعيد بن المسيب حياة عادية ، لكنها إسلامية صحيحة ، فتزوج وأنجب واشتغل بالتجارة لكسب رزقه ، وانغمس فى العلم والعبادة .

وكان له ولَدٌ ذو شهرة كبيرة فى الأنساب وأما ابنته ، فقد رباها فأحسن تربيتها وأدبها فأحسن أدبها ، فكانت على علم وتقوى قال زوجها عن أدبها وتقواها : « لقد كانت المسألة المعضلة تعيى الفقهاء ، فأسألها عنها ، فأجد عندها منها علماً » .

كان سعيد بن المسيب فى تجارته لايرجو إلا وجه الله تعالى لا عرضاً زائلاً من وراء تجارته ؛ فقد أثِر عنه قوله : « الدنيا نذلة ، وهى إلى كل نذل أميل ، وأنذل منها من أخذها بغير حقها ، وطلبها بغير وجهها فى غير سبيلها » .

والتجارة الحلال ليست من الدنيا النذلة ، وكل ماكان حلالاً ليس من الدنيا الخسيسة ، فها هو يقول :

●« لاخير فيمن لايجمع الدنيا ؛ يصون بها دينه وحسبه ، ويصل رحمه » .

●« لاخير فيمن لايجمع المال من حلّه ، يعطى منه حقه ، ويكف به وجهه عن الناس » .

وكان عند سعيد بن المسيب مال يتاجر فيه ، أو يضارب ، ويؤدى زكاته كاملة غير منقوصة ، وكان يتجه إلى الله — تعالى — قائلا :

« اللهم إنك تعلم أنى لم أمسكه بخلاً ولا حرصاً عليه ، ولا محبة للدنيا ونيل شهواتها ، وإنما أريد أن أصون به وجهى عن بنى مروان حتى ألقاك فتحكم فىَّ وفيهم ، وأصل منه رحمى ، وأؤدى منه الحقوق التى فيه وأعود منه على الأرملة والفقير والمسكين واليتيم والجار » .

ولعل ذلك الدعاء الذى يرجو الله فيه أن يصون وجهه عن بنى مروان ، يذكرنا بقول الامام سفيان الثورى « لولا هذه الدنانير لتمندل بنا الأمراء » .

أى لولا هذه الدنانير لاحتجنا إلى الأمراء فجعلونا فى أيديهم أشبه بالمناديل يتمسحون فيها ، ويلقونها من يد إلى يد .

والواقع أن هذا هو المسلك الذى ارتضاه . ابن المسيب والعلماء العاملون ، حتى يسيروا فى حياتهم سيراً كريماً .

---

(١) الفتح / الآية ١٨

لحظات طيبات مع الإمام

سعيد بن المسيب

• موقفه من السلطان :

كان ابن المسيب يؤثر البعد عن السلطان وذوى الجاه لايحب عطاءهم ولايود عندهم حظوةً وكان متقيا شرهم .

ومما يصور موقفه من السلطان مارواه سلّام بن مسكين عن عمران بن عبد الله بن طلحة الخزاعى ، قال : « حجَّ عبدُ الملك بن مروان ، فلما قدم المدينة ، ووقف على باب المسجد أرسل إلى سعيد بن المسيب رجلا يدعوه ولايحركه ، فأتاه الرسول وقال : أجب أمير المؤمنين ، واقفٌ بالباب يريد أن يكلمك . فقال : مالأمير المؤمنين إلىَّ حاجة ، ومالى إليه حاجة ، وإن حاجته لى لغير مقضية ، فرجع الرسول ، فأخبره فقال : ارجع فقل له : إنما أريد أن أكلمك ، ولاتحركه فرجع إليه ، فقال له : أجب أمير المؤمنين . فرد عليه مثل ماقال أولاً . فقال : لولا أنه تقدم إلى فيك ماذهبت إليه إلا برأسك ، يرسل إليك أمير المؤمنين يكلمك تقول مثل هذا ؟ فقال : إنه كان يريد أن يصنع بى خيرا ، فهو لك ، وإن كان يريد غير ذلك فلا أحُل حبوتى حتى يقضى ماهو قاض ، فأتاه فأخبره ، فقال : رحم الله أبا محمد ، أبى إلا صلابة »(1) .

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٢٩/٥

وله موقف آخر مع عبد الملك بن مروان ، « فقد خطب عبدالملك بن مروان ـ بنت سعيد بن المسيب لابنه الوليد ، لِمَا بلغه من علمها ، وفضلها ، وجمالها ، ونسبها فى قريش ؛ فأرسل برغبته هذه إلى هشام بن إسماعيل المخزومى ـ والى المدينة وصهر عبد الملك ، وقريب سعيد بن المسيب ، فطار هشام بذلك فرحا وأخبر وجوه المدينة ، وذهب الوفد ليقابل سعيدا ، وهم لايشكون مطلقا أنه سيوافق على تزويجها .

ومن يرفض أن يزوج ابنته من ابن أمير المؤمنين ؟! ولكنهم فوجئوا بالرفض ! وحاولوا أن يثنوه عن موقفه ولكنه أصر »(1) .

رفض سعيد بن المسيب أن يزوج ابنته لابن أمير المؤمنين ولم يرغب إلا أن يزوجها من أحد تلاميذه التابعين المخلصين الأتقياء ، ذلك أنه كان يتعامل مع الناس وفقا لقول الله ـ تعالى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾(2) .

• زواجه ابنته :

رأى سعيد من بين تلاميذه تلميذا متواضعا ، صالحا ، تقيا ، يحاول مااستطاع أن يكون فى مرضاة الله ـ تعالى ـ وهو « عبد الله بن أبى وداعة » ، وتأخر تلميذه هذا أياما ، فسأل عنه ـ وهو أمر طبيعى أن يسأل الأستاذ عن تلميذ له غائب .

فلما حضر سأله : أين كانت غيبتك ؟

فقال : إن أهلى مرضت ، فمرضتها ، ثم ماتت فدفنتها .

فقال سعيد : ياعبد الله ، أفلا أعلمتنا بمرضها فنعودها ، أو بموتها فنشهد جنازتها ؟ ثم عزاه عنها ، ودعا له بالصبر ثم نبَّه تلميذه إلى الوضع الإسلامى قائلاً : ياعبد الله ، تزوج ، ولاتلق الله وأنت أعزب !

(1) د. عبد الحليم محمود : إمام التابعين « سعيد بن المسيب » ص ٢٧ نقلا عن كتاب : « مواقف حاسمة للعلماء فى الاسلام » .

(2) الحجرات/ الآية ١٣

فقال عبد الله فى تواضع : يرحمك الله ، ومن يزوجنى ، فوالله ما أملك غير أربعة دراهم !

ورأى سعيد بن المسيب فى تلميذه تواضعا وانكسارا مع علمه بتقواه وصلاحه ، فقال له :

« سبحان الله ، أوليس فى أربعة دراهم مايستعف به الرجل المسلم ؟ ياعبد الله ، أنا أزوجك ابنتى إن رضيت .

وسكت ابن أبى وداعة استحياءً منه ، وإعظاما لمكانه ولم يجب فقال له سعيد : مالك سكت ، لعلك سخطت ماعرضنا عليك ؟

فقال ابن أبى وداعة : يرحمك الله ، وهل يأبى ذلك إنسان ؟ فوالله إنى لأعلم أنك لوشئت زوجتها بأربعة آلاف وأربعة آلاف (وكان ابن أبى وداعة يتحدث فى ذلك على العرف الجارى) .

وفوجىء بقول سعيد له :

« قم ياعبد الله ، فادعُ لى نفراً من الأنصار » .

يقول ابن أبى وداعة : فقمت ، فدعوت حلقة من بعض حلق الأنصار ، فأشهدهم على النكاح .

وكان سعيد بن المسيب — من قبل — على صلة وثيقة جدا بأبى هريرة — رضى الله عنه — وكان نتيجة هذه الصلة أن تزوج سعيد ابنة أبى هريرة .

ومامن شك أن أبا هريرة قد ربى ابنته بما كان يقصه عليها من أخبار رسول الله ﷺ ومن أقواله وأفعاله وزفت إلى زوجها « سعيد » فلزمت هذه الزوجة الفاضلة بيتها لم تخرج من بيتها حتى فى الليلة التى زفت فيها ابنتها إلى عبدالله بن أبى وداعة ، فأبوها « سعيد بن المسيب » هو الذى صاحب ابنته إلى زوجها .

• التزامه تطبيق حديث رسول الله ﷺ

عن ابن حرملة قال : خرجت إلى الصبح ، فوجدت سكران فلم أزل أجره حتى أدخلته منزلى ، قال : فلقيت سعيد بن المسيب فقلت : لو أن رجلًا وجد سكران أأدفعه إلى السلطان فيقيم عليه الحد ؟ قال : قال لى سعيد بن المسيب : إن استطعت أن تستره بثوبك فافعل .

قال : فرجعت إلى البيت فإذا الرجل أفاق ، فلما رآنى عرفت فيه الحياء ، فقلت : أما تستحى ؟

لو أخذت البارحة لحُدِدْتَ فكنت فى الناس مثل الميت ، لاتجوز لك شهادة .

فقال : والله لا أعود له أبدا . قال ابن حرملة : فرأيته قد حسنت حالته بعد .

لحظات طيبات مع الإمام سـعيد بن المسـيب

والذى يبين مما سبق أن سعيد بن المسيب ــ مع ماكان عليه من صلابة الرأى ، والتشدد فى الحق ــ يرى ستر العاصى وذلك على أساس من قول رسول الله ﷺ : « من ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة » .

● من حكمه :

● « الناس كلهم تحت كنف الله يعملون أعمالهم ، فإذا أراد الله ــ عز وجل ــ فضيحة عبد أخرجه من تحت كنفه ، فبدت للناس عورته » .

● « من استغنى بالله افتقر الناس إليه » .

● « أصلح قلبك ، وألبس ماشئت » .

● « مامن شىء أخوف عندى من النساء » .

● « لاتقولوا مسيجدا ولا مصيحفا بالتصغير ، فتصغروا ماكان لله تعالى ، فهو عظيم جليل » .

● « إنه ليس من شريف ، ولا عالم ، ولا ذى فضل إلا وفيه عيب ، ولكن من الناس من لاينبغى أن تذكر عيوبه » .

● من روى عنهم :

رأى عُمر ، وسمع عثمان وعليا وزيد بن ثابت وأبا موسى وعائشة وأبا هريرة ، وابن عباس وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين .

وروى عنه خلق كثير :

منهم ادريس بن صَبيح ، وأسامة بن زيد الليثى واسماعيل بن أمية وعبد الرحمن بن حَرْمَلة ، وعبد الرحمن ابن حميد بن عبد الرحمن ، وعبد الكريم الجزرى ، وعبد المجيد بن سُهيل وعطاء الخراسانى وعمرو بن دينار وعمرو بن مُرة .. وغيرهم كثير

● باقة من الأحاديث التى رواها :

● عن ابن شهاب أن سعيد بن المسيب وأبا سلمة ابن عبد الرحمن أخبراه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أمَّن الامام فأمنوا ، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه » .

● عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ نعى النجاشى للناس ، فى اليوم الذى مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلى فصف بهم وكبر أربع تكبيرات .

● عن سعيد بن المسيب أنه قال : جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ يضرب نحره ، وينتف شعره ، ويقول هلك الأبعد ، فقال له رسول الله ﷺ : ماذاك ؟

فقال : أصبت أهلى وأنا صائم فى رمضان ، فقال له رسول الله ﷺ : « هل تستطيع أن تعتق رقبة ؟ فقال : لا . فقال : هل تستطيع أن تهدى بدنه ؟ قال : لا . قال : فاجلس فأتى رسول الله ﷺ بعَرَق تمر ، فقال : خذ هذا فتصدق به . فقال : ماأحد أحوج منى . فقال : كُله ، وصم يوماً مكان ماأصبت » .

● ومن تفسيره :

● جاء عنه فى قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾(١) .

قال البغوى قال « سعيد بن المسيب » : القلب السليم هو الصحيح ، وهو قلب المؤمن ، لأن قلب الكافر والمنافق مريض » قال تعالى ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾(٢) .

● وفى قوله ــ تعالى ــ : ﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾(٣)

روى الطبرى بسنده عن (سعيد بن المسيب) قال : الماعون بلسان قريش : المال ، وهو تفسير لغوى بحت كما ترى(٤)

● وفــاته :

يقول عبد الله بن أبى فروة : شهدت سعيد بن المسيب يوم مات سنة أربع وتسعين فرأيت قبره قد رُشَّ عليه الماء ؛ وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء لكثرة من مات منهم فيها .

وقال أبو نُعيم : تُوفى سنة ثلاثٍ وتسعين .

---

(١) سورة الشعراء : الآيتان (٨٨ ــ ٨٩) .
(٢) سورة البقرة : الآية (١٠) .
(٣) سورة الماعون : الآية (٧) .
(٤) تفسير الطبرى : ٢٠٦/٣٠

حول ... شهادات الاستثمار

الجزء الخامس والأخير

بقلم المستشار أحمد محمد إبراهيم

● ثانى عشر: التفرقة بين متماثلين:

انتهى المفتى إلى أن عائد شهادات الاستثمار وصندوق توفير البريد حلال ولا حرمة فيه ، وعندما أورد أمثلة للربا المحرم ذكر منها ما تفعله الدول الغنية مع الدول الفقيرة ، من اقراضها مبالغ من المال تحتاج إليها الدول الفقيرة لسد مطالب الحياة الضرورية ، ثم تفرض الدول الغنية على الدول الفقيرة فوائد باهظة ، صارت بسببها هذه الدول الفقيرة عاجزة عن سداد هذه الفوائد ، فضلا عن الديون الأصلية .

ولم يبين المفتى سبب هذه التفرقة فى الحكم بين عائد شهادات الاستثمار وصندوق توفير البريد ، وبين عائد

حول شهادات الاستثمار

القروض الدولية ، مع أنها تصب كلها فى وعاء واحد ، وتنفق فى أوجه واحدة . فهذه الأموال كلها جزء من الموارد الاستثمارية لبنك الاستثمار القومى ، التى تضمنتها المادة الخامسة من القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٨٠ بانشاء بنك الاستثمار القومى ، فهى تنص على ما يأتى :

« يجب أن تودع أو تضمن حسابات البنك الموارد الاستثمارية التالية :

(أ) القروض المتاحة للمشروعات شاملة ما يتقرر تخصيصه بالموازنة العامة للدولة من الأوعية الادخارية ومن المؤسسات والهيئات التمويلية المختلفة .

(ب) القروض والمبالغ المخصصة للاستثمار والمبرمة مع الدول والهيئات والمؤسسات الدولية العالمية والاقليمية » .

وقد يبدو للبعض أن شهادات الاستثمار وصناديق توفير البريد لم يرد لها ذكر فى المادة الخامسة ، وايضاحا لذلك أذكر أن نص الفقرة (أ) من المادة الخامسة كان مشروع القانون على النحو الآتى (... ومن المؤسسات والهيئة العامة لصندوق التوفير وحصيلة شهادات استثمار البنك الأهلى .. ولكن اللجنة المشتركة من لجنتى الشئون الاقتصادية والخطة والموازنة بمجلس الشعب ، رأت عند دراستها لمشروع القانون حذف « والهيئة العامة لصندوق التوفير وحصيلة شهادات استثمار البنك الأهلى .. وإضافة ، بدلا منها ، كلمة « الهيئات » بعد كلمة المؤسسات لتصبح الفقرة : « من الأوعية الادخارية ومن المؤسسات والهيئات التمويلية المختلفة » وجاء فى تقرير اللجنة المشتركة أن الحكمة من هذا الحذف والاضافة الحذر من الأثر السيكولوجى لدى الجماهير حيث ان شهادات الاستثمار اقترنت منذ صدورها بالبنك الأهلى المصرى ، فضلا عن أنه لا داعى للتفصيلات والاكتفاء بإضافة كلمة (والهيئات) وهذه تشمل جميع الهيئات التمويلية » .

ولا يفوتنى أن أشير إلى أن واضعى مشروع القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٨٠ وأعضاء مجلس الشعب والذين أقروه ، وضعوا هذه الموارد بأنها قروض ، كما أشير إلى أن المفتى ذكر فى كتابه أن « كل قرض جر نفعا فهو ربا » هى قاعدة شرعية صحيحة .

● ثالث عشر : سندات التنمية الدولارية :

تنص المادة الأولى من القانون رقم ٦ لسنة ١٩٨٦ فى شأن اصدار بنك الاستثمار القومى سندات تنمية وطنية بالدولار الأمريكى على أنه : يتخذ البنك المركزى المصرى لحساب بنك الاستثمار القومى إجراءات اصدار سندات كاملة بالدولار الأمريكى بضمان الخزانة العامة تسمى : « سندات التنميةالوطنية » .

وتنص المادة الثانية من القانون المذكور على أنه : يحدد مجلس إدارة البنك المركزى المصرى العائد المستحق عن كل اصدار من هذه السندات وشروطه ، دون التقيد بالحدود المنصوص عليها فى أى تشريع آخر .

وقد بحث المفتى أحكام هذه السندات وانتهى إلى أن التعامل فى سندات التنمية الدولارية « حلال والأرباح التى تأتى عن طريقها حلال . وليس فيها شبهة الربا الذى حرمته شريعة الإسلام تحريما قاطعا » .

ولا أريد هنا أن أناقش ما استدل به المفتى حتى وصل إلى النتيجة التى انتهى إليها ، ولكننى أعقب على أمر واحد ، هو ما يتعلق بالربح وكيفية تحديده فقد ذكر المفتى أن ما يقدمه بنك الاستثمار القومى لأصحاب هذه السندات من أرباح هو جزء من أرباحه التى تتحقق عن طريق المشروعات الإنتاجية التى تقيمها أو يشارك فيها من حصيلة هذه السندات ، وان تحديد هذه الأرباح ، يتم بالتراضى المشروع ، الذى لا يحل حراما ، ولا يحرم حلالا ، بين بنك الاستثمار القومى ، وبين أصحاب هذه السندات ، الذين يتقدمون لشرائها باختيارهم التام . وان المشترين لهذه السندات لم يدفعوا أموالهم فيها للبنك

بقصد الاقراض أو الايداع ، وانما بقصد توكيله عنهم فى استثمارها لهم ، مع رضاهم التام بما حدده البنك لهم من أرباح وعوائد » .

وذكر المفتى أن العائد الذى يحصل عليه حاملو سندات التنمية الدولارية ويتم الاتفاق عليه بين المشترى وبنك الاستثمار القومى ، طريقته كالآتى :

تحسب الأرباح للمشترين لهذه السندات على حسب سعر الفائدة السائد فى سوق « لندن» العالمى لليوم الأول من الشهر التالى للشهر الذى يتم فيه شراء هذه السندات ، مع زيادة $\frac{1}{2}$ ٪ نصف فى المائة عن سعر الفائدة العالمى لهذا اليوم ـ ويتقاضى المشترى لهذه السندات أرباحه كاملة بعد ستة شهور ، من اليوم الذى تحددت فيه هذه الأرباح ، وهو اليوم الأول من الشهر التالى للشهر الذى تم فيه الاكتتاب فى هذه السندات ـ ويلاحظ أن سعر الفائدة فى سوق لندن العالمى قابل للتغيير من يوم إلى يوم على حسب الظروف الاقتصادية العالمية .

والسؤال الذى يفرض نفسه على ضوء المعلومات السابقة هو : فى أى شرع يجوز أن تحدد أرباح المشروعات الاستثمارية فى دولة من الدول التى تدين بالإسلام على أساس سعر الفائدة فى سوق لندن العالمى مضافا إليه نصف فى المائة ، مع ملاحظة أن سعر الفائدة فى هذا السوق قابل للتغيير من يوم إلى يوم حسب الظروف الاقتصادية العالمية ؟

ان لم يكن هذا التحديد للربح هو الربا ، فأين يكون الربا ؟

ثم ان المفتى قال فى فتواه ورد فى أكثر من موضع من كتابه ، أنه إذا حدثت خسارة لأسباب خارجة عن ارادة صاحب العمل ـ وهو البنك أو غيره ـ فصاحب المال يتحمل ـ عند الاقتضاء ـ مايجب عليه منها ، والذى يقرر ذلك هم رجال القضاء وأهل الخبرة فى هذا الشأن .

ويحق لنا أن نتساءل عن كيفية تحديد ما يتحمله حامل سندات التنمية الدولارية إذا حدث فى استثمار هذه السندات خسارة خارجة عن ارادة صاحب العمل ، وهو البنك ؟

ان اتفاق الطرفين الذى تم بالتراضى المشروع لايحل حراما ولايحرم حلالا ، يقضى بأن يحسب العائد على حسب سعر الفائدة السائد فى سوق لندن العالمى ، وسعر الفائدة لن يصل إلى الصفر أبدا فى هذا السوق ، بل اننا لو افترضنا المستحيل وهبط سعر الفائدة إلى الصفر فان حامل سندات التنمية الدولارية سيحصل على ربح قدره $\frac{1}{2}$ ٪ نصف فى المائة .

هل يتفضل المفتى مشكورا بايضاح كيف يتم احتساب الخسارة على ضوء الأحكام التى أوردها عن طريقة احتساب عائد سندات التنمية الدولارية .

● رابع عشر : ماذا يريد المفتى أن يقول؟

جاء فى توصيات المفتى التى ختم بها كتابه :

سادسا : ان منهج دار الافتاء المصرية ـ الذى لن تحيد عنه ـ أنها ترى أن البنوك فى الأمة مؤسسات

حول شهادات الاستثمار

اقتصادية لاغنى للمنتفع عنها ، ولاعن غيرها من المؤسسات الأخرى التى تشبهها فى نشاطها وغاياتها وأهدافها .

سابعا : ان هذه البحوث التى تحدثنا فيها عن جانب من المعاملات المصرفية ، راعينا فيها ظروف مجتمعنا المصرى دون غيره من المجتمعات التى لانعــرف ظروفها ، والتى أهل العلم فيها أدرى بظروفها وأحوالها .

لقد وقفت حائرا أمام ما تضمنته هاتان التوصيتان ، وتساءلت ماذا يريد المفتى أن يقول ؟

ان النظام المصرفى نظام دخيل على مصر وعلى غيرها من الدول العربية والإسلامية وطبقته هذه الدول ، على النحو الذى يسير عليه فى الدول التى نشأ فيها . فما هى اذن هذه الظروف الخاصة بالمجتمع المصرى ولا تشاركه فيها غيرها من الدول ، والتى دفعت المفتى أن يفتى بما أفتى فى شأن المعاملات المصرفية ؟ لقد كان على المفتى أن يبين هذه الظروف التى قد لاتشارك مصر فيها دول أخرى ، وربما تستتبع أن يفتى علماء هذه الدول بغير ما أفتى به المفتى فى مصر .

لقد جال بخاطرى أنه قد يكون المقصود هو ما تحدث به البعض عن فتوى المفتى من أن دار الافتاء قد أصدرت فتواها بشأن شهادات الاستثمار بتوجيه من الدولة بعد أن قَلَّ الاقبال على البنوك التى تملكها الدولة . ولكن المفتى نفى هذا القول وأجاب عنه « بأنه وان كان لايستحق الرد لسقوطه ، وسوء نية أصحابه الا أنه يقول : ان دار الافتاء لم تصدر أى فتوى ، الا من وحي اجتهادها ، وليس لأحد سلطان عليها سوى مراقبة الله تعالى .

ترى هل تكون هذه الظروف هى ما قال به أخيرا طبيب ، ظن أنه بعد رحلته إلى الإيمان صار من علماء المسلمين الذى يحق لهم أن يفسروا القرآن تفسيرا عصريا ، وأنه بلغ من الفقه الدرجة التى تخوله أن يدلى بدلوه فى موضوع (حكاية الربا والبنوك) فيقول : والعيب فى النظام المالى العالمى كله الذى اخترعه اليهود ، ويهيمن عليه اليهود ، ويديره اليهود ، والشبهة الربوية تقع على النظام ككل ، وعلى مبدعيــه ومؤسسيه ، وهى دول عظمى فى يدهــا الثروة والسلاح ، والقوة العسكرية ، والهيمنة السياسية ، وليس فى امكان دول ضعيفة متسولة أن تغير هذا النظام العالمى ، وهى مرتبطة به بالضرورة ـ شاءت أم أبت ـ لقمتها ، وكسوتها ، وحياتها ودفاعاتها مرتبطة به ، وهى لاتستطيع أن تستقل باقتصادها عن الاقتصاد العالمى » .

ان توصيات المفتى التى عرضنا ما بها من تجهيل ، توجب عليه ان يجلى ما بها من غموض ، وأن يوضح ما فيها من ابهام ، حتى تكون على بينة من هذه الظروف التى كانت محل رعايته عند اصدار فتواه ، لعلنا نعمل على تفاديها ، والتخلص من آثارها .

وخير ما أختم به هذا التعقيب على كتاب : معاملات البنوك وأحكامها الشرعية ، هو قوله عز وجل :

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنكَ رَحْمَةً ، إِنَّكَ أَنتَ الوَهَّابُ ﴾ .

من أعلام الأزهر

فضيلة الأستاذ الدكتور

عبد الغنى عبد الخالق

للأستاذ : طه جابر العلوانى

اسمه وكنيته :

هو أبو الكمال ـ أو الحسن فى بعض استعمالاته ـ عبد الغنى بن محمد عبد الخالق بن حسن بن مصطفى ، المصرى القاهرى مولدًا ونشأة ووفاة .

و« الكمال » كما يحلو له أن يوقع أو يكتب فى كثير من الأحيان ـ اسم ولده الكبير الدكتور محمد كمال الدين عبد الغنى .

و« الحسن » ـ كما يوقع أو يكتب فى بعض الأحيان ـ اسم ولده الأستاذ حسن عبد الغنى .

مولده ووفاته :

ولد رحمه الله فى (١٩٠٨/٣/١٧ م) فى مدينة القاهرة بمنطقة « السيدة نفيسة بنت الحسن ـ رضى الله عنها » حيث كان والده ـ رحمه الله ـ شيخًا لجامع السيدة نفيسة .

وانتقل ـ تغمده الله بعفوه ـ إلى جوار ربه مكان ولادته حيث وافاه الأجل فى مدينة القاهرة فى منطقة السيدة نفيسة فى منزل والده ـ نفسه ـ عشية الخميس

من أعلام الأزهر

(١٨/١٠/١٤٠٣هـ) الموافق (٢٨/٧/١٩٨٣م) عن عمر جاوز الخامسة والسبعين بأربعة أشهر .

نشأته وأسرته :

أسرة شيخنا ـ غفر الله له ـ أسرة علم وفضل ودين . فوالده الشيخ الزاهد محمد عبد الخالق ـ رحمه الله ـ أحد كبار علماء الأزهر . ذو باع طويل فى كثير من العلوم الشرعية والعربية . وله مؤلفات لاتزال مخطوطة فى بعض هذه العلوم . ولقد زهد فى المناصب الإدارية الأزهرية ونحوها . ومال إلى مشيخة الجامع النفيسى . فعمل شيخاً للجامع المذكور خلفا لجده لوالدته ـ الذى كان يشغل ذلك المنصب ـ الذى تعتز الأسرة به . وتفخر أنه كان فيها منذ العصر العباسى الثانى .

ولقد كان للشيخ محمد عبد الخلق مكانته العلمية الواسعة فكان منزله موئلًا لجميع أهل العلم والفضل . ولذلك فإن أولاده : مترجمنا وشقيقه الأكبر الشيخ مصطفى ـ رحمه الله ـ وشقيقه الأصغر الشيخ أحمد ـ حفظه الله ـ يحتفظون بذكريات كثيرة عن أفاضل علماء ذلك الوقت ، الذين كانوا يرتادون منزل والدهم وغرفة مجلسه فى الجامع ، وكان أبو الكمال ـ بخاصة ـ يتذكر الكثير من النوادر والدقائق العلمية والأدبية التى كانت تثار فى مجلس والده ، وطرائق والده فى معالجتها .

كما أن للأسرة نصيبًا من النسب الشريف ، فوالد الشيخ ـ رحمهما الله ـ ينتهى نسبه لأمه بالدوحة النبوية . ويتصل نسبه لأبيه بالصحابى الجليل أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه .

وشقيق شيخنا الأكبر هو سماحة الشيخ الجليل مصطفى عبد الخالق كان شيخنا ـ رحمه الله ـ كثير التوقير له ، شديد الاحترام له ، يعتبره نهاية الأصوليين من قدامى الأزهريين ، فقد حصل على درجة التخصص القديم فى الفقه وأصوله عام ١٩٣٤م ، وعمل بمعاهد الأزهر ثم فى كلية الشريعة فيه إلى أن أصبح رئيسًا لقسم أصول الفقه بها .

ولقد حضرنا عليه ـ رحمه الله ـ فى الدراسات العليا فكان لايبارى فى ذكائه ، وفهمه الثاقب لدقائق علم أصول الفقه . وبصره بالفتاوى الشرعية إلى جانب ولعه بالبلاغة والمنطق والعلوم الرياضية والشعر والأدب ، وناهيك برجل كان أبو الكمال يعتبره أستاذه الثانى بعد والده ـ رحمهم الله تعالى .

أما شقيقه الأصغر ـ فهو فضيلة الشيخ أحمد محمد عبد الخالق شيخ الجامع النفيسى الآن ـ حيث خلف والده فى هذا العمل سنة (١٩٤٧م) ولازال فيه حتى اليوم .

ثقافة الشيخ وعلومه :

حفظ القرآن الكريم فى صغره والتحق بمعاهد الأزهر الشريف . ثم بكلية الشريعة الإسلامية إحدى كليات الجامع الأزهر الثلاث ـ آنذاك ـ وتخرج فيها سنة (١٩٣٥م) وحصل على درجة الاجازة العالية (الليسانس) فى العلوم الشرعية ، ثم التحق بقسم تخصص المادة وحصل على درجة العالمية من درجة أستاذ (الدكتوراه) فى أصول الفقه سنة (١٩٤٠م) وموضوع رسالته « حجية السنة » التى نقدم لها .

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ إلى جانب ثقافته الشرعية والإسلامية ذا ذوق رفيع وبلاغة عالية ، ينهل من عيون الأدب ، ويحفظ الكثير من شعره ونثره لفرسان الفن قديمًا وحديثًا ، وله الكثير من المختارات الشعرية والنثرية مما يدل على طول باعه ، ورهافة حسه ، وجمال تذوقه ، وبلغ من غرامه بالنثر الجيد أنه كان يحفظ العديد من مقامات بديع الزمان الهمذانى ، ورسائل الصاحب ابن عباد ، والخوارزمى وغيرهم ، وكان

يقدم أبا تمام على غيره من شعراء العربية إلى جانب حفظه الكثير من أشعار امرىء القيس وعنترة والنابغة وكعب بن زهير من المتقدمين ، وبشار بن برد وابن الرومى وجرير والفرزدق والمتنبى من المتأخرين ، وبالجملة كان الشيخ – رحمه الله – يقبل فى قراءته على مختلف الفنون والآداب يقطف من كل بستان زهرة . ولعل ذلك يبدو جليًا من معرفتنا بمكتبته الخاصة التى ورث جزءًا منها عن أبيه ثم أضاف إليها فى حياته ما شاء الله أن يضيف فهى بحمد الله مكتبة فريدة فى نوعها تضم آلافًا من المصادر والمراجع فى شتى العلوم والفنون يجد فيها طالب العلم بغيته ، فى الفقه وأصوله ، والقرآن وعلومه . والحديث وفنونه ، إلى جانب أمهات كتب الأدب وأجناسه . والنقد ومدارسه . والبيان والبلاغة والتاريخ والفلسفة والكثير من الدوريات الأدبية والثقافية والعلمية النادرة مثل مجلة المقتطف والرسالة (القديمة والحديثة) والروايات المترجمة من مختلف اللغات ، وكان – عليه الرحمة والرضوان – حريصا على متابعة كل ما يجد فى كل فن ليضمه إلى مكتبته . وقد استفاد – بحمد الله وتوفيقه – من هذه المكتبة كثير من طلاب العلم وأهله . فكانت لهم مثابة يأوون إليها ، ومعينًا ينهلون منه ، ومصدرًا يصدرون عنه ويرجعون إليه كلما عنَ لهم ذلك ، وهم يجدون فى الشيخ – رحمه الله – بشاشة وترحابًا وعونًا وإرشادًا ، وكرمًا ورعاية لا نظير لهما فى هذا الوقت مما جعله موضع حب الجميع وتقديرهم واعتزازهم وإكبارهم .

تدرجه الوظيفى :

عمل – رحمه الله – فور تخرجه من تخصص المادة بكلية الشريعة الإسلامية بالجامع الأزهر الشريف – ثم جامعة الأزهر حديثاً – حتى صار أستاذاً ورئيسًا لقسم أصول الفقه بها وتخرجت به أجيال من العلماء الأجلاء منذ سنة (١٩٤٠م) ولمدة تربو على اثنين وأربعين عامًا ، قضاها – رحمه الله تعالى – فى خدمة الشريعة الإسلامية وفى البحث والتوجيه والإرشاد العلمى ، والنصح لطلاب العلم وأهله .

فقد أشرف فى مرحلتى الماجستير (التخصص) والدكتوراه (العالمية) فى علوم الفقه وأصول الشريعة على ما يقرب من خمسمائة رسالة علمية وبحث فى جامعة الأزهر وبعض أقسام الشريعة فى الجامعات الأخرى لطلاب مصر والعالم العربى والإسلامى فى مختلف بقاع المعمورة . وجلهم – بحمد الله تعالى – من أنجح الخريجين وألمعهم يتسنم الكثير منهم أعلى المناصب العلمية ، ويسهمون فى خدمة الشريعة الإسلامية فى كل مكان .

اهتمامه بالتراث :

كان للشيخ ولع خاص بتحقيق التراث ، وقدم ثابتة فى معرفة تراجم الرجال والآثار تجعله فى مقام الإمامية والريادة فى هذا المضمار وكان كثير التشجيع لطلابه على المزيد من خدمة التراث الإسلامى ، ونفض غبار الاهمال عنه . ونشر دوره ، والكشف عن أسراره ومحاسنه ، وتقريبه لأذهان القارىء والباحث ، وكان يرى أن تحقيق التراث مَرْكَبٌ صعب لا يقربه إلا من رزق الفهم الثاقب ، والعقل الراجح والثقافة العالية المتنوعة ، فضلًا على أنه مزلق خطير لمن حرم شيئًا من ذلك .

الشيخ والمناصب ، والعمل :

وكان فى شيخنا الجليل عزوف طبعى عن المناصب الإدارية والرياسية مثل المشيخة والعمادة وما شابهها ، وكان يراها مضيعة لوقت العالم الباحث والفقيه المدقق ، ومظنة للخلف بينه وبين أصفيائه ، لكنه ساهم فى الكثير من الأنشطة العلمية والثقافية ، فإلى جانب إشرافه على الرسائل العلمية الجامعية كان عضوًا بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، وقد شارك – مع صفوة من العلماء – فى عمل موسوعة الفقه الإسلامى بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية إلى جانب عضويته للجنة الفتوى بالجامع الأزهر .

كما أنه كان زاهدًا فى الاعارة للجامعات خارج مصر متعففًا عن سائر الإغراءات المادية باستثناء فترة قصيرة كانت استجابة لرغبة كريمة من طلابه ومحبيه عمل

من أعلام الأزهر

خلالها بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فى المملكة العربية السعودية (الرياض)، وقَبِل عام (١٩٥٧ م) السفر إلى كلية الشريعة فى (سومطرة) بجمهورية أندونيسيا رغبة منه فى الخدمة الإسلامية العامة، إلا أن الظروف السياسية ـ آنذاك ـ حالت دون سفره، ولكنه عمل أستاذًا زائرًا لفترات قصيرة بجامعات كثيرة فى (العراق) و(السعودية) و(ليبيا) و(المغرب) كما أنه زار (الأردن) عندما أدى فريضة الحج عام (١٩٧٢ م).

وفى احتفال جمهورية مصر العربية بالعيد الألفى للأزهر منحه رئيس الجمهورية المصرية وسام الدولة للعلوم والفنون والآداب من الطبقة الأولى وذلك فى (١٧ مارس ١٩٨٣م).

أهم أعماله :

١ ـ كتابنا ـ هذا ـ «حجية السنة» رسالته لنيل درجة الدكتوراه (العالمية من درجة أستاذ) وهى التى يتحف المعهد العالى للفكر الإسلامى بها ـ اليوم ـ العالم الإسلامى خاصة طلاب العلم ورجاله بين دفتى هذا الكتاب الجليل.

٢ ـ تحقيق كتاب «أحكام القرآن» للإمام أبى عبد الله محمد بن إدريس الشافعى المتوفى (٢٠٤هـ). جمعه الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن على بن عبد الله موسى البيهقى النيسابورى صاحب (السنن الكبرى) المتوفى (٤٥٨هـ). وقد طبع للمرة الأولى فى (غرة ذى القعدة سنة ١٣٧١ هـ) الموافق (١٩٥٢/٧/٢٣م)، وصور بعدها عدة مرات. وقد كان الشيخ ينوى إعادة نشره وحدثنى فى ذلك كثيرًا، وأنهى كثيرًا من التعليقات على المنشور حاليًا، وإن كان بعض التجار قد سطا على الكتاب، وأعاد نشره عدة مرات من غير إذن. ولعلنا نوفق ـ إن شاء الله ـ إلى طبع نسخة الكتاب الذى أضاف عليها الشيخ إضافات كثيرة نافعة.

٣ ـ تحقيق كتاب «آداب الشافعى ومناقبه» للإمام الجليل أبى محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى (صاحب كتابى: «العلل» و«الجرح والتعديل»). وقد زاد الشيخ عليه وصحح فيه وأضاف إليه من الفوائد ما يغرى بإعادة نشره إن شاء الله.

٤ ـ تحقيق كتاب «الطب النبوى» لشمس الدين محمد بن أبى بكر بن أيوب الزرعى الدمشقى ابن قيم الجوزية (٦٩٠ ـ ٧٥١هـ). طبعت نسخته التى حققها شيخنا لأول مرة (يوم الخميس ٢٩ من ربيع الآخر ١٣٧٧ هـ) الموافق ٢١ نوفمبر ١٩٥٧ م ولكن سطا عليه التجار كذلك، وتصرفوا فيه فمرة يطبعونه مع مقدمة الشيخ، ومرة يرفعون المقدمة منه، وفى مَنْزِلِهِ نسخة عليها إضافات كثيرة، لعلنا نستطيع إصدارها فى وقت لاحق إن شاء الله.

٥ ـ تحقيق كتاب «منتهى الإرادات فى جمع المقنع» مع التحقيق وزيادات لتقى الدين محمد بن أحمد الفتوحى الحنبلى المصرى الشهير بابن النجار (قسمان) بمجلدين كبيرين صدر يوم الخميس من ذى القعدة ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢/٤/١٢ م).

٦ ـ «الإمام البخارى وصحيحه» وهو كتاب حافل بمجلد متوسط كان قد أعده مقدمة لطبعه صحيح البخارى ـ التى نشرها السيد عبد الشكور صاحب مكتبة النهضة ـ بمكة المكرمة سنة (١٣٧٦هـ)، فكان كثير من أهل العلم يشترون نسخة الجامع الصحيح هذه للحصول على المقدمة فقط، وقد أعدنا طبعها مفردة منذ شهر.

٧ ـ «أصول الفقه لغير الحنفية» مع الأستاذين إبراهيم عبد الحميد ـ حسن وهدان عام (١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٣م)، كتب ـ رحمه الله ـ منها مباحث الحكم كلها.

٨ ـ «محاضرات فى أصول الفقه» جامعة الأزهر كلية الشريعة والقانون قسم الدراسات العليا ـ شعبة الفقه المقارن ـ السنة الثانية. طبعة خاصة بالطلاب.

٩ ـ «بحوث فى السنة المشرفة» نشرته كلية

الشريعة فى الرياض على صفحات مجلتها « أضواء الشريعة » .

١٠ ـ أربعة مباحث كل منها يعتبر بمثابة رسالة خاصة أعدها ضمن دراسة هامة لأحد أئمة الحنابلة . قام بها أحد طلابه ولم تنشر بعد .

١١ ـ « الاجماع حقيقته وحجيته » : بحث كبير أعده لطلاب الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

مباحث فقهية كثيرة ومتنوعة :

لا تزال بخط يده كان يمليها على طلابه فى المراحل الدراسية المختلفة التى كان يدرس فيها ، منها :

١ ـ أحكام الرضاع .

٢ ـ الكلام على حقيقة نكاح المتعة وبعض ما يتصل بذلك (بحث كبير) .

٣ ـ مباحث أصولية (فى الحكم والمحكوم عليه .... الخ) .

« حجية السنة » كما سبق أن أشرنا كان رسالة الشيخ للأستاذية (الدكتوراه) أعدها ـ عليه رحمة الله ـ خلال عام واحد ، وقام بتبيضها بخطه الجميل فى غرفة والده ـ رحمه الله ـ فى جامع السيدة نفيسة خلال أسبوع واحد ، وقد مرض قبل أن يكمل تبييضها فعهد إلى أحد أفاضل أصحابه بتبييض جزء منها .

كان من بين مناقشيه ـ رحمه الله ـ الشيخ محمود شلتوت الذى كان شديدًا عليه لمخالفته له فى بعض ما أورده فى الرسالة ، ولكنه لم يملك ـ بعد المناقشة ـ إلا أن سلم وأثنى عليه ، وعلى جهده الذى يذكر بقدرات الأفاضل من علمائنا السابقين .

لقد اختار شيخنا الجليل « حجية السنة » موضوعاً لرسالته لنيل الأستاذية (الدكتوراه) وذلك لأن الفترة ـ التى بدأ يستعد فيها لاختيار موضوع للبحث كانت فترة ابتليت بها السنة (كما ابتليت فى فترات سابقة ولا تزال تبتلى) ببعض الجهلة المتعالمين ، أو الملاحدة المفسدين الذين يحاولون التفلت من السنة النبوية ، والتخلص من الأحكام الثابتة بها ، والبعد عن أضوائها وأنوارها ، مرة بادعاء عدم حجية بعض أنواعها ، ومرة بزعم أن ما ورد فيها ـ غير مبين للكتاب ـ فإن الناس ليسوا مطالبين به ، ومرة بالطعن بحملتها الأولين ورواتها الأقدمين ، ونفى العدالة عنهم ، ومرة بادعاء أنها (أى السنة) لا تعدو أن تكون توجيهات ونصائح وآداب غير ملزمة للمسلم أن يعمل بها ، وله أن يتخلى عنها ـ مستدلين لمذاهبهم الفاسدة ، وآرائهم الخبيثة الكاسدة بأوهى المقالات ، وأضعف الشبهات ، وأتفه الخيالات .

وبعضهم يزعم : أن ما جاءت به السنة لا ينبغى أن يعمل به إلا بعد معرفة سائر ظروف وروده ، وأسباب ظهوره ، وسائر ما يمكن أن يكون له أثر فى دلالته عندهم ، وأن السنة إذا دلت على حكم لم يدل القرآن عليه لم يؤخذ بها ، وأن الحديث يجب أن يعرض على عقولهم الجامدة فإن تلقته تلك العقول القاصرة ، والأفئدة المريضة بالقبول صح وعمل به ، وإن أغلقت عقولهم الكليلة دونه أبوابها فليترك وليهمل ، لقد نسى هؤلاء الحمقى أو تناسوا أن سنة رسول الله ـ ﷺ ـ أصل دل عليه كتاب الله ـ وأن الأصل لا يقال له : لم وكيف ؟ ، بل يحكمه المؤمنون ويقبلونه ثم لا يجدون فى أنفسهم حرجًا مما دل عليه ويسلمون له تسليمًا تامًا ، وينقادون لدلالته انقيادًا كاملًا .

ولقد حاول بعض هؤلاء أن يضع لما يذهب إليه من الضلال شيئًا من الجذور محاولًا أن ينبه إلى أن ضلالاته وأوهامه ليست حديثة ، ولم ينفرد بها هو وأضرابه من المعاصرين ، بل هى قديمة فزعم أن بعض الفرق (الضالة) قد أبدت من الشكوك والأوهام مثل ما أبدى لعله بذلك يحمل بعض ضعاف العقول على توهم الأصالة فى آرائه والانخداع بأقواله ، فعالج أبو الكمال ذلك ـ كله ـ بسفره العظيم هذا وشفى وكفى ، فأثبت أن كل ما تلفظ به رسول الله ـ ﷺ ـ (ما عدا القرآن) أو ظهر منه ـ فى الواقع ونفس الأمر ـ من ابتداء رسالته إلى آخر لحظة فى حياته عليه الصلاة

من أعلام الأزهر

والسلام ـ فهو من سنته ، سواء أثبت حكمًا عامًا لسائر أفراد الأمة ـ وهذا هو الأصل ـ أم أثبت حكمًا خاصاً به ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أو خاصاً ببعض أصحابه ـ رضى الله عنهم ـ وسواء أكان فعله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ جبليًا وفطريًا ـ أم كان غير جبلى ، فما من قول أو فعل يصدر منه ـ ﷺ ـ إلا ويثبت حكمًا شرعيًا يجب اعتقاد ثبوته . بقطع النظر عن كونه ايجابًا أو ندبًا أو تحريمًا أو كراهة ، أو إباحة ، وبقطع النظر عن كونه عامًا لجميع الأمة أو خاصًا بالبعض كأننا من كان ذلك البعض ، وبقطع النظر عن كونه متعلقًا بفعل طبيعى جبلى أو بغيره من سائر الأفعال الاختيارية المختلفة .

ثم أثبت بالأدلة القاطعة ـ التى لا يسع عاقلًا إلا التسليم التام بها أن السنة النبوية المطهرة (بذلك المفهوم الشامل الكامل) ـ كلها ـ حجة شرعية ـ وأن حجيتها بديهية دينية يكفر جاحدها ، كما أثبت بما لا يدع أى مجال للشك : أن أى خلاف بين المسلمين فى أى زمن مضى ـ فى حجية السنة وبداهة هذه الحجية ـ لم يحدث ، وأن الذين زعموا : أن الإمام الشافعى قد نقل ذلك الاختلاف فى (جماع العلم) أو غيره من كتبه لم يفهموا كلام الإمام الشافعى على وجهه ، ولم يدركوا الفرق بين حجية السنة (من حيث هى سنة) وبين حجية الأخبار باعتبارها طريقًا لنقل السنة ، فحجية السنة (من حيث هى سنة) لم يختلف فيها المسلمون فى أى زمن من الأزمان الماضية ، ولم تنازع فى ذلك فرقة من فرقهم ، وأما الأخبار (من حيث هى طريق لنقل السنة وحملها من جيل لآخر) فهى التى نقل فى بعض أنواعها خلاف لبعض المعتزلة وخالف فى بعض أنواعها الخوارج ، وخالف فى حجية بعضها الشيعة ، وقد عالج ـ عليه رحمة الله ـ ذلك كله بما لا مزيد عليه من الدقة والتحقيق .

ولم يدع ـ تغمده الله ورضوانه ـ أية مسألة ذات علاقة أيا كانت بحجية السنة إلا تناولها بما تستحقه من البحث والتمحيص ، فتعرض لمسألة « مساواة السنة للكتاب فى الحجية » ، كما تعرض لمسألة « استقلال السنة بالتشريع » مفندًا آراء من نازع فى ذلك من أهل العلم .

وكذلك فصل القول فى مسألة « كتابة السنة » وما إذا كان هناك تلازم بين الكتابة والحجية ، وأوضح وجه الحق فى كل ما تناوله من تلك المسائل وغيرها ، وقد جعل ـ عليه رحمة الله ـ الكتاب فى مقدمتين وثلاثة أبواب وخاتمة .

عقد « المقدمة الأولى » لبيان معانى السنة عند اللغويين والأصوليين والفقهاء والمحدثين ، وبين ذلك بيانًا شافيًا ، وأوضح الفرق ـ الذى غمض على الكثيرين ـ بين (مفهوم السنة عند الأصوليين) و (مفهومها عند المحدثين) بطريقة لا تجدها فى كتاب آخر ، وبذلك تميز المعنى الأصولى للسنة عن سائر معانيها الأخرى .

أما « المقدمة الثانية » فقد تحدث فيها عن (عصمة الأنبياء) وعلى رأسهم نبينا محمد ـ عليه وعليهم الصلاة والسلام ـ إذ هى الدعامة التى يقوم عليها بناء « حجية السنة » وإليها تستند الأدلة الأخرى الدالة على الحجية .

ثم وضع « الباب الأول » حيث أوضح فيه : أن « حجية السنة » ضرورية دينية ، وفى « الباب الثانى » أورد سائر الأدلة الدالة على حجية السنة ، باستقصاء لا مثيل له ، واستقراء تام لا يتأتى لغيره لينتقل ـ بعد ذلك إلى « الباب الثالث » الذى أورد فيه سائر شبهات أصحاب الشبهات بروح علمية أمينة ، ثم ردها شبهة شبهة حتى فرغ منها جميعًا ، وأسقطها كلها بالأدلة الساطعة ، والبراهين القاطعة لينتقل ـ بعد ذلك إلى « الخاتمة » وهذه سلك بها مسلكًا تفرد به فلم يجعلها فى تلخيص ما تقدم ذكره ، أو إجمال ما سبق تفصيله ـ كما جرت بذلك عادات المتأخرين بل تناول فيها جملة من المباحث التكميلية الهامة ـ التى لها علاقة بالموضوع .. رحمه الله رحمة واسعة .

جمهورية قازاكستان

أ.د/ محمد عبد العليم العدوى

(جمهـورية قازاكســتان)

وتعتبر ذات أهمية كبيرة لأنها أكثر الجمهوريات الإسلامية سكانا كما انها ثانية الجمهوريات الاتحادية مساحة بعد روسيا إذ تبلغ مساحتها منذ ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م ٢,١٧١,٠٠٠ كم٢ وقد تم اعلانها جمهورية منـــذ عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م بعد ان كان لها استقلال ذاتى فى نطاق الاتحاد .

أستاذ ورئيس قسم التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية اللغة العربية بالمنصورة جامعة الأزهـر

جمهورية قازاكستان

● موقعها :

تقع فى وسط آسيا وتمتد أراضيها بين نهر الفولجا وبحر قزوين غربا إلى جبال التاى وحدود الصين شرقا وبين سيبيريا شمالا وصحراء وسط آسيا جنوبا وتحيط بها قرغيزيا وأوزبكستان وتركمانستان وتحدها من الشرق التركستان الشرقية ويختلف فيها المناخ تبعا لاختلاف تضاريسها .

● سكانها :

وتبلغ عدد سكان قازاكستان ما يقرب من ٢٠ مليون نسمة منهم حوالى عشرة ملايين من المسلمين وذلك فى سنة ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م .

ويتركز معظم السكان فى اقليم السهوب وعلى طول الاودية النهرية حيث نشأت معظم المدن الرئيسية وفى المناطق الجبلية فى الجنوب والشرق ، ولا سيما وادى نهر سيحون .

● عناصر السكان :

ويتكون السكان من عناصر متعددة أهمها الروس الذين يكونون ٤٣,٢٪ من مجموع السكان والقازاق ٣٢,٦٪ والاوكرانيون ٧,٢٪ والتتار ٢,٢٪ إلى جانب فئات أخرى .

● اللغة وسياسة التهجير :

ويتكلم القازاق لغة تركية وأغلبهم مسلمون من أهل السنة كما تتكلم العناصر الأخرى لغاتها الخاصة وكان المسلمون يكونون معظم سكان البلاد لولا سياسة التهجير وتوطين كثير منهم فى سيبيريا لتعميرها واحتلال الروس والأوكرانيين محلهم وذلك بهدف محو شخصياتهم ودمجهم فى المجتمعات الإلحادية الأخرى حتى تخرج الأجيال الجديدة من أبنائهم على صورة هذه المجتمعات وبعيدة عن العقيدة الإسلامية تنفيذًا لمخطط خروشوف الذى يرمى إلى تصفية المسلمين فى التركستان واضعاف قوتهم .

● أشهر المدن :

وأشهر المدن وأكبرها عاصمتها (ألماضا) (أبو التفاح) وهى مركز صناعى وثقافى وتقع على سطح منطقة جبلية تغطيها أشجار الصنوبر وفى وسط منطقة زراعية تتوفر فيها المياه وتكثر بساتين الفواكه حولها ولا سيما أشجار التفاح ويقرب عدد سكانها من المليون .

● أهميتها الاقتصادية :

ولهذه الجمهورية أهمية اقتصادية عظمى نظرا لصلاحية أرضها للزراعة ولاسيما القمح الذى تنتج منه ٢٠٪ من مجموع الحبوب فى الاتحاد السوفيتى (سابقا) وهى فى المرتبة الثانية فى إنتاجه بالاتحاد بعد جمهورية أوكرانيا كما انها تنتج ٢٢,٣٪ من مجموع إنتاج الصوف فى الاتحاد ، ٦,٨٪ من مجموع إنتاج اللحوم فيه ، ٤,٨٪ من مجموع إنتاج الحليب .

وتعد قازاكستان المصدر الرئيسى لإنتاج الرصاص والزنك وتشغل المرتبة الثانية فى إنتاج النحاس والمرتبة الثالثة فى إنتاج الفحم والبترول وحجم الإنتاج الصناعى .

كما توجد فيها حرفة الرعى فتكثر الثروة الحيوانية بما يقرب من خمس الثروة الحيوانية (فى الاتحاد السوفيتى سابقا) .

وإلى جانب الزراعة والثروة الحيوانية فهى كنز معدنى ثمين حيث انها الأولى فى إنتاج الكروم CHROME فى العالم كما تنتج ٦٢٪ من نحاس الاتحاد ، ٦٠٪ من رصاصه ، ٥٠٪ من التوتياء فيه كما تتوفر فى البلاد معادن أخرى كالحديد والفحم والبترول والغاز الطبيعى والذهب والفضة والنيكل والمنجنيز .. ولذلك قامت فيها الصناعات الصقيلة والخفيفة والصناعات الغذائية . وفيها تقدم مدنى وثقافى حيث بلغت نسبة التعليم ٩٩,٧٪ وبها كثير من المدارس والمعاهد والجامعات التى تسير فى فلك الدولة ووفق نظامها وتصدر فى البلاد ٣٨٥ صحيفة منها ١٤٦ بلغة القازاق فضلا عما ينشر من دوريات متنوعة بلغ عددها ١٦٨ .

● الإسلام فى قازاكستان :

دخل الإسلام هذه المنطقة فى حوالى القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى ـ وذلك بواسطة جهود الدعاة الصالحين وتلاميذهم من تجار بخارى وسمرقند وخوقند حيث كانوا يجوبون السهوب ويدلون الناس على تجارة لن تبور يهدونهم إلى الإسلام وقد نهضت الدعوة إلى الإسلام فى ظل حكم السامانيين لمنطقة بخارى وما وراء النهر منذ القرن الثالث الهجرى حتى صار هؤلاء الاتراك مادة للإسلام وقوة للحضارة الإسلامية ولعل الآثار العظيمة التى خلفها لنا أمثال الإمام البخارى (١٩٤ ـ ٢٥٦هـ) وأبو حفص البخارى أستاذ الإمام البخارى والشيخ الرئيس بن سينا وتلاميذهم . خير شاهد على ما كان فى هذه البلاد من نشاط ملموس فى الدعوة إلى الإسلام وحضارة المسلمين .

ولا تزال المدن الواقعة فى جنوب قازاكستان أكثر تدينا فى كل هذه البلاد وكانت فيها معظم المساجد . اما فى مناطق السهوب شمال سيحون (سرد ريا) فلم يدخل فيها الإسلام الا فى بداية القرن الرابع عشر الميلادى وظل فيها ذا تأثير سطحى .

ثم جاءت موجة ثانية من نشر الإسلام فى القرنين الخامس والسادس عشر الميلاديين بواسطة المريدين الصوفيين التابعين لطريقتى الياساوية والنقشبندية والذين قدموا من الجنوب .

ولكن الدين الإسلامى لم يتجذر فى الجماهير الا بعد الغزو الروسى لقازاكستان ويعود انتشاره ونموه إلى جهود تجار تتار الفولجا الذين طردهم القياصرة من وطنهم والذين كانوا يقومون ببناء المساجد والمدارس القرآنية .

وخلافا لكل توقع لم يتجذر الإسلام فى عمق الجماهير القزمية إلا أثناء الاستعمار السوفيتى ويعود هذا إلى السياسة الاستعمارية الروسية التى قامت بحرب ابادة ضد القازاق ودينهم .. ونتيجة المجازر الرهيبة التى قام بها المستعمرون الروس وخاصة مذبحة عام ١٣٣٥هـ ١٩١٦م وسياسة (التحضير) فى الثلاثينيات التى قضت على ثلث سكان قازاكستان المسلمين .. وخيراً وصول المنفيين من مسلمى الشاشان وانيفوش والقوقاز والتتار القوميين إلى قازاكستان أثناء الحرب العالمية الثانية حيث ادخل هؤلاء معهم طرقهم الصوفية (القادرية والنقشبندية) إلى قازاكستان وخاصة فى المناطق الجنوبية من الجمهورية والتى قامت بتجذير الإسلام وتعميق الكره للمستعمر الروسى الكافر .

وزاد انتشار الإسلام فى منطقة قازاكستان فى عهد العباسيين خصوصا فى عهد المعتصم العباسى وزاد أزدهار الدعوة عندما اسلم الخواقين من آل بوغرا وانتشرت اللغة العربية بمنطقة التركستان عامة وبرز علماء فى الدين واللغة العربية من بين التركستانيين وكانت لغتهم تكتب بحروف عربية حتى سيطر الروس على منطقتهم فكتبوها بحروف لاتينية كما ان إسلام الأتراك السلاجقة مكن للدعوة الإسلامية ثم تعرضت المنطقة لغزو المغول والتتار الذى دمر معظم الحضارة الإسلامية بوسط آسيا وغربها . وعندما اعتنق المغول الإسلام تحولوا إلى قوة عظمة تنشر الدعوة الإسلامية .

الإســـلام والمسلمون فى آســـيا الوســـطى جمهوريـــة قازاكستان

● قازاكستان والاستعمار الروسى القيصرى :

ولكن الروس الذين خضعوا للتتار المسلمين وضربت عليهم الجزية ابان قوة المسلمين أخذوا يتحينون الفرصة للانقضاض عليهم وعلى ديارهم وفى فترة من فترات الضعف التى ابتلى بها المسلمون بدأت محاولات الروس للسيطرة على منطقة وسط آسيا وذلك منذ القرن الثامن عشر الميلادى .

وقاموا بفرض حمايتهم على سكان قازاكستان بحجة مساعدتهم فى صد غزوات القبائل الصينية البوذية ـ شأن المستعمرين فى كل عصر ـ وما لبثوا ان تغلغلوا فى الحياة السياسية وقاموا باسقاط الخانيات الأربع التى كانت موجودة وذلك من سنة ١٢٣٨ هـ ١٨٤٢م إلى سنة ١٢٥٨ هـ (١٨٨٢ م

ومنذ عام ١٣٠٩ هـ (١٨٩١ م) بدأت روسيا سياسة الاستعمار الاستيطانى فامتلأت سهوب قازاكستان بالمستوطنين الـــروس . وقـــام هؤلاء المستعمرين بطرد السكان من أخصب أراضيهم كما قاموا بمصادرة أراضى الأوقاف الإسلامية لصالح الاقطاعيين من النبلاء الروس وكبار الموظفين والضباط مما أدى إلى قيام الثورات المستمرة من الشعوب القازاق . وحرب الابادة من قبل السلطات الروسية البربرية .

● قازاكستان والاستعمار الروسى الشيوعى :

ومنذ استيلاء الشيوعيين على قازاكستان ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠م) تدفق السيل بالمستوطنين الروس وأخذوا فى الاستيلاء على أراضى المسلمين بالقوة وطردهم منها وتوطين المستعمرين الجدد نسل المستعمرين القياصرة ونتيجة لهذا القهر وسياسة السلب والنهب والتشريد انتشرت المجاعات فيهم . فمات من مسلمى القازاق مايقرب من مليون فى مجاعة ١٣٤٠ ـ ١٣٤١هـ (١٩٢١ ـ ١٩٢٢م) كما مات مليون آخر فى مجاعة ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م) .

ومنـــذ عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م) إلى عام ١٣٥٨ هـ (١٩٢٩م) قامت السلطات الروسية بسياسة تهجير اجبارية تميزت بالقسوة والوحشية وكلفت حياة مليون قازاق .. وبسبب هذه السياسة الرهيبة فى الثلاثينيات من هذا القرن مات ثلث شعب القازاق المسلم . ولكن لم يمت الإسلام فى قلوب المؤمنين .. بل عادت راية الإسلام عالية خفاقة فى سماء قازاكستان وماتت الشيوعية الملحدة .. وشيعت إلى مثواها الأخير .. والله غالب على أمره .. وهاهم المسلمون فى الجمهوريات الإسلامية يبعثون من جديد .. والله أكبر ولله الحمد .

فهل يعود المسلمون إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم .
وهل يعتصمون بحبل الله .. ويؤازرون اخوانهم فى الجمهوريات الاسلامية بعد أن انقشع ظلام الالحاد وضلال الشيوعية واشرق فجر الاسلام وعم الآفاق نوره .. ؟ (إنْ تَنْصُروا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) (وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إنَّ اللهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ) .

والله الموفق وهو وراء القصد .

الفتاوى

إعداد : عبدالمنعم فوده

السؤال من السيد/ ت. ع. أ

هل يجوز للمسلم أن يخطب امرأة مطلقة الطلقة الثالثة قبل أن تنتهى عدتها علما بأنها طلقت بتاريخ ١٢/١٢/١٩٩١م وما الحكم ؟

● الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فنفيد بأن المرأة التى طلقت طلاقا مكملا للثلاث بتاريخ ١٢/١٢/١٩٩١م إن كانت من ذوات الحيض فعدتها ثلاثة حيضات وان كانت يائسة فعدتها ثلاثة أشهر ، وحيث أنها مازالت فى العدة فلايجوز للمسلم أن يخطبها وهى فى العدة ولكن التلميح جائز مع الكراهة . والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد الدكتور/ كامل خليل المدير العام لمستشفى كليوباترا

يقوم مستشفانا بتقديم الرعاية الطبية فى كافة التخصصات (عدا الأسنان) بما فى ذلك إجراء العمليات الجراحية ، وحالات الطوارىء والعناية المركزة وغيرها ، الذى يتطلب تواجد أطباء وممرضين وعاملين وموظفين وفنيين فى كافة التخصصات خلال الأربعة والعشرين ساعة يوميا ، بما فى ذلك وقت صلاة الجمعة .

نرجو من فضيلتكم افتاءنا مشكورين فى الآتى :

١ ـ هل نأثم بتشغيل الأفراد المشار إليهم وقت صلاة الجمعة . علما بأن ضرورة علاج المرضى تتطلب ذلك كما أوضحنا .

٢ ـ هل يأثم المسلم نفسه الذى يعمل وقت صلاة الجمعة استجابة لهذه الضروريات . وما الحكم ؟

● الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد فنفيد بأنه يجوز شرعا بقاء من يتوقف اسعاف المرضى عليه وقت صلاة الجمعة ولا يأثم من طلب منه ذلك كما لا يأثم هو بترك صلاة الجمعة لأن الضرورات تبيح المحظورات . على أن يكون ذلك فى أضيق الحدود وأن يكون التواجد بين هؤلاء بالتناوب كل جمعة بحيث يحضر طبيب وفنى وحارس مثلا فى هذه الجمعة وفى الجمعة التى بعدها يحضر غيرهم حتى لا يحرم أفراد مخصوصون من صلاة كل جمعة والله تعالى أعلم .

الفتـ

السؤال من السيد/ ت . ع . ح

أجَّرت صيدلية بالجدك ـ أى بمشتملاتها من تجهيـــزات وأدويـــة « لمدة عامين » وتلخصت الشروط فيما يأتى :

١ ـ اتسلم فى نهاية المدة نفس كمية الأدوية التى سلمتها للمستأجر بعـــدد ونوعيات وكميات الأدوية على ألا آخذ شيئا مقابل هذه الأدوية .

٢ ـ أتسلم كل شهر مبلغا متفقا عليه مقابل التجهيزات التى فى الصيدلية ومقابل ايجار المكان حيث أننى مستأجرها من شخص آخر .

والمطلوب : من يدفع زكاة المال سنويا لقيمة الأدوية التى سلمتها دون مقابل أنا المؤجر ، أم المستأجر وما الحكم ؟

● الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آلـه وصحبه أجمعين أما بعـد فنفيـد بأن زكاة الأدوية انما تكون على المستأجر لأنه هو الذى باعها وربح فيها . أما المؤجر حين عودته بعد العامين المتفق عليهما واستلام هذه الأدوية وبيعها يكون عليه الزكاة حيث إن الأدوية تزيد دائما فى هذه الأيام التى نعيشها وبيعها مع زيادة الأسعار والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد/ هشام فرج على من شبرا

شاب يَريد الزواج من فتاة هو لم يرضع من أمها وكذلك الفتاة لم ترضع من أمه ولم يجتمعا على ثدى واحد . ولكن لهما اخوة رضعوا فما الحكم ؟

● الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آلـه وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأنـه مادام الشاب لم يرضع من أم الفتاة ، وكذلك الفتاة لم ترضع من أم الشاب ، ولم يجتمعا على ثدى واحد فيجوز لهما الزواج ولاعبرة ان لهما اخوة رضعوا . فالحرمة تقع على من رضع فقط والله تعالى أعلم .

ـــاوى

السؤال من السيد / ى. س. أ

ما حكم الشرع فى رجل قطعت يده بسبب السرقة . ثم أخذ هذه اليد وتوجه بها إلى المستشفى ليجرى له فيها عملية وصل . فما الحكم ؟

● الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آلـه وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأنه من قطعت يده عقوبة بسبب السرقة فهذا تنفيذ لحكم الله عز وجل الذى يقول فى كتابه الكريم (والسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللهِ واللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) وبعد قطع هذه اليد لايحل لأى طبيب أن يعيدها إلى ما كانت عليه لأن هذا العمل معارضة لحكم الله ومحادة له

إذ المقصود إزالة هذه اليد حتى لا ينتفع بها مرة أخرى والله تعالى أعلم .

السؤال من السيدة / ل. م. ع

توفى شخص مسلم عن زوجـة ، أم وإخوة أشقاء وترك مبلغا من المال يقـدر بخمسة عشر ألفا من الجنيهات سائلة لدى الزوجة وأوصاها إذا توفى يكون المبلغ لكِ وذلك نظير خدمتك وتعبك معى ، كما ترك مبالغ غير ذلك وبعض العقارات . فمن يرث ومانصيبه .

● الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آلـه وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأنه إذا صح ما تدعيه المستفتية من أن زوجها أعطاها هذا المبلغ ليكون ملكا لها بعد وفاته فهذا يعد وصية من المتوفى إلى زوجته وعلى الورثة تنفيذها مادامت فى حدود ثلث التركـة ومابقى بعد الوصية يكون تركة للزوجة منه الربع فرضا لعدم وجود الفـرع الـوارث وللأم السدس فرضا لوجود عدد من الاخوة والاخوات والباقى للاخوة الأشقاء تعصبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله تعالى أعلم .

السـؤال :

من ث. م. س

نظرا لاقتراب موعد أداء العمرة فى شهر رمضان المعظم . وطبقا لتعليمات المملكة العربية السعودية والتى تقضى بالتطعيم ضد الحمى الشوكيـة والكـوليرا لذلك نرجـو

الفتاوى

التفضل بأبداء الرأى فيما إذا كانت هذه التطعيمات تمت فى نهار رمضان للصائم .

هل تبطل الصيام أم لا أفادكم الله .

● الجـواب :

نفيد بأن الداخل فى الجسم إذا لم يصل إلى الجوف أو الدماغ أو وصل إلى أحدهما من المسام لا يفطر الصائم كما نص على ذلك فقهاء الحنفية والشافعية فقد جاء فى فتح القدير مانصه : ولو اكتحل لم يفطر سواء وجد طعمه فى حلقه أو لا لأن الموجود فى حلقه أثره داخل من المسام والمفطر الداخل من المنافذ لا من المسام . وفى شرح مقطوعة الكواكبى ما نصه : وكذا ان وصل إلى جوفه أو دماغه دواء من غير المسام،أما إذا وصل من المسام فانه لا يقضى (يعنى لا يفطر) فلا قضاء عليه كما لو أدهن فوجد أثر الدهن فى بوله أو اكتحل فوجد طعم الكحل فى حلقه أو لونه فى برازه أهـ . وجاء فى شرح المهذب للإمام النووى ص ٣١٣ من الجزء السادس ما نصه وضبط الأصحاب الداخل المفطر بالعين الواصلة من الظاهر إلى الباطن فى منفذ مفتوح عن قصد من ذكر الصوم ثم بين الباطن بأنه ما يقع عليه اسم الجوف أو ما يقع عليه اسم الجوف مما له قوة تحيل الواصل من دواء أو غذاء على اختلاف القولين عندهم هذا وقد نقل الإمام النووى فى صحيفة ٣٢٠ فى شرح المهذب عن الإمام مالك أنه لو داوى جرحه فوصل الدواء إلى جوفه أو دماغه لا يفطر مطلقا سواء أكان الدواء رطبا أو يابسا ومن هذا يعلم أن التطعيم بالطعم المذكور بالسؤال لا يفطر الصائم لأنه لا يصل إلى الجوف منه شيء عن طريق غير المسام كما علمنا ذلك من الأطباء وبما ذكرنا يعلم حكم الحقن ضد الكوليرا والحمى الشوكية وهو أنها لا تفطر الصائم لأن الدواء لا يصل إلى الجوف من المنافذ والله سبحانه وتعالى أعلم .

● السـؤال :

من د . ع . ف

هل يجوز للصائم أن يستحم فى البحر ؟

وهل هذا الاستحمام يفطر الصائم ؟

● الجـواب :

اطلعنـــا على هذا السؤال المتضمـــن الاستفتاء عن حكم استحمام الصائم فى البحر هل هو مفطر له أو لا .

والجواب أن الاستحمام فى البحر وكذا الاغتسال بالماء للتبرد والتلفف بالثوب المبلول لا يفطر به الصائم وان وجد برد الماء فى باطنه . وأفتى الإمام أبو يوسف بعدم كراهته لما رواه أبو داود من أنه عليه السلام (صب الماء على رأسه وهو صائم) من العطش والحرارة وكان ابن عمر يبل الثوب ويلفه عليه وهو صائم ولأن فى ذلك عونا له على أداء الصوم ودفع الضجر الطبيعى .

ودخول جزء من الماء فى الجسم بواسطة المسام لا تأثير له لأن المفطر انما هو الداخل من المنافذ ، وقد كره الإمام أبو حنيفة ذلك لما فيه من اظهار الضجر فى إقامة العبادة لا لأنه مفطر كما ذكره شارح الدر ومحشيه .

والله تعالى أعلم .

تصـــــويب

جاء فى فتاوى عدد شهر رجب ١٤١٢هـ الموافق فبراير ١٩٩٢م صفحة ٩٢٠ فى المسألة الثالثة من مسائل الميراث ونصها :

توفيت بنت عن أم وأب وأخ شقيق وأخت شقيقة وأخوات لأب وزوجة أب فما نصيب كل وارث ـ أن ميراث الأم الثلث وصحته السدس ـ لأن الإخوة يحجبونها من الثلث إلى السدس والباق وهو خمسة أسداس فنصيب الأب ولا شىء للإخـــوة عامـــة ولا لزوجة الأب .

الشعر والشعراء

إلى العابثين بالدين والفن

للشاعر رشاد محمد يوسف

[تعليقا على العبث الذى حدث وبخاصة ما حدث اخيرا من رقصة على هيكل الكعبة .. إلى تقديم سالومى اليهودية على المسرح] .

افيقوا من الغفلة البادية ... وثوبوا فقد جاءت الغاشية
افيقوا فقد طال ليل الفساد ... وطالت به غفوة لاهية

على مجدكم تركض الحادثات ... وانتم لها اعين رائية
على ارضكم تستباح الحقوق ... وترخص اقدارنا الغالية

على دينكم هجمة كل حين ... وللكفر احقاده الضارية
على الخير والحق والصالحات ... تهب رياح العدا عاتية

وتاريخكم وهو سفر جليل ... تزيفه العصبة الباغية
يخط اليهود به الترهات ... اكاذيب من نسجهم عارية

ومن خلفهم زمرة بيننا ... تسير على دربهم راضية
«سلومى» وما شانها بالتراث ... وبالنيل والازمن الماضية ؟

وتلك يهودية فى الحضيض ... من الإثم والنزوة الطاغية
هل الفن ان يذبح الانبياء ... وفاء لشيطانة زانية

هل الفن ان ترقص الغانيات ... على هيكل الكعبة العالية
هل الفن ان تقتل المكرمات ... على مذبح الشهوة العاصية

على رسلكم يادعاة الفنون ... ولا تقربوا من شفا الهاوية
متى تكتبون تاريخ الشعوب ... بعيدا عن الكاس والغانية ؟

متى تقلعون عن المغريات ... وعن سَوْرَةِ الجنس كالماشية ؟
متى تستنير حنايا القلوب ... وتستيقظ الشعلة الخابية ؟

فما الدين عشب لكم مستباح ... وما الدين اسطورة بالية
ولكنه طاقة من يقين ... يضىء احاسيسنا الواعية

ينير القلوب بقرآنه ... سلاما مع السنة الهادية
به يستقر كيان الحياة ... على الخير والأمن والعافية

وللدين فى كل قلب ولاء ... وللدين اجناده الفادية

متى يادعاة الخنى والفساد ... متى تنهض الهامة الجاثية ؟
الا صحوة للضمير المريض ... تعود بها الأنفس القاصية ؟

احذر قبل فوات الأوان ... فليس لكم كرة ثانية
وليس سوى الله لو تعلمون ... اعد لكم ناره الحامية

فتوبوا إلى رشدكم طائعين ... عسى الله ان تصلح الباقية

إلى الأخوة الكتاب والشعراء

يوجد إنعاج كثير جيد بإدارة تحرير المجلة يوقف نشره خلو المقال أو القصيدة من :

(ا) الاسم الثلاثى أو الرباعى للكاتب أو الشاعر .
(ب) وعمله ومكانه .
(جـ)وعنوانه بوضوح .
(د) والوسيلة التى يسهل بها بأقصى سرعة إمكان الاتصال به وهى ضرورة جدا .
رجاء موافاتنا بالمطلوب .

إدارة التحرير

كنَّا ... ولكنْ !!!

للشاعر محمود محمد بكر هلال

كُنَّــا ولكــنْ قد نَكَصْنَــا لِلــوراءْ ... ماذا فإنَّــا مانَقصْنَــا مِنْ نَمَــاءْ ؟
كُنَّــا بماضِى الدهــرِ صُنَّــاعَ الحيــاةْ ... كُنــا ومــازِلْنــا على الأرض البُنَــاه
كنــا وحَــقِّ الله ماكُنــا جُنَــاةْ ... فى حِمانــا حقــقَ الشرقُ مُنــاه
لكــنِ الأيــامُ دارت فاستخــارتْ ... مَنْ وَعاهــا واصطفاهــا فى انتبــاه
كَان للشرقِ قديمًــا نهضةٌ ... أشرقَ الإسلامُ فيها مِن سَنــاه
واستعــادَ الشرقُ فيها مَجْــدَهُ ... مُذْ مَشَى الإسلامُ فيــه وابتنــاه
عندمــا كانت أُرُوبَّــا ظُلمــةً ... حِيــنَ كان الغــرْبُ يَعْشُو فى دُجــاه
بل يخاف البحــرَ أن يَسعَــى به ... نَحْــوَ قاعٍ يبتليــه بالوَفــاةْ !!!
لمْ يكــنْ فى بيتِــه الحَمَّــامُ حتــى ... يُذهِبَ الأوضارَ عنــه بالميــاه !!!
لكــنِ الأيامُ دارت وارتقــى ... ذلك الغــربُ الــذى ضَلَّ وَتــاه !!!
واصَلَ السيــرَ على النهج الــذى ... يَبْتَنِــى المجْــدَ ويَسْمُــو فى عُلاه
ومَضَى يَمْـلِكُ فى دنيــا الــورى ... كلَّ شىءٍ عبقــرىٍّ فى الحيــاه
فاستقــامت دولــةُ الدنيــا له ... والصناعـــاتُ تجلَّت فى سَمــاه
نهضة كبرى ومجْــدٌ باذِخٌ ... أذهــلَ الدنيــا وأغْــرَى مَن رآه
فاندفعنــا نحوَهــا فى لهفــةٍ ... شأنُ محرومٍ سَبَــاه ما أتــاه !!!
شأنُ تلميــذٍ يحاكِــى رائــدًا ... أو يُحَاكِــى فى سَنَــا الدنيــا أبــاه
كلُّ مايحتــاجُ فى دنيــا الــورى ... مُستعــارٌ وَافِــدٌ حتــى كِسَاه !!!
لو دعتــه هيئــةٌ يَحْكِــى لها ... ذاتَ يومٍ ماشَرَاه واقتنــاه
قال والحسرةُ تَشْوِى قَلْبَــه ... كلُّ حاجــاتٍ لَدَينــا مُشْتَــراه !!!
ساعتِــى (الْجُفَيْــلْ) جاءت مِنْ سُوِيْسَرا ... وحِذائِــى المسْتَــحَبُّ (الشَّامُــوَاه)
مِنَ لَدَى إيطالِيَــا مِن صُنعهــا ... مِن مَعيــنٍ تَعْــرِفُ الدنيــا مَداه
حُلَّتِــى سَيَّــارَتى نَظَّــارَتى ... صاغَهــا اليابــانُ فى عِزٍّ وَجَــاه
بل أداةُ الطَّهْــيِ فى منزلنــا ... مِن فَرَنْسَا أو هُلَنْــدَا مُنتقــاه
كلُّ ماأُقْنِيــهِ حتــى قَلَمِــى ... كلُّــهُ للغــربِ يُعْــزَى مُنْتَمــاه !!!
كلُّــه مُسْتَــورَدٌ ياللأسَى ... مِن بلادٍ قد سَمَتْ حتــى الرَّفَــاه !!!
ألْــقت الإهمالَ عن كاهِلهــا ... ثم راحت فى صِراعٍ وانتبــاه
تنشد المجْــدَ وتَبْنــى للعُــلا ... فى اجتهادٍ أدرك الغــربُ مَداه
لكــنِ الشرقُ و (لكــنْ) هذه ... آفــةُ الفِكْــرِ وفيها الفكــرُ تاه !!!

* الشاعر رئيس رابطة الأدباء والشعراء بـ «سوهاج» .

قد تقاعسْنـــا عن الدِّيــــنِ الــــذى ∴ حثَّنـــا للسَّعْـــي فى هذى الحيــــاهْ !!!
للبنـــاءِ الحقِّ للمَجْــــدِ الـــــذى ∴ يَعْمُـــرُ الأرضَ ويَحْمِـــى مَنْ بَنـــاه
مِثْـــلَ ماقد كان يَبْنـــى قَبْلنـــا ∴ صفـــوةُ الأجـــدادِ مرفوعـــى الجِبَـــاه
أخضعـــوا الدنيـــا لما قد قدَّمـــوا ∴ فى إبـــاءٍ وَارتقـــاءٍ فى حِمَـــاه
فى حِمـــى الحقِّ والديــــنِ الـــذى ∴ عَلَّـــمَ الدنيـــا وأغْلَـــى مِنْ هُداه
فاستعيــــدوا مجْــــدكمْ فِى قوةٍ ∴ واستـــردوا كلَّ ما الغَـــرْبُ سَبَـــاه
واحفظـــوا الأوطـــان فى ظل الهدى ∴ وأعِيـــدُوا للسَّنـــا الهادى قُوَاه
واذكـــروا أنـــا كتبنـــا فى الـــورى ∴ سِفْـــرَ مَجْـــدٍ أرْشَدَ الدُّنْيَـــا سَنَـــاهْ

القـــراءة وطـــن !

شعر : السيد الصديق حافظ

يَارُبَّ مغْتَـــرِبٍ والـــدارُ دانِيَّـــةٌ ∴ مُسْتَـوْحَش الـروح قد ضلَّتْ مَطَايَـــاهُ !
وربَّ أمـــرٍ لنـــا فى نَيْلِـــهِ وَطَـــرٌ ∴ النـــفسُ ترضاهُ والأقْـــدَارُ تَأْبَـــاهُ !
إنِّـــى مقيـــمٌ ولى روحٌ على سفَـــرٍ ! ∴ أوَّاهُ ياغربَـــــــــةَ الأرواح أوَّاهُ !

• • •

أصحـــابُك الكُـــتْبُ فلْتَسْعَـــدْ بصُحبَتِهـــا ∴ لكـــنَّ أكرَمَهـــا ماالله أوحَـــاهُ !
فى كل حرفٍ نعيـــمٌ الله يَسكُنُـــهُ ! ∴ ماأكْـــرَمَ الحرفَ مبْنَـــاهُ ومغْنَـــاهُ !
إنَّ القـــراءةَ ـ ماأحببتَهـــا ـ وطـــنٌ ∴ فيـه الغِنَـى والمُنَـى ، والمجْـدُ والجَـاهُ !
من صاحَبَ الكُتْبَ لم يشْكُ الفـــراغَ ولَـــمْ ∴ يستَنْفِـــدِ العُمْـــرَ فِى لهو تغشاه !

• • •

بالكُـــتْبِ أرْشَدَنـــا الله وعلَّمَنـــا ∴ لولا المعـــارفُ فيها ماعَرَفْنَـــاهُ !
لولا الكتـــابُ لهِمْنَـــا فى جَهَالتِنَـــا ∴ وكانت النـــاسُ كالأنعـــامِ لولاهُ !
قد أودعَ الله نورَ العِلْـــمِ فى كُتُبٍ ∴ وضمَّـــنَ الله ألواحًـــا وصايَـــاه !
وخـــط فى اللـــوح فى أمِّ الكتـــابِ فَلا ∴ يمْحُـــو ويثـــبتُ ماقَدْ شَاءَ إلا هُو !
اقـــرأ كتـــابَك لاتغفـــلْ بمن عَدَلُـــوا ∴ عن الصراطِ وفى أوْهَامِهِـــمْ تاهُـــوا

• • •

٢ ـ المستدرك على ديوان عمرو بن كلثوم التغلبي

للأستاذ أيمن محمد ميدان

(٤)

قال عمرو بن كلثوم :

لَنَـــا حُصُونٌ من الخَطِّـــيِّ عالِيَـــةٌ ... فيها جَداوِلُ من أسْيَافِنَـــا البُتْـــرِ(١)

فَمَـــنْ بَنَـــىٰ مُدَراً مِنْ خَوْفِ حادِثَـــةٍ ... فَإنَّ أسْيَافَنَـــا تُغْنِـــى عن المدرِ(٢)

(٥)

قال عمرو بن كلثوم :

تُكَفَّـــرُ بِالْيَدَيْـــنِ إذَا الْتَقَيْنَـــا ... وتَلْقَـــىٰ مِنْ مَخَافَتِنَـــا عَصَاكَـــا(٣)

★ البيتان من بحر « البسيط »

البيتان وردا معزوين لعمرو بن كلثوم فى : الوحشيات ٥٣ ، على حين وردا معزوين لعمرو بن كلثوم » .. أخو بنى عُمَيْس الكنانى .. » فى الحماسة البصرية ١/١٠ .

١ ـ حُصُون : واحدها حِصْنٌ ، والحِصْنُ كل موضع منيع لا يوصل إلى ما فى جوفه .

والخَطِّيُّ : رماح تنسب إلى الخطِّ ، والخط فى لسان العرب « خطط » : الليث : الخطُّ أرض تنسب إليها الرماح الخطية ... وهو خط عمان . وقال ابن سيدة : والخط سيف البحرين وعمان ... وقيل : الخط مرفأ السفن بالبحرين تنسب إليه الرماح .... وليست الخط بمنبت للرماح ، ولكنها مرفأ السفن التى تحمل القنا من الهند .

الجوهرى : الخط موضع باليمامة ، وهو خط هجر تنسب إليه الرماح الخطية لأنها تحمل من بلاد الهند فَتُقَوَّمُ به . والجداول : واحدها الجدول ، والجدول : النهر الصغير . والبتر : واحدها الباتر ، والباتر : السيف القاطع .

٢ ـ المدر : واحدها المَدَرَةُ ، والعرب تُسَمِّى لِلْقَرْيَةَ المبنية بالطين اللَّبِن .. وكذلك المدينة الضخمة المَدَرَةَ . والحادثة : النازلة .

★ البيت على بحر « الوافر »

ورد البيت معزوا لعمرو فى : الفائق ٢/٢٠٤ .

(٣) ـ تكفُر تحتمى برفع اليدين دلالة على الاستسلام . وتلقى : تطرح .

ومخافتنا : رهبتنا وخشيتنا . والعصى : الرُّمح .

(٦)

قال عمرو بن كلثوم :

مَعَـاذَ الالـــه أَنْ تَنُــوحَ نساؤنـــا ... عَلَـىٰ هَالك أَوْ أَنْ تَضجَّ مِنَ الْقَتْـــلِ(١)
قِرَاعُ السُّيُــوفِ بِالسُّيُــوفِ أَحَلَّنَــا ... بأَرْضٍ بَرَاحٍ ذِى آرَاكٍ وذِى أَثْــــلِ(٢)
فَمَــا أَبْــقَتِ الْأَيَّامُ مِلْمَــالِ عِنْدَنَــا ... سوى جِذْمِ أَذْوَادٍ مُحَذَّفَةِ النَّسْــــلِ(٣)
ثَلَاثَــةُ أَثْــلَاثٍ فَأَثْمَــانُ خَيْلِنَــا ... وَأَقْوَاتُنَــا وَمَــا نَسُوقُ إِلَــىٰ الْقَتْـــلِ(٤)

* الأبيات من بحر « الطويل » .

١ ـ معاذ : من المصادر التى لاتكون إلا منصوبة ، ومعاذ الله أى عياذًا بالله ، قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ معاذ الله أن نأخذ إلا مَنْ وجدنا متاعنا عنده ﴾ ...، والعرب تقول للشيء ينكرونه والأمر يهابونه : « معاذ الله » . وتنوح نساؤنا : أى يجتمعن للحزن والبكاء . والهالك : من أُصيبَ بمكروه فأودى به . وضجَّ الناس : إذا صاحوا مستغيثين ، و« تضج » فى هذه الرواية عائد على « نساؤنا » .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : الحماسة ٢٥٧/١ ، والأشباه والنظائر ٨٩/١ وأشار الخالديان إلى بعض الشعراء الذين تناولوا هذا فى شعرهم ، موردا هذه الأبيات ، فقال : « أما قوله : « معاذ الاله أن تنوح نساؤنا ... البيت » فقد تناوله بعض الشعراء بأسره ، فقال :

مَعَاذَ الْإِلـه أَنْ تَنُوحَ نِسَاؤُنا ... عَلَىٰ هَالِكٍ مِنَّا وَإِنْ قُصِمَ الظَّهْرُ

وأخذه آخر فقال :

هُمُ الْقَوْمُ لَا يَخْشَوْنَ حَرْبًا مُضِرَّة ... وَإِنْ قُتِلُوا لم يَقْشَعِرُّوا مِنَ الْقَتْلِ

وأخذه أبو تمام وقال :

مُسْتَرْسِلِينَ إلى الحُتُوفِ كأَنَّمَا ... بَيْنَ الْحُتُوفِ وَبَيْنَهُمْ أَرْحَامُ

وروى البيت برواية ثانية فى : شرح الحماسة للمرزوقى ١٠٩/١ ، وشعراء النصرانية ٢٠٤/١ وهى :

مَعَاذَ الْإِلـه أَنْ تَنُوحَ نِسَاؤُنا ... عَلَىٰ هَالِكٍ أَوْ أَنْ نَضِجَّ مِنَ الْقَتْلِ

ونضج : عائد على الشاعر وقومه .

٢ ـ المقارعة : مضاربة القوم فى الحرب ، وكل شىء ضربته بشىء قرعته . وقراع السيوف بالسيوف : هنا حذف المضاف ، وكأنه قال : قراع أصحاب السيوف بالسيوف . والبراح : الأرض التى لابناء فيها ولا عمران ، وبراح بدل أرض .

والآراك : شجر معروف ، وهو شجر يُستاك بعروقه ، قال أبو حنيفة : هو أفضل ما استيك بفرعه من الشجر ، وأطيب ما رعته الماشية رائحةَ لبنٍ ، وقال ابن شميل : الآراك شجرة طويلة خضراء .. كثيرة الورق والأغصان ، خوارة العود تنبت بِالْغَوْرِ تتخذ منه المساويك .

والأثل : شجر يشبه الطرفاء إلا أنه أعظم وأكرم وأجود عودًا تُسَوَّىٰ به الأقداحُ الصُّفْرُ الجياد ، ومنه اتخذ مِنْبَرُ سيدنا محمّد رسول الله ـ ﷺ ـ والآراك والأثل نبتان ينبتان فى السَّهْلِ أكثر .

والمعنى : أنهم بما يملكون من عُدَّةِ الْحَرْبِ وشجاعة الفرسان هبطوا أرضا مكشوفة لاهضاب فيها يلجأون اليها ، ولا جبال شاهقة يتحصنون بها .

ورد البيت بروايته السابقة فى : حماسة أبى تمام ٢٥٧/١ ، وشرحها للمرزوقى ١٠٩/١ ، والأشباه والنظائر ٨٩/١ ، وشعراء النصرانية ٢٠٤/١ ، وقد ذكر الخالديان فى الأشباه والنظائر ٨٩/١ ـ ٩٠ نظائر لهذا البيت .

٣ ـ الأيام : أراد بها الوقعات . ملمال : أراد (من المال) فجعل الحذف بدلا من الادغام ، لما التقى بالنون واللام حرفان يتقاربان الأول متحرك والثانى ساكن سكونا لازما . والجِذْمُ : الأصل . والأذواد : مادون العشرة من الإبل . والمحذَّفة : الممزقة . والمعنى : ما أبقى تأثير ما حلَّ بنا من حوادث ووقعات من أموالنا سوى بقايا إبل طاعنة فى السن ، عقيمة لاتلد .

ورد البيت بروايته السابقة فى : حماسة أبى تمام ٢٥٧/١ ، وشرحها للمرزوقى ١٠٩/١ ، وبرواية ثانية فى الأشباه والنظائر ٨٩/١ ، وهى :

فَمَا أَبْقَتِ الْأَيَّامُ مِلْمَالِ عِنْدَنَا ... سوى جِذْمِ أَذْوَادٍ تُعِينُ عَلَى الْأَزْلِ

والأَزْلُ : الشِّدَّةُ والضيق .

وبرواية ثالثة فى شعراء النصرانية ٢٠٤/١ وهى :

فَمَا أَبْقَتِ الْأَيَّامُ مِلْ مَالٍ عِنْدَنَا ... سوى جِذْمِ أَذْوَادٍ مُحَذَّفَةِ النَّسْلِ

٤ ـ الأقوات : واحدها القوت ، والقوت : مايُمْسِكُ الرَّمَقَ من الرزق . والقتل : الموت بضرب أو حجر أو سُمٍّ أو عِلَّةٍ . يقول : إنَّ أموالنا مقسمة إلى ثلاثة أثلاث ، قسم نشترى به الخيل ، وقسم نشترى به مايسد الرمق من الرزق ، وقسم ندفعه ديَةً لمن نقتل .

وعلَّق الخالديان على هذا البيت وسابقه بقولهما : « وقوله : فما أبقت الأيام .... البيت . فقد جَوَّدَ فيما ذكر وأحسن القسمة فى البيت الأخير إذ جعل مالهم ثلاثة أقسام ، قسم يصرف فى أثمان الخيل إذ كانت حصونهم التى يلجأون إليها ، ويبلغون بها الغايات ، ويدركون بها الترات ، وقسم فى أذوادهم وأقواتهم وما يقرون ضيوفهم ، وقسم فى ديات من يقتلون ، ولا نعلم أحدا اتفق له فى بيت واحد ، ولا أبيات كثيرة كما اتفق لهذا فى صحة القسمة ، وشرح الأبواب التى تُصَرَّفُ فيها » .

٢ ـ المستدرك على ديوان

(٧)

قال عمرو بن كلثوم :

هَلَـكْتَ وَأَهْلَـكْتَ العَشِيـرَةَ كُلَّهَـا ... فَنَهْـدُكَ نَهْـدٌ لا أَرَىٰ لَكَ أَرْقَمَـا[١]

* البيت من بحر « الطويل » ، ورد معزوا لعمرو فى معجم ما استعجم ١/٤٠ .

١ ـ عشيرة الرجل : بنو أبيه الأدنون ، وقيل : قبيلة الرجل .

(٨)

قال عمرو بن كلثوم :

وَكُنْتَ امْرَءا لَوْ شِئْتَ أَنْ تَبْلُغَ النَّـدَىٰ ... بَلَـغْتَ بِأَدْنَـى نِعْمَـةٍ تَسْتَدِيمُهَـا[١]

وَلَكِنْ فِطَـامُ النَّـفْسِ أَثْقَـلُ مَحْمَـلًا ... مِنَ الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ حِيـنَ تَرُومُهَـا[٢]

ورد البيت بروايته السابقة فى حماسة أبى تمام ١/٢٥٧ وشعراء النصرانية ١/٢٠٤ . والمقطعة بهذه الرواية معيبة عروضيا بعيب « الإيطاء » ، ويتمثل فى إعادة كلمة الرَّوِىّ لفظا ومعنى وبدون فاصل حُدِّدَ بمقدار سبعة أبيات .

وبرواية ثانية فى شرح الحماسة للمرزوقى ١/٤٧٦ ، والأشباه والنظائر ١/٨٩ وهى :

ثَلاثَةُ أَثْلاثٍ فَأَثْمَانُ خَيْلِنَـا ... وَأَقْوَاتُنَا ومَـا نَسُوقُ إلى الْعَقْلِ

والعقل : الدِّيَة .

والبيت بهذه الرواية ينفى عيب « الايطاء » عن مقطعة عمرو ، على أننى أسارع فأقرر أنه ينبغى أن نقف وقفة متأنية نؤكد من خلالها ماذهب إليه الدكتور ابراهيم أنيس ـ فى كتابه موسيقى الشعر ٢٩٣ ـ من أن ما أسماه العروضيون العلل الجارية مجرى الزِّحاف وبعض عيوب القافية والضرورات « لم يكن إلا أثراً لضعف الرواية وزلل الحافظة والذاكرة ... » .

* البيتان من بحر « الطويل » . وردا معزوين لعمرو بن كلثوم فى كلٍّ من : الأشباه والنظائر ٢/٢٠٧ ومحاضرات الأدباء ١/١٣٣ ومجموعة المعانى ١٦١ ، على حين وردا معزوين لكلثوم بن عمرو العتابى فى : البيان والتبيين ١/١٢٠ ، والحيوان ٣/٦٢ . وفى شعراء النصرانية ١/٢٠٤ .

أورد لويس شيخو البيت ضمن ترجمة عمرو بن كلثوم ، ومهد له بقوله : « ومن أمثاله فى لزوم الطباع ، وغلبة الأخلاق على التكلف ، قوله ... البيت » .

١ ـ الندى : السخاء والكرم . والنعمة : الخفض والدعة والمال ... والنعمة : اليد البيضاء الصالحة والصنيعة والمنّة وما أنعم به عليك .

٢ ـ فطام النفس : كبح جماحها . والصخرة الصماء : الصلبة .

ورد البيت برواية ثانية فى شعراء النصرانية ١/٢٠٤ ، وهى :

وَلَكِنْ فِطَامُ النَّفْسِ أَيْسَرُ مَحْمَلًا ... مِنَ الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ حِينَ تَرُومُهَا

عمرو بن كلثوم التغلبي

(٩)

قال عمرو بن كلثوم :

وَمِـــنْ دُونِ ذَلِكَ خَرْطُ القَتَـــادِ ... وَضَرْبٌ وَطَعْـــنٌ يُقِـــرُّ العُيُونَـــا(١)

(١٠)

قال عمرو بن كلثوم :

لِيَهْنَـــىءْ تُرَاثَـــىْ تَغْـلِبَ ابْنَـــةِ وَائِـــلِ ... إذَا نَزَلُـــوا بَيْـــنَ العُـــذَيْبِ وَخَفَّـــانِ(١)

* البيت من بحر « المتقارب » ، ورد معزورا لعمرو بن كلثوم فى المستقصى ٨٢/٢ ـ ٨٣ ، وأشار المحقق إلى أنه عثر على هامش الأصل على العبارة الآتية : « قال أبو عبد الله محمد السورق ، وفى حفظى عن المبرد أنه لكعب ابن جعيل التغلبى لا لعمرو بن كلثوم ، وهو الصواب » .

١ ـ الخرط : قشرك الورق عن الشجر اجتذابا بكفك ... وخرطت الورق : حتّه ، وهو أن تقبض على أعلاه ثم تمر يدك عليه إلى أسفله . والقتاد : شجر له شوك .. وقال الأزهرى : والقتاد شجر ذو شوك لا تأكله الإبل إلّا فى عام جدب ، فيجىء الرجل ويضرم فيه النار حتى يحرق شوكه ثم يرعيه إبله ، وبه ضربت العرب المثل فقالت : « دونه خرط القتاد » دلالة على الأمر الشاق الصعب المنال .

والضرب : يكون بالسيف ، والطعن : الوخز بالحربة وغيرها . ويقرُّ العيون : أى صادفت ما يرضيك ، فتسكن عينك فلا تتطلع إلى غيره .

* البيت من بحر « الطويل » ، ورد معزوا لعمرو بن كلثوم فى معجم ما استعجم ٥٠٥/٢ .

١ ـ الإرث : الأصل ، قال ابن الأعرابى : الإرث فى الحسب ، والورث فى المال .. الجوهرى : الإرث الميراث . وتغلب : قبيلة الشاعر ،

والعُذَيْبُ ، قال ياقوت فى معجمه : « هو ماء بين القادسية والمُغَيْثة بينه وبين القادسية أربعة أميال ، وإلى المغيثة اثنان وثلاثون ميلا- وقيل : هو واد لبنى تميم ، وهو من منازع حاج الكوفة ، وقيل : هو حد السواد ، قال عبدالله السكونى : العذيب يخرج من قادسية الكوفة إليه ، وكان مسلحة للفرس ... والعذيب أيضا ماء قرب الفرما من أرض مصر فى وسط الرمل . والعذيب موضع بالبصرة عن نصر . » وفى لسان العرب (عذب) « : ماء لبنى تميم .... قال الأزهرى : ماء معروف بين القادسية ومغيثة . وفى الحديث ذكر العذيب ، وهو ماء لبنى تميم على مرحلة من الكوفة ، وقيل : سمى به لأنه طرف أرض العرب من العذبة ، وهى طرف الشىء ...

وخفان ، قال ياقوت فى معجمه : « موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج أحيانا ، وهو مأسدة ، وقيل : هو فوق القادسية » . وقال البكرى : « موضع قبل اليمامة أشب الغياض كثير الأسد ، ومنازل تغلب ما بين خفّان والعذيب .

طرائف ومواقف

للاستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

القنـــاعة

قال عليه السلام : القناعة كنز لا يفنى .

وقال أيضا : كن ورعا تكن أعبد الناس ، وكن قنعا تكن أشكر الناس ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا ، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما ، وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب

صفات المرأة الصالحة وثوابها

أربعة من النساء فى الجنة :

● امرأة عفيفة طائعة لله ولزوجها .

● ولود صابرة ، قانعة باليسير مع زوجها . ذات حياء إن غاب عنها زوجها حفظت نفسها وماله ، وإن حضر أمسكت لسانها عنه .

وثوابها كما يقول الرسول : يستغفر لها الطير فى الهواء ، والملائكة فى السماء .

خـــير العمـــل

قال الأصمعى :

اللهم أجعل خير عملى ما قارب أجلى ، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا فنعجز ولا إلى الناس فنضيَّع .

● ● ●

● ما من عبد مسلم يقول إذا أمسى وإذا أصبح ثلاثا .. رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا .. إلا كان حقا على الله أن يرضيه يوم القيامة (رواه الترمذى) .. حديث حسن .

● ● ●

● من قال حين يصبح وحين يمسى « سبحان الله وبحمده » مائة مرة لم يأت يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه (رواه مسلم)

أبو تمام والكندى

أمتدح أبو تمام الخليفة العباسى أحمد بن المعتصم بقصيدة فلما بلغ إلى قوله :

اقدام عمرو فى سماحة حاتم ... من حلم أحنف فى ذكاء إياس

قال له الكندى بجرأة وثبات : الأمير فوق من وصفت فأطرق أبو تمام ملياً ثم قال :

لا تنكروا ضربى له من دونه ... مثلاً شروداً فى الندى والباس
فالله قد ضرب الأمثل لنوره ... مثلاً من المشكاة والنبراس

فسكت الكندى : وأعجبت الفئة الحاضرة لفطنة أبى تمام واصالة رأيه ، وجودة فكره ، وسرعة خاطره .

حق القـول الصـادق

« حق على العاقل أن يكون له أربع ساعات ، ساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يقضى فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ، ويصدقونه عن نفسه ، وساعة يخلى فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل ، فإن هذه الساعة عون له على هذه الساعات وإحجام القلوب ، وحق على العاقل ألا يظعن إلا فى إحدى ثلاث : زاد لمعاده ومرمة لمعاشه ، أو لذة فى غير محرم ، وعلى العاقل أن يكون عارفا بزمانه ، مالكا للسانه مقبلا على شأنه .

لا ينبغى مقابلة النعمة بالمعصية

عن مالك بن دينار قال : « قرأت فى بعض الكتب أن الله يقول : يا ابن آدم خيرى ينزل إليك ، وشرك يصعد إلى وإتحبب إليك بالنعمة وتتبغض إلى بالمعاصى ، ولا يزال ملك كريم قد عرج إلى منك بعمل قبيح . » .

● ● ●

ثلاثة لا يعرفون إلا فى ثلاثة مواطن :

- ● لا يعرف الجواد : إلا فى العسرة .
- ● والشجاع : إلا فى الحرب .
- ● والحليم : إلا فى الغضب .

للمرائى أربع علامات

- ● يكسل إذا كان وحده .
- ● وينشط إذا كان مع الناس .
- ● ويزيد العمل إذا أثنى عليه .
- ● وينقص إذا ذم به .

● ● ●

● قال على رضى الله عنه : لولده الحسن عليه رضوان الله :

احذر الغضب : فإنه يسفه الحليم ، ويطيش العالم ، ويفقد معه العقل ، ويظهر معه الجهل .

ورد أن عليارضى الله عنه قال لولده الحسن رضى الله عنه « يا بنى ، خف ثلاثا :

ـ خف الله ، وخف من لا يخاف الله ، وخف لسانك فإنه عدوك على دينك يؤمنك الله جميع ما خفته .

● كتب بعض الحكام إلى رجل من اخوانه : ياأخى أحذر الموت فى هذه الدار قبل أن تصير إلى دار تتمنى فيها الموت ولا تجده .

قال سعد بن أبى وقاص لسلمان :

« أوصنى فقال له : أذكر الله عند همك إذا هممت ، وعند لسانك إذا تكلمت ، وعند حكمك إذا حكمت ، وعند يدك إذا بطشت . » .

النعـــيم

قال سفيان الثورى : ما بقى لى من نعيم الدنيا إلا ثلاث « أخ ثقة فى الله اكتسب فى صحبته خيرا ، إن رآنى زائغا قومنى أو مستقيما رغبنى ، ورزق واسع حلال ليست لله على فيه تبعة ، ولا لمخلوق علىّ فيه منة ، وصلاة فى جماعة أكفى سهوها وأرزق أجرها

دعـــاء

اللهم إنى أعوذ بك من دعاء لا يسمع وعلم لا ينفع ، وقلب لا يخشع ، ونفس لا تشبع ، أعوذ بك من شر هؤلاء الأربع .

من روائــع الماضــى.. بمجلة الأزهر

في الدين والفقه

التقــوى فى القــرآن

لصاحب الفضـيلة : الشـيخ محمود شـلتوت

عضو جماعة كبار العلماء*

إعـــداد وتقـــديم/ عبد الفتاح حسين الزيات

قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً : كتاب الله وسنتى » .

والقرآن الكريم ليس كتاباً يتلى فقط ولكنه يتدبر لينتفع به المؤمنون . قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾(١) وما ذلك إلا لأن القرآن فيه من التعاليم والتوجيهات والنصائح والإرشادات ما يرسم أفضل السبل إلى محبة الله ورضوانه ومن ذلك التقوى باعتبارها أساس أصيل فى البناء الإسلامى وسر من أسرار رضا الله عن العبد .. وباب من أبواب الخير فى الدنيا والآخر .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾(٢) .

وقال : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾(٣) .

قال الأستاذ الشيخ رحمه الله :

---

(١) سورة النساء آية ٨٢ . (٢) سورة الأعراف آية ٩٦ .

(٣) جزءان من الآيتين ٢ ، ٣ من سورة الطلاق .

* حل محلها ـ الآن ـ مجمع البحوث الإسلامية .

هـــدى القـــرآن :

بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (سورة الإسراء ـ آية : ١٠) .

يهدى للتى هى أقوم فيرشد فى العقيدة إلى ما يطهرّ القلب من الشرك والوثنية ، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

ويهدى للتى هى أقوم فى الأخلاق ، فيرشد إلى ما يزكى النفوس ويصلح من شأن الفرد والجماعة ، ويربط الناس برباط الرحم الإنسانى العام ، وذلك كالحلم ، والرحمة ، والصدق ، والصبر والوفاء ، والإحسان ، والجود ، وما إلى ذلك من الأخلاق التى لها الأثر الصالح فى تحقق الغرض السامى من جعل الإنسان خليفة فى الأرض يعمرها وينميها ، ويصل بها إلى الكمال المقدر لها فى نظام خالـــق الأرض والسمٰوات .

ويهدى للتى هى أقوم فى تنظيم الأسرة والجماعة فيضع الأحكام العملية ، أو يضع أصولها ، ويكلف الناس اتباعها فى تنظيم علاقتهم به سبحانه وتنظيم ما بينهم من علائق وصلات ، ومن ذلك أن عرض القرآن الكريم لأصول العبادات التى يغذى العبد بها إيمانه ، ويكون له منها سبيل لمراقبة مولاه واستشعار عظمته . وعرض لأحكام الزواج ، والطلاق ، وما يتبعهما من مهر ، ونفقة ، ورضاع ، ونسب ، وعدّة ، ووصية ، وإرث وما إلى ذلك مما يدخل فى دائرة الأحوال الشخصية وتنظيم الأسرة الإنسانية الفاضلة . وعرض لأحكام البيع والإجـــارة ، والرهن ، والمداينة ، والتجارة ، وما إلى ذلك مما يدخل فى دائرة المعاملات المالية التى هى عصب الحياة الاجتماعية القوية . وعرض لأحكام الجنايات كالقتل ، والسرقة والإفساد فى الأرض ، وهتك العرض ، والقذف وما إلى ذلك مما يدخل فى دائرة الجنايات ، ويقى المجتمع شرور المآثم ، ومعاول الهدم والفناء . وعرض لأحكام الحرب والسلم وما يتبعهما من غنائم ، وأسرى ، ومعاهدات ، مما يدخل فى دائرة الأحكام الدولية العامة ، وبه تحفظ الأمة عزتها ومكانتها بين الأمم . وعرض بعد ذلك كله لأصول الحكم ، ومصادر التشريع مما يدخل فى دائرة تنظيم إدارة الجماعة الإسلامية ، والتشريع لما تقتضيه أحوالها فى دائرة ما رسم الله من ذلك .

حثـه على النظر فى الكائنات :

ويهدى للتى هى أقوم من وجوه العظة والاعتبار التى يترسمها الإنسان فى حياته ويجعلها مناراً يسترشد به كلما نزل به خطب ، أو انحرفت به سبل ، وذلك بأمرين كثيراً ما عنى القرآن بهما ، ولفت الأنظار إليهما .

أولهما : الإرشاد إلى النظر والتدبر فى ملكوت السمٰوات والأرض وما خلق الله من شىء ، لتعرَّف أسرار الله فى كونه ، وإبداعه فى خلقه ؛ فتمتلىء القلوب إيماناً بوجوده وعظمتــه ، عن نظـــر واستدلال ، لا عن تقليد واتباع . وقد نعى القرآن كثيراً على هؤلاء الذين أهملوا عقولهم ، وألغوا فى أنفسهم خاصة الإنسان ، خاصة النظر والفكر ، وراحوا يلقدون الآباء والأجداد ، فى عقائدهم ، وعباداتهم ، ولـو كان آباؤهـم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون .

وبهذا الإرشاد فتح القرآن للناس باب البحث فى الكائنات ، والوصول إلى خواص الأجسام فى الأرض والسماء ، والماء والهواء ، لكى ينتفعوا بها فى حياتهم ، ويستخدموها فى التعمير والإنشاء ويكون ما يصلون إليه من ذلك وينتفعون به فى حياتهم الدنيوية مظهراً من مظاهر رحمة الله بالعباد .

القصص القرآنى والغرض منه :

وثانيهما : قصص الأولين ، أفراداً وأمماً ، محسنين ومسيئين . وقد أورد القرآن من ذلك ما يثير العظة

التقــوى فى

والاعتبار ، ويرشد إلى تعرف سنن الله التى ارتبطت بها معاملته لعباده وما كان لهم من عاقبة .

ونبادر فنقرر هنا أن مقصد القرآن من ذكر قصص الماضين لا يعدو الإرشاد إلى موضع العظة والاعتبار ، وإلى أن سنة الله فى معاملة خلقه سنة واحدة ثابتة فى جميع الأجيال والعصور وفى جميع الأجناس والأقاليم ، وأنها تسير بالناس على النظام الذى قدر لها من يوم أن خلق الله السمٰوات والأرض ، وهى فى ذلك لا تحابى جنساً على جنس ، ولا طائفة على طائفة ، فالكل عباد الله وهى سنة الله لعباد الله فمن شاء اتخذ إلى سنة الخير سبيلاً ، ومن شاء اتخذ إلى سنة الضلال سبيلاً .

ولم يذكر القرآن هذا القصص على أنه تاريخ يحدّد الزمان والمكان ، ويعيّن الأشخاص ، ويرتب الوقائع ، ويبين الأسباب والنتائج على نحو ما يألفه الناس من التاريخ وكتب التاريخ ، ولقد تكرر فى القرآن ذكر القصة الواحدة نزولاً على ما يقضى به السياق من جانب إحدى العظات التى تضمنتها القصة أو تشير أحداثها إليها ، وتبع ذلك الاختلاف ، شىء من الإختلاف فى التصوير والعبارة . وعلى الرغم من هذا ومن وضوحه فى القرآن الكريم قد شغل كثير من المفسرين أنفسهم ، وشغلوا الناس معهم بتحميل الآيات القصصية ما لم يرده الله منها ، وبذلك صرفوا الناس عن مقاصد العظة والاعتبار وبقيت الآيات تتلى ، لا ينتفع بها مؤرخ فى تحقيق تاريخى ولا ينتفع بها مؤمن فى عظة نفسية أو اجتماعية ، شأن المتكلمين ، والفقهاء ، والنحاة ، والبلغاء فى تناولهم تفسير القرآن مع إهمالهم جوانب التزكية النفسية والإرشاد إلى ما تطلبه الحياة ويشير إليه القرآن من وسائل السعادة . شغلت كل طائفة من هذه الطوائف نفسها وشغلت الناس معها فى صرف القرآن عن هدايته العامة ، الثابتة ، المطردة ، إلى وجوه من النظر والجدل ، لا يبتغون من ورائها سوى أن القرآن يؤيد رأيهم ، أو يشهد لمذهبهم أو أنه ينطبق على ما وضعوا للنحو والبلاغة من قواعد ، وما إلى ذلك مما لا يدخل فى دائرة ﴿ للتى هى أقوم ﴾ التى يهدى إليها القرآن .

هذا وقد ضل فريق من الناس فحملوا القصص القرآنى على التخييل والتمثيل الذى لا واقع له فى الحياة ، وزعموا أنه إنما قصد به غرس فكرة وراء ما تدل عليه الألفاظ بمعانيها اللغوية المعروفة ، أو مشايعة الواقع النفسى الذى كان سائداً عند الحاضرين استغلالاً لمعلوماتهم ــ وإن لم تكن صحيحة ــ فى سبيل تأييد الدعوة التى جاء بها القرآن ، وبذلك عرّض هؤلاء القرآن لما تأباه قدسيته ويأباه صريح آياته .

عبارات القرآن عن هدى القرآن :

وهذا الذى يهدى إليه القرآن فى ظاهر الحياة وباطنها ، فى العقائد والعبادات ، فى سنن الله الكونية ،

القرآن

فى سننه الاجتماعية ، ويطلب من عباد الله أن يتخذوه سبيلاً لسعادتهم فى الدنيا والآخرة ــ فى أنفسهم ومجتمعهم ــ هو ما يعبر عنه القرآن كثيراً « بالإيمان والعمل الصالح » . ويعبر عن امتثال الأمر فيه ، والأخذ به ، والتزامه ، بكلمتى : « الإحسان والتقوى » . ويعبر فى مقام التنويه بشأن القائمين به ، العاملين عليه ، فيما يختص بمكانتهم من عز الحياة وسعادة الآخرة بكلمات : « المؤمنين » و « المحسنين » ، و « المتقين » تنفرد الواحدة منها مرة ، وتجتمع مع صاحبة لها أخرى ، وذلك إشارة إلى ما بينها من تضامن وتعاون فى تقرير مبدأ السعادة التى رسمت سبلها هداية القرآن الكريم .

وإن من يتتبع هذه الكلمات ذات الأثر المادى والروحى فى العالم ليجد أوسعها شمولاً ، وأبعدها مرمى ، وأعمقها فى سر الإصلاح كلمة « التقوى » . يقيد بها الإيمان ، ويؤكد بها الإحسان ، وكأنها الأساس الذى يحفظ للإيمان كيانه ، وللإحسان جوهره ؛ فهى بمادتها ، تصور الكمال الإنسانى فى قوتيه : العلمية والعملية ، الذى ربطت به سعادة الإنسان فى دنياه وأخراه ، ولا نجد كلمة تبعث فى القلوب معانى الخير ، وتملأ النفوس سكينة وطمأنينة ، وتجعل الإنسان فى حصن من عوامل الأذى والسوء ، ومنابع الشرور والمآثم مثل كلمة « التقوى » .

« التقوى » فى القرآن الكريم » :

وقد رأيت أن يكون أول ما أطالع به قراء مجلة الأزهر فى عهدها الجديد ، فى جانب التحدث عن موضوعات القرآن ، وما يهدى إليه القرآن ، هو موضوع « التقوى فى القرآن الكريم » راجياً من الله أن يجعل تقواه بمثابة عهد بيننا وبينهم فيما نكتب وفيما يقرأون ، يتعاون به الفريقان على ما يحب الله لعباده من خير وسعادة ، وإخلاص وصفاء على أساس من البر والتقوى .

« التقوى » من الكلمات التى ظلمها الناس :

ويجدر بنا أن نشير قبل الكلام على « التقوى » فى القرآن ، إلى أن كلمة التقوى مع ما لها من المعنى المحقق لعوامل الخير . القاضى على عوامل الشر فى جميع نواحى الحياة ــ من الكلمات التى ظلمها الناس فسلخوها عن معناها العظيم إلى معنى دونه يأبى كثير من الناس أن يضاف إليه أو يوصف به ، وقد قرر الغزالى رحمه الله أن كلمات : الفقه ، والعلم ، والتوحيد ، والتذكير ، والحكمة ، قد حرفت عن معانيها المحمودة ونقلت فى عرف الناس إلى أخرى مذمومة ، وصارت القلوب تنفر ممن تطلق عليهم هذه الكلمات .

والفقه :

صارت كلمة « الفقه » فيما قرره الغزالى إلى « تفريعات الطلاق ، وصور الأيمان والعتق المفروضة ، ووجوه السلم ، وغير ذلك مما لا يحصل به إنذار ولا تخويف ؛ بل مما كان التجرد له ، والاستكثار منه ، وحفظ المقالات المتعلقة به يقسّى القلب ، وينزع الخشية منه ، صارت إلى هذا بعد أن كانت عنواناً على معرفة دقائق آفات النفس ، ومفسدات الأعمال ، وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا ، وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة مع امتلاء القلب بخوف الله ورجائه .

والعلم :

وصارت كلمة « العلم » فيما قرر إلى الاشتغال بمناظرة الخصوم فى المسائل الفقهية والكلامية ، فيقال

التقــوى فى

هو العالم على الحقيقة ، وهو الفحل فى العلم لمن يتقن هذا النوع من المناظرة ، أما الذى لا يمارسه فإنه لا يعد فى زمرة أهل العلم » .

صارت كلمة « علم » فى عهد الغزالى إلى هذا بعد أن كانت خاصة بإدراك جلال الله وجماله ، عن طريق تفهم أسراره فى الخلق ، واستشعار عظمته . وقد بعد التحريف لكلمة « العلم » فى عرف الذين جاءوا من بعده ، وصارت الكلمة إلى الاشتغال بتحليل عبارات المؤلفين المعقدة ، والاستكثار من الأسئلة والأجوبة حول صحتها وفسادها ، ومنطوقها ومفهومها ، وصريحها وإشارتها ، وغير ذلك مما لايمت بأوهى الأسباب إلى معنى كلمة « العلم » الذى عرفه الأوائل ، ودل عليه القرآن ، وأرشدت إليه درجات الذين أوتوه عند الله .

والتوحيــد :

وصارت كلمة « التوحيد » اسماً « لصناعة الكلام ، ومعرفة طرق المجادلة ، والقدرة على التشدق بتكثير الأسئلة وإثارة الشبهات ، وتأليف الإلزامات ، مع أن جميع ما هو خاص بهذه الصناعة لم يكن يعرف شىء منه فى العصر الأول ؛ بل كان يشتد منهم النكير على من كان يفتح باباً من الجدال والمماراة ، وكان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين ، وإن فهموه لم يتصفوا به ، وهو أن ترد الأمور كلها لله ، وأن يُرى أنه الصمد المعبود الذى لا يعبد غيره ، ولا يستعان بسواه ؛ فالتوحيد منبعه القلب ، ومترجمه اللسان والعمل » .

والتذكيــر :

وصارت كلمة « التذكير » إلى « ما اعتاده أكثر الوعاظ فى هذا الزمان من القصص والأشعار والشطح بعد أن كان اسماً للتذكير بعيوب النفس وآفات الأعمال ، ومداخل الغرور والشيطان إلى القلب ، والتذكير بنعماء الله وآلائه » .

والحــكمة :

وصارت كلمة « الحكمة » إلى « الطب ، والشعر والتنجيم » والحكمة هى التى أثنى الله عز وجل عليها بقوله ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ .

تحدث الغزالى عن ذلك كله فى سياق حديثه عن تلبيس علماء السوء ، وجعل من وسائل هذا التلبيس نقلهم الألفاظ التى شرف معناها ، ونبلت غايتها ، إلى ما رأوا من المعانى التى تحقق لهم أغراضهم فى صرف الناس عن لب المعارف ، وجوهرها الصافى ، حتى لا يرونهم وهم يختفون خلفها فى الوصول إلى ما يبتغون .

التقوى أشدها ظلماً :

وإذا كان الغزالى قد رأى ذلك فى تلك الكلمات ، وأن الناس حرفوها بأغراضهم الفاسدة إلى معان ومدلولات ، هى دون ما عرف لها من معان ـ فإنى أرى أى ما أصاب هذه الكلمات فى رأى الغزالى وفى

القرآن

زمنه من هذا التحريف السقيم والتصوير الفاسد قد أصاب كلمة « التقوى » ؛ بل أقرر أن ما صارت إليه كلمة التقوى أبعد عن الحقيقة وأبعد فى الذم ، مما صارت إليه هذه الكلمات التى لم تقطع صلة معانيها الجديدة بمعانيها الأصلية ، والتى لم ترد فى القرآن على هذا النحو الكثير ، البيِّن ، الواضح الذى وردت به كلمة التقوى ، وحدَّد سمو معناها ، وعظم آثارها ، وكانت به جديرة أن تظل فى حصنها المنيع ووقايتها القوية ، من أن ينالها تحريف أو تبديل ؛ ولكن يبدو أن موجة التحريف قد اشتدت وطغت حتى استطاعت نقل كلمة « التقوى » من حصنها المنيع ، إلى هذا الذى صارت إليه فى تقدير الناس وعرفهم ، صارت إلى مزيج كريه تتألف عناصره من همهمة ، وتسبيح ، وانحناء ، وتماوت فى المشية والكلام ، تصحبه نظرات خاصة ، وسمت خاص ، وكلمات معينة ، ترسل فى مناسبات معينة ، مع تكلف التحسّر والتباكى ، على الأخلاق ، وعلى الدين . ومع شدة اللوم والتقريع لكل من تحدثه نفسه بالخروج على هذا المزيج فى شىء من مظاهره التى حُدد بها معنى « التقوى » أو جعلت علامة عليها .

ظالموهـــا :

صارت كلمة التقوى إلى هذا المزيج الكريه الذى ألف عناصره صنف من الناس ، يدعون لأنفسهم الاختصاص بالغيرة على دين الله ، وعلى أحكام الله ، ويلوحون فى وجوه الناس بهذه الصورة الجافة ، الجامدة ، الرهيبة ، التى لا تسمح بتفكير ولا مناقشة ، ولا مخالفة ، فى شىء مما رسموا لأنفسهم . وقد أحدثوا بنزعتهم تلك ، انقساماً وتفرقاً فى صفوف المتدينين ، واحتكروا الحكم على عباد الله فى التدين ، وأخرجوا جميع من سواهم من صفوف المتقين ، حتى نفروا الناس من معنى الدين ، ومن معنى التقوى ، وصارت « التقوى » ، ذات الجلال والجمال من الكلمات التى يأنف كثير من الناس أن يوصف بها أو تطلق عليه . ولكن من حسن الحظ أن هذا التحريف الذى أصابها اقترن فى نفوس أربابه بما يدل على فساده ، اقترن بكثير من الخلال الفاسدة التى تأباها الإنسانية الفاضلة ، والصبغة النقية البريئة ، ويمقتها دين الله ؛ وتجعلهم فى منآى بعيد عنه فهم لا يعرفون التقوى ولا الحلم ولا الصفح ، ولا المودة ولا الرحمة ، ولا البذل ولا العطاء ، ولا التعاون فى بناء المجد وتقدم الأمة ، ولا غير ذلك من الأخلاق الفاضلة التى جاء الدين لتقويتها ، وتركيزها ، وإتمامها ، كعمد قوية للإصلاح البشرى فى فرده ومجتمعه .

ما أبعد « التقوى » عن هذه المظاهر التى يحاول أرباب الأغراض الفاسدة أن يضعوها بإزائها ، ويجعلوها عنواناً لها ودالة عليها ! إنها بعيدة عنها فى معناها ، فى بواعثها ، فى مظاهرها ، فى أثرها النفسى والقلبى ، فى أثرها المادى ، فى جزائها الأخروى عند الله .

مواطن الحديث عنها فى القرآن :

تحدث القرآن عنها هكذا فى معرض دعوة الخلق إلى الهداية الإلهيّة ، وفى معرض الهدى والفلاح ، وفى معرض البر والصدق ، وفى معرض النصر والتأييد ، وفى معرض الولاية بين الله وعباده ، وفى معرض حصانة النفس من نزغات الشيطان والهوى ، وفى معرض النفع والانتفاع ، وفى معرض تفريج الأزمات وحل المشكلات ، وفى معرض الرحمة الإلهية الخاصة ، وفى معرض السلامة من آثار الفتن العامة ، تطهر النفس من آثار السيئات ، وفى معرض التيسير للخير ، وفى معرض التمتع بخيرىْ الدنيا والآخرة ، وعلى الجملة تحدث عنها فى معرض السلامة من كل شر والحصول على كل خير .

العلـــوم الكـــونية

قراءة إسلامية فى كتاب الكون

التقـــويم القمـــرى

اللغـــز العجيـــب

الجـديد فى العـلم والتقنيـة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ (1) تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ (2) إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ (3) وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ
لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ (4) وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ
يَعۡقِلُونَ (5) تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ
بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ (6)

١ – ٦ الجاثية

قراءة إسلامية في كتاب الكون

أ.د / أحمد فؤاد باشا

قـــراءة إســـلامية فـــى كتـــاب الكـــون

بهذه الآيات البينات ، ومثلها كثير فى القرآن الكريم وفى السنة النبوية المطهرة ، جاءت رسالة الدين الإسلامى الخاتم لكى توقظ العقول النائمة ، وتبصرها بالدلائل المبثوثة فى الآفاق ، وفى الأنفس وفى كل شىء ، تدل على الخالق الوحيد – جل شأنه – وتشرح أوصافه الجليلة .. ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾(١) .

ولقد أودع الله سبحانه وتعالى فى الإنسان فطرة نقية كريمة ، وزوَّده بملكات ووسائل إدراكية صالحة ، يستطيع بها معرفة الحقائق الكبرى فى هذا الوجود . فالفطرة الإنسانية المؤمنة تتوجه إلى الكون لتكشف ما فيه من قصد وإبداع ، وتنتهى إلى إدراك مكانها من هذا الوجود وتحديد كيفية سلوكها فيه . والعلم النافع الذى يحصله الإنسان من دراسته لظواهر الكون والحياة لا بد أن يؤتى ثماره فى تعميق الإيمان الخالص وترسيخ العقيدة الإسلامية على هدى وبصيرة . فالإيمان حاجة فطرية ، كما أنه حاجة عقلية لا يملك الإنسان أن يستغنى عنها ، لأنها مركوزة فى كينونته وهو مفطور عليها ، وفى آية الميثاق ما يشير إلى هذه الحقيقة ، حيث يقول عز من قائل : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾(٢) بل إن الكون كله مفطور على الإيمان بالله رب العالمين ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾(٣)

والقلوب المؤمنة هى وحدها التى تستشعر هذه الحقيقة يشاركها إيمانها وتسبيحها وصلاتها وحمدها للخالق المنعم المتفضل القوى القهار الجبار ، إنها لا تصارعه ولا يصارعها .. إنها منه ، وإنه منها كذلك فى الاتجاه إلى الله الواحد الذى يحكم بإرادته ومشيئته حركة الكون والحياة .. إنه فيما يقول بعض المفسرين تصوّر جميل ، فوق أنه تصور مريح ، وفوق أنه تصور صحيح .

وإذا كانت وثبات العلم قد تحققت مع إدمان النظر فى ظواهر الكون والاعتراف من إسراره وكنوزه التى أودعها الله فيه وسخرها لخدمة الإنسان ، فمن العجيب أن يتوقف الغافلون عند حد الدراسة « الآلية » للظواهر الكونية ولا يعبرونها إلى اكتشاف خفايا النواميس الإلهية وإدراك الحكمة البالغة فى دقيق صنع الله :

﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾(٤) . ومن لم ير من السماء إلا رزقها ، ومن الأرض إلا غبرتها ، فهو مشارك للبهائم فى ذلك وأدنى

---

(١) سورة فصلت : ٥٣
(٢) سورة الأعراف : ١٧٢
(٣) سورة الإسراء : ٤٤
(٤) سورة الروم : ٧

حالا منها وأشد غفلة كما قال تعالى :
﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾(٥)

هكذا يرفع الإسلام من شأن العلم ، ويجعله الأساس فى فهم العلاقة الصحيحة بين الله والكون والإنسان ، بل إنه طالب فى أول آيات القرآن الكريم التى نزلت على سيد المرسلين أن يمتثل المسلمون للأمر الإلهى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾(٦) ، بكل دلالته ومعانيه الإسلامية ، ولو فرق فى ذلك بين قراءة كلمات الله القرآنية فى كتابه المسطور ، وقراءة كلماته الكونية فى كتابه المنظور ، ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾(٧) . فالقرآن الكريم لا يكاد يدع موطنا فى الكون دون أن يطوف بالإنسان خلاله ، ويستثير فيه النظرة المتأملة المستقصية ، وبلغت أصحاب العقول الراجحة وذوى القلوب المؤمنة إلى المنهج الصحيح فى التعامل مع الكون وإستقراء لغته وإشاراته ، باعتباره كتاب معرفة لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ، فتلهج ألسنتهم مع قلوبهم ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾(٨) .

يقول المشتغلون بالعلم أن أربعة أخماس السطح المنحنى للكرة الأرضية التى نعيش عليها مغمور بالماء ، وأن الجاذبية مغمور بالماء ، وأن الجاذبية الأرضية هى التى تحفظ إستقرار هذا الماء فى الفضاء الكونى لا ينسكب عن يمين ولا شمال ، مقوسا لا مستويا كما تألف فى مقادير المياه المستعملة بين أيدينا ، أما العالم المؤمن الموصول بخالقه فلا يقف عند هذا التفسير المحدود بحدود العلم البشرى ، بل إنه يلجأ إلى التحقق بالرؤية القرآنية المتجاوبة مع فطرة الخلق ، ويهتدى ببصيرته إلى مسبب الأسباب الذى أسكن الماء فى الأرض وكف أمواجه عن الإنسكاب هنا وهناك ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾(٩) .

وعندما نتأمل الدورة التى تسلكها المياه بين الأحياء نجد فى تكرارها وتجددها ما هو جدير بالنظر والإعتبار ، فنحن نشرب ، ودوابنا وزروعنا تشرب ، نشرب كلنا من مياه الأنهار والينابيع التى هطلت من السحب القادمة من البحار والمحيطات ، ثم تذوى الأجسام والزروع ، ويتسرب ما بها من ماء ، عائدا من حيث جاء سالكا ألف فج ، ليتكون مرة أخرى سحبا وأمطارا وينابيع وأنهارا ، وهكذا دواليك تبقى الحياة مع قدر مضبوط من الماء لا يزيد ولا ينقص . ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ۝ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴾(١٠) .

وإذا تجاوزنا حديث المياه إلى حديث الكواكب والنجوم والمجرات نجد أن المتحدثين بلغة العلم البشرى المحدود يتيهون صلفا وغرورا بما توصلوا إليه من اكتشاف نوع من القوى الجمالية التى تعمل وفق قانون محدد على حفظ الإتزان الكونى والإمساك بالأجرام السماوية فى أفلاك ثابتة . **أما أولو الألباب الموصولون بكتاب الإسلام** الخالد فيرون أبعد من هذا بكثير عندما يقرأون قوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ** ﴾(١١) . وقوله جل شأنه ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا** ﴾(١٢) . فالقرآن الكريم يمنح أتباعه رؤية شاملة ومنهجا متماسكا متكاملا لا يفصل بين المادة وما ورائها ،

---

(٥) سورة الأعراف : ١٧٩

(٦) سورة العلق : ١

(٧) سورة يس : ٨٢ .

(٨) سورة آل عمران : ١٩١

(٩) سورة المؤمنين : ١٨

(١٠) سورة الحجر : ٢١ — ٢٢

(١١) سورة الرعد : ٢

(١٢) سورة فاطر : ٤١

قـــراءة إســـلامية فـــى

كتـــاب الكـــون

أو بين العلوم الجزئية وغاياتها الكلية ، أو بين السرائر الباطلة والمشاعر الحسية ، فهو يؤسس عقيدة التوحيد من خلال عرضه لمشاهد الكون وحقائقه[1] . والباحث المسلم بحق هو الذى يتخذ من عقيدة التوحيد الإسلامى أساسا للنظر الصائب فى حقائق الوجود ، ويفهم شهادة التوحيد ، أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فى إطارها الشامل الذى يجمع بين وحدة النظام فى بناء الذرة وبناء المجموعة الشمسية ، وبين وحدة الحركة فى طواف « السيتوبلازم » حول نواة الخلية الحية ، وطواف الالكترونات حول نواة الذرة ، وطواف الأقمار حول كواكبها ، وطواف الكواكب حول الشمس ، وطواف المسلمين حول الكعبة المشرفة . فمن كانت عقيدته هى « التوحيد الإسلامى » فإنه يجد لديه دافعا أقوى مما يجد سواه نحو أن يبحث دائما عن الوحدة التى تؤلف بين الكثرة أيا كان الموضوع ، فيبحث عن محور الوحدانية فى الشخصية الإنسانية برغم اختلاف الجوانب الكثيرة فى حياة الفرد الواحد واختلاف العلوم الباحثة فى تلك الجوانب ، وكذلك يبحث عن محور الوحدانية فى الكون بأجمعه مجتمعاً فى وجود واحد . وأينما دققنا النظر فى جنبات هذا الكون الفسيح فسوف نجد آثارَ الوحدة ومظاهرها ودلائلها من خلال التشابه والتماثل اللذين هما من سمات الخلق فى هذا الوجود الذى أبدعه الله على أعلى درجة من الترتيب والنظام والجمال ، مما يترتب عليه بالضرورة جعل وحدانية خالق الكون يقينا إيمانيا خالصا ، يؤكد أهمية المعنى والغاية ، ولا يفصل بين العلم والحكمة ، بمعنى أن لا يفصل بين تحليل العلاقات التى تصل الأشياء بعضها ببعض ، وبين ربط هذه العلاقات الجزئية مع « الكل » الذى يكسبها معنى . وهنا يكون العلم من وجهة النظر الإسلامية دنيويا بعلاقاته مع الأشياء ويكون فى نفس الوقت دليلا عقليا إلى الإيمان بالله .

ويكفى أن نستشهد بأقوال بعض العلماء الذين نهجوا منهجا علميا سليما فى فكرهم العقدى تلبية لحاجتهم الفطرية والعقلية ، وبعيدا عن أوهام الفلسفات الوضعية

---

(١) راجع فى ذلك للشيخ محمد الغزالى : المحاور الخمسة للقرآن الكريم (دار الصحوة) القاهرة ١٩٨٩ . راجع لفضيلته أيضا : كيف نتعامل مع القرآن ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م .

الإلحادية . فهذا هو « مارين ستالمى كونجدن » وعضو الجمعية الأمريكية الطبيعية ، يقول : « ما فى الكون يشهد على وجود الله ويدل على قدرته وعظمته ، وعندما نقوم نحن العلماء بتحليل ظواهر الكون ودراستها حتى باستخدام الطريقة الاستدلالية ، فإننا لا نفعل أكثر من ملاحظة أيادى الله وعظمته . ذلك هو الله الذى لا نستطيع أن نصل إليه الوسائل العلمية المادية وحدها ، ولكننا نرى آياته فى أنفسنا ، وفى كل ذرة من ذرات هذا الوجود ، وليست العلوم إلا دراسة خلق الله وآثار قدرته »[١٤] .

أما « بول كليرانس ابرسول » ، أستاذ الفيزياء الحيوية فيقول : « لا شك أن تطلع الانسان إلى البحث عن عقل أكبر من عقله ، وتدبير أحكم من تدبيره ، لكى يستعين به على تفسير هذا الكون ، يعد فى ذاته دليلاً على وجود قوة أكبر وتدبير أعظم هى قوة الله وتدبيره .. وبرغم أننا نعجز عن إدراكه إدراكا كليا ، أو وصفه وصفا ماديا ، فهناك مالا يحصى من الأدلة المادية على وجوده تعالى ، وتدل أياديه فى خلقه على أنه العليم الذى لا نهاية لعلمه ، الحكيم الذى لا حدود لحكمته ، القوى إلى أقصى حدود القوة .

وعندما تحدث « جورج هربت يلونت » ، أستاذ الفيزياء التطبيقية ، وكبير المهندسين بقسم البحوث الهندسية بجامعة كاليفورنيا ، وعن « منطق الإيمان » كتب يقول : « إننى أؤمن بالله ، وأكثر من ذلك فإننى أكل إليه أمرى ، ففكرة الألوهية بالنسبة لى ليست مجرد قضية فلسفية ، بل إن لها فى نفسى قيمتها العلمية العظمى ، وإيمانى بالله جزء من صميم حياتى اليومية »[١٥] .

ودونما أستطراد فى سرد أقوال العديد من « العلماء الحقيقيين » ، فإننا نأتى الى صاحبى الكتاب ذائع الصيت « العلم فى منظوره الجديد » الذى انبثق حديثا من قلب حضارة العصر المادية ليخاطب جميع المثقفين والمفكرين الذين يروقهم أن يجمعوا التأمل والتفكير إلى الإيمان الخالص السليم ، وفيه يسعى المؤلفان إلى إثبات وجود الله تعالى وبيان الحكمة والغاية من إبداع الكون وخلق الإنسان[١٦] .

وإذا كانت هذه الاعترافات لكبار العلماء تؤكد أنهم يلحظون يد الله الخالق سبحانه وتعالى فى كل ما خلق ، فإننا لا نملك إلا أن نسجد شكرا لله ﴿ **الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ** ﴾[١٨] وأن نحمده جل وعلا صباح مساء على نعمة الإسلام ، وأن نضرع إليه سبحانه فى شهر القرآن العظيم أن يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم .

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۝ (١٨)

« صدق الله العظيم »

---

(١٤) راجع فى ذلك كتاب « الله يتجلى فى عصر العلم » ترجمة د. الدمرداش عبدالمجيد سرحان (مؤسسة الحلبى) وشركاه ١٩٧٢ ، وكتبا أخرى مثل :ـ

ـ العلم يدعو للإيمان ، تأليف ا . كريسى موريسون ، ترجمة محمود صالح الفلكى ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٥ .

ـ الإسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ، الترجمة العربية ، المختار الإسلامى ، القاهرة ١٩٧٧ .

(١٥) نفس المرجع السابق .

(١٦) يرى كاتب المقال أن العلماء الحقيقيين هم الذين ينطبق عليهم قوله تعالى : ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ (سورة فاطر : ٢٨) ، أما من عدا هؤلاء فهم مجرد باحثين أو مشتغلين بالعلم لم يرتقوا بعد الى درجة العلماء ، وبالنسبة لكتاب « العلم فى منظوره الجديد » ، تأليف : روبرت م. أغروس وجورج ن. ستانسيو ، ترجمة د . كمال خلايلى ، عالم المعرفة الكويت ١٩٨٩م . فقد سبق أن عرضنا له بالتحليل والمناقشة فى مجلة الأزهر ، عددا رمضان وشوال ١٤١٠هـ ، وفى مجلة المسلم المعاصر ع٦٠ (١٩٩١) .

(١٧) سورة السجدة : ٧

(١٨) سورة آل عمران : ٨

التقويم القمرى وتحديد أوائل الشهور الهجرية

دكتور / زين العابدين متولى متولى*

من أهم الظواهر الفلكية التى تلازم التقويم القمرى إثبات مولد الهلال لتحديد أول الشهر العربى .

فالقمر طوال الشهر يبتعد عن الشمس شيئا فشيئا إلى ناحية الشرق ، وتزداد الفترة بين موعد غروبه ووقت غروب الشمس تبعا لذلك حتى يصير بدرا . وحينئذ يشرق القمر مع غروب الشمس ، أى يكون فى ناحية والشمس فى الناحية الأخرى . وفى النصف الثانى من الشهر العربى يصبح غروبه أثناء النهار ويتأخر بالتدريج إلى ساعات الضحى ، ثم إلى الظهر ، وهكذا حتى يكون قد أتم دورة كاملة ويصبح واقعا بين الأرض والشمس . وحينئذ يكون نصفه المواجه للشمس مضيئا ونصفه المواجه للأرض مظلما . وهذا ما يسمى « بالاجتماع » الذى بعده مباشرة يبدأ القمر فى الابتعاد عن الشمس . وينتج عن ذلك أن يبدأ النصف المواجه للأرض فى الاستضاءة ويصبح على هيئة جزء هلالى يسمى « بدرا » أو (قمر ١٤) وبعد ثلاثة أسابيع يسمى « التربيع الثانى » ، ثم عند أكتمال الشهر القمرى يسمى « محاقًا » .

ونحن لا نرى من القمر إلا وجها واحدا فقط ، لأن زمن دورانه حول الأرض يساوى تماما زمن دورانه حول محوره . فإذا كان القمر مثلا يدور حول الأرض فى شهر قمرى فيكون طول اليوم القمرى مساويا للشهر القمرى ، أى يكون طول النهار القمرى أسبوعين وكذلك طول الليل القمرى أسبوعين .

• استطلاع الهلال وإمكانية الرؤية

واللحظة التى يولد فيها الهلال الجديد هى لحظة واحدة لجميع سكان الكرة الأرضية ، ومن الممكن أن تقع فى أى وقت سواء بالليل أو بالنهار . فإذا ولد الهلال مثلا فى الساعة الثانية عشر ظهرا على حسب توقيت القاهرة يكون

* الكاتب أستاذ بقسم الفلك والأرصاد الجوية بكلية العلوم جامعة القاهرة .

بالنسبة لجميع سكان الأرض من شرقها إلى غربها قد ولد هلال جديد ، وإن كان الوقت فى تلك اللحظة مختلفا من مكان لآخر . ويعنى هذا أن هناك بلادا يحدث فيها غروب الشمس قبل أن يولد الهلال الجديد ، وبلادا أخرى يكون لديها الفرصة لرؤيته بعد غروب الشمس مباشرة ، وكلما كان البلد غرب المكان الذى ولد فيه القمر الجديد كانت الفرصة أقوى لرؤيته ، فإذا ولد الهلال فى السعودية مثلا فسوف تكون فرصة رؤيته أقوى فى البلاد الإسلامية التى تقع غرب المملكة العربية السعودية ، أما البلاد التى تقع فى شرقها فإنها لا تستطيع رؤيته . وهذه مشكلة تقابلنا عند تحديد أوائل الشهور العربية حيث أنه يمكن رؤية الهلال الجديد فى بلد ما دون الآخر .

من ناحية أخرى ، تتوقف رؤية الهلال على مقدار استضاءته عند غروب الشمس ، وهذا بالطبع يتوقف على الفترة التى مرت منذ مولده ، وعلى البعد الزاوى للقمر نفسه عن الشمس وعن الأرض ، وفى مؤتمر أنقرة الأخير تم الاتفاق على تحديد هذا البعد بثمانى درجات . وهذا البعد الزاوى يستلزم وقتا بعد ميلاد القمر فلكيا . وتختلف قيم هذا الوقت من فصل إلى آخر وعلى ذلك يجب علينا أن نحدد الفترة التى يمكن الرؤية خلالها بعد غروب الشمس وفترة مكوث القمر .

أن شدة استضاءة السماء فى المنطقة التى بها الهلال الجديد تكون عادة قوية ساعة الغروب ، وذلك لأن الشمس على الرغم من كونها تحت الأفق إلا أنها تحدث الشفق الأحمر الذى يسبب عدم رؤية الهلال .

ليست فقط المشاكل السابقة هى التى تجعل ثبوت الهلال ممكنا فى بلد ما دون بلد آخر ، فلابد أيضا من اعتبار حالة الجو فى ذلك الوقت فى المنطقة التى يراد أن يرى الهلال بها ، حيث يعمل الضباب والشابورة والسحب الخفيفة وغير الخفيفة على حجب جزء من الهلال .

رصد حركة .. القمر

من المعروف أن القمر يدور دورة كاملة حول الأرض $\frac{1}{3}$ ٢٧ يوما شمسيا ، أى كل ٢٧ يوما و ٧ ساعات و ٤٣ دقيقة و ١١,٩ ثانية تقريبا .

وإذا افترضنا أننا رأينا القمر الساعة الثامنة مساء قريبا من نجم ما ، وكانا على خط واحد شمالا وجنوبا ، فبعد ثلاث ساعات نرهما قد مالا إلى الغرب كلاهما . ولكن القمر يتأخر قليلا عن ذلك النجم وسائر النجوم التى كانت قريبة منهما ، وإذا غاب النجم الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، فإن القمر لا يغيب فى الساعة الثانية بل بعدها بنحو ربع ساعة .

وإذا رصدناه فى الليلة التالية الساعة الثامنة مساء نراه قد ابتعد عن نفس النجم السابق شرقا ثم نرى أنه يغيب بعده بأكثر من ساعة .

وإذا واظبنا على مراقبته نراه يعود إلى الاقتران بالنجم نفسه بعد نحو شهر من الزمان ولا يعلل ذلك إلا أنه كان ينتقل شرقا وقد دار حول الأرض دورة كاملة هذه المدة فهذا سبب تغيير موقعه فى السماء يوما بعد يوم ومن هنا يمكننا أن نتبين حركة القمر والأرض حول الشمس .

ونظرا لدوران الأرض حول الشمس فى شكل بيضاوى تكون الشمس فى إحدى بؤرتيه ، فإن سرعة الأرض تتغير على حسب قربها وبعدها عن الشمس وتدل الحسابات على تغير طول الشهر القمرى على حسب وقوعه فى الشهر الميلادى .

النقويم القمرى وتحديد أوائل الشهور الهجرية

الشهر الميلادى	طول الشهر القمرى	الشهر الميلادى	طول الشهر القمرى
ينايـــر	٢٩,٥٦٧٧١	يوليـــو	٢٩,٥٣٧٥٣
فبرايـــر	٢٩,٥٨٧٤٨	أغسطـــس	٢٩,٤٧٣٢٦
مـــارس	٢٩,٦٩٥٤٥	ســبتمبر	٢٩,٤٧٠٩٧
ابريـــل	٢٩,٦٧٧٠٩	أكتوبـــر	٢٩,٤٠٦٩٤
مايـــو	٢٩,٦٧٠١٤	نوفمبـــر	٢٩,٤٦٣٨٩

وبذلك يكون متوسط طول الشهر العربى ٢٩,٥٥٠٣٣٩ يوما . وإذا أردنا معرفة عدد الأيام فى مدة ٣٠٩ سنة قمرية يكون ٣٠٩ × ١٢ × ٥٥٠٣٣٩ = ١٠٩٥٧٢,٦٦ يوما . وبما أن طول السنة الميلادية ٣٦٥,٢٤٢٢ يوما فيكون عدد الأيام فى ٣٠٠ سنة ميلادية هو : ٣٠٠ × ٣٦٥,٢٤٢٢ = ١٠٩٥٧٢,٦٦ يوما أى أن عدد الأيام الموجودة فى ٣٠٠ سنة ميلادية يساوى تماما عدد الأيام الموجودة فى ٣٠٩ سنة قمرية .

ويمكن استخدام أطوال الشهور القمرية السابقة لتعيين ميلاد القمر لعدة شهور قادمة إن شاء الله ، مع الأخذ فى الاعتبار أنه إذا ولد الهلال قبل الساعة الثامنة بتوقيت « جرينتش » يكون اليوم التالى هو أول الشهر العربى ، وإذا ولد بعد هذا الزمن يكون بعد غد هو أول الشهر .

•كيفيــة معرفــة ميــلاد القمــر؟

لقد تم عمل حسابات إحصائية لتحديد أعمار القمر فى يوم واحد يناير الساعة صفر فى الفترة ما بين ١٩٠٠ حتى ٢١٩٩ م والطريقة كالآتى :

١ ـ معرفة العدد الذهبى ويمكن معرفته بإضافة واحد إلى السنة وقسمتها على ١٩ فيكون الباقى هو العدد الذهبى .

٢ ـ يُطرح من العدد الذهبى واحد وتضربه فى (١١) وتقسمه على ٣٠ فإذا ما تبقى عدد ما نطرح منه واحدا فيكون الناتج هو عمر القمر الساعة صفر فى أول يناير .

ومثال ذلك ، إذا أردنا معرفة عمر القمر أول يناير الساعة صفر فى عام ١٩٩٢ يُقسم هذا الرقم على ١٩ بعد إضافة واحد أى ١٩٩٣ . يكون الناتج ١٠٤ والباقى ١٧ وهذا هو العدد الذهبى ويكون عمر القمر هو $\frac{١١ (١٧ - ١)}{٣٠}$ = $\frac{١٧٦}{٣٠}$ = ٥ والباقى ٢٦ فيكون عمر القمر الساعة صفر يوم واحد يناير هو ٢٥ يوما .

العدد الذهبى	عمر القمر أول يناير الساعة صفر	الجزء المضاء من سطح القمر بالنسبة لمساحته الكلية
١	٢٩	,٠٠٠٣٤
٢	١٠	,٣٦٣٦٧
٣	٢١	,٦٣٧٣٦
٤	٣	,٠٤٤٥٣
٥	١٣	,٩٦٤٨٠
٦	٢٤	,٣٠٩٦١
٧	٥	,٣٥٦٩٣
٨	١٦	,٩٨٣١٤
٩	٢٧	,٠٧١٧٣
١٠	٨	,٥٦٤٩٦
١١	١٩	,٨١١٤٦
١٢	صفر	,٠٠٠٠٠
١٣	١١	,٨٤٧٣٨
١٤	٢٢	,٥١٧٢٩
١٥	٣	,٠٩٨٣٢
١٦	١٤	,٩٩٣٢٣
١٧	٢٥	,٢١٦٣٣
١٨	٦	,٣٥٤٦١
١٩	١٧	,٩٤٠٠٠

ومن هذا الجدول تستطيع حساب اليوم الذى يولد فيه قمر جديد خلال العام الميلادى الحالى ١٩٩٢م .

التقويم القمرى وتحديد أوائل الشهور الهجرية

التاريخ	الشهر القمرى	التاريخ	الشهر القمرى
١/٥	رجب	٧/١٢	محرم
٢/٤	شعبان	٨/١٠	صفر
٣/٤	رمضان	٩/ ٩	ربيع أول
٤/٣	شوال	١٠/٨	ربيع ثانى
٥/٣	ذو القعدة	١١/٧	جمادى الأولى
٦/١	ذو الحجة	١٢/٦	جمادى الآخرة

الجدول السابق يبين اليوم الذى يولد فيه هلال جديد وليس بداية الشهر الهجرى كما أنه يمكن معرفة الساعة التى يولد فيها . أن لحظة ميلاد القمر فى بلد ما هى لحظة ميلاده للعالم كله فاذا ولد الهلال قبل الساعة السادسة بتوقيت القاهرة فان رؤية الهلال ممكنة على خطوط الطول ٣١ خط طول القاهرة حيث أن القمر سوف يغرب بعد الشمس بحوالى ٢٦ دقيقة ، إذا فرض أن غروب الشمس فى هذا اليوم الساعة السابعة مساء . ويغرب بعد الشمس بحوالى ٢٤ دقيقة اذا فرض أن الغروب الساعة السادسة ، وهكذا يمكن تقدير زمن غروبه بعد غروب الشمس بحساب دقيقتين عن كل ساعة من عمره تقريبا .

واذا كان الحساب بالنسبة لمدينة القاهرة فنجد أن هذا الزمن (مدة المكوث فى السماء بعد غروب الشمس) يقل أيضا بحوالى دقيقتين لكل ١٥ درجة من خطوط الطول التى تقع شرق القاهرة وتزيد دقيقتين لكل ١٥° من خطوط الطول غرب القاهرة . وبالتالى فرؤية الهلال الوليد تكون أفضل كلما كان البلد فى اتجاه الغرب .

ومن ذلك يمكن القول بأنه اذا ولد الهلال الساعة السادسة صباحا بتوقيت القاهرة يمكن لمعظم دول العالم الاسلامى أن يلاحظوه فى السماء ويكون اليوم التالى هو أول الشهر الهجرى . أما اذا ولد بعد ذلك فيكون احتمال رؤيته ضعيفا . واذا ظهر القمر على خطوط الطول التى تقع غرب القاهرة فهناك احتمال كبير أن يظهر عندهم بعد أذان الفجر فى بعض الدول الاسلامية . ومن الأفضل فى هذه الحالة أن يكون أول الشهر العربى هو بعد اليوم التالى لميلاد القمر .

«٢»

اللغز العجيب

للأستاذ
مجدى عبد الحميد بشير

تناولنا فى الحلقة الأولى ما انتشر من موضات شعر يمجهُا الذوق السليم ، ثم انتقلنا بالحديث إلى أسباب الإهتمام بالشعر ومصادر تمويله التى تبارت فيها مختلف الأوساط العلمية التى كان أهمها : الصيادلة ومربّوا الأغنام الذين طاقت أنفسهم إلى إنهمار الأموال الكثيرة بصورة كادت أن تخرج بأبحاث الشعر عن البحث العلمى المجرد .

واختتمنا الحلقة الأولى بحديث مستفيض عن مراحل نمو الشعر مؤكدين أن ما يدور داخل بصيلة الشعر لا يزال لغزا عجيبا حيّر ألباب العلماء .

ومن الحقائق المثيرة للدهشة ما أورده البحث من أن الشعر له دورة نمو سماها الدورة الشّعرية التى تستغرق من سنتين إلى خمس سنوات تليها فترة كمون تصل إلى خمسة أشهر ، وكذا الحقيقة الغريبة التى أوضحت أن الشعرة تنمو ببطء شديد لا يتجاوز ثلث ملليمتر فى اليوم الواحد .

اللغز العجيب

ويُبدى هيريو أونو الذى يعمل على الفئران والنسانيس مبتورة الذيول فى (جامعة وسُكُنْسِن ماديسون) ملاحظة يقول فيها :
من الزعب وكذا الصلع من بنى الإنسان يتوفر الزغب برءوسهم ثم يضيف مستنتجاً انه إذا باستطاعة عقار طبى أن يكسب ما بالفئران من زغب سمكا أكبر فلماذا لا يكون تأثيره كذلك فى الإنسان أيضاً .

ولكى يثبت صحة ما رشح من مكسبات النمو للشعر يأخذ أونُو خلية حية من الجلد تبلغ أربعة مللى متر من فروة أحد حيوانات التجارب ويقوم بمقارنة تعداد البُصيلات فى حالة النمو والراحة قبل وبعد إجـراء التركيبات التجاريبية .

إنه يقوم أيضاً بتطوير أحد نظم الحاسبات الآلية التى تقدم رُؤى مستقبلية لفروات رءوس الحيوانات وذلك لتسهيل المقارنات الخاصة بقياس كثافة الشعر .

بيد أنه فى مجالات كثيرة لا تقدم بعض الحيوانات الحية مثلا يُحتذى لتجارب نمو الشعر . إن الدورات المستمرة للهرمونات وعوامل المناعة وتنويعات أخرى من العمليات الأيْضيَّة كل هذا يُصيب بالبلبلة ولإرباك ما قُدم من تفاسير وشروح لظاهرة سبق أن ألف الناس تعقيداتها .

ولذا فإن الباحثين يتجهون بزيادة مضطردة إلى نظم يبغون من ورائها حل لغز الإشارات الجُزيْئية التى تسيطر وتتحكم فى نمو الشعر .

وفى أحد تلك المفاهيم يقوم الباحثون بإزالة بعض من بصيلات الشعر من جلد الانسان ثم يقومون بسحب حوالىْ عشرة آلاف جِذْر خارجى للخلية من البصيلة وهى الأشياء المحيطة بجذر الشعر والمعروفة إختصارا بالأحرف ORS ثم يقومون بزرع هذه الخلايا إلى جوار ألياف جلدية حيّة وهى نوع من خلايا الجلد ، كل هذا من أجل الحصول على واحد مليون جذر غلافى خارجى فى بحر أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع .

فلما تم زرع تلك الخلايا على قطعة من الكولاجين وهو بروتين شائع فى الجلد ثم تم تغذيتها بالهرمونات وعوامل النمو أمكن التمييز والتفريق بين عدة أنواع من الخلايا بما فيها خلايا الشعر أو الأكياس الشعرية .

ولكن كما أورد باحث علوم الشعر ليمات فى سويسرا لدى استخدام أطبقا حجرية أخرى عديدة فقد أخفقت تلك الأكياس الشعرية فى إيجاد مثيلات لها ، ناهيك عن تحولها إلى شعرات حية .

ويصف ليمان بحثه ذاك المقدم فى مؤتمر تحت عنوان الحياة الجزئية والبنائية للشعر والذى عُقد تحت رعاية أكاديمية نيويورك للعلوم فى يناير الماضى .

وفى مفهوم آخر يقوم الأستاذ فيليبوت وزملاؤه فى جامعة كامبردج بإنجلترا بفصل بصيلات من فروة رأس بشرية وزرعها فى جفنات صغيرة مملوءة بخليط من مواد التغذية ، وفيما يبدو فإن ذلك يُعد أول استزراع ناجح للشعر وشرراته فى أنابيب الإختبار الزجاجية .

وقد أبقى الفريق هذه الشزرات على قيد الحياة لمدة عشرة أيام وفى أثناء تلك المدة أنتجت البصيلات المتحللة المأخوذة من الجسم والفصولة عنه أنابيب شَعرية يصل طول كل منها إلى ثلاث ملليمتر .

هذا وقد استخدم الباحثون نظامهم ذاك لاختبار آثار المركبات الحافزة للخلايا مثل عامل النمو الجلدى وعامل ناقل النمو ألفا وعامل ناقل النموبيتا (١) .

ويساور الشك كثيرا من العلماء فى أن هذه العوامل مضافا إليها عوامل أخرى ناشئة من خلايا متنوعة فى الجسم فى أنها تلعب أدوارا تنظيمية فى دورة نمو الشعر .

وتوحى نتائج فيليبوت الأولية بأن بعضا من هذه المركبات على الأقل هى عناصر أساسية يتم عن طريقها تحديد وتوقيت زمن نمو الشعر برغم بقاء التفاصيل الخاصة بتلك العملية حبيسة الغموض .

ولست تجد الكل يوافق على أن نظام فيليبوت ذاك يمثل إنماءً حقيقيا للشعر ، إذ يعلق أحد العلماء عليه قائلا : أعتقد أنه عن طريق هذا النظام يمكن استغفالى وخداعى بسهولة ، ويلاحظ أن عمليات نمو الشعر التى سبق اجرائها فى المختبرات الزجاجية والتى زُعم نجاحها لم تزد على كونها مجموعة من الخلايا المخاطية المصفوفة الشكل .

ويقول بادِن بجامعة هارفارد : إن المشكلة فيما يتعلق بالخلايا المخاطية هى اعتيادها الحركة الدائبة ، ولذا فإن السؤال الوارد هو عما إذا كان هناك مجموعة جديدة من الخلايا الحقيقية التى تخلقت أو إذا ما كان كل ما تقوم به تلك الخلايا الموجودة أصلا هو تغيير شكلها أو موقعها أو كلا الأمرين معا .

وتخطط جامعة كامبردج فى تجاربها التالية إلى البحث عن موجة من تركيبات الـ DNA التى تتحرك مع فقد الشعر وفرط طوله التى يمكن أن يكون لها القول الفصل فيما يتعلق بصلاحية ذلك النظام كما يقول فيليبوت :

وفى نفس الوقت فإن هناك تكنيكا ثالثا يتوسم فيه العلماء شيئا من التقدم إذ يقوم كارن هول بروك بالمعهد الطبى فى سيتيل بواشنطن بوضع قطع صغيرة من الأنسجة البشرية المأخوذة من أجنة يبلغ عمر كل منها عشرة أسابيع تم الحصول عليها من نساء مجهضات يقوم بوضع هذه الأنسجة فى وسط نمو سائل ، وبعد بضعة أيام تأخذ عينات الجلد فى تجميع نفسها ذاتيا فى كرات مجوفة غير ذات فتوق وتستمر فى التجمع والنمو .

وفى الأسابيع التالية يمكن تقسيم تلك الخلايا إلى أنواع الخلايا الرئيسية وطبقات الأنسجة التى نرى مثيلاً فى الأجنة النامية وقد أخذت بصيلات الشعر فى الظهور على سطحها الخارجى ، وحتى الآن كما يقول هول بروك :

فإن هذه البصيلات تنتج فقط شعورا سميكة وهى البشرات الأولى بالشعر الحقيقى .

ويمكن للدراسات المتعاقبة ان توصى بطرق تساعد فى دفع عجلة النمو إلى الأمام .

وحيث أن النماذج المعملية للشعر تقصر عن الوفاء بأى شىء يمكن أن يرجح أنه شعر يعتد به فإن أبحاثا أخرى تجادل بالقول أنه حتى الآن على الأقل فإن الحيوانات الحية تظل هى المصدر المعتمد عليه فى دراسة بيولوجيا الشعر .

وفى واحدة من أكثر المحاولات غرابة فى دراسة نمو الشعر فى القوارض فإن الباحثين بجامعة ياشكوتلاندا قاموا بنقل وزرع شعر أخمص القدم لستة من الفئران إلى ظهور هذه القوارض ، ليكون من السهل التعامل مع هذه الأقدام الشديدة الأنزلاق بعد أن خلت من الشعر .

والملحوظة المهمة هنا هى أن هذه الأقدام ليس بها بصيلات شعر .

ثم قام العلماء بزراعة الخلايا الحليمية الجلدية فى الشعر المزروع على ظهور تلك الفئران . فكانت النتيجة أن الأصابع الخمسة التى نجت من إجراء العملية بها قد نما بها بصيلات شعر وأن ثلاثا منها نبت فيها ألياف شعرية جميلة ، كما أخبر بذلك البيولوجى كولن جاهودا .

ويقول جاهودا : أن الكثيرين يرغبون فى إنماء شعر كثيف يغطى رؤسهم لكننا نرى أننا ما دمنا قد أنتجنا أليافا شعرية فى تجربة الفئران السالفة الذكر حيث لم يكن ممكنا أبدا نمو أى نوع من الشعر فى هذه المناطق من الجسم التى خلت أصلا من بصيلات الشعر فإن ذلك أمرا ذا بال ، وهو يقوى النظرية القائلة أن الخلايا الحليمية تحتوى على المعلومة القائلة (إصنع شعره) لكن يظل من غير الواضح إذا ما كانت الخلايا الحليمية وزرعها يمثلان وسيلة عملية لإضافة شعر للأدمغة البشرية .

اللغز العجيب

وفى تجارب أخرى يمكن أن تجرى فى فترات لاحقة يوجد الكثير من التصميمات والرسوم النسيجية المقبولة ، فقد بدأ الباحثون الأستراليون فى قسم الإنتاج الحيوانى فى تغيير الـ DNA فى الفئران والأغنام على أمل التوصل إلى طريقة لزيادة إنتاج الصوف ، ويقول جراهام كام ـ أحد الباحثين بالقسم المذكور أعلاه : إن هدفنا النهائى هو إنتاج أغنام عن طريق الهندسة الوراثية تكون قادرة على إعطاء كميات أغزر من الصوف ولإيجاد أليــاف ذات خصائص شكليـــة وكيماوية جديدة لصناعة الغزل والنسيج ، كما يقوم كام وزملاؤه بتجريب نوع من المورثات يمكنها زيادة إنتاج البصيلات من الجلوكوز والسلفر المحتوى على الأحماض الأمينية الضرورية لتكوين الكيراتين .

ويوضع تلك المورثات تحت سيطرة مورثات أخرى ذات علاقة بالشعر فإن الأمل كبير فى زيادة إنتاج الصوف بإستخدام الهندسة الوراثية الآلية للحيوان ذاته ، والتى تعتمد على عمل الجينات (أى المورثات) والكروموزمات أى الصبغات .

وقد قام الفريق الأسترالى مؤخرا بوضع مورث خاص بتكاثر الخلايا يطلق عليه علميا (X - MYC) جنبا الى جنب مع مورث مسئول عن تنظيم وتركيب وتخليق الكيراتين فى الفئران ، لكن المورث الباهظ التكاليف وهو DNA كان ذا تأثير فتاك لمعظم الأفراد أعنى المولودات من التجربة الأولى . ولم يبد الفأران اللذان نجيا أى تحسّن ملحوظ فيما يكسو أجسادها من فراء . ويراهن العلماء على أنه بسبب طغيان المحاولات الفاشلة على المحاولات الناجحة فى هذا المجال بأنهم فى مواجهة مع تحديات صعبة وهم يتحققون من طبيعة الشعر ويواصلون المحاولة تلو الأخرى للتحكم فى نموه .

لكن الصورة تبدو أكثر تعقيدا كما يرى البعض حيث أخذت الدلائل تترى على أن بعض الهرمونات وعوامل النمو التى تحفز نمو الشعر فى أوقات معينة أو فى أجزاء معينة من الجسم ، هذه العوامل ذاتها تقوم بكبت النمو والحد منه فى أوقات أخرى وفى أجزاء بعينها من الجسم .

لكن على المدى الطويل فإن ذلك العمل يعد بمجموعة من الفوائد التى تنفع الإنسان والتى تتعدى مجرد تطوير العوامل المضادة للصلع وليس أقلها كما يقول : بوسبا التصدى لمشاكل عديدة ذات صلة وثيقة بالسرطان .

ثم يمضى قائلا : لقد ارتدنا هذا المجال لمعرفة الإجابة عن سؤال يقول : هل منشأ السرطانات المخاطية أصله من بصيلات خلايا الشعر أم هو ناشىء عن خلايا الجلد المحيطة ؟ . لكن السؤال ظل يلح علينا لمدة عشرين عاما دون أن نعثر لها على جواب ، ومن ثم فإنه يمكن للدراسات الخاصة بالشعر أن تلقى الأضواء الكاشفة على خصائص أخرى للسرطان أيضا .

وكما يقول يوسبا : فإن نمو الشعر يشبه إلى حد كبير نمو الورم ، فعلى سبيل المثال عندما تتوالد البصيلات بعد فترة الكمون والراحة فإنها تقوم بإختراق الطبقات الخارجية للجلد بطريقة تماثل إلى حد كبير خلايا السرطان لذى غزوها للأنسجة المحيطة بها .

إن نظرة متفحصة إلى ميكانيكية وطرق غزو البصيلات والجزيئات المنوط بها عمليات التنظيم والتى تحدد درجة ذلك الغزو يمكن أن تساعد العلماء فى محاصرة أو صدّ الغزو الجلدى غير المسيطر عليها لسرطانات الجلد كما يقول يوسبا : الذى يضيف : إن

هدفنا النهائى هو السرطان لكن فهمنا للسرطان لا يمكن أن يتم ما لم نفهم الشخص فى أحواله الصحية العادية .

ومن ثم فلدى الحديث عن الشعر فإن الكلام عن أنواعه العادية غير مرغوب فيه معظم الأوقات إذ هل يمكننا اعتبار الصلع وهو الأمر العادى الشائع بين المسنين بمثابة مشكلة ، ثم يعلق يوسبا على ذلك قائلا :

لا أعتقد حقيقة أنه يمثل مشكلة ، لكن نظرة إلى رأسه الضخمة الكبيرة منحولة الشعر توحى البعض بأنه ليس بالقاضى العادل فى حكمه ذاك .

● الشعر فى حالة الكمون :

وبينما يُعمل العلماء قرائحهم محاولين استجلاء سر نمو الشعر فإن هناك فريقا آخر منهم لا يثير حيرتهم إلا سر توقف ذلك النمو ، ويعتقد معظم الباحثين أن تغيرات تتعلق بدورات نمو الشعر والهرمونات التى تتحكم فى ذلك يكمن فيها السّر فى فترات الراحة المتفاوتة والتى تحدث لكل أنواع الشعر لكن للعالم وولتر جِبْسُنْ فكرة أخرى فهذا العالم البارز بانجلترا يوص أن العوامل المناعية يمكن أن تكون لها الكلمة النهائية فى فترات بيات الشعر طالت أو قصرت .

ويظل الأمر متعلقا بصورة كبيرة بالظروف المحيطة لكن جبسُن يشير إلى معطيات عديدة تتوائم مع فرضيته تلك .

فعلى سبيل المثال فإن الكثير من أمراض نمو الشعر ذات أسس تتعلق بالعوامل الوقائية بما فى ذلك مرض (الثعلبة) وأسمها العلمى ALOPECIA . AREITA والتى تترك مساحات كبيرة من فروة الرأس والوجه وقد خلت من الشعر تماما . كما أن عقار CYCLOSPORIN . A وهو عقار يقى من أمراض تصيب الشعر كالرطوبة والوهن والذبول هذا العقار نفسه يحفز نمو الشعر فى كثير ممن يستعملونه مما يقدم دليلا على أنه يمكن للجهاز المناعى أن يتدخل فى كبت نمو الشعر والحد منه .

وفى اجتماع علمى ناقش بيولوجيا نمو الشعر قام جِبسُن بوصف بعض من أحدث ولربما أفضل البراهين الدالة على أن للعوامل المناعية والوقائية علاقة لا تنكر بفترات راحة الشعر ومراحلها ، فباستخدام لوحة توضيحية (وهى أحد وسائل الإيضاح) للأجسام المضادة التى تحدد العلامات المناعية فى الخلايا وتظهرها للعيان وجد جبسن أنه فى أثناء فترة الراحة فإن خلايا الشعر فى مجموعة البصيلات الطائفة الثانية والتى رمزها العلمى MHC وهى الخلايا المضادة للمورثات والتى ظهرت علاماتها على سطح اللوحة يمكن أن تعرقل هجوماً ما وذلك عن طريق الجهاز المناعى .

اللغز العجيب

وفى نفس الوقت تقريبا فإن الأنسجة ذات العلاقة وهى الأنسجة المحيطة بالبصيلة سرعان ما تتعطل ، كما أن خلايا الدم البيضاء والتى تقوم بأعمال النظافة فى الجسم والمسماة (الكناسات) سرعان ما تتحرك مقتربة من الخلايا البصيلية ، وتُظهــر كل تلك الاستنتاجات أن لخلايا الشعر استجابة منها لبعض الاشارات المجهولة المصدر تخرج علامات تعجل بوفاتها .

ويضيف جبسن أنه كثيرا ما اعترته الحيرة وذلك بسبب النقص الواضح فى مضادات المورثات المعروفة بالطائفة I.MHC لدى الإنقسام السريع لخلايا الشعر أثناء فترات نمو الشعر وهو أمر شديد الغرابة واستنتاج مثير للجدل . حيث أن كل أنواع الخلايا فى الجسم تقريبا باستثناء بعض خلايا السرطان بالطبع تحمل أجساما مضادة للموروثات كما يقول جبسن :

إن العلامات بوسيلة الايضاح المعروضة تُبلغ الجسم بالضرورة وجهازه المناعى على وجه الخصوص رسالة نصها لا تهاجمنا فنحن ننتمى إلى ذلك الجسم ، ويحاول جبسن أن يوحى إلى مستمعيه أن التسامح الروتينى الذى يبديه الجسم مع مضادات الموروثات المنعدمة فى الخلايا بين أن بصيلة الشعر تظل محتفظة بميزة الوقاية المناعية مستمتعة بها أثناء فترة نمو الشعر وهو ما يخالف الإشراف الروتينى للجهاز المناعى الذى لا غنى عن بصمته فى مثل هذه الأمور .

وفى هذا السيناريو فإن انهيار جدار البصيلات وظهور أجسام مضادة معادية ذات تأثير مناعى فى نهاية فترة النمو يمكن أن يمثل المفتاح للتوصل إلى الأحداث التى تؤدى إلى كبت نمو الشعر موضحا أن العلماء يمكنهم يوما ما أن يستخدموا عقاقير تستطيع تغيير وتبديل العوامل المناعية وذلك فى منع الصلع أو زيادة نمو الشعر فى أناس آخرين بل وفى حيوانات أخرى .

الجديد في ...

العلم والتقنية

إعداد :

د. نجوى السيد أحمد

● دفاية لتدفئة الغواصين فى الأعماق :

اخترع علماء الطب البحرى فى مؤسسة الدفاع السويدية سخانا لتدفئة الغواصين فى الأعماق الكبيرة التى يتعرض الجسم فيها لبرودة بالغة كما فى حالات العمل فى حقول البترول البعيدة عن الشاطىء . وتتلخص الطريقة فى استعمال فَوْق أكسيد الأيدروجين لتدفئة الغواصين بأن يلبس غواص الأعماق بدلة مجهزة بشبكة من القنوات تسمح للماء الساخن بالمرور خلالها ويحمل على ظهره سخان فوق أكسيد الأيدروجين مع أنابيب الأكسجين الخاصة بالتنفس تحت الماء ، ويتم تشغيل السخان بمضخة ماء كهربائية تحرك دورة الماء فى شبكة القنوات ببدلة الغواص وتولد الضغط اللازم لانسياب فوق أكسيد الأيدروجين من الخزان المحفوظ فيه .

● مواد جديدة لامتصاص وتخزين الماء فى الأراضى الصحراوية :

تجرى بالمركز القومى للبحوث دراسات لانتاج مواد جديدة محسنة للتربة تقوم بامتصاص الماء وتخزينه ، وهذه المواد يمكن تصنيعها من مخلفات الحيوانات بعد معالجتها كيميائيا بحيث تزيد من درجة امتصاصها للماء كذلك عن طريق مواد كيميائية فى صورة « بودرة » وقد حققت الدراسات بعض النتائج حيث تم التوصل إلى مواد تمتص الماء بنسبة ٥٠٠٪ من وزنها ، وجارى البحث لزيادة هذه النسبة ، وهذه المواد تصلح فى زراعة محاصيل الصحراء بوضعها حول جذور الأشجار للاحتفاظ بالماء الزائد عن حاجة النبات .

● باحثة بالمركز القومى للبحوث

الجديد في ... العلم والتقنية

نظارة سمعية للمكفوفين

نجح أحد الأطباء الفرنسيين فى صنع نظارات سمعية للمكفوفين ، تقوم فكرة النظارة على تحويل الضوء والألوان إلى أصوات تساهم فى صنع صورة كهربائية لخلايا المخ مما يساعد المكفوفين على تخيل الصورة وتمييزها .

مبضع بأشعة «جاما»

تم انتاج آلة جديدة بالولايات المتحدة الامريكية قادرة على اجراء جراحة للدماغ دون مبضع ، وذلك بتسليط أشعة « جاما » على الأورام والتشوهات الموجودة فى الدماغ أو في أوعيته ، وتعتبر الآلة الأولى من نوعها لمعالجة المرضى المصابين بهذا النوع من الأمراض .

بطارية جديدة للسيارة الكهربائية

ابتكر المهندسون الفرنسيون « مجمعاً » بسيطاً ذا حرارة عالية يعمل بصورة طبيعية باستخدام الصوديوم السائل والكبريت . يتيح هذا الابتكار أن تعمل السيارة الكهربائية ببطاريات حارة من أجل التغلب على مشكلة فقدان الطاقة المرتبطة بتنشيط البطاريات عندما تقوم بتزويد السيارة الكهربائية بالتيار ، وقد أعطى هذا الابتكار نتائج أفضل خمس مرات عن البطاريات التى تستخدم الرصاص .

الحاسوب المجهرى

يتوقع علماء كيميائيون أمريكيون أن يتمكنوا من صنع حاسوب منمنم إلى درجة يصعب معها رؤيته ، ولكنه قوى قوة أى حاسوب معروف اليوم ، يقوم النظام الجديد على فتح فى عالم الجزيئات بعد أن نجح الباحثون فى عزل شكل جديد من أشكال المادة المستقرة ، فقد طوروا أكياساً بلاستيكية مجهرية تحمل عناقيد من أشباه النواقل يتراوح محتواها بين ١٠٠ وبين ١٠٠٠ ذرة مرتبة فى تشكيل بلورى منتظم ، لكن فريق الباحثين يقول أنه ما زال عليهم إيداع جهاز فاعل على هذا الأساس . ويتوقع أن ينجح الفريق فى انجاز نموذج أولى يستطيع التحكم بكلايين « البتّات » من المعلومات التى تحملها نبضات الليزر فى كابلات الألياف الضوئية .

طريقة جديدة لتنقية المياه من مشتقات البترول

توصل العلماء بمعهد الأبحاث العلمية الجيولوجية النفطية بروسيا إلى طريقة جديدة لتنقية المياه من مشتقات البترول وذلك عن طريق رش بقعة البترول بمسحوق معين يتحد بسرعة مع البترول ومشتقاته متحولا إلى كتلة لدنة تسهل إزالتها ، وهذه المادة الجديدة نظيفة لا تؤدى الى تلوث المياه ، كما أنها لا تتأثر بدرجة حرارة المياه أو ملوحتها ، وتحضر هذه المادة من نفايات الانتاج التى لا تستعمل عمليا ، ويمكن بواسطتها الإستفادة من حوالى ٩٦٪ من كمية البترول أو مشتقاته التى تمتصها .

خطورة الضوضاء على سمع الجنين

قام الباحثون فى جامعة فلوّريدا بأمريكا بدراسة تأثير الضوضاء على سمع الجنين ، وقد أجريت الدراسة على ٤٠٠ سيدة حامل ، ونصح الأطباء النساء الحوامل بأن يتجنبن الأصوات العالية قدر المستطاع حتى لا تتسبب فى إضعاف قدرة الجنين على السمع . فالجنين يستطيع بسهولة ان يميز الأصوات ذات التردد المنخفض التى تصدر من غير أمه لأن السائل « الأمينوسى » داخل الرحم يتحكم فى درجة تردد الصوت عكسياً حسب قوته ، ويمكن للأصوات أن تغير من نظام الجنين وتؤثر سلبياً على نمو مخه .

دراجة من الألياف الصناعية

انتجت إحدى الشركات الأمريكية لصناعة الدراجات ، دراجة من الألياف الصناعية الكربونية يبلغ وزنها أقل من ٢ كيلوجرام ، ورغم خفة وزنها إلا أنها أقوى صلابة من الدراجات العادية ويتوقع أن ينتشر استخدام هذه الدراجة فى الولايات المتحدة بعد انتاجها تجاريا .

المركبات الفضائية تلوث الكواكب

بدأ العلماء فى كل من انجلترا واستراليا يشعرون بالقلق حول تلوث المجموعة الشمسية من الأنقاض المرسلة إليها من الأرض ، وأخذت مجموعة من علماء الكواكب تدرس طرق التقليل إلى أقصى حد ممكن من تأثير المركبات الفضائية على دراسة الأجسام الفضائية كالكواكب الصغيرة والأقمار فى المستقبل .

ويخشى علماء هذا الفريق أن تلوث احدى المركبات الفضائية كويكبا ما أو قمر كوكب بقصفه صدفة بالانقاض المتناثرة ، ومصدر القلق الآخر هو التلوث الناجم من غازات الصواريخ وعن أغطية العدسات التى تلفظها كاميرات التصوير . وسيوصى فريق العلماء هذا بأن يتجنب مخططو البعثات الفضائية فى المستقبل إستخدام العناصر الخطرة مثل « الأيريديوم » فى المركبات الفضائية إذا كانت هناك بدائل أخرى متوفرة .

اللغـــــــة
والادب
والنقـــــــد

- لغة «الاسبرانتو» بين المد والجذر
- جليلة رضا رائدة الشعر النسائى المعاصر
- مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والاسلام

لغة «الاسبرانتو» بين المد والجذر

د توفيق محمد شاهين

ظهرت الاسبرانتو عام ١٨٨٦ م ومؤلفها طبيب عيون بولندى يدعى « لأزاروس زامينهوف » عاش فى أحد أحياء وارسو الشعبية حيث كان يلتقى فيها بخليط من الأقليات اليوغسلافية والألمانية والروسية والهولندية وغيرها . وغالبا ماكان التفاهم بين تلك الاقليات يتسبب فى إحداث تلاسن سرعان مايؤدى إلى مشدات لسوء الفهم .

وكان زامينهوف نفسه مولعا بحب اللغات ويتقن ثمانى منها . وعكف على دراسة اللغات التى كانت منتشرة فى أوروبا آنذاك . وخلص إلى نتيجة منطقية مفادها : أن للعالم أكثر من خمسين لغة لكل منها خمسون مليون متحدث على الأقل . ومادام ليس فى استطاعة الانسان ــ مهما كان موهوبا ــ ان يتحدث خمسين لغة مرة واحدة ، أو أن يتعلمها فى فسحة الحياة الضيقة لكى يصبح قادرا على التفاهم مع معظم البشر . رأى زامينهوف أن الضرورة للتخاطب دوليا تستدعى اختراع لغة جديدة ، فاستنبط « الاسبرانتو » التى أراد لها أن تكون لغة « ثانوية » عالمية محايدة .. وليست بديلة للغات القومية ، وكان يأمل فى لغته هذه أن تنتشر الألفة والمحبة بين البشر ، وأن تسهل على المتحدث بها التعبير عما يجول فى خاطره من أفكار بأقل مجهود ووقت ممكنين . واختار لها أسما معبرا عن رغبته هذه هو الاسبرانتو .. وهى كلمة مشتقة من « اسبرو » : (الأمل) فى الأسبانية وتعنى « صاحب الأمل » . أو بالاحرى « المتأمل » أو « الراجى »[١] .

---

(١) راجع كتاب « علم اللغة العام » د/ عبد الصبور شاهين ، وكتابنا « علم اللغة العام ص ٩ » .

لغـــة «الاســـــبرانتو»

بيـــن المـــد والجــذر

فكرة « الاسبرانتو » ومميزاتها :

فكرة زامينهوف قامت على وضع قواعد منطقة مبسطة على عكس اللغات الأخرى ــ ليس فيها أى شواذّ أو تعقيد لغوى . وأخذ زامينهوف ٧٠٪ تقريبا من كلماته من اللغة اللاتينية التى تتفرع منها اللغات : السلافية ، والجرمانية ، والسكسونية ، وغيرها من اللغات الاوروبية أما النسبة الباقية . فقد اقتبسها من اللغات الشرقية القديمة : كالعربية والسريانية واستغنى عن المبهم من الكلمات ذات المعانى المتعددة والمتناقضة احيانا ، ورتبها وفقا للقواعد المبسطة التى ارتآها ، وجعل قواعدها ١٦ قاعدة فقط ، وحصر مفرداتها فى ألف كلمة وضعها فى كتاب اصدره عام ١٨٨٧ .

ومع أن هذه القواعد والمفردات تعتبر ضئيلة جدا بالمقارنة إلى اللغات الأوروبية المعروفة كالصينية مثلا ، فإنها ــ حسب رأى الاسبرانتونيين ــ مرنة جدا بحيث يمكن التعبير بها بسهولة أكيدة . وهذا فى اعتقادهم مايجعل من تعلم الاسبرانتو ابسط من تعلم أى من اللغات الاخرى . ومن اسلسها اتقانا وانسيابا كلغة اضافية للغة الأم .

ومن الادلة التى يسوقها الدكتور جون ويلس . رئيس النادى الاسبرانتوى « فى لندن تأكيدا على بساطة الاسبرانتو « ومرونتها أن الأسماء فيها تنتهى بحرف « و » وحرف (O) بدون استثناء أما أفعالها والمشتقات من هذه الأفعال ، فهى لا تخضع للاختلافات الاعتباطية مثل أفعال اللغات الأخرى : فلكل فعل جذر واحد يضاف إليه حرف أو حرفان تبعا للمعنى المقصود . وعلى سبيل المثال لا الحصر . هناك فعل واحد يغنى عن استعمال ثلاث كلمات فى بعض اللغات الأوروبية مثل : (**Vidends**) وتقابلهـــا بالانكليزيـــــة : (**Seen** . (**Mustbe**

.... ومثال آخر للمقارنة :

وهذا نموذج للأفعال فى الاسبرانتو ، وفى الانجليزية مثلا لترى اشتقاقها البسيط :

الاســـبرانتو	الانجليزيـــة
HELPOS	**WILL HELP**
HELPUS	**WOULD HELP**

الاســـبرانتو	الانجليزيـــة
HELPAS	**HELPS**
HELPIS	**HELPED**

وميزتها أيضا أنها صوتية لكل حرف صوت واحد .. وليس فيها حروف ميتة ، ولواحقها صناعية ..

ومما يميز الاسبرانتو عن غيرها هو ليس فقط بساطة قواعدها المنطقية . وإنما أيضا استعمالها . فهذه اللغة تحرر مستعمليها من القوالب اللغوية الثابتة أو الاصطلاحات التراثية الموجودة فى اللغات الاخرى . مما يمنحهم حرية أكبر ومجالا أوسع للتعبير بطريقة أفضل أثناء التخاطب مع الأجانب فقط .

ومما يجعل الاسبرانتو هذه جدير فعلا بالاهتمام والدراسة أنها لاتنتمى إلى دولة أو عرق أو ديانة معينة ، وهى بذلك ليست انتمائية ولا مرتبطة كالانجليزية أو الفرنسية أو الالمانية بدول معينة .. وبالتالى فإن مستقبلها ليس مرهونا بمستقبل الدول ورقيها أو تدهورها .

ومن الأسباب الجديرة أيضا بالذكر أن التحدث باللغات الدولية للذين يتقنونها كلغات أصلية أو إضافية . لايخلو أحيانا كثيرة من الحساسيات والامتيازات بسبب الانتماءات القومية أو العقائدية أو التراثية أو المذهبية لهذه اللغات .

ولنتصور هذا المثال المعقد :

المصرى الذى يجيد الانجليزية ، لايستطيع أن يتفاهم اطلاقا مع السنغالى الذى يجيد الفرنسية ، بل إنه يجد صعوبة حتى فى التفاهم مع الهندى الذى يجيد الانجليزية .. وهؤلاء الثلاثة : أى المصرى والسنغالى والهندى لايستطيعون معا أن يتفاهموا مع البرازيلى الذى يجيد الاسبانية ، وهؤلاء كلهم أيضا لايفهمون ماذا يقوله الهولندى الذى يجيد الألمانية .

من هنا ، فإن « الاسبرانتويين » فى العالم يعتبرون أن لغتهم هى بمثابة « جواز سفر » عالمى (١) ينبغى أن تكون الوسيلة الوحيدة للتفاهم والاتصال خارج حدود اللغات القومية .

الجهود الاسبرانتوية لمحاولة نشرها :

اقتصرت محاولات نشر الاسبرانتو فى مطلع هذا القرن على نشاطات (الاسبرانتويين) الشخصية ، وتسنى لهؤلاء تنظيم أنفسهم والعمل فى مجموعات أقليمية ، تطورت وأنتشرت بسرعة فى جميع أنحاء العالم ، وخاصة فى أوروبا . وقد اسست هذه المجموعات حركة ثقافية واسعة تتخذ اليوم من روتردام فى هولندا مقرا رئيسيا لنشاطاتها . ونشر الاسبرانتو والترويج لها والتشجيع على استعمالها . وبفضل جهودها أصبح الاسبرانتويين فى العالم يربون على ١٠ ملايين نسمة .. تمكنت من توطيد اقدامها من خلال نشاطات أعضائها والمتعاطفين معها ومشجيعها فى إصرار وصعوبة شديدين . إذ كان من الطبيعى أن تثير الاسبرانتو ريبة الكثير من الدول ومعارضتها . لكن محاولات الطعن لها لم تتوقف عند ذلك الحد : بل جرت محاولات أخرى للقضاء عليها والتصدى لها وعرقلة انتشارها . ذلك أن المتضررين من رواجها كثيرون لاعتبارات واضحة :

فاللغة الانجليزية — اليوم — تتربع على « عرش » اللغات الدولية ، وقد أصبحت هذه اللغة بفضل الاستعمار البريطانى ، والهيمنة الاقتصادية على العالم فى القرن الماضى ، تنعم بمكانة دولية تحسد عليها . وليس من مصلحة البريطانيين ولا الدول التى تتحدث الانجليزية — وهى كثيرة جدا — أن تنافس لغتهم أى اللغات الدولية الأخرى . ناهيك عن لغة جديدة ذلك أن المنافسة قد تكلف بريطانيا ودول الكومنولث الكثير من الأعباء المادية والمعنوية والسياسية أيضا .

وعليه ، فإن بريطانيا تعتبر من أكثر محاربى الاسبرانتو بشدة . وهى لم توفر وسيلة إلا واستعملتها فى التصدى للاسبرانتو والحد من انتشارها .

---

(١) مجلة « سيدتى » السعودية التى تصدر فى لندن السنة الثالثة عدد رقم (١٤٩) ١٣ من ربيع الثانى ١٤٠٤ هـ ص ١٦ تحقيق قيم للاستاذ هشام المعاملى .

لغـــة الاسبرانتو بين المـد والجـذر

الاعتراف الدولى بالاسبرانتو ومعتنقوها :

بيد أن تلك المحاولات لم تمنع من تحقيق انتصارات ملحوظة لصالح اللغة الجديدة والوليدة على الصعيد الدولى :

ففى أعقاب المؤتمر الدولى الأول لمعتنقى هذه اللغة الذى عقدته فى فرنسا عام ١٩٠٥ ومن أهم انتصاراتهم : اعتراف منظمة الثقافة الدولية التابعة للامم المتحدة (اليونسكو) فى مؤتمرها الذى عقدته فى منتيفديو بتاريخ العاشر من (ديسمبر ١٩٥٤) ، إذا أعترفت اليونسكو : (بالنتائج التى حققتها الحركة الاسبرانتوية فى حقل الثقافة الدولى والاتصالات بين شعوب الارض) .

وقالت : « بأن هذه النتائج تتطابق مع أهداف المنظمة الدولية وتتناسب مع أفكارها » .

كما تعهدت بعض الدول الأعضاء فى المنظمة بتسهيل دخول الاسبرانتو إليها ، والعمل على إدخالها فى مناهج التعليم الدراسية الثقافية العالمية .

ولا شك أن اعتراف اليونسكو بالاسبرانتو وحركتها كان حافزا قويا لهذه الحركة على مواصلة نشاطاتها ، فقامت بتوسيع قطر مؤتمراتها السنوية ، ونطاق عملها . والتشجيع على عقد الندوات الفكرية وإقامة الاجتماعات الادبية والأمسيات الشعرية ، وإلقاء المحاضرات .. وغيرها .. وذلك فى مواجهة تصعيد نشاط مجمعات اللغة فى كل من : فرنسا ، وبريطانيا وألمانيا . وهى على التوالى « اليونس فرانسيز » و « البريتش كاونسل » و « جوته انستيوت » ..

فليتنا نقوم للعربية بمثل هذه الجهود ..

وعشاق الاسبرانتو خليط غريب عجيب من الناس : لايجمع بينهم إلا الاسبرانتو ففيهم : الوجـودى ، والشيوعى ، والماركسى ، والمسلم ، والبـوذى .. وغيرهم ، كما أن الانضمام إلى الحركة ليس قصرا على عرق دون آخر ، فهناك الأبيض ، والأسود ، والأسمر والأصفر . ولعل هذا هو الذى سبب الخوف منهم ، وسرعة انتشار الشائعات حولهم .

وكذلك فإن القاسم المشترك بينهم هو : أنهم جميعا من طبقة المثقفين ، وأنهم متقدمون بالعمر نسبيا ، وأغلبهم من متوسطى الدخل ، والكثيرون منهم من أصحاب النفوذ فى مجتمعاتهم .

وقد شقت هذه اللغة طريقها بين اشواك اللغات الأخرى ، ولقيت تشجيعا كبيرا وتجاوبا ملفتا فى اوساط مثقفين وكتاب وسياسيين ولغويين كثيرين من كل الأجناس البشرية ، وشتى الطبقات الاجتماعية ، ومختلف الديانات والمذاهب الاجتماعية .

ومن ألمع الذين اتقنوا « الاسبرانتو » وتعاطفوا معها ، الأديب الروسى (تولستوى) والناقد البريطانى الساخر (جورج برنارد شو) والرئيس اليوغسلافى الراحل (جوزيف تيتو) ، ومستشار النمسا السابق (برنو كرايسكى) ، والاديب الأمريكى (أرنست

همنجواى) ورئيس الوزراء البريطانى السابق (هارولد ولسن) وغيرهم من أعلام الفكر أو أقطاب السياسة والادباء .. وهؤلاء كلهم كانوا ــ وبعضهم لا يزال ــ يكتبون بالاسبرانتو ، ويزودونها بزخم من أعمالهم الأدبية أو الفلكية أو غيرها .

والطريف أنهم يتزوجون من بعضهم ويربون أطفالهم على تعلم « الاسبرانتو » ..

ويقول « بيتر مايلز » أحد الاسبرانتويين البريطانيين وصاحب شركة للترجمة وهو متزوج من اسبرانتوية : « ان لكل من (الاسبرانتويين) هدفا من تعلم اللغة .. والانضمام إلى حركتها فهو نفسه مثلا تقوم تجارته على الترجمة من وإلى الاسبرانتو .. وتدر عليه أرباحا كثيرة . وهناك تجار كثيرون يحققون أرباحا إضافية فى توسيع نشاطاتهم فى الدول ــ التى ينتشر (الاسبرانتويين) بها . ووجودهم فى الحركة يتيح لهم فرصا طيبة ، لاقامة شبكات تجارية وتسهيلات خاصة بين التجار (الاسبرانتويين) فى العالم ، ومنهم من يتعلم الاسبرانتو طمعا فى نشر أفكاره وتمريرها إلى بقية الاسبرانتويين » ..

أما بالنسبة لاسبرانتوى الدول الشرقية : فإن الاسبرانتو بالنسبة لهم نافذة واسعة يطلون من خلالها على العالم الغربى ، وعلى مايجرى فيه من أحداث ونطورات ، سواء فى الحقل السياسى أو الاجتماعى أو العلمى أو غيرها .

الاسبرانتو فى العالم العربى :

« الاسبرانتو » وجدت فى بعض المثقفين العرب تعاطفا كبيرا دخلت من خلالهم إلى الوطن العربى .

وقد قام بعض الاسبرانتويين العرب فعلا بترجمة اعمال ادبية واسلامية الى الاسبرانتو وقد نقلت (رباعيات الخيام ورسالة الغفران) وبعض الأمثال والحكم المتفرقة .

وهناك ممثلون للحركة الاسبرانتوية فى كل من : الكويت والعراق ، ومصر ، وتونس والسودان ، ولبنان .. إلا أن نشاطاتهم ليست واسعة أو معروفة بشكل جيد لأسباب مادية وإعلامية ، لأن محاولات التعريف « بالاسبرانتو » فى الوطن العربى تقتصر فقط على النشاطات الفردية لهؤلاء الممثلين ، وهم فى كل الأحوال يقومون فى ذلك على حسابهم الخاص ، لأن الحركة أساساً قائمة على هذا المبدأ ولم يسبق ان اهتمت الصحافة العربية بلغة الاسبرانتو بشكل واسع وما نشر عنها قبل الآن كان نادراً ، ويفتقر إلى المعلومات الدقيقة ، والنظرة الجدية .

وليس مستغربا بسبب ذلك ألا يكون عدد الاسبرانتويين العرب أكثر من خمسين شخصا فقط ، موزعين فى أرجاء الوطن العربى ..

وهناك محاولات جارية الآن لنقل الأمثال الشعبية لشبه الجزيرة العربية إلى الاسبرانتو ... إلى جانب بعض الأعمال الأخرى ..

يبقى أن نقول أن الكثيرمن النقاد الذين تناولوا فى السابق هذه « الظاهرة » لم يجمعوا : لاعلى أدانتها ولا على تأييدها ؛ نظرا للتناقض الواضح بين أهداف الاسبرانتو واختلاف مذاهبهم وتعدد آرائهم ..

على أن دراسة وافية قام بها أحد النقاد البريطانيين فى الخمسينات تفيد .. أن الحركة الاسبرانتوية هى حركة فكرية ثقافية صادقة وسيلتها « الاسبرانتو » وتعكس فى مضامينها سياسة راقية ، تعترف فقط بالانسان ، كإنسان ؛ بصرف النظر عن هويته أو أنتمائه أو ديانته .

ولكن مايستحق التسجيل هنا هو :

أن الحركة بعدما حصلت على اعتراف اليونسكو بها تسعى الآن إلى حث مجموعة دول عدم الانحياز ، ودول السوق المشتركة على تبنى « الاسبرانتو » كلغة موحدة لاعضائها . وقد تقدمت بالتماس الى الامم المتحدة لادراجها فى قائمة اللغات الدولية المستعملة فى هيئة الأمم .. فهل يتحقق لها كل ذلك ؟

وما رأى القارىء الكريم فى لغة الأمل : (الاسبرانتو) ؟

موافق ؟

أو معترض ؟

أو متردد ؟!

عرض لدراسة أكاديمية

جليلـــة رضـــا

رائدة الشعر النسائى المعاصر

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ

يقول الشريف الرضى عن نفسه ، مفتخراً :

أنـــا النضـــار الـــذى يُضَـــنُّ بـــه   لـو قلَّبتنـــى يمـــنُ منتقـــــد

ويجيبه الدكتور زكى مبارك ، بأول صفحة من كتابه ، عنه (عبقرية الشريف الرضى) بقوله : « أشهد أنك قد وجدت المنتقد ، أيها النضار .. » .

ونحن اليوم إزاء شاعرة كبيرة معاصرة ، تغترف من ذاتها ، وتغوص إلى الأعماق لتقدم لنا شعراً ، أو نضاراً ، رائعاً مُشعًّا ، تصدر فيه عن معاناة وتجربة شعورية خِصْبَة ، ولذا يأتى تعبيرها حاراً متدفقاً ، ليضعها فى الصدارة بين كبريات شواعرنا المعاصرات ، أمثال : نازك الملائكة ، وفدوى طوقان ، و د. طلعت الرفاعى .

فالشعور هو مادة الشعر عند جليلة رضا ، وبدونه تفقد كلمة « شعر » مضمونها ومغزاها ، وتتحول إلى كلمة : « نظم » .

وشتان ما بينهما شتان .

ونادراً ما يحدث ذلك لشاعرتنا ، وهى التى تقول :

انطلقـــى من جوف الظُّلمـــــة
هيـــــا هزى ، هُزِّى قلمـــــى
وانتـــــــــــفضى فى ثورة أملى
يا أصبـــع عمـــلاق يفـــــرد
أجنحــــة الفـــــن المنهزمــــــة
قولى شيئـــاً ، شيئـــاً يصعـــد
يتـــوثَّبُ .. يعلـــو للقمــــة(١)

●●●●

وعن جليلة رضا : (حياتها وشعرها) ، حصل الأستاذ أحمد الصواف على درجة (التخصص) ، أى « الماجستير » فى الأدب والنقد ، من كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ، جامعة الأزهـــر ، بالمنصورة .

ويطيب لنا أن نتأبط ساعد القارىء ، لنصحبه فى جولة عبر هذه الدراسة المتميزة ، التى أظهر فيها الباحث أن الفن لا يميز بين الرجل والمرأة ، لأن لكل منهما أحاسيسه ومشاعره . وبقدر توفيق كل منهما إلى تصوير خلجاته ، يكون توفيقه وتفرده ، فى عالم الكلمة المجنحة .

فالشاعر ، والأديب المترسِّل ، أعضاء فى مجتمع ، أولاً وقبل كل شىء . والفرد فى المجتمع يُعطى ويأخذ ، ويؤثِّر ويتأثَّر .. وبعد أن يشرب من منابع هذا المجتمع ، فهو يصدر عن آماله وآلامه ..

والشاعرة جليلة رضا قد وجدت فى فن الشعر متنفساً ، يطلق طاقتها الفذة ـ عبر البحور والقوافى ـ فى عالم الإبداع الأدبى ، لتأتى ؛ بعد ذلك ، بما يشوق ويروق ، بأصالة واقتدار .

وقد وُفِّق الباحث الأستاذ أحمد الصواف ؛ فى بحثه القيِّم ، إلى رَصْد مراحل تكوين الشاعرة ، والعوامل التى تأثرت بها ، وتدرُّجها فى سُلَّم الإبداع الشعرى ، بعد أن تتلمذت ، فى البداية ، على يد شاعر أبوللو الراحل الدكتور إبراهيم ناجى ، وكذلك استيعابها لعيون الشعر الفرنسى ، بعد إجادتها اللغة الفرنسية .

وهكذا جمعت الشاعرة ما بين الثقافتين : العربية والفرنسية ، وتبحرت فى الاطلاع الواسع العميق على كنوزهما ، ولفت نتاجها الشعرى ، بعد ذلك ، نظر الكثيرين من نقادنا الكبار ، بروعته وأصالته .. فقال عنها شيخ النقاد المرحوم مصطفى السحرتى إنها : « مفخرة بين لداتها من شاعرات الشرق العربى »(٢) .

وقال الدكتور على الجندى عنها أنها : « أشعر شواعر الإقليم الجنوبى »(٣) وهو يقصد بالإقليم الجنوبى : مصر ، لأن هذا الحكم صدر أيام أن كانت الوحدة قائمة بين مصر وسوريا .

كما يقرر الأستاذ كمال النجمى ، رئيس تحرير مجلة الهلال ، ريادة جليلة رضا للشعر النسائى المعاصر ، بقوله عنها : « ويمكن القول بأن الشعر المصرى المعاصر كانت بدايته : عائشة التيمورية ، وقد بلغ غايته عند جليلة رضا »(٤) .

وجاء بصحيفة « أخبار اليوم » ـ بعد صدور كتاب جليلة رضا الذى يحمل عنوان : (صفحات من حياتى) ـ : « لقد تأخرت جليلة رضا فى نشر اعترافاتها ، كما تأخرنا كثيراً فى تقديرها حق قدرها ، فهى بكل المقاييس ، مقاييس الفن ، والصدق ، والجمال كبيرة شاعرات العرب ، ولا تدانيها إلا مصرية أخرى تكتب بالفرنسية شعراً ومسرحاً ، هى « أندريه شديد » ، ولكن جليلة رضا تفوقها فى العذوبة والتلقائية ، التى تنساب فى دواوينها الستة »(٥) .

ويقول عنها صديقنا الراحل الشاعر محمد مصطفى حمام إنها : « لبيبة فصيحة ، منطقية موهوبة ، صافية السليقة ، خيالها أبهى من الحقيقة ، ولفظها أحْكمتْ تنسيقه »(٦) .

(١) أنظر كتبنا (شعراء ودواوين وفيه حديث مستفيض عن شاعريتها ص ٨٩ ط سنة ١٩٩٠م .

(٢) أنظر كتابه (شعراء مجددون) ص ٨ ـ ٩ .

(٣) أنظر كتابه (خمسة أيام فى دمشق الفيحاء) ص ٢ .

(٤) أنظر مجلة الهلال عدد سبتمبر سنة ١٩٨٧ م .

(٥) جريدة أخبار اليوم الصادرة فى ١٩٨٧/١٢/١٢ م .

(٦) أنظر (ديوان حمام) ، ط الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٧٤ م .

جليلة رضا رائدة الشعر النسائى المعاصر

وقد صدق حمام يرحمه الله فى وصف قاموس جليلة رضا الشعرى ، فالقصيدة لديها سَداها المضمون المضمون ولُحمتها اللفظ ، ويستقر كل منهما فى الآخر ، بحيث يصبح من العسير الفصل بينهما .. خذ مثلاً قولها بقصيدة (أخيراً) :

أجل ما زلت أستوحى من الأمواج والرمـــل
جمال الكون والدنيـــا وسر النـــور والأمـــل

●●●●

أسير طليقــــة نشوى بضوء الفجر والنسم
وأمرح فى الضحى وحدى مع الأمواج والنغـــم

●●●●

وقد عمد الأستاذ الباحث ، فى خطة البحث ، إلى تقسيمه إلى مقدمة ، ذكر فيها أهم الدوافع التى أدَّت إلى اختيار شعر جليلة رضا موضوعاً لدراسته ، ثم تحدث فى التمهيد عن الشواعر فى الأدب العربى ، منذ العصر الجاهلى ، إلى العصر الحديث ، ومنزلة جليلة رضا بين شواعره .

وفى القسم الاول من البحث قدم صورة وافية لحياة الشاعرة جليلة رضا : أسرتها ومولدها وطفولتها وشبابها ، وتطرق إلى الحديث عن زواجها الأول وما صادفها فيه من عقبات ، ومأساة ولدها الوحيد ، الذى أصيب بمرض عقلى فى طفولته لازمه حتى نهاية حياته وصدى هذه المأساة فى شعرها .

ثم تحدث عن زواجها الثانى من الشاعر عبد الله شمس الدين صاحب نشيد (الله أكبر) المشهور ، ثم عن زواجها الثالث والأخير من الكاتب الصحفى اللامع (محمد السوادى) صاحب جَريدة (السوادى) .

كما تحدث عن رحلتها إلى دمشق لحضور مهرجان الشعر الدولى عن مصر ، مع آخرين ، وعن حصولها على جائزة الدولة التشجيعية للشعر ، وعن عضويتها بلجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة ، وبالمجالس القومية المتخصصة .

كما تحدث عن روافد ثقافتها العربية والغربية ، وأثر ذلك فى شعرها .

وفى القسم الثانى من البحث ، تحدث عن شاعريتها التى أبدعت فى شتى الأغراض والموضوعات الوجدانية والوطنية والوصفية . وبصفة خاصة ، شعر الأمومة وشعر النزعة الإنسانية .. وَبيَّن موقع شعرها من المذاهب الأدبية ، وأنه أقرب إلى الرومانسية .. وأفاض فى الحديث عن خصائص شعرها من حيث الأفكار والأسلوب ، والصورة الفنية ، والموسيقى ، والصدق الفنى والشعورى لديها ، وتحقُّق الوحدة العضوية فى شعرها ، ثم انتهى فى ختام بحثه إلى أهم النتائج التى توصَّل إليها .

وصفوة القول أن هذه الدراسة قد بلغت من العمق والشمول والإحاطة ، حَدًّا جعل لجنة المناقشة تمنحه تقدير الامتياز .. وكم نتمنى سرعة نشر هذا البحث فى كتاب ليعم النفع به ، والتذوق له .

وفى كلمة تالية ، نرجو أن نتحدث عن رسالة الماجستير الأخرى، التى حصلت عليها الأستاذة سهام سيف الدين ، بامتياز ، عن شاعرنا الكبير الراحل ، الدكتور عزت شندى موسى ، حياته وشعره .

وبالله التوفيق ...

قراءة فى كتاب

مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والإسلام

• تأليف الأستاذ :
يوسف كمال أحمد
• عرض وتعليق :
أحمد السيد تقى الدين

الحضارة الأوروبية المادية تشرف على السقوط وتنتهى إلى الانتحار الجماعى ، انها امتلكت الوسيلة وافتقدت الهدف والغاية وحصلت على شىء من العلم لكن غابت عنها الحكمة .

وقد نكون نحن المسلمين من خلال موقعنا المتخلف حضارياً واضطراب مقاييسنا بسبب ضعف التزامنا بديننا عاجزين عن التعرف بشكل دقيق على أزمة الحضارةو الأوروبية لأن بضعنا يعانى مسألة التخلف الحضارى للمسلمين والتقدم الحضارى للغرب العلمانى .

من أجل هذا كان لا بد من توضيح معنى الحضارة والتعرف على مفهومها بشكل أعمق وأوسع وهى مهمة تولاها لفيف من الأساتذة والباحثين والمهتمين بقضية الحضارة تمخضت مجهوداتهم عن عشرات ومئات الدراسات والبحوث ، كل تدور حول هذه القضية . والجلى الواضح أن هذه الدراسات لم تحقق أهدافها إلى يومنا هذا وإلا ما ظلت هذه المشكلة ـ مشكلة معنى الحضارة ـ قائمة إلى يومنا هذا .

وأياً ما كان الأمر بالنسبة للأسباب التى أدت إلى تلك النتيجة فنحن نقدم هذا الشهر لقارئنا الكريم أحد هذه الاسهامات وهى بعنوان « مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والإسلام » للأستاذ يوسف كمال أحمد الذى يحاول فى دراسته تلك أن يضىء شعلة أمام الإنسانية تهديها سواء السبيل وتنير لها الطريق لتخرج إلى نور الهداية اللابانية التى لا سبيل سواها لإنقاذ البشرية .

تتألف الدراسة من مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة .

مستقبل الحضارة

بين العلمانية والشيوعية والإسلام

جاء الباب الأول بعنوان « الغرب العلمانى » وفيه تحدث المؤلف عن تطور الصراع بين العلم والكنيسة والذى أدى إلى ظهور الطابع العلمانى ليكون بديلاً عن الطابع النصرانى فى المجتمع الأوروبى ثم المجتمع الإنسانى بعد ذلك ، ولقد تبلور هذا الاتجاه بعد قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ م على اثر الصدام الدامى مع الكنيسة الكاثوليكية فى العصور الوسطى ـ التى كان لها السلطان على الناس بدعوى النيابة عن الله ـ وكان لا بد أن يرفض المجتمع دعوى الكنيسة ويرفض معها كل ما بقى من بذور الإيمان التى لم تمت . ومن هنا نشأت فلسفة فصل الدين عن الدولة للتحرر من سلطات الكنيسة ، التى لم يتورع رجالها عن الاغراق فى الترف وحب المال والتعامل بالربا والرشوة ، وكانت مسألة صكوك الغفران التى تباع لقاء قدر من المال ينال من يدفعه دخول ملكوت السماء مهما أثقلت ظهره الذنوب ، كانت هذه المسألة هى قمة الأدلة على فساد المجتمع والكنيسة بل والدولة كلها .

وكان من نتيجة استخفاف الكنيسة بعقول الناس وسلب أرزاقهم ان أخذت العقيدة فى الذبول حتى أصبح الإلحاد مفخرة الأندية حتى أندية الكنيسة نفسها وانتشرت النزعة المادية .

الثالوث المخـرب

ثم ظهر الثالوث المخرب (داروين ، وفرويد ، وماركس) ، الأول ينادى بنظرية النشوء والارتقاء التى ترجع أصل الأحياء إلى الخلية وتقول بأن الإنسان قرد متطور ، والثانى ينادى بأن كل دوافع الحياة تكمن فى الغريزة ؛ والثالث لا يرى فى الحياة إلا مادة وأن كل تطور حدث فى التاريخ كان نتيجة للصراع من أجل لقمة العيش .

وهكذا ابتعد الناس عن الدين وأسلم الإنسان المعاصر قياده للغريزة حين قصر غاياته فى الاشباع المادى ، فصار أضل من الأنعام لأن الحيوان ينظم غريزته تلقائياً ، أما الإنسان الذى يعيش فى فراغ دون أمل ترى عقله يسير بغريزته إلى الحد الذى يتلف النفس والجسم معاً .

أصبح الإشباع المادى هو هدف الحياة الوحيد ، بل هو الدين الذى يجد هياكله فى المصانع ، ومعامل الأبحاث ، وأماكن اللهو ، وكهنة هذا الدين هم رجال الأعمال والعلماء والفنانون ، إنها ردة إلى الوثنية ونكسة للإنسانية تتبلور وتأخذ صورتها التامة فى أعلى مراحل التطور لهذه الحضارة المادية فى الشيوعية التى هى ثمرة طبيعية لوثنية أوروبا المادية .

وبعد أن بعد الإنسان عن التسليم لله والعبودية له عبد الطواغيت سواء كان ذلك طاغوت الرأسمالية فيما يسمونه ديمقراطية ، أو طاغوت الدكتاتورية ، وكلها دكتاتورية بشرية تستعبد البشر وتذل أعناقهم وتغصب أرزاقهم ، وسيظل الإنسان عبداً للإنسان ينتقل من طاغوت إلى طاغوت حتى يستعبد نفسه لله ، وهنا فقط ينطلق حراً راشداً .

التطبيق الشيوعى

وفى الباب الثانى ناقش المؤلف الصورة المروعة للتطبيق الشيوعى . فتساءل : هل استطاعت الماركسية أن تجد لأوروبا حلاً لأزمتها فأوضحت معنى الوجود وغاية الحياة أم أنها امتداد للبداية السيئة ومضاعفة للداء ؟

يجيب المؤلف على تساؤله :

أن المؤمنين بالفلسفة المادية يطلبون من شيعتهم أن يكفروا بكل شىء غير المادة ويطلبون منهم أن ينتظروا النعيم على هذه الأرض متى صحت نبوءتهم عن زوال الطبقات الاجتماعية حينئذ تبدأ الجنة الأرضية الأبدية كما يتوهمون .

والماركسية اللينينية فى الأساس لا تعترف بوجود أى قوة أو خالق فيما وراء الطبيعة ويرى أشعياؤها أنها تركز بوضوح على حقيقة العالم الذى نعيش فيه ، وتحرر الإنسان إلى الأبد من الخرافة ومن عبودية الروحانية القديمة .

فالماركسية فى ضلالها القديم لا تجد للوجود غاية ولا ترى فى الدنيا إلا دورات تنتهى لتبدأ من جديد دون هدف ، ولا ترى إلا التناقضات ولا تؤمن إلا بالصراعات ، بينما الكون كله والطبيعة ذاتها تقوم على التعاون ؛ فالسالب والموجب يتعاونان فى إكمال الدائرة الكهربائية والليل يكمل النهار ، الأول سكن والثانى معاش ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾
(سورة النمل ـ آية : ٨٦) .

ويزعم الشيوعيون أنه باستيلاء الدولة على ملكية وسائل الانتاج سيتقدم المجتمع حتى يحقق الوفرة الكاملة لكل السلع وتنقضى الندرة حتى تصبح كل سلعة كالماء والهواء ، وسيكون العمل ذاتياً لأنه منبعث من حاجة الإنسانية الأساسية للعمل !!

فإذا نظرنا إلى أوكرانيا وهى احدى الجمهوريات الروسية التى كانت تصدر القمح للعالم بعد تحقيق الاكتفاء الذاتى لروسيا كلها نجد الحال منقلباً فى مطلع الثمانينات عندما أصبحت روسيا الشيوعية تستجدى القمح من الولايات المتحدة الأمريكية !!

فماذا حققت ملكية وسائل الانتاج ؟ لا شىء غير التدهور فى الانتاج واستخدام الدولة للنظام البوليسى والقوة الغاشمة التى لا تعرف معنى الرحمة مع العمال ليؤدوا بعض واجباتهم .

وبعد أن بلغوا بنظريتهم حد التقديس عاد سدنتها يهدمون أصنامها ، فها هو ستالين بعد حركة تطهير قتل فيها مئات الألوف سنة ١٩٣٤ م يقول : « ان هؤلاء يحسبون أن الاشتراكية الشيوعية تستلزم المساواة فى الأجور ، ألا ما أسخفه من رأى ، إن المساواة التى نادوا بها أضرتنا أكبر الأضرار » .

ثم سمح ستالين بالملكية الفردية وبالميراث فى حدود[(١)] بعد أن تبخرت أحلام الفارس الموعود وساءت الأحوال الاقتصادة وانتشرت المجازر فى أنحاء الأرض التى تصطلى بنارها الشعوب تحت شعاراتهم الزائفة وبعد الحروب العالمية والحروب المحلية التى أضرمت نيرانها النظم المادية سواء أكانت شيوعية أو اشتراكية أو رأسمالية ولم تجن الإنسانية من ورائها إلا الخراب والضياع والشقاء .

حضـــارة الإســـلام

وفى الباب الثالث يعرض المؤلف « حضارة الإسلام » التى أعطت الدفعة الأولى لمدنية العلم الغربى الذى استمد جذوره من علماء الأندلس عندما كانت مدينة قرطبة أعظم منهل للعلوم والمعارف فى أوروبا وضارعت فى هذا المضمار القسطنطينية وبغـداد والقاهرة وكان عدد سكانها نصف مليون نسمة وفيها ثلاثمائة حمام عام ، وسبعون داراً للكتب ، وكانت عروس المدن بطرقها وأنوارها فى وقت كانت فيه لندن وباريس فى حالة همجية .

---

(١) يقضى النظام الشيوعى بأن الدولة هى الوارث الأول لأى متوفى بالشكل الذى يطابق ضريبة التركات فى مصر التى تجعل الدولة هى المستفيد الأول من تركة أى متوفى إذا تجاوزت التركة الحد المسموح به للاعفاء من الضريبة ... المحرر .

مستقبل الحضارة بين العلمانية والشـــيوعية والإســـلام

وقد تسلمت أوروبا من العرب مادة العلوم والمنهج التجريبي وجغرافية العالم وبنت عليها حضارتها .

لكن أوروبا لم تع الدرس جيداً ولم تقدر أن الحضارة يجب أن تكون فى القلب قبل أن تكون فى الأشياء ، وأن الإسلام هو روح الحضارة وجوهرها لأنه يكفل للنفس إطمئنانها وسعادتها بربطها بالله ووصلها بالمجتمع واستغلالها لخيرات الله فى الأرض وفق سنة الله فى الخلق.

يقول المولى جل وعلا : ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ۝ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (سورة الحج ـ آية : ٤٥ ـ ٤٦) فالإيمان يصبغ الحياة بصبغة شاملة فهو المحور الذى يدور حوله الوجود والحياة لهذا كان ضرورياً لكل علم حق وعمل نافع لأن شريعة الله فى القرآن هى سنة الوجود الإنسانى كما أن نواميس الكون هى سنة الوجود المادى وهى كلها الحق من عند الحق وهو قانون الكون إذا سار عليه انتظم ، وإذا خرج عليه تفتت وانهار .

﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ (سورة المؤمنون ـ آية : ٧١) .

والسنن الايمانية مرتبطة تماماً بالسنن الطبيعية لأنها كلها سنة الله فى الأرض فالذنوب تهلك أصحابها تماماً كما يملك الوباء أهله .

فمقياس الحضارة الإسلامية هو تقوى الله وطاعته فهى النمو المادى فى إطار القاعدة الإيمانية وسيادة القانون الإلهى فى حياة الناس حيث لا حكم إلا الله أى تحرير الإنسان من عبوديته للإنسان أو الهوى أو الشيطان أو الطواغيت .

ويدلل المؤلف على ما يقول بعرض مثال مدرسة آدم سميث التى تزعم أن عمل الإنسان لمصلحته الخاصة يحقق فى النهاية مصلحة المجموع ، فهذه المدرسة أو الفكرة لم تخدم إلا حفنة من رجال الأعمال كان هدفهم جمع الثروة على حساب الناس ، وظهر مع الزمن وجه الرأسمالية القبيح التى قسمت المجتمع إلى فئة مستغلة وفئة مستعبدة ، وأصبح مصدر الثروة هو الربا والاحتكار تحت شعار الحرية .

ثم جاءت الاشتراكية لتهدم هذه النظرية وتقيم نظامها على إلغاء الملكية وصراع الطبقات وعاشت بالقهر والإرهاب ولم تجن الإنسانية من ورائها إلا أبشع أنواع الاستعباد ، وانتقلت الرأسمالية الفردية إلى رأسمالية الدولة واستعباد الطبقة الجديدة للمحكومين .

وســطية الإســلام

أين هذا من وسطية الإسلام ؟ انه حين يحارب الربا والاحتكار والاستغلال لا يمنع نوازع الفطرة فى التملك والتمييز لأن الاختلاف فى الأشياء هو سنة الكون .

ولقد جعل الإسلام فى نظامه حدوداً لكل شىء ، حداً أعلى مبنياً على العدل وحداً أدنى مبنياً على الحق تكفله الزكاة .

● **تعقيب :**

وبعد هذه الرحلة بين صفحات الكتاب لا نستطيع إلا أن نشيد بالمؤلف وكتابه حيث نجح وإلى حد بعيد فى تتبع جذور الفكر العلمانى ونشأته بداية من مرحلة العصور الوسطى فى أوروبا وحتى اليوم إلا انه كان ينبغى على الباحث أن يدعم بحثه ببيانات وأرقام إحصائية توضع بالشكل العملى عجز النظم العلمانية عن مجرد تحقيق أهدافها التى قامت عليها .

أنباء وآراء

أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر

إعداد : مصطفى عبدالمجيد

الإمام الأكبر يشارك فى عدة مؤتمرات بالمملكة العربية السعودية

شارك فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فى اجتماعات الدورة الخامسة عشر للمجلس الأعلى العالمى للمساجد التى عقدت بمكة المكرمة فى الفترة من ٢٧ من رجب ١٤١٢ هـ الموافق أول فبراير الماضى ولمدة خمسة أيام .

وقد طالبت الدورة فى ختام اجتماعاتها بتوعية المسلمين بواجبهم نحو تحرير فلسطين ، والحفاظ على المسجد الأقصى ، واستمرار الجهاد لتحقيق هذا الهدف .

كما ترأس فضيلته اجتماعات هيئة رياسة المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة بمقر رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة .

كما ترأس فضيلته وشارك فى أعمال مؤتمر تنسيق العمل الإسلامى ووضع استراتيجية له فى مجال الدعوة الإسلامية .

عقد المؤتمر بمقر الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامى بجدة فى الفترة من الرابع حتى السابع من شعبان ١٤١٢ هـ الموافق الثامن حتى الحادى عشر من فبراير ١٩٩٢م .

الإمام يجتمع بقيادات الدعوة الإسلامية

عقد اجتماع كبير فى قاعة الإمام محمد عبده يوم الاثنين ٢٠ من شعبان ١٤١٢ هـ ـ الموافق ٢٤ من فبراير ١٩٩٢ م ، برعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر حضر الاجتماع الأستاذ الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف .

وشارك فى هذا المؤتمر قادة رجال الدعوة من الأزهر والأوقاف بمناسبة تنفيذ أكبر خطة للتوعية الدينية فى جميع مدن وقرى مصر خلال شهر رمضان المعظم وتنظيم ندوات واحتفالات قرآنية فى كافة أنحاء جمهورية مصر العربية .

وفد من الأزهر يزور الجمهوريات الإسلامية فى الكومنولث الجديد

يقوم وفد من الأزهر بزيارة الجمهوريات الإسلامية فى الكومنولث الجديد لدراسة أحوال المسلمين هناك وللعلم بمدى حاجتهم إلى العلماء وإمكانية مساهمة الأزهر فى إحياء الروح الإسلامية والثقافة الدينية الأصيلة عند هذه الشعوب المسلمة .

يضم الوفد الذى يرأسه فضيلة الشيخ أحمد السيد أحمد عطا سعود رئيس الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية والقائم بأعمال أمين عام مجمع البحوث الإسلامية وتسعة أعضاء من بينهم د/ محمد على ناصر عميد أصول الدين بأسيوط ، وفضيلة الشيخ فوزى الزفزاف الأمين العام المساعد بمجمع البحوث الإسلامية ، والدكتور على أحمد الخطيب رئيس تحرير

مجلة الأزهر ، وفضيلة الشيخ محمد حفنى أبو الفتوح مدير عام منطقة القاهرة الأزهرية ، والدكتور جعفر عبد السلام الأستاذ بكلية الشريعة بالقاهرة وفضيلة الشيخ محمد يوسف عفيفى وكيل الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية .

رحب فضيلة الشيخ محمد صادق مفتى آسيا الوسطى بوفادة الأزهر مؤكدا اهتمام المسلمين باستقبال هذه البعثة .

الإمام الأكبر يزور الجامعة الإسـلامية بالرياض

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بزيارة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية خلال زيارة فضيلته للسعودية فى الشهر الماضى .

كان فى استقبال فضيلته الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى رئيس الجامعة وقد تفقد الإمام الأكبر خلال الزيارة مبنى كلية الشريعة وقاعة المؤتمرات الكبرى بالجامعة المجهزة بأحدث الأجهزة (التكنولوجية) التى زودت بها المنشآت العلمية بالسعودية .

الإمام الأكبر يشهد حفل تخريج الدعاه الوافدين

شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر حفل ختام الدورة السادسة عشرة للأئمة والدعاة الوافدين من العالم الإسلامى التى حضرها علماء ثلاثة دول افريقية بالإضافة إلى علماء من الصين وروسيا الاتحادية ، وألبانيا .

استمرت الدورة ثلاثة أشهر .

أكد فضيلة الإمام الأكبر على واجب العلماء والدعاة فى العالم الإسلامى للتثقيف والتأكد مما يقولون وألا يدلوا برأى فى أى أمر بغير علم واضعين نُصب أعينهم قول الحق تبارك وتعالى « وفوق كل ذى علم عليم » .

كما أشار فضيلته إلى ضرورة التعامل مع المواطنين بالحسنى والابتعاد عن الغلظة أو التكبر .

حضر الحفل فضيلة الشيخ عبد المنعم أبو العطا عطية أمين عام اللجنة العليا للدعوة بالأزهر المنظمة للدورة وفضيلة الشيخ عبد العزيز عبد الرحمن المشرف العام على الدورة ومدينة البعوث الإسلامية ، كما حضره سفراء الصين وروسيا الاتحادية وألمانيا وغينيا كوناكرى ولفيف من علماء الأزهر الشريف .

ايفاد ٢٣ عالما إلى مختلف دول العالم لنشر الثقافة الإسلامية طوال شهر رمضان المعظم

أصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر قرارا بايفاد (٢٣) ثلاثة وعشرين عالما من علماء الأزهر الشريف إلى مختلف دول العالم للوعظ ونشر الثقافة الإسلامية طوال شهر رمضان المعظم تشمل الدول : الولايات المتحدة الأمريكية ـ المانيا ـ هولندا ـ السويد ـ البرازيل ـ استراليا ـ المالاديف ـ مالى ـ مدغشقر ـ فنزويلا ـ اثيوبيا .

الإمام الأكبر يواصل سلسلة احاديثه خلال شهر رمضان المعظم

يواصل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ـ على إمتداد ثلاثين حلقة على شاشة التليفزيون عقب صلاة التراويح فى ليالى شهر رمضان المعظم ـ سلسلة أحاديثه « مع القرآن الكريم فى رمضان » .

انباء العالم الإسلامى

● إعداد : قسم التحرير

المطالبة بالتزام الفصحى

طالب مجمع اللغة العربية فى ختام دورته الثامنة والخمسين بإنشاء مؤسسة عربية تتخصص فى نقل العلوم والمعجمات المتخصصة ، وبالتزام وسائل الإعلام بالعربية الفصحى ، وتوحيد المصطلحات فى جميع العلوم فى الوطن العربى وتتضمن التوصيات :

● الاهتمام بتعليم الناشئة الأجزاء الثلاثة الأخيرة من القرآن الكريم على الأقل وذلك فى مرحلة التعليم الأساسى لتستقيم الملكة اللغوية لهم ويتمثلوا قيمه الجمالية والسلوكية والاجتماعية .

● ضرورة تعريب التعليم الجامعى فى جميع مراحله والاستناد فى ذلك إلى المعجمات العلمية المتخصصة التى أصدرتها مجامع اللغة العربية .

● وأوصى مؤتمر المجمع حكومات الدول العربية بإنشاء مؤسسة على مستوى الوطن العربى تكون مستقلة ومهمتها العمل على :

● نقل العلوم و(التقنيات) الحديثة والمعجمات المتخصصة والموسوعات والدوريات وما أشبه ذلك إلى اللغة العربية .

● نقل تراث الفكر والأدب العالميين إلى اللغة العربية .

● كذلك أوصى المؤتمر الدول والحكومات العربية بالحرص على أن تكون اللغة العربية هى اللغة التى تلتزم بها جميع وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية .

● وطالب المؤتمر جميع الدول العربية المنتمية إلى جامعة الدول العربية بضرورة الالتزام بالحرف العربى فى الكتابة باللغة الفصحى . وأكد دعوته السابقة إلى حكومة الصومال بالعودة إلى الأبجدية العربية .

● كذلك أوصى جميع الدول الإسلامية ان تلتزم بما كانت ملتزمة به من استعمال الحرف العربى فى كتابة لغاتها القومية .

● وأكد المؤتمر توصيته السابقة ببذل الجهود لوضع معجم كبير للعامى الذى له أصل فى الفصحى المشترك فى البلدان العربيـة حتى تتقارب وتتعارف بلغة مشتركة .

● كما أكد المؤتمر توصيته السابقة بدعوة اتحاد المجامع اللغوية (العلمية والجامعات) والهيئات العلمية إلى توحيد المصطلحات فى جميع العلوم بالوطن العربى حتى تنتهى البلبلة فيها ويتعاون علماؤنا فى نهضة العلوم لبلادنا نهضة جماعية عربية .

● وأكد المؤتمر كذلك على توصيته السابقة بزيادة عدد الساعات فى تدريس اللغة العربية ، مع العناية فى النصوص بالضبط والشكل الكامل ومع تيسير القواعد للناشئة والاستعانة فى ذلك بما أقره المجمع من تيسير لهذه القواعد .

● وأوصى المؤتمر بالعناية فى التدريس للناشئة وفى جميع وسائل الإعلام وفى الإذاعتين المسموعة والمرئية باستخدام الفصحى ، ولتحقيق ذلك يوصى المجمع بإعداد المذيعين والمذيعات إعدادا لغويا سليما نطقا وكتابة .

● وأكد المؤتمر توصيته السابقة بضرورة إصدار تشريعات بكتابة (اللافتات) على المحال التجارية والشركات والفنادق بالعربية كما تحظر كتابة الأسماء الأجنبية عليها بحروف عربية .

ودعا المؤتمر رجال الدولة وجميع المسئولين فى الوطن العربى أن يلتزموا فى خطبهم وبياناتهم الموجهة إلى الجماهير اللغة العربية السليمة لما لذلك من تأثير عميق فى نفوس الجماهير وتمثيلها القويم للبيان العربى .

الفاتيكان يطالب البرازيل بزيادة النسل

قام القس الأكبر بالفاتيكان بزيارة إلى البرازيل استغرقت عشرة أيام زار خلالها مختلف المدن البرازيلية ، وحرص على إلقاء الخطب فى الكنائس والكاتدرائيات والساحات العامة باللغة البرتغالية حيث أبدى قلقه من جراء تناقص عدد الكاثوليكيين فى البرازيل وحث البرازيليين على زيادة النسل ، وطالب المرأة البرازيلية بعدم الاجهاض .

وقد حرصت جميع وسائل الإعلام البرازيلية على متابعة وتغطية زيارة الأسقف للبرازيل ، وقامت محطات التليفزيون فى البرازيل وأمريكا اللاتينية بنقل خطبه على الهواء مباشرة .

مذابح جماعية لمسلمى بورما

وسط أنباء عن مذابح جماعية تمكن سبعون ألفا من مسلمى بورما من الفرار مؤخرا إلى (بنجلاديش) هربا من اضطهاد السلطات العسكرية لهم هناك وأكدت أنباء صحفية أن مسلمى بورما أرغموا على الفرار بعد قيام وحدات المدفعية والطيران بدك القرى الإسلامية مستخدمة قذائف كيميائية وبكتريولوجية .

كذلك أكدت مصادر مطلعة قيام سلطات بورما بإرغام شباب ونساء وأطفال مسلمين فى العمل سخرة فى نقل الذخيرة والإمدادات بين معسكرات الجيش .

تأتى هذه الأحداث فى الوقت الذى ما زالت تحجم فيه غالبية منظمات الإغاثة الدولية عن تقديم المساعدات للاجئى بورما المسلمين .

المسلمون فى النرويج

تشهد العاصمة النرويجية أوسلو قريبا بدء أعمال إنشاء المركز الإسلامى العام ، وقد تم وضع مخطط كامل لإنشاء هذا المركز ، ستكون مساحة البناء ثلثمائة متر مربع على قطعة أرض مساحتها (١٢ ألف متر مربع) ، ويتكون هذا المركز من مسجد ومكتبة ومدرسة وأماكن خاصة للأطفال والشباب .

يأتى إنشاء هذا المركز وسط اعتراضات حادة من مجلس الكنائس العالمى الذى حذر فى أكثر من مناسبة من خطورة السماح لمسلمى أوربا بإنشاء المساجد والمراكز الإسلامية .

مما يذكر أن النرويج هى إحدى الدول التى تعرف بالإستكندنافية ويبلغ عدد المسلمين بها ما يقرب من (١٥ ألف نسمة) أغلبهم ينتمى إلى المهاجرين الذين قدموا إلى هذه البلاد من مختلف البلاد الإسلامية مع نهاية الستينات .. وهناك عدد من الجمعيات الإسلامية فى النرويج منها المركز الثقافى التركى ، والجمعية الإسلامية ، والأكاديمية الإسلامية ، وجمعية الشباب المسلم ، وجمعية العمال الأتراك .

ومن المقرر أن يتولى المركز الإسلامى النرويجى العام الإشراف على أنشطة جميع الجمعيات الإسلامية ووضع خطة عمل لها لتوسيع نطاق الاستفادة من هذه الجمعيات بما يخدم المسلمين وحركة الدعوة الإسلامية فى النرويج .

الفهـــــــرس

الموضـوع	الصفحة
• الإفتتاحية : الصائمون والاعلام للدكتور على أحمد الخطيب	٩٩٣
• فى استقبال رمضان لفضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر	٩٩٦
• مع سورة الأنفال لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الجليل شلبى	١٠٠٠
• التنافس فى الخير للشيخ على حامد عبد الرحيم	١٠٠٤
• من فقه الأئمة للشيخ محمد حسام الدين	١٠٠٦
• احكام نية الصوم فى الفقه الاسلامى للدكتور محمد حسين قنديل	١٠١٠
• رمضان ... والصلاة الخاصة لفضيلة الشيخ معوض عوض إبراهيم ...	١٠١٨
• خواطر رمضانية بين يدى شهر رمضان للدكتور مبروك عطية أحمد أبو زيد	١٠٢١
• مبحث الصيام لفضيلة الشيخ محمد مرسى عامر	١٠٢٥
• كيف عالج الاسلام الفقر ؟ للأستاذ الدكتور عبدالمقصود محمد نصار	١٠٣٢
• الزبير بن العوام للدكتور عبد العزيز غنيم	١٠٣٨
• ملامح النظام السياسى للدولة اليهودية بقلم لواء أ.ح دكتور فوزى محمد طايل ...	١٠٤٢
• لحظات طيبات مع الامام سعيد بن المسيب إعداد : عادل خفاجة	١٠٤٨
• حول شهادات الاستثمار بقلم : المستشار أحمد محمد إبراهيم	١٠٥٣
• من اعلام الأزهر للأستاذ طه جابر العلوانى	١٠٥٧
• جمهورية قازاكستان للأستاذ الدكتور محمد عبدالعليم العدوى .	١٠٦٣
• الفتاوى ... إعداد : عبد المنعم فودة	١٠٧٦

الشـعر والشـعراء

الموضـوع	الصفحة
• إلى العابثين بالدين والفن للشاعر رشاد محمد يوسف	١٠٧٢
• كنا .. ولكن !! للشاعر محمود محمد بكر هلال	١٠٧٤
• القراءة ... وطن ! للشاعر السيد الصديق حافظ	١٠٧٥
• ٢ ـ المستدرك على ديوان عمرو بن كلثوم الثعلبى للاستاذ أيمن ميدان	١٠٧٦
• طرائف ... ومواقف للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبدالحليم	١٠٨٠
• من روائع الماضى بمجلة الأزهر إعداد وتقديم : عبدالفتاح حسين الزيات .	١٠٨٢

العلـوم الـكونية

الموضـوع	الصفحة
• قراءة إسلامية فى كتاب الكون للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا	١٠٨٩
• التقويم القمرى وتحديد أوائل الشهور الهجرية للدكتور زين العابدين متولى	١٠٩٤
• اللغز العجيب للأستاذ مجدى عبد الحميد بشير	١٠٩٩
• الجديد فى .. العلم والتقنية إعداد : د. نجوى السيد أحمد	١١٠٥

اللغة والنقد والأدب

الموضـوع	الصفحة
• لغة الإسبرانتو بين المد والجذر بقلم : د. توفيق محمد شاهين	
•• جليلة رضا رائدة الشعر النسائى المعاصر بقلم : أحمد مصطفى حافظ	١١١٤
• قراءة فى كتاب عرض وتعليق : أحمد السيد تقى الدين ..	١١١٧
• أنباء وآراء ... إعداد : مصطفى عبد المجيد ـ وقسم التحرير	١١٢١

القسم الفرنسى

الموضـوع	الصفحة
• المقالة الأولى : للدكتورة رقية جبر	١١٤٠
• المقالة الثانية : لأنيس عبد الفتاح عامر .	١١٣٤

القسم الانجليزى

الموضـوع	الصفحة
● المقالة الأولى : للدكتور أنسى مصطفى النجار	١١٥٠
• المقالة الثانية :	١١٤٦

"l'inimitabilité du Coran", Al Baqillanï (../403)[1], théologien as arite et juriste malekite, s'est attaché à démontrer que le Coran est un livre inimitable, d'origine divine, révélé à Mohammad paix soit sur lui pour prouver la véracité de sa mission prophétique.

Pour lui, le miracle du Coran se présente sous trois aspects : l'information sur ce qui est caché, l'ignorance de Mohammad paix soit sur lui en matière de lecture et d'écriture enfin la perfection du style. En fait ce dernier aspect revêt une grande importance chez Al Baqillanï, ce dernier a presque consacré son livre à démontrer qu'il s'agit d'un vrai miracle. En effet, c'est par ce style inimitable que le Coran se distingue des autres Livres révélés.

« إعجاز القرآن »

Selon Al Baquillanï, le style coranique n'appartient ni à la poésie, ni à la prose rythmée car le Coran, n'en renferme pas. Pour défendre son opinion, Al Baqillanï s'est fondé sur le verset suivant :

[Nous n'avons point enseigné à Mohammad la poésie, il ne faudrait qu'il en soit ainsi]
Sourate "Yâsîn", le sens du verset 69[2]

De même, l'argumentation d'Al Baqillani est fondée sur le défi qui n'a pas été relevé. En effet si les Arabes avaient considéré le Coran comme une poésie et une prose rythmée qui ne dépasse pas les modes d'expression de leur langue, ils auraient dû se précipiter pour contredire et relever le défi lancé par le Prophète paix soit sur lui car la poésie et la prose leur étaient accessibles.

A la différence d'Al Baqillanï, « دلائل الإعجاز » Al "Gurgani (....../471H), théologien saféite, tend à démontrer, dans son livre ou "Les preuves de l'inimitabilité", qe l'éloquence ne réside pas dans l'harmonie des mots mais dans la beauté du sens qui résulte de leur heureuse union. C'est pourquoi il serait absurde, selon Al Gurganï, de considérer le mot isolément ou de lui attribuer un rôle plus important que celui de l'idée. Car le mot qu'on peut juger beau et bien approprié dans un contexte déterminé peut, au contraire, paraître laid et inadéquat dans un autre.

Quatre siècle plus tard, As Suyutï a résumé les idées de ses prédécesseurs dans un ouvrage intitulé « الاتقان في علوم القرآن »
"La perfection dans les sciences du Coran".

On pourrait déduire de cela que l'éloquence du style coranique a occupé une place privilégiée dans les recherches de Ulémas. Ils étaient quasi unanimes à affirmer que la suprême beauté du style coranique constitue le miracle le plus important de l'Islam.

---

1. Sa date de naissance est inconnue.
2. Interprétation personnelle.

(٢) قال تعالى : ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴾ سورة يس – آية : ٦٩ .

"Si les êtres humains sont dans l'impossibilité de produire quelque chose de semblable au Coran, c'est pour plusieurs raisons :

Leur savoir ne peut embrasser tous les noms de la langue arabe ni tous ses vocables (alfaz) qui sont les contenants du sens (ma'ani) et son support.

Leur intelligence ne peut saisir toutes les notions des choses (ma'ani-asya) auxquelles se réfèrent ces vocables.

Leur connaîssance ne peut être assez parfaite pour s'étendre intégralement à tous les modes que prennent les rapports (wuguh al-nuzum) qui les organisent et les lient les uns aux autres".(1)

Selon Al Hattabi tout discours est composé de trois éléments constitutifs : lafz (vocables) ma'ana (sens) et nuzum (rapports). L''inimitabilité du discours coranique provient des rapports établis entre chacun de ces trois éléments :

"Sache qui si le Coran est inimitable c'est parce qu'il apporte les vocables les plus purs, agencés selon les rapports organisateurs les plus parfaits (nuzum al ta'lif) et qu'il contient les idées (ma'ani) les plus justes sur l'unicité d'Allah (tawhid)"(2)

Enfin Al Hattabi aborde un autre aspect de l'i'gaz. Il s'agit de l'effet que produit le Coran sur le coeur et de son influence sur les âmes. Il prend en exemple le cas de 'Omar Ibn Al Hattab qui s'est converti à l'Islam après avoir entendu sa soeur réciter la Sourate "TAHA".

Dans son ouvra ge « إعجاز القرآن »

---

(١) « وإنما تعذر على البشر الاتيان بمثله لأمور منها ان علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وبألفاظها التى هى ظروف المعانى والحوامل لها ولاتدرك افهامهم جميع معانى الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ ولاتكمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النظوم التى يكون ائتلافها وارتباطها بعضها ببعض .

(٢) .. وأعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بافصح الألفاظ فى أحسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعانى من توحيد له عن قدرته ..

C.F. Audebert, Al-Hattabï et l'immitabilité du Coran, traduit par Audebert, op. cit, p.87

Ibid, p.88

[Dis :
Si les hommes et les Djinns s'unissaient pour produire quelque chose de semblable à ce Coran, ils ne produiraient rien qui lui ressemble, même s'ils s'aidaient mutuellement]
Sourate "Le Voyage nocturne", le sens du verset 88(1)

Selon Al Hattabi, ce verset fait allusion à quelque chose d'inaccessible or ceci, ne s'accorde pas avec l'idée de dissuasion qui vise autre chose

Al Hattabi a refuté en outre l'opinion selon laquelle l'inimitabilité du Coran réside dans les prédications qu'il contient et qui se produiront dans l'avenir. Selon lui, les prédications constituent l'un type du caractère miraculeux du Coran; mais ce n'est pas un fait de caractère général puisque cela ne se rencontre pas dans toutes les sourates. Par contre, chaque sourate constitue en elle-même un miracle que personne ne peut imiter(2). Ainsi Allah a dit :

[Si vous êtes dans le doute au sujet de ce que nous avons révélé à notre serviteur, apportez-nous une sourate semblable à ceci]
Sourate "La Vache", le sens du verset 23(3)

Al Hattabi aborde ensuite le sujet de l'éloquence dans le discours coranique. Pour lui, il y a trois classes d'éloquence :

"discours éloquent, vigoureux, ample, discours correct, accessible et aisé, enfin le discours courant, coulant et plein d'abandon (al talq al rasil)(4)

Pour lui, l'éloquence du Coran participe à toutes ces classes; et c'est le mélange de ces derniers qui a créé-paradoxalement un discours harmonieux qui joint la douceur à la vigueur. Cependant l'harmonie de ces deux qualités opposées dans le style coranique est devenue possible grâce à la toute puissance divine et par cela même elle témoigne de la véracité du Message du Prophète paix soit sur lui

Al Hattabi explique en outre les raisons pour lesquelles les hommes sont incapables de produire quelque chose de semblable au style coranique :

---

(١) قال تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ سورة الإسراء ـ آية : ٨٨ .

2. Voir C.F. Audebert, Al Hattabi et l'inimitabilité du Coran, traduction et introduction au "Bayan igaz al Qur'an," Damas, 1982, p.12.

(٣) قال تعالى : ﴿ وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله ﴾ سورة البقرة ـ آية : ٢٣ .

4. C.F. Audebert, Al Hattabi et l'immitabilité du Coran, op. cit, p. 119.

4. L'inimitabilité du Coran réside dans les prédications véridiques des événements à venir.

Citons, à titre d'exemple, le verset suivant où Allah annonce la victoire des Romains qui devait avoir lieu quelques années après leur défaite :

[Les Romains ont été vaincus dans le pays voisin;
mais après leur défaite, ils seront vainqueurs
dans quelques années] Sourate "Les Romains" le sens du verset 24[1]

5. La rupture du cours habituel des choses

Selon Ar Rummani, cet aspect réside dans le fait que le Coran a apporté une nouvelle forme d'expression qui dépasse par sa beauté toutes les formes littéraires jusque-là connues, comme la poésie, la prose rythmée ou le discours.

6. L'analogie entre le Coran et les autres miracles

Comme tous les autres miracles, (la transformation du bâton de Moïse en serpent ou le chemin qui s'ouvrit dans la mer), le Coran s'écarte du cours habituel d'une manière si évidente que les hommes furent incapables de relever le défi et de composer un seul verset comparable à celui du Coran.

7. L'éloquence du Coran

En fait, Ar Rummani insiste surtout sur l'éloquence du discours coranique à laquelle il a consacré presque tout son ouvrage. Pour lui l'éloquence peut se diviser en trois catégories : une classe supérieure, une classe inférieure et une classe moyenne entre les deux. L'éloquence du Coran appartient uniquement à la classe supérieure qui ne peut relever que du miracle parce qu'elle dépasse les limites du pouvoir humain. L'éloquence chez Ar Rummani est le fait de rendre un sens qui touche le coeur sous une belle forme d'expression[1]. Ensuite Ar Rummani a dénombré dix aspects de l'éloquence parmi lesquels nous citons : la concision, la comparaison, la métaphore, l'harmonie, l'hyperbole, la beauté du style. Il applique ensuite chacune de ces aspects d'éloquence au discours coranique.

C'est presque dans le même sens qu'Al Hattabi (319 H — 388 H), traditionaliste et lexicographe, aborde ce sujet. Dans son ouvrage" « بيان إعجاز القرآن » ou "Mise en évidence de l'inimitabilité du Coran", il commence par critiquer l'idée de décourager toute intention de contredire le Coran malgré l'éloquence des Arabes. Car Allah dit dans la Sourate "Le voyage nocturne" :

---

(١) قال تعالى : ﴿ غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين ﴾ سورة الروم ـ آيات : ٣ ـ ٤ .

Pour désigner les Byzantims, les Arabes utilisaient couramment le terme. "Rum". L'empire byzzantin s'est donné le nom d'Empire romain et ses sujets s'appelaient les Romains.

(١) « وإنما البلاغة فى إيصال المعنى إلى القلب فى حسن صورة من اللفظ » .
د. خلف الله د. سلام ، ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ، دار المعارف بمصر بدون تاريخ ، ص ٦٩٠ .

En quoi consiste donc le caractère miraculeux du Coran ou "i'gaz al Qur'an"(1)

Plusieurs écrivains du IV ème et V ème siècle de l'Hégire se sont penchés sur l'étude de cette question en essayant de trouver une réponse adéquate.

Commençons d'abord par Ar Rummani (296 H — 386 H), théologien scolastique et grammairien, qui a consacré son livre," « النكت في إعجاز القرآن » ou "Les remarques explicatives sur la nature miraculeuse du Coran, à démontrer les aspects en vertu desquels le Coran est de caractère inimitable. Il en a relevé sept :

1. L'Abandon de l'opposition malgré les motifs nombreux de contredire Mohammad paix soit sur lui

Ar Rummani recourt à l'image de l'homme qui souffre d'une soif ardente alors que l'eau est à portée de sa main. Cependant il s'abstient d'en boire jusqu'à sa mort. Cet abandon témoigne de son incapacité à boire cette eau. Ainsi, similairement, l'hostilité et le persécution des Arabes sont la preuve que les motifs de contredire Mohammad paix soit sur lui et son Message divin furent nombreux. Mais personne n'a pu contredire le Coran. Ce qui prouve l'impuissance des hommes à le faire(2).

2. Le défi lancé à l'ensemble des humains de produire quelque chose de comparable au Coran

La nature miraculeuse du Coran a révélé aux hommes qu'ils sont incapables de produire quelque chose de semblable. Aussi ont-ils déclaré la guerre contre Mohammad paix soit sur lui et son Message au lieu de tenter de commposer un seul verset et cela bien qu'ils soient particulièrement qualifiés dans le domaine de l'éloquence.

3. La dissuasion

La dissuasion est le fait qu'Allah a détourné toute intention de contredire le Coran ou même de produire quelque chose de semblable bien que le fait d'essayer fût à leur portée.

Ar Rummani opte pour les partisans de cette opinion car il considère que la dissuasion dans ce cas, est en elle-même miracle car elle ne relève pas du cours habituel des choses.

---

1. L'usage du terme "i'gaz al Quran" pour désigner la nature miraculeuse du Coran remonte aux travaux des théologiens. Mais nous ne pouvons déterminer de façon précise quand ce terme fut créé ni quel en est l'auteur. Notons que ce terme ne figure ni dans le Coran, ni dans la tradition prophètique dans le Coran, un miracle s'appelle "aya ou" "signe", terme désignant également les versets qui composent les sourates.
2. Voir J. Bouman, le Conflit autour du Coran et la solution d'Al Baqillani, Durkkery en uitzgevery Jacob Van Campen, Amsterdam, 1959, pp 45-46.

A l'époque où vécut Mohammad paix soit sur lui l'éloquence des Arabes était à son apogée. C'est pourquoi le défi lancé auc contemporains du Prophète fut de produire un texte ou même un verset qui soit comparable au style miraculeux du Coran, comme en témoignent ces versets :

[Si vous êtes dans le doute
au sujet de ce que nous avons révélé
à notre serviteur,
apportez-nous une Sourate semblable à ceci]

Sourate "La Vache", le sens du verset 23(1)

De même, on trouve dans le Coran :

[Diront-ils : «Il a forgé cela»?
Dis :
Apportez donc dix Sourates forgées par vous et semblables à ceci !]

Sourate. "Houd", le sens du versest 13(2)

Mais personne n'a relevé le défi, bien qu'il y eût parmi les Arabes de la "Gahilíya" des orateurs éloquents et des poètes éminents. Incapables de composer un seul verset qui soit comparable à ceux du Coran, les contemporains de Mohammad paix soit sur lui se mirent à combattre le Prophète et son Message. Par leur réaction même, les Arabes ont prouvé leur impuissance à atteindre le degré de perfection du Coran. En effet, ce Livre, qui relève effectivement du miracle, surpasse par un mode d'expression unique toutes les formes jusque-là connues de l'éloquence.

---

(١) قال تعالى : ﴿ وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله ﴾ سورة البقرة ـ آية : ٢٣ .
(٢) قال تعالى : ﴿ ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله ﴾ سورة هود ـ آية : ١٣ .

Les deux versets suivants prouvent en outre que le Coran n'est point exclusivement adressé aux Arabes mais à l'humanité tout entière :

[Nous t'avons envoyé à la totalité hommes uniquement comme annonciateur de la bonne nouvelle et comme avertisseur, mais la plupart des hommes ne savent pas]

Sourate Les Saba, le sens du verset 28(1)

De même, on trouve dans le Coran :

[Dis :
O vous, les hommes !
je suis, en vérité, envoyé vers vous tous]
Sourate "Al Araf" le sens du verset 158(2)

En règle générale, le miracle accompli par chacun des prophètes appartient toujours au domaine où ses contemporains ont atteint le plus haut degré de perfection. En surpassant toutes les normes jusque-là connues, le miracle témoigne de la véracité de la mission du prophète(3).

Ainsi le message de Moïse eut lieu à une époque où le pouvoir des sorciers était à son apogée. Or, ce prophète les a défiés par la transformation de son bâton en serpent. Les sorciers ont alors constaté que l'oeuvre de Moïse dépasse le domaine de la sorcellerie et ont reconnu leur impuissance devant ce miracle. Autrement dit, les sorciers ont reconnu qu'il ne s'agit point de sorcellerie, mais du pouvoir d'un Etre Supérieur. C'est pourquoi ils crurent au Message de Moïse.

De même Jésus vivait à une époque où les médecins et la médecine avaient fait de grands progrès. En ressuscitant les morts, ce prophète a dépassé tout ce que la médecine pouvait réaliser. Ce fut là un miracle dont aucun être humain n'a jamais été capable.

---

(١) قال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونزيرا ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ سورة سبأ ــ آية : ٢٨ .
(٢) قال تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً ﴾ سورة الأعراف ــ آية ٧٨ .

Il est regrettable que l'opinion de la nouvelle Encyclopédie de L'Islam soi en contradiction avec les versets coraniques que nous venons de citer. Dans l'article "al Kurân" nous lisons le commentaire suivant :

"Il (le Coran) n'était pas, à l'origine destiné à des non-Arabes, et c'est seulement parsuite de l'extension des conquêtes arabo-islamiques que la sphère d'influence du Kur'an couvrit les territoires étrangers au monde arabophone"

Or, Rien n'est plus faux : il n'existe aucun rapport entre l'expansion de l'Islam et les conquêtes arabo-islamiques. Car les versets qui affirment que Mohammad (B 8 S) est envoyé à l'humanité toute entière, ont été révélés à l'époque mecquoise c'est-à-dire avant que l'Islam ne se soit répandu à travers le monde par les conquêtes.

(٣) انظر د. بركة ، الاعجاز القرآنى وجوهره .. وأسراره ، ومكتبة وهبة ، ١٩٨٩ ، ص ٥ ــ ٦ .

Jésus fut également doué de pouvoirs miraculeux. Le premier est celui de sa naissance même, lorsqu'il parla au berceau, mais aussi le pouvoir de guérir l'aveugle et le lépreux, la résurrection des morts, le pouvoir de donner la vie à un oiseau créé d'argile *(Sourate "La Famille de 'Imran", le sens du verset 49)*[1].

L'authenticité de la mission de Mohammad paix soit surlui est également prouvée par un miracle. Mais ce miracle est d'une nature différente. Ce n'est plus un bâton qui se transforme en serpent ni un lépreux qui guérit sans remède. Le miracle de Mohammad réside dans la doctrine qu'il apporte, à savoir le Coran qui est un dogme et un mode de vie.

As Suyuti dit à propos des miracles des Prophètes :

"Sache que le miracle est un fait extraordinaire qui est en même temps un défi qu'on ne peut pas relever. Le miracle peut être soit concret, soit abstrait. La majorité des miracles adressés au peuple d'Israël étaient concrets à cause de l'insouciance et de l'aveuglement de ce peuple. Par contre la majorité des miracles adressés à cette communauté (c'est-à-dire les Arabes) étaient abstraits car il s'agissait d'un peuple particulièrement intelligent et perspicace. Or, comme cette législation (le Coran) est immuable jusqu'au jour de la Résurrection, elle a le caractère d'un miracle rationnel et éternel afin de rester comme un témoignage durable pour les hommes clairvoyants."[2]

Le Coran est considéré comme l'ultime miracle. Il n'a pas disparu, comme les autres miracles, avec la mort du prophète dont il a appuyé le Message. Mais il a été transmis de génération en génération et il demeurera inchangé jusqu'au jour du Jugement Dernier comme en témoigne ce verset :

[Nous avons fait descendre le Rappel, nous en sommes les gardiens]

(Sourate Al Hijr, le sens du verset) 9[3]

---

(١) قال تعالى : ﴿ **ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرىء الاكمه والابرص وأحيى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين** ﴾ سورة آل عمرن ـ آية : ٤٩ .

(٢) « اعلم ان المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى سالم عن المعارضة وهى اما حسية واما عقلية وأكثر معجزات بنى إسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم وكمال إفهامهم ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذو البصائر » .

السيوطى ، الاتقان فى علوم القرآن ، مطبعة المعاهدة ، ١٩٣٥ الطبعة الثانية ، ص ١١٦ **Traducion personnele** .

(٣) قال تعالى : ﴿ **انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ سورة الحجر ـ آية : ٩ .

Chapitre 1
Traductibilité du Coran

par

Inès Abdel Fattah Amer

Les miracles des Envoyés d'Allah

Le miracle est un fait extraordinaire que les hommes sont incapables de produire. Les Envoyés d'Allah ont accompli des miracles grâce à la toute-puissance divine. En fait, le Coran rapporte les miracles par lesquels Allah a appuyé chacun de Ses Messagers dans le but de faire triompher sa cause : Noé sauvé du déluge *(Sourate. "Houd", les sens du verset 48)*[1], **Abraham sorti indemne du feu où ses adversaires l'ont jeté** *(Sourate. "Les Prophètes", les sens du verset 69)*[2], **Loth sauvé par Allah qui le fit sortir de sa ville avant qu'elle ne soit détruite** *(Sourate. "Les Fourmis", les sens du verset 57)*[3], **les djinns mis au service de Salomon** *(Sourate. "Les Saba", le sens du verset 12)*[4].

On peut citer entre autres, Moïse et Jésus qui ont accompli des miracles particulièrement extraordinaires.

L'histoire de Moïse, telle qu'elle nous est rapportée dans le Coran, mentionne une multitude de miracles : la transformation du bâton en serpent *(Sourate) "TAHA" le sens du verset 20)*[5], **le chemin qui s'ouvrit dans les eaux pour permettre le passage de Moïse et de son peuple** *(Sourate "TAHA", le sens du verset 77)*[6], **la manne et les cailles qu'Allah a fait descendre du ciel pour le peuple d'Israël** *(Sourate TAHA", le sens du verset 80)*[7].

---

(١) قال تعالى : ﴿ **قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك** ﴾ سورة هود ـ آية : ٤٨ .
(٢) قال تعالى : ﴿ **قلنا يا نار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم** ﴾ سورة الأنبياء ـ آية : ٦٩ .
(٣) قال تعالى : ﴿ **فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين** ﴾ سورة النمل ـ آية : ٨٧ .
(٤) قال تعالى : ﴿ **ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه** ﴾ سورة سبأ ـ آية : ١٢ .
(٥) قال تعالى : ﴿ **فالقاها فإذا هى حية تسعى** ﴾ سورة طه ـ آية : ٢٠ .
(٦) قال تعالى : ﴿ **ولقد أوحينا إلى موسى أن اسر بعبادى فاضرب لهم طريقاً فى البحر يبسا** ﴾ سورة طه ـ آية : ٧٧ .
(٧) قال تعالى : ﴿ ... **ونزلنا عليكم المن والسلوى** ﴾ سورة طه ـ آية : ٨٠ .

"Je l'ai trouvée d'une chaleur intense et elle avait une odeur de rance."[1]

Dans le Hadith d'Al Tabarani, le Prophète a vu différents châtiments et diverses rétributions expliqués par Gibril :

Par exemple les hommes et les femmes adultères laissant la viande cuite pour manger la viande avariée; ou encore les médisants dont la langue et les lèvres sont pincées par des tenailles en fer. Il a également décrit le Paradis où souffle une brise légère dans un air embaumé.

Par ailleurs, Abou Sa'id Al Khodary ajoute dans le Hadith qu'il rapporte la description des usuriers dont les ventres sont aussi gros que des maisons.

Une autre allusion à l'Enfer dans le récit du Mi'rag se rencontre dans un autre Hadith de Abou Horaïra qui rapporte, selon Ibn Abou Hatem, que "le Prophète (paix soit sur lui) arrivé au 7^{e} ciel régarda au-dessus de lui et vit des orages, des éclairs et du tonnerre. Il fut alors conduit auprès de gens dont les ventres étaient aussi gros que des maisons; des vipères en sortaient et Gibril lui expliqua que c'était là le supplice réservé aux usuriers. Lorsqu'il fut redescendu au premier ciel le Prophète vit au-dessous de lui comme un nuage de poussière et de fumée qui lui cachait la terre et il entendit des bruits; Gibril lui expliqua alors que ce sont les démons qui tournent autour des humains pour les distraire et les empêcher de réfléchir sur les merveilles de la terre et des cieux."

Un Hadith semblable est également rapporté par deux Faqihs éminents : Ahmed Ibn Hanbal et Ibn Magueh.

En effet tous ces récits étaient fort connus dans le monde musulman au IXè siècle à suivre.

Dr. Rokeya Gabr.

---

1. Ibid. .. وجدتها مثل لحمة السخنة ....

D'un autre côté, le Hadith rapporté par Ibn Abbas est considéré comme étant la version la plus riche, mais aussi celle dont la chaîne de témoiganages est la moins digne de confiance.[1]

Tout en gardant l'esprit de la version originale, le narrateur ajoute plusieurs détails comme la description détaillée de Gibril, de la monture Al Borâk, le symbolisme des trois religions, la vie terrestre personifiée par une femme essayant de séduire le Prophète, les trois fleuves qui coulent au premier ciel, l'armée d'anges portant des lances de lumière, l'Ange polycéphale gardien des cieux, la rencontre de l'Ange de la mort ('Azraïl), les hiérachies d'anges au septième ciel, le Coq divin au Paradis céleste et surtout une description très détaillée de l'Enfer et des châtiments infligés aux réprouvés.

On peut rappeler également le récit de Zeid Ibn 'Ali, "Faqih" de confiance qui a donné une version assez détaillée, mais considérée comme sérieuse et digne de foi et dont voici le résumé :

"Selon Ali Ibn Abou Taleb, un jour après la prière de l'aube, le Prophète a raconté que deux anges sont venus l'emporter dans le cieux et que là il vit toutes sortes de châtiments, infligés à ceux qui sont aux Enfers pour avoir commis des péchés. Ensuite le Prophète se vit dans un jardin qu'il sut être le Paradis terrestre dans lequel il a vu le Prophète Ibrahim. Il escalada ensuite un arbre où se trouvaient les demeures des Prophètes, des Messagers, des martyrs et de tous les hommes de bien. Les anges lui montrèrent alors le fleuve dont Allah lui a fait don (Al Kawsar) et où les hommes boivent pour se purifier de leurs péchés.

Le Prophète entendit alors une voix qui le fit frémir et qui l'interpelait en ces termes : "Demande et tu auras satisfaction (Fais un voeu et tu seras exaucé). les anges le réconfortèrent d'un geste et il répondit à la voix divine en cestermes : "Je t'implore, ô Allah, de m'assurer le droit d'intercession[1], de faire que les membres de ma famille me rejoignent et que je sois sans péché le jour où je comparaîtrai devant toi."[2]

En fait une des rares description de la Géhenne (L'Enfer) données par la Prophète (paix soit sur lui) est la suivante :

---

(١) « هذه بعض المشاهد من عالم الغيب كما رواها حديث المعراج » وكان من المنتظر أن ننقل حديث ابن عباس بدل حديث زيد بن على ـ رضى الله عنهم ـ حيث يتضمن كثيراً من مشاهدة ، ولكن المحدثين قد ردوده مع ما ردوا من روايات ضعيفة ذكرها الدكتور على حسن عبد القادر ص ١٢٨ من « كتاب المعراج » كما ذكر الدكتور بعض مصادر الروايات الصحيحة ص ١٣٧ .
د. محمد رجب بيومى : أثر حديث المعراج فى الأدب العالمى ٢٤٧ .

1. Autre version : "de maccorder la faveur d'intercéder."

2. د. رجب البيومى ، أثر حديث المعراج النبوى فى الأدب العالمى ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧

Un flot de lumière aveuglante couvrit l'Arbre d'or et de multiples couleurs. C'est là que Allah imposa à la communauté musulmane cinquante prières canoniques qui, à la requête de Mohammad paix soit sur lui et sur le conseil de Moïse, furent réduites à cinq par la miséricorde divine.

Lorsqu'il fut redescendu au Temple de Jérusalem, Mohammad paix soit sur lui présida à la prière(1) à laquelle prirent part tous les Messagers d'Allah; ce quie est une preuve de la supériorité du Prophète de l'Islam.

Telle est la version où sont fondus les récits d'Al Isrâ et d'Al Mi'rag, reconnue par tous les Faqihs comme étant la plus digne de confiance(2).

Dans ce Hadith, Anas Ibn Malek rapporte d'une manière très succinte les étapes de l'ascension du Prophète Mohammad paix soit sur lui, la rencontre des différents prophètes dans les sept ceiux, la description de l'Arbre Lotus de L'Aboutissement et enfin comment les cinq prières canoriques furent imposées à la communauté musulmane par l'intermédiaire du Prophète Mohammad. (paix soit sur lui)

---

1. C'est la première prière accomplie selon le culte de l'Islam et dans la-quelle le Musulman prononce la profession de foi islamique et le rappel de l'entretien d'Allah avec Mohammad (paix soit sur lui) lorsqu'il imposa les prières canoniques à la communanté musulmane.

2. Voir le commentaire de ce Hadith dans Les Perles et le Corail, p. 363.

« وإذا حصل الوقوف على مجموع هذه الأحاديث يحصل مضمون ما اتفقت عليه من مسرى رسول الله ـ ﷺ ـ من مكة إلى بيت المقدس ، وانه مرة واحدة ، قال الزهرى : كان الإسراء قبل الهجرة والحق أنه عليه السلام اسرى به (يقظة) لا (مناماً) من مكة إلى بيت المقدس ، راكباً على البراق ، فلما انتهى إلى باب المسجد ربط الدابة عند الباب ودخله فصلى فى قبلته تحية المسجد ركعتين ، ثم أتى بالمعراج وهو كالسلم ذو درج يرق فيها فصعد فيه إلى السماء الدنيا ، ثم إلى بقية السماوات السبع . فتلقاه من كل سماء مقربوها ، وسلم على الأنبياء الذين فى السماوات بحسب منازلهم ودرجاتهم ، حتى مر بموسى الكليم فى السادسة ، وإبراهيم الخليل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فى السابعة ، ثم جاوز منزلتيهما ـ ﷺ ـ وعلى سائر الأنبياء .. حتى إنتهى إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام ، أى أقلام القدر ، بما هو كائن ، ورأى (سدرة المنتهى) وغشيتها من إمر الله ـ تعالى ـ عظمة عظيمة من فراش من ذهب وألوان متعددة ، وغشيتها الملائكة ، ورأى هناك جبريل على صورته وله ستمائة جناح ، ورأى رفرفاً أخضر قد سد الأفق . ورأى البيت المعمور وإبراهيم الخليل بانى الكعبة الأرضية مسنداً ظهره إليه ، لأنه الكعبة السماوية ، يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبدون فبه ثم لا يعودون إليه يوم القيامة . ورأى الجنة والنار وفرض الله عليه هنالك الصلوات خمسين ، ثم خففها إلى خمس ـ رحمه منه ـ ولطفاً بعباده ، وفى هذا اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها ، ثم هبط إلى بيت المقدس ، وهبط معه الأنبياء فصلى بهم فيه لما حانت الصلاة ، ويحتمل أنها الصبح يومئذ ، ومن الناس من يزعم أنه أمهم فى السماء ، والذى تظاهرت به الروايات أنه ببيت المقدس ، ولكن فى بعضها أنه كان أول دخوله إليه ، والظاهر أنه بعد رجوعه إليه لأنه لما مر بهم فى منازلهم جعل يسأل عنهم جبريل واحداً واحداً وهو يخبره بهم ، وهذا هو اللائق ، لأنه كان أولاً مطلوباً إلى الجناب العلوى ليفرض عليه وعلى أمته ما يشاء الله ـ تعالى ـ ثم لما فرغ من الذى أريد به اجتمع به هو واخوته من النبيين ، ثم أظهر شرفه وفضله عليهم بتقديمه فى الإمامة ، وذلك عن إشارة جبريل ـ عليه السلام ـ له فى ذلك . ثم خرج من بيت المقدس فركب البراق وعاد إلى مكة بغلس والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم .

اللؤلؤ والمرجان ص ٣٦٣ .

Or, parmi une multitude de Hadiths, les Faqihs ont relevé ceux qui, par la chaîne de témoignages, ont été jugés dignes de confiance, pour les distinguer de ceux que les auteurs ont enrichis de détails inexistant dans la version originale.

Nous allons donc présenter un de ces Hadiths dont le témoignage d'authenticité ne fait point de doute : celui de Anas Ibn Malek, rapporté par deux Imams de confiance : Al Bokhari et Moslem.(1)

En voici le résumé :

Alors que le Prophète était étendu, trois anges sont venus et l'ont porté jusqu'au puits de Zam-zam (au Sanctuaire de la Mecque). Là, ils l'ont couché sur le dos et Gibril lui fendit l'abdomen de la gorge jusqu'au bas ventre et lui a lavé le coeur à trois reprises avec l'eau de Zam-zam afin, de le purifier — Ensuite on apporta un récipient en or rempli de sagesse et de piété et on le versa dans son coeur. Lorsqu'on l'eut rempli de patience de savoir, d'infaillibilité et de foi, on le referma après l'avoir marqué du sceau de la prophétie entre les épaules.

On amena alors Al Borâk(2) (une monture blanche entre le mulet et l'âne) et on lui demanda de l'enfourcher. Le Prophète s'élança alors entouré de Gibril et de Mikhaïl et se retrouva à Jérusalem. Là, il attacha sa monture et pénétra dans le temple où il fit la prière.

Là se termine le récit initulé "al Isrâ" ou voyage nocturne.

Gibril lui proposa alors deux coupes dont l'une contenait du lait et l'autre du vin. Il choisit le lait, c'est-à-dire, comme le lui expliqua par la suite Gibril, l'état de nature.

C'est alors que commença l'Ascension (Al Mi'rag) aux sept cieux en compagnie de Gibril.

Le Prophète rencontra dans l'ordre Adam, puis Jésus ('Issa), Jean (Yehia), Joseph (Youssef), Idriss, Aaron (Haroun) et Moïse (Moussa).

Là quatre fleuves prennent leur source : deux sont au Paradis et les deux autres sont le Nil et l'Euphrate.

Gibril le mena ensuite à l'Arbre Lotus de L'Aboutissement(1) ainsi décrit dans le récit : ses feuilles ressemblent à des oreilles d'éléphant et ses fruits sont aussi gros que des urnes. Mohammad monta si haut qu'il entendait le grincement des crayons.(12)

---

1. Savants du Hadith.

1. Voir l'ouvrage "Les perles et le corail" ou اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان
إمام المحدثين ـ وضعه محمد فؤاد عبد الباقي – دار الريان للتراث ـ ثلاثة أجزاء .

2. Al Borâk était — comme l'expliquent les glossateurs - la monture du Prophète Ibraham.

1. C'est là que, pour la seconde fois, Mohammad, (paix soit sur lui) vit Gibril sous son aspect véritable comme cela sera expliqué plus loin (commentaire de la Sourate "L'Etoile").

2. Ces crayons incrivent le destin de chaque être humain.

Nous essaireons au départ de dissiper un malentendu : la majorité des chercheurs et des orientalistes non-musulmans considèrent Al Isrâ et Al Mi'rag[1] comme de simples légendes.

Certains se contentent pourtant de signaler qu'il s'agit d'un acte de foi pour tout Musulman et que sa commémoration fait l'objet d'une fête religieuse dans certains pays d'Islam.

Or, dans une optique musulmane, ce voyage nocturne du Prophète paix soit sur lui est une confirmation du Message de Mohammad pour prouver qu'il est bien l'Envoyé d'Allah, le dernier et le plus grand des prophètes.

En effet, si nous passons en revue les religions révélées, nous trouvons que chacune des prophéties a eté confirmée par un ou plusieurs miracles (Abraham, Jésus, Moïse). Ces miracles visent à témoigner aux hommes que ces prophètes sont bien les Envoyés d'Allah. La toute-puissance divine les a doués de pouvoirs surnaturels afin de prouver aux hommes l'authenticité de leur mission.

Or, si nous acceptons de croire que Jésus a parlé au berceau, ou que les flammes n'ont point brûlé le Porphète Abraham, pourquoi démentirions - nous le récit de Mohammad paix soit sur lui ? Cette ascention du Prophète de l'Islam qui est une réalité admise comme un acte de foi par tous les Musulmans, n'est point reconnue comme telle par nombre de non-musulmans dont certains vont même jusqu'a nier le Message de Mohammad paix soit sur lui.

Un verset coranique, dans la Sourate "Le Voyage Nocturne" est généralement considéré comme le point de départ de l'eschatologie musulmane.

(Gloire à celui qui a fait voyager de nuit son serviteur de la Mosquée sacrée à la Mosquée très éloignée dont nous avons béni l'enceinte, et ceci pour lui montrer certains de nos Signes. Allah est celui qui entend et voit.

Par ce verset, le texte divin certifie l'authenticité du récit du Prophète Mohammad paix soit sur lui relaté dans plusieurs Hadiths qui racontent - certains avec force détails - le voyage de Mohammad paix soit sur lui de la Mecque à Jérusalem et son ascension jusqu'au - delà du septième ciel.

En fait, le voyage et l'ascension nocturnes du Prophète Mohammad paix soit sur lui ont précédé la révélation de ce verset qui est venu les confimrer.

D'autre part, le récit de l'Ascension nocturne (Al Mi'rag) accomplie par Mohammad paix soit sur lui et rapportée dans les livres de Hadiths, est considéré comme étant le premier texte religieux traitant de ce sujet.

Toutes les versions de ce récit, variées à l'infini et forgées par les traditionnalistes, dérivent en fait d'un même récit religieux en deux épisodes : le voyage du Prophète de la Mecque à Jérusalem (Al Isrâ) et son ascension audelà des sept cieux (Mi'rag).

---

1. C'est le voyage et l'Ascension Nocturnes du Prophète Mohammad (paix soit sur lui).

LE VOYAGE ET L'ASCENSION NOCTURNES DE MOHAMMAD PAIX SOIT SUR LUI

EN ISLAM

Dr. Rokeya Gabr

Le "Voyage nocturne" du Prophète Mohammad paix soit sur lui et son Ascension sont considérés — après la Révélation du Coran — comme le plus grand miracle de l'Islam :

Ce pouvoir surnaturel accordé à Mohammad paix soit sur lui est certifié par un verset coranique où il est montré qu'il n'a été donné à aucune créature humaine de traverser les espaces célestes sans être préalablement doué d'un pouvoir surnaturel :

(O peuple des Djines et des hommes !

Si vous pouvez passer à travers les espaces des cieux et de la terre, faites-le!

Mais vous ne les traverserez qu'à l'aide d'un pouvoir ...)[1]

Sourate "le Miséricordieux le sens du verset (33)

(١)﴿ يا معشر الجن والإنس إن إستطعتم ان تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴾ سورة الرحمن — آية : ٣٢ .

REVUE AL-AZHAR

Ramadan 1412

Volume 64 — Partie IX

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr Rokaya GABR, Professeur adjoint ou

Département de Langue Française et de Traduction

M. Mohammad OMAR Traduct en chef au Centre de Recherches Islamiques

of space and time, in his body as well as around himself. This includes the ethic of intention which is measured by the level of personal values that affect the moral state of consciousness. The ethic of intention is a pre-requisite to the ethic of action. Tawhid, therefore, enables the Muslim to vision himself at the vortex of history, being the only creature selected as vicegerent who can establish the Divine Will of Allah to fulfillment in history.

This perspective understanding of the doctrine of Tawhid explains the conduct of Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him), his companions, and early generations of Muslims who acted in unison to transform men, and change history. Tawhid built within them the vision to behold the Supreme Being, to love Him, and to be absorbed in Him. Embraced by the Prophet's vision and his personal strength of conviction, the early Muslims plunged headlong into the arena of history, changing the internal constitution of individuals of races and cultures, patterns of life, societies, maps, contours, villages, cities and whole empires. Ideas were free to travel, men were free to convince and be convinced, where the summons to Islam can call mankind to the of Allah, of Truth, of Value.

Excerpts from Writings by The Late Dr. Ismail R. Al-Faruqi
Professor of Islamic Studies
Temple University, Philadelphia, Pennsylvania, USA.

Muslim is therefore definable by his adherence to Tawhid, by his Profession of the Shehadah, and by his observance of the absolute unicity and transcendence of Allah as the ultimate principle of all creation, of all being and life. Islamic teachings declare that the Transcendence of Allah is everybody's business. Allah created all humans capable of knowing Him by an innate endowment "fitrah" which all humans share; a faculty by which humans can recognize divine ultimacy, divine unity, and divine transcendence. Departures from that norm are attributed to forgetfulness, mental laziness, passion and social stress, which when transmitted from culture to culture, generation to generation will result into aberrations from the normative sensus communis or "fitrah".

Therefore, the cardinal assertion of the Islamic creed is that there is no god but Allah, "La ilaha illa Allah". Muslims understand this Shehadah as an absolute denial of any associates with Allah in the domain of the universe; and also a denial of the possibility for any creature to represent, personify, or in any way express the Supreme Being. The Holy Quran expresses, Divine Transcendence by giving ninety nine attributes to represent Allah's absolute sovereignty of the infinite universe, His Providence, by which Muslims invoke Allah to guide their pathways through life as the Guardian, Sublime, Just, Equitable, Sanctuary, and All-Cognizant. The concept of Divine Transcendence developed in depth and intensity to include all and every aspect of Islamic culture. The concept of Transcendence influence the patterns of Islamic art, and developed into principle discipline in the history of esthetics. Also, the concept of Transcendence in language was equally well maintained having the Holy Quran as the backbone reference of the Arabic Language. The institutionalized use of the Holy Quran in liturgical practices by Salat, is only by the Arabic text. Moreover, the Holy Quran gradually moulded the conscious beliefs of non-Arabic speaking converts, and furnished the categories under which religious matters could be thought out and religious feeling expressed in Quranic terms in Arabic literary forms and expressions.

Through the doctrine of "Tawhid" being the nucleus religious principle experience in Islam, the Muslim theism became absolutely purified from all doubt regarding the transcendence and unicity of Allah. This established the equalization of all humans as creatures, subjects of Allah (Abd-Allah), all are endowed with the same essential qualities of creaturely humanity, all possessing the same cosmic status. This foundation of though commits mankind to an ethic action which distinguishes between worth and unworthy as measured by the degree of success that the moral subject achieves in disturbing the flow

These principles are self evident truths as the basic ramification of the Islamic concept of Tawhid and the quintessence of Islam. They are also the core elements of understanding of all other divine revelations prior to Islam. All prophets have taught these principles of Tawhid as being built-in by the Creator into the very fabric of human nature, constituting an inherent reality of primordial belief which Allah made innate to mankind. This natural endowment is universal and immutable upon which revealed knowledge as well as acquired knowledge rests. The ultimate final analysis of "Tawhid" results in the refusal to subject human life to any form of guidance other than the divine moral code. The pillar of the Islamic understanding of "Tawhid" is the precision to perceive Allah alone the Creator as the normative; His Will alone as injunctions, His pattern alone as the moral desiderata of creation. The justification by faith of such understanding is meaningless unless it is associated with action.

The quintessence of Islamic Theology is the concept of Tawhid, the act of affirmation that Allah is the One, Transcendent, Absolute Creator. Tawhid gives the Islamic civilization its unique identity; it is the most profound commandment of Allah. Tawhid binds together the constituent elements of Islamic culture and moulds them into an integral wholesome entity. The detailed analysis of the form and function of these constituents is "Ilm Al-tawhid" which involves the disciplines of logic, epistemology, credence, and metaphysics. The concept of "Tawhid" clearly indicates that the very purpose of man's creation is the service of Allah alone; only Allah is worthy of worship. The ultimate message of Prophet Muhammad indicates that Allah's actions. This is evidenced by the fact that Allah promises to forgive all sins except the violation of Tawhid. This selective characteristic of the doctrine of Tawhid, places it at the origin of every divine commandment in Islam. The violation of the essence of Tawhid will introduce doubt into the statement that "there is no god but Allah". If there were other gods other than Allah, they would have fallen into dispute and chaos; nature cannot obey two masters; cannot function in teleological performance according to plan, design and purpose, if there were more than one source of authority.

Therefore, without Tawhid, the whole structure of theism would collapse from its very foundation; the Holy Revelation and the Sunnah of the Prophet would be subject to doubt, and the very institution of prophecy would be shaken. The doctrine of Tawhid is therefore the prime substance of Reality, the basic element of piety, and the momentum behind every act of virtue. The Muslim is therefore behind every act of virtue. The

mind as an organ and repository of knowledge performs all functions of memory, imagination, rationality, reasoning, observation, accumulation, selective analysis, comprehension, intuition, and other functions. These distinctive functions of the human mind enables mankind to comprehend the Will of Allah; either expressed in Divine Scriptures, or expressed as the unique wondrous fascinating patterns of creation. The Divine Will, the laws of nature are deducible through observation of creation.

Teleology also manifests itself as a fundamental concept of "Tawhid". The characteristic property of creation is its teleological nature, which indicates that the study of evidence in nature indicates the existence of final causes and purposes according to a preplanned design. Creation was not created in vain, or the outcome of random events; it was according to perfect design to fulfill a universal purpose. The cosmos is unique in order without chaos or entropy. The patterns of creation are consummated according to natural teleological disciplines according to the Divine Will ordained. This is true for all Creation except the spiritual functions of mankind, i.e. the understanding of the moral code and moral action, fall óutside the sphere of determined nature; they depend upon the individual and follow his determination. However, even this aspect in human creation stands to the Divine Purpose of human creation, in order to enforce the enactment of Divine judgement, the concept of reward and punishment. This cannot be instituted except if there is deliberate, free voluntary conduct of the spiritual functions and the understanding of moral action.

Since everything in the infinite universe is created for a purpose, therefore, the realization of that purpose must be possible in space and time. The realization of the absolute Divine objective of Creation must be attained; and for that very purpose, all creation including man's physical, psychic and spiritual functions must be capable of realization of the Divine purpose and pattern of creation within the space and time. The realization of that purpose demands man's capacity and mental faculty, and that nature must become malleable, transformable, capable of exposing its substance, structure, conditions and relations so as to lend itself to the mental faculty of man to realize the patterns and purpose of creation. In this arena stands the responsibility of mankind to adapt his conduct, society and cultural environment to conform with the Divine patterns of creation. Human moral obligation in life is impossible without responsibility, and therefore judgement is inevitable according to deeds, actions and intentions as appraised by the Divine moral code. It is immaterial whether judgement and appraisal takes place in space and time, at the end of it, or both; but it must take place.

The Quintessence of Tawhid

By: Ismail R. Al-Faruqi, Ph.D.

The nucleus of Muslim Theism is the absolute total submissive resignation to the sovereignty of Allah. For Muslims, Allah is the essence of existence, nothing in creation happens except through divine will and knowledge. Divine knowledge encompasses the whole universe which Allah created, and which he sustains. Allah is the Just, the Merciful, the compassionate, the Beneficent, the Eternal, the Creator, the Omnipresent, and the Sovereign of the universe. The root understanding of the concept of submissive resignation to the sovereignty of Allah is "Tawhid". This is simply defined as the wholesome conviction and declaration that there is no god but Allah. this brief statement carries within itself the richest and most profound meaning in the entire cosmic creation. This short sentence constitutes the "shahadah" of Islam, from which emerges and proliferates all the doctrines, teachings, culture, knowledge, understanding, learning, wisdom, actions and intentions. There is no god but Allah (La ilaha illa Allah), is the most compact power house truth, the core of existence in space, time, and destiny. From this root belief, stems several ramifications of understanding.

The Reality is of two generic origins, namely Creator and creature. The first is only One, Eternal, Transcendent, Sovereign, Omniscient; Allah remains infinitely unique, without partners or associates. The second is the experience of creation, including all creatures, everything, plants, animals humans, jinn, angels, mountains, and the whole cosmic universe. The duality of paradise and hall. The ontology of duality separates and distinguishes the two basic fundamental orders of Creator and creation they are utterly and absolutely disparate, and it is impossible to unite, infuse, confuse one into the other. There is no transformation of the nature of each order, the Creator will infinitely remain as the nature of each order, the Creator will infinitely remain as the Dominating Absolute Sovereign; and the creation will always be subject to transient ephemeral life. The relationship between the Creator and the creature is basically intelligent and ideational in its essence. The faculty of understanding of mankind is its axis of reference. The human

accomplishments of supreme profound wisdom, diplomacy, justice, and above all extreme piety, fundamental sense of self judgement, and self discipline. His total concern in life was his relation with the Creator, and the establishment of social justice within a milieu of mutual confidence.

Omar ibn Al-Khattab, Ameer Al-Momineen the man, who established the foundations of the Muslim Ummah, lived on the edge of poverty, concerned with the edge of poverty, concerned with the affluence of the Muslim society at large. He was a unique matrix of human element, a yardstick by which all other leaders of nation are to be measured and judged. The man who walked the streets of Al-Madinah to concern himself with the intimate problems of every man, woman, child and infant.

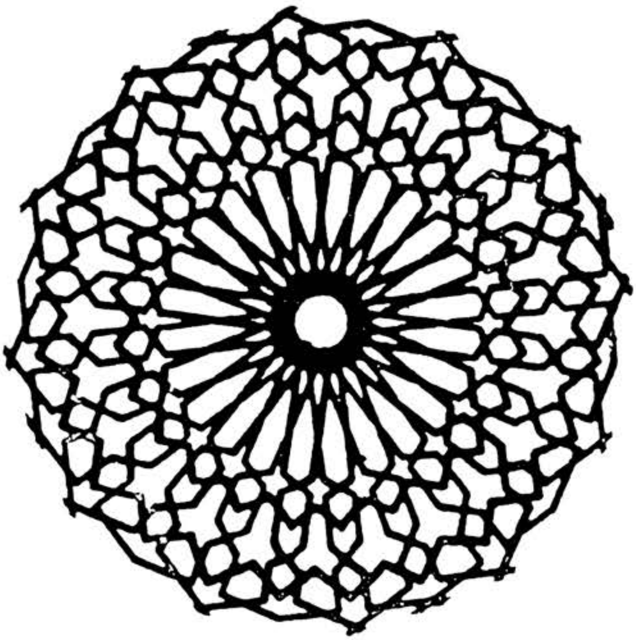

excellence. Added to his qualities of a genius, he possessed the magnanimous character of modest humbleness without any arrogance or insolent conceited vanity. Possessing all these rich qualities of character, and wealth of facultative abilities; Omar ibn Al-Khattab always consulted, accepted advice, confessed when wrong, rectified errors. His famous words were "Allah knows that I am truthful sincere in honesty, seeking reality and truth".

This unique distinctive character of Omar ibn Al-Khattab with unfeigned conscientious sincere faculties enlightened the spirit and enabled the soul to envisage in prospective forethought, matters which materialized according to the precise text of the Holy Revelation, or that were in total conformity with it. The most popular of such matters was

the decision related to the prisoners of the battle of Badre; the prohibition of intoxicant drinks; the style of garments for the Prophet's wives and Muslim women' and the summons for Salat, the "Adhan". The forethought of Omar ibn Al-Khattab was also conforming to that of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and several of the companions in several matters. The purification of soul, and the reverend pious qualities that Omar achieved were basically and fundamentally processed through the genuine conviction of the aphorism of Faith, this energized responsibility, purposefulness, enlightenment, rationality, justice, value concept, confidence, courage, and virtuous conduct. The whole characteristic build-up of Omar ibn Al-Khattab became totally integrated into the molten substance of religion; a transformation that affected the whole trend of behaviour and conduct. The Islamic faith removed concepts; implanted some, and energized in promotions others; all having a universality in the service of mankind. Ameer Al-Moumineen Omar ibn Al-Khattab has died, but his teachings remain to light the path.

Omar ibn Al-Khattab left to the generations of the Muslim Ummah a treasure of achievements that will remain as landmarks in the history of Islam. The whole life of Omar from the day he confessed the "Shehadah" of Islam to the end of his prosperous reign, was a continuous sequence of illustrious accomplishments, and the realization of value concepts. It is very true that the Islam of Omar was a gateway, and his hijrah was victory, and his leadership was mercy, greatness, ascendancy and opulence. The exposure of the global proliferation of Muslim Theism originated essentially at the time of Abu Bakre al-Siddiq and was established and organized during the reign of Omar ibn Al-Khattab. The policy adopted in the integration of the Muslim Ummah of all its heterogeneous national origins, and the process of Islamization that took place; were

Omar ibn Al-Khattab rejected the luster of life at the time he was most capable, instead he was seeking the paradise of the Hereafter. He was extremely consciously perceptive of facing judgement in the afterlife; a matter which made him unconcerned to the ostentatious frames of life. This particular characteristic of Omar made him on several occasions face rejection of women to accept his proposal in marriage; he was known to lead a harsh stiff life not accepted by many women. However, several others accepted to share his life in matrimony, and discovered, in him the profound qualities of the hidden kindness, and tenderness of the soul. Omar ibn Al-Khattab was very selective in choosing his wives, and the most characteristic quality to his preference was the fertile female. For that, he devorced Qaribah bint Ummayah, and Um Kulthum bint Garwal ibn Malik when they did not engender. The first woman Omar married was Zainab bint Mathoon, who gave birth to Hafsah, Abd Allah, and Abd Al-Rahman; then he married Um Hakim bint Al-Harith ibn Hisham who gave birth to Fatimah; Atekah bint Zaid was the mother of Ayyadh; Um Kulthum bint Aly ibn Abi Taleb was the mother of Zaid and Ruqaiah; Gamilah bint Thabet was the mother of Assem; and Fukihah was the mother of Zeinab.

Chroniclers relate that Omar ibn Al-Khattab was very lenient and tender to his wives and children. However, he expected then to concern themselves with his trend in life, to support him to bear the difficulties of life with strength and genuine content. He educated and cultured his children, enlightened their mental faculty, instructed in the wisdom to understand and perceive. He accepted the sentiment of love; but attached more significant importance to fidelity, adherent devotion, virtue, candidness and dependability. His tolerant indulgence was genuine in righteousness, never ruled by prejudice, partiality or injustice; always congnizant in hope for amendment. Omar never during his reign dictated upon people which he did not dictate upon himself. His perceptive mind and intelligent thought developed into an inherent talent and sagacious wisdom which was the fundamental element of his candid free spoken genuine forthright behaviour. The broad knowledge of Omar ibn Al-Khattab optimized his judicious faculty of discrimination, widened his alternative options of decision, and promoted his ability of comparative judgement with sensitive differentiation. These talented abilities provided superior authoritative rationality in the balance of arguments, in the pursuit of justice, and in the mental evolutionary process of resolutive opinions and decision making. The extreme ultrasensitive devout piety that was deep rooted in the personality of Omar ibn Al-Khattab enlightened his mind, and refined his inherent faculties to a level of supreme profound

Omar Ibn Al-Khattab

The Life of Omar

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

Ameer Al-Moumineen Omar ibn Al-Khattab was a man from the tribe of Quraysh. His father was Al-Khattab ibn Nufayl of nobility in his clan of Bani Adi, although very modest in life. His mother was Hantamah bint Hashim ibn Al-Mughirah, who gave birth to Fatimah and Safiyah as sisters for Omar. The second wife of Al-Khattab Asma bint Wahb gave birth only to Zeid ibn Al-Khattab as brother to Omar. All the children of Al-Khattab followed Islam, and all emigrated to Al-Madinah. The clan of Bani Adi carried the responsibility of embassy and delegation of the Quraysh, a function that necessitated knowledge, culture, patience, education, and diplomacy. The clan of Bani Adi were the poorest among the clans of the Quraysh, having to work hard for their living. The residence of Al-khattab and his family was in Maccah; where Omar ibn Al-Khattab grew up as a young boy, working to earn his daily bread, an experience that was fundamental in promoting the formulation of the unique personality of Omar ibn Al-Khattab. He worked for his father, his aunts, and then engaged himself in several avenues seeking fortune, to become one of most affluent men in Maccah at the time of his emigration to Al-Madinah.

In spite of Omar means to live a life of comfort and ease, instead practiced a life of self-abnegation, humbleness with extreme renunciation of worldly ornateness or luxury. This character of Omar developed as he followed Islam, and progressed to become one of the most important significant features in his personality. His food garments and means of life were very humble and modest. Several of his people and members of his family approached him to become more lenient and moderate in his life-style; in reply, he reminded them of the life of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), its severity, humbleness and extreme harshness. This paradigm that Omar ibn Al-Khattab as Ameer Al-Moumineen presented to people compelled his associated to practice a similar trend in their life is sincere respect to the great man. The life style of the Muslim society during the reign of Omar ibn Al-Khattab was not extravagant, lustful, or ostentatious; the splendor of life was culture, work, zeal, resolution and solemn earnestness.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 64, Part Part IX

Ramadan, 1412, Hijrah

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH. D.

CONTENTS

1. Omar Ibn Al Khattab

   The Life of Omar.

   By: Anas Moustafa El Naggar.

2. The Quintessence of Tawhid.

   By: Ismail R. Al-Faruqi.

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

ع ٢٢٢٢٦٢
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

يوم مبارك

هنيئاً لأهل الإيمان ، مسلمى العالم قاطبة هذا العيد .

وتهنئة خالصة لإخواننا الذين أزاح الله عنهم الحزن ، وَصَرَفَ عنهم ريح الشيوعية الخبيث .

هنيئاً لنا جميعا هذا العيد ، وجعله الله ــ سبحانه ــ فاتحة خير ، وتعاون ، وإحسان :

فاتحة خير يلتفتُ كُلُّ مسلم إلى أخيه فيعينه ، على السلوك القويم من أجل دينه ، ويرشده بإحسان ورفق إلى الصلاة والزكاة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ويهديه سواء السبيل لتتم بيننا جميعا ــ بلا بغضاء ولا شحناء ، ولا سخيمة ــ أخوةٌ عامرة بالإيمان فَيَكْمُلُ فينا مجتمع الأخوة النادرة التى أرسى دعائمها ــ أول ما أرسى ــ رسول الله ــ ﷺ ــ فى المدينة المنورة ، فظلت بها للمسلمين قوة أُتت بأركان العالم القديم بين أيديهم .

مجمع البحوث الإسلامية

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان
إدارة الأزهر - بالقاهرة ..
تليفون : ٢٦٣٨٥٩٩
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

شوال ١٤١٢هـ
ابريل ١٩٩٢ م
الجزء العاشر
السنة الرابعة والستون

يـوم مبــارك

« إنما المؤمنون أخوة » ، لانيأس ـ إن شاء الله ـ من إصلاح أحوالنا ، والعناية بكل مسلم فيما بيننا ، لقد تعاون غير المسلمين فى أوربا حتى صاروا قوة يكفى بعضهم مئونة بعض .. أليس أجدر بنا أن نسرع إلى هذا المسلك ، فتتم بيننا محبة القلوب فوحدة المصالح ، وقوة المصير .

إن إصلاح نفوسنا له سبيل واحد يكمن فى « شفقة المسلم على المسلم » والعناية به ، وهل يصلح إنسان فيكبه الله فى النار ؟ حاش لله ، إنما هو إنسان واحد فقط لا يهديه الله ، ذاك الذى يتعمد إضلال الناس ، قال تعالى :

﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ (١)

فأما الذين لا يحملون الشر فى جوانحهم فأولئك المهتدون بإيمانهم ، قال رسول الله ﷺ :

« المؤمن مرآة المؤمن ، والمُؤمنُ أخو المُؤمن ، يَكُفُّ عليه صنيعته ، ويحوطه من ورائه » رواه أبوداود ـ باب النصيحة والحياطة .

ولينظر أحدنا : لماذا ينظر فى المرآة ؟ أليس ليصلح من شأنه .

وهكذا ينبغى أن يكون كُلَّ مسلم لأخيه مع الرفق الكامل والرحمة التامة فلا ينفر منه لأنه أذنب .

فى الأثر عن داود النبى ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ « أنه مَرَّ بطريق فرأى رجلا بدت عليه آثار المعصية ، فنفرت نفسه منه ، وابتعد عن طريقه فَنُودِى :

يا داود ، التَّقِى لا يحتاج إليك .
والعاصى نفرت منه .
فَلِمَنْ أنت ـ إذن ـ أرسلت ؟ !

مثلك يا داود كمثل رجل يرعى غنماً فى بَرِّيَّة ، فنفرت منه واحدة فجعل كلما جاء من جانب نفرت منه إلى آخر حتى سئم منها فتركها فأكلها الذئب » (٢)

يروى أبو هريرة أن رسول الله ـ ﷺ ـ أُتِىَ بسكران ، فأمر ـ عليه الصلاة والسلام ـ بضربه : « فلما انصرف قال رجل : مَالَهُ ، أخزاه الله ، فقال رسول الله ـ ﷺ :

« لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم » رواه البخارى فى صحيحه .

د. على أحمد الخطيب

(١) سورة النحل آية : ٣٧

(٢) جواهر الاطلاع ، شرح أبى شجاع بتصرف .

مع
الإمام الأكبر

هذا يوم عيد الفطر

بقلم فضيلة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر الشريف
جاد الحق على جاد الحق

العيد فى الإسلام يتفرد بما يضفى عليه من سمات القداسة والعلو لأنه كان لتحقيق هدف نبيل ، فالأعياد فى الإسلام تدور مع حركة الكون تمر بكافة الفصول ، ولما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة وجد الأنصار يلعبون ويمرحون فى يومين ورثوا عن أسلافهم الاحتفاء بهما عيدين فقال لهم (قد أبدلكم الله بهما خيرا منهما يوم عيد الفطر ويوم الأضحى) وللأعياد فى الإسلام مراسم هامة .

فيوم العيد يبدأ بذكر الله سبحانه وتعالى وبالتكبير والتهليل وفيه تبدأ الاحتفالات بصلاة العيد وفى هذا وحدة العقيدة والعمل لتتواصل الطاعات ولتجرى على الألسنة عبارات الحمد لله والشكر له أن وهب المسلمين صوم شهر رمضان وأن قضاه الصائمون إيمانا واحتسابا لله رب الناس وفيه تأصيل وتجديد الصلة الاجتماعية بين المسلمين فهم فى تواصل وتعاون وإخاء ومحبة .

يستعد المسلمون ليوم العيد بلبس النظيف أو الجديد من الثياب بعد أن يكونوا قد اغتسلوا وتطهروا وأخرجوا صدقة الفطر مظهرين السرور يتبادلون عبارات المودة والتهانى ، يتردد على ألسنتهم (تقبل الله منا ومنكم) .

وهو يوم توصل فيه الأرحام ويتزاور فيه الجيران والأقارب ويوسع فيه على الأولاد والمحتاجين كما هى سنة رسول رب العالمين . وما أحوجنا ـ نحن المسلمين ـ فى هذا العصر ـ إلى أن نفهم أعيادنا فهما جديدا نستقبلها به حتى تكون أيامنا سعيدة رشيدة عاملة تنبه فى نفوسنا الأوصاف القوية ولا يكون أكبر همنا فيها تجديد الثياب وتوزيع الفراغ إذ العيد هو المعنى الذى يكون فى يومه لا اليوم نفسه .

العيد فى الإسلام إشعار هذه الأمة بأن فيها القدرة على تغيير الأيام ، لا شعورها بأن الأيام تتغير إيمانا بقول الله سبحانه :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ وبذا يكون العيد يوما تحرص فيه الأمة على إبراز جمال نظامها الاجتماعى ، فيكون يوم الشعور الواحد لدى نفوس المجتمع ، والكلمة الواحدة فى ألسنة الجميع ، وليس العيد فى الإسلام إلا توجيه الأمة وتعليمها كيف تتسع روح الجوار وتمتد حتى يصير البلد الواحد من بلاد المسلمين وكأنه دار واحدة فيها كل عناصر وسمات الإخاء العملى وتستعلن فضيلة الإخلاص ويتبادل الناس الهدايا.وإن تباعدت منازلهم وأقدارهم ، والعيد بهذا يكون مناسبة لإظهار الذاتية وخصائص الأمة ، وإبراز الكتل الاجتماعية للأمة متميزة بطابعها الشعبى مميزة عن غيرها من الأمم الأخرى حيث تكون لابسة من عمل يدها معتزة بصناعاتها وبكافة منتجاتها مستبصرة بمستقبلها حفية بكبارها رحيمة بصغارها تعمل الصفات الإنسانية فى جموعها عمل الحليف لحليفه لا عمل المنابذ لخصمه ، فالعيد تَخَلٍّ عن كل حقد وغل وحفيظة وَتحَلٍّ بكل كمال ومودة .

فبالصوم تعالت النفوس فوق الشهوات والشبهات وصبرت وصابرت وثابرت حتى أكملت العدة واستبشرت باستكمال المدة وتلك قاعدة هذا الدين ـ الإسلام ـ ألا

يستسلم المسلم للوهم أو الوهن أو الضيق والحزن وانما يغالب المصاعب إذا واجهته حتى تنقشع عن ساحته ويحل الفرج واليسر .

فقد كان الصوم تدريبا على قوة العزيمة وحزم الإرادة وذلك ربح عظيم يعود بالخير الوفير لو اننا استثمرناه فى مستقبل الحياة ، والعيد بهذا صوت القوة يهتف بالأمة أن هذا يوم الأفراح بعيدا عن الأتراح ويوم النصر بعيدا عما كان من القهر .

إن الرجاء فى الله العلى الأعلى أن يرفع عن المسلمين ما نزل بهم من كربات ويجمع كلمتهم على الأخوة المتناصرة ويأخذ بأيديهم إلى سبل الأمن والنجاة ، فتشفى قلوبهم من الفرقة التى ضيعتهم وأغرت بهم أعداءهم .

إن على الأمة الإسلامية أن تذكر فى هذا اليوم ـ عيد الفطر ـ تلك الشعــــوب الإسلامية التى تكافح عن حقوقهما المسلوبة فتساندها وتمدها بما يعزز قوتها حتى تصل إلى غايتها وأن ترعى أولئك الذين طردوا من ديارهم والذين أصابهم القحط وليكونوا لهؤلاء وأولئك سندا ومددا بما يقيم الحياة ويعين على النجاة وفاء بحقوق الإخوة .

إن رمضان كان شهر عصمة واعتصام بحبل الله وموسم استشفاء جسدى ونفسى ، نروض فيه أنفسنا لتتطبع على الخير وتزداد ، ونعالجها من الشرور والآثام وليس هدف هذه العبادة أن يكون رمضان شهرًا قد مضى وانقضى ثم ينقض المسلم ما بنى وينفض يده وقلبه مما اعتاد فيه على الصفاء والنقاء وحب الخير للناس والسعى به واليه ، وإنما ينبغى أن نستصحب كل حسن من الفعال والأقوال إلى غيره من الشهور حتى يصير لحياتنا عمادا ولأعمالنا عدة وعتادا ، وإن على هؤلاء الذين خرجوا من رمضان بزاد من التقوى للقلب والروح أن يحفظوا هذه الذخيرة لأنفسهم بضاعة رائجة وللوطن وللأمة قوة عاملة استفادت بالصبر والصوم والصلاة ، وهؤلاء هم الذين يفرحون باستقبال يوم العيد باعتباره عبادة وشكرا لله الذى قال :

﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ ٥٨

وان الأزهر الشريف فى يوم عيد الفطر المبارك ليقدم التهنئة الخالصة إلى شعوب الأمة الاسلامية فى جميع مواقعها على أرض الله وإلى أصحاب الجلالة والفخامة والسمو الملوك والرؤساء والأمراء مع الدعاء لله أن يجعل صومها مقبولا وقيامها مأجورا ويومها هذا جائزة عمل وحافز جد واجتهاد للدين والدنيا وأن يكون بدءا لتجديد الأمل والعمل المثمر لرفع ماحاق ويحيق بأوطان المسلمين وتسود فيه المودة والإخاء والرحمة حتى تجتمع الكلمة وتتم النعمة ويصدق على هذه الأمة قول الله سبحانه فى محكم كتابه :

﴿ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ٢٤ ﴾ .

مع سورة الأنفال

لفضيلة الدكتور عبدالجليل شلبى

بسم الله الرحمن الرحيم يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ زَحْفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ
دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ
بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦﴾

مع سورة الأنفال

المفردات

إذا لقيتم الذين كفروا زحفا :

الزحف هنا يحتمل عدة وجوه ، منها أنه اسم جمع مفرده زاحف ، كركب وسفر وشرب ، كلها بوزن فُعْل كضرب ومفردها فاعل . أى إذا قاتلتموهم زاحفين نحوكم ، ويحتمل أيضا أن تكون الكلمة حالا من الفاعل ، أى قاتلتموهم زاحفين إليهم .

والزحف أيضا الجيش ، أو الجيش الكثير العدد ، قال الزمخشرى : هو الجيش الذى يرى لكثرته كأنه يزحف ، أى يدب دبيبا كالصبى إذا دب على استه قليلا قليلا ، وفسره بأنه إذا لقيتم العدو للقتال ، وأعداؤكم كثر جَمٌّ وأنتم فلا تفروا ، هذا فضلا عن أن تدانوهم فى العدد أو تكونوا مساوين لهم .

والزحف بمعنى الجيش يجمع على زحوف ، كبحر وبحور ، وهم وهموم .

وجاء الزحف بمعنى المشى البطىء ، فى قديم الشعر ومحدثه ، قال امرؤ القيس :

فأقبلت زحفا على الركبتين
فثوب لبست وثوب أجر

جاء برفع ثوب على أنه مبتدأ ، وروى ثوبا مفعولا للبست ولأجر ، وهو الأقيس وقال المتنبى :

خميس بشرق الأرض والغرب زحفه
وفى أذن الجوزاء منـــه زمـــــازم

وفيه وصف الجيش بالكثرة حتى سد الأفقين ، وارتفعت همهماته إلى الجوزاء ويقولون فى الإشارة إلى كثرة الجيش : زحف العسكر إلى عدوهم ، بمعنى مشى العسكر مشياً وئيداً فيه ثقل لكثرته .

ويأتى الفعل زحف لازما ومتعديا ، يقولون زحف البعير ، وأزحف ، إذا أعيا وضعف ، وصار لا يستطيع المشى إلا ببطء ، وتزاحف القوم أى مشى بعضهم إلى بعض ، ويقال أيضا زاحفوا زحافا ومزاحفة ، وأزحف الخصمان مشوا للقتال .

والفعل فى هذا كله لازم حتى مع الهمزة وألف المفاعلة ، ومن المتعدى : زحف الرجل الرَّحْلَ ، أو الحِمْلَ ، أى جره جرا ضعيفا .

وذكر صاحب القاموس المحيط من مصادر هذا الفعل : زحوفا وزحفانا . وزحف الدبا ــ وهو صغار الجراد والنمل أى مشى قدما . قال : ومزاحف الحيات مواضع مد بها ، ومزاحف السحاب حيث يقع قطره .

فهذا جملة ما يقال فى هذه المادة ، والكلمة فى الآية مع ما تشير إليه من البطء توحى أيضا بكثرة العدو الذى يهجم .

الأدبار : جمع دبر بوزن عنق وهو خلف الشىء وظهره ، ضد قبل بوزنه ، وهو أمام الشىء وواجهته ، وتطلق الكلمتان على السوءتين لأن قبل الشخص ودبره من أمامه ومن خلفه . وتولية الشخص دبره كناية عن هزيمته وفراره من المعركة ، لأن الفار يولى خصمه ظهره ويجعله خلفه ويدبر منه .

متحرفا لقتال : متحرفا من جانب من المكان إلى جانب آخر ، والكلمة من الحرف وهو طرف الشىء وحافَّته ، يقال انحرف بمعنى حاد ، وانحرف عن الشىء حاد عنه وتركه ، وصيغة التفعيل تفيد المبالغة كما تفيد تكرار الفعل ، ومحاولته مرارا ، كما يقولون مزق الورقة وقطعها أى شقها ، ومزقها وقطعها بتضعيف العين أى صيرها مزقاً أو قطعاً . وتفيد الصنعة أيضاً تكلف الشىء ومعالجته .

فهذا التحرف ، خدعة من خدع الحرب ومكايدها . ومتحيزا إلى فئة من هذا القبيل ، فهى تفيد التنقل من مكان إلى آخر ، والمكان حيِّز لأنه ـ بوزن طيب وهيّن ـ لأنه يحوز الشىء ويحويه ، واستحوذ على الشىء ناله وجعله فى حيازته . ومنه استحوذ عليهم الشيطان أى استولى عليهم كأنه أحاط بهم فلا يستطيعون فكاكا منه .

ويقال : انحاز من القوم أى تركهم وعدل عنهم ، وانحاز القوم تركوا مكانهم ومركزهم إلى مكان آخر ، وتحاوز الفريقان أى انحاز كل فريق منهم عن الآخر ، وتركه . وانحاز إلى القوم أو إلى الرأى ، ساندهم وسانده ، ووقف بجانبه ، وكذا تحيز ، وتسمى الحرب الحوزاء لأنها تحوز القوم ، والناقة المنقطعة عن الابل تسمى حَوْزية ، لأنها انقطعت عن أقرانها ، ويقال هذا الاسم للناقة التى تميزت بصفات ليست لغيرها من الإبل ، فهى أيضا انفردت وانقطعت عن الإبل الأخرى ، وباء بغضب من الله . أى رجع وانقطع ، ويقال : بؤت به ، وبؤت إليه وبؤته ، وبوأه مكانا أرجعه وألجأه إليه . وباء بذنب فلان ودمه أقر به ، فهو قد رجع إليه فى إقراره ، والمصدر منه بوء ، وبواء .

مأواه جهنم أى ملجؤه والمكان الذى ينتهى إليه هو جهنم . والبيت مأوى لأن صاحبه يأوى ويلجأ إليه . ومنه فى القرآن : ﴿أو آوى إلى ركن شديد﴾ أى الجأ إليه ، ﴿وآوى يوسف إليه أخاه﴾ ضمه ووجهه إليه .

والمصير : النهاية والمرجع ، من صار إلى الشىء أى انتهى اليه ـ فهو مصدر ميمى .

المعنى

أقحمت هذه الآية فى الحديث عن غزوة بدر ، فهى توجيه ونصح للمؤمنين وبيان لما يفعلونه حين يلقون عدوا محاربا ، لأنها نزلت بعد الغزوة ، وليست منقطعة عنها ـ فهى تقول للمؤمنين إذا قابلتم الكفار زاحفين نحوكم ـ كما كان يوم بدر ، اذ كاد كفار مكة هم الذين اتجهوا نحو المسلمين ، أو إذا لقيتموهم وأنتم زاحفون عليهم ، كما كان فى غزوات وسرايا أخرى ـ فلا تولوهم ظهوركم ليتمكنوا منكم ، وسواء كان العدو أكثر عددا وقوة ، أو كنتم متساويين ، وأولى لو كنتم أنتم الأكثر والأقوى . والوجه الأول ـ وهو زحوف العدو وقوته أولى وأليق فى هذا الموقف ، لأن الآية جاءت فى حديث غزوة بدر ، وكان العدو هو الأقوى ، والنهى يوجه عادة إلى المزحوف عليه .

ومن يول الأعداء دبره ، أى أىُّ شخص يفر منهم ، فان جزاءه هو غضب الله عليه ومنتهاه الى جهنم ، فهو قد يفر لينجو بينما فراره فيه هلاكه ، وبه ينتهى إلى أسوأ مصير وأقبح نهاية وهى جهنم . فالآية خاطبت الجماعة أولا ﴿لا تولوهم الأدبار﴾ ثم توعدت كل فرد ، تأكيدا للنهى ، وتفظيعا لهذه التولية ، وايثار كلمة ﴿الأدبار﴾ ـ و ﴿الدبر﴾ تشير أيضا إلى هذا التشنيع لقبح مادة الدبر دون كلمة الظهر .

والتحرف فى القتال هو الافتنان والاحتيال لكيد العدو وخديعته ، فقد ينصرف المحارب موهما خصمه الهزيمة والخوف منه كى يجره لاتباعه فيبعده عن قومه ، ثم يكر عليه منفردا فيقتله ، والحرب خدعة ، فهذا ليس فرارا من المعركة ، وإنما هو احتيال وفتح باب من أبوابها ، فصاحبه مشكور مأجور ، وليس عرضة للعقوبة .

والمتحيز إلى فئة من المؤمنين لينصرهم ، لم يترك مكانه فى القتال فرارا ولا كراهة للحرب وإنما انتقل إلى مكان فيه النصر أرجى .

مع سورة الأنفال

والآية واضحة الدلالة فى أن التولى والفرار من المعارك من المعاصى الكبيرة ، بل من أكبرها وعرض الحديث النبوى الشريف السبع خصال الموبقات ، فجاء فيها التولى يوم الزحف .

ولا تعنى الآية أن يلقى المؤمنون بأنفسهم إلى التهلكة ، فحين لا يجد الشخص أمامه إلا الفرار أو الموت ، له أن ينجو بنفسه ، ولا يعد فارا من المعركة ، وقد حدث هذا فى حياة النبى ـ ﷺ ـ يوم أحد ، اذ تولى فريق من المسلمين حين التقاء الجمعين ، وعفا الله ـ سبحانه ـ عنهم ، لأنهم لم يكن لهم رغبة فى هزيمة المسلمين ، ولا تولوا كسلا وايثارا للراحة ، وفيهم جاءت الآية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ وفر المسلمون أيضا يوم حنين إذ أعجبتهم كثرتهم وغفلوا عن التوكل على الله ، ولكن الله أخيرا نصرهم ، فهذه إذن رخصة للذين لم يثبتوا وينقلبون عن حسن نية وقصد ، قال الامام ابن كثير : حتى لو كان (المقاتل) فى سرية ففر إلى أميره أو إلى الإمام الأعظم دخل فى هذه الرخصة .

وعن عبد الله بن عمر : قال : كنت فى سرية من سرايا رسول الله ـ ﷺ ـ فحاص الناس حيصة وكنت فيمن حاص ، فقلنا : كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب .. فقلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ـ ﷺ ـ فان كانت لنا توبة وإلا ذهبنا ، فأتيناه قبل صلاة الغداة ، فقال : من القوم ؟.. فقلنا : نحن الفرارون . فقال : لا . بل أنتم العكارون ، أنا فئتكم ، أنا فئة المسلمين ، والعكارون العرافون ، وكذا فعل عمر مع بعض الناس يوم القادسية ، قالوا هلكنا وفررنا من الزحف ، قال : لا ، بل أنا فئتكم .

ومهما يكن من شىء فالآية تهول الفرار ، ولكن لا توحى بالإلقاء إلى التهلكة .

ومن الأقوال التى لا تستحق الاهتمام بها أن الآية منسوخة ، أو أنها خاصة بغزوة بدر بدليل ومن يولهم يومئذ ـ أى فى هذا اليوم وفيما ذكرناه كفاية .

قبس من أنوار النبوة

التحلل من المظالم

للشيخ : على حامد عبد الرحيم

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ـ ﷺ ـ قال : « من كان عنده مظلِمة لأخيه من عرضه أو من شىء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » . رواه البخارى .

١ ـ مظلِمة بكسر اللام ـ المظلمة والظلامة اسم لما أخذه الظالم من المظلوم .

٢ ـ العرض بكسر العين ـ النفس أو الحسب والشرف أو موضع المدح والذم .

٣ ـ التحلل ـ أن نطلب ممن ظلمناه أن يجعلنا فى حل ـ وذلك بأدائه إليه أو أن أو أن نستسمحه فى .

يحرص الإسلام كل الحرص على العدل بين الناس ، وإعطاء كل ذى حق حقه والإنسان فى الدنيا فى اختبار وابتلاء وتكليف ومزرعة للآخرة يجتنى فيها أطيب الثمار – إن ابتعد عن الظلم ، واتصف بالعدل مع نفسه ومع غيره ، قال الله تعالى فى الحديث القدسى الذى رواه مسلم : « يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله عليه ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » .

ولقد حذر الإسلام اتباعه من الظلم والمظالم ، كما حذر من العوامل المؤدية إلى أنواع الظلم وهى كثيرة يجمعها قوله – ﷺ – : فى خطبته فى حجة الوداع – فيما رواه البخارى ومسلم – إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا » .

والله تعالى : حرم الظلم على نفسه وجعله محرماً بين عباده ، لأن الظلم ظلمات يوم القيامة .

والظلم ثلاثة أنواع : نوع لا يغفره الله ، وهو الشرك بالله قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾

(سورة النساء – آية : ٤٨)

ونوع لا يترك الله منه شيئاً : وهو ظلم العباد بعضهم لبعض فمن كمال عدله : أن يقتص للخلق بعضهم من بعض بقدر مظالمهم .

ونوع تحت مشيئة الله : إن شاء عاقب عليه ، وإن شاء عفا عن أهله ؛ هو الذنوب التى بين العباد وبين ربهم فيما دون الشرك .

فماذا أعده الظالم للنجاة والتخلص من ظلمه فى الدنيا قبل يوم القيامة إن الرسول – ﷺ – يرشدنا إلى سرعة التحلل من المظالم أياً كان نوعها فى العرض أو النفس أو المال : والتحلل من صاحب الحق الذى وقع عليه الظلم أو من ورثته برد الحق إلى صاحبه أو بتمكينه من القصاص أو بأن يستسمحه ، حتى يصفح عنه ويبرئه ويعفو عنه .

والتحلل من المظالم شرط أساسى للتوبة إلى الله تعالى : بان يبرأ من حق صاحبها بردها ، أو طلب عفوه . قبل أن لا يكون دينار ولا درهم وذلك فى يوم القيامة ، يوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً .

ثم يصور الحديث الشريف ما يقع فى هذا اليوم ، وكيف تؤخذ الحقوق لأصحابها : إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، فيعطى للمظلوم .

عن ابى هريرة رضى الله عنه – أن رسول الله – ﷺ – قال : « أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال : إن المفلس من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار – رواه الإمام مسلم – .

وقد اختلف العلماء : هل يستحل من الغيبة أم لا – بعد أن اتفقوا على أنها من الكبائر – وتجب التوبة إلى الله منها لقوله تعالى :

﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾

(سورة الحجرات – آية : ١٢)

وقول النبى – ﷺ – : « دماؤكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام » .

قبس من أنوار النبوة

فقال بعض العلماء : ليس على المغتاب استحلال ، لأنها خطيئة بينه وبين ربه ، واستدلوا بأنه لم يأخذ شيئاً من ماله ، ولم يصب من بدنه ما ينقصه ، فليس فى ذلك مظلمة يستحلها منه ، والمظلمة إنما تكون فى المال والبدن .

وقال بعض العلماء : إن الغيبة مظلمة ، وكفارتها الاستغفار لصاحبها الذى اغتبته .

وقال فريق ثالث من العلماء : إن الغيبة مظلمة وعلى من أغتاب الاستحلال منها ، واستدلوا بالحديث الذى صدرنا الباب به ، وقد رجح الرأى الأخير ، حيث إن حديث الرسول ﷺ يدل ويحث على التحليل ، والتحليل يؤدى إلى التعاطف والتراحم ما لم يترتب على الاستحلال خطر أشد ، أو اندلاع فتنة ، فإنه حينئذ يمسك عن الإستحلال حتى يواتيه الظرف المناسب له وعليه أن يتوب ويستغفر لأخيه .

ونستخلص من الحديث الذى بين أيدينا : أولاً دعوة الإسلام إلى انتشار العدل فى الحياة ومقاومة الظلم فى جميع صوره وأشكاله .

ثانياً : معالجة الإسلام لمشاكل المجتمع برفع الظلم عن المظلومين حتى يسود العدل وتنعم الحياة بالرفاهية والخير .

ثالثاً : إن صاحب الحق لا يضيعه الله ، فإن ضاع حقه فى الدنيا ولم يستطع الحصول عليه ، فإن الله تعالى سوف يرده له يوم القيامة بالحسنات التى يأخذها من الظالم أو بالسيئات التى تطرح على الظالم ـ وما ربك بظلام للعبيد ـ .

رابعاً : إن الله عز وجل يملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته فهو سبحانه يمهل ولا يهمل ـ كما قال فى محكم كتابه :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾

(سورة إبراهيم ـ آية ٤٢)

جعلنا من عباده المتقين ، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وحفظنا من الظلم ، ونجانا من القوم الظالمين ، إنه على ما يشاء قدير وهو حسبنا ونعم الوكيل .

أحكام نية الصوم

للدكتور : محمد حسين قنديل

تحدث الكاتب فى المقال الأول عن : حكم نية الصوم ، ووقتها فى الفرض على ضوء آراء الفقهاء ، مع مناقشة هذه الآراء واختيار الراجع منها .

وهنا فى هذا المقال يناقش مايترتب على هذا الرأى من خلال الفروع الآتية ....

ثم يتناول آراء الفقهاء فى تعيين النية المجزية للصوم وحكم من نوى إبطال صومه .. وصيام يوم الشك .

* الأستاذ المساعد بقسم الفقه المقارن جامعتى الأزهر وقطر الشقيقة

الفرع الأول

هل الليل كله وقت للنية أم لا ؟

تصح النية فى جميع الليل مابين غروب الشمس وطلوع الفجر ، فلو نوى الصوم فى صلاة المغرب صحت نيته عند جمهور أصحاب الشافعى ..

وفى وجه عند الشافعية : أنه لاتصح النية إلا فى النصف الثانى من الليل ، ونسبه السرخسى فى الأمالى إلى أبى الطيب بن سلمة .

وجه القول الأول :

حديث حفصة السابق . ولأنا لو أوجبنا النية فى النصف الثانى ضاق على الناس ذلك وشق .

ووجه القول الثانى :

القياس على أذان الصبح والدفع من المزدلفة وناقش النووى هذا فقال(٤٨) : وأما قياس أبى سلمة على أذان الصبح والدفع من المزدلفة ، فقياس عجيب ، وأى علة تجمعهما ، ولو جمعتهما علة فالفرق ظاهر ، لأن اختصاص الأذان والدفع بالنصف الثانى لا حرج فيه بخلاف النية ، فقد يستغرق كثير من الناس النصف الثانى بالنوم فيؤدى إلى تفويت الصوم ، وهذا حرج شديد لا أصل له .

وبعد أن نقل النووى القولين السابقين نقل أيضا تغليط الشافعية لأبى الطيب فقال : واتفق أصحابنا على تغليطه فيه .

ومما يدل على قوة القول الأول قوله عليه السلام « لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل » ، فليس فيه التحديد الذى حده ، ولأنه نوى من الليل فصح صومه كما لو نوى فى النصف الأخير ولم يفعل ماينافى الصوم ، ولأن تخصيص النية بالنصف الأخير يفضى إلى تفويت الصوم ، لأنه وقت النوم وكثير من الناس لاينتبه فيه ولا يذكر الصوم ، والشارع إنما رخص فى تقديم النية على ابتدائه لحرج اعتبارها عنده ، فلا يخصها بمحل لاتندفع المشقة بتخصيصها به ، ولأن تخصيصها بالنصف الأخير تحكم من غير دليل ، ولا يصح إعتبار الصوم بالأذان والدفع من مزدلفة لأنهما يجوزان بعد الفجر ، فلا يفضى منعهما فى النصف الأول إلى فواتهما بخلاف نية الصوم ، ولأن اختصاصهما بالنصف الأخير بمعنى تجويزهما فيه ، واشتراط النية بمعنى الإيجاب والتحتم وفوات الصوم بفواتها فيه ، وهذا فيه مشقة ومضرة بخلاف التجويز ، ولأن منعهما فى النصف الأول لايفضى إلى اختصاصهما بالنصف الأخير لجوازهما بعد الفجر والنية بخلافه(٤٩) .

وكما لاتصح النية قبل الغروب لاتصح بعد انقضاء الليل ولو بلحظة ، خلافا لأبى حنيفة كما سبق ، وهل تصح مع الفجر ؟ .

قال النووى : الصحيح لاتصح ، لأن أول وقت الصوم يخفى ، فوجب تقديم النية عليه ، بخلاف سائر العبادات(٥٠) .

وعند المالكية : يصح أن يكون أقترانها مع الفجر ، لأن الأصل فى النية أن تكون مقارنة لأول العبادة ، وإنما جوز الشرع تقديمها لمشقة تحرير الاقتران(٥١)

الفرع الثانى

حكم من نوى بالليل ثم فعل ماينافى الصوم؟

إذا نوى بالليل الصوم ثم أكل أو شرب أو جامع أو أتى بغير ذلك من منافيات الصوم ، لم تبطل نيته ، وهكذا لو نوى ونام ثم انتبه قبل الفجر ، لم تبطل نيته ، ولا يلزمه تجديدها .

هذا هو الصواب الذى نص عليه الشافعى وقطع به جمهور الأصحاب .

---

(٤٨) أنظر : المجموع ٢٩٠/٦ — ٢٩١ .

(٤٩) أنظر : المغنى ٩٢/٣ — ٩٣

(٥٠) أنظر : المجموع ٢٨٨/٦ .

(٥١) انظر : مواهب الجليل من أدلة خليل ٣٠/٢

أحكام نية الصـــوم

وحكى عن ابن إسحق المروزى -- أحد فقهاء الشافعية -- أنه قال تبطل نيته بالأكل والجماع وغيرهما من المنافيات ، ويجب تجديدها ، فإن لم يجددها لم يصح صومه ، ولو استمر نومه إلى الفجر لم يضره ، وصح صومه(٥٢) .

وحجة الشافعى ومن معه : أن الله تعالى أحل الأكل إلى طلوع الفجر ، فقال تعالى(٥٣) :

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ فلو كان الأكل يبطل النية لما جاز أن يأكل إلى الفجر لانه يبطل النية(٥٤) .

ورد النووى وغيره قول أبى إسحاق وقال : (هذا المحكى عن أبى إسحاق غلط بإتفاق الأصحاب) .

وقال القاضى أبو الطيب فى المجرد هذا الذى قاله أبو إسحاق غلط قال وحكى أن أبا سعيد الاصطخرى لما بلغه قول أبى إسحاق هذا قال هذا خلاف إجماع المسلمين قال ويستتاب أبو إسحاق هذا .

ثم قال النووى بعد هذا : (فحصل أن الصواب أن النية لاتبطل بشىء من هذا قال إمام الحرمين وفى كلام العراقيين تردد فى أن الغفلة هل تنزل منزلة النوم يعنى أنه إذا تذكر بعدها يجب تجديد النية على الوجه المنسوب إلى أبى إسحاق قال والمذهب إطراح كل هذا والله أعلم(٥٥)

(٥٢) أنظر : المجموع ٢٩١/٦
(٥٣) الآية رقم : ١٨٧ من سورة البقرة .
(٥٤) أنظر : المجموع ٢٨٨/٦ .
(٥٥) أنظر : المرجع السابق .

ووافق الحنابلة صحيح مذهب الشافعية فقالوا(٥٦) : لو نوى الصوم من الليل ، ثم أتى بعد النية فيه بما يبطل الصوم ، لم تبطل النية ، لظاهر قوله ﷺ : « من لم يبيت الصيام من الليل فلا صيام له » .

الفرع الثالث
حكم من ظهر له وجوب الصيام نهاراً

من ظهر له وجوب الصيام عليه من النهار فى رمضان ، كالمجنون يفيق ، والصبى يحتلم ، والكافر يسلم ، والمسلم الذى ينكشف له من النهار أن ذلك اليوم من رمضان ، فهل يصح صومه أم لا ؟

على مذهب أبى حنيفة وأصحابه الذين يعتبرون صوم من نوى قبل منتصف النهار صحيحا ، فالحكم واضح ، وهو صحة صوم من ظهر له وجوب الصيام عليه نهارا .

ويرى ابن حزم أن من نسى أن ينوى من الليل فى رمضان فأى وقت ذكر من النهار التالى لتلك الليلة سواء أكل وشرب ووطىء أو لم يفعل شيئا من ذلك ـ فإنه ينوى الصوم من وقته إذا ذكر ، ويمسك عما يمسك عنه الصائم ، ويجزئه صومه ذلك تماما ، ولاقضاء عليه ، ولو لم يبق عليه من النهار ، إلا مقدار النية فقط ، فإن لم ينو كذلك فلا صوم له ، وهو عاصى لله تعالى متعمد لإبطال صومه ، ولايقدر على القضاء .

وكذلك من جاءه الخبر بأن هلال رمضان رئى البارحة ـ فسواء أكل وشرب ووطىء أو لم يفعل شيئا من ذلك ـ فى أى وقت جاء الخبر من ذلك اليوم ولو فى آخره كما ذكرنا ـ فإنه ينوى الصوم ساعة صح الخبر عنده ، ويمسك عما يمسك عنه الصائم ، ويجزئه صومه ، ولاقضاء عليه ، فإن لم يفعل فصومه باطل(٥٧)

(٥٦) أنظر : كشاف القناع ٣١٥/٢ .
(٥٧) انظر : المحلى بالآثار ٢٩٠/٤ .

وحجة هذا ماروى عن سلمة بن الأكوع قال : « بعث رسول الله ﷺ رجلا من أسلم يوم عاشوراء ، فأمره أن يؤذن فى الناس : من كان لم يصم فليصم ، ومن كان أكل فليتم صيامه » ، ولم يثبت أنه أمرهم بالقضاء[58] .

ورد ابن حجر هذا فقال[59] : لأن الأمر بالإمساك لايستلزم الإجزاء ، فيحتمل أن يكون أمرا بالإمساك لحرمة الوقت ، كما يؤمر من قدم من سفر فى رمضان نهارا ، وكما يؤمر من أفطر يوم الشك ثم رأى الهلال ، وكل ذلك لاينافى أمرهم بالقضاء .

وقد بين ابن حجر أن الرسول ﷺ أمر بالقضاء صريحا فى حديث أخرجه أبو داود والنسائى ، وجاء فيه « أن أسلم أتت النبى ﷺ فقال : صمتم يومكم هذا ؟ قالوا : لا ، قال : فأتموا بقية يومكم واقضوه » .

ثم قال : إنه على تقدير عدم ثبوت هذا الحديث فى الأمر بالقضاء ، فلا يتعين ترك القضاء ، لأن من يدرك اليوم بكماله يلزمه القضاء ، كمن بلغ أو أسلم أثناء النهار .

وأرجح ماقاله ابن حجر من أن من ظهر له وجوب الصيام من النهار فى رمضان يمسك وعليه القضاء لقوة ما استدل به ــ والله أعلم بالصواب ــ

الفرع الرابع
آراء الفقهاء فى النية لكل يوم من كل صوم

إختلف الفقهاء فى النية لكل يوم ، وذلك على رأيين :

الرأى الأول[60] : يرى أبو حنيفة ، والشافعى ، وإسحاق بن راهوية ، والظاهرية ، وابن المنذر ورواية عن أحمد ، أن كل يوم يفتقر إلى نية سواء نية صوم رمضان والقضاء والكفارة والنذر والتطوع .

ودليله : أن صوم رمضان واجب ، فوجب أن ينوى كل يوم من ليلته كالقضاء ، ولأن هذه الأيام عبادات لايفسد بعضها بفساد بعض ويتخللها ماينافيها فأشبهت القضاء .

الرأى الثانى[61] : ذهب المالكية ، والحنابلة فى رواية إلى أن المسلم إذا نوى فى أول ليلة من رمضان صوم جميع الشهر جاز وكفاه لجميعه ، ولايحتاج إلى نية لكل يوم .

واستدلوا على ذلك بأدلة منها : ١ ــ أن الرسول ﷺ يقول : « ولكل امرىء مانوى » وهذا نوى صيام الشهر فله مانوى .

٢ ــ وأن الصوم عبادة واحدة فكفته نية واحدة كالحج وركعات الصلاة[62] .

تعقيب وترجيح :

من ينظر فى أدلة الرأى الثانى يجد أن حديث عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ يشترط وجود النية لصحة العمل ، وهذا عام فى جميع الأعمال ، وحديث حفصة ــ رضى الله عنها ــ يدل على أن رمضان لايصح صومه إلا تبييت النية من الليل ، فكل يوم لابد فيه من بتبييت النية كما يفهم ظاهر الحديث ، وهو خاص فيقدم على حديث عمر .

وقياس الصوم على الحج والصلاة مردود ، لأن الحج عمل واحد ، ولايتم إلا بفعل ما اعتبره الشارع من المناسك ، والاخلال بواحد من أركانه يستلزم عدم إجزائه ، بخلاف الصوم ، وأيضا الصلاة كالحج لايصح قياس الصوم عليها .

ولكل ماسبق نرجح رأى الجمهور فى أن كل يوم يفتقر إلى نية ــ والله أعلم بالصواب ــ

(٥٨) انظر : المرجع السابق ٢٩١/٤ ــ ١٩٢
(٥٩) انظر : فتح البارى ١٤٢/٤
(٦٠) انظر : شرح فتح القدير ٢٣٤/٢ ، المجموع ٣٠٢/٦ ، المغنى ٩٣/٣ ، المحلى بالآثار ٢٨٥/٤ .
(٦١) أنظر : مواهب الجليل من أدلة خليل ٣١/٢ ، المغنى ٩٣/٣ .
(٦٢) أنظر : المغنى ٩٣/٣ ــ ٩٤ .

أحكام نية الصـــوم

المطلب الثانى
فى تحديد وقت النية فى صوم التطوع

إختلف الفقهاء فى تحديد وقت النية فى صوم التطوع على رأيين :

الرأى الأول(٦٣) : ذهب أبو حنيفة، والشافعى، إلى صحة صوم التطوع بنية قبل الزوال . وبهذا قال على ابن أبى طالب وابن مسعود وحذيفة بن اليمان، وطلحة وأبو أيوب الأنصارى ، وابن عباس .

وأطلق الحنابلة فى هذا وقالوا : يجوز صوم التطوع بنية من النهار .

أدلته : ١ ـ حديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : دخل علىّ النبى ﷺ ذات يوم فقال : « هل عندكم شىء » فقلنا : لا ، قال : « فإنى إذا صائم » . ثم أتانا يوماً آخر ، فقلنا : يا رسول الله أهدى لنا حيس(٦٤) ، فقال : « أرنيه فلقد أصبحت صائما » فأكل . رواه مسلم(٦٥) .

٢ ـ وروى البيهقى والشافعى بالإسناد الصحيح عن حذيفة أنه بدا له الصوم بعد ما زالت الشمس فصام(٦٦) .

٣ ـ والأحاديث الواردة فى عاشوراء تدل على أن النبى ﷺ أمر بالإمساك بنية من النهار متى علموا بوجوب صوم عاشوراء عليهم ، فإذا جاز هذا فى الفرض ، فيجوز فى التطوع من باب أولى .

٤ ـ ولأن الصلاة يخفف نفلها عن فرضها بدليل أنه لا يشترط القيام لنفلها ويجوز فى السفر على الراحلة إلى غير القبلة ، فكذا الصيام(٦٧) .

الرأى الثانى(٦٨) : يرى الإمام مالك أنه لايجوز صوم النفل إلا بنية من الليل كالفرض ، وبهذا قال ابن عمر ، وأبو الشعثاء ، وجابر بن زيد التابعى ، وزفر ، والظاهرية ، والمزنى وأبو يحيى البلخى من الشافعية ، ونقل ابن المنذر عن مالك أنه استثنى من يسرد الصوم فصحح نيته فى النهار .

دليله : ١ ـ حديث حفصة وعائشة السابق : « لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل » فهو عام فى الفرض والتطوع .

٢ ـ ولأن الصلاة يتفق وقت النية لفرضها ونفلها ، وكذلك الصوم(٦٩) .

مناقشة أدلة الرأى الثانى : ناقش الجمهور أدلة المالكية ومن معهم فقالوا :

١ ـ حديث تبييت النية عام نخصصه بما ذكرناه جمعا بين الأحاديث ، على أن حديثنا أصح من حديثهم ، فإنه من رواية ابن لهيعة ، ويحيى بن أيوب . قال الميمونى سألت أحمد عنه فقال أخبرك ماله عندى ذلك الإسناد إلا أنه عن ابن عمر وحفصة إسنادان جيدان(٧٠) .

٢ ـ وقياس الصوم على الصلاة مردود ، لأن الصلاة يتفق وقت النية لنفلها وفرضها ، ولأن اشتراط

---

(٦٣) أنظر : الهداية مع شرح فتح القدير ٢٤١/٢ ، المهذب ١٨٨/١ ، المجموع ٣٠٢/٦ ، الكافى ٣٦٢/١ الطبعة الثالثة بدولة قطر ١٣٩٣ هـ .

(٦٤) تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن عجناً شديداً ثم يندر منه نواه ، وربما جعل فيه سويق . أنظر : هامش مشكاة المصابيح ٦٤١/١ . المكتب الإسلامى .

(٦٥) المرجع السابق .

(٦٦) أنظر : المجموع ٣٠٣/٦ .

(٦٧) أنظر : المغنى ٩٦/٣ .

(٦٨) أنظر : مواهب الجليل من أدلة خليل ٣٠/٢ ، المجموع ٣٠٢/٦ ـ ٣٠٣ ، المحلى بالآثار ٢٩٦/٤ .

(٦٩) المغنى ٩٦/٣ .

(٧٠) أنظر المجموع ٣٠٣/٦ ، المغنى ٩٦/٣ .

النية فى أول الصلاة لايفضى إلى تقليلها ، بخلاف الصوم فإنه يعين له الصوم من النهار ، فعفى عنه كما لو جوزنا التنفل قاعدا وعلى الراحلة لهذه العلة[٧١] .

مناقشة أدلة الرأى الأول :

١ ـ ناقش ابن حزم حديث عائشة السابق والذى ورد فى أدلة الرأى الأول فقال[٧٢] : هذا الخبر صحيح عن رسول الله ﷺ إلا أنه ليس فيه أنه عليه السلام لم يكن نوى الصيام من الليل ، ولا أنه عليه السلام أصبح مفطرا ثم نوى الصوم بعد ذلك ، ولو كان هذا فى ذلك الخبر لقلنا به ، لكن فيه : أنه عليه السلام كان يصبح متطوعا صائما ثم يفطر ، وهذا مباح عندنا لا نكرهه ، كما فى الخبر ، فلما لم يكن فى الخبر ماذكرنا ، وكان قد صح عنه عليه السلام « لاصيام لمن لم يبيته من الليل » لم يجز أن نترك هذا اليقين لظن كاذب .

ولو أنه عليه الصلاة والسلام أصبح مفطرا ثم نوى الصوم نهار البينة ، كما بين ذلك فى صيام عاشوراء إذ كان فرضا ، والتسامح فى الدين لايحل ؟!

ووافق الصنعانى ابن حزم فيما ذهب إليه ، فبعد أن ساق حديث عائشة الذى احتج به الجمهور قال[٧٣] : (فالجواب عنه أنه أعم من أن يكون بيت الصوم أولا ، فيحمل على التبييت ، لأن المحتمل يُردّ إلى العام ونحوه على أن فى بعض روايات حديثها « إنى كنت أصبحت صائما » والحاصل أن الأصل عموم حديث التبييت وعدم الفرق بين الفرض والنفل والقضاء والنذر ولم يقم مايرفع هذين الأصلين فتعين البقاء عليهما) .

ويمكن الإجابة على ماذكراه بأنه ورد فى رواية البيهقى « إذن أصوم » ، وهذا يدل على أن النبى ﷺ أحدث النية من النهار .

وأيضا روى عن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ أنهم كانوا يحدثون النية من النهار ، فعائشة تقول : « إنى لأصبح يوم طهرى حائضا وأنا أريد الصوم ، فأستبين طهرى فيما بينى وبين نصف النهار فأغتسل ثم أصوم ؟ » .

ومعاذ بن جبل كان يسأل الغداء ، فإن لم يجده صام يومه .

وأخبر عبيد الله بن عمر : أن أبا هريرة كان يصبح مفطرا ، فيقول : هل من طعام ؟ فيجده ، أو لا يجده ، فيتم ذلك اليوم .

وروى أن رجلا سأل عليا بن أبى طالب ، فقال : أصبحت ولا أريد الصوم ؟ فقال له على : أنت بالخيار بينك وبين نصف النهار ، فإن انتصف النهار فليس لك أن تفطر[٧٤] .

٢ ـ ونوقش الدليل الثالث بأن صوم عاشوراء ، غير مساو لصوم رمضان حتى يقاس عليه ، فإنه ﷺ ألزم الإمساك لمن قد أكل ولمن لم يأكل ، فعلم أنه أمر خاص ، ولأنه إنما أجزأ عاشوراء بغير تبييت لتعذره ، فيقاس عليه ماسواه كمن نام حتى أصبح ، على أنه لايلزم من تمام الإمساك ووجوبه أنه صوم مجزىء[٧٥] .

وأجيب عن هذا بما سبق وإن ذكرناه فى مناقشة أدلة الأحناف فى تعيين وقت النية لصوم الفرض .

الرأى الراجح فى الموضوع : بعد العرض السابق للآراء وأدلتها والمناقشات التى وردت عليها ، وما أجيب به عن بعضها يبدو لى أن الرأى الأول والذى ينص على صحة صوم التطوع بنية من النهار هو الراجح ، لقوة أدلته ، وسلامتها من المناقشة ، ولأن التطوع سومح فى نيته تكثيرا له بخلاف الفرض ـ والله أعلم بالصواب ـ

المدى الذى يصح أن يحدث فيه النية من النهار : ذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أن النفل كله يجوز بنية

---

(٧١) أنظر : المغنى ٩٦/٣ .
(٧٢) أنظر : المحلى بالآثار ٣٠٠/٤ .
(٧٣) أنظر : سبل السلام ٣١٤/٢ .
(٧٤) أنظر : المحلى بالآثار ٢٩٦/٤ ـ ٢٩٩ .
(٧٥) أنظر : سبل السلام ٣١٤/٢ .

أحكام نية الصـــوم

قبل الزوال ، ولايجوز الصوم بعد منتصف النهار ، لأنه عبادة قهر النفس ، وهى إنما تتحقق بإمساك مقدر ، فيعتبر قران النية بأكثره[٧٦] .

وذهب الشافعى والأصحاب إلى صحة صوم التطوع بنية قبل الزوال ، وهل يصح بنية بعد الزوال ؟ فيه قولان :

أصحهما باتفاق الأصحاب وهو نصه فى معظم كتبه الجديدة وفى القديم لايصح .

ونص فى كتابين من الجديد على صحته (وهو القول الثانى) .

وعلى القول الثانى يصح فى جميع ساعات النهار وفى آخر ساعة ، لكن يشترط أن لايتصل غروب الشمس بالنية بل يبقى بينهما زمن ولو أدنى لحظة[٧٧] .

وقال الحنابلة[٧٨] : يصح صوم نفل بنية من النهار قبل الزوال وبعده . ويدل لصحته بنية بعد الزوال : أنه قول معاذ وابن مسعود وحذيفة ، ولم ينقل عن أحد من الصحابة مايخالفه صريحا .

ولأن النية وجدت فى جزء من النهار ، فأشبه وجودها قبل الزوال بلحظة .

والراجح قول الحنابلة ومن وافقهم ، لقوة أدلتهم ، ولأن النصوص الدالة على جواز الصوم بالنية من النهار لم تفرق بين إحداث النية قبل الزوال وبعده ـ والله أعلم بالصواب ـ

شرط من أجاز صوم النفل بنية من النهار : اشترط القائلون بصحة صيام من أحدث النية من النهار أن تتوافر جميع شروط الصوم من أول النهار ، فإن كان أكل أو جامع أو فعل غير ذلك من المنافيات لم يصح صومه[٧٩] .

وحكى عن أبى العباس بن سريج ومحمد بن جرير الطبرى والشيخ أبى زيد المروزى وغيرهم أن من أكل أو جامع من النهار ثم نوى صح صومه .

وهذا خلاف قول جماهير العلماء كما قال النووى .

ويدل على بطلانه شرط الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى الليل الوارد فى قوله تعالى :

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ ﴾

المقدار الذى يثاب عليه الناوى من النهار : ذهب الأحناف إلى أن صوم التطوع يصح بنية قبل الزوال ، ويصير صائما من أول النهار[٨٠] .

وذهب الشافعية فى الأصح عند الأصحاب إلى أنه يثاب من طلوع الفجر ، لأنه لو كان صائما من وقت النية لم يضره الأكل قبلها .

وقال أبو إسحاق المروزى يكون صائما من وقت النية ، لأن ما قبل النية لم يوجد فيه قصد القربة ، فلم يجعل صائما فيه .

ورد رأى أبى إسحاق من قبل الأصحاب فقالوا : هو غلط ، لأن الصوم لايتبعض ، ولأن المسبوق فى الصلاة يدرك الإمام راكعا فيحصل له ثواب جميع الركعة بإتفاق الأصحاب[٨١] .

وقال الحنابلة[٨٢] : ويحكم بالصوم الشرعى المثاب عليه من وقت النية ، لأن ماقبله لم يوجد فيه قصد

(٧٦) أنظر : الهداية المطبوع مع فتح القدير ٢٤١/٢ ـ ٢٤٢ .
(٧٧) أنظر : المجموع ٢٩٢/٦ .
(٧٨) أنظر : كشاف القناع ٣١٧/٢ .
(٧٩) أنظر : المجموع ٢٩٣/٦ .
(٨٠) أنظر : الهداية مع شرح فتح القدير ٢٤٢/٢
(٨١) أنظر : المجموع ٢٩٢/٦ ـ ٢٩٣ .
(٨٢) أنظر : كشاف القناع ٣١٧/٢ .

القربة ، فلا يقع عبادة لقوله ﷺ « وإنما لكل امرىء مانوى » .

ولعل ماذهب إليه الأحناف ومن وافقهم هو الراجح لقوة حجتهم ، ولأن الصوم إنما يكون يوما كاملا من الفجر إلى الليل كما جاء فى القرآن الكريم ـ والله أعلم بالصواب ـ

المبحث الثالث

آراء الفقهاء فى تعيين النية المجزية للصوم

أختلف الفقهاء فى تعيين النية المجزية فى ذلك على رأيين :

الـــرأى الأول(٨٣) : ذهب الإمـــام مالك ، والشافعى ، وأحمد فى أظهر روايتيه ، وإسحاق وداود إلى أن صوم رمضان وغيره من الصوم الواجب لايصح إلا بتعيين النية ، وأن نية الفريضة واجبة ، وإن كان الأرجح عند الشافعية والحنابلة عدم اشتراطها .

وحجة هذا القول :

١ ـ قوله ﷺ « وإنما لكل امرىء مانوى » ، فهذا ظاهر فى اشتراط التعيين ، لأن أصل النية فهم اشتراطه من أول الحديث « إنما الأعمال بالنيات » .

٢ ـ ولأنه صوم واجب ، فوجب تعيين النية له كالقضاء وطواف الزيارة(٨٤) .

٣ ـ ولأنه قربة مضافة إلى وقتها فوجب تعيين الوقت فى نيتها كصلاة الظهر والعصر(٨٥) .

وعلل القائلون باشتراط نية الفرضية رأيهم فقالوا : لأن صوم رمضان قد يكون نفلا فى حق الصبى فافتقر إلى نية الفرض ليتميز عن صوم الصبى .

ورد القائلون بعدم اشتراط نية الفريضة هذا فقالوا : صوم رمضان لايفتقر إلى ذلك ، لأن رمضان فى حق البالغ لايكون إلا فرضا ، فلا يفتقر إلى تعيين الفرض(٨٦) .

الرأى الثانى(٨٧) : قال أبو حنيفة وأصحابه لايجب تعيين النية فى صوم رمضان ، فلو نوى فيه صوما واجبا ، أو صوما مطلقا أو تطوعا وقع عن رمضان إن كان مقيما .

فإذا نوى المسافر عند أبى حنيفة فى رمضان صيام غيره كان مانوى ، لأنه لم يجب عليه صوم رمضان وجوبا معينا . ولم يفرق صاحباه بين المسافر والحضر وقالا : كل صوم نوى فى رمضان أنقلب إلى رمضان .

واحتج أبو حنيفة بالقياس على الحج .

وناقش النووى دليل أبى حنيفة فقال(٨٨) : قياس الصوم على الحج مردود ، لأن الحج مبنـــى على التوسعة ، ولهذا لايخرج منه بالإفساد ، ويصح تعليقه على إحرام كإحرام غيره .

وقال ابن قدامة(٨٩) : الحج مخالف للصوم ، ولهذا ينعقد مطلقا وينصرف إلى الفرض ، ولو حج عن غيره ولم يكن حج عن نفسه وقع عن نفسه ، ولو نوى الإحرام بمثل ما أحرم به فلان صح وينعقد فاسدا بخلاف الصوم .

الرأى الراجح فى الموضوع: بالنظر فى الرأيين السابقين وأدلتهما يتبين لى أن رأى المالكية ومن معهم هو الراجح لقوة حجتهم ، ولأن الصوم المفروض لايتميز عما سواه إلا بقصده وتعيينه تعيينا واضحا حتى لايختلط بغيره .. والله أعلم بالصواب ..

(٨٣) أنظر : بداية المجتهد ١/ ٢٩٢ . دار المعرفة . بيروت ، المجموع ٦/ ٣٠٢ ، المغنى ٣/ ٩٤ .

(٨٤) أنظر : المغنى ٣/ ٩٥ .

(٨٥) أنظر : المجموع ٦/ ٢٩٤ .

(٨٦) أنظر : المرجع السابق .

(٨٧) أنظـــر : فتـــح القديـــر المطبـــوع مع شرحــــه ٢/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠ .

(٨٨) أنظر : المجموع ٦/ ٣٠٢ .

(٨٩) أنظر : المغنى ٣/ ٩٥ .

أحكام نية الصــوم

المبحث الرابع
حكم من نوى وهو صائم إبطال صومه

إذا دخل المسلم فى صوم ثم نوى قطعه فهل يبطل ؟

قال الشافعية[٩٠] : من دخل فى الصوم ونوى الخروج منه بطل صومه ، لأن النية شرط فى جميعه ، فإذا قطعها فى أثنائه بقى الباق بغير نية ، فبطل ، وإذا بطل البعض بطل الجميع ، لأنه لاينفرد بعضه عن بعض .

ومن أصحابنا من قال لايبطل ، لأنه عبادة تتعلق الكفارة بجنسها ، فلم تبطل بنيـة الخروج كالحج ، والأول أظهر ، لأن الحج لا يخرج منه بما يفسده ، والصوم يخرج منه بما يفسده ، فكان كالصلاة .

وقال الحنابلة[٩١] : من نوى الإفطار أفطر ، لأنه قد قطع نية الصوم بنية الإفطار ، فكأنه لم يأت بها ابتداء ، فصار كمن لم ينو الصوم ، لا كمن أكل ونحوه ، فلو كان نوى الإفطار فى نفل ثم عاد نواه نفلا صح .

وقال الظاهرية[٩٢] :من نوى وهو صائم إبطال صومه بطل ، إذا تعمد ذلك ذاكرا ، لأنه فى صوم وإن لم يأكل ولاشرب ولا وطىء لقول رسول الله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات ولكل امرىء مانوى » ، فصح يقينا أن من نوى إبطال ماهو فيه من الصوم فله مانوى بقوله عليه الصلاة والسلام الذى لاتحل معارضته ، وهو قد نوى بطلان الصوم ، فله بطلانه ، فلو لم يكن ذاكرا لأنه فى صوم لم يضره شيئا ، لقوله تعالى[٩٣] :

﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَاتَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُم ﴾ .

ومما سبق يتضح لى أن فى المسألة قولين ، الأول : يرى القائلون به أن من دخل فى الصوم ثم نوى الخروج منه بطل صومه . والثانى : يرى أنه لايبطل . والراجح الأول ، لقوة حجته ـ والله أعلم بالصواب ـ

صيام يوم الشك

يوم الشك : هو يوم الثلاثين من شعبان إذا وقع فى السنة الناس إنه رؤى ، ولم يقل عدل إنه رآه ، أو قاله وقلنا لاتقبل شهادة الواحد ، أو قاله عدد من النساء ، أو الصبيان ، أو العبيد ، أو الفساق ، وهذا لاخلاف فيه عند أصحاب الشافعى .

وقيل : إن كانت السماء مصحية ولم ير الهلال فهو شك[٩٤] .

وقد نهى الرسول ﷺ أمته عن صيام اليوم أو اليومين السابقين عن شهر رمضان ، فقال فى الحديث الذى رواه أبو هريرة : « لاتقدموا الشهر بيوم ولايومين إلا أن يوافق صوما كان يصومه أحدكم »[٩٥] .

وعد النبى ﷺ من يفعل ذلك عاصيا ، فقال فى الحديث الذى رواه عمار ـ رضى الله عنه ـ « من صام اليوم الذى يشك فيه فقد عصى أبا القاسم ﷺ »[٩٦] .

---

(٩٠) أنظر : المهذب ١٨٨/١ .
(٩١) أنظر : كشاف القناع ٣١٦/٢ .
(٩٢) أنظر : المحلى بالآثار ٣٠٢/٤ .

(٩٣) سورة الأحزاب الآية : ٥
(٩٤) انظر : المجموع ٤٠١/٦ ـ ٤٠٢ .
(٩٥) صحيح البخارى مع فتح البارى ١٣٧/٤ .
(٩٦) رواه أبو داود والترمذى ، وقال : هو حديث حسن صحيح انظر المجموع ٣٩٩/٦ .

فإن صام أحد الناس اليوم السابق على رمضان ، فإن كان صوما قد اعتاده كأن يوافق الأثنين أو الخميس وهو قد أعتاد صيامهما فلا بأس فى ذلك كما هو نص حديث أبى هريرة السابق .

وإن صام فيه عن فرض عليه كره وأجزأه كما لو صلى فى دار مغصوبة ، وإن صام عن تطوع ولم يوافق عادة له ، لم يصح لأن الصوم قربة ، فلا يصح بقصد معصية[97] .

وإن صام يوم الشك عن رمضان لم يصح عند الشافعية بلا خلاف ، وحكاه ابن المنذر عن عمر بن الخطاب ، وعلى ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وعمار وحذيفة وأنس وأبى هريرة وأبى وائل وعكرمة وابن المسيب والشعبى والنخعى وابن جريج والأوزاعى قال وقال مالك سمعت أهل العلم ينهون عنه هذا كلام ابن المنذر وممن قال به أيضا عثمان بن عفان وداود الظاهرى . قال ابن المنذر وبه أقول والأحاديث التى وردت فى هذا كثيرة ومشهورة منها حديث أبى هريرة وعمار السابقين ، وحديث ابن عمر قال « سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا رأيتموه فصوموا وإذا رأيتموه فافطروا فإن غم عليكم فاقدروا له » رواه البخارى ومسلم ، وفى رواية لهما عن ابن عمر « أن النبى ﷺ قال الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تره فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين » وعن أبى هريرة قال « قال رسول الله ﷺ إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فافطرو فإن غم عليكم فصوموا ثلاثين يوما » رواه مسلم[98] .

وقالت عائشة وأختها أسماء نصومه من رمضان .. وقال ابن عمر وأحمد بن حنبل إن كانت مصحية لم يجز صومه وإن كانت مغيمة وجب صومه عن رمضان ، وعن أحمد روايتان كمذهب الجمهور[99]

ودليل هذا : مارواه البيهقى[100] عن عائشة أنها سئلت عن صوم يوم الشك فقالت « لأن أصوم يوما من شعبان أحب إلى من أن أفطر يوما من رمضان » ، وعن أسماء أنها كانت تصوم اليوم الذى يشك فيه من رمضان .

ورد البيهقى هذا القول ودليله فقال[101] : (وأما مذهب ابن عمر فى ذلك فقد روينا عنه أنه قال « لو صمت السنة كلها لافطرت اليوم الذى يشك فيه » ، وفى رواية عن عبد العزيز بن حكيم الحضرمى قال رأيت ابن عمر يأمر رجلا يفطر فى اليوم الذى يشك فيه ، قال ورواية يزيد بن هرون تدل على أن مذهب عائشة فى ذلك كمذهب ابن عمر فى الصوم إذا غم الشهر دون أن يكون صحوا ، ومتابعة السنة الثابتة وماعليه أكثر الصحابة وعوام أهل المدينة أولى بنا وهو منع صوم يوم الشك) .

وبعد العرض السابق نقول أن رأى الجمهور والذى ينص على عدم صحة صوم يوم الشك هو الراجح لقوة أدلته .

وفى حالة صوم يوم الشك بناء على تردد من الصائم ، بأن يقول ليلة الشك إن كان غدا من رمضان فهو فرض وإلا فهو نفل ، صح عند من لم يوجب تعيين النية لكل صوم يوم واجب ، لأنه نوى الصوم ونيته كافية ، ولايصح عند من أوجبه ، لأنه لم يجزم به والنية عزم جازم ، وهاتان روايتان عند الحنابلة .

---

(٩٧) انظر : المرجع السابق .

(٩٨) انظر : صحيح البخارى كتاب الصوم رقم (١٩٠٩) ، وصحيح مسلم (كتاب الصيام) باب (٢) رقم (١٠٨٠) .

(٩٩) انظر المجموع ٦/٤٠٣ .

(١٠٠) انظر المجموع ٦/٤٠٤ ـ ٤٠٥ .

(١٠١) أنظر : المرجع السابق .

أحكام نية الصـــوم

وإن نوى إن كان غدا من رمضان فأنا صائم والإفلا ، لم يصح على الروايتين ، لأنه شك فى النية لأصل الصوم(١٠٢) .

ونقل عن الشافعى فى رواية الربيع عنه أنه لايجزيه ، لأنه شاك غير متيقن ، والأصل عدم رمضان وبقاء شعبان(١٠٣)

وقد حمل أصحاب الشافعى قول الشافعى بـ « أنه إذا أصبح الرجل يوم الشك من رمضان ، وقد بيت الصوم من الليل على أنه من رمضان ، أن هذه نية كاملة له ، تؤدى عنه ذلك اليوم إن كان من شهر رمضان(١٠٤) » على أنه أراد بذلك إذا صام جازما معتقدا أن غدا من رمضان ، وذلك لوجود قرائن تدل على ذلك ، كأن يخبره من يثق به من امرأة أو صبى أو عبد ممن لايقبل الحاكم شهادته ، أما إذا صام بدون مستند ولاقرينة فصومه غير صحيح ، فإن قيل لو جزم بذلك من غير مستند ولا قرينة ، قالوا : ذلك مستحيل ، إذ كيف يجزم الانسان من غير دليل ، فالمرء لايجزم إلا إذا حصل لديه اعتقاد(١٠٥)

وقال الأحناف(١٠٦) : إن كان تردده فى أصل النية أى أن يصوم يوم غد « يوم الشك » إن كان من رمضان ، ولايصوم إن لم يكن منه ، لم يصح صومه ، فإن كان التردد فى كونه يصومه فرضا أو تطوعا صح ، لأن التردد هنا فى الوصف لافى الأصل .

فإن قيل كيف صححتم يوم الثلاثين من رمضان مع احتمال كونه من شوال ؟

فالجواب أن الصوم هنا استند إلى أصل وهو بقاء الصوم مالم ير الهلال ، كما فى الحديث « ولا تفطروا حتى تروه »(١٠٧) .

وقال ابن عقيل من الحنابلة(١٠٨) : إن قال إن كان غدا من رمضان فأنا صائم وإن كان من شوال فأنا مفطر ، لايصح صومه ، لأنه لم يجزم بنية الصيام ، والنية اعتقاد جازم ويحتمل أن يصح ، لأن هذا شرط واقع والأصل بقاء رمضان .

وماقاله ابن عقيل محل نظر ، لأن الأصل بقاء رمضان ، ولايصح الفطر إلا برؤية هلال شوال ، أو إكمال رمضان ثلاثين يوما كما أمر النبى ﷺ .

وأرى أن ماقاله الأحنـــاف ، وأحمد فى أصح الروايتين عنه ، ومن وافقهم من صحة صوم يوم الشك إن كان التردد بين كونه فرضا أو نفلا ، هو الأولى بالقبول لما قاله ابن تيمية من أن النية تتبع العلم ، فإذا كان لايعلم أن غدا من رمضان ، فهذا لايجب عليه التعيين ، ومن أوجب التعيين مع عدم العلم ، فقد أوجب الجمع بين الضدين .. والله أعلم بالصواب ..

(١٠٣) أنظر : الأم ١٣٣/٧ . كتاب الشعب ١٣٨٨ هـ .
(١٠٤) أنظر : المرجع السابق .
(١٠٥) أنظر : المجموع ٢٩٦/٦
(١٠٦) الهداية مع فتح القدير ٥٦/٢ المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، الأشباه والنظائر لابن نجيم ص ٥٢ مؤسسة الحلبى وشركاه ١٣٨٧ هـ بالقاهرة .
(١٠٢) أنظر : الكافى لابن قدامة ٣٥١/١ . المكتب الإسلامى .
(١٠٧) أنظر المغنى ٩٤/٣ .
(١٠٨) أنظر : المرجع السابق .

النهى عن أكل الأموال بالباطل وعما يدعو إليه من الحسد

لفضيلة الدكتور أحمد محمد عيسى

بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن
تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا
وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ
يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ
عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾
وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ
نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ
وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ
عَلِيمٗا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ
وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ
نَصِيبَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

---

(١) سورة النساء آية ٢٩ ـــ ٣٣

عدل الله تعالى وإنصافه أن يرضى عن الحلال الطيب فى كل شىء ، ويباركه ويأمر به ويدعو إليه بل ويحث عليه ويرسم له طريقه السليم ويبين له منهجه المستقيم ، وينهى سبحانه عن الحرام وينفر عنه ويكره فيه وينزع البركة منه ولا يرضى عن صاحبه ولا يقبل له عملا ؛ لأنه سحت يؤدى بآكله إلى النار وبئس القرار ، ولأنه ظلم وقد حرمه الله ، حيث إنه حق للغير يجر وراءه التحاسد والتباغض والتدابر والشحناء والقتل والبلاء وعدم الرضى بالقضاء .

وهاتان الآيتان الكريمتان شروع من الله فى بيان بعض الحرمات المتعلقة بالأموال والأنفس ، إثر بيان الحرمات المتعلقة بالأبضاع فى قوله تعالى آنفا فى سورة النساء (حرمت عليكم أمهاتكم ....) فإنه تعالى لما شرح كيفية التصرف فى النفوس بسبب النكاح ذكر بعده كيفية التصرف فى الأموال ، وخاصة أنه بين أن أبتغاء النكاح إنما يكون بالأموال ، وأمر بإيفاء المهور والنفقات وأن تكون طيبة وعن طيب نفس ؛ لأنه عز وجل طيب ولا يقبل إلا طيبا ، ولأن صرح الأسرة ينبغى أن يقوم على أساس متين من تقوى الله ومن الحلال ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٠٩)(١)

لهذا بين هنا كيفية التصرف بالعدل فى الأموال وأنها تؤخذ من مظانها الحلال وبالطرق المشروعة وقد صدر المولى خطابه بالنداء والتنبيه وبالإيمان الذى يربط القلب بربه ، ويدفع صاحبه الى تحرى الحلال والابتعاد عن الظلم والحرام ، وإلى اتباع طريق الحق ومجانبة الباطل وأسبابه ، وذلك لإظهار كمال العناية بمضمون هذا الخطاب والأهتمام به أيما اهتمام . والباطل كما نعلم ضد الحق وهو اسم لكل ما لا يحل فى الشرع كالربا والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور وأخذ المال باليمين الكاذبة وجحد الحق والقمار ، وأنواع المكاسب غير الشرعية وما جرى مجرى ذلك من صنوف الحيل ، مما يعلم الله أن متعاطيها إنما يريد الحيلة على الربا ، حتى قال ابن جرير نقلا عن ابن عباس رضى الله عنهما : فى الرجل يشترى من الرجل الثوب فيقول : إن رضيته أخذته وإلا رددت معه درهما ، قال : هو الذى قال الله فيه (لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) وعن على بن أبى طلحة عن ابن عباس لما أنزل الله هذه الآية قال المسلمون : إن الله قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ، والطعام هو أفضل أموالنا ، فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد فكيف للناس ؟ فأنزل الله بعد ذلك (لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ) الآية(٢)

ومعنى قوله (إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) أى : ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض منكم فإنه غير منهى عنه فكأنه تعالى يقول : لا تتعاطوا الأسباب المحرمة فى اكتساب الأموال ، لكن المتاجر المشروعة التى تكون عن تراض من البائع والمشترى فافعلوها وتسببوا بها فى تحصيل الأموال ، ثم أكد النهى السابق وقرره بعد ذلك بقوله (ولا تقتلوا أنفسكم) أى بارتكاب محارم الله ومعاصيه وأكل أموالكم بينكم بالباطل ، ولا تهلكوها بتعريضها للعقاب بافتراض ما يفضى إليه ، فإنه القتل الحقيقى لها كما يشعر به إيراده عقيب النهى عن أكل الحرام . والمراد بقوله (أنفسكم) أى من كان من جنسكم من المؤمنين ؛ فإن كلهم كنفس واحدة ، وعن الحسن لا تقتلوا إخوانكم ، والتعبير عنهم بالأنفس للمبالغة فى الزجر عن قتلهم بتصويره بصورة ما لا يكاد يفعله عاقل ، وقيل لا تقتلوا أنفسكم بالبخع كما يفعله بعض الجهلة ، أو بارتكاب ما يؤدى إلى القتل من الجنايات . وقد جمع الله فى التوصية بين حفظ المال وحفظ النفس لما أنه شقيقها ، من حيث إنه سبب لقوامها وتحصيل كمالاتها واستيفاء فضائلها ، وقدم المال فى النهى عن التعرض له لكثرة وقوعه وقلة وقوع القتل ، ويدخل فى قوله

---

(١) سورة التوبة آية ١٠٩

(٢) سورة النور آية ٦١

(أموالكم) أكل مال نفسه بالباطل وإنفاقه فى معاصى الله وأكل مال غيره ، وكذا قوله (أنفسكم) نهى عن قتل نفسه وغيره بالباطل . ويلاحظ أنه فى الاستثناء ذكر سببا واحدا من أسباب الملك الحلال وهو التجارة لأنها غالب أموالهم ، ثم بالغ الله فى وعيد من يتعاطى ما نهاه الله عنه متعديا وظالما وعالما بتحريمه ومتجاسرا على انتهاكه ، ومفرطا فى تجاوز حدود الله ومعتديا على حقوق الناس فقال سبحانه (ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا) وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد ينبغى أن يحذر منه كل عاقل .

ثم اتبع الله ذلك الترهيب والتهديد الذى سببه الظلم والعدوان والذنوب بتفصيل الذنوب إلى كبائر وصغائر ، وبترغيب المؤمنين فى التخلى عنها جميعا وذلك باجتناب الكبائر ، حتى يحظوا بجنة الله وتكريمه ويسعدوا بنعيمه المقيم فقال (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما) فشرط اجتناب كبائر الذنوب وعظائمها لغفرانها جميعا ولدخول الجنة والسعادة بنعيمها .

وقد اختلف السادة العلماء فى تحديد الكبيرة والذى أرجحه قول بعضهم : ما ورد فيها وعيد شديد أو تهديد ، وذلك لما رواه ابن جرير عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى تفسيره لهذه الآية قال : الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب . وعن ابن مسعود قال : أكبر الكبائر من أول سورة النساء إلى ثلاثين آية منها ثم تلا (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه .....) الآية[1] .

ولما نهاهم المولى جل شأنه فى الآية المتقدمة عن أكل الأموال بالباطل وعن قتل النفس ، أمرهم بما يساعد على ذلك ويسهل عليهم ترك هذه المنهيات ، وهو أن يرضى كل أحد بما قسم الله له ويقنع بما رزقه ، وإلا وقع فى الحسد الذى هو أسّ البلاء وسّر الداء ، أما إذا رضى بما قدره الله أمكنه الاحتراز عن الظلم فى النفوس والأموال ، وصار الظاهر طاهرا عن الافعال القبيحة والباطن طاهرا عن الأخلاق الذميمة ، فيكون المسلم طاهرا قلبا وقالبا ظاهرا وباطنا كلا وجزءا ، ولأن الباطن هو الذى يوحى بأفعال الظاهر ويدفع الجوارح لعملها ، فقال تعالى ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾) وكما أن الحسد سببا للفساد فى الدين فكذلك هو السبب للفساد فى الدنيا ، فإنه يقطع المودة والمحبة والموالاة ويقلب كل ذلك إلى أضدادها ، فلابد لكل عاقل من الرضا بقضاء الله سبحانه فلا اعتراض على فعله وكل شىء صنعه ولا علة لصنعه ، وهو علام الغيوب وأعلم من خلقه بوجوه المصالح ودقائق الحكم ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِى الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾[1] وروى قتادة عن الحسن قال : لا يتمن أحد المال فلعل هلاكه فى ذلك المال كما فى حق ثعلبة ، وهذا هو المراد من قوله (واسئلوا الله من فضله[2]) .

وقد ورد فى سبب نزول هذه الآية أقوال أذكر منها ما يلى :

(١) ابن كثير جـ ١ ص ٤٨٥ ، ٤٨٦ ط الحلبى

(١) سورة الشورى : آية ٢٧
(٢) الفخر الرازى جـ ١٠ ص ٨٠ ــ ٨٢

النهى عن أكل الأموال بالباطل وعما يدعو إليه من الحسد

١ ـ عن مجاهد قال : قالت أم سلمة : يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو ولهم من الميراث ضعف ما لنا فليتنا كنا رجالا . فنزلت الآية .

٢ ـ وقال قتادة والسدى : لما نزلت آية المواريث قال الرجال : نرجو أن نفضل على النساء فى الآخرة كما فضلنا فى الميراث ، وقالت النساء : نرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال كما فى الميراث فنزلت الآية[٣] وقد قرر الله مضمون الآية السابقة بقوله ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِىَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ ﴾ أى ولكل تركة جعلنا ورثة متفاوتة فى الدرجة يلونها ويحرزون منها أنصباءهم بحسب استحقاقهم المنوط بما بينهم وبين المورث من العلاقة (والذين عقدت أيمانكم) هم موالى الموالاة وكان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ هذا بقوله (وَأُولو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ) الخ ثم ختم الآية بالوعد والوعيد (إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا) أى من الإيتاء والمنع فلا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع .

---

(٣) أسباب نزول القرآن للواحدى ، والفخر الرازى جـ ١٠ ص ٨٢

(٤) أبو السعود جـ ١ ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨

اتق الله حيثما كنت

بقلم : محمد حافظ سليمان

لقد جمع رسول الله ﷺ للمسلم منهجا إسلاميا متكاملا فى اثنتى عشرة كلمة [من جوامع الكلم] وهى ثلاث جمل يتكون كل منها من أربع كلمات تنظم السلوك وتهدى إلى الخير ، ولكى يكون المؤمن موصولًا بربه دائما يقول له صاحب الدعوة الإسلامية عليه الصلاة والسلام :

« اتق الله حيثما كنت » : أى فى كل قول وفعل وفى كل زمان ومكان ، لأن الله يعلم ما تكسب كل نفس « وهو معكم أينما كنتم »

وهو القائل :

[﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾]« سورة الرعد ـــ ٨ ـــ ١٠ » .

فإذا عرف المسلم ذلك معرفة يقينية صادقة كان عليه أن يراقب ربه سرا وعلانية أينما حلَّ وأنىَّ وجد ، ليتحصن بالتقوى من أخطار الذنوب والعيوب ليكون الله معه :

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (سورة النحل ١٢٨)

ولعلاج النفس يقول رسول الله الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

« واتبع السيئة الحسنة تمحها »

إن النفس البشرية أمرها غريب وشأنها عجيب ، وذلك لأن الإيمان يطهرها ويربيها ويهذبها ويرقيها فتكون مطمئنة بتمام الاستقامة : ولكن النفس اللوامة إذا أقدمت على خطأ تابت وانابت إلى ربها تمحو السيئة بالحسنة « إن الحسنات يذهبن السيئات » ولأن الإسلام يجعل للوازع الدينى سلطانا مبينا على النفس ليكون صاحبها سيدا عليها ينهاها عن هواها ، فلا حقد ولا غل ولا ضغينة ولا وقيعة لكنه الخلق الإسلامى والنبل الإنسانى الذى يمحق السيئة بالحسنة ويمحو الخطأ بالصواب ، ليعود المرء الى طاعة ربه الذى خلقه فسواه وألهمه فجوره وتقواه ، وإذا ارتبطت النفس بالله زال عنها القلق لأنها فى حماية الله الذى بيده ملكوت كل شىء ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ « سورة آل عمران ـــ ١٠١ » .

وليس على ظهر هذه الأرض أشقى ممن يحرم طمأنينة القلب لأنه مبتوت الصلة بربه الكريم وبهذا تعصف به الأنواء والأهواء إلى حيث تشاء ولا دواء من هذه الأدواء إلا بالعودة إلى الله تعالى .

« وَخَالِقِ الناسَ بخلق حسن »

والإسلام فى دعوته إلى مكارم الأخلاق ليس بعيدا عن فطرة الإنسان وطبيعته : فهو يدعو إلى الكمال والفضائل التى جعلها الرسول غاية رسالته فقال إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق : وأما الإيمان السليم فهو الذى ينبعث منه الخلق القويم ، وينبثق منه حسن السيرة ونقاء السريرة ، والمجتمع الإسلامى تقوم دولته ودعوته على قاعدة راسخة ثابتة هى الايمان بإله واحد .

﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَـٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ (سورة البقرة ـــ ١٦٣) وهو بهذا يطهر الاعتقاد من الالحاد ، وهو يسمو بالنفس الصافية لتتجه إلى معاملة الناس بالحسنى ليكون المؤمن طاهر اللسان سليم القلب وليتصف بخصال الخير والبر التى جاء بها الإسلام من عند الله على يد رسول الله ﷺ .

التقوى خير زاد للعبـــاد

يقول ربنا عز وجل : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾

(سورة الأنفال ـــ ٢٩) .

ورد ذكر التقوى والمتقين فى القرآن الكريم أكثر من مائتى مرة ، لأن التقوى فى معناها العام اتقاء كل ما يضر الإنسان فى نفسه وفى بنى جنسه البشرى ، ويتحقق هذا بترك جميع الذنوب والمعاصى والاتجاه نحو الاحسان والكمال وصالح الأعمال وبفعل الخير والبعد عن الضر والشر وتطهير القلب وتزكية النفس وسمو السلوك ومكارم الأخلاق ، والفرقان ثمرة من ثمرات التقوى ، وهو = أى الفرقان = كما يقول علماؤنا : هو نور البصيرة الذى يفرق به المسلم بين الحق والباطل ، وهذا النور لا يصل اليه طالبه إلا بتقوى الله وباتقاء النار ، واتقاء الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وباتقاء الظلم بين الافراد والأمم . وقد بين لنا ربنا أن العاقبة للتقوى ، وأن جزاء المتقين التمكين فى الأرض وتيسير الارزاق وتكفير السيئات عمن أساء ، وإعظام الأجر ، والله يجعل مخرجا لأحبابه المتقين من كل ضيق ، والله يقول : وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ [سورة الطلاق ـــ ٣] ويقول جل جلاله : وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ (سورة الطلاق ـــ ٤)

ويقول ربنا : وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ (سورة الطلاق ـــ ٥ ـــ وهذا وعد من الله الذى لا يخلف الميعاد فهو عند وعده وعند كلمته ؛ لأن وعد الله لا يتخلف ، ولقد علمتنا الأيام وحدثتنا التجارب أن الله مع المتقين يعمر ديارهم ويصلح ذرياتهم ويبارك فى أرزاقهم ويعلى شأنهم ويرفع قدرهم :

بالتقوى تسعد الحياة

وهذه الدنيا لا تصلح بغير دين الله الذى تجلى الله به على عباده لتثبيت العقيدة واستقامة السلوك ، وبتقوى الله تنمحى الضلالات وتزول الجهالات ، وبالتقوى مَنَّ الله على المستضعفين فى الأرض فجعلهم أئمة وجعلهم الوارثين ومكن لهم فى الأرض كما وعدهم بذلك فقال : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ (سورة النور ــ ٥٥) :

والتقوى الصادقة تحتاج دائما للصبر الجميل فى الدوام على طاعة الله ومحاربة الشيطان والهوى ؛ لأن الصبر ملازم للعمل الصالح ، ويدخل فيه العبادات المفروضة التى تقرب العبد من ربه .

والله يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (سورة البقرة ١٥٣) والتقوى مستمدة من الإيمان السليم المستقر فى القلب ، لأن الإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل ، فليست التقوى صورا وألوانا ولكن التقوى يبينها رسول الله ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ فى قوله (قل آمنت بالله ثم استقم) فالتقوى إيمان بالله واستقامة سلوك .

﴿ وَٱلْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۞ ﴾

الدين المعـــاملة

شهد رجل عند ــ عمر رضى الله عنه ــ شاهد ، فقال له أمير المؤمنين أئتنى بمن يعرفك ، فأتاه برجل فأثنى عليه كثيرا : فقال له عمر أنت جاره الأدنى الذى يعرف مَدخله ومَخرجه ؟

قال : لا . قال : كنت رفيقه فى السفر الذى يستدل به على مكارم الأخلاق ؟

قال : لا . قال : فعاملته بالدرهم والدينار ؟

قال : لا . قال : أظنك رأيته قائما فى المسجد يهمهم بالقرآن يخفض رأسه طورا ويرفعه آخر قال : نعم . قال : اذهب فلست تعرفه !!! ثم قال للرجل : اذهب فائتنى بمن يعرفك !!! .

وقيل : إذا أثنى على الرجل جيرانه فى الحضر ، وأصحابه فى السفر ، ومعاملوه فى الأسواق فلا تشكو فى صلاحه ؛ لأن المعاملة هى محك الرجال وهى الشاهد الذى لا ترد شهادته ؛ ولأن الأمانة رمز الصدق فى التعامل ودليل المروءة والعفة والإباء .

وعن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : اشترى رجل من رجل عقارا ، فوجد الرجل الذى اشترى العقار فى عقاره جرة فيها ذهب ، فقال الذى اشترى العقار ، خذ ذهبك منى إنما اشتريت منك الأرض ولم أبتع منك الذهَب وقال الذى له الارض إنما بعتك الأرض وما فيها ، فتحاكما الى رجل فقال الذى تحاكما اليه ألكما ولد ؟ فقال أحدهما لى غلام وقال الآخر : لى جارية : قال أنكحوا الغلام الجارية وأنفقوا على أنفسهما منه وتصدقا : هذه هى المثالية فى اتقاء الشبهات ابتغاء مرضاة الله عز وجل : وهذا نوع من التعامل لا نظير له الا عند من طابت سريرته وحسنت سيرته واستنارت بصيرته ، فراقب الله ربه سرا وعلانية ..

دين وحريـة

ولما ولى سيدنا أبو بكر الخلافة تكلم مع الجماهير فى خطبته المشهورة بذمة وهمة معلنا العدالة والاستقامة .. لارتباطه بربه علام الغيوب الذى يعلم السر وأخفى ، يقول رضى الله عنه .. إنى وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى ، وإن أسأت فقومونى ، أطيعونى ما أطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعـــة لى عليكم ...!!!

وكان عمر رضى الله عنه يقول : أحب الناس إلى من أهدى إلى عيوبى وهو الذى قال له رجل فى موقف

من المواقف : اتق الله يا عمر !! فقال له بعض الحاضرين أتقول لأمير المؤمنين اتق الله ؟ فقال عمر : دعوه فليقلها نِعْمَ مَاقَالَ : لا خير فيكم إن لم تقولوها ولا خير فينا إن لم نقبلها !

وهذه نماذج إنسانية صنعها الإسلام يعجز الزمان عن الاتيان بمثلها !

ولقد رأى عمر ـ رضى الله عنه ـ رجلا يطأطىء رقبته مظهر الخشوع ، فقال له : ارفع رأسك فإن الخشوع فى القلوب لا فى الرقاب ! ورأى رجلا يتماوت فى صلاته فقال له : لا تمت علينا ديننا أماتك الله .

درس تربوى توجيهى

وقد وضع عمر ـ رضوان الله عليه ـ دستورا للحرب فى وصيته إلى قائد جيش المسلمين سعد بن أبى وقاص فقال فى خطاب أرسله إليه : أما بعد فإنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة فى الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فإن استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة ، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا فاعلموا أن عليكم حفظه من الله فى سيركم يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله : واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم أسأل الله تعالى ذلك لى ولكم .

« ترفق بالمسلمين »

ثم هو يقول له :

وترفق بالمسلمين فى مسيرهم ولا تكلفهم مسيرا يتعبهم ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم ، فإنهم سائرون الى عدو مقيم وأقم بمن معك فى كل جمعة يوما وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم ويصلحون أسلحتهم وأمتعتهم . ثم أذْكِ أحراسك على عسكرك وتيقظ مما يدبره العدو لك فى الخفاء من غدر ووقيعة والله ولى أمرك ومن معك وولى النصر لكم على عدوكم ، والله المستعان والحمد لله رب العالمين .

وهذا « دستور فى كلمات » قد صدر من خليفة عظيم أعز الله به الاسلام والمسلمين ، ثم أرأيت كيف صنع الإسلام رجالا وكون أبطالا .. صدقوا ما عاهدوا الله عليه ؟؟ وذلك لان التربية المحمدية تربية قرآنية تقول للناس ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ « سورة الحجرات ١٣ »

ولقد كانوا فى أيام الاسلام الأولى صورة للإسلام تمشى على الأرض هونا لمَّا أكرمهم الله بالقرآن المنزل على خاتم رسل الله سيدنا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام الذى أرسله ربه رحمة للعالمين وجعله شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا .

« الاخلاص روح العمل »

الإسلام يعتبر كل عمل بغير إخلاص جسما بلا روح ، فلا يكمل إيمان ولا تستقيم أعمال الا بالإخلاص .

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾
(سورة البينة ــ ٥)

ويقول صلوات الله وسلامه عليه [طوبى للمخلصين الذين إذا حضروا لم يُعرفوا وإذا غابوا لم يُفتقدوا ، أولئك هم مصابيح الهدى تنجلى بهم كل فتنة ظلماء] : (رواه البيهقى) .

وقال عليه الصلاة والسلام : من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ، ومنع لله فقد استكمل الايمان .
(رواه الترمذى)

ويخاطب ربنا رسوله ﷺ قائلا له فى كتابه الكريم :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾

(سورة الأنعام ــ ١٦٣)

الإخلاص فيه النجاة والمخرج

عن ابن عمر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه فإنحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار ، فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم : قال رجل منهم : اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران ، وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا : ، فنأى بى طلب شجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما ، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين : فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فلبثت والقدح على يدى أنتظـــر استيقاظهما حتى برق الفجر ، زاد بعض الرواة : والصبية يتضاغون عند قدمى : فاستيقظا فشربا غبوقهما : اللهم إن كنت فعلت ذلك إبتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج : قال النبى ﷺ : قال الآخر : اللهم كانت لى ابنة عم كانت أحب الناس إلى فأردتها عن نفسها فأمتنعت منى حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت لا يحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه ، فتحرجت من الوقوع عليها : فانصرفت عنها وهى أحب الناس إلى : وتركت الذهب الذى أعطيتها . اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك : ففرج عنا ما نحن فيه : فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها قال النبى ﷺ وقال الثالث اللهم إنى استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذى له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءنى بعد حين وقال لى يا عبد الله أدّ إلى أجرى فقلت كل ما ترى من أجرك من الإبل والغنم والرقيق وقال يا عبد الله : لاتستهزىء بى ، فقلت انى لا استهزىء بك فأخذه كله فاستاقة فلم يترك منه شيئا : اللهم إن كنت فعلت هذا ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة وخرجوا يمشون .

(رواه البخارى ومسلم)

ان الله قد أجاب دعوة هؤلاء المضطرين الثلاثة لأنه قريب من المحسنين والله يقول :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ .

(سورة البقرة ــ ١٨٦)

صورة الأمة المحمدية فى القرآن

ولقد رسم الإسلام صورة للأمة المحمدية فى القرآن تأبى عليها أن تكون كغثاء السبيل الذى يتنافى مع المنهج الذى يبنى أمة تكون خير أمة أخرجت للناس كما قال عنها ربنا « كنتم خير أمة أخرجت للناس » وهذه هى الصورة التى أرادها ربنا وارتضاها للأمة المحمدية .

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (سورة الفتح ــ ٢٩) هكذا كان المسلمون الاولون الذين تركوا لنا قوة ومجدا وعلما وحضارة وإنا لنخشى أن يكون المجتمع المسلم اليوم كغثاء السيل ، يقذَفُ فى قلوبه الوهن والضعف كما يشير الى هذا قول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فى حديث شريف رواه الترمذى وغيره ، هو « يوشك أن تتداعى عليكم الأمم

كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها ، قالوا : أومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : لا بل أنتم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن ، قيل : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت » والإسلام يريد من المسلمين أن يكونوا أقوياء اعزاء أجلاء علماء أتقياء أهل عزة واباء وأهل تعاون على البر والخير عملا بقول الله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ

(سورة الأنفال ــ ٢٤ وعملا بقول الله تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ والعُدْوَانِ ﴾ ..

الوحدة والقوة هما دعامتا الأمة المحمدية

حقا : لا ريب أن الوحدة قوة لأن أمة المسلمين أمة واحدة ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢) ﴾ (سورة الأنبياء ــ ٩٢) وذلك لأن الإسلام لا يقبل المسلمين متقطعين فى الأرض أمما ، ولا ينظر إليهم لا حول لهم ولا طول ، والله يقول : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . ﴾ (سورة آل عمران ١٠٥) .

لأن التنازع وسيلة للفشل ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ (سورة الانفال ــ ٤٦) ورسول الله صلوات الله وسلامه عليه يقول : « لا تقاطعوا ولاتدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا »

(رواه البخارى)

عن أبى شريح الخزاعى قال : « خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : أليس تشهدون ان لا إله إلا الله وأنى رسول الله ؟ قالوا بلى ، قال : إن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم ، فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدا » (رواه الطبرانى فى الكبير) .

للحياة نهاية والعاقبة للتقوى

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٥٩) وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠) وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦١) اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) ﴾

(سورة الزمر ٥٣ ــ ٦٢) .

والله قد جعل باب المتاب مفتوحا لأن الله رؤوف بالعباد : وإن الله قد جعل لأعمارنا بداية ونهاية ، وقد وهبنا الله الوقت تملأه بالخير وبالعمل النافع الذى نجده مدخرا عند الله فى سجل خاص فيه كل ما قدم المرء وأخر ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وما عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَو أَنَّ بَينَها وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرِ ﴾ . (سورة آل عمران ــ ٣٠) .

والله يقول ﴿ واعْلَمُوا أن اللهَ مَعَ المتَّقِين ﴾ (سورة التوبة ــ ٣٦) .

أشد الناس عداوة للذين آمنوا

ملامح النظام السياسى للدولة اليهودية

بقلم : لواء أ.ح دكتور / فوزى محمد طايل

يأتى هذا المقال تتمة لهذه السلسلة التى بدأت منذ شهر جمادى الأولى من عام ١٤١٢ هـ ، لنستكمل فيه موضوعا فرعيا هو « تحقيق الأمن الإسرائيلى من الداخل » ثم نحاول أن نلقى نظرة على السلوك المحتمل لهذا النظام ، وكيف يمكننا التعامل معه بما يصون عقيدتنا ومقدساتنا ، ويحقق أمننا ، ويحفظ علينا مصالحنا ... واضعين نصب أعيننا دائما أننا نتعامل مع من قال الله تبارك وتعالى فيهم : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ .

(المائدة/ ٨٢)

أساليب ووسائل تحقيق الدولة اليهودية لأمنها من الداخل :

إن مجمل ما تقوم به إسرائيل فى هذا المجال يتمثل فى ثلاثة أمور هى : الحفاظ على أسرار الدولة ، وتأكيد الهوية اليهودية لها ، ومحاولة التغلب على الانقسامات الحادة فى المجتمع الناتجة عن تعدد الطوائف والأعراق والثقافات بالشكل الذى عرضنا له .

وتستخدم إسرائيل جهاز الاستخبارات الداخلية « شين بيت » (وهما الحرفان الأوليان لـ « شيروت ها بيطاحون كيلالى » بمعنى (إدارة الأمن العام) فى أعماق التجسس الداخلية ، خاصة ضد الفلسطينيين ، وفى أعماق التصنت على المحادثات الهاتفية ... وغير ذلك من الإجراءات الأمنية فى الوقت الذى تتولى « الاستخبارات الحربية » « آمان » فرض الرقابة على الصحف الإسرائيلية ، وعلى المراسلين الأجانب العاملين فى الدولة اليهودية .

وتتوسع إسرائيل فى مفهوم أسرار الدولة فتفرض الرقابة على كل الأخبار المتعلقة بالهجرة ، وإنشاء الطرق الجديدة ، والمستوطنات فى الضفة الغربية ، وقطاع غزة ، ومرتفعات الجولان ، فضلا عن الأمور المتعلقة بالإمداد بالطاقة ، وتخزين النفط ، والروابط « الدبلوماسية » والتجارية مع البلدان الأخرى ... ألخ لدرجة أنه يمكن القول بأن « حرية المعلومات » و « حرية الصحافة » فى إسرائيل تكاد تكون منعدمة تماما ... فى نفس الوقت الذى تسرب فيه الحكومة الإسرائيلية ما تشاء من أخبار حقيقية أو مدسوسة لإحداث آثار نفسية بعينها سواء داخل المجتمع الإسرائيلى ، أو لدى الدول العربية ، أو لدى دول العالم أجمع ... فوسائل النشر والإعلام فى إسرائيل مراقبة بحزم ، وموجهة بدقة ، وهى تدير حربا نفسية لا تفتر .

وقد أصدر الكنيست الإسرائيلى قانونا خاصا « بالتصنت » عام ١٩٧٩ م وعدله عدة مرات ، وهو يسمح لسلطان الدولة باستخدام وسائل مخفاه لهذا الغرض ، وخول « الشرطة » ، والـ « شين بيت » ، و « آمان » هذه المهمة بعد الحصول على إذن من الوزير المختص ، وليس بحكم قضائى ، ولرئيس أى من هذه الأجهزة أن يدير أعمال التجسس هذه لمدة ثمان وأربعين ساعة « فقط » دون إذن مسبق !

وتستخدم إسرائيل وسائل وأساليب أخرى للحفاظ على القيم والهوية اليهودية ، وللتغلب على إنقسامات المجتمع لعل أهمها ما يلى :

١ ـ معسكرات استقبال المهاجرين « أولبان »(١) ، وهى معسكرات إنتقالية للتأهيل الاجتماعى والمهنى وتعليم اللغة العبرية ، ويستغرق من ٤ حتى ٦ شهور .

٢ ـ قانون العودة ، الصادر فى الخامس من يوليو ١٩٥٠ م وعدل فى الثالث والعشرين من أغسطس ١٩٥٤ م وهو قانون إنتقائى لا يمنح حق العودة كما يتصور البعض ، ولكنه يمنع بعض الفئات من الهجرة لإسرائيل وهم : من اشترك فى أى نشاط معاد للشعب اليهودى ، ومن كان خطرا على الصحة العامة أو على أمن البلاد ، ومن كان له ماض إجرامى .

وحتى لا يسمح لغير اليهود بالهجرة إلى إسرائيل والإقامة فيها فإن هذا القانون يرتبط كل الارتباط بتعريف « من اليهودى ؟ » ، وبقانون الجنسية الصادر عام ١٩٥٢ ، وبقانون التسجيل الصادر عام ١٩٦٠ م

٣ ـ التعليم ، وهو بحسب قانونه الصادر عام ١٩٥٣ م تعليم مسيّس إلى درجة كبيرة ، يركز على غرس القيم الصهيونية ، وإعداد الأطفال والفتية والشباب لخوض صراع طويل . ومع ذلك فالتعليم عندهم ينقسم إلى :

ـ مدارس حكومية علمانية وهى تشكل قرابة ٦٠ ٪ من المدارس ، وتخصص ٢٥ ٪ من مناهجها لدراسة الصهيونية واليهودية .

---

(١) على كل مهاجر إلى اسرائيل أن يتعلم العبرية وان يتخذ له ولعائلته اسما يهوديًا عوضا عن اسمه الأصلى .

أشد الناس عداوة

ـ مدارس حكومية دينية يسيطر عليها « الحزب القومى الدينى » « مفدال » وهى تشكل قرابة ٣٦ ٪ من المدارس ، وتخصص ٥٦ ٪ من ساعات الدراسة لما عبر عنه قانو ن التعليم بما يلى : « أن ينمى فى التلاميذ المبادىء السامية لليهودية ، ورؤى أنبياء بنى إسرائيل فيما يختص بقدوم عصر المسيح ... » .

ـ تعليم دينى تابع لحزب « أجودات يسرائيل » (أى جماعة إسرائيل) ، ومعظم ساعاته تخصص لدراسة التوراة والتلمود والدراسات الصهيونية .

ـ تعليم دينى خاص تابع للجماعات الدينية المتشددة مثل « نيتورى كارتا » .. أ لخ وهناك تناسق كامل بين التعليم ووسائل للإعلام والثقافة ... وبين الجو العام فى الأسرة فى غرس « رسالة واحدة » فى نفوس النشء ، وتوحيد القيم ، والتماسك للاجتماعى وغرس تحمل المسئولية تجاه المجتمع .

ونسبة التعليم فى إسرائيل تفوق الـ ٩٠ ٪ . والتعليم إجبارى ومجانى حتى سن الخامسة عشرة « للأطفال ، ومن سن ١٤ ـ ١٨ للأميين » .

وتشكل حركة الشباب فى المدارس الدينيـــة والمسماة « بناى عقيفاه » مجموعة من الشباب الملتزم بالقيم الصهيونية ، المحب لإسرائيل ، المتحمس لها .

٤ ـ الجيش ، وهو بمثابة البوتقة التى تعمل على صهر الشباب فى سن مبكرة (١٨ عاما) وفيه تغرس القيم اليهودية الصهيونية ومنهاج الحياة لديهم ، كما يتم فيه التأهيل المهنى ، وإذابة الفوارق بين الطوائف المختلفة ... ومنه يخرج الشاب إلى الجامعة أو إلى ممارسة الحياة العملية ، ويعود إليه مدة شهر كل عام على الأقل حتى سن الخامسة والخمسين للرجال ، والتاسعة والثلاثين للنساء (عدا من يتزوجن وينجبن) .

٥ ـ « القيبوتص » وتنشئة جيل « الصابرا » :

والقيبوتص هى « المستعمرة الزراعية » وجمعها « قيبوتصيم » ، وعلى الرغم من أن سكان المستعمرات هذه لا يتجاوز ٤ ٪ من السكان ، ومعظمهم من « الاشكنازيم » إلا أن مساهماتهم فى المجتمع وآثارهم فيه تتجاوز أضعاف أضعاف هذه النسبة ... ولئن كان جيل الصابرا « تصايريم » (أى النبات البرى ذو الشوك) يطلق عامة على كل من يولد فى إسرائيل ، فإنه يطلق خاصة على خريجى هذه المستعمرات ، ولو تركوها وعاشوا فى المدينة .

وكل مستعمرة مجتمع مستقل بذاته ينفصل فيه الأطفال عن والديهم منذ ولادتهم ويتعلمون أربع سنوات زيادة عن التعليم العادى لأنهم يعملون فى مزارع خاصة بهم منذ سن السابعة . وللأطفال مجتمعهم الخاص بالمستعمرة يسمى « شفرات يلاديم » يمارسون فيه حكما ذاتيا ، .

وبينما تمارس فى « القيبوتص » منتهى « الشيوعية » : « من كل حسب قدرته ولكل حسب حاجته » ، فإنهم يصفون « جيل الصابرا » بالخشونة والذكاء والقدرة على الإنجاز وقوة الشخصية ... وهؤلاء هم قادة إسرائيل القادمون .

هذا ويمارس بعض « السفاراديم » حياة أقل خشونة وانعزالية ، وأكثر ترابطاً بداخل الأسرة فى المستوطنات « الموشاف » .

هذا ولئن كان التحزب الداخلى الشديد وكثرة المذاهب وتنافرها تعد من أهم عوامل تهديد الأمن الإسرائيلى من الداخل فإن أمام إسرائيل تحد آخر تعمل على مواجهته بكل الأساليب غير الإنسانية ألا وهو تهويد الأرض » و « السكان » .

ولعل نظرة سريعة على هذه الأساليب تكون مفيدة كى تتكامل الصورة أمام القارىء الكريم :

العرب بداخل الدولة اليهودية :

يشكل العرب فى « الدولة اليهودية » قرابة خمس عدد السكان ، فهم قرابة تسعمائة ألف نسمة ،

تمسكوا بأراضيهم ومساكنهم التى تقع فى القطاع الذى استولى عليه الصهاينة وأعلنوا عليه دولتهم عام ١٩٤٨ م . وينظر الإسرائيليون إلى العرب بوصفهم « غرباء غير مأمونين » .. بل وبوصفهم « طابورا خامسا » * .

وعلى الرغم من تمتع العرب ـ نظريا وبموجب القانون الاسرائيلى ـ بنفس المعاملة التى يلقاها اليهود إلا أن الواقع يخالف ذلك تماما . فالعرب مجتمع شبه معزول تصادر أراضيهم بمقتضى قوانين إسرائيلية يلفقونها تحت ادعاء « إنقاذ الأرض » . وقد تمكنت الدولة اليهودية من مصادرة قرابة ٥٠ ٪ من أراضى العرب منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن . وبطبيعة الحال لا يسمح للعرب من حاملى الجنسية الإسرائيلية شراء الأراضى الزراعية ولا المنازل .

ويسكن ٧٥ ٪ من العرب فى مناطق ريفية « بالجليل الأعلى » شمال إسرائيل ، والباقون يسكنون فى حدود المثلث « جنين ـ نابلس ـ طولكرم » ، ويوجد بعض البدو فى صحراء النقب .

ويميز الاسرائيليون فى المعاملة بين « الدروز » من ناحية وبين باق العرب من « نصارى » و « مسلمين » من ناحية أخرى ، فلا يسمح للمسلمين ولا للنصارى من العرب تولى أى مناصب إدارية تمكن أصحابها من اتخاذ القرار فى مجال أعمالهم . وفى مقابل استثنائهم من الخدمة بالجيش (فيما عدا الدروز) فإن العرب يحرمون من قدر كبير من الرعاية الاجتماعية والصحية . ولا تتعدى نسبة من تخرجوا من الجامعات ١ ٪ منهم ، تلقى ثلثاهم التعليم على نفقتهم الخاصة .

وعلى الرغم من السماح للعرب بممارسة حياة سياسية محدودة من خلال « الحزب الديمقراطى العربى » ، و « الحركة التقدمية من أجل السلام » ، فإن أيا من الأعضاء العرب فى « الكنيست » لا يستطيع الحصول على عضوية بعض « اللجان البرلمانية » الهامة ، كما سبق أن أوضحنا .

وعلى الرغم من السماح للعرب بالعضوية فى «الهستدروت » فإن قيودا كثيرة تفرض عليهم بما فى ذلك القيود على التنقل ... فهم يحملون بطاقات هوية عليها حرف « بيت » العبرى (المقابل لحرف الباء) .. أى أنه مواطن من الدرجة الثانية ، وتسهل هذه البطاقات التعرف عليهم خاصة بعد إلغاء خضوعهم للأحكام العسكرية التى ظلوا خاضعين لها حتى عام ١٩٦٦ م

هذا ويتعامل العرب مع إدارات خاصة بهم بالوزارات المختلفة ، ويمنعون من دخول أى عمل أو منطقة تمس الأمن الإسرائيلى بمعناه الواسع ، بل إن وثيقة سرية تسربت عام ١٩٧٦ م من وزارة الداخلية الإسرائيلية بعنوان « مشكلة العرب » تحذر من أن يصبحوا ، بمرور الزمن ، أغلبية فى « الجليل » ، وتدعو هذه الوثيقة إلى تشجيعهم بشتى الوسائل على الهجرة إلى خارج « الدولة اليهودية » .

تهويد القدس خطوة أولى نحو توسع شامل :

استغلت إسرائيل عدوانها فى الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ م لتصدر قرارا من الكنيسيت فى شهر يونيو أيضا من نفس العام يقضى بتوحيد مدينة « القدس » وإخضاعها للقضاء وللإدارة الإسرائيلية . وقد تجنبت الدولة اليهودية فى خبث ودهاء شديدين الإشارة بوضوح فى نص القرار المشار إليه إلى « ضم القدس » حتى لا يتصادم مثل هذا الإعلان مع قرارات الأمم المتحدة التى تحظر مثل هذا الإجراء ، بيد أن ما حدث منذ ذلك الحين حتى الآن كان بمثابة تهويد كامل للمدينة ، فقد أزالوا الحواجز بين شطرى المدينة ، وأقيم

* إصطلاح الطابور الخامس نشأ فى الحرب العالمية الثانية وكان يشار به إلى القوات التى تمارس أعمال التخريب فى مؤخرة جيش الاحتلال .. وكانت هذه القوات تشكل عادة من الشعب الذى احتلت أراضيه .

أشد الناس عداوة

طوق استيطانى حولها ، كما تم بناء قرابة ستين ألف وحدة سكنية تضم قرابة مائة وعشرين ألف من السكان اليهود الذين هاجروا إلى إسرائيل فاختل الميزان السكانى لصالح اليهود ، ولم يعد العرب يمثلون سوى ثلث عدد سكان المدينة .. واستمرت عمليات نزع الأراضى والاستيلاء على العقارات من خلال أساليب خداعية وتزويرية ، فضلا عن بعض الأساليب القانونية التى تتم تحت ضغط ، وأقيم « الحى اليهودى » منذ عام ١٩٦٧ على أنقاض شوارع إسلامية كاملة كانت تحف بالمسجد الأقصى ، كما تم تشويه الحى الإسلامى والاستيطان فيه بغرض إحكام الحصار حول المسجد الأقصى من الشمال والغرب . وفى هذا الإطار أجبر أكثر من ٣٥٠٠ فلسطينى على ترك منازلهم .

ولم يعد زعماء الدولة اليهودية يخفون عزمهم الأكيد على التهويد الكامل للمدينة .. ولعل آخر إنتهاكاتهم لمقدسات المسلمين ، بعد حريق المسجد الأقصى عام ١٩٦٩م ، كان المذبحة التى تعرض لها المصلون فى المسجد الأقصى فى شهر أكتوبر ١٩٩٠م ، واقتحام المحكمة الشرعية بالقدس فى أواخر عام ١٩٩١م وسرقة الوثائق التاريخية التى تثبت حقوق العرب من المسلمين فى المدينة ، واستخدام الجرافات فى إزالة مقابر الصحابة والمجاهدين المسلمين فى بداية شهر فبراير عام ١٩٩٢م بحجة إقامة شبكة للمرافق هناك ... وأخيرا اقتحام الحرم الإبراهيمى فجر السادس من شهر مارس ١٩٩٢ .

هذا ومن المتوقع ـ حسب تخطيط الدولة اليهودية ـ أن يبلغ عدد اليهود فى القدس ٧٥٠ ألف بحلول عام ٢٠٠٠ م .

ومنذ صدور « القانون الأساسى » لعام ١٩٨٠م والذى تنص مادته الأولى على أن « القدس الكاملة والموحدة عاصمة إسرائيل » وزعماء الدولة اليهودية يصعدون من تصريحاتهم وأفعالهم فى هذا الاتجاه .. فصدر قرار الكنيست فى التاسع من يناير ١٩٩٠م ينص على ما يلى : « تعود الكنيست وتقرر أن القدس الكاملة عاصمة إسرائيل ولن تكون موضوعا للمفاوضات » ومن الجدير بالذكر والتأمل أن يصدر « الكونجرس الأمريكى » ، وهو برلمان أقوى دولة فى العالم قانونا فى نفس شهر يناير ١٩٩٠م ينص على أن « القدس عاصمة دولة إسرائيل » ... وهذا القانون يعد أول سابقة من نوعها فى تاريخ العلاقات الدولية !

ضم المزيد من الأراضى وتهويدها :

لقد اعتاد اليهود نقض المواثيق ، والعدوان ، وظلم الآخرين وأكل أموال الناس بالباطل ... فليس غريبا إذاً أن تكون « فكرة تقسيم أرض فلسطين بينهم وبين العرب » ، التى تعد السند القانونى الوحيد لإقامتهم دولتهم ... هى فكرة غير مقبولة لديهم .. ولا غرو فهذا أمر راسخ فى عقيدتهم* ... وليس غريبا أن يطلقوا على الضفة العربية لنهر الأردن « يهودا والسامرة » ، وليس غريبا أن يقيموا فى الضفة ، وقطاع غزة ، ومرتفعات الجولان عشرات الآلاف من المستوطنات ، وأن يجلبوا إليها مئات الآلاف من المستوطنين الذين صاروا يسيطرون على أكثر من ٦٠ ٪ من هذه الأراضى !!... وليس غريبا أن يعلن « يتصحق شامير » رئيس الوزراء الإسرائيلى فى السابع من فبراير ١٩٩٢ أن إسرائيل ليست ملتزمة بكل كلمة فى إتفاقية « كامب ديفيد » حول الحكم الذاتى للفلسطينيين ... لأن الزمن قد تغير والأمور قد تغيرت !!! وأخيرا فليس غريبا أن يعبر أحد كتابهم وهو « ريموند كوهين » Raymond Cohen عن نواياهم بقوله :

* راجع (سفر الخروج : ٣٤ : ١٣) ـ (سفر العدد : ٣٣ : ٥٥ ـ ٥٦) .

إن هذه الأراضى لا تتسع لأكثر من عقيدة !.. إن التناقض بين الأطراف يجعل العناق أمرا غير مرغوب فيه وغير موثوق فيه ... إن قادة إسرائيل لا يرون أى تعارض منطقى بين عرض السلام فى الوقت الذى يلجئون فيه إلى استخدام القوة المسلحة ... »

وبعد فما جاء بهذا البحث ما هو إلا « ملامح النظام السياسى للدولة اليهودية » والموضوع ـ لأهميته البالغة وخطورته ـ يحتاج المزيد من الدرس والبحث .

ولنتذكر أن الدولة اليهودية » كيان يحمل قيما مخالفة لقيمنا ، ويكن أهله أشد العداء للإسلام والمسلمين ـ بنص القرآن الكريم . ولنتذكر أن إسرائيل قامت بالعدوان وظلت تمارس العدوان منذ قيامها .. وهئ تعد للتوسع على حساب المقدسات والأرض والبشر .

إن المرحلة القادمة قد تكون هى الحاسمة .

إن مصدر قوة « الدولة اليهودية » أنها دولة عقائدية .. ولقد أثبت التاريخ أن طغيان مثل هذا النوع من العلو فى الأرض والإفساد فيها لا يدوم طويلا .. ولقد صدق الله تعالى إذ يقول :

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ ﴾

(الأعراف / ١٦٧)

وما أجدر المسلمين ـ وهم أصحاب الحق وأصحاب العقيدة الصحيحة ـ أن يستعدوا ويعدوا أنفسهم لاستعادة ما سلب منهم وأن يصونوا مقدساتهم .. وأن يتذكروا قول الله تبارك وتعالى :

﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾

(الأحزاب / ٢٧)

الاسلام والمسلمون فى آسيا الوسطى

فى الاتحاد السوفيتى (سابقا)

- جمهـــــــورية قرغيــــــزيا
- جمهـــــــورية طاجيكســــتان

أ. د/ محمد عبد العليم العدوى(*)

* أستاذ ورئيس قسم التاريخ والحضارة الاسلامية بكلية اللغة العربية بالمنصورة جامعة الأزهر

١ ـ جمهورية قرغيزيا

تأسست هذه الجمهورية فى سنة ١٣٤٥ هـ ١٩٢٦ م وضمت إلى الاتحاد السوفييتى (سابقاً) فى سنة ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م

● موقعهـــا :

وتقع فى الجزء الشرق من آسيا الوسطى وتشترك حدودها الشرقية مع إقليم التركستان الشرقية ـ الواقعة تحت الإحتلال الصينى ـ وتحدها من الشمال جمهورية قازاقستان ومن الغرب جمهورية أوزبكستان ومن الجنوب الغربى والغرب جمهورية طاجيكستان وتحيط بكل حدود قرغيزيا بلاد إسلامية .

وأرضها جُبلية فى جملتها ومناخها قارى متطرف تعتريه التقلبات بارد فوق المرتفعات دافىء فى المناطق السهلية الوسطى ..

وعاصمتها / فيرونزى ويقرب عدد سكانها نحو ٥٠٠,٠٠٠ نسمة ومساحة الجمهورية ١٩٨,٥٠٠ كم مربع .

وسكانها الآن : ما يقرب من خمسة ملايين نسمة وذلك بسبب حملات الإبادة والإذابة منذ الاحتلال الروسى القيصرى عام ١٢٨٤ هـ (١٨٦٦ م) ثم تبعه فى نفس السياسة الاحتلال الروسى الشيوعى الذى خضب أرضها بالدماء الزكية .

● عناصر السكان :

ويتكون السكان من عناصر مختلفة يشكل المسلمون أغلبية بينهم حيث يبلغ عددهم ٢,٦٢٢,٧٦٠ نسمة وينتهى المسلمون إلى عناصر تركستانية من القرغيز والأوزبك والتتار .

وهكذا تمثل العناصر الإسلامية الآن حوالى ٥٧ ٪ وكانت من قبل تمثل ٩٢ ٪ إلا أن سياسة التهجير واستيطان الروس يؤدى إلى نقص عددهم ونسبتهم .

وهؤلاء المسلمون من أهل السنة .. ويجرى تعليمهم باللغة القرغيزية التى تكتب بالحروف الهجائية الروسية وتستعمل بقية السكان اللغة الخاصة بهم .

● أهميتها الاقتصادية :

ان أهميتها الاقتصادية تتمثل فى المراعى بالدرجة الأولى بالإضافة إلى الزراعة والصناعة وذلك لتوافر المياه وبناء الخزانات والسدود على الأودية وحفر القنوات المائية وإنشاء شبكات الرى .. ويجود فيها القطن والبرسيم وبنجر السكر والنباتات ذات الألياف وتربى على المراعى قطعان كبيرة من الماشية والأغنام .. ويتبع ذلك كثرة الإنتاج من اللحوم والبيض والحليب والصوف كما تتوفر فى قرغيزيا المعادن مثل البترول والغاز الطبيعى والفحم والرصاص والزئبق والأنتمون وتعد واحدة من أكبر الجمهوريات التى تزود الاتحاد السوفييتى سابقا بالزئبق والانتمون .

ولهذا قامت مئات المصانع العامة فى تكرير البترول والسكر ودبغ الجلود وحلج القطن وتنظيف الصوف وطحن الغلال .. إلى جانب متطلبات الهندسة والتعدين ومواد البناء والكهرباء والسيارات وغيرها .

● الإسلام فى قرغيزيا :

عرفت هذه المنطقة بإقليم فرغانة التى وصفها ياقوت بقوله (فرغانة مدينة وكور واسعة وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان الشرقية) كثيرة الخيرات واسعة الرستاق يقال كان بها أربعون منبرا (أى مسجد جامعا) وكان لكل مدينة (مسجد جامع) بينها وبين سمرقند خمسون فرسخا ومن ولايتها خقنده .. وبفرغانة فى الجبال الممتدة بين الترك وبيتها من الأعناب والجوز والتفاح وسائر الفواكه والورد والبنفسج وأنواع الرياحين مباح ذلك كله لا مالك له ولا مانع يمنع الأخذ وكذلك فى جبالها وجبال كثيرة مما وراء النهر من الفستق المباح ما ليس ببلد غيره) .

الإسلام والمسلمون

أما الاصطخرى فيقول (وليس بما وراء النهر أكثر قرى من فرغانة وربما بلغ حد القرية مرحلة أهلها وانتشار مواشيهم وزروعهم وقد وصل الإسلام هذا الإقليم بعد فتح خراسان .. ولكن الفتح الحقيقى لبلاد فرغانة بدأ فى نهاية القرن الأول الهجرى وذلك على يد القائد قتيبة بن مسلم الباهلى الذى عبر خلال فتوحاته نهر سيحسون ووصل إلى فرغانة بل تجاوزها إلى مدينة كاشغر على حدود الصين .

واعتنق العديد من أهل المنطقة الإسلام طواعية فى خلافة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وازداد إنتشار الإسلام فى عهد العباسيين ولاسيما فى العصر العباسى الثانى حينما أسلم الخاقان ستوق بوغرا . مؤسس دولة الخواقين الإسلامية بمنطقة التركستان فأخذت هذه الدولة على عاتقها نشر الإسلام عبر المنطقة وانتشرت معه اللغة العربية ، وأضحت اللغة العربية اللغة الرسمية فى دولة الخواقين .

وإلى جانب هذا قام العديد من التجار بنشر الإسلام فى تلك المنطقة حيث كثرت تجارتهم بهذا الإقليم بسبب مرور القوافل والذى عرف بطريق الحرير بوادى فرغانة ومكث أحد الدعاة من هؤلاء التجار وهو اسحاق ولى مكث إثنى عشر عاما يدعو الإسلام بقرغيزيا وازداد الإسلام تمكينا فى عهد السلاجقة وتعرض لفترة من الجمود فى بداية غزو المغول ثم تحولت الدعوة إلى مرحلة من الازدهار بعد إسلام ملوك المغول والتتار فأخذ العديد من خواقين المغول الدعوة على عاتقهم بعد إسلامهم وهكذا ازدهرت الدعوة الإسلامية بقرغيزيا قبل استيلاء الروس عليها .

* قرغيزيا والاستعمار الروسى

ووقعت قرغيزيا فى براثن الاحتلال الروسى القيصرى وذلك سنة ١٢٨٤ هـ (١٨٦٦م) وقام الروس بتأسيس العديد من القرى بوادى فرغانة ثم تدفقت هجراتهم إليها وأقاموا ثمانين مستعمرة داخل قرغيزيا خمسون منها فى وادى فرغانة الخصيب حيث طردوا منه سكانه القرغيز إلى الصحارى والقفار المجدبة وأخذ سكان البلاد يتناقصون ولكنهم قاوموا بكل ما أوتوا من قوة وأشعلوا الثورات المتتالية ضد الاستعمار الغاشم ولكن الروس اتخذوا من هذه الثورات والتى تطالب برد الحقوق لأصحابها ذريعة للقوات الروسية لإبادة سكان القرغيز شيوخا وشبابا نساء وأطفالا ففى ثورة عام ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م أبادت القوات الروسية ١٥٠,٠٠٠ قرغيزى وتبع ذلك مجاعة مات فيها مئات الآلاف .

وقد أبيد سكان الجزء الشمالى من قرغيزيا عن بكرة أبيهم ومن أفلت منهم فر إلى الصين حيث لاقى الكثير منهم حتفه أثناء الفرار فى معسكرات الاعتقال الصينية ولم تكن الإبادة موجهة إلى الاناسى فقد بل شملت مواشيهم وزروعهم . ولم يكن الاستعمار الروسى الشيوعى إلا صورة أسوأ من سابقه . فحينما حصلت قرغيزيا على استقلالها الذاتى فى عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م ذاقت ألوان الذل والاستعباد والنفى والتشريد والقتل .. وذرا للرماد فى العيون تم إعلانها جمهورية اتحادية فى عام ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م .

وواجه القرغيز ولا يزالون الإهانات والمذلة فى المناطق الجنوبية كإخوانهم فى المناطق الشمالية حتى أولئك الذين تظاهروا بالشيوعية كانوا يواجهون الموت الأحمر أو السجن إذا طالبوا بتوفير المنتجات الغذائية المنتجة فى قرغيزيا لأهل قرغيزيا أولا ثم يصدر الفائض بعد ذلك إلى روسيا .. وهكذا واجه الروس

الشيوعيون كل من طالب بالفتات للشعب القرغيزى حتى ولو تظاهر بالولاء لهم .

فما بالك بالمسلمين .. ترى .. هل يعيد التاريخ نفسه ... ألا إن نصر الله قريب .. وهاهى بشائر قد بدت فى الآفاق بعد أن انجلى ظلام الليل .: وبزغ نور الشمس ..

٢ ـ جمهورية طاجيكستان

وهى إحدى الجمهوريات الإسلامية الاتحادية الستة والتى تدرج بين الجمهوريات الاتحادية الخمس عشرة فى الاتحاد السوفييتى (سابقا) وتضم قسما من وادى فرغانة الذى سبق الحديث عنه فى جمهورية قرغيزيا

● موقعهـــا :

وتقع وسط آسيا ويحدها من الشرق إقـــليم التركستان الشرقية ومن الشمال جمهورية قرغيزيا ومن الغرب والشمال جمهورية أوزبكستان ومن الجنوب أفغانستان ويشكل المجرى الأعلى لنهر جيحون الحدود بينهما .

ومساحتها ١٤٣,١٠٠ كم مربع وهى عبارة عن كتلة جبلية مرتفعة تصل إلى أقصى ارتفاعها فى الجزء الشرقى من البلاد حيث تقوم هضبة البامير التى تُدعى سقف العالم وتتلاقى فوق الهضبة مجموعة من السلاسل الجبلية فى عقدة الباميرو وتتفرع منها صوب اتجاهات مختلفة . وتبعا لاختلاف السطح اختلف المناخ من برودة شديدة على المرتفعات إلى حرارة معتدلة فى الوديان .

● سكانها :

ويبلغ عدد سكانها فى سنة ١٤٠١هـ ١٩٨١م ستة ملايين نسمة .

وعاصمتها (دو شنب وسكانها يقتربون من نصف المليون)

ويشكل المسلمون أغلبية السكان وكانت نسبتهم فى سنة ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٨م ستة وتسعين بالمائـــة ٩٦٪ . إلا أنها انخفضت إلى ٨٢٪ فى سنـــة ١٣٩١هـ/ ١٩٧٠م وذلك بسبب هجرة الروس إليها وتهجير أهلها وإن كان معدل زيادة المسلمين مرتفعا وهذا عوض النقص حيث وصل عدد المسلمين إلى ٢,٩٤٢,٩٨٠ نسمة . وهم خليط من الفرس والترك والأوزبك والتتار والقرغيز ، أما الروس والأكرانيون فتصل نسبتهم حوالى ١٥٪ وأكثر المسلمين من الشيعة جعفرية واسماعيلية بينما نجد أكثر سكان إقليم التركستان فى مجموعه من أهل السنة .

● أهميتها الاقتصادية :

يقوم الاقتصاد فيها على الزراعة والرعى والصناعة وبها ثروة حيوانية كبيرة .. واكتشفت فيها معادن متنوعة أهمها الفحم والبترول والغاز الطبيعى والزنك والذهب والفضة وقد قامت هناك صناعات مختلفة ولاسيما وأن نسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة بين سكان البلاد الذين تتراوح سنهم بين ٩ ، ٤٩ سنة تبلغ نحو ٩٩,٦٪ .

وتقوم فى طاجيكستان أعلى محطة أرصاد فى العالم تعتلى جبال البامير .

● الإسلام فى طاجيكستان :

وقد وصل الإسلام إلى بلاد الطاجيك مع وصول المسلمين الفاتحين إلى هذه المنطقة ومع التجار والدعاة

الإسلام والمسلمون

إلى الله عبر العصور ففى الفترة الواقعة بين سنتى أربع وتسعين وست وتسعين من الهجرة فتح القائد قتيبة بن مسلم منطقة فرغانة كما أسلفنا وتجاوزها نحو الشرق حتى وصل إلى حدود الصين وتم ذلك بفتح كاشغر وبعد سلسلة من الفتوحات المظفرة عاد قتيبة وتولى القيادة أخوه صالح بن مسلم فأكمل فتح باق منطقة وادى فرغانـة وحـيث توجـد الآن جمهوريـة طاجيكستان . ثم توالت العصور على تلك المنطقة وازدهرت الدعوة الإسلامية ـ إلى أن ضعفت الدولة العباسية وجاء عصر الدويلات فظهرت دولة السماثيين فى خراسان وما وراء النهر فحكمت منطقة فرغانة وازدهرت الدعوة فى عهدهم وفى عهد الغزنويين لاسيما فى عهد محمود الغزنوى ثم جاء الاتراك السلاجقة فأسسوا دولة واسعة ثم اجتاح المغول منطقة وسط آسيا بعد ضعف الدولة السلجوقية ثم أخذ ملوك المغول بعد إسلامهم ـ على عاتقهم نشر الدعوة الإسلامية ولما ضعفت الدولة المغولية انقسمت إلى دويلات مما سهل على روسيا القيصرية ابتلاعها كما ابتلعت غيرها .

● طاجيكستان والاحتلال الروسى :

وانتهز الروس القياصرة فترة الضعف فاكتسحوا هذه البلاد على مراحل كان آخرها فى سنة ١٣١٥هـ/ ١٨٩٦م وقد أصاب المسلمين فى طاجيكستان ما أصاب إخوانهم فى سائر الجمهوريات الإسلامية ثم أعطت الحكم الذاتى بعد إستيلاء الشيوعيين عليها وذلك فى سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م وكانت تابعة لجمهورية أوزبكستان وتضم فى بادىء الأمر بعض المناطق العائدة لحكومة التركستان العامة السابقة ولإمارة بخارى فلما سقطت حكومة التركستان وإمارة بخارى بيد البلاشفة الروس قاموا بوضع التقسيم الإدارى الجديد وجعلوا طاجيكستان جمهورية ذاتية تابعة لأوزبكستان ثم ما لبثوا أن أضافوا إليها القسم الشمالى من منطقة البامير المعروفة باسم (عورنو وبذخشان) وهى المنطقة المحاذية لأفغانستان والمشهورة بثروات الفيروز واللازورد والذهب .

وفى سنـــــة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م تحولت طاجيكستان من مقاطعة إلى جمهورية ذاتية تابعة أيضا لأوزبكستان وفى سنة ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م أعلن ستالين طاجيكستان جمهورية اشتراكية سوفيتية فيدرالية وقد عانى المسلمون الأهوال تحت الاحتلال الشيوعى الذى يحاول جاهدا القضاء على الإسلام الصحيح فى هذه المنطقة وينفذ سياسة التهجير وتوطين المستعمرين لإذابة العنصر الأصلى للسكـان والـــقضاء على المسلمين ..

وقد ألقيت فى طاجيكستان عام ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م وحدها ٤٠,٥٠٠ محاضرة ضد الإسلام ويجاهد بعض المسلمين بالوقوف فى وجه الحملات الدعائية الشيوعية ضد الإسلام ولكن .. الله سبحانه رد كيدهم فى نحورهم وهوت الشيوعية الملحدة إلى الحضيض وذل معتنقوها .

وارتفعت راية الإسلام من جديد ترفرف بشعار التوحيد ... وعاد صوت بلال يجلجل الله أكبر ... (جاء الحق وزهق الباطل . إن الباطل كان زهوقا) .

مسلمو (بورما)

المأساة بين الحقيقة والابتزاز

إعداد: أحمد تقى الدين

تواصل حكومة بورما البوذية مذابحها الموسمية ضد المسلمين فى إقليم « أراكان » الواقع غربى بورما وهى المذابح التى تعتبرها حكومة بورما واحدة من أبرز مظاهر أعياد الربيع هناك .

الهجمات الموسمية هذا العام تميزت بشراسة لم تعرفها البشرية من قبل حيث شملت تدمير المساجد واحراق المساكن وذبح عائلات بأكملها واغتصاب النساء . ولا أحد يعلم ما الذى تفعله سلطات بورما فى اقليم أراكان الإسلامى وليس واضحا ما هى الدوافع وراء تلك الجريمة .

كذلك يتميز هجوم هذا العام بمشاركة أكثر من طرف فيه وبشكل يضفى عليه صفة « الدولية » فحكومة الصين الشيوعية على فقرها وعلى ما تعانيه من أزمات اقتصادية طاحنة تقدم السلاح والذخيرة بالمجان إلى حكومة بورما وبلغت قيمة تلك المساعدات أكثر من مليار دولار .

ومن الهند تدفق « المتطوعون » السيخ للمشاركة فى شرف ذبح المسلمين حيث أكد شاهد عيان رفض ذكر اسمه وجود أكثر من خمسة عشرة ألف سيخى داخل معسكرات جيش بورما .

وأكد نفس شاهد العيان وجود اتفاق سرى بين حكومة بورما وحكومة فيتنام ينص على التعاون بين حكومتى البلدين بالشكل الذى يؤدى إلى إبادة جميع مظاهر الوجود الإسلامى فيهما . وأشار الشاهد إلى احتمال مشاركة الحكومة الفيليبينية فى هذا الاتفاق .

فى حين أكدت وكالات الأنباء على وجود محاولات من جانب حكومة بورما لعقد اتفاق مماثل مع حكومة تايلاند والتى اضطر عدد غير قليل من مسلمى مقاطعة أراكان إلى الفرار إليها .

ورغم قيام سلطات بورما البوذية بفرض تعتيم إعلامى على تلك المجزرة شمل منع الصحف من نشر أى شوء عنها ومنع الصحفيين من دخول الاقليم الذى فر منه حتى الآن ما يقرب من نصف مليون مسلم،فقد أكدت أنباء صحفية على أن بشاعة الموقف فى أراكان تفوق تصور العقل البشرى،فالرجال تُثَبَّت أيديهم بالمسامير فى الأشجار،والنساء يجرى اغتصابهن بشكل جماعى،والأطفال الرضع يعبأون فى أكياس بلاستيكية يتم إغلاقها بإحكام حتى يختنقون ومن تثبت عليه تهمة مقاومة السلطات تقطع أطرافه ويثبت جسده على لوحات خاصة بالتدريب على التصويب .

جدير بالذكر أن أراكان كانت دولة إسلامية مستقلة وظلت كذلك حتى غزتها قوات بورما وضمتها بالقوة إليها فى القرن الثامن عشر ، ومنذ ذلك الحين يحاول المسلمون فيها استعادة استقلالهم،وكانت آخر هذه المحاولات عام ١٩٧٨م والتى انتهت بفرار ثلاثمائة ألف مسلم .

وعلى الرغم من تدهور الوضع الاقتصادى فى بورما والذى أدى إلى اضمحلال التأييد الشعبى للحكومة العسكرية إلا أن الأخيرة تعطى أولوية كبيرة لجعل الجيش فى حالة نشاط دائم ، كذلك تحرص حكومة بورما العسكرية على إظهار نفسها بمظهر المدافع عن البوذية فى مواجهة الأقلية الإسلامية والتى تشكل حسب زعمها تهديدا للبلاد !!

ورغم وجود نحو ١٢ حركة مقاومة إسلامية ضد نظام الحكم البوذى فى بورما إلا أنها لا تشكل أية فعالية نظرا لضعف تسليحها وضعف تدريبها من جانب وتناحرها مع بعضها البعض من جانب آخر .

على أن هناك بارقة أمل فى احتمال تغير الوضع الحالى خاصة بعد اعتداء قوات بورما على قبائل « كارين » المسيحية والتى اضطرت إلى الفرار إلى تايلاند وقيام مجلس الكنائس العالمى باصدار نداء انسانى إلى الشعوب المحبة للسلام بالتدخل لوضع حد لمأساة قبائل كارين

وبينما يُذْبَح المسلمون فى بورما فان أى رد فعل عن النظام الدولى الجديد تجاه هذه المأساة لم يظهر ؛ لأن النظام الدولى الجديد يرى أن اهتماماته الحالية أكثر أهمية من نصف مليون مشرد وثمانين ألف قتيل مسلم فى بورما وفق أكثر الاحصاءات تفاؤلا ، بل تشيع الـ (B.B.C) وجهة نظر مدروسة للاساءة إلى مسلمى بورما حيث تشير إلى أن حكومة بنجلاديش وراء هذه الأزمة التى تريد بها زيادة عدد المسلمين فى بورما .

أما على الصعيد الإسلامى فقد وجهت بنجلاديش نداء جديدا إلى الهيئات الدولية تطلب فيه تقديم المعونات العاجلة لانقاذ (٢٠٠) ألف مسلم بورمى من اللاجئين على أراضيها ومواجهة المجاعة والأوبئة التى تفشت بينهم حيث أكدت حكومة بنجلاديش فى ندائها أن حجم هذه المأساة الإنسانية هائل إلى درجة لا يمكن لبنجلاديش وحدها التعامل معها إلا بتأييد المجتمع الدولى ، وأكد بيان صادر عن حكومة بنجلاديش فى هذا الصدد على أن الوعود الصادرة عن برنامج الغذاء الدولى والوكالات التطوعية المختلفة فى هذا الصدد ليست مشجعة .

فى حين لم يصدر أى رد فعل عن أى من الحكومات الإسلامية الأخرى !!؟

إمبراطورية المغول

بين الإسلام وغيره من الأديان

من سنة ٦١٦ هـ - ٦٨١ هـ
١٢١٩ م — ١٢٨٢ م

بقلم الدكتور/ أحمد محمد الدسوقى المنوفى

إن الصراع بين الإسلام وخصومه من أصحاب الديانات الأخرى ، صراع متواصل الحلقات ، لم يهدأ إلى يومنا هذا ، فصدق عز وجل حين قال :

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾[(١)]

وصراع الإسلام فى إمبراطورية المغول مع الوثنية والصليبية حلقة من حلقات هذا الصراع ، جديرة بالكشف عنها ، وتوضيح مظاهرها ونتائجها ، علها تفيدنا فى واقعنا المعاصر ، ومما لا شك فيه أن الدراسات المتعلقة بالمغول ودولهم وصلتهم بالعالم الإسلامى ، لم تنل ما تستحق من دراسة لأسباب كثيرة ، وما يزال هذا المجال محتاجاً إلى جهود العلماء وأقلام الباحثين ، وبخاصة فى هذه الأيام التى نرى فيها جمهوريات وسط آسيا الإسلامية ، تستقل عما كان يعرف بالاتحاد السوفييتى ؛ لأن تاريخ هذه الجمهوريات الجديدة له ارتباط بتاريخ المغول الذين امتد رواق ملكهم إلى هذه الأماكن ، واختلطوا بشعوبها بعد اعتناقهم الإسلام ، وصاروا جزءاً من نسيجه ، وخليق بنا أن نتعرف على تاريخ هؤلاء الإخوة فى الإسلام ، ونتتبعه فى دروب الماضى ؛ لنفهم حقائق الحاضر ، ونؤصل التقارب والتعاون بيننا وبينهم على أساس من عقيدتنا ، وتاريخنا الإسلامى المشترك .

---

(١) سورة البقرة من آية ٢١٧ .

إمبراطـورية المغــول

وهذا البحث جهد متواضع ، يحوم حول هذه الغاية ، وقد اخترت الفترة من ٦١٦ هـ إلى ٦٨١ هـ لأنها ـ فى نظرى ـ جسمت الصراع بين الإسلام والوثنية والصليبية تجسيماً واضحاً ، وقد بلغ الصراع فى نهاية هذه الفترة ذروته ، ويقوم البحث على محورين ، الأول إمبراطورية المغول ، والثانى صراع الإسلام بها مع الوثنية والصليبية .

إمبراطورية المغول :

المغول وموطنهم : يرد فى المراجع التاريخية ذكر المغول والتتار بمعنى واحد ، وقد آثر مؤرخو العرب القدامى من أمثال ابن الأثير وغيره ، إطلاق كلمة تتار على فتوحات المغول التى قامت فى العصور الوسطى على يد جنكيز خان ، ومن جاء بعده ، وما زالت هذه الكلمة تطلق إلى الآن على سلالة هذا العنصر فى الجهات التى استقروا بها فى آسيا وأوروبا ، وكلمة مغول مشتقة من لفظ محلى معناه الشجاع على حين يرى البعض أنها مشتقة من اسم زعيم ظهر بين تلك القبائل فى القرن العاشر الميلادى (٢) .

ويذهب بعضهم إلى أن المغل أو المغول قبيلة من التتر (٣) .

ويقول أحد المؤرخين : (إن التتر شعب كبير من الأمة التركية ، ومنه تتفرع معظم بطونها وأفخاذها ، وهو مرادف للترك عند الإفرنج ، حتى إنهم يعدون قبائل الأتراك كافة تتراً ، ومنهم العثمانيون والتركمان وغيرهم ، وكانوا مشهورين عند قدماء اليونان باسم سيتيا أو اسكوتيا .

ويضيف : إن مؤرخى الترك ونسابوهم يقولون إن « ألنجة خان » أحد ملوك الترك فى الأزمنة القديمة ، ولد له ولدان توأمان هما « تتارخان » و « مغل خان » نحو ربيعة ومضر فى الأمة العربية ، وقد استمر أولادهما على صفاء وود إلى أن وقع النزاع بين الشعبين فى عهد « إيلخان » ملك المغل و« سونج خان» ملك التتر ، وجر هذا النزاع إلى حروب طويلة انتصر فيها التتار ، وقتل « إيلخان » ملك المغل ، وصارت السيادة من ذلك الوقت للتتر ، فاستعبدوا المغل مدة طويلة إلى أن جمع المغل جموعهم واتحدوا ، وقاموا بحرب التتر ، وكسروا شوكتهم ، واستردوا ما ضاع من حريتهم ، فعادت السيادة من ذلك الوقت إلى المغل ، وصار الملك متوارثاً فيهم إلى زمن « يسوكى بهادر خان » والد « جنكيز خان » (٤) .

على حين يرى البعض أن هذه المنطقة من أواسط آسيا كانت مقراً لسكن أمتين مختلفتين تعيشان جنباً إلى جنب ، وتجمعهما خصائص مشتركة كثيرة ، ولكن تفرقهما اللغة ، وهاتان الأمتان هما الأتراك والمغول (٥) .

ومواطن المغول الهضبة الآسيوية الشاسعة التى تمتد من أطراف الصين إلى أواسط آسيا ، وإذا نظرنا إلى إقليم وسط آسيا ، ذلك الإقليم الذى خرج منه المغول ، وجدناه على مر عصور التاريخ المختلفة يشهد الجماعات المتباينة تخرج منه إلى الأقاليم المجاورة أو البعيدة ، وأقرب الأمثلة على ذلك هجرة الأتراك السلاجقة

(٢) د. إبراهيم أحمد العدوى العرب والتتار ص ٢٧ الحاشية وزارة الثقافة ـ المكتبة الثقافية (٨٨) يوليو ١٩٦٣ م القاهرة .

(٣) جورجى زيدان التمدن الإسلامى جـ ٤ ص ٢٣٩ دار الهلال ١٩٥٨ م .

(٤) الشيخ محمد الخضرى محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ـ الدولة العباسية ص ٤٦٧ الطبعة الرابعة ١٣٥٣ هـ ـ ١٩٣٤ م .

(٥) برتولد شبولر العالم الإسلامى فى العصر المغولى ص ١٩ ترجمة خالد عيسى نشر دار حسان دمشق ١٩٨٢ م .

بزعامة سلجوق الذى جاء بقومه من برارى القرغيز فى التركستان واستقر بالقرب من بخارى على أطراف الدولة الإسلامية فى القرن العاشر ، وهناك اعتنق الإسلام على المذهب السنى هو واتباعه ، ثم غزوا العالم الإسلامى من الشرق وتوغلوا فيه إلى أن وصلوا بغداد ، ودخلوها دخول الفاتحين .

ولم تكن هجرة هذه القبائل وإغاراتها قاصرة على غرب آسيا بل اندفعت إلى القارة الأوروبية ، وكانت من العوامل التى قوضت أركان الإمبراطورية الرومانية[٦] .

وكتاب « الأرض والتطور البشرى » لا يرجع ظاهرة (غزوات البدو الآسيوين وتوغلهم فى وسط أوروبا وجنوبها إلى حالة الجفاف التى قد تصيب بلادهم ، بل إلى ازدحامها بالسكان والماشية ، فالجفاف حالة سائدة فى بلادهم فى وسط آسيا)[٧] .

وقد أرجع الكاتب انقطاع طوفان البدو الآسيوين إلى أوروبا وغرب آسيا فى الوقت الحاضر إلى عاملين :

الأول :وقوع بلاد المغول تحت الاستعمار الصينى الروسى وقيام المستعمرات فى سيبريا .

الثانى : اعتناق المغول البوذية وتحول ثلث الرجال أو ربعهم إلى رهبان أو (لاما) لا يتزوجون ، وبذلك قل النسل .

هذا وقد احترفت القبائل التى سكنت هذه المنطقة من المغول الرعى ، ونفرت من الزراعة نفوراً شديداً ، وبالرغم من أنهم كانوا يحتلون بعض السهول الخصبة أحياناً ، فإنهم لم يحاولوا زراعتها[٨] وقد ارتحلت تلك القبائل من مكان إلى آخر بحثاً عن العشب ، تبعاً لفصول السنة المختلفة ، فيذهبون فى الربيع نحو الجبال ، ويرجعون قرب الشتاء إلى السهول ، وقد قاموا برعى البقر والأغنام والأفراس .

(٦) حافظ أحمد حمدى الدولة الخوارزمية والمغول ص ١٠٨ القاهرة ١٩٤٩ م .

(٧) لوسيان دفيفر الأرض والتطور البشرى جـ ٢ ص ٣٣٦ ترجمة د. السيد غلاب ود . إبراهيم رزقانة .

(٨) حافظ حمدى مرجع سبق ١٠٨ .

ديانة المغول وحضارتهم :

كانوا يدينون بالشامانية ، وهى ديانة بدائية ودعيت بهذا الاسم لأن رجل الدين فيها يدعى شامان ، والشامان عماد العمل الدينى مع العقيدة ، ويتم اختياره سماوياً ـ فى اعتقادهم ـ أو من قبل شامان سابق ، ويخضع لتدريبات خاصة ، ويمارس مع وظيفته وظيفة رجل الدولة ووظائف الساحر والطبيب والمشرع الحاكم والسياسى أحياناً[٩] .

وهم يؤمنون بإله واحد ، ولكنهم اعتبروا الشمس والقمر والأرض كائنات عليا ؛ فصلوا لها وقدموا لها الأضحيات[١٠] .

وذكر ابن الأثير عن ديانتهم أنهم يسجدون للشمس عند طلوعها ، ولا يحرمون شيئاً ، ولا يعرفون نكاحاً بل المرأة يأتيها غير واحد من الرجال ، فإذا جاء الولد لا يعرف أباه[١١] ويلاحظ أن ما كتبه ابن الأثير عن المغول أو ما كتبه غيره من المؤرخين المسلمين سواء من كان منهم معاصراً لغارات المغول على العالم الإسلامى كابن الأثير أو كان معاصر كالنويرى وابن كثير تتسم كتاباته أحياناً بالغرابة أو التهويل ، وبخاصة ما يتعلق بحياة المغول الخاصة ، وقد يكون ذلك لبعد بلادهم عنهم أو لعامل نفسى من جراء ما أحدثته غاراتهم من فزع وكراهية .

فما ذكره ابن الأثير عنهم من أنهم لا يعرفون نكاحاً ، يفيد بأن جميع المغول يعيشون حياة بهيمية ، وهذا يتعارض مع الواقع الذى يثبت أنهم كان لديهم

(٩) برتولد شبولر مرجع سبق ص ٦٤ حاشية ٢ للدكتور سهيل زكار .

(١٠) فاسيلى برتولد تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى ص ٤٤٠ ترجمة صلاح الدين عثمان الكويت ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ .

(١١) ابن الأثير أبو الحسن على بن ابى الكرم محمد الشيبانى الكامل فى التاريخ جـ ٩ ص ٣٣٠ دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .

امبراطـورية المغـــول

النكاح المعترف به من المجتمع ، والذى يترتب عليه النسب بين الأفراد فيه ، فجنكيزخان ـ كمثال على تأكيد ذلك ـ كان له أولاد ينتسبون إليه ، وله إخوة وأقارب ، ولا يأتى ذلك إلا عن طريق النكاح المعترف به من المجتمع ، وإذا سلك قلة من هذا المجتمع طريق الزنى فهذا استثناء لا ينفى القاعدة العامة التى سار عليها المجتمع المغولى ، وقد كانت هذه القلة محل استياء هذا المجتمع . فقد ورد فى الياسا أو اليساق التى أمر جنكيز خان بكتابتها ، وهى تسجيل للتقاليد والأعراف لدى المغول[١٢] وصبغها بصبغة القانون : (من زنى لا فرق بين محصن وغيره)[١٣].

وقد صبغت البيئة القاسية أخلاق المغول بالتطرف والشذوذ ، فشتاؤهم القارس كان يدفعهم إلى الإغارة على بعضهم البعض ، وإلى عمليات السلب والنهب وقتل من يعترض سبيلهم ، وكانت الشدة والقسوة من أبرز سماتهم ، وذلك يتضح جلياً فى معاركهم ، وقد افاضت كتب التاريخ الإسلامية وغير الإسلامية فى ذكر ذلك ، كما عرف عنهم نكث العهود ، كما يذكر لهم كذلك بعض الصفات الحسنة ، فيذكر لهم شجاعتهم وصبرهم وقوة تحملهم وطاعتهم لرؤسائهم وغير ذلك مما تمليه حياه البادية .

وكان المغول أمة بسيطة لها من المعارف ما يناسب حياتها ، وهذه المعارف لا ترق إلى كونها علوماً ؛ لافتقارها إلى ما يستلزمه العلم من بحث واستقصاء ، وكانت هذه المعارف قاصرة على ما تتطلبه حياتها كالفلك والطب ، كما كان للمغول فنونهم التى تحتمه ظروف الحرب ، وتقتضيه أمور الحياة ، كالفروسية والمبارزة بالسيوف والمصارعة العنيفة ، وتفننت النساء فى صناعة أوتار القسى والدروع من جلود البقر ، وتجهيز الرماح من العظام[١٤].

وتكلم المغول لغة شبيهة بالتركية ، ويرجعان معاً إلى أصل واحد ، وكانت اللغة المغولية لا تكتب حتى ظهور جنكيز خان ، فاستخدموا الحروف الإيغورية فى كتابتها ، وكان الإيغور أول معلمين للمغول[١٥].

وكانت حضارة المغـــول عمومـــاً على عهـــد جنكيز خان حضارة متدنية ، إذا ما قورنت بالحضارة الصينية أو الحضارة الإسلامية ، أو حتى بحضارة ابناء عمومتهم من الكرايت والنيمان والإيغور الذين كانوا يجاورونهم ؛ ولذلك برزت الحاجة الملحة للإفادة من حضارة هؤلاء فور الانتهاء من توحيد المغول .

المغول قبل جنكيز خان :

يعتمد تاريخ المغول القديم على الرواية والتلقين ؛ ولذلك كان غامضاً ، يتخلله كثير من الأساطير ومما ساعد المؤرخين على تبرير الغموض الذى أحاط بتاريخ المغول القديم ، ما عثروا عليه من مؤلفات التاريخ الصينى ؛ لما كان هناك من اتصال بين الصينيين ـ أصحاب الحضارة ـ وبين البدو من سكان وسط آسيا منذ الأزمنة القديمة ، وما يمكن أن يقال عن تاريخ القديم هو أن هذه الشعوب قديماً ـ شأنها فى ذلك شأن القبائل البدوية عموماً ـ كانت فى نزاع مستمر فيما بينها ، وكان الإقليم الذى تسكنه أشبه بخلية نحل من حيث تعدد القبائل ، وكثرة حركتها ، وتنقلاتها من

(١٢) سيأتى الحديث عنها .

(١٣) المقريزى : تقى الدين أحمد بن على السلوك لمعرفة دول الملوك ج ٢ ص ٢٢٠ تحت عنوان ذكر أحكام الياسة .

(١٤) د. العدوى مرجع سبق ص ٢٦ .

(١٥) فاسيلى برتولد مرجع سبق ص ٥٥٩ والإيغور أمة مجاورة للمغول ، وسيأتى الحديث عنها .

مكان إلى مكان سعياً وراء ثروة مادية أو غنم سياسى على حساب بعضها البعض ، ولم يكن من طريقة لانهاء هذه الفوضى إلا على يد زعيم قوى يظهر من بين هذه القبائل ، يستطيع أن يلم شعثها ، وكان ذلك فيما بعد على يد جنكيز خان[١٦] .

ومن جهة أخرى كانت القبائل المغولية التى تضرب فى هذه الجهات كثيرة الإغارة على البلاد الغنية المجاورة وبخاصة الصين ، ولعل ذلك كان سبباً فى إقامة سور الصين العظيم قبل الميلاد بنحو قرنين ونصف القرن من الزمان ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إن حكومة الصين كانت تستخدم جيوشاً من هؤلاء البدو وتوزعهم على حدودها الشمالية ، لكى يحموها من إخوانهم فى الجنس ، وتقسم الحدود بين رؤساء المغول ، وتعتبرهم أقيالها ، يقدمون لها الخضوع ، ويتسلمون منها علامات السلطان[١٧] .

وهذه الطريقة هى تقريباً فكرة الدول العازلة (Buffer states) التى طبقتها دولتا الفرس والروم باقامة دولتى المناذرة والغساسنة فى العراق والشام ، وهما دولتان عربيتان ، لمنع خطر القبائل العربية على حدودها .

وظلت الأمم المغولية عدة قرون خاضعة للنفوذ الأجنبى ، لا تكاد تتخلص من سيطرة امبراطورية من الإمبراطوريات حتى تقع تحت سيطرة إمبراطورية أخرى ، فتداولت عليها إمبراطوريات « الهينو » و « السينبيس » و « التوباس » وغيرها من الإمبراطوريات ، وكانت آخرها إمبراطورية « كين » الصينية ، وقد ثارت عليها الأمم المغولية ، واستقلت عنها عند موت الإمبراطور « تاى تنج » سنة ١١٣٧ م[١٨] ، وبعد أن تخلصت الأمم المغولية من النير الأجنبى ، تطلعت إلى توحيد صفوفها ، وقد تحقق لها ذلك على يد جنكيز خان .

(١٦) حافظ حمدى مرجع سبق ص ٦٣ .

(١٧) طه بدر محنة الإسلام الكبرى ص ٧٢ القاهرة .

(١٨) المرجع السابق .

جنكيز خان :

اسمه الحقيقى « تموجين » ولد سنة ٥٤٩ هـ[١٩] = ١١٥٤ م ، وشب وسط قبيلة « التمرجى »[٢٠] المغولية المعروفة بالغدر والشر ، وتعلم ما يتعلمه أقرانه من إجادة الصيد وقذف السهام وسباق الخيل ، وقد ظهرت عليه منذ صباه علامات الذكاء ، وعلمته تجارب الحياة والمحن التى مر بها أن الغلبة للأقوى وأعطته زاداً من القسوة والغلظة ، ومن أقواله المأثورة : « إن أسعد الأوقات عندى هى التى أحطم فيها قوى اعدائى ، وأطاردهم ، وأستولى على ممتلكاتهم ، وأرى دموع الألم تتساقط من أعين نسائهم وأطفالهم ، وهو الوقت الذى أستطيع فيه أن أركب خيولهم ، وامتلك بناتهم ونساءهم »[٢١] .

وقد كان فى سن الطفولة لا يفارق أباه « ينسوكاى بهادر » الذى كان زعيماً مغولياً ساد قومه المغول ، والأقوام المجاورين لهم ، كالتتار وغيرهم ، وقد مات والده وهو فى سن الثالثة عشرة من عمره ، فلم يلبث قومه ، والأقوام الأخرى ، أن انفضوا عنه ، واتجهوا إلى اختيار زعيم آخر وقال أحدهم فى الاجتماع الذى عقد لهذا الأمر : « لا حاجة للقوم إلى طفل ضعيف وامرأة مسكينة » والمرأة المسكينة هى أم « تيموجين » ، ولكن « تيموجين أخذ يعمل على جمع الأنصار ، وكانت والدته « أوالون أيكه » تشجعه على ذلك .

وكان أخطر أعداء « تيموجين » فى صدر حياته ، زعيم قبيلة « التايدجوت » المجاورة له ؛ إذ عمد هذا

(١٩) الشيخ محمد الحضرى مرجع سبق وحدد زيدان مولده بسنة ٥٤٨ هـ زيدان مرجع تقدم ص ٢٤٠ .

(٢٠) أطلق عليه النويرى « جنكيز خان التمرجى » ولم يذكر اسمه « تيموجين » ، ويرى أن نسبته إلى « التمرجى » لأنه كان حداداً ، والحداد فى لغتهم « التمرجى » ، أو نسبه إلى قبيلة تعرف بالتمرجى انظر : النويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد المطلب نهاية الأرب فى فنون الأدب جـ ٢٧ ص ٣٠١ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٥ م .

(٢١) حافظ حمدى مرجع سبق ص ٢٢٠

امبراطـورية المغـــول

الزعيم إلى اثارة الخصوم حول « تيموجين » ، ولما وقع « تيموجين » أسير هذا الزعيم أهانه إهانة بالغة ، وأذاقه الإذلال ألواناً ، مما جعله يسخط على كل من حوله ، وتطلع إلى انتزاع السلطة مهما كلفه ذلك من ثمن(٢٢) .

استطاع « تيموجين » أن يهرب من هذا الأسر ، وأن يعود إلى قبيلته ، واسترد مكانته فيها سريعاً نتيجة قيامه بسلسلة من الإغارات الناجحة التى أرهبت أعداءه ، وجعلت الآخرين يلتجئون إليه طلباً للحماية ، وبعد أن استرد عرش أبيه دخل فى عدة حروب متصلة مع القبائل الأخرى المعادية ، وتمكن من اخضاع قبائل « التايدجـوت » و « المركـيت » و « النيمان » و « التتار » و « الكرايت » وأصبحت تلك القبائل أمة واحدة ، بعد اختلاف وشقاق(٢٣) .

وجد « تيموجين » قبل أن يسير بهذه الأمم نحو الغزو الخارجى الواسع أن يضع لها قوانين ونظماً إدارية تنظم حياتها ، وفى هذا المجال الإدارى أثبت عبقرية ومهارة لا تقل بحال عن مهارته فى قيادة الجيوش على الرغم من جهله القراءة والكتابة ، فأنشأ القوريتلاى ، ويعنى المؤتمر العام ، ويضم هذا المؤتمر رؤساء القبائل وخاناتها ، ويناقش المسائل العامة ، ويضع الخطط للمستقبل ، وقد اختار هذا المؤتمر « تيموجين » ليكون السيد الأعلى ، وأغدق عليه لقباً جديـداً هو « جنكيز خان » عام ٦٠٣ هـ = ١٢٠٦ م ، أى أعظم الحكام وإمبراطور البشر(٢٤) .

وأمر جنكيزخان بتدوين « الياسا » أو « اليساق » وهو القانون العرفى المغولى(٢٥) إلى جانب تعاليم جنكيز خان « البيليك »(٢٦) .

وقام جنكيز خان بتنظيم جيشه تنظيماً يدل على الحنكة والمهارة ، فقسمه تقسيماً لا يختلف عما هو متبع الآن فى الجيوش الحديثة ، فقد كان فى جيشه فرق مكونة من مائة ألف جندى يسمونها « التوك » وأخرى مكونة من عشرة آلاف يسمونها « التومان » وثالثة مكونة من ألف يسمونها « منجان » ورابعة مكونة من مائة يسمونها « دن » وخامسة مكونة من عشرة يسمونها « إربان »(٢٧) .

وكانت طبيعة المغول الحربية ، وقيام حياتهم على الحروب والمنازعات قد دفعتهم إلى السبق إلى كل ما هو جديد فى مضمار التنظيم الحربى ، والخطط الحربية ، والآلات الحربية ، وكان فضل جنكيز خان فى هذه الناحية يتمثل فى محافظته على النظم السابقة وتقويتها ، وسن القوانين الصارمة التى تعاقب كل مخالف لها ، وكان المقصر فى هذا المجال لا يعاقب بقتله وحده ، بل بقتل زوجته وأولاده أيضاً(٢٨)

تكوين جنكيز خان لإمبراطورية واسعة :

اتجه جنكيز خان بجيوشه شرقاً إلى بلاد الصين ، واستغل ما كانت تعانيه من انقسام ، فالبلاد الصينية لم تعد ـ كما كانت من قبل ـ بلاداً موحدة ، بل أصبحت موزعة بين حكام أسرة « سونج » أصحاب البلاد ، وبين حكام أسرة « كين » المغتصبين ، وكانت أولى حملات جنكيز خان سنة ٦٠٨ هـ = ١٢١١ م ، ثم تبعتها حملات أخرى حتى سنة ٦١١هـ = ١٢١٤م ، وعجز المغول عن تحقيق أهدافهم فى الصين ، ومالوا إلى الصلح ، ولقيت هذه الفكرة استحساناً من إمبراطور

(٢٢) د. العدوى مرجع سبق ص ٢٨ ، ص ٢٩ .
(٢٣) المرجع السابق وطه بدر مرجع سبق ص ٧٥ وما بعدها وبرتولد شبولر مرجع سبق ص ١٩ وما بعدها .
(٢٤) د. العدوى مرجع سبق ص ٢٨ و ص ٢٩ .
(٢٥) سيأتى مزيد من التفصيلات عنها
(٢٦) فاسيلى برتولد مرجع سبق ص ٥٥٩
(٢٧) طه بدر مرجع سبق ص ٥٧
(٢٨) حافظ حمدى مرجع سبق ص ٢١٥

أسرة « كين » « واى وانج » الذى سارع بإرسال الهدايا إلى جنكيز خان ، وأراد الإمبراطور ان يترك حاضرته « بكين » وأن يتخذ حاضرة أخرى فى الجنوب ؛ ليكون أكثر اطمئناناً ، وقد نفذ فكرته رغم معارضته كبار رجال دولته ، وقامت ثورة فى أنحاء الإمبراطورية من جراء ذلك ، وقد ساعد هذا الاضطراب جنكيز خان على التوغل فى هذه البلاد والاستيلاء على « بكين »(٢٩) .

اتجه جنكيز خان بعد ذلك غرباً إلى دولة الخطا ، وهى دولة قوية على الحدود الإسلامية ، وكانت قبائل الخطا تقيم أساساً فى شمال الصين ، ثم هاجر بعضهم تحت تأثير عوامل مختلفة إلى غرب اقليم « تركستان » وأسسوا دولة قوية فى هذه البلاد عام ٥١٩ هـ - ٦١٥ هـ = ١١٢٥ م - ١٢١٨ م ، وكان على رأس هذه الدولة « كشلوخان » وهو زعيم قبائل « النيمان » التى كانت تقيم فى مكان آخر ، وقام جنكيز خان باخضاعها ، ففر من وجهه « كشلوخان » إلى دولة الخطا فى الغرب ، واستطاع هذا الزعيم الفار أن يكون لنفسه قوة هناك ، ويعتلى العرش بعد سلسلة من المؤامرات والفتن ، وساس دولة الخطا بسياسة تتسم بالقسوة والتعصيب الدينى ضد الأهالى المسلمين ، وكان بوذياً وزوجته مسيحية ، لذلك كرهه الأهالى كرهاً شديداً ، كما أنه لم يكن على وفاق مع الدولة الخوارزمية المجاورة له ؛ لذلك رحب الأهالى بمقدم المغول الذين لوحوا لهم بالحرية الدينية ، وسقطت دولة الخطا ، وأصبح المغول على أبواب العالم الإسلامى .

كان العالم الإسلامى يعانى من التفكك والانقسام والضعف ، ويجابه خطر الحملات الصليبية التى طرقت بلاد الشام ، وكانت الدولة الخوارزمية هى الحارسة للبوابة الغربية للبلاد الإسلامية أمام الأخطار الخارجية ، وكان جنكيز خان يرغب فى أن تكون العلاقات بينه وبين الخوارزميين قائمة على الصداقة وأبرم معهم معاهدة تجارية ، ولم يكن ذلك منه حباً للسلام بل أراد أن يتفرغ لتوطيد نفوذه فى الأقاليم الصينية ، كما كان علاء الدين مشغولاً بنزاعه مع جيرانه ، وعلى رأسهم الخليفة العباسى ثم حانت لحظة الصدام بين المغول والخوارزميين ، ووجد جنكيز خان من حادثة اعتداء الخوارزميين على التجار الذين أتوا من قبله ، ونقضهم المعاهدة التجارية مبرراً كافياً للهجوم على البلاد الإسلامية(٣٠) ، عبر جنكيز خان نهر « سيحون » وسار إلى بخارى فى أواخر سنة ٦١٦ هـ - ١٢١٩ م فاستولى عليها ، ثم رحل إلى سمرقند وهى أهم مدن ما وراء النهر ففتحها سنة ٦١٧ هـ = ١٢٢٠ م ، وأنزل المغول بالمدينتين النهب والتخريب والقتل ، ثم بعث جنكيز خان بعشرين ألفاً من جنده ؛ لطلب السلطان الخوارزمى ، وهذه الفرقة تعرف بالمغربة وكان السلطان مقيماً غرب نهر جيحون وقد امتلأ خوفاً من المغول ، فلما علم بقدومهم رحل إلى مدينة نيسابور ، فأدركه المغول بها فتركها إلى مازندران ، والمغول على أثره ؛ فوصل مرسى على بحر طبرستان ونزل يريد قلعة له فى البحر ، فلما نزل هو وأصحابه فى السفن ، وصل التتر ، فأيسوا من اللحاق به ، وانتهى أمره بهذه القلعة .

سارعت هذه الفرقة إلى مازندران ، بعد يأسها من اللحاق بالسلطان الخوارزمى ، فاستولت عليها ، ثم استولت على الرى ، وكانوا ينهبون فى طريقهم كل قرية يمرون بها ، ثم ساروا إلى همذان ، فطلب صاحبها الأمان فأمنوه ، ثم وصلوا إلى قزوين ، واستولوا عليها ، وقتلوا الكثيرين من أهلها ثم ساروا إلى تبريز حاضرة اذربيجان ، فصالحهم صاحبها ، ثم حاربوا أهل

(٢٩) المرجع السابق ص ١١١ وما بعدها .

(٣٠) ابن الأثير مصدر سبق جـ ٩ ص ٣٣١ والنسوى : محمد بن أحمد سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ص ٣٣ تحقيق حافظ حمدى القاهرة ١٩٥٣ م والنويرى مصدر سبق جـ ٢٧ ص ٢٤١ و ص ٢٤٢ ابن كثير : إسماعيل بن عمر القرشى البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٨٨ دار الفكر العربى .

امبراطورية المغـــول

الكرك ، وهزموا أهلها ولما حاول أهل الكرك تكوين تحالف الملك الأشرف بن العادل الأيوبى ، فاجأهم المغول بالهجوم على عاصمتهم تفليس سنة ٦١٧ هـ وهزموهم وقتلوا منهم ما لا يحصى ، ثم رجعوا فى بداية سنة ٦١٨ هـ إلى المراغة فملكوها ، ثم رحلوا عنها إلى أربل ، لكنهم هابوا الهجوم عليها لخوفهم أن تجمع عليهم الجنود من العراق ، فعادوا إلى همذان ، وساروا إلى بلاد أذربيجان ، ومنها ساروا إلى دربند شروان فاستولوا على مدينة شماخى عنوة ، وخرجوا من الدربند إلى البلاد الشمالية ، وهى إقليم القفجاق ، وفيها أمم كثيرة تركية فأمعن التتر فيهم قتلاً وسبيا ، وبخاصة أمة القفجاق ، فتفرقوا فى جميع الأقطار ، ووصل بعضهم إلى مصر ، ثم قصد المغول بلاد الروس ، وتعاون فلول القفجاق مع الروس فى التصدى للمغول ، ولكن الهزيمة حلت بهم ، ونهب المغول بلادهم ، ثم عادوا عنها وقصدوا بلغار ، ولكن أهلها كمنوا لهم ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة .

وبعث جنكيز خان بفرقة أخرى عليها أحد أولاده ، للاستيلاء على خراسان ، وهو « تولوى » ، فعبروا النهر وقصدوا مدينة بلخ ، فطلب أهلها الأمان ، فأمنوهم ، وتسلموا البلد سنة ٦١٧ هـ ، ثم تقدموا فى هذا الإقليم دون صعوبات كبيرة ، ولم يمض إلا القليل حتى دخل معظم البلاد الفارسية تحت حكمهم . وأرسل جنكيز خان جيشاً آخر وجهته الشمال يملك بلاد القفجاق ، وكان الأمر قد تهيأ لهم بها ؛ لما فعله التتر المغربة من إضعاف القوى التى كانت بهذه البلاد ، وتمكن المغول من الاستيلاء على بلاد القفجاق كلها فى أسرع ما يمكن (٣١) .

تم بذلك لجنكيز خان مملكة عظيمة واسعة مترامية الأطراف ، تبتدىء شرقاً من بلاد الصين ، وتنتهى غرباً إلى بلاد العراق وبحر الخزر وبلاد الروس ، وجنوباً ببلاد الهند ، وشمالاً بالبحر الشمالى ، كل ذلك تم له فى زمن يسير (٣٢) .

وقبيل وفاته قسم جنكيز خان هذه البلاد الواسعة إلى أربعة أقسام ، بين ابنائه الأربعة (٣٣) وهم « جوجى » و « جغطاى » و « تولى » و « أوكداى » ، فجعل بلاد القفجاق بأسرها ، وبلاد الداغستان وخوارزم وبلغار والروس ، وما يؤمل أخذه إلى منتهى المعمورة ، وسواحل البحر الغربى لولده الأكبر « جوجى » أو « دوشى خان »

---

(٣١) ابن الأثير جـ ٩ ص ٣٣٠ و ص ٣٣٤ والنويرى جـ ٢٧ ص ٣٠٠ و ص ٣٣٣ وابن كثير جـ ١٣ ص ٨٦ و ص ٩١ والخضرى ص ٤٧١ و ص ٤٧٤ .

(٣٢) الخضرى ص ٤٧٤ .

(٣٣) تشير المصادر التاريخية إلى أن جنكيز خان أنجب تسعة أولاد من بينهم أربعة كانوا من زوجته « يسونجين بيكى » التى كان يفضلها على كل زوجاته ومحظياته الكثيرات ، وهى التى يسميها النويرى « تسوجى خاتون » ، وقد أوصل النويرى أولاده إلى تسعة عشر ولداً ، وعلى كل حال فقد كان يفضل هؤلاء الأربعة وعهد إليهم بمهام الدولة . انظر النويرى نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٣٣٤ و د. فؤاد عبد المعطى الصياد المغول فى التاريخ ص ١٠٩ القاهرة ١٩٦٠ .

وقد تولى ابنه « باتو » أو « باطوخان » [٣٤] بعده ، ومن هذا الفرع كانت مملكة القبائل الذهبية .

وجعل بلاد إيغور والتركستان وما وراء النهر بأسره لولده الثانى « جغطاى » ، وجعل هراسان وما يؤمل أخذه من ديار بكر والعراقين إلى منتهى حوافر خيولهم لولده الثالث « تولى خان » ومن هذا الفرع كانت إيلكخانية إيران » .

وجعل بلاده الأصلية والخطا والصين إلى منتهى المعمورة الشرق لولده الرابع « أوكداى » وجعله ولى عهده من بعده ، ويصير « قاآنا » [٣٥] على الكل ، وأمر الباقين بمتابعته ، وكذلك كل من يصير « قاآنا » يجب على الباقين طاعته ، وتوفى جنكيز خان سنة ٦٢٤ هـ = ١٢٢٧ م ، فى الثانية والسبعين من عمره [٣٦]

ورث الملك من آل جنكيز خان أربعة بيوت ، وقد قامت بإتمام الفتح حتى تهيأ لها أن تملك معظم بلاد المسلمين ، وجزءاً كبيراً من أوروبا ، وبيت « تولى خان » هو الذى كان على يديه سقوط بغداد ، وامتداد سلطان التتار إلى بلاد الجزيرة والشام وبلاد الروم [٣٧] .

« يتبــع »

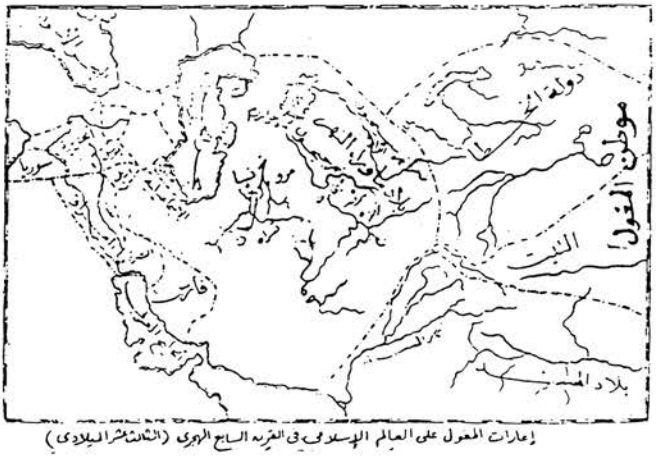

إغارات المغول على العالم الإسلامى فى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى)

(٣٤) النويرى نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٣٥٧ ، وعنده ان جوجى أو دوشى خان مات بعد والده ، بينما هناك مصادر تشير إلى وفاته فى حياة أبيه ، وقيل إنه أضمر الخلاف على أبيه ، وبعلم أبوه بذلك فأمر بسمه سراً . انظر رشيد الدين الهمذانى جامع التواريخ جـ ١ ص ٥١٣ ترجمة محمد صادق نشأت وآخرين القاهرة ١٩٦٠ وفاسيلى برتولد مرجع سبق ص ٦٤٠ .

(٣٥) القاآن أو الخاقان لقب ملك المغول الأعظم أو الرئيس الأعلى لإمبراطوريتهم ، ومقره قراقورم ، أما قان أو خان فلقب الذين يتولون جزءاً من الإمبراطورية ، وقد يطلق على القاآن أو الخاقان من قبيل الاختصار . النويرى نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٣٣٠ حاشية ١ .

(٣٦) جعل النويرى موت جنكيز خان فى سنة ٦٢٤ م أو سنة ٦٢٥ هـ نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٣٣٤ وابن كثير سنة ٦٢٤ هـ البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١١٧ والخضرى مرجع سبق ص ٤٧٥ .

(٣٧) النويرى نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٣٣٥ و ص ٣٣٧ والخضرى مرجع سبق ص ٤٧٥

أزمـــة

التقنيـــة والتنظـــير فى الفكـــر الإسلامى

د. عبد الله نجيب محمد

التقنية بمفهومها الواسع تعنى أسلوب بلوغ أهداف الانتاج الكمية والنوعية لأية سلعة أو خدمة ، وكيفية انجاز الأعمال وهذا يعنى أن التقنية هى التسلسل الدقيق للخطوات والعمليات والاجراءات التى تُعتمد للوصول إلى الغايات المحددة (الاستراتيجية) فى مجالات العمل الصناعى والزراعى والتجارى والخدمى ، مهما اختلفت طبيعة هذه الأعمال وتنوعت .

من هذا التعريف ندرك أهمية التقنية ، ويبرز دورها فى رفاهية المجتمعات . وتحديد درجة النجـــاح الاقتصادى والتماسك الإجتماعى ، وكلمـــا كانت التقنيات المعتمدة صالحة وفاعلة فى تصعيد المردود الإقتصادى ، وبلورة الهوية الثقافية ، كلما ساهم ذلك فى بلوغ النجاح ، خصوصاً عندما تكون تلك التقنيات منسجمة مع الاهداف والغايات (الاستراتيجيات) الموضوعة ، مميزة بالوضوح والعقلانية .

والحقيقة أن تفوق المجتمعات الغربية ورقيها ، يعود فى الأساس إلى العامل التقنى المبنى على الأبحاث العلمية وإدخال التطويرات باستمرار على التطبيق العملى على نحو متواصل ومتصل .

ومنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، إزدادت قدرة المسلمين عموماً على ايجاد تقنيات عصرية نسبياً ، ولكن الجهات المالكة للتقنيات غالباً ما تضن على المسلمين بها لاعتبارات غائبة (استراتيجية) يراد منها فى الأساس إضعاف المسلمين ، واستنزاف قواهم ، بالاضافة إلى الأثمان المرتفعة للتقنيات المصدرة ، والشروط والمحددات الأخرى التى فرضت على المسلمين ، فقد اعتمد الغرب غاية (استراتيجية) عامة استهدفت فى الأساس بقاء ميزاته التقنية ، فمن جهة عملت الحكومات الغربية لحصر وتقليص العائدات المالية للشعوب المسلمة عن طريق خفض أسعار الخامات الطبيعية بما فيها النفط الخام ، ومن جهة أخرى ركزت فى بعد آخر على دفع المسلمين لشراء السلع والخدمات من العالم الغربى بثمن باهظ ، وعلى نحو يجعلهم معتمدين على الغرب فى حاجاتهم الأساسية ، دون أن تتهيأ لهم هذه المستلزمات بأيديهم ، وبقدراتهم الذاتية .

ومثلاً فى الوقت الذى يسعى فيه الغرب إلى توسيع وتطوير الزراعة يعمل بأساليب خبيثة ودنيئة أحياناً على تقليص الإنتاج الزراعى لدى العديد من الأقطار المسلمة ، ولهذا صارت الشعوب المسلمة تنفق مليارات الدولارات فى كل عام لاستيراد المواد الغذائية الأساسية .

يضاف إلى ذلك تعويد المسلمين على أنماط استهلاكية غير محلية ، واتجاه الصّفوة وأبناء الطبقة الثرية من المسلمين إلى عواصم الغرب لأغراض السياحة والاستراحة والتعليم وغير ذلك كثير ، مما يخرج من دخولنا مبالغ هائلة تنفق فى العواصم الأوروبية ، فإذا أضفنا ما تشتريه النسوة من العطور وأدوات الزينة والتجميل ، وما نشتريه جميعاً من أردية وألبسة وغيرها ، عرفنا مقدار ما نفقده كل عام ، وما يدخل جيوبهم ، مما يقدر بمليارات الدولارات سنوياً .

كل ذلك يقلل من أرصدتنا ودخولنا ، ويتسبب عنه ما يسمى بظاهرة العجز المالى ، وهذا بدوره يلجىء حكوماتنا إلى الاستدانة وجذب المدخرات والاستثمارات الأجنبية التى لها إلى جانب أهداف السيطرة الاقتصادية أهداف أخرى ثقافية تغريبية .

هذه مقدمة لا بد منها للدخول فى موضوع أساسى آخر ، وهو المستهدف الأكبر للغرب ، وأعنى به هدفه فى القضاء على هويتنا الإسلامية وشخصيتنا الثقافية ، وهو الفصل الثانى فى الهيمنة الغربية ، أو قل هو الفصل الأول ، إنه التغريب والتبعية الشاملة ، وغزو حصوننا من الداخل ، واكتساح عقولنا ونخبنا المتعلمة بكافة أنواع القوارض والزواحف المتعلمنة التى تنخر فى بناء أمتنا ، وتفسد علينا حياتنا وتعشش فى مناهجنا وإعلامنا .

ولقد طلعت علينا مقولات وتيارات عجيبة ، تحمل شعارات أعجب ، تردد مقولات ما يسمى بالتجديد المنهجى للإسلام أو عقلنة الإسلام أو علمنة الإسلام ، كل ذلك من خلال منهجيات وحلول غربية ، يطلع علينا بها المنظرون والمتغربون ، فيما يتعلق بقضايانا التى يجعلونها دائماً تحت عنوان واحد هو ما يسمى بقضية المعاصرة (أو التحديث) فى مقابل التراث (أو الإسلام) محاولين إخضاع الحركة الفكرية فى بلادنا لنوع غريب من المنافسة فى استخدام منهجيات وتقنيات يقولون إنها حديثة . وكم أتعبت عينى وسهرت الليالى لأفهم ما يريدون ، فلم أجد إلا هراء وسخفاً هو فى جملته مستمد من المدارس الغربية وعلى رأسها المدرسة الفرنسية التى أصبحت شغلهم الشاغل ، وهمهم الأول فى رموزهم واتجاهاتهم ، حتى لينتهى أحدهم[1] مثلاً إلى اختزال كل عوامل نهضتنا وحصرها فى تحرير المرأة ، مدعياً أنه بدون تحرير المرأة لا يمكن لمجتمعاتنا أن تنهض أو تدخل عصرها .

هل هناك شطط واسفاف أبعد من هذا ؟ إننا إذا تتبعنا آلاف المقالات ومئات الكتب والندوات ، التى

---

(١)هشام شرابى فى مقدمة كتابه .

أزمة التقنيـة

يحفل بها وسطنا الفكرى خلال العقد الأخير[٢] يرى عجباً وتوهماً بكل المقاييس ، وإذا كان ما يسمى بالصراع بين أنصار المعاصرة وأنصار الأصالة هو محور السجال بين مثقفينا فى العصر الحديث ، وأن تاريخ الثقافة العربية الإسلامية المعاصر هو تاريخ تطور هذا الصراع وتبدل أشكاله وانبعاثاته[٣] فقد بدا لى أول الأمر أن الهدف هو مجرد اللهو والترف والمباهاة بمعرفة منهجيات الغرب ومصطلحاته ثم سرعان ما لاحظت أن هؤلاء المنظرين فى الجملة ما هم إلا بدو رحالة لا يستقرون على ولاء بعينه لأى فكر أو فكرة ، بل ينتقلون من ولاء إلى آخر بشكل مذل ومهين للكرامة والعقل ، متبعين أسلوباً انتهازياً نفعياً ، وكأنهم طبقة لا علاقة لها بمجتمعاتنا ومشكلاتنا وواقعنا ، ولا يفهمون شيئاً من تراثنا وحضاراتنا ، وفى مرحلة أخيرة تأكد لى أن ثمة محاولة أو محاولات هائلة مقصودة لإغراق حركة الفكر فى بحار من الوهم والتنظير ، وأن ثمة اصرار مجنون على عزلنا عن واقعنا وثقافتنا وتراثنا ومشكلاتنا ، ويقينا إذا استمر الأمر كذلك فمعناه بكل صراحة أننا ننقاد إلى بحور من الوهم بسفن من الكلام وأشرعة من التنظير العقيم .

ولست أجد جواباً لهؤلاء ، وحلاً لهذه القضية إلا بالإحالة إلى الإسلام ذاته ، إن الإسلام هو منهجنا ونظريتنا فى الحاضر والمستقَبل كما كان تراثنا وماضينا وأصل ثقافتنا فى الماضى ، وإذا لم يكونوا يبغونها عوجاً ، فعليهم أن يفكروا فى مشكلة المعاصرة ملتصقة بالرغبة الملحة فى التطبيق الإسلامى ، وهذا فى نظرنا هو المدخل العملى للقضية ، أعنى ربطها بمشكلات التطبيق الإسلامى المعاصر ، إن المعنى المباشر للمعاصرة ، إذ تمكنا من ربطه بمدى قدرة الإسلام على مواكبة الحياة فى مشكلاتها المعقدة وتطوراتها المستحدثة ، ومقدار ما يقدم من أسس لقضايا المسلمين الأساسية فى مجالاتهم للتقدم والتغيير الاجتماعى ، فإننا بذلك نكون قد وقفنا أنفسنا على أول الطريق .

إن المعاصرة بهذا المعنى مشكلة ترتبط بعصر التطلع إلى التطبيق الإسلامى فى واقعنا وما نعيشه كمسلمين ، لنخرج عن حالة التنظير والانفصال عن الواقع .

على المفكرين ومن بأيديهم زمام الحركة الفكرية أن يتوجهوا بلغة مفتوحة وصريحة للاجتهاد فى بحث كل موضوع على حدة ، مع ربط نتاج فكرهم باقتراحات عملية يمكن أن تطبق فى الواقع أو تعدل منه أو تغيره لأنهم لو فعلوا ذلك ، فانهم يجيبون على تحديات المعاصرة ، وعليهم أن يستملكوا الضجة المتعالية التى يثيرها المتعلمنون بمصطلحاتهم وتياراتهم ورموزهم وأن يعيدوا طرح المشاكل بمنهج إسلامى ، وبدراسة عملية مدققة ، هدفها التطبيق فى المقام الأول ، حتى لا تنفصل المعاصرة عن الأصالة ، والتى هى ثنائية وهمية تنظيرية فى الأساس لا تخدم التطبيق والتطوير والابداع .

إن الإسلام وهو نهج حياة ونهج فكر ، ونهج تصرف وسلوك هو بكل تأكيد فوق الثنائيات المصنوعة ، لأنه تراث ومعاصرة أو أصالة وحداثة ، إن قراءة تجاربنا بعقل مفتوح وقلب مفتوح ، فى حوارات مفتوحة وصريحة ، سوف يُساهم فى دفع التقدم ، سلماً لا حرباً ، وتفهماً لاصراعاً .

وما من شك أن لدينا الكثيرين من العلماء ، الذين بذلوا جهوداً تستحق التقدير كله فى مجال الفكر الإسلامى ومناهجه ، ولكن المطلوب الآن هو ربط منتجات أفكارهم بواقع المسلمين وأمانيهم ورغبتهم فى التقدم والازدهار .

والله ولى التوفيق ...

---

(٢) من يعنيه متابعة ذلك بالتفصيل فعليه أن يرجع إلى (١) من التراث إلى الثورة – طيب تزينى جـ ١ (٢) ندوة التراث وتحديات العصر فى الوطن العربى (الأصالة والمعاصرة) مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٥ .

(٣) برهان غليون : العقل ص ٢٢ .

لحظات طيبات مع الإمام:

إبراهيم الحربى - أبى اسحاق

إعداد : عادل خفاجة

• قال الحسين بن فَهْم الحافظ : « لا ترى عيناك مثل ابراهيم الحربى ، إمام الدنيا ، لقد رأيت ، وجالست العلماء ، فما رأيت رجلًا أكمل منه » .

• وقال محمد بن صالح القاضى : « لا نعلم بغداد أخرجت مثل ابراهيم الحربى فى الأدب والفقه والحديث والزهد » .[1]

• وقال الدارقطنى : كان يقاس بأحمد بن حنبل فى زهده وعلمه وروعه[2] .

إنه الشيخ الإمام ، الحافظ ، شيخ الإسلام ، إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير البغدادى ، الحربى « أبو إسحاق » .

كان إماما فى العلم ، عارفا بالفقه ، حافظا للحديث ، مميزا لعلله ، جمَّاعةً للغة ، صنف الكثير من الكتب ، منها « غريب الحديث » ، وأصلـه من « مرو » . فهو مروزى .

ولد سنة ثمان وتسعين ومائة .

حضة على مخالطة أهل العلم :

كان الإمام إبراهيم الحربى يحض أصحابه وتلاميذه على مخالطة أهل العلم ، ويحذرهم من اتباع أهل البدع ، فيقول :

« لا أعلم عصابة خيرا من أصحاب الحديث ، إنما يغدو أحدهم ومعه محبرة ، فيقول : كيف فعل النبى - ﷺ - وكيف صلى ؟ إياكم أن تجلسوا إلى أهل البدع ؛ فإن الرجل إذا أقبل ببدعة لا يفلح » .

التزامه بنهج السلف الصالح :

وكان - رحمه الله - على غزارة علمه - يؤثر الاقتداء بالسلف الصالح ، ويقف عند الحد الذى انتهى إليه خطوات أئمته ؛ مخافة أن ينصرف الناس عما يصلح دينهم ودنياهم إلى ما لا نفع فيه .

وعن ذلك يقول أبو طاهر المخلِّص رواية عن أبيه أنه سمع إبراهيم الحربى ، - وقد احتشد أمام بيته خلق كثير ليحدثهم فى مسألة « الاسم والمسمى » كما وعدهم - يقول : « قد كنت وعدتكم أن أملى عليكم فى (الاسم والمسمى) ، ثم نظرت فإذا لم يتقدمنى فى الكلام فيها إمام يقتدى به ، فرأيت الكلام فيه بدعة ، فقام الناس وانصرفوا ، فلما كان يوم الجمعة ، أتاه رجل فسأله عن هذه المسألة ، فقال : ألم تحضر مجلسى بالأمس ؟

قال : بلى . فقال : أتعرف العِلمَ كله ؟

قال : لا . قال : فاجعل هذا مما لم تعرف .

---

(١) انظر تاريخ بغداد : ٦/٣٠ .

(٢) انظر تذكرة الحفاظ : ٢/٥٨٥ .

ميله إلى طريف القول :

كان أبو إسحاق ـ مع زهده ـ ظريف الطبع ، ضاحك السن ، لا يخلو كلامه من مزاح ، أو قول لطيف ، أو موقف طريف .

وكان يقول :

• الناس على أربع طبقات : مليح يتملح ، ومليح يتبغض ، وبغيض يتملح ، وبغيض يتبغض ، فالأول : هو المُنى ، والثانى يحتمل ، وأما بغيض يتملح ، فإنى أرحمه ، وأما بغيض يتبغض ، فأفر منه .

• ومن طرائف ما رواه :

قوله : « كنا عند عبيد الله بن عائشة فى مسجده ، إذ طرقه سائل ، فسأله شيئا ، فلم يكن معه ما يعطيه ، فدفع إليه خاتمه ، فلما أن ولى السائل دعاه ، فقال له : لا تظن أنى دعوتك ضنة منى بما أعطيتك ، إن هذا الفصَّ شراؤه علىَّ خمسمائة دينار ، فانظر كيف تخرجه . فضرب السائل يده إلى الخاتم ، فكسره ، ورمى بالفص إليه ، وقال : بارك الله لك فى فصِّك ، هذه الفضة تكفينى لقوتى وقوت عيالى اليوم .

فدل فعل السائل على أنه لا يمارس المسألة ، وإنما ألجأته إليها ضرورة ومثل هذا بهذه الحال من تحل له المسألة .

قناعته :

عاش الإمام إبراهيم الحربى معظم أيامه حياةً خشنة ، فكان يقول : « ما كنا نعرف من هذه الأطبخة شيئًا ، كنت أجىء من عَشِىٍّ إلى عشى ، وقد هيأت لى أمى باذنجانه مشوية أو باقة[1] فجل » .

وسُمِعَ يقول : « ما تَرَوَّحْتُ ولا رُوِّحْتُ قط ، ولا أكلت من شىء فى يوم مرتين » .

وما كان يقول ذلك إلا عن قلب قد قنع بما قسم الله له ، فنجده يقول كلمات قد جمع فيها لُبّ الحكمة وملاك الرضا .

حين يقول : أجمع عقلاء كل ملة أنه من لم يَجْرِ مع القدر لم يتهنأ بعيشه .

شدة حب أصدقائه له :

• كان أبو إسحاق يتمتع بقدر كبير من حب أصدقائه إياه ؛ فقد جاءه يوسف القاضى ومعه ابنه عمر ، فقال له : يا أبا إسحاق لو جئناك على مقدار واجب حقك ، لكانت أوقاتنا كلها عندك . فأجابه : ليس كلُّ غيبة جفوة ، ولا كل لقاء مودَّة ، وإنما هو تقارب القلوب .

• وهذا أبو العباس ثعلب ، يلازمه قرابة خمسين عاما فيقول : « ما فقدت إبراهيم الحربى من مجلس لغة ولا نحو ، منذ خمسين سنة » .

وكان أبو اسحاق يعرف حق الرفقة الصالحة ، ويقدر قدرها ولعل هذا ما دعاه لأن يقول لجماعة عنده :

« من تعدون الغريبَ فى زمانكم ؟ قال رجل : الغريب من نأى عن وطنه . وقال آخر : الغريب : من فارق أحبابه .

فقال أبو اسحاق : الغريب فى زماننا : رجل صالح ، عاش بين قوم صالحين ، إنْ أَمَرَ بمعروف آزروه ، وإن نهى عن منكر أعانوه ، وإن احتاج إلى سبب من الدنيا مَانُوه[2] ، ثم ماتوا وتركوه .

من سمع منهم :

طلب إبراهيم الحربى العلمَ وهو حَدَثٌ صغير ، فسمع من هَوْذة بن خليفة وهو أكبر شيخ لقيه ، وعَفَّان ابن مُسْلم ، وأبى نُعَيْم وعَمْرو بن مَرْزُوق ، وعبدالله بن صَالح العِجلى ، وأبى عُمر الحَوْضى ، وعُمر بن حَفْص ، وعاصم بن على ، ومُسَدَّد بن مُسَرْهَد ،

---

(١) الباقة : الحزمة من البقل ، وتستخدم خطأ للحزمة من الورد والزهور والصواب فى الثانية : الطاقة .

(٢) مان ـ يَمُون ، ومنه التموين .... الخ .

وموسى بن إسْماعيل المِنقَرِى ، وشُعَيْب بن مُحْرِز ، وأبى عُبَيْد القاسم بن سَلَّام ، وأحمد بن حَنْبل ، وأحمد ابن شبيب ، وابن نُمَيْر ، والحَكَم بن موسى ، وأبى مَعْمَر المُقْعَد ، وأبى الوليد الطَّيالسى ، وغيرهم كثير ـ رحمهم الله .

من حدَّث عنه :

حدَّث عنه خلقٌ كثيرٌ ، منهم : أبو محمد بن صَاعد ، وأبو عَمْرو بن السَّمَّاك ، وأبو بكر النَّجَّاد ، وأبو بكر الشَّافعى ، وعُمَر بن جَعْفر الخُتُّلى ، وأبو بكر أحمد بن جَعْفَر القَطِيعى ، وعبدالرَّحمن بن العبَّاس والد المخلِّص ، وسُليمان بن إسْحاق الجلَّاب ، ومحمد بن مَخْلَد العَطَّار ، وجَعْفر الخُلْدى ، ومحمد بن جَعْفر الأنبارى ، وأبو بَحر محمد بن الحَسَن البَرْبَهارى ، وأمثالُهم .

ومن الأحاديث التى رواها :

• روايته عن مُسَدَّد عن سفيان عن الزهرى عن عطاء ابن يزيد عن أبى أيوب : أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لا يهجر أحدُكم أخاه فوق ثلاثٍ ، يلتقيان : فيصدُّ هذا ، ويصدُّ هذا ، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام »[1] .

• وروى عن سُليمان بن داود الهاشمى بسنده إلى أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : كنت أغتسل معه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من إناء واحد »[2] .

وفاته :

وكانت وفاته ـ رحمه الله ـ لسبع بقين من ذى الحجة سنة خمس وثمانين ومائتين . وكانت جنازته مشهودة . وقبره معروف فى بغداد .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٠) فى البر باب تحريم الهجر فوق ثلاث .

(٢) صحيح البخارى ٢١٣/١ .

الفتـــاوى

إعداد :
الأستاذ: عبد المنعم فودة

حكم صيام الست من شوال بعد الأول منه

• من السيدة ع.ح.ف :

• ما حكم صيام الست من شوال بعد الأول منه ؟

• ما حكم المتابعة فى صيام الست من شوال ؟

الجواب :

إنه ورد فى الحديث كما فى نيل الأوطار عن أبى أيوب عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال : « من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال فذاك صيام الدهر » رواه الجماعة إلا البخارى والنسائى ، ورواه أحمد فى حديث عن جابر وعن ثوبان عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « من صام رمضان وستة أيام بعد الفطر كان تمام السنة من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » (رواه ابن ماجه) ـ وبيانه أن الحسنة بعشر أمثالها فصيام رمضان بعشرة أشهر وصيام الست بستين يوماً وهذا تمام السنة فإذا استمر الصائم على ذلك فكأنه صام دهره كله . وفى الحديثين دليل على استحباب صوم الست بعد اليوم الذى يفطر فيه الصائم وجوباً وهو يوم عيد الافطار والمتبادر فى الاتباع أن يكون صومها بلا فاصل بينه وبين صوم رمضان سوى هذا اليوم الذى يحرم فيه الصوم وان كان اللفظ يحتمل أن يكون الست من أيام شوال والفاصل أكثر من ذلك ، كما أن المتبادر أن تكون الست متابعة وإن كان يجوز ان تكون متفرقة فى شوال فإذا صامها متتابعة من اليوم الثانى منه إلى آخر السابع فقد أتى بالأفضل ، وإذا صامها مجتمعة أو متفرقة فى شوال فى غير هذه المدة كان آتياً بأصل السنة ، وممن ذهب إلى استحباب صوم الست الشافعية وأحمد والظاهرية ، والمختار من مذهب الحنفية ، وكره صوم الست من شوال أبو يوسف والإمام مالك .

ومن هذا يعلم الجواب

•••

حكم صلاة الجمعة خلف المذياع

• من السيد م.ح.ز :

• المسجد القائم بمنطقتنا يتغيب الإمام عن بعض أيام الجمع . فلا نجد بُداً من الصلاة خلف المذياع لعدم وجود إمام .

فهل يجوز سماع القرآن والخطبة من جهاز المذياع ثم الصلاة بعد الخطبة خلف المذياع . أفيدونا أفادكم الله ؟

الجـواب :

ورد فى الحديث الذى رواه البخارى ، أن النبى ـ ﷺ ـ قال : (صلوا كما رأيتمونى أصلى) ولم يصل عليه السلام الجمعة إلا فى جماعة ، وكان يخطب خطبتين يجلس بينهما كما رواه البخارى ومسلم ، ولذا انعقد الاجماع على أنها لا تصح إلا بجماعة يؤمهم أحدهم . كما ذكره الإمام النووى فى المجموع . وقال ابن قدامة فى

المغنى أن الخطبة شرط فى الجمعة ولا تصح بدونها وانعقد اجماع الأئمة الأربعة على ذلك . وعلى هذا لا تصح صلاة الجمعة فى هذه القرية المسئول عنها بدون إمام ولا خطبة ، ولا يكفى فى ذلك سماع الخطبة وحركات الإمام من المذياع .. والله أعلم .

زواج المرأة من رجل وهى فى عصمة زوج آخر

• من السيدة ف.م.أ :

• تزوجت برجل مسلم بعقد زواج صحيح شرعى ، وبعد أن دخل بى ورزقت منه بأولاد تزوجت برجل مسلم آخر معتقدة أن الزوج الأول طلقنى ، وقد تبين أنه لم يطلقنى ولم يحصل من أحدهما أى سبب من أسباب الفرقة الشرعية .

فهل أبقى مع الزوج الأول ويكون الزواج بالرجل الثانى باطلاً لا يعتد به ؟ أرجو التكرم بالإجابة ونشكركم .

الجـواب :

متى كانت الزوجة المذكورة فى عصمة زوجها المذكور ولم يقع منه طلاق عليها ولم تنقض عدتها منه ، ولم يحصل من أحدهما سبب من أسباب الفرقة الشرعية . كان زواجها بغيره فى هذه الحالة غير صحيح شرعاً لأنها لم تزل باقية على عصمة زوجها الأول .

• السؤال من السيد م.ع.س :

• توفيت امرأة عن أم ، أخت شقيقة ، أخوة لأم ذكور واناث ، أخوة لأب ذكور واناث . فمن يرث وما نصيبه ؟

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد فنفيد بأن للأم السدس فرضاً لوجود عدد من الأخوة والأخوات ، وللأخت الشقيقة النصف فرضاً لانفرادها ولعدم من يعصبها أو يحجبها ، وللأخوة لأم الثلث فرضاً لعدم وجود من يحجبهم يقسم بينهم للذكر مثل الأنثى . والمسألة من ستة أجزاء للأم جزء واحد وللأخت الشقيقة ثلاثة أجزاء وللأخوة لأم جزءان ولا شىء للأخوة لأب لاستغراق الفروض التركة .

والله تعالى أعلم ..

الفتـــاوى

• السؤال من السيد أ.ع.ف :

• ما قيمة دية القتل الخطأ ، وكيف تحسب بالعملة المتداولة اليوم وما الحكم ؟

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

أما بعد فنفيد بأن دية القتل الخطأ هى ٤٢٢٠ جرام من الذهب عيار ٢٣ مضروبة فى سعر يوم اخراجها لمستحقيها .. والله أعلم .

• السؤال من سيد ع.ح.ف :

• شاب خطب فتاه وقدم لها شبكة ذهبية ، وبعد سنة قامت الخطيبة بفسخ الخطبة . ما حكم الشرع فى الشبكة المشروطة والمقدمة من الخاطب ؟

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد فنفيد بأن الشبكة جزء من المهر لا تستحقه المخطوبة إلا بالعقد عليها وما دام المخطوبة فسخت الخطبة فعليها أن ترد للخاطب الشبكة وليس لها حق فيها لأنها أجنبية .. والله تعالى أعلم .

الشعر
و
الشعراء

أهلاً بقدومك ياعيد

شعر : رشاد محمد يوسف

أهلاً بقدومك يا عيد — بالفرحة تغدو وتعود
تملأ بالبهجة ساحتنا — فقدومك يمن وسعود
أشرقت ضياءً وسناءً — وتهلل فجر موعود
وتعطر بالطاعة قلب — أرضاه صيامٌ وسجود
طوبى للصائم فرحته — يسرٌ وعطاءٌ ممدود
طوبى للقائم فى ليل — والمسجد حوض مورود
طوبى للمنفق إحساناً — ويداه يعطرها الجود
طوبى للسارى بالبشرى — والخطو عبيرٌ وورود
طوبى للمسلم أسعده — فضلٌ وسلوكٌ محمود

•••

والنفس تساءل حائرةً — هل حقاً يُسعدها العيد
والقدس جراح دامية — والشعب أسير وطريد
والأرض يهددها العدوان — وبطش بالأرض شديد
فالعيد تحررُ أوطانٍ — وسدودٌ تقهر وقيود
وأمان يغمر خاطرنا — يهواه قريب وبعيد
العيد النصر وعودتنا — للقدس وعود محمود
العيد البسمة للأطفال — وصبح حر وجديد
العيد الصحوة واعيةٌ — وسبيلُ حياة ونشيد
وجموع تعرف غايتها — والعزم قوى وسديد
العيد الوحدة شاملةً — مَغْنىً يحمله التوحيد
العيد الفجر ومئذنةٌ — ونداءٌ عذب غرّيد
العيد رضاء وسخاء — والعيش هنىً ورغيد

•••

يا رب تقبل دعوتنا — فرضاك الحق هو العيد
وانصر يا رب مواكبنا — كى تعلو للحق بنود

قلت للعراف

شعر : محمد عبد الرحمن صان الدين

قلـت للعـراف فـى جـو التجـلى والبخـورِ
والتهاويـل التـى قد .·. خـدَّرتْ وَعْـى الحضـور
كيـف تدْرِى ما توارى .·. خلِـف غَيْب عن بصير
قال : إن الجـن يأتينـى بأنبـاء الدهـور
قلت : إن الجن مثلى .·. عَىٌّ عن كشف المصير ..

•••

فانبرى لى ذو فتـون .·. من مريديـه يقـولُ :
إن علـم الشيـخ سر .·. ليس تدريـه عقـول
كم وكم من مشكـلات .·. منـه وافتهـا الحلـول
عنـده لِلغيـب كشـف .·. إنـه شـيخ جليـل
قلت : فضَّ اللـه فـاك .·. أيهـا الغِـرُّ الجهـول

•••

ما نبـىٌّ أو رسـول .·. خـاض فى علـم بغيْـب
إن ما بثـوهُ وَحْـىٌ .·. عنـه نـور الحـق يُنْبـىَ
أيهـا الإنسـان حَكِّـمْ .·. فى القضايـا شـرع ربـى
إنـه الينبـوع يـروى .·. من نعيـر كـلَّ قلـب
لا تـكن فى العيش غِـرّا .·. لعبـة فى كَف خـب[1]

•••

(١) الخب : المخادع .

حتى متى .. ؟

شعر : شوقى محمود أبو ناجى

أقبـــلتُ أفـــتشُ أوراق .. أسمع فيها رَجْـــع الماضى
أسطُرُهُــا .. زيّنها التاريـخُ بثــوب الخلــدِ الفضفــاض
لازال بأحرفهـــا نورٌ .. فى عدلِ الحاكـــم والقــاضى
وَقــفَتْ تنظـــر نحوى شزراً .. ثم تَوَلَتْ فى إعـــراضِ
وبكفِّــى دفتـــرُ أيامـــى .. يتهرأُ تحتَ الأنقــاضِ
أحرفُـــهُ باهتــةُ المضمـــونِ .. وإن لمعت بالأحماضِ !!

وذكــرتُ زمانــاً بزغتْ فيـــه الشمسُ على أفـــق المشرقْ
تنثر حبــاتِ النــورِ تمزقُ ثوبَ الظّلـــم وتتألـــقْ
كانت فيضاً من نور اللّـــهِ تضىءُ العـــالم أو تحرقْ
والتـــفَّ حواليها التـــاريخ ليغـــرف نوراً يتدفـــقْ
والـــفسق الآثم يهرب من عفـــو الـــرحمن ويتمـــزقْ
وارتشف النـاسُ رحيـقَ النـورِ أمانـاً بالحكمـة ينطـــقْ

وتراخــى الزمــن بأحفــادٍ صَمُّــوا عن أصوات الحكمـــهْ
وتسلَّــلَ تحتَ شعــاع الشمس نسيــجٌ من حَلَكِ الظلمـــة
كى يحجب أو يسترق النــور وينشر أشبـــاح العتمـــة
ويضل الأعيــنَ والخطـــواتِ ويطـــمسَ إشراق البسمـــهْ
واستبـق النــاس غثــاءً يفهـق بالدعــوات إلى اللقمـــة
بوجــوهِ باهتــةٍ رُسِـــمَت بشحــوب الذلـــة واللطمـــهْ

وأحـــاولُ أن أتسَـــوَّرَ ليـــل الهمّ فتنزلـــق الخطـــواتْ
كى أهـــوىَ فى قاع تتلـــوى بين جوانبـــهِ الآهاتْ
آهاتُ النشوة .. مثـل فحيـح الظلـم يدوس على الأنـــاتْ
ونشيـج الثُّكـلِ الواهـنِ والأطفـال الجوعـى والطلقـــاتْ
وأصختُ .. لعـل لهاث المتعـة لا يختلـط مع الصّلـــواتْ
فإذا حنجـــرة الكـــون تثـــاءب فيها الهمّ بلا نغمـــاتْ

وسمعت نداءً يصرخ بى : لا تلـــق بنـــفسك فى التيــــهِ
فالطُـــرُقُ مزالقهـــا تهوى بالسالك فيها ترديــــهِ
غيـــرَ سبيـــل ما زال بها نورٌ للقـــاصدِ يهديــــهِ
فالصبـــح المشرق منهجــــه .. يرسم بالحق نواحيــــهِ
بكتــاب اللّـــهْ .. هدىً ما ذل من استـــعصم من أهليــهِ
فإلام ـ بنـى الإسلام ـ نزيـــغ ونــور معالمنـــا فيـــهِ

شعر الأخنس بن شهاب التغلبي

جمع وتحقيق :
للأستاذ : أيمن محمد ميدان

ترجمته :

شاعر جاهلى قديم « قبل الإسلام بدهر »[1] ، كان رئيسا من رؤساء قومه حضر وقائع السلان وخزازى وحرب البسوس ، عده جورجى زيدان من الشعراء الأمراء[2] .

اختلف فى نسبه : فقد رواه أبو عكرمة : الأخنس بن شهاب التغلبى[3] .

ونسبه أحمد بن عبيد فقال : هو شهاب بن شريق بن ثمامة بن أرقم بن عدى بن معاوية بن عمرو بن غنم بن تغلب[4] . ونسبه غيره : قال هو فارس العصا[5] وهو الأخنس بن شهاب بن ثمامة بن أرقم بن حزابة بن أسامة بن بكر بن معاوية بن غنم بن تغلب[6] .

ويضيف محققا المفضليات : « وأخطأ صاحب القاموس[7] » إذ زعم أنه صحابى شبه عليه بالأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى حليف بنى زهرة ، واسمه أُبَىّ ولُقِّبَ بالأخنس لأنه رجع ببنى زهرة من بدر ... وشتان ما بين التغلبى والثقفى فى النسب والزمن . وأخطأ أبو عبيد البكرى[8] فظن أن بكير بن الأخنس هو ابن الأخنس التغلبى ، وذكر شعراً فى آل المهلب واستدرك عليه العلامة الراجكوتى الميمنى بأنه مشكل ، وأصاب جداً . والظاهر أن بكير بن الأخنس هو ابن الأخنس الثقفى ، وإن لم نجد له ترجمة وهذا أيضاً غير بكير بن الأخنس السدوسى الكوفى التابعى أحد رواة الحديث[9] .

أسر فى حرب كانت بينهم وبين زهير بن جنب الكلبى عند ماء يقال له « الحُبَىّ »[10] ، ومعه مهلهل وكليب وجماعة من فرسان بكر وتغلب وسراتهما ، وفى ذلك يقول زهير مُعَيِّراً بنى تغلب[11] :

أيـــن أيـــن الفـــرار من حذار المو ت إذ تتقـــــون لأسلابِ
إذ أسرنـــا مهلهـــلًا وأخــــاه وابـن عمـرو فى القيـد وابـن شهـابِ

وتوفى « بعد حرب البسوس بزمان نحو سنة ٥٦٦م »[12] على حد تعبير الأب لويس شيخو .

---

(١) شرح المفضليات لابن الأنبارى ص ٤١٠ .
(٢) تاريخ آداب اللغة العربية « جورجى زيدان » ١١٣/١ ، فى تاريخ الأدب الجاهلى ٢٨٢ .
(٣) شرح المفضليات لابن الأنبارى ص ٤١٠ .
(٤) الاشتقاق ص ٢٠٣ وشرح المفضليات لابن الأنبارى ص ٤١٠ .
(٥) العصا : فرس الأخنس الاشتقاق ص ٢٠٣ والآمالى ١٨٥/٣ . وأنساب الخيل فى الجاهلية والإسلام ص ٨٥ .
(٦) شرح المفضليات لابن الأنبارى ص ٤١٠ .
(٧) مادة (خ ن س) .
(٨) سمط اللآلى ص ٧٣٠ .
(٩) المفضليات ص ٢٠٣ .
(١٠) الحُبَىّ : ماء بأرض اليمامة .
(١١) أخبار المراقسة ص ١٦ .
(١٢) شعراء النصرانية ١٨٦/١ .

قال الأخنس بن شهاب :

لابْنَـــةِ حِطَّـــانَ بْنِ عَوْفٍ مَنَـــازِلٌ كَمَـــا رَقَّشَ الْعُنْـــوَانَ فى الـــرَّقِّ كَاتِبُ(١٣)

ظَلِلْتُ بها أُعْـــرِىٰ وَأُشْعَـــرُ سُخْنَـــةً كما اعتاد مَحْموما بِخَيْبَـــرَ صَالِبُ(١٤)

---

(١٣) حِطّان : فِعْلان من الحطِّ والنون فيه زائدة ؛ لذلك لا يصرف . ورقّش : نَمَّقَ وَحَسَّنَ . والعنوان وَالعُلْوَان : الأثر والعلامة . والرق بفتح الراء وكسرها : جلد رقيق يكتب فيه ، أو الصحيفة البيضاء .

يقول التبريزى فى شرح المفضليات « .. والشاعر لم يُشبِّه المنازل بالترقيش ، وإنما القصد فى التشبيه إلى أن مَثَّل ما بقى من آثار الديار وقد درست بكتابة درست فبقى بعضها ، وخفى بعضها .. » . وعلق محققا المفضليات على البيت بقولهما : « شبَّب بمحبوبته ، ونسبها لأبيها وجدها وهو محمد نادر التشبيب » .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢٠٤ وشرحها المفضليات لابن الأنبارى ٤١٠ وشرحها للتبريزى ٤٩٦ ، ومعجم البلدان ٢٧ ومنتهى الطلب ٢٦٤ ، ومعجم الشعراء ٢٧ . وبرواية ثانية فى شرح الحماسة لأبى العلاء ٨٣ ب :

فلابنة .... نَمَّقَ ....

برواية ثالثة فى حماسة أبى تمام ٢٩٩ ، وشرحها للمرزوق ٢/ ٧٢٠ وشرحها للتبريزى ٢/١٢٣ وشعراء النصرانية ١/١٨٤ :

فلابنة حِطَّان بن قيس .... نَمَّقَ ....

وقبله فى كل من : حماسة أبى تمام ٢٩٩ ، وشرحها للمرزوق ٢/ ٧٢١ وشرحها للتبريزى ٢/١٢٣ وشرحها لأبى العلاء ٨٣ ب :

فمـــــن يك أمس فى بلادٍ مُقامُـــــه يُسَائـــــل أطـــــلالًا لها لا تُجَـــــاوِبُ

وهذا البيت ورد بالرواية السابقة فى شرح الحماسة للمرزوق . وأشار إلى رواية « فى بلادٍ مُقَامَهُ » . وبرواية ثانية فى شرح الحماسة للتبريزى : « فى بِلادِ مُقَامَهُ » وأشار إلى رواية : « فى بلادٍ مُقامُه » ..

وبرواية ثالثة فى : شرح الحماسة لأبى العلاء ٨٣ ب :

مَنْ يك .... بلادِ مُقَامُهُ .... بها ....

(١٤) أُعْرى : أُفْعَلُ من العُرَواء ، وهى الرعدة تكون للحمى . وأشعر أى أُبطَن من ذاك أخذ الشّعارُ وهو الثوب الذى يلى البدن . قال الأصمعى : إنما خص خيبر لأن حمّاها أشد الحُمَّىٰ . والصالب : الحمَّىٰ التى معها صداع . وخيبر : محمة وحمّاها موصوفة بالشدة .

وعلّق التبريزى فى شرحه للمفضليات قائلًا : « اعتادنى من الوقوف على الدار ومايان من دروسها ما اعتاد المحموم بخيبر ... » وفى شرحه للبيت فى الحماسة أيضا قال : « وقفت بهذه المنازل فحممت وأرعدت لما أصابنى من الغم والتذكر فيها .... » .

• روى البيت بالرواية السابقة :

والمفضليات ٢٠٤ ، وشرحها لابن الإبنارى ٤١١ ، وشرحها للتبريزى ٤٩٧

• برواية ثانية فى منتهى الطلب « ٢٩٤ » :

______ وأشعر ______ ______________

• وبرواية سابقة فى :

حماسة أبى تمام ٢٩٩ ، وشرحها للمرزوق ٢/ ٧٢١ ، وشرحها للتبريزى ٢/ ١٢٣ . وشعراء النصرانية ١/ ١٨٤ :ـ

وقفت بها أبكى وأشعر سُخنة ______________

وأثار كُلٌّ من التبريزى ولويس شيخون إلى « سخنة » بضم السين وكسرها وكذا الرزوقى فى شرحه للحماسة .

• وبرواية رابعة فى شرح الحماسة لأبى العلاء ٩٨٤ .

وقفت بها أعزى وأشعر سخنة ______________

تَظَـــلّ بِهَـــا رُبْـــدُ النَّعَـــامِ كأنَّهـــا إمَاءٌ تَزَجَّـــى بالـــعَشِيِّ حَواطِبُ(١٥)

خَلِيـــلاىَ هَوْجَـــاءُ النَّجَـــاءِ مِشِمَّلَـــةٌ وَذُو شُطَبٍ لاَيَجْتَوِيـهِ الـــمُصَاحِبُ(١٦)

---

(١٥) رُبْد : جمع أرْبد وربداء ، والرُّبْدة : سواد فى بياض ، والنعام كلها رُبْد . تُزَجّى : تُدفَع أو تُساق . الإماء : جمع أمة . الحواطب : اللاتى يحملن الحطب . وإنما خص العش لأن الإماء يرجعن فيه إلى أهاليهن : وقد أعيين فهن يمشين على تؤدة .

يقول ابن الأنبارى فى شرحه : « أراد أن هذه الديار خالية ، فالنعام فيها مطمئنة .. » ويضيف التبريزى فى شرحه للمفضليات « ... وشبة النعام وهى أنفر الوحوش فى سكونها فى مرعاها ورفقها بنفسها فى مشيها لأمنها مما يذعرها ، ويزاحمها بإماء تساق محتطبا مثقلات بما جمعت من الحطب ، واحتملن بالعش راجعات إلى الحى معييات ... » .

ورد البيت بروايته السابقة فى :

المفضليات ٢٠٤ ، وشرحها : لابن الأنبارى ٤١١ ، وشرحها للتبريزى ٤٩٧ ، ومحاضرات الأدباء ٢/ ٢٩٨ ينسب للأخف وهو تحريف ، وشعر الأخطل ٣٧٧ ، ومنتهى الطلب ٢٩٤ .

● وورد برواية ثانية فى : حماسة أبى تمام ٢٩٩ ، وشرحها للتبريزى ٢/ ١٢٣ ، وشرحها لأبى العلاء (خ) ١٨٤ ، وشعر النصرانية ١/ ١٨٤ :ـ

تمشى ــــــ حولـــــ ــــــــــــــــــــ

الحول : جمع حائل وهى التى لم تحمل .

● وبرواية ثالثة فى « الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء » ٤٤

به ــــــــــــــــ ــــــــــــــــ

● وبرواية رابعة فى « الحيوان » ٤/ ٤١٤

ــــــــــــــــ ــــــ بِالْمَسَاء ــــــ

● وبرواية خامسة فى « العقد الفريد » ٥/ ٣٨٥

يُرْخَن ــــــــــــــــ

● وبرواية سادسة فى « محاضرات الأدباء » ٢/ ٢٩٨

ــــــــــــــــ إذا ما تزجّى بالعشى ــــــ

● وأشار ابن الأنبارى إلى رواية « تُزَجَّى » .

(١٦) الهوجاء : الناقة التى تركب رأسها فى السير . النجاء : سريعة ، والشملة : الخفيفة السريعة ذو شطب : يعنى السيف . والشُطَب كهيئة الخطوط فى السيف . لا يجتويه : لا يكرهه . والاجتواء الكراهة والاستثقال . والمصاحب : صاحب السيف .

يقول ابن الأنبارى « .. يقول خليلاى : ناقة أسير عليها وسيف قطب ..... » ويضيف التبريزى فى شرحه للحماسة « .. وهذا الكلام إشارة إلى أن أصحابه خذلوه ، ولم يروا مساعدته فى الوقوف على الديار .. » .

● ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢٠٤ ، وشرحها لأبن الانبارى ٤١٢ وشرحها للتبريزى ٤٩٨ ، والحماسة لأبى تمام ٢٩٩ ، وشرحها للمرزوق ٢/ ٧٢٢ ، وشرحها للمرزقى ٢/ ٧٢٢ ، وشرحها للتبريزى ٢/ ١٢٤ ، وشرحها لأبى العلاء ١٨٤ ، وشروح سقط الزند سفر ٢ قسم ١ ص ١٠٥ ، والأشباه والنظائر ٢/٢٨٣ ، وشعراء النصرانية ١/ ١٨٥ .

● وبرواية ثانية فى « منتهى الطلب » ٢٩٤ .

خليلىّ ــــــــــــ ــــــــــــــــ

وأشار ابن الأنبارى إلى رواية « ما يجتويه » .

● وزاد التبريزى فى شرحه للحماسة وأبو العلاء قبله :

وَقَدْ عِشْتُ دَهْراً وَالْغُوَاةُ صَحَابَتِى　　أولـئكَ خُلْصَانى الَّذِيـنَ أُصَاحِبُ(١٧)

رَفِيقًـا لِمَـنْ أعْيَـا وَقَلَّـدَ حَبْلَـهُ　　وَحـاذَرَ جَرَّاهُ الصَّدِيـقُ الْأَقَارِبُ(١٨)

فَأَدَّيْتُ عَنّى مَا اسْتَعَرْتُ مِنَ الصِّبَىٰ　　وَلِلْمَالِ عِنْدى الْيَوْمَ دَاعٍ وَكَاسِبُ(١٩)

خليلىَّ عُوجـا مِنْ نجـاءَ شِمِلَّـةٍ　　عليها فتـى كالسَّيْـفِ أرْوَعُ شاحِبُ

الأروع : الجميل . الشاحب : المهزول ، وقيل : المتغير اللون .

● وأضاف أبو العلاء البيت التالى بعده :

يَسْأَل رَبْـعَ الـدَّارِ حَبٌ مُتَيَّـمٌ　　أخـو قُفْـوَةٍ لَا تَحْتَوِيـه المَـذَاهِبُ

الحَبُّ المُتَيَّم : العاشق المشتاق الذى استولى عليه الحبُّ واستعبده .

(١٧) الغواة جمع غاو وهو الضِلّيل . وخُلصانى : خُلّانى وصفوتى ، وقوله : « الذين أصاحِبُ » أى أصاحبهم ، وقد حذف الضمير استطالة للاسم بصلته .

● ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢٠٤ ، وشرحها لابن الأنبارى ٤١٣ وشرحها للتبريزى ٤٩٨ ، والحماسة لأبى تمام ٣٠٠ ، وشرحها للمرزوق ٢ / ٧٢٣ ، وشرحها للتبريزى ٢ / ١٢٤ ، وشرحها لأبى العلاء ٨٤ أ ، والأشباه والنظائر ٢ / ٢٨٣ ، وشعراء النصرانية ١ / ١٨٥ .

● وبرواية ثانية فى منتهى الطلب ص ٢٩٤ :ـ

________　　______ خِلْصَانى ______

● وبرواية ثالثة فى البخلاء للجاحظ :ـ

________　　أولئك أُخْوَانى ______

● وبرواية رابعة فى الاختيارين :ـ　　° الأُخْدَانُ : واحدها خِدْن

وقد كنت غصْرا ______　　______ أخدانى ______　　وهوالصديق الذى يكون معك فى كل أمر ظاهر أو باطن

● وأشار ابن الأنبارى إلى رواية « أولائك خُلّانى » ، ورواية « أولائك أُخدانى » ، ورواية « وقد عِشْتُ تُمضّرًا » وأشار التبريزى فى شرحه للمفضليات إلى رواية .

(١٨) رفيقا : صاحبا . أعيا : يريد أتعب عاذليه وأجهدهم لعرامته . قلّد حبله : يريد أنه ترك ما يئس منه ، كما يفعل بالبعير إذا صعب قياده فألقى حبله على عنقه ، وترك يفعل ما يشاء . حاذر : اتّقىٰ . جرّاه : جريرته ، وهى جنايته . الصديق : يكون للواحد وللجمع ، وهو ههنا للجميع .

(١٩) هذا مَثَلٌ : أى كان ما كنت فيه مِن الجهل من الشيطان فلما أقلعت عن ذاك فكأن الجهل كان عندى عارية فرددتها . وأقبلت على مالى أصلحه وأرعاه ، وأطلب الزيادة فيه .

● روى بالرواية السابقة فى :

المفضليات ٢٠٤ ، وشرحها لابن الأنبارى ٤١٤ ، وأشار إلى رواية « وللمال مِنّى ... » . وشرحها للتبريزى ٤٩٩ . والحماسة لأبى تمام ٣٠١ وشرحها للتبريزى ٢ / ١٢٤ ، وورد فيه « فأدَّبْت ... » بالباء وأظنه خطأ مطبعياً أو تصحيفاً . والبخلاء ٢٥٥ .

● وبرواية ثانية فى شرح الحماسة للمرزوق ٧٢٤ :

________　　فَلِلْمَال ________

● ورد البيت بالرواية السابقة فى :

لِكُـلِّ أُنَــاسٍ مِنْ مَعَــدٍّ عِمَــارَةٍ   عَرُوضٌ إِلَيْهَا يَلْجَئُــونَ وَجَــانِبُ(٢٠)

● وبرواية ثالثة فى شرح الحماسة لأبى العلاء ٨٤ أ :
وَأُدِّيتَ ـــــــــ فَلِلْمَالِ ـــــــــ

● وبرواية رابعة فى منتهى الطلب ٢٩٤ :
ـــــــــ ـــــــــ مِنّى ـــــــــ

● وبرواية خامسة فى الاختيارين :
ـــــــــ فلِلمال مِنّى الْيَوْمَ ـــــــــ

● وبرواية سادسة فى شعراء النصرانية ١/ ١٨٥
فَأُدِّيتُ ـــــــــ الضُّبَا ـــــــــ

● ورد البيت بالرواية السابقة فى :

● المفضليات ص ٢٠٤ ، وشرحها لابن الأنبارى ص ٤١٣ ، وشرحها للتبريزى ٤٩٨ ، والآمالى للقالى ٢/ ٩٧ ، ومنتهى الطلب ٢٩٤ .

● وبرواية ثانية فى « الأشباه والنظائر » ٢/ ٢٨٣ منسوباً للأخنس ابن شريق :
ـــــــــ المُنَاسِبُ

● وبرواية ثالثة فى : حماسة أبى تمام ٣٠٠ ، وشرحها للمرزوق ٧٢٣ وشرحها للتبريزى ٢/ ١٢٤ ، وشعراء النصرانية :
قَرِينَة مَنْ أَسْفَىْ ـــــــــ

● وأشار ابن الأنبارى إلى رواية أحمد (قَرِينَة مَنْ أَغْيَا) ، وفى الاختيارين .

(٢٠) « العمارة : الحىّ العظيم يطيق الانفراد ، وكذلك العميرة . وقيل هما جميعا البطن والبصريون رووه بكسر العين وجرّ عمارة على أن تتبع لكل أناس .. والكوفيون رووه بفتح العين ورفع عمارة . والأصح الأول ويكون « عروض » مبتدأ . و « لكل إناس » فى موضع خبر » شرح المفضليات للتبريزى ٤٩٩ .

العروض : الحىّ العظيم الكبير ، والطريق فى عُرْض الجبل ، وهو ما اعترض فى مضيق والجمع العُرُض . وقيل : عروض الجبل شُعْبَة منه ... والعروض الأكمنة الصعبة .... والعروض : الناحية . ومعنى البيت : لكل طائفة من طوائف معد ناحية يأوون إليها وهضبة عزّ يتحصنون بها » شرح المفضليات للتبريزى ٤٩٩ .

روى البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢٠٤ ، وشرحها لابن الأنبارى ص ٤١٤ ومنتهى الطلب ص ٢٩٤ .

● وبرواية ثانية فى : مجمل اللغة ٣/ ٦٦٠ .
ـــــــــ عَمَارةٍ ـــــــــ يلجأون ـــــــــ

بفتح العين ، وأشار إليها التبريزى فى شرح المفضليات ص ٤٩٩ .

● وبرواية ثالثة فى : الأمالى ٢/ ٢٤٧ ، وفى سمط الآلى ص ٨٦٨
ـــــــــ عِمارةٍ ـــــــــ يلجأون ـــــــــ

بكسر العين .

وبرواية رابعة فى : حماسة أبى تمام ١/ ٣٠١ ، وفى شرحها للتبريزى ٢/١٢٥ ، وفى شرح المفضليات للتبريزى ٤٩٩ ، وفى شرح ديوان المتنبى للعكبرى ٤/ ٩٩٢ ، وفى « الصحاح » مادة عمر وفى لسان العرب (عرض) :

لُكَيْزٌ لَها الْبَحْرَانِ وَالسِّيفُ كُلُّهُ   وَإِنْ يَأْتِهَا بَأْسٌ مِنَ الْهِنْدِ كَارِبُ(٢١)

______ عِمَارةٍ ______

وعَلَّق صاحب الصحاح قائلًا : لكل حيّ حرزٌ إلا بنى تغلب فإن حرزهم السيوف ، وعمارة خفض لأنّه بدل من أناس . محمد رواه عُرُوض بضم العين جعله جمع عَرْض وهو الجبل . العروض : المكان الذى يعارضك إذا سرت .. » .

وورد البيت الثامن برواية خامسة فى « الأشباه والنظائر » ٢/ ٢٨٣ منسوباً للأخنس ابن شريق :

______ عِمَارةٍ حُصُونٌ ______

وبرواية سادسة فى : معجم ما استعجم ١/٨٦ وفى رسالة الصاهل والشاحج ص ٥٨٩ :

______ عِمَارةٌ ______

وأشار ابن منظور فى اللسان (عمر) إلى رواية سابعة للبيت هى :

______ عِمَارةٍ عُرُوض ______

وعلق « من رواه » عُرُوض .. بضم العين جعله جمع عَرْض وهو الجبل والبيت للأخنس » .

(٢١) لُكَيْز (بالتصغير) : ابن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دعمى بن جديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار بن معدّ . من العدنانية . البحران : البلاد المعروفة بهذا الاسم حتى يومنا هذا . السِّيف بكسر السين : ضِفَّة البحر . كارب : فاعل من الكَرْبِ وأصل الكرب شدّة الأمر . « ويريد بالهند ها هنا السِّنْد ، ويقال البصيرة ، وكان صقعها تسمية العرب قديما بهذا الاسم » معجم ما استعجم ١/ ٨٦ .

• وروى بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢٠٥ ، وشرحها لابن الأنبارى ٤١٤ وشرحها للتبريزى ٤٩٩ ، وصفة جزيرة العرب ١/ ٢٠٥ ، والأشباه والنظائر ٢/ ٢٨٣ ومنتهى الطلب ٢٩٤ .

• وبرواية ثانية فى « فى شرح الحماسة » لأبى العلاء ٨٤ أ :

______ خطْبٌ من الدَّهْرِ ______

الخطْبُ : نوائب الزمن .

• وبرواية ثالثة فى معجم ما استعجم ١/ ٨٦ .

______ يَغْشَها ______

• وبرواية رابعة فى معجم البلدان (قَضبة) وشعراء النصرانية ١/ ١٨٥ :

______ دَونَهُ   وَإِنْ يَأْتِهِم نَاسٌ مِنَ الْهِنْدِ هَارِبُ

• وأشار ابن الأنبارى إلى رواية خامسة :

______ جُلٌ مِنَ الْهِنْدِ ______

الجُلُّ والجَلُّ : ما تلبسه الدابة لتُصَان به .

• وأشار ابن الأنبارى ٤١٥ إلى رواية سادسة :

______ دَونَها   وَإِنْ يَغْشَهَا ______

من أعلام الأزهر

الشيخ عبدربه مفتاح

محمد طاهـر الزنكلونى

عالم جليل ومجاهد دينى كبير ولد بعزبة مفتاح من قرى مركز إطسا بمحافظة الفيوم . ثم التحق بمعهد القاهرة الدينى وأكمل تعليمه بالأزهر وعند تخرجه عين إماما بالأوقاف بمسجد الغندور بشارع سوق السلام بالقاهرة . وعندما انشىء قسم الوعظ والإرشاد بالأزهر سنة ١٩٢٨ م عين مفتشا عاما له ، وكان الوعاظ قبل ذلك يعملون فى مصلحة السجون لإرشاد وتوجيه المنحرفين فلما نقل إلى الأزهر ، وتولى الشيخ عبد ربه إدارته نهض به نهضة واسعة فعمد إلى اتساع حركته لتغطى أنحاء القطر جميعه بعد أن كان قاصرا على الوجه البحرى فقط ، ولم تعد مهمته محصورة فى وعظ المنحرفين وإنما توسع الشيخ فى أنشطته ونهض برسالته فحمل الوعاظ مسئولية نشر الدعوة الاسلامية والثقافية والمعرفة بين الناس ومحاربة البدع والخرافات وتقوية الوعى الوطنى وتقويم السلوك الاجتماعى وإرساء أسس الفضيلة ، هذا إلى جانب دورهم فى هداية الضالين ومحاربة الجريمة .

وكان للشيخ أكبر الأثر فى النهوض بثقافة الوعاظ وتوجيههم بما كان ينظمه من لقاءات بهم وبما يُعِدُّ من منشورات ويصدره من توجيهات .

وقد نشرت الأهرام فى عددها الصادر فى ١٧ مارس سنة ١٩٣٠ مجموعة من هذه المنشورات التى كان يَعُدُّها فضيلته ويزود بها الوعاظ ليسيروا على هديها ويترسموا خطاها فى وقت كانت البلاد فيه تعانى من الانقسامات الحزبية والاحتلال الأجنبى وننقل بعضا منها ليتعرف القارىء من خلاله على دور الشيخ القيادى والتربوى ومدى ماكان عليه من سعة الأفق ، وسلامة المنهج ، وجمال الأسلوب وحسن العرض .

يقول فى منشور كان قد أرسله إلى الوعاظ فى ٣ سبتمبر سنة ١٩٢٩م .

إن الإسلام دين إجتماع واتفاق لا دين اختلاف وافتراق .. وفى البلد اليوم شيع وأحزاب فكونوا للناس جميعا .. ولا تتشيعوا فتذهب ريحكم .. واعلموا أن الداعى قدوة للعامة محسوب عليه أقواله وأفعاله ، وأن العمل أفضل فى تهذيب النفس من القول مهما سمت أساليبه ، وبلغت عظاته ، فلتطابق أفعالكم أقوالكم فتجملوا بحسن السمت وصالح العمل حتى تبلغ عظاتكم من القلوب محلها المروم ، وانتهزوا لمواعظكم وإرشادكم الفرص المناسبة فَاغْشَوْا مجالس السمر ومحال العبادة والنوادى والمآتم والأفراح .. ولتكن وسيلتكم ضمان النفع ، وتحقيق الاتعاظ ومحاسن الذوق ولطف الأساليب ورعاية المناسبات فالبسوا لكل حالة لبوسها ، ولاتشتدوا فى مواطن اللين ، فإن للنفوس شذوذا وجموحا .... وحددوا مقاصدكم وأوضحوا بيانكم وأعمدوا إلى أصول الدين ومعالمه .. فاجعلوا لها المقام الأول ، ولا تطيلوا فتملوا ولا تقصروا فتضيعوا .. الواعظ سياسى ... وطبيب معالج فإن لم يسبق تفكيره قوله ولم يداو الداء بالدواء الناجع ذهبت جهوده ..

وفى منشور وزعه على الوعاظ فى ١٩ سبتمبر سنة ١٩٢٩م يقول لهم :

« وعلى حضرتكم أن تصدروا فى كل ماتأتون وما تدعون ... غير متأثرية بأية عاطفة » حتى يكون سلاحكم فى إصلاح العامة الخير المجرد والدعوى إلى سبيل الله بالحسنى وعزوا الحق فإن الحق ينصر من ناصره . ويكبت من ناوأه ، ولئن بدا وعر المسلك شديد المرّاس فإن سبيله إلى نجاح ، واربئوا بأنفسكم عن مواطن النقاش والمنازعات -- فإنها -- مفسدة للقلوب ..

وهذه المنشورات تذكرنا بمنهج الرعيل الأول من الخلفاء والقواد ممن كانوا يزودون عمالهم بالنصائح والتوجيهات وهى ترتفع فى أسلوبها إلى مصاف الأساليب الأدبية العالية عند أمثال عبد الحميد وابن المقفع والجاحظ وغيرهم من أساطين الأدب فى عصوره الذهبية ..

ولم يقف دور الشيخ فى النهوض بالوعظ والإرشاد عند هذا الحد ، وإنما قام بتأسيس « مجلة نور الإسلام » لسان علماء الوعظ والإرشاد ، وتولى إدارتها ورئاسة تحريرها وجعل منها منبراً للدعوة الإسلامية وإرشاد الأمة إلى دينها ، ومحاربة البدع ، ومقاومة الفساد الاجتماعى والإلحاد فى الدين .

ولم يقتصر فى الكتابة عليها بل كان يكتب فى مختلف الصحف التى كانت تصدر فى مصر ، وخاصة (الأهرام) التى لم يكن يخلو عدد منها من مقال له أو مقابلة تجريها معه ..

من أعلام الأزهر

ولم يترك مجالًا يقاوم منه الانحراف ويقوم به الأخلاق إلا طرقه وولجه ، فكان صوته يجلجل فى كل مكان يدعو إلى الفضيلة ، وينادى بالإصلاح ، ويندد بالإنحراف والمنحرفين .

حارب الشعوذة والدجل وأدعياء التصوف كما حارب الأفكار المستوردة المسمومة والتيارات الهدامة .

كتب فى (صحيفة السياسة) عدة مقالات بين فيها « خطر كتب المتصوفة المرتزقة ودعا إلى مصادرة هذه الكتب التى تخرج على الدين وتضر بالحقيقة .

وعندما أصدر طه حسين كتابه « الشعر الجاهلى » هب لتفنيد ماتناثر فيه من زيغ ومطاعن وعدوان على الحقيقة والتلبيس فيها .

وامتاز -- رحمه الله -- بقوة النفس والجراءة فى الحق لايتملق ولا يصانع ولا يتوارى فى مواطن الاقدام والمخاطرة عرف عنه إخوانه الصراحة فى الحق والصدق فى النصيحة والجراءة فى النهى عن المنكر والاعتزاز بكرامة العلم والعلماء وله مواقف عديدة تشهد بقوته فى الحق وإيمانه بمسئولية الداعى الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لا يرده عن قولة الحق خوف سلطان أو جبروت حاكم، أعلن النبيل عباس حليم فى الصحف عن وليمة للغداء الساعة الثالثة فى شهر رمضان ، ودعا إليها كبار الحكام فهاجمه الشيخ علانية فى الصحف وعلى المنابر وأعلن الملك غضبه على النبيل وعدم رضاه عما فعله ، ودعى لحضور حفل زفاف وكان أصغر الحاضرين سنا ، ولما بدأ الحفل رأى راقصة تدخل القاعة فأنتفض واقفا وخرج من الحفل دون استأذان وكانت له حملة على صفوت باشا وزير الأوقاف لعدم استبداله السجاد بحصر الأزهر ، وإساءته فى اللفظ إلى العلماء فأقاله الملك .

ولم يتنكر لإخوانه العلماء ذوى قضية الفصل المشهورة التى أحاطت بسبعين عالما وظل يجاهد حتى استطاع بمشيئة الله ثم بمعونة حافظ عفيفى (باشا) وإسماعيل صدقى (باشا) رئيس الوزراء أن يستصدر قرارا بعودتهم إلى أعمالهم .

تميز -- رحمه الله -- بالوطنية والتضحية ، وعمل (سكرتيرا) للجمعية الشهيرة فى حرب ومقاومة الاحتلال (اليد السوداء) وقد هاجم جنود الاحتلال داره أكثر من مرة فى محاولة للقبض عليه وعلى زملائه ، ولقد اضطره موقفه هذا أن يتنكر فى غير زيه ليتمكن من الاتصال بزملائه المعتقلين ، وكان لجهاده هذا أثره فى تعبئة الجماهير وتوحيد الصفوف ضد المحتلين . وقد أعترف بدوره هذا الأستاذ إبراهيم عبد الهادى باشا أحد زعماء الثورة (ورئيس السعديين) فيما بعد وذلك فى مذكراته التى نشرتها (روزاليوسف) فى مايو ١٩٨٢ ، وكان الشيخ عبد ربه مفتاح إلى جانب ذلك أديبا يهتم بالأدب ويخصص له جانبا من وقته يتفرغ فيه للقراءة والبحث وكان بيته ملتقى الأدباء يلتقون فيه فى أوقات محددة يتدارسون ويتباحثون فى شئون الأدب والفكر وألوان المعرفة وَكَّونَ مع لفيف من العلماء

والأدباء جمعية علمية أدبية أطلق عليها أسم (إخوان الصفا) وجعل من بيته مقرا لها وكان من بين أعضائها الشيخ شلتوت والشيخ العدوى والشيخ محمد عبد اللطيف دراز والشيخ محمود أبو العيون والشيخ حامد محيسن والدكتور إبراهيم سلامة الذى تولى عمادة كلية الآداب بجامعة القاهرة فيما بعد وظل رحمه الله ورضى عنه يجاهد جهاد العلما ويناضل نضال الأبطال حتى وافاه الأجل سنة ١٩٣٨ ميلادية فهبت مصر كلها تنعى عالمها المجاهد وتبكى فقيدها العظيم وامتلأت الصحف برثائه فى مقالات تكشف عن مكانته فى النفوس ومنزلته فى القلوب ومكانه بين العلماء العاملين والمجاهدين البررة وأسوق هنا شيئا من رثاء أقرب الناس إليه وأعلمهم به وأكثرهم معرفة بصفاته ذاك صديقه الفاضل الشيخ محمود أبو خيرة الذى كتب يرثيه فيقول : عنوان « مات رجل والرجال قليل » .

نشأ الفقيد الراحل أزهريا ممتازا ثم أفادته دروس الزمن وتجاريب الأيام حنكة ومرونة وسرعان ماتجلت عبقريته وتألق نجمه فى العلم والأدب .

فلقد كان كاتبا ماهرا وأديبا عظيما وهاهى ذى كتاباته التى كان يصدر بها مجلة نور الإسلام لسان حال الوعظ والإرشاد ، وفى كثير من الصحف اليومية نموذج طيب للمنطق السليم والفكرة الصحيحة فى أساليب أدبية رائعة تأخذ بمجامع القلوب وتحرك أنبل العواطف والشعور وتشهد بطول الباع وسعة الاطلاع هذا إلى ماكان له من ذكاء الموهوبين وصفات المؤمنين وسمات الصالحين ..

كان حاد الزهن حاضر البديهة.... له قوة فى الدين وإيمان فى يقين وصبر فى شده وطلب فى حلال ونشاط فى هدى يعفو عمن ظلمه ويعطى من حرمه ويصل من قطعه ، يحسن على الضعيف ويحدب على الفقير يحمل بين جنبه قلبا لايعرف الحقد والحسد ونفسا لاتنزع إلى الشر .... صريحا جريئا .

يقول الحق .... ولايخشى فيه لومة لائم يعتصم بعزة نفسه وكرامته يأبى الضيم .... وفير التواضع طيب العشرة محبوب من إخوانه وجميع مواطنيه ، مكتبه مورد لجميع الطبقات ومحط رجال أصحاب الحاجات وبيته ندوة العلماء وملتقى الأدباء والفضلاء .... الخ

رحم الله الشيخ عبد ربه مفتاح وجزاه عن الإسلام والأزهر والمسلمين خير الجزاء .

التأصيل الإسلامى لعلم الجبر

ا.د. أحمد فؤاد باشا

يرجع الفضل فى تأسيس علم الجبر وتطويره إلى كثير من علماء الحضارة الإسلامية النابهين أمثال الخوارزمى وشجاع بن أسلم والبوزجانى والقلصادى وعمر الخيام وغيرهم ، وعنهم انتقل هذا العلم بلفظه العربى الأصيل إلى جلّ اللغات الأجنبيّة Algebra ، وأصبح بعد ذلك يُطلق على علم المعادلات الجبرية بوجه عام .

الخوارزمى مؤسس علم الجبر :

عرف المصريون القدماء بعض المعلومات التى يمكن أن نطلق عليها حلولًا لمسائل تدخل فى إطار الحساب الجبرى . فقد حوت « بردية رنـد » Papyrus Rhind ، على سبيل المثال ، مسألة حسابية نصّها كما يلى :(1)

« ما هو العدد الذى إذا أُضيف إليه رُبْعُه يصبح ١٥ » .

وكانت طريقة الحل أن يُفرض عدد يقبل القسمة على « أربعة » ، ويُختار أولًا العدد الأساسى « ٤ » فيكون رُبْعه « ١ » والمجموع هو ٤ + ١ = ٥ ، ثم يقسم على هذا المجموع القيمة المعطاة فى المسألة وهى « ١٥ » فينتج « ٣ » . ويضرب هذا الناتج فى العدد الانطلاق يُعثر على الحل المطلوب ، أى ٣ × ٤ = ١٢ .

وهذا النوع من المسائل هو ما نعبّر عنه الآن فى علم الجبر بمعادلة خطية من الدرجة الأولى على الصورة :

$$\text{س} + \frac{\text{س}}{٤} = ١٥$$

حيث يرمز الحرف س إلى العدد المجهول المطلوب إيجاده .

كذلك عرف البابليون ذلك النوع من المسائل التى يقتضى حلها وجود معادلة من مجهول واحد أو مجهولين . كما عرف عرب الجاهلية شيئا من هذا الفن ، ورددوه كثيرا فى شعر الألغاز والأحاجى ، على نحو ما نجد فى قول النابغة :

واحكمْ كحكم فتاة الحى إذْ نظرتْ
إلى حمامٍ سراعٍ وارد الثمدِ
قالت : ألا ليتما هذا الحمام لنا
إلى حمامتنا مع نصفه فقدِ
فحسّبوهُ فألفوْه كما ذكرتْ
تسعًا وتسعين لم تنقُصْ ولم تزدِ
فكمّلت مائةً فيها حمامتها
وأسرعت حسبةً فى ذلك العدد !!

وتعبر هذه الأبيات عن مسألة مشابهة تمامًا لمسألة الحاسب المصرى القديم التى ذكرناها ، ويمكن أن نعبّر عنها هذه المرة بمعادلة جبرية على الصورة :

$$\text{س} + \frac{\text{س}}{٢} + ١ = ١٠٠$$

ومنها يمكن إيجاد المجهول س = ٦٦ وهو عدد الحمام الذى رأته فتاة الحى التى أعجب النابغة بمدركها الاستقرائى .

لكن مثل هذه المحاولات التى قام بها القدماء لم تكن فى حقيقة الأمر إلا مسائل من نمط المشكلات التى قابلها الحاسب القديم فى حياته العملية ، أو احتاج لتطبيقها فى حساب مساحات زراعية أو توزيع مواد غذائية أو تقسيم أموال أو محاصيل وما إلى ذلك . وكان الأسلوب المستعمل فى التعامل مع هذه المشكلات هو أسلوب التلمس القائم على تكرار المحاولة والخطأ فى كل مسألة على حدة فى سبيل الوصول إلى الحل الصحيح . ودليلنا على ذلك أن المخطوطات القديمة لم تستعمل رموزا (مثل س ، ص) تحمل معنى التعميم الذى يميز المعادلة الجبرية ، ومن ثم فهى ـ أى المخطوطات القديمة ـ لم تنقل إلى البشرية اللاحقة إلا المحاولات التى نجحت فقط . كما أننا ـ من ناحية أخرى ـ لم نعثر على مؤلف واحد فى علم الجبر عند قدماء الاغريق والهنود رغم أبحاثهم المستفيضة فى مسائل الحساب والهندسة .

وعلى هذا الأساس ، فإن ما قدمناه من سرد لحقائق تاريخ الرياضيات يجعلنا لا نتردد فى اعتبار « كتاب الجبر والمقابلة » ، الذى وضعه محمد بن موسى الخوارزمى ، عبقرى الحضارة الإسلامية ورئيس بيت الحكمة فى عصر المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨ هـ) ، أول كتاب فى هذا العلم دون منازع ، وأول مرجع لأهل الاختصاص والمؤلفين فيه بعد ذلك من عرب وأعاجم فى الشرق والغرب ، ولا يقلل من شأن الخوارزمى أنه أطلع على معارف من سبقوه وألمَّ إلماما واعيا بكل

---

(1) رتبة تاتون ، تاريخ العلوم العام ، المجلد الأول ، العلم القديم والوسيط من البدايات حتى سنة ١٤٥٠م ، ترجمة د. على مقلد ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

التأصيل الإسلامى

تفصيلاتها ، فعبقريته الفذة قد تجلت فى ابتكار علم جديد من معلومات مشتتة وغير متماسكة ، فضلا عن أنها جعلت منه علما تطبيقيا يفيد فى تلبية احتياجات المجتمع الإسلامى . ومثل هذه العبقرية الإسلامية لا تقل بأى حال من الأحوال عن عبقرية عالم شهير مثل « اسحق نيوتن » ، ذاع صيته بسبب كتابه المعروف باسم « برنسيبيا » Principia الذى ضمنه قوانين حركة الأجسام . ذلك أن كثيرا من المعلومات الواردة فى كتاب نيوتن كان معروفا لأهل زمانه وقبل أهل زمانه ، ولكن أحدا قبله لم يقم بتنظيم شتات هذه المعلومات وصوغها فى صورة علم منسق ذى وحدة ظاهرة . وكذلك الحال فيما يتعلق بالخوارزمى وعلم الجبر[٢] . وقد ذكر ابن خلدون فى مقدمته ما يوافق هذا الرأى ، فقال عند الكلام عن علم الجبر والمقابلة أنه : « صناعة يُستخرج بها العدد المجهول من قِبَل المعلوم المفروض إذا كان بينهما نسبة تقتضى ذلك ... وأول من كتب فى هذا الفن « أبو عبد الله الخوارزمى » ، وبعده « أبو كامل شجاع بن أسلم » ، وجاء الناس على أثره فيه ، وكتابه فى مسائلة السِّتّ من أحسن الكتب الموضوعة فيه ، وشرحه كثير من أهل الأندلس .. » .

منهج الخوارزمى فى البحث والتأليف :

عرف الخوارزمى فى كتابه « الجبر والمقابلة » جميع عناصر المعادلة الجبرية كما نفهمها اليوم ، فشرح معنى الحد المعلوم والمجهول والمطلق والعدد الأصم وفكرة الأسّ ، واللوغاريتمات والكميات السالبة والموجبة والتخيلية ومعادلات الدرجة الأولى والثانية وطرق حلها .. وذكر أن الأعداد التى يُحتاج إليها فى حساب الجبر والمقابلة على ثلاثة ضروب وهى : جذور وأموال وعدد مفرد فالجذر منها كل شىء مجهول مضروب فى نفسه من الواحد ومافوقه من الأعداد ومادونه من الكسور (وهو مايرمز له فى الجبر الحديث بالرمز : س) والمال كل مااجتمع من الجذر المضروب فى نفسه (أى مربّع الجذر أو الشىء : س^{٢}) .

والعدد المفرد كل ملفوظ به من العدد بلا نسبة إلى جذر ولا إلى مال (أى الحدّ الذى لاجذر معه) فمن هذه الضروب الثلاثة مايعدل بعضها بعضا . مثال ذلك قولك : ثلاثة أشياء وأربعة من العدد تعدل مالا (أى ٣س + ٤ = س^{٢}) .

وفى هذا الكتاب وضع الخوارزمى أصول علم الجبر وقواعده وخرج به من نطاق الأمثلة المفردة إلى المعادلة العامة التى تسهل حل المسائل الحسابية المتشابهة طبقا لقاعدة معينة ، وظلت كلمة « الجبر » الدالة على هذا العلم محتفظة بأصلها العربى فى جميع اللغات الحديثة ، وهى تعنى نقل الحدود السالبة من مكانها فى أحد طرفى المعادلة الجبرية إلى الطرف الآخر ، أما المقابلة فتعنى حذف الحدود المتشابهة فى الطرفين[٣] مثال ذلك :

---

(٢) راجع فى ذلك :

ـ الخوارزمى محمد بن موسى ، كتاب الجبر والمقابلة ، تحقيق على مصطفى مشرفة ومحمد مرسى أحمد ، القاهرة ١٩٣٧ م . ولقد سبقنا الغربيون إلى نشر كتاب الخوارزمى والتعليق عليه ، كما سبقونا إلى نشره بالعربية سنة ١٨٣١ م .

ـ قدرى حافظ طوقان ، تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ، دار الشروق (بدون تاريخ نشر)

(٣) تجدر الإشارة هنا إلى وجود بعض الخلاف بشأن تعريف الجبر والمقابلة فى كتب التراث فقد ذكر التهانوى فى كتاب كشاف اصطلاحات الفنون أن « الجبر حذف المستثنى (أى الحدود المنفيّة أو السالبة) من أحد المتعادلين (أى من أحد طرفىْ المعادلة) أى المتساوين وزيادة مثله .. أى مثل ذلك المستثنى ـ على المتعادل الآخر (أى نقله إلى الطرف الآخر من المعادلة بعد تبديل إشارته) .. مثاله مال إلا خمسة أشياء يعدل ستة ، فحذف خمسة أشياء من المتعادل الأول وهو مال إلا خمسة أشياء وقيل : حذف المستثنى من أحد المتعادلين جبر وزيادة مثله على المتعادل (الآخر) تعديل ، وقيل : إسقاط (حذف أو اختزال) المشترك (الحدود المتشابهة) بين المتعادلين هى المقابلة وذكر ابن خلدون فى مقدمته : « ويقع العمل المفروض فى المسألة فتخرج إلى معادلة بين مختلفين أو أكثر من هذه الأجناس فيقابلون بعضها ببعض ويجبرون مافيها من الكسر حتى يصير صحيحا » .. وحقيقة الأمر أن كل هذه المعانى واردة عند حل أى معادلة جبرية .

المعادلة الجبرية $س^٢ + ٢ س - ٥ = س$

تصبح بالجبر $س^٢ + ٢ س = س + ٥$

وتصبح بالمقابلة $س^٢ + س = ٥$

وانتقل الخوارزمى بعد ذلك إلى الجانب العملى الخاص بتطبيقات علم الجبر فى الحياة العملية وجعله كتابا مستقلا يشتمل على الكثير من الأمثلة المحلولة بطرق جبرية تمكن الناس من الاستفادة منها والقياس عليها فى مسائلهم المتعلقة بالمعاملات والوصايا والمواريث وغيرها . وعن هذا الجزء التطبيقى قال الخوارزمى : « وقد شجعنى الإمام المأمون أمير المؤمنين على إيضاح ماكان مستبهما وتسهيل ماكان مستوعرا ، فألفت من حساب الجبر والمقابلة كتابا مختصرا حاصرا للطيف الحساب وجليلة لما يلزم الناس من الحاجة إليه فى مواريثهم ووصاياهم ، وفى مقاسمتهم وأحكامهم وتجاراتهم ، وفى جميع ما يتعاملون به بينهم من مساحة الأراضى وكَرْى (أى تطهير) الأنهار والهندسة وغير ذلك من وجوهه وفنونه ، مقدما لحسن النية فيه ، راجيا أن ينزله أهل الأدب ، بفضل ما استودعوا من نعم الله تبارك وتعالى وجليل آلائه وجميل بلائه ، عندهم منزلته ، وبالله توفيقى فى هذا وفى غيره ، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » .

ولعلنا نجد فى هذا النص مايوضح بجلاء صدق علماء المسلمين وإيمانهم الخالص بالله سبحانه وتعالى وصلتهم الوثيقة بكتاب الإسلام الخالد الذى يحثهم على تحصيل العلم النافع لخير المسلمين والناس أجمعين .

ويوضح الخوارزمى كل هذه المعانى التى يقصدها قصداً فى كتابه الرائد حيث يقول : « ولم تزل العلماء فى الأزمنة الخالية والأمم الماضية يكتبون الكتب بما يصنفون من صنوف العلم ووجوه الحكمة نظرا لمن بعدهم واحتسابا للأجر بقدر الطاقة ورجاء أن يلحقهم من أجر ذلك وذخره وذكره وأن يُبقى لهم من لسان الصدق مايصغُر فى جنْبه كثير مما كانوا يتكلفونه من المؤونة ويحملونه على أنفسهم من المشقة فى كشف أسرار العلم وغامضه : وهُم إما رجل سبق إلى مالم يكن مُستخرجاً قبله فورَّثه مَنْ بعده ؛ وإما رجل شرح مما أبقى الأولون ماكان مُستغْلِقاً فأوضح طريقه وسهَّل مسلكه وقرَّب مأخذه ؛ وإما رجل وجد فى بعض الكتب خللاً فلمَّ شعثه وأقام أوده وأحسن الظن بصاحبه غير رادٍّ عليه ولا مفتخرٍ بذلك من فعل نفسه »[٤] إن هذه العبارات تعكس بصدق أهم ملامح الشخصية العلمية فى عصر النهضة الإسلامية متمثلة فى التحلى بأنبل الصفات وضرب المثل الطيب فى حب العلم والمثابرة على البحث العلمى ، والترفع عن الصغائر ، والاجتهاد فى كشف أسرار العلم وغامضه مما يعود على الناس بالنفع والخير ، والابتعاد عن الغرور وتسفيه آراء الآخرين ، والتمسك بالأمانة العلمية عند النقل أو النقد ، والزهد فى المال والسلطان ، وابتغاء الأجر من الله تعالى .

مآثر أخرى لعلماء المسلمين فى علم الجبر :

تلقف علماء الحضارة الإسلامية معادلات الخوارزمى وحاولوا تطويرها وتعميمها وتصنيفها بحسب درجاتها وبحسب عدد الحدود التى فيها .. فألف شجاع ابن أسلم الحاسب المصرى كتابا أسماه « كمال الجبر وتمامه والزيادة فى أصوله » .

شرح فيه بعض ماغمض فى كتاب الخوارزمى ، ثم زاد شيئا فى أصول الجبر ومسائله وجاء أبو الوفاء البوزجانى فشرح كتاب « ذيوفانْطس » اليونانى فى الحساب وكتاب الخوارزمى فى الجبر والمقابلة واستطاع عمر الخيام حل المعادلات الجبرية من الدرجة الثالثة والرابعة ، كما بحث فى نظرية ذات الحدَّين وأوجد قانونا لفكوك مقدار جبرى ذى حدّين مرفوع إلى قوة أُسُّها أكثر من أثنين وأضاف غياث الدين الكاشى فى هذا

(٤) عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٧ .

راجع أيضا مؤلفنا « التراث العلمى للحضارة الإسلامية » ، القاهرة ١٩٨٤ .

التأصيل الإسلامى

المجال مايعتبر أساساً لما قام به إسحاق نيوتن بعد ذلك من تعميم لنظرية ذات الحدين إلى أى أسّ حقيقى كسر أو عدد صحيح موجب أو سالب .

أما فيما يختص بالرموز الجبرية فإنها لم تظهر فى التراث العلمى الإسلامى إلا على يد العالم الأندلسى أبو الحسن على بن محمد القلصاوى (المتوفى فى المغرب عام ١٤٨٦ م) الذى تمكن من وضع مجموعة متطورة من الرموز الجبرية العربية ، والانتقال من لغة الكلمات إلى لغة الرموز فى التعبير عن المعادلات والقواعد الجبرية . وقد يبدو للبعض أن استحداث التعبير بالرموز أمر قليل الأهمية ولايدخل فى صلب المفاهيم الأساسية والنواحى النظرية لعلم الجبر ، وهذا أعتقاد خاطىء تماما لأن استعمال الرموز قد ساعد بدرجة كبيرة على تبسيط إجراء العمليات الحسابية والجبرية ، بل إن تأخر تحقيق هذا الإنجاز الهام كان سببا أساسيا فى تباطؤ تطور العلوم الرياضية عامة وعلم الجبر بصورة خاصة(٥) .

وهناك أيضا إضافات هامة قدّمها علماء أفذاذ أمثال نصر الدين الطوسى وأبى بكر الكرخى وبهاء الدين العاملى والسموأل المغربى وعبدالله ابن الحسن الحاسب وسنان بن الفتح الحرانى وغيرهم . وعندما اطلع الغربيون على علوم المسلمين اتخذوا منها أساسا لدراساتهم ، واعتمد عليها كبار العلماء أمثال ليونارد البيزاوى وتارتاجليا وكاردان وفيزارى وغيرهم فى تطوير موضوعات الجبر العالى وتقدم علم الجبر الحديث .

---

(٥) لتوضيح أهمية الرموز فى لغة العلم عموماً نورد الفقرة التالية من كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمى : « وأنا مخبرك كيف تضرب الأشياء ـ وهى الجذور ـ بعضهَا فى بعض : إذا كانت منفردة ، أو كان معها عدد ، أو كانت مستثناة من عدد .. فإن قيل : عشرة إلا شيئا فى عشرة وإلا شيئا فى عشرة يكون عشرة أشياء ناقصة ، وإلّا شيئا ، فى إلّا شيئا ، مال زائد ؛ فيكون ذلك مائة ومالاً إلا عشرين شيئا ، إن هذه العبارة الجبرية الطويلة تناظر مانعبر عنه اليوم بالرموز فى معادلة جبرية على الصورة التالية :

(١٠ – س)(١٠ – س) = ١٠٠ + س^2 – ٢٠ س

العقم ٣

للدكتور/ أحمد رجاء عبد الحميد

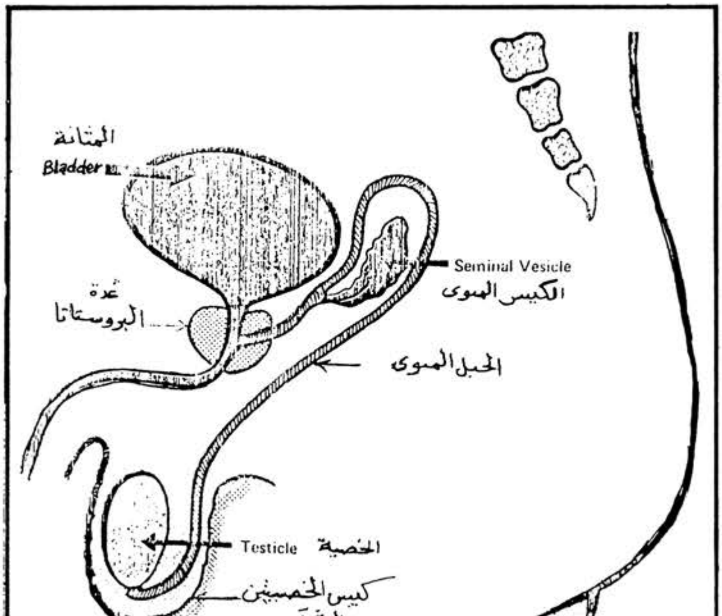

رسم مبسط للأعضاء التناسلية للرجل

انتهينا ـ فى العدد قبل الماضى ـ من الحديث عن « الجهاز التناسلى للمرأة » حيث أحطنا القارىء علماً تفصيليا بهذا الجهاز ، وحتى يتم لنا مدخل علمى للحديث عن « التشخيص » و « العلاج » نقدم ـ فى هذا العدد تفصيلاً تشريحياً للجهاز التناسلى عند الرجل فيتم ـ بذلك ـ الحديث العلمى عن العقم .

العقـــم

الجهاز التناسلى للرجل :

يتكون هذا الجهاز من :

(ا) الذكر : وهو ــ بدوره ــ يتكون ــ داخلياً ــ من ثلاثة أعمدة ممتدة طولياً :

الأول : يتكون من نسيج إسفنجى ، وتوجد به قناة مجرى البول (الإحليل) ويمتد حتى رأس الذكر .

والثانى ، والثالث : يتكونان من نسيج كهفى ، ويمتدان خلفياً لِيُكَوِّنا جسم الذكر ، وهذه الأنسجة غنية بالأوعية الدموية ، وعند التهيج الجنسى تتسع الشرايين فيندفع الدم بغزارة فى الأوعية الدموية فتنتفخ الأنسجة وتتصلب .

والذكر ــ فى حالته العادية حيث لا هيــاج جنسى ــ يبلغ طوله (٦ ــ إلى ــ ٨ سم) أما عند الانتشار (الانتصاب) فيبلغ هذا الطول (١١ ــ إلى ــ ١٦ سم) فى المتوسط ورأس الذكر (الحشفة) أعلى أجزائه ، ويتركز فى الرأس الأطراف العصبية الحساسة ، وأكثرها حساسية المنطقة الدائرية ، أى قاعدة الرأس وبخاصة الجزء الأسفل منها ، وتتميز بشرة الجلد التى تغطيه بنعومة الملمس وشدة الحساسية ، وجلده عموماً قليل السمك .

(ب) الخصيتين :

وهما الغدتـان التناسليتـان للرجـل ، ويقابلهمـا المبيضان لدى المرأة ، ويجمعهما (الصفن) وهو كيس جلدى له قابلية التمدد والانكماش حسب حالة الجو ، ويوفر هذا الكيس للخصيتين درجة حرارية مناسبة ، نحو (٣٥ درجة مئوية) وتعتبر تلك الدرجة الحرارية أحد الأسباب لوجود الخصيتين خارج البطن ؛ لأنهما تحتاجان إلى درجة حرارية أقل مما يحتاجه الجسد .

وتتكون الخصية من حِبَال ملتفة حول بعضها تسمى : الأنابيب ، يبلغ عددها فى كل خصية ألف أنبوبة ، كل منها مبطن بطبقات دائرية من الخلايا التناسلية التى تزيد فى النضج كلما اتجهنا إلى قلب الأنبوبة ، ويحتوى قلب الأنبوبة على عدد هائل من الخلايا الجنسية الذكرية ، أى الحيوانات المنوية التى تتكون بأن تتخذ الخلية لها ــ بمشية الله ــ ذنباً طويلاً

ويتكون الحيوان المنوى من رأس وذيل ، والرأس مغموسة فى مادة مغذية تنتجها الخلايا الأم ، وتصب الأنابيب المنوية لكل خصية إنتاجها من الحيوانات المنوية فى كيس صغير خلف الخصية يسمى « الكيس المنوى » وهذا ــ بدوره ــ يفرز مادة دهنية تسهل حركة الحيوان المنوى ، ومن الكيس المنوى يمتد حبل المنى الذى يحمل الحيوانات المنوية ليلتقى بمثيله الآخر عند « البروستاتا » ويصل طول الحبل المنوى إلى نصف متر .

(جـ) البروســتاتا :

غدة توجد أسفل المثانة البولية ، تخترقها قناة مجرى البول عند خروجها من المثانة ، ولها هى الأخرى إفرازات تضاف إلى السائل المنوى .

(د) الحويصلتين المنويتين :

وهما غدتان مستطيلتا الشكل ، توجدان خلف « البروستاتا » تقومان بإفراز سائـل مخاطى يمتـزج بإفرازات « البروستاتا » والكيس المنوى ، والحيوانات المنوية ليعطى التكوين النهائى للسائل المنوى .

(هـ) السائل المنوى :

يتكون من الحيوانات المنوية ، والسائل المحيط ، والناتج من إفـرازات « البروستاتـا » والحويصلـتين المنويتين ، والقناة المنوية ، ويكون طبيعياً فى الأحوال الآتية :

الحجـــم = ١ : ٥ سم^{٣} ، التعـــادل : ٧,٤ (قلوى) .

اللزوجة = لزج ، ويصير سائلاً بعد نحو عشرين دقيقة .

الحركة عند القذف لا تقل عن ٧٠٪ ، ثم تبدأ فى النزول بعد ذلك ، ويظل الحيوان المنوى قادراً على

الإخصاب فى الرحم لمدة ثلاثة أيام بعد القذف ، كذلك يظل حياً إلى فترة تصل إلى أسبوع .

العدد وعلاقته بالحمل :

هناك اختلاف كثير فى تحديد العدد الكافى من الحيوان المنوى لإحداث الحمل ، على أن أحدث الدراسات تؤكد أن العدد الكلى يجب ألا يقل عن (٥٠) خمسين مليون من الحيوانات .

الشكل : يجب ألا تزيد نسبة الأشكال غير الطبيعية عن (٤٠٪) أربعين فى المائة ، وتقلل الإفرازات الحامضية للمهبل الحيوانات المنوية ، ولكنها تعيش لفترة طويلة فى إفرازات عنق الرحم ، وتسير الحيوانات المنوية ضد التيار بسرعة نحو (١سم) فى الساعة ، وتستطيع الوصول إلى البويضة لتلقيحها بواسطة حركتها الذاتية .

كيف يحدث الحمل ؟ :

لكى نتعرف أكثر على أسباب تأخر الحمل يجب أن نعلم كيف يحدث الحمل :

تتلخص فسيولوجياً الإنجاب فى تكوين البيضة فى مبيض المرأة ، وتكوين الحيوانات المنوية فى خصية الرجل ، ثم خروج البيضة الناضجة من المبيض بما يسمى بـ (التبويض) ويحدث ذلك فى يوم معين من الدورة الشهرية وهو اليوم الرابع عشر قبل ميعاد أول يوم فى الدورة الجديدة ، فإذا حدث الجماع بين الرجل والمرأة حول هذا اليوم فإن الحيوان المنوى يلتقى بالبيضة فى الجانب الخارجى من (قناة فالوب) فتتكون (النطفة) التى ترتحل فى (قناة فالوب) خلال أول يومين حتى تصل إلى تجويف الرحم فتعلق بجداره ، وبذلك يبدأ الجنين (الحمل) أول حياته .

ونبدأ هنا مناقشة تلك المراحل منفردة :

١ ـ التبويض : تكوين البويضة أثناء كل دورة شهرية يكون المبيض تحت تأثير الهرمُونَيْنْ النخاميَّين L.H ، F.S.H ، وهما : هرمون لتنشيط البيضة ، والهرمون الاصفرارى (مخرج البيضة) ، وخلال النصف الأول من الدورة يكون المبيض تحت تأثير هرمون لتنشيط البيضة الذى يقوم بتنشيط أكثر من بيضة واحدة ليدب فيها النشاط والنمو بعد فترة الكمون ، ويتراوح هذا العدد بين ٩ : ١٢ بيضة ، لكن واحدة أو اثنتين فقط هما اللتان تبلغان مرحلة النضج الكامل بينما تضمر الأخريات ، وباكتمال نمو البيضة نكون قد وصلنا تقريباً إلى نصف الدورة الشهرية ثم يبدأ عمل هرمون (L.H.) (مُخْرِج البيضة) الذى وظيفته إخراج البيضة (إحداث التبويض) وتخلف البيضة مكانها جرابًا فى المبيض ، يسمى ـ بعد خروج البيضة منه ـ (بالجسم الأصفر) الذى يتولى مهمة :إفراز هرمون البروجستيرون الذى يؤدى وظيفتين رئيسيتين بالنسبة لحركة (قناة فالوب) أثناء رحلة البيضة والنطفة بعد ذلك وكذلك بالنسبة لتجهيز بطانة جدران الرحم لاستقبال النطفة .

٢ ـ انتقال الحيوانات المنوية :

فى وقت التبويض يتجهز عنق الرحم بواسطة هرمون الاستروجين مكوناً مخاطَ عنق الرحم بوفرة مما يجعله يتدلى إلى جدران المهبل ، فتتمكن الحيوانات المنوية ـ عند انطلاقها فى النهاية من الجماع ـ من تسلق هذا المخاط لتصعد إلى داخل تجويف الرحم مروراً بقناة عنق الرحم ، ومما يسهل من هذه العملية أن هذا المخاط بتأثير هرمون الاستروجين يتكون بداخله ما يشبه الأنابيب الشعرية الدقيقة فتصبح كالممرات تسرى بها الحيوانات المنوية إلى عنق الرحم ، ومنها إلى داخل الرحم ، ويكون عدد الحيوانات المنوية فى البداية عدة ملايين حتى يصل إلى الرحم منها مئات الألوف ثم يصل تجويف الرحم منها عدة آلاف يصل منها إلى (قناة فالوب) عدة مئات فقط تتجهُ إلى الطرف الخارجى لقناة فالوب لملاقاة البيضة حتى يستطيع واحد منها فقط اختراق البيضة تاركاً ذيله خارجها وتتجه نواته لملاقاة البيضة .

٣ ـ الإخصـاب :

وهـو يعنـى : عمليـة اختـراق الحيـوان المنـوى للبييضة ، وهى عملية معقدة حيث يفرز الحيوان المنوى مواد أنزيمية تذيب جدار البييضة فيستطيع اختراقه وتدخل نواة الحيوان المنوى إلى سائل البييضة ، ثم يحدث لها انقسام ثنائى نموى وبذلك تصبح نواة الحيوان المنوى تحتوى على ٢٣ (كروموزوم) وكذلك نواة البييضة (٢٣) كروموزوم ، وبإندماجهما تتكون أول خلية للجنين وتكون حاملة للصفات الوراثية للوالدين .

٤ ـ تكوين اللاحقة :

بعد حدوث الإخصاب وانقسام نواة خلية البييضة ونواة خلية الحيوان المنوى انقساماً اختزالياً ينتج عنهما جسمان قطبان يحملان النصف الآخر للصبغيات (الكروموزمات المنقسمة) وينموان جانباً فى الخلية الملقحة ، بعد ذلك يتحد القسمان الأساسيان ويكونان الخلية الملقحة (اللاحقة) وبذلك تحمل صفات الأم والأب بداخل الصبغيات .

٥ ـ تبدأ اللاحقة بعـد ذلك فى الانـقسام بالتضاعف أى تنقسم إلى خليتين ، والخليتان إلى أربعة ، والأربعة إلى ثمانية ، ويتم ذلك خلال ثلاثة أيام مكوناً النطفة ، وخلال هذه الأيام تتحرك الخلية الملقحة داخل تجويف قناة فالوب بواسطة الأهداب الداخلية للقناة حتى تصل بها إلى تجويف الرحم الذى تكون بطانته مجهزة لاستقبال النطفة (بواسطة هرمون البروجيسترون) لتنغمد فيها .

٦ ـ انغماد النطفة :

عند وصول النطفة لتجويف الرحم تكون بطانة الرحم مجهزة على شكل حُفَر بتأثير هرمون البروجستيرون فتنغمد النطفة فى إحدها ، ثم تنغلق عليها تلك الحفرة ، وتبدأ النطفة فى الالتحام بجدار الرحم لتستخدم الشعيرات الدموية مكونة أول اتصال مع دم الأم لتتغذى عليه ، ويكون مكان هذا الاتصال بداية تكوين المشيمة فى المستقبل ، وتأخذ هذه المرحلة ما بين ثلاثة إلى أربعة أيام ، وتسمى النطفة هنا بـ (العلقة) .

٧ ـ نمو الجنين :

بعد استقرار العلقة بجدار الرحم ـ ويكون هذا فى اليوم السابع من حدوث (التبويض) ـ يبدأ نمو العلقة بتكوين (التجويف الامينوسى) وبنهاية اليوم العاشر تكون العلقة قد بدأت فى الاستقرار الغذائى بالاتصال مع دم الأم ، ويبدأ النمو حتى مرحلة تكوين الحوصلة المُحَيَّة وذلك فى اليوم الثالث عشر ، وعند حلول اليوم السادس عشر يكون الحبل السرى قد تكون فتبدأ مرحلة الجنين ويستمر الحمل فى النمو حتى نهايته .

الجديد في العلم والتقنية

اعـــداد :

د. نجوى السيد أحمد

• الكشف عن النفايات النووية بطريقة آلية :

ابتكر خبراء احدى الشركات الفرنسية جهازاً آلياً حديثاً لمراقبة أنفاق النفايات النووية المدفونة فى قاع البحر . والجهاز مزود بأجهزة قياس وتحكم وبوصلة وجهاز لقياس الضغط ودرجات الحرارة وآخر لاستشعار معدل الاشعاع النووى وقياس التآكل فى الأغلفة الخارجية . ويتم إنزال الجهاز إلى قاع البحار عن طريق مصعد صمم خصيصاً لهذا الغرض .

• محركات بحجم شعرة الإنسان :

أعلن فريق من المهندسين فى جامعة كاليفورنيا عن بناء أصغر محركات (Micromotors) لا يفوق عرضها شعرة الإنسان . وتعمـــل هذه المحركات بطاقـــة كهروستاتيكية ، ولقطرها البالغ حوالى ٧٠ ميكرومتراً أسنان مثلّمة (Notched) صغيرة لا يتجاوز حجمها حجم كرة الدم الحمراء . وقد استعمل المهندسون تقنيات ومواد مماثلة لتلك المستخدمة فى بناء رقائق السليكون . وبسبب هذا التشابه ، فقد يكون دمج هذه المحركات بالدوائر الألكترونية المتكاملة ممكناً . وهناك تقريراً من المؤسسة الوطنية للعلوم يشير إلى انه قد يكون لهذه المحركات الدقيقة تطبيقات عدة فى الطب والصناعة . فعند الأشخاص المعرضين لأزمات قلبية مثلاً ، قد تكشط هذه المحركات الدقيقة الترسبات الدهنية بعيداً . كما قد يتم بواسطتها استعمال المقصات والمناشير المجهرية فى العمليات الجراحية الدقيقة لشبكية العين على سبيل المثال .

• ساعة لمراقبة القلب :

تم إنتاج ساعة عند الضغط على ذر خاص بها يظهر على شاشة صغيرة كل من معدل سرعة النبض ومعدلى ضغط الدم الانبساطى والانقباضى ، بالإضافة إلى مسح دقيق جداً لتخطيط القلب تستطيع هذه الساعة خزن ثلاثين قراءة لحالة القلب مع تاريخ ووقت تسجيلها .

• جهاز للكشف عن تزوير العملة :

ابتكر الأمريكيون جهازاً جديداً فى حجم القلم للكشف عن العملات الورقية النقدية المزورة ويمكن استعماله للتأكد من سلامة العملة بسهولة ودقة . الجهاز له القدرة على اكتشاف الجسيمات المغناطيسية المخبأة فى واجهة كل أوراق العملة الأمريكية .

• الأنسولين البشرى خطر على مرضى السكر

أثبتت دراسة طبية بريطانية أن مرضى السكر الذين يعالجون بالأنسولين البشرى المستخلص بأسلوب الهندسة الوراثية معرضين للإصابة بأعراض جانبية خطيرة أكثر من الذين يعالجون بالأنسولين المستخلص من الحيوان . وأشارت الدراسة إلى أن المرضى تعرضوا لمشاكل صحية بعد أن حولوا علاجهم من الأنسولين الحيوانى إلى الأنسولين البشرى .

• جهاز للتحذير من الاشعاعات الخطرة

توصل العلماء إلى انتاج جهاز جديد يوصل بالكمبيوتر مهمته قياس نسبة الاشعاعات الصادرة عن شاشة الكمبيوتر ، وفى حالة تجاوزها الحدود المسموح بها يطلق صفارة انذار . والجهاز الجديد يمكن إستخدامه لقياس نسبة الاشعاعات فى أى عنصر كان حجراً أو معدناً أو سائلاً بالاضافة إلى أى إشعاع يصدر عن تلوث نووى .

• كاميرات فيديو ضد الاهتزاز :

قدمت شركة يابانية آلة تصوير « الفيديو » المقاومة للاهتزازات التي تمكن مستخدمها من التصوير دون أى ارتجاج أو اهتزاز فى الصورة . وتصلح هذه الكاميرات للمصورين الذين قد يواجهون مشاكل فى الاهتزاز خارجة عن سيطرتهم كالتصوير خلال سير السيارة أو من فوق طائرة مروحية .

• كتاب الكترونى للجيب :

الكتاب الالكترونى أحدث ابتكار فى عالم الكمبيوتر وهو عبارة عن جهاز متطور يغنى عن الكمبيوتر الشخصى ويخزن ما يعادل ٢٠٠ ألف صفحة وحوالى ٢ مليون معلومة . الكتاب يمكن أن يكون دائرة معارف أو قاموس جيب وزنه أقل من ٥٥٠ جراماً ويمكن وضعه فى الجيب أو السيارة ، كما يمكن لرجال الأعمال والموظفين والطلاب استخدامه كمصدر للمعلومات . تضم لوحة الأزرار ٢٦ حرفاً وشاشته الصغيرة تعرض مقالاً من ١٥ حرفاً أفقياً وعشرة أحرف رأسياً .

• الفوائد الطبية للفجل :

قام فريق بحثى من قسم التغذية بالمركز القومى للبحوث بدراسة على الفجل للتأكد من أنه مخفض للسكر ، وأكدت النتائج أن تناول الفجل مع الطعام يخفض السكر بنسبة ٣٠٪ حيث انه يعمل على ارتفاع نسبة الأنسولين فى الدم ويفرز مركبات كبريتية تشابه الأنسولين . وأظهرت النتائج أيضاً أنه يحتوى على نشويات ومعادن وقليل من البروتين وبذلك فإن تناول الفجل يقلل من استهلاك مريض السكر للطعام بنسبة ٢٥٪ .

• الفاكس الملون :

أنتجت إحدى الشركات اليابانية أول جهاز فاكس يرسل ويتسلم الرسائل والوثائق الملونة . الجهاز الجديد يقوم بإرسال الألوان الأربعة الرئيسية الأحمر والأخضر والأصفر والأسود والتى تتركب منها الألوان الأخرى لتطبع بواسطة الفاكس المتسلم وبدرجة عالية من الدقة تبلغ حد ٤٠٠ نقطة فى البوصة الواحدة .

استخدام زيت النخيل كوقود :

نجح علماء معهد بحوث زيت النخيل فى ماليزيا فى استخدام زيت النخيل كوقود لمحرك السيارات بعد أن قامت شركة ألمانية بتعديلات على المحرك ، والاستخدام الجديد يوفر ٣٠٪ من تكلفة استهلاك الوقود بالمقارنة بإستخدام زيت الديزل ويقلل من تلوث البيئة .

تصـــويب

وقع فى افتتاحية عدد رمضان ص (٩٩٣)
خطأ فى بيت الأعشى :
إذا أنت لم ترحل بزادٍ من التقى .. وقد نشر خطأ
إذا أنت لم ترحل بزاد التقى ..... الرجا التصحيح

من روائـــع الماضى بمجلة الأزهــر

أين المسلمون اليوم من الإسلام

للأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات

اعداد وتقديم/ عبد الفتاح حسين الزيات

نعم شتان بين واقع المسلمين اليوم وواقعهم أمس ، بالأمس كان المسلمون ينزعون عن قوس واحدة نحو هدف محدد هو : إعلاء كلمة الله ونشر دعوة التوحيد ، بالحكمة والموعظة الحسنة . دستورهم القرآن ورائدهم الإخلاص ، وأمنيتهم أن تكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، وأن يسود الإخاء والمحبة والتراحم ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ديار الإسلام شرقا وغربا .

أما اليوم فالفكر مشتت والهدف مشوش والركائز واهنة . وما ذلك إلا بسبب ضعف النفوس وقلة الإخلاص وضآلة المحصول العلمى . وتوزع الأغراض وتنوع الأسباب ما بين شخصى أو دينى . وتلك ـ والله ـ عظيمة فى حق الإسلام وعراقيل توضع فى طريقه . بحسن نية أو بسوء نيه الله أعلم . فلو قسرنا أنفسنا على التخلص منها أو على الأقل تخطيها ربما نكون قد وضعنا أقدامنا مرة أخرى على الصراط المستقيم ،

قال الأستاذ رحمة الله تعالى عليه :

أصبح من المعلوم فى بدائه العقل الحر أن الدين الإسلامى هو الصورة الكاملة لشرائع الله ، والقوة المهذبة لقوانين الطبيعة . وضع فيه شارعه الأعظم وهو فاطر الأرض ، وواهب الحياة ، ومنزل الوحى ، أسس القواعد التى تكفل للعالم نظامه وسلامه ، وللمجتمع وحدته وقوته ، وللفرد سعادته وكرامته ، مهما يتطاول الأمد وتتغير الحال . ومن غير الله جلت قدرته يفجر نور الهدى للأرض من غار مظلم موحش ، ويبجس نبع الحياة للناس من جبل مجدب وعر ؟ وهل كان لولا وحى الله فى غار حراء من جبل النور ، فى مقدور أمى نشأ ربيب اليُتم والعُدم فى قرية جاهلة من قرى الحجاز المقفر ، أن يعلن فى أوائل القرن السابع حقوق الإنسان وحرياته ، وهى الحقوق التى أعلنت بعضها فرنسا فى أواخر القرن الثامن عشر بعد الثورة ، وأعلنت بعضها أمريكا فى أواسط هذا القرن بعد الحرب ؟

وما كان لبشر سليم الفطرة أن يستريب فى أن الدين الذى أكمله الله لنبيه ، ورضيه لخلقه ، ونسبه إلى نفسه ، هو وحده مصدرا لخير المحض ، ومظهر الكمال المطلق ، وسبيل الغاية التى يجد عندها ابن آدم المكدود المجهود نفسًا من كربه ، وراحة من تعبه ، وسكينة من اضطرابه ؛ تلك الغاية التى كان يراها ، منذ هبط العاصى من الجنة ، حداً لشقائه ونهاية لألمه ، فكان يتشوف إليها من وراء الغيوب ، ومن خلال القرون ، فلا يراها ، لا فى الحروب التى شن ، ولا فى النظم التى سن ، ولا فى الشرائع التى اعتقد ، حتى أراد الله للأغب الضال أن يهتدى ويسترفه ، فكان محمد هو المنار ، وكان الإسلام هو المرفأ !

إن من المبادىء التى ميزت الإسلام التوحيد وهو سبيل القوة ، والإخاء وهو سبيل التعاون ، والمساواة وهى سبيل العدل ، والحرية وهى سبيل الكرامة ، والبر وهو سبيل المحبة ، والسلام وهو سبيل الرخاء . وكل هذه المبادىء معلومة من القرآن بالنصوص الصريحة ، فلا موضع فيها لتأويل أو تحميل أو تعسف .

وهى كما ترى تضمن أفضل ما فى الديمقراطية ، وأعدل ما فى الاشتراكية ، وأجمل ما فى المدنية ؛ فهى حرية أن تصلح ما فسد من أمور الناس ، وأن تقيم ما اعوج من نظام الدنيا . وقد كانت كذلك يوم كان لحماتها دولة ، ولدعاتها صوت ، ولمعتقديها يقين ، فلما دالت الدولة ، وخشع الصوت ، وأراب اليقين ، تمزق المسلمون قطعانا فى فدافد الأرض ، لا مرعى يجود ، ولا راع يذود ، ولا حظيرة تؤوى . ثم كانوا بتخلفهم عن ركب الحياة حجة على الإسلام فى رأى السفهاء من مرضى الهوى أو الجهل ، فصموا عن دعائه ، وعموا عن ضيائه .

أين المسلمون اليوم من إسلام عمر وخالد ، والرشيد والمأمون ، والناصر والحكم ، والعزيز والحاكم ؟ ألم يبلغ هؤلاء بفتوح الجيش وفتوح الدين وفتوح العلم وفتوح الخلق من السلطان والعمران ما لم تبلغه أمة من قبل ، فنزل على حكمهم الدهر ، ودخل فى ملكهم العالم ؟

إن الدين الذى رفع هؤلاء السادة والقادة إلى الذروة ، وضمن للخلافة فى عهودهم العزة والمنعة والقوة ، لا يزال هو الدين ، لا يغيره الزمن ، ولا تجافيه الطبيعة ، ولا يعاديه العلم ، ولا تنسخه المذاهب ؛ وانما الأمر فيه كما قال الرسول صلوات الله عليه : « مثل ما بعثنى به الله من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا ، كان منها طائفة طيبة قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير . وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله به الناس ، فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة منها أخرى ؛ إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ » .

والمسلمون اليوم هم هذه القيعان ، تحدرت إلى ما ركد فيها من سلسل الوحى عكارات المذاهب الطارئة ، ورواسب العقائد الخاطئة ، فكان منها ذلك الخلط العجيب الذى يعوق عن السعى ويمنع من النظر ويصد عن الفكر ؛ ثم كان من أثره أن نرى اليوم مواطن العروبة والإسلام : مراكش والجزائر وتونس

من روائع الماضى بمجلة الأزهـــر :

وليبيا ومصر وفلسطين وسورية والعراق وإيران وباكستان والصين وأندونيسيا وسائر جزر الهند الشرقية ، قد أصبحت نهباً مقسما بين دول الاستعمار يتنازعون فيه ، ويتقاتلون عليه ، وليس من أهلها من يقول فيسمع قوله ، أو من يفعل فيخشى فعله ، وإنما هم أشياء كثروة الأرض ، خسارة على المغلوب وربح للغالب .

لقد تغيرت عقائد الإسلام الحرة النقية فى نفوس الكثرة من المسلمين كما يتغير الشراب الخالص فى الإناء القذر ! أنحلت الأخلاق فلا تتماسك فى قول ولا فعل ، وتقاطعت القلوب فلا تتواصل فى دين ولا وطن ، واستأثرت النفوس فلا تتعفف فى صداقة ولا نسب ، واستبهمت المذاهب فلا تستبين بنجم ولا شمس ؛ وأصبحت غاية الدين فى رأيهم مظاهر من العبادة لا تخدع ، وظواهر من البدع لا تنفع ، وأقاويل من الوعظ لا تدل .

من يصدق أن المسلمين اليوم يفقهون القرآن حق الفقه ، وهو الكتاب المبين الذى يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويهديهم إلى صراط مستقيم ، وكل انتفاعهم منه أن يحملوه للحفظ كما تحمل التمائم ، وأن يقرءوه للبركة كما تقرأ الأوراد ، وأن ينشدوه للطرب كما تنشد الأغانى :

من يصدق أن المسلمين اليوم يقدرُون الرسول حق القدر ، وهو الذى قال فيه أصدق القائلين « وإنك لعلى خلق عظيم » « وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما ، وكل ما يمدحونه به أن يرفع المؤذن عقيرته فى الأذان بالصلاة على « مليح الوجه » وأن يتغنى منشد سيرته المطهرة بحمرة خديه وسواد عينيه ، كأن الصباحة والوسامة والرواه هى كل ما يمتاز به محمد نبى التوحيد والوحدة ، ورسول السلام والمحبة وداعى الحرية والكرامة ! لقد أنف عبد الملك ابن مروان أن يمدحه ابن قيس الرقيات بقوله يأتلق التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب .

فقال له : وماذا من الفضل فى تألق التاج ونصاعة الجبين ؟ هلا مدحتنى بمثل ما مدحت به مصعب بن الزبير إذ تقول فيه :

إنما مصعب شهاب من الله
تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك عزة ليس فيه
جبروت منه ولا كبرياء

ثم حرمه عطاءه العمر كله . والفرق بين فضل الرسول وفضل الخليفة كالفرق بين الجبل والذرة ، أو بين الشمس والشرارة !

من يصدق أن المسلمين اليوم يؤمنون بالإسلام وفيهم من يؤمن بالشيوعية وأهلها يزعمون أنهم أعلم من الله بأحوال خلقه ، وأعدل منه فى تقسيم رزقه . ثم يقولون بكل وسيلة من وسائل القول : كل شىء مشاع ، وكل أمر مباح ، وكل إرادة طلقة ! والمسلمون يسمعون هذه الأضاليل تبث فى الإذاعة ، وتنشر فى الكتب ، وتردد فى المجالس ، فيرهفون لها سمع الغبى ، وتدفعهم شهوة الإباحية إلى أن يشتروا الضلال بالهدى ، ويستبدلوا الخبيث بالطيب ، ويؤثروا أن يكونوا كالذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم .

والعلة فى كل اولئك هى الجهل التام والعلم الناقص ، فلو أن المسلمين اعتقدوا بربهم اعتقاد المؤمن ، وفقهوا دينهم فقه المقتنع ، واتبعوا رسولهم اتباع المصدق ، لما أصبحوا فى الحال التى تنبأ بها الرسول صلوات الله عليه إذ قال : « يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة الى قصعتها ، ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن ، فقال قائل : أو من قلة نحن يا رسول الله يومئذ ؟ قال : لا إنكم حينئذ لكثير ؛ ولكنكم غثاء كغثاء السيل ! فقال قائل : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهة الموت » .

* * *

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾

بلى ، والحمد لله قد أنى للمؤمنين أن يكشفوا عن العيون غشاوة الباطل ، ويجلوا عن القلوب صدأ الغفلة ، فيبصروا الطريق ويستبينوا الغاية . وإن فى يقظة الوعى الإسلامى التى بدت فى تعاطف المسلمين على البعد ، وتناصفهم فى القرب ، وتحالفهم على الأحداث ، لأشعة من تباشير الصباح ، قبلها الليل المظلم ، وبعدها النهار المشرق . ولعل الأزهر وحده هو الذى يملك أن يقوى هذا الوعى ويوجه هذا الشعور .. إذا عمر الصدور بالإيمان الخالص عن طريق التعليم فى المدارس ، والوعظ فى المساجد ، والنشر فى الصحف ، والحديث فى الإذاعة ، والنظر قبل ذلك كله فيما يقرأ المسلمون من كتب ، وفيما يدرس المتعلمون من مناهج ، وفيما يقمش الموهون من بدع ؛ فإن تنقية الدين مما علق به ودس فيه تكشف للناس عن جوهره وتصلهم بروحه . والقتام يحجب الشمس ، والقذى يفسد الشراب . وإن الماء إذا راق ساغ ، واذا ساغ روى . وعما قريب نبشر المسلمين والأزهريين بما رأى الشيخ الأكبر من إصلاح ، وبما عزم من عمل . جدد الله بسعيه حبل الاسلام ، وحقق فى عهده صلاح الازهر ؟ المجلد الثالث والعشرون .

طرائف ومواقف

للأستاذ : عبد الحفيظ محمد عبدالعليم

الفرق بين الرحمن والرحيم

قال الضحاك : الرحمن بأهل السماء والرحيم بأهل الأرض .

وقال : عكرمة : الرحمن برحمة واحدة ، والرحيم بمائة رحمة .

وقال ابن المبارك : الرحمن إذا سئل أعطى ، وإذا لم يسأل يغضب .

وقال القرطبى : الرحمن لمن آمن ، والرحيم لمن تاب

وقيل : الرحمن الرحيم إنعام بعد إنعام .

وقال الرازى : الرحمن يخلق ما لا يقدر عليه العبد والرحيم يخلق ما يقدر العبد على جنسه .

وقال النيسابورى وغيره : الرحمن خاص اللفظ فلا يسمى به غير الله ، عام المعنى لأنه يعم خلقه برزقه ، والرحيم عام اللفظ لأنه يطلق على غيره وخاص المعنى فى الآخرة ، فلا يرحم إلا المؤمن .

قالـــــوا ...

● ما طابت الدنيا إلا بذكره ، وما طابت الآخرة إلا برحمته ، وما طابت الجنة إلا برؤيته .

● ترك العمل لأجل الناس رياء ، والعمل لأجل الناس شرك ؛ والإخلاص أن يعافيك الله منهما .

● مَنْ أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء : تعجيل التوبة ، وقناعة النفس ، والنشاط فى العبادة

● حقيقة التوبة : أن تضيق عليك الأرض بما رحبت حتى لا يكون لك فرار ، وأن تضيق عليك نفسك .

● ما وهب الله لامـــرىء هبـــة
أفضل من عقلـــه ومـــن أدبـــه

همـــا جمال الفتـــى فإن
فقـــدا فالممـــات أجمل به

حقـــا

من زعم أن الله فى شىء ، أو من شىء ، أو على شىء ، فقد أشرك به .

إذ لو كان على شىء لكان محمولا ؛
ولو كان من شىء لكان محدثا ؛
ولو كان فى شىء لكان محصورا ؛ ــ تعالى ــ اللهَ عن ذلك علوا كبيرا .

انما الأعمال بالنيـــات

خرج الأمير « أنو شروان » للصيد فأدركه العطش فرأى فى البرية بستانا وعنده صبى ، فطلب منه ماء ، فقال : ليس عندنا ماء ، قال : ادفع لى رمانة فدفعها إليه فاستحسنها ونوى أخذ البستان ، ثم قال : ادفع لى أخرى ، فدفع له أخرى فوجدها حامضة فقال : أما هى من الشجرة الأولى ؟ قال : نعم قال : كيف تغير طعمها ؟ قال : لعل نية الأمير تغيرت . فرجع عن ذلك فى نفسه ثم قال : ادفع لى أخرى ؛ فدفع له أخرى فوجدها أحسن من الأولى ، فقال : كيف صلحت ؟ قال : الغلام بصلاح نية الأمير .

دعـــاء

اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئا نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلمه . اللهم أنت ربى ، أمرتنى فقصرت ، ونهيتنى فعصيت ، فإن غفرت فقد مننت ، وإن عاقبت فما ظلمت .

الحمد لله وحده

جاءت امرأة من العراق إلى عمر بن عبدالعزيز ـ رضى الله عنه ـ وشكت عيلتها وفقرها ، وقالت : إن زوجها لحق بربه ، وترك خمس بنات ؟ وطلبت أن يفرض لهن فقال : ما اسم الأولى ؛ قالت : فلانة ، قال : فرضت لها كذا ، فقالت : الحمد لله يا أمير المؤمنين ثم سألها والثانية ؛ قالت : فلانة ، قال : فرضت لها ؛ قالت : الحمد لله يا أمير المؤمنين ؛ ثم سألها عن الثالثة ففرض لها ، فحمدت الله ؛ ثم الرابعة ففرض لها فحمدت الله ؛ ثم قالت : والشكر لأمير المؤمنين بقيت الخامسة واسمها فلانة ، فقال لها عمر لا ؛ إننا لا نفرض لها ، فقد فرضنا لأخواتها حين أوليت الحمد لأهله ؟ أما الآن فقد أوليت الحمد لغير أهله ، فمرى الأربع أن يتفضلن على الخامسة . ولم يفرض لها ، لأن المرأة اتجهت لغير الله .

حقيقـــــة

إذ أنت لم تعـرف لنـفسك حقهـا
هوانـا لها كانت على النـاس أهونـا

آمنـــت باللـــــه

كان أحد أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعبد صنما لا يفارقه حضرا ولا سفرا ، فخرج يوما إلى السفر فذهب لحاجته ، وقال أيها الصنم : احفظ متاعى فلما ذهب جاء الثعلب ، وبال عليه فلما رجع أبو ذر وجده مبلولا ، فقال : وا عجبا ، السماء لم تمطر ، فوجد أثر الثعلب فرمق بطرفه إلى السماء وقال :

أرب يـــــول الثعلبـــــان برأسه
لقـــد ذل من بالت عليــه الثعـــالب
فلـــو كان ربـــا كان يمنـــع نفسه
فلا خير فى رب نأتـــه المطـــالب
برئت من الأصنـــام يارب كلهـــا
وآمـــنت بالله الـــذى هو غالب

قـــــد عافـــانى

خطب الحجاج يوم جمعة فأطال .
فقال له رجل : إن الصلاة لا تنتظرك ، وإن الله لا يعذرك ، فأمر بحبسه ، فجاءه أهله فشهدوا أنه مجنون .
فقال : إن أقر بالجنون أطلقته .
فقيل له : اعترف بذلك وتخلص .
فقال : والله لا أقول : إنه ابتلانى ، وقد عافانى .

فـــــارس

قال يزيد بن المهلب يوما لجلسائه : أراكم تعنفوننى فى الإقدام !! .
قالوا : نعم ؛ والله إنك لترمى بنفسك فى المهالك .
فقال : إليكم عنى ؛ فوالله لو لم آت الموت مسترسلا لأتانى مستعجلا ؛ إنى لست آتى الموت من حبه ، إنما آتيه من بغضه ؛ وقد أحسن من قال :

تأخرت أستبقى الحياة فلـم أجـد
حيـاة لنـفسى مثـل أن أتقدمـــا

في طريق علم اللغة الحديث عند الغربيين: رواد ومبادىء

بقلم الدكتور : توفيق محمد شاهين

تقدمت أبحاث علم اللغة فى العصر الحديث تقدما هائلا فى الغرب بفضل ماأتيح لعلمائه من دفع قوى : مادى وأدبى ، وتمكين للبحث والتفرغ ، ونظرة التقدير والاعتبار للعاملين فى حقل اللسانيات أو اللغويات . بينما بعض الكتاب عندنا ينظر إليه على أنه عمل ثانوى ، إن لم يصرح بتفاهته والسخرية منه ومن الإشتغال به .. والمثل يقول : من جهل شيئا عاداه .

وقد خطت جامعات مصر وتبعها الأزهر خطوات كثيرة من هذا الميدان ، وكان مبعوثوها إلى الغرب الرائد فى هذا المجال -- ممن تصدروا التوجيه روادا على طريق الالسنية -- اثبتوا وجودهم ونفعوا بابحاثهم ، برغم وهن الدفع ، وندرة الوسائل .. وإنا لنرجو مزيدا من الرعاية والعناية فى بلادنا الإسلامية والعربية ، مجاراة لركب التقدم ، وإسهاما فى المنهجية والرقى .

وقد هالنى فى كندا كمبعوث إسلامى تحتمت عليه دراسة وتعلم اللغة الانجليزية كلسان تخاطب رسمى هناك ولغة رسمية للبلاد كلها .. هالنى العناية الفائقة فى الاستفادة الزكية من أبحاث علم اللغة فى تعليم اللغات بعامة -- حتى العربية فى معاهدها وكنائسها وجامعاتها .

فهم -- مثلا -- يتعلمون اللغات بواسطة آلات حديثة ، ووسائل سمعية وبصرية وأسس نفسية ، ويلمون بالفونيم ، والنبر ، والعناية بمخارج الحروف ووظائف أعضاء الكلام ، وجودة النطق والتفرقة بين الاصوات ، وملاحظة نطق المتشابهات حتى لا يلتبس حرف بآخر ، ولا يضع المعنى فى متاهات المبنى عند عدم النطق السليم .

ولقد عرف علماؤنا الأقدمون -- رضوان الله عليهم -- ذلك أو بعض ذلك بدءا بالعلامة الخليل بن أحمد ، ومرورا بالعظيم ابن فارس ، والفارسى ، وابن جنى وغيرهم -- رحمهم الله تعالى -- من عباقرة العرب والمسلمين -- ولكن العلم شىء وتطبيق نظرياتهم -- الذى لانراعيه شىء آخر .. فضلا عن أن تحت الشمس جديد فى كل يوم .

لقد عرّف ابن جنى اللغة بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ..

والشيخ عبد الله العلايلى يرى أن ذلك كان فى الدور النشوئى للغة ، لكنها اليوم أصبحت جزءا من التفكير .

والدكتور أنيس يقول : أنها : اللغة -- أكتسبت مع الزمن صفة أسمى وأرق من مجرد الرمزية ، لاتصالها بالخواطر والأفكار ، فأصبحت جزءا منها .

ويمثل هذه النظرة يراها العالم (مييه) كائناً مثالياً لاسبيل إلى إدراكه مباشرة ، لأننا نلاحظ فقط مظاهرها الخارجية كمظهر لوجودها ، وسبل انتقائها وطرق انتقالها ، والبقاء فى إطارها .

ولا يخرج عن ذلك نظرة (جفونز) بأنها وسيلة توصيل ، وأداة تسجيل ، ومساعد آلى للتفكير ..

ويزيد الأمر إيضاحا ، ويبين الارتباط الوثيق بين هذه الأجزاء المستشرق (دوسو سور) بأن للظاهرة اللغوية لها وجهان متقابلان دائما ، يوضح بعضها البعض .

فللمقطع النطقى تأثير صوتى طبيعى تستقبله الأذن لكنه مرتبط بأعضاء النطق وبدون معرفتها لانعرف كثيرا عن الظاهرة اللغوية على الصعيد الفردى أو الاجتماعى لأنها مادية ، وعضوية ، ونفسية ، تعيش فى مجال اجتماعى كنتاج اجماعى .

واللغة وإن بدت ثابتة كنظام إلا أنها حركة متطورة ، وبناء حاضر ونتيجة لماض ، وارتباطها فى كل ذلك وثيق .

•••

وتعددت مناهج « علم اللغة » فى :

(أ) منهج الملاحظة والاستقراء ، بمعنى مراقبة ظروفها الطبيعية حين تؤدى وظائفها .

(ب) والمنهج الآلى ، حين الاستعانة بالوسائل « التكنولوجية » فى مجال الصوتيات تسجيلا وقياسا كعنصر (فيزيائى) فى معرفة اللغة ، وتبع ذلك التصوير الشعاعى عند (رونتجن) ، لتسجيل ورصد حركات الأعضاء النطقية حين استعمال اللغة .

فى طريق علم اللغة

(جـ) والمنهج التجريبى ، بمعنى تغيير الظروف العادية المحيطة بظاهرة لغوية ما ، أو العمل على خلقها للتمكن من دراستها .. بعد هذه الافتراضات المصنوعة ، على غرار مابحث الاستاذ (فيرث) وقد علق الدكتور تمام حسان فى كتابه: « مناهج البحث فى اللغة » بأن هذا الصنيع آثار شك العلماء اللغويين فى هذا المنهج ، لأنه خرج باللغة عن طبيعتها إلى إطار العلوم الطبيعية .
ويمكن التنظير لهذه التجربة ، بما حكى عندنا عن المسألة « الزنبورية » وافتراضاتها .

(د) والمنهج المقارن ، الذى قام على الموازنة بين ظواهر اللغة فى طائفة من الألسن لمحاولة بيان أواصر القربى بينها ، وقد أعتنى بذلك علم اللغة العام ، وعلم اللغة المقارن .
وقد أفاد هذا المنهج وأدى أحسن النتائج فى حقل الدراسات اللغوية .
هذه المناهج أزدهرت ونمت ، وكان لها قيمتها فى الأبحاث اللغوية ، وتفرعت كما نرى ، بعد أن كانت تدور فى فلكين فقـط ، هما : المنهج الوصفى ، والمنهج التاريخى .

•••

واللغة كما نعلم — أساس جميع العلوم الانسانية ، وأهم الظواهر الاجتماعية ذات العلاقات الوثيقة بما فى الكون كله .. لذلك تحتم على علم اللغة دراسة اللغة بصورة عامة ، من بدء التاريخ حتى العصر الحاضر الذى نعيشه .

وأصبحت من علوم اللغة الحديثة ، نتيجة لذلك :

(١) علم اللغة النظرى ، أو العام ، ويندرج تحته :

(أ) علم الأصوات (النطقى) و(السمعى) ..

(ب) وعلم اللغة التاريخى ..

(جـ) وعلم الدلالة ..

(د) وعلم القواعد ، فى المعرفة بالصرف والنحو ..

(٢) علم اللغة التطبيقى ، ويشمل :

(أ) علم التقابل اللغوى ، وتحليل الأخطاء .

(ب) علم اللغة النفسى .

(جـ) علم اللغة الاجتماعى .

(د) علم اللغة الآلى ..

(هـ) صناعة المعاجم .. والترجمة .

(و) وتعليم اللغات ، فى (طرق التدريس) وتصميم اختبارات اللغة .

ومن العلماء من يرى إضافة شعبة ثالثة إلى هاتين الشعبتين (علـم اللغـة العـام) و (علـم اللغــة التطبيقى) .. هى شعبة (علم الأصوات) ، بمعنى جعلها رئيسية مستقلة ، وغير تابعة أو مندمجة فى أخرى .

ومن الإنصاف للتاريخ العلمى اللغوى أن نذكر أن العلوم اللغوية فى الغرب قد مرت بثلاث مراحل : من دراسة النحو ، إلى (الفيلولوجيا) أو فقه اللغة إلى الفيلولوجيا المقارنة وتمخض عن ذلك :

(١) علم اللغة الصوتى ، للعناية بالصوتيات (الفونتيمات) وهى أكثر فروع اللغة موضوعية .

(٢) وعلم اللغة التاريخى ، لدراسة ماضى اللغة ، للإفادة والاستفادة بحاضرها وفى مستقبلها .

(٣) وعلم اللغة الجغرافى ، لمعرفة تنوع اللغات ، وأماكنها ، وتعايشها ، وتأثير بعضها فى بعض إحتكاكا وأصلا وفرعا وتوليدا ، ولهجات ..

ويلاحظ : أن كثرة من علماء اللغات فى الغرب أهملوا الإشادة بجهود علمائنا العرب والمسلمين فى هذا الصدد .. وهم فى الحقيقة رواد وسباقون .. والانصاف العلمى يقتضى الاشادة بعلمهم ، بدلا من سحب ذيل الجحود أو النسيان على عبقريتهم وآثارهم الثابتة الخالدة والاصيلة فى هذا الجانب ، الذى يذكره بعض المنصفين فقط من علمائهم . مثل المستشرق الألمانى (أ — شاده) — على ماذكر الدكتور عبد الصبور شاهين فى كتابه علم اللغة العام .

فعلماء العرب ، كما يرى المستشرق (شاده) اسهموا ايجابيا فى بناء الحضارة الانسانية ، وفضلهم فى ذلك مذكور غير منكور . كما أنهم قدموا الروائع فى الدراسات اللغوية ، بما لم يسبقوا — فى ذلك ممن سبقهم — فى الدراسات اللغوية : نحوا وصرفا ومعاجم لغوية . وقام المستشرق (شاده) بعمل بحث عن الأصوات اللغوية عند سيبويه وعند الغرب ، وأنتهى فيه إلى أنه من الصعب إضافة أى تعديل على ماقدم سيبويه من تحديدات علمية ، والظواهر الصوتية ، اللهم ألا فيما عدا الحنجرة التى لم يعرف العرب — على وجه الدقة — وظيفتها الصوتية ، فألحقوها كجزء من الحلق . أ.هـ .

والحق أن العرب أسهموا فى هذا الجانب بجهد خلاق ، ووضعوا أبجدية صوتية للغة العربية ، حسب المخارج ، وعلى طول المدرج الصوتى ، كما بينوا مخارجها وتصنيفها وتوظيفها وأنواعها . وحدود تمييزها ، بإجتهاد عقلى وذوق ، بدء بسيبويه ومرورا بابن جنى وابن فارس ، وغيرهم ..

وقد ذكرت الشىء الكثير فى كتاباتى عن ابن القيم لغويا ، فى حوالى خمسة عشر مقالا طويلا فى مجلة (البعث الاسلامى) الهندية بعضها مازال ينتظر الطبع .. أظن أن فيها مايشرف من عالم لغوى بعد شهرته كإمام فى العلوم الدينية .

وتهلك للدراسة القيمة عن الصوتيات عند ابن جنى ، التى قام بها الاستاذ الدكتور محمد حسن باكّلا بجامعة الرياض بالسعودية ، ونال بها درجة الدكتوراة فى (اللسانيات) فى إنجلترا باللغة الانجليزية ، وقد تفضل مشكورا بإهدائى نسخة منها .. فجزاه الله الخير لرفع ذكر علمائنا العرب ، وقد كتبت عنه وعنها فى مجلة « البعث الاسلامى » الهندية[1] مشيدا ومحللا فى خطوط عريضة وشاكرا ..

وساءتنى كتابات عن اللغويات من علمائنا العرب — نسبوا فيها كل شىء للغرب ولم يشر إلى جهود علمائنا القدامى بخير أو بشر . وكأنما نحن العرب صفرا فى هذا الجانب ، واشرت إلى ذلك فى نفس المجلة السابقة .

وحييت فى نفس المقال[2] الاستاذ الدكتور أحمد مختار عمر ، على كتاباته فى اللغويات والاشادة بذكر علمائنا العرب فى كل مناسبة وما أكثر المناسبات التى تحدث عنها .

وكانت كتاباتى عن العالم ابن قيم الجوزية اسهاما متواضعا منى فى هذا الجانب فإذا سكت بعض الكتاب من هنا أو هناك عن عمد أو جهل .. فواجبنا أن نكتب ونقول ، ونشرح للدنيا العلمية الجوانب المضيئة لنا ولعلمائنا ..

وليس هذا اجترار لفخر جنسى أو عرق أو نزوع طائفى نقوم به ، حاشا لله أن نكون كذلك ، وليس معنى هذا بالتالى (التقوقع) على أنفسنا ، حاشا لله ثانية ، فعلينا النظر فى كل جديد والاستفادة من كل حديث مبتكر ومكتشف .

فلا نريد أن نتأخر عن الركب الثقافى والحضارى ، ولا نريد أن ندور حول أنفسنا ولا أن يظلمنا ويغمطنا إنسان حاقد أو جاهل أو متجاهل .

وإنما نريد أن ننفتح على العالم ، لنسهم إيجابيا فى إعلاء صرح حضارته الإنسانية ، بجهد ، وبعزّة ، وهمّة .

---

(١) عدد/١ مجلد/٢٨ رمضان سنة ١٤٠٣هـ
(٢) السابق

فى طريق علم اللغة

ولا نريد بالتالى أن يجهل أبناؤنا وأحفادنا تاريخنا السامق وأمجادنا التليدة ، علّها تثير شاكلة أنتباه من أذكياء نبهاء ، يقومون بأعمال بناءة وخلاقة ونافعة للعلم والإنسانية كما صنع أجدادهم من قبل ، فكانوا سببا فى نهضة أوروبا ورقى العالمين : العربى والشرق على السواء .

ولسنا وحدنا الذين نسطر ذلك ، فالغيورون فى مجموعهم الذكى يرون أننا كنا أصحاب مجد وتقدم فى دراسة الجوانب اللغوية ، وأن علماءنا القدامى أدوا فى عبقرية واجبهم الثقافى ابتغاء وجه الله ، وخدمة لوعاء الوحى .. وأن عملهم كان من الدقة والعظمة بما يشهد به الاعداء والاصدقاء على السواء ، وأنه كان من القوة بما لايمكن إخفاؤه وإهالة التراب عليه مهما حاول البعض ذلك .

وأننا بالتالى بحاجة إلى ماوصل ما انقطع ، ومتابعة ماجد ، والنظر فى الجديد وليس من توارد الخواطر -- أخيرا -- ما قرأته قبل الفراغ من هذا البحث فى مقدمة كتاب جيد فى موضوعه وإخراجه بعنوان : (معجم مصطلحات علم اللغة الحديث) لنخبة من علمائنا اللغويين العرب ، ومراجعة نخبة ناهضة منهم .. جاء فى مقدمته : (كان للعرب دور كبير مشهود فى تطوير الدراسات اللغوية على أسس علمية منذ القرن الأول الهجرى) فقد ساهم رواد البحث اللغوى بدءا بأبى الأسود الدؤلى ومرورا بالخليل بن أحمد الفراهيدى وتلميذه سيبويه وأبى الفتح عثمان بن جنى وغيرهم ممن ساهموا ليس فى خدمة اللغة العربية فحسب بل وفى تطوير البحث اللغوى ككل حيث أتوا بنظريات دقيقة ودراسات وصفية ، بدأ علماء الغرب فى اكتشاف بعضها بعد العلماء العرب المسلمين بأكثر من عشرة قرون .

ومن الملاحظ أن الدراسات اللغوية العربية منذ العصور المتأخرة قد انحسر فيها عنصر الابــــداع والتجديد . فأصبح كثير من علمائنا يجترون ما أتى به الرواد الأوائل ويرددون ماقالوا دون إضافة تذكر . هذا فى الوقت الذى لمسنا فيه التطور العلمى السريع الذى يطرأ على الدراسات اللغوية فى الغرب .. تلك الدراسات لم تأل جهدا فى الاستفادة من كل معطيات التقنية الحديثة من أشعة سينية ومراسم مطياف وحاسبات آلية ومختبرات لغوية وصوتية .

وقد ولدت هذه الملاحظة لدى بعض المختصين فى الدراسات اللغوية الحديثة إحساسا بالضرورة الماسة إلى تطوير هذه الدراسات فى الوطن العربى . ومن وسائل هذا التطور إيصال ماأستجد فى هذا الحقل من بحوث ودراسات فى العالم الغربى : وذلك عن طريق التعريب والتأليف .

« يتبـــع »

نحو دراسة مقارنة لمدرسة الديوان

بين العقاد وبالاماس Palamas

٣

بقلم الأستاذ : أحمد مصطفى حافظ

أثناء تجوالى بين قصائد الجزء الأول من ديوان الشاعر اليونانى المعاصر كوستى بالاماس (١٨٥٩ ـــ ١٩٤٣) ، التى قام أرستيد .إ. فوترايدز Aris ted. E. Phoutrides بترجمتها إلى الإنجليزية[١] ، تبين لى ، بعد القراءة المستوعبة ، أنه شاعر كبير حقا ، كما يقرر ذلك المعلق الفرنسى على الدراسات اليونانية : (إيوجين كليمنت) ، بقوله : « إن بالاماس لايعد فقط فى مقدمة شعراء اليونان المعاصرين ، بل وفى مقدمة شعراء القارة الأوربية ، وهو ـــ وإن كان أقل منهم شهرة إلا أنه ، بلا مراء ، الأعظم[٢] ، وحسب القارىء أن يعلم أنه لا توجد موسوعة من موسوعات العالم الشعرية ، تخلو من مختارات من أدب بالاماس ، وقد رُشّح لجائزة نوبل فى الأدب ، قبيل نشوب الحرب العالمية الأولى ، إلا أنه ، لسبب أو لآخر ، لم يحصل عليها .

وقد أعجب بشاعريته شاعر الهند (رابندرانات طاغور) ، وكتب عنه ، مثنيا عليه .. درس « بالاماس » القانون بجامعة أثينا ، ثم اشتغل بالصحافة ، وعاش فى صومعة أدبية ـــ كالعقاد ـــ فى منزله ، متفرغا تاما للاطلاع فى شتى فروع المعرفة الإنسانية ، وفى شتى الفلسفات والعلوم .

---

(١) Cambridge, Harvard, University, Press: 1919.

(٢) ص ٣ ، فى مستهل الديوان المذكور .

وهناك أمور متعددة ، مشتركة ، بينه وبين العقاد ، تجمع بينهما إلى حد بعيد ، فكلٌّ منهما عمَّر طَويلا حتى استطاع أن يَقدم الإنتاج الغزير ، فى شتى الأجناس الأدبية ، من دواوين شعرية متعددة ، إلى دراسات مستفيضة عن عظماء قومه ، قديما وحديثا فخطب ومحاضرات عامة للتبصير والتنوير ، وكلا الرجلين : العقاد وبالاماس موسوعىّ الثقافة يتسم النتاج الأدبى والفكرى عند كل منهما بطابع صاحبه الخاص ، وشخصيته المستقلة ، وكل منهما لم يغادر وطنه إلى العالم الخارجى ، وحَمَلَته اطلاعاتُه إلى أقصى الأرض كما يقول الدكتور نعيم عطيه عن (بالاماس)[٣] .

وكما استقى العقاد مادة ديوانه (عابر سبيل) من الحياة اليومية العادية ، فقد صنع مثل ذلك بالاماس فى بعض شعره .. وشعر كليهما الذاتى الفردى ، يخاطب العقل والوجدان فى وقت معا ، ويدعو إلى التأمل والتفكير .

وقراءاتهما قد استوعبت ــ فيما استوعبت ــ الآثار الشعرية (الرومانتيكية) الرفيعة ، لفيكتور هيجو وبيرون بصفة خاصة .. ولم يقتصر كل منهما ، فى صياغته للغته الشعرية ، على العبارات الجزلة التراثية ، بل عمد إلى التجديد وإثراء لغة الشعر ، بالأصالة والابتكار .

● ● ●

وقفت طويلا ، أمام قصيدة آسية لبالاماس ، يرثى فيها ابنه الطفل ، بشعور حار متدفق ، يحمل بين طياته فجيعة نفسه ، وعمق أساه ..

وباستقراء المؤثرات الهامة العنيفة ، فى مجرى حياة (بالاماس) ، التى ذكرها مترجم ومؤرخ أشعاره ، ندرك أنه لا يمكن تجاوز تأثره العميق مأساته تلك ؛ لأنه كان شديد التعلق بابنه هذا ، ولذلك لم يستطع طوال حياته أن يروض نفسه على احتمال هذا الخطب ، ولم يعرف السلوان سبيلا إلى نفسه ، وقد ظل يرثيه بعدة قصائد أخرى ، جمعها بعد ذلك وأصدرها بين دفتى ديوان يحمل عنوان : « القبر » عام ١٨٩٨ م .

وفى وصف هذا القبر ، يقول منا جيا طفله :

النص بالانجليزية وترجمتنا الشعرية لهذا النص : « بتصرف قليل مناسب »

لاَ مِنْ حديدٍ ولا من أنْفَسِ الذهب	Neither with iron,
أو من بدائع رسَّامٍ ، وألوانِ	Nor with gold,
لا من رخام أقام الفنُّ هيكله	Nor with the colors
بفرط حِذْق وإحكام وإتقان	That the Painters Scathe.
.. بل ما أقَمْتُ ..[٥] صغيراً لا اتّساعَ به	Nor with marble
	Carved with art
مَبْنِىّ ، لتحيا به ..	Your Little house I built
فى طول أزمان ..	For you to dwell for ever,
وقد أقيم بأرض ..	
مادَرَتْ أبدا	With Spirit charms alone
معنى الذبول ..	I raised it in a land
نَدَاها : ظَلُّ وِجْدانى[١]	That knows no matter nor
بفيض وجد ..	The Withering touch of Time .
تَسَامَى فى مَسَارِبِه	
وَلَمْسَةُ الدهر ، لن تُفْضِى لنَسْيَان ..	

(٣) أنظر كتابه (الشعر اليونانى المعاصر) ص ٣٠ (المكتبة الثقافية العدد ٢٣١ ط الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٧٠ (دار الكاتب العربى) .

(٤) هذا المعنى يذكرنا بقول الرافعى فى مقال له بعنوانِ « موت أم » : « ومشيت من البيت الذى ألبسته الميتةُ معنى القبر إلى القبر ألْبسَ الميّتةَ معنى البيت » ..

(٥) أى بيتا صغير .

من نَرْجس العين	With all my tears,
من ذَوْب الفؤاد ، بدا	With all my blood,
أساسُ بُنْيانِهِ	I founded it
فى ليل أشجانى ..	And built its vault .

***

وقد أعادت للذاكرة ، هذه الأبيات ، قصيدة للعقاد بعنوان : (رثاء طفلة)[1] ، يقول فيها :

زهـــــرة كان وجههـــــا ... نُورَ قلبـــــى وناظـــــرى
حَمَلَتْهـــــا يدُ الـــــرَّدى ... حَمْـــــلَ من لم يُحـــــاذِرِ
فتـــــوارتْ ، ولم يَزَلْ ... عَرْفُهـــــا ملء خاطـــــرى

***

ياضيـــــاءً تضمَّنَتْـــــه ... بطـــــونُ الدياجـــــر
قد أجَنُّـــــوك فى الثرى ... ياجـــــنين .. الضمائـــــر
فَالْزَمِـــــى الـــــرَّمْسَ حين لا ... حَلـــــم فى عين باصر
فاذا أقْبَـــــل الدجـــــى ... وغفـــــا كل ساهـــــر
فَأطْرُقينـــــا مع الكـــــرى ... حُلَمـــــا غير نافـــــر
وَصِلِـــــى عيشك الـــــذى ... كان أحـــــلام سادر
وامْرَحـــــى فى صدورنـــــا ... وَاضْحكـــــى .. فى السرائـــــر
.. ثم عودى إذا الصبـــــا ... حُ تَجَلَّـــــى ، فباكـــــرى
إنَّ صعبـــــا على الصغـــــا ... ر احتبـــــاس المقابـــــر

وبالنسبة للبيت الأخير ، نقول لروح أستاذنا العقاد

بعد أن اجتازت البرزخ ، إن احتباس المقابر صعب أليم أيضا على الكبار ، سواء بسواء ، إلا إذا كان القبر « روضة من رياض الجنة » كما جاء فى الحديث الشريف . وقد أخذ عن العقاد هذا المعنى ، تلميذه الوفى : (سيد قطب) ، حينما قال فى قصيدة له :

ومـــا أُحَيْلَـــى المـــات لولا
مرارةُ الحَبْس فى اللحـــــود ..

وكلنا نعلم أن العقاد لم يتزوج ، وبالتالى لم ينجب ، وبرغم ذلك جاءت أبياته حافلة بأصدق المشاعر اللهيفة الآسية ، كالوالد الثاكل (بالاماس) ، وإن كان الأخير أكثر استغراقاً فى هول مصابة الفادح ، وأكثر ذهولا وفنّيَّةً ، فى رسم صورة القبر ، الذى بناه لطفلة فى حناياه ، ليقيم فيه إلى الأبد ، متخذا لَبِناَته الأثرية من فيض مشاعره ، وتدفُّق عَبَراته ، ونزْف دم فؤاده .. وهذا هو الحزن العميق حقا ، الذى ينفذ إلى النخاع ، ويستقر فى الشغاف ، ولا يعرف الذبول وربما يكون العقاد قد اطلع على شعر بالاماس ، بعد نَقْل معظمه إلى الإنجليزية قبل العام العشرين من القرن الحالى ، بحكم سعة اطلاع العقاد الواسع الشامل ، على الأدب العالمى ، وخاصة فى نتاج أعلامه .. الأمر الذى جعله يقارن ، بيسر وإحاطة ، فى كتابه (شاعر الغزل) ، بين (جنادة العذرى) فى قوله :

من حبها أتمنـــــى أن يلاقينـــــى
من نحو بلـــدتها .. ناع فينعاهـــــا

كيمـا أقـول فراق لإلقـاء له
وتضْمِرُ النفس يأسا .. ثم تسلاها
ولو تموت ، لراعتنى وقلت ألا
يابؤس الموت .. ليت الموت أبقاها !

و(المجنون) ، فى قوله :

فيارِبِّ إنْ صيَّرْتَ ليلى هى المنى
فزنِّى بعينيها .. كما زِنْتَها ليا
وإلا فبغِّضْهَا إلىَّ وأهلَهَا
فإنى بليلى قد لقيت الدواهيا

هذا من ناحية
وبين الشاعر الرومانى المشهور كاتيليوس Catulius
من ناحية أخرى ، فى قوله :
« إنى لأكره وأحب ، تسألنى كيف ذلك ؟
من يدرى ..
ولكنى أحسّ بحقيقة هذا الأمر ؟
وشدة بُرَحائه .. »

والرقة والإنسانية الجياشة فى رثاء العقاد للطفلة ، ترفع القناع عما يبدو عليه من صرامة وجبروت فكر وقلم ، وتكشف عن نفس وديعة حانية ، وتذكرنا بشعره الغنائى الرهيف ، الذى يقول فى إحدى قصائده ، مناجيا نسيم (الخريف) :

تمَهَّلْ يا نسيُم ولا تكدر
نُعاسَ النهر بالهمى الضعيف
وقَرِّى ياطيور على الحوافى
وكفُىِّ ياغصون عن الحفيف
لعل النهر ينطق ــ وهو غافٍ ــ
بسرٍّ فيه .. أو حُلْم لطيف
ويحكى طيْف هاتيك الليالى
ليالى الوصل فى عهد الخريف(١)

***

ويلتقى العقاد فى مرثيته للطفلة ، فى معنى واحد مشترك مع ما بالاماس ، هو استمرار استقرار ذكرى الفقد فى عمق الوجدان ، كما جاء فى بيت العقاد :

قد أجَنُّوك فى الثرى
ياجنين الضمائر

---

(١) لفتنا لهذه الأبيات صديقنا الشاعر الكبير : محمد عبد الرحمن صان الدين .

فطفلة العقاد لها مقبرتان : فى الحفائر والضمائر ، أما طفل بالاماس ففى قبر واحد فقط ، يشمل كيانه بأسره ، بشدة تلفته إليه ، ونظم قصائد أخرى عديدة ، أودعها ديوانه : (القبر) كما قدَّمنا ولم يدع فيها شاردة ولا واردة عن طفله وذكرياته معه ، إلا أحْصاها ، وخاصة فى قصيدته إلى زوجته ، عن هذه المناسبة الأليمة لأنها شريكته أيضا فى الاكتواء بلهيبها ..

وكيف لا يلتاع العقاد وبالاماس لهْول الفقد ؟ وهذا (حطان بن المعلى) يقول عن حالته ، فى مجرد هبوب الريح ، إذا مرت على بعض أبنائه :

وإنما أولادنـــــا بيننـــــا — أكبادنـــــا تمشى على الأرض

لو مرَّتْ الــريح على بعضهـــم — لامتنعت عينى عن الغــمض ؟

فما بالك بمفارقتهم لنا مدى الدهر ؟!

***

كما أن بيت العقاد آنف الذكر ، يذكرنا بقول ابن الرومى فى رثاء ابنه محمد (أوسط أبنائه) :

لقــد قَلَّ بين المهــد واللحــد لبثــه

فلم ينس عهد المهد إذ ضُمَّ فى اللحد

كما أن (زهرة) العقاد ، هى (ريحانه) ابن الرومى ، فى نجواه لها ، بالتساؤل المذيب :

أريحانة العيــنين ، والأنــف ، والحشا

ألا ليت شعرى ، هل تغيرت عن عهدى ؟

أى هل تغيَّرتْ عن عهد والدها بها ، بعد (حبس المقابر) ؟ ، أو بعد أن (ضُمَّتْ فى اللحد) .. ؟

***

على أن أعجب ما فى مرثية العقاد حقا ، أنه لم يصدر فيها عن ذكريات طفولة بهيجة مرحة ، فقد عُرفتْ عنه صفة الجد والوقار ، منذ نعومة أظفاره ، مع لداته وكراهية العبث .. ومايذكره هو نفسه ، فى كتابه : (أنا) من أن الأطفال كانوا يخشون المزاح معه ، وإذا تَوَرَّطُواً فى المزاح معه ، رغم الجد الذى يسيغه ، نالهم من الطفل (عباس) ما يسؤءهم ؟

فاذا ارجعوا يشكون مانالهم إلى أمهاتهم ، كان جواب الواحدة منهن لابنها ، أن تقول له : «امْرحْ مع من شِئْتَ يابنى ، ولكن .. كل الناس ، ولا عبَّاس !»

ورغم كل ماتقدم ، فإنه يتحدث فى مرثيته للطفلة ، عن (المرح ، والضحك) حين يقول :

وامْرَحِـــــــى فى صدورنــــــا

وَاضْحكـــــى فى السرائــــــر ..

ومهما يكن من أمر ، فهذا يُظهر بجلاء ووضوح ، مدى تأثير الصغار على الكبار ، مما نرجو أن نعود إلى الحديث عنه من ثنايا قصيدة خالدة لفيكتور هيجو ، تحمل عنوان : «إطلالة الطفولة» ، لنعقد مقارنة أخرى ، بينها وبين مايكون لها من أشباه ونظائر ، فى شعرنا العربى .

ابن بسام ولمحاته النقدية

د. محمود جمعة أمين خليفة*

البحث ـ كما هو واضح من عنوانه ـ يتكون من نقطتين رئيسيتين :

الأولى : تاريخ حياة ابن بسام ـ والثانية : لمحاته النقدية .

فأما النقطة الأولى فسنلقى فيها ـ بمشيئة الله ـ الضوء على تاريخ حياته من حيث :

١ ـ مولده ونشأته . ٢ ـ تنقلاته ورحلاته . ٣ ـ منزلته الأدبية .

وأما الثانية فسنوجز فيها الحديث عن :

١ ـ منهجه فى النقد . ٢ ـ القضايا النقدية التى كانت ميدان نقده وأهمها :

(ا) النزعة الأخلاقية ـ تلك النزعة التى امتاز بها ابن بسام عن سائر معاصريه من النقاد وأرباب الأدب آنذاك .

(ب) الفلسفة والشعر . تلك القضية التى شغلت بال الأندلسيين جميعاً لفترة من الزمن .

(جـ) الموازنة بين شعراء الأندلس بعضهم بعضاً وبينهم وبين الشعراء المشارقة عموماً .

(د) البديع بأنواعه . وسنرى ـ إن شاء الله ـ فى ثنايا البحث أنه جعل البديع : « قيم الأشعار وقوامها إذ به يعرف تفاضلها وتباينها » فهو عنده مقياس العمل الأدبى .

(هـ) السرقات الأدبية . والشعر منها بصفة خاصة .

(أ)

ونشرع الآن ـــ بتوفيق من الله تعالى ـ فى الحديث عن النقطة الأولى والرئيسية فى موضوع البحث ونبدأها بالحديث عن : شخصية وحياته .

* الكاتب : مدرس الأدب والنقد جامعة الأزهر ـ بنات سوهاج .

ابن بسام حياته وشخصيته :

يعرف تاريخ الأدب رجلين بهذا الاسم : ابن بسام موضوع بحثنا هذا ، وابن بسام أبا الحسن على بن محمد المعروف بالبسامىّ وهو شاعر هجاء بغدادى توفى سنة ٣٠٢ هـ ٩١٤ م (اثنتين وثلاثمائة هجرية الموافق سنة أربع عشرة بعد التسعمائة الميلادية)[(١)] .

أما ابن بسام ـ موضوع البحث ـ فهو أبا الحسن على بن بسام الشنتريني التغلبى من أهل (أشبيلية) وأصله من (شنترين) من بلاد الأندلس . يكنى أبا الحسن ويعرف بابن بسام وينتمى نسبه إلى قبيلة تغلب العربية .

ترجم له ابن سعيد (المتوفى ٦٨٥ هـ) صاحب كتاب « المغرب فى حلى أهل المغرب » بقوله : « هو الأديب أبو الحسن على بن بسام التغلبى الشنتريني ، العجيب أنه لم يكن فى حساب الآداب الأندلسية أنه سيبعث من « شنترين » قاصية الغرب ومحل الطعن والضرب من ينظمها قلائد فى جيد الدهر ويطلعها ضرائر للأنجم الزهر . ولم ينشأ بحضرة (قرطبة) ولا بحضرة (أشبيلية) ولا غيرها من الحواضر الأندلسية العظام من يتعض امتعاضة لأعلام عصره ويجهد فى جميع حسنات نظمه ونثره . وسل الذخيرة فإنها تنبىء عن محاسنه الغزيرة »[(٢)] .

وذكر « خير الدين الزركلى » فى كتابه (قاموس الأعلام) أنه من الكتاب والوزراء وأنه توفى سنة ٥٤٢ هـ (اثنتين وأربعين وخمسمائة هجرية) .

(١) ترجمة هذا الشاعر فى (قاموس الأعلام) لخير الدين الزركلى جـ ٥ ص ١٤١ ، ومعجم الأدباء لياقوت الحموى جـ ٥ من ص ١٣٩ ـ ص ١٥٢ . وذكر أن اسمه : على بن محمد بن نصر بن منصور أبو الحسن بن بسام . ويقال : (البسامى) شاعر هجاء عالم بالأدب والأخبار من أهل بغداد نشأ فى بيت كتابة وتقلد البريد . وأكثر شعره فى هجاء والده وجماعة من الوزراء . له كتب منها : (أخبار عمر بن أبى ربيعة) و (كتاب المعاقرين) و (مناقضات الشعراء) .

(٢) انظر المغرب لابن سعيد المراكشى جـ ١ ص ٤١٧ وما بعدها .

ولعل معتمده فى سنة وفاته ما قاله « المقرى » صاحب (نفح الطيب) حيث قال : « وتأخرت وفاته إلى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ، وهو منسوب إلى « شنترين » من الكور الغربية البحرية من أعمال بطليوس »[(٣)] .

ومع ما لابن بسام من الشهرة الزائعة ، ومع ما لكتابه (الذخيرة) من التقدير والتبجيل بين أهل الأدب فى المشرق والمغرب إلا أنه ـ أى بسام ـ لم يحظ بترجمة وافية .

فلم يترجم له « ابن بشكوال » صاحب (الصلة) و (المتوفى ٥٧٨ هـ) مع كونه من أهل عصره وبلاده وسبقت وفاته صاحب الصلة بنيف وثلاثين عاماً . وكذلك أغفلته دائرة المعارف الإسلامية إذ لم نر له ترجمة فيها .

وقد يسأل سائل عن سبب إغفال السابقين ترجمته فى كتبهم المعاصرة له واللاحقة مع شهرة كتابه « الذخيرة » . ولعل من أسباب ذلك أن ابن بسام قضى كثيراً من حياته فى بلدته « شنترين » فلم يشتهر اسمه إلا بظهور كتابه (الذخيرة) الذى ألفه فى غير شنترين ، من هنا فإنه لم يعرف الكثير عن أسرته ولا عن طفولته وشبابه سوى أنه نشأ ببلدة « شنترين » وبها كانت ولادته ، فهى إذا مسقط رأسه ـ كما يحدثنا هو نفسه عن ذلك فى كتابه (الذخيرة) غير أنه لم يعين لنا سنة ميلاده ، وكذلك الذين كتبوا عنه وترجموا له . فكلهم أغفلوا سنة مولده . وعلى ذلك فليس هناك تاريخ دقيق يحدد ميلاده وليس من سبيل إلى العلم بها حيث لم تظهر لنا المصادر شيئاً عن ذلك . اللهم إلا لمحاً خاطفاً ، واستنتاجاً يرجح أن مولده كان حول سنة (٤٥٠ هـ ١٠٥٨ م خمسين وأربعمائة هجرية) المسايرة لسنة ثمان وخمسين وألف ميلادية أو قبل ذلك بشىء يسير ، يستدل على ذلك من قوله فى مقدمة كتابه الذخيرة : « فإنما جمعته بين

(٣) انظر نفح الطيب للمقرى جـ ٣ ص ٤٥٨ .

ابن بســـام

صعب قد ذلّ ونشاط قد فلّ وشبـــاب ودع فاستقل »[٤] .

ومعـروف أن هذه الصفات تعتــرى الإنسان ــ غالباً ــ فى سن الأربعين . وإذا ما علمنا أنه بدأ فى تأليف الذخيرة سنـة ٤٩٣ هـ[٥] (ثلاث وتسعين وأربعمائة من الهجرة) ترجح لدينا ذلك الحدس أى أن ولادته كانت حول سنة ٤٥٠ هـ تقريباً . وعلى ذلك يكـون مولـده فى حدود منـتصف القـرن الخامس الهجرى ، وهذا الرأى ليس قطعياً ولكنـه أرجـح الاحتمالات .

تنقلاته ورحلاته :

قلنا فيما سبق إن ابن بسام ولد فى (شنترين) وبها نشأ ثم خرج منها وتنقلت به الأسفـار فارتحل إلى « الأشبونة » ووافاها فى سنة ٤٧٧ هـ (سبع وسبعين وأربعمائة هـ)[٦] وإلى (بطليوس) سنة ٤٨٦ هـ (ست وثمانين وأربعائة)[٧] ثم قرطبة فى سنة ٤٩٤ هـ (أربـع وتسعين وأربعمائـة)[٨] ومنها إلى أشبيليـــة فاستوطنها حياته .

يقول ابن سعيد عنه ــ فى رايات المبرزين : « كان مستوطناً أشبيلية وأظنه منها »[٩] وحياته قبل هجرته من موطنه ــ شنترين ــ مجهولة تماماً إلا من نتف مما أورده هو فى مقدمة كتابه (الذخيرة) ومنها يستشف أنه اجتمع له فى بلدته شنترين من المجد الطريف والعز التليد ما أغناه عن سوء الاكتساب[١٠] .

ويغلب علىّ الظن أنه كان يتخذ من « الأشبونة » أيضاً مقاماً ، بل نرجح أن من أسرته من كان يقيم « بالأشبونة » وكان لهم فيها بأبيه ؛ فأبوه ممن لهم آياد بيض انتماء وعلماء نلحظ ذلك فيما يقوله هو نفسه ــ فى أثناء حديثه عن لون بديعى ، هو « التقسيم » . وأحسن من هذا التقسيم قول أبى بكر بن عبادة القزاز من جملة أبيات خاطبنى بها أيام مقامه عندنا بالأسبونة أولها :

يا منيفـــا على السمـــاكين سام
حزت فضل السبــاق عن بسام[١١]

وفيما كتبه إليه أبو العباس أحمد بن قاسم :

يا دوحـــــة المجد الكـــــريم
وسلالـــــة الشرف الصميم[١٢]

أما الشطر الثانى من حياته وهو ذكر هجرته إلى أشبيلية واستيطانه لها فلم يعن به إلا هو نفسه ؛ إذ أنبأنا عن تغريبه بأشبيلية وانفراده هناك سنوات حتى تبوأ منها مكانته . يقول : « فوصلت حمص أشبيلية بنفس قد تقطعت شعاعاً ، وذهب أكثرها التياعاً ... فتغربت بها سنوات أتبوأ منها ظل الغمامة وإعياء بالتحول عنها عىّ الحمامة . ولا أنسى إلا الانفراد ولا تبلغ إلا بفضله الزاد[١٣]

وبمثل هذه الكلمات عَبَّرَ ابن بسام عن حالتـه الاجتماعية والنفسية وكشف عن مقاومته واحتماله لما حاق به .

وهكذا خرج ابن بسام من بلـده « شنتريـن » مهاجراً حين استجاشته نفسه الطموح إلى الهجرة عن

---

(٤) الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لابن بسام . القسم الأول المجلد الأول ص ٤ و ص ٥ .
(٥) الذخيرة القسم الثالث ص ٢٠٤ .
(٦) انظر الذخيرة القسم الثالث ص ٢١٩ .
(٧) الذخيرة القسم الثانى ص ١٨٨ .
(٨) المصدر نفسه ص ٢١٣ .
(٩) رايات المبرزين ص ٤٥ .
(١٠) انظر الذخيرة القسم الأول المجلد الأول ص ٨ .
(١١) الذخيرة القسم الأول المجلد الثانى ص ٣٩٤ .
(١٢) المصدر نفسه ص ٣٩٢ .
(١٣) الذخيرة القسم الأول المجلد الأول ص ٨ وص ٩ .

موطنه إلى مدينة (أشبيلية) وارثة النهضة الثقافية بالأندلس .

ولذا نرجح أن لطموحه العلمي أثراً في هجرته ، وإن كان بعض المؤرخين يعزونها إلى وطأة ظروف قاسية . لكننا لا نشك في أن طموحه العلمي هو السبب في هجرته إلى تلك البلاد . حتى إنه لو لم تتأته الهجرة قسراً - كما يدعون - لكان لرغبته الجامحة في التأليف أكبر الأثر في أن يرحل عن وطنه ليستعين بكثرة الكتب على تحقيق هذا الغرض الجليل ، وهو التأليف ، وليتمتع بالخزائن العلمية في (قرطبة) و (أشبيلية) وكثرة المخالطة والمصاحبة لأهل هذا الشأن هناك . وهو ما يوحي به قوله : « وهذا الديوان نِيَّة لم يفصح عنها قول ولا عمل ، وأمنية لم يكن منها حول ولا حول ، كامن بين العيان والخبر كمون النار في الحجر وحار بين اللسان والقلب(١٥) .

وعلى كل حال فإن ابن بسام قد ألف ذخيرته في قرطبة وأشبيلية إذ بدأها - كما تقدم - في قرطبة عام ٤٩٣ هـ (ثلاثة وتسعين وأربعمائة هجرية) وأتمها في أشبيلية ومعروف أن هاتين المدينتين كانتا تزخران بالعلماء والأدباء وأنفس الكتب ؛ لذا فقد حبس نفسه على البحث والتنقيب ، وظهر تفوقه وأخذ يتمتع بحظوة وتقدير ومكانة علمية منقطعة النظير ، وتبوأ منزلة عالية من بين علماء أشبيلية وأدبائها .

يدل على ذلك ما هو مثبوت في ذخيرته من مخاطبات له مع أهل عصره يتبين لنا منها أن شخصيته العلمية والأدبية كانت قوية في وقته ينظر إليها أهل عصره نظرة تجلة وتقدير ، وكذلك الذين ذكروه من أهل المشرق كابن فضل الله العمري (المتوفى ٧٤٩ هـ) صاحب كتاب (مسالك الأبصار) فقد وجد فيه من سعة الاطلاع وقوة الحافظة وأصالة الملكة الأدبية ما جعله يفيض بذكره ويقدمه على من ترجم لهم من أهل الأندلس ؛ إذ استهل حديثه عن الأندلسيين بقوله : « فمنهم أبو الحسن على بن بسام محبر الذخيرة وجامعها ومعير الشم تلك الأنوف وجادعها ... وفضائل ذلك الفاضل كثيرة فلولاه ما دقت أصيل المغرب ، ولا أنصب جدول النهار في رَوْضِهِ المعشب ولا رفعت للأندلس أعلام ، ولا عرفت وقائعِ وأيام ولا تميزت لأهله أقدار ولا تطرقت بفضله سير وأخبار(١٦) .

وفي مهاجره اطلع ابن بسام على أكثر ما كتب في العلوم والفنون ، ولا سيما كتب الأدب والتاريخ حتى ليعده بعض العلماء من المؤرخين الكبار(١٧) فقد وسع عقله كثيراً من العلوم والآداب ؛ فكان أديباً وشاعراً ومؤرخاً ، ولكنه لم يختص بفن ولم يتفوق في شيء تفوقه في الأدب ونقده حتى كان من أئمته ، وكتابه الذخيرة خير شاهد على ذلك . ومن أجل ذلك فقد أضفى عليه ابن سعيد لقب « الرئيس الفاضل الأديب المؤرخ »(١٨) .

وبعضهم خلع عليه لقب « الوزير الكاتب »(١٩) .

---

(١٤) وعن شنترين يقول ياقوت : إنها مركبة من كلمتين « شنت ، وين » وهي مدينة غربي قرطبة على نهر تاجة وهي حصينة بينها وبين قرطبة خمسة عشر يوماً وهي الان للأفرنج (معجم البلدان جـ ٣ ص ٣٦٧) - وضبط القلقشندي حروفها ومنها نقلا عن (تقويم البلدان) قال : « بفتح الشين المعجمة وسكون النون وكسر المثناة من فوق والراء المهملة وسكون المثناة من تحت وفي آخرها نون فيما هو مكتوب بخط ابن سعيد (صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٢٢) . وقال ابن سعيد في صفتها نقلاً عن الرازي : « وأرضها غاية من الكرم والطيب » (المغرب جـ ١ ص ٤١٧) .

(١٥) الذخيرة القسم الأول المجلد ص ٨ و ص ٩ .

(١٦) مسالك الأبصار (مخطوط) جـ ٨ ص ٢٠١ .

(١٧) انظر المغرب جـ ١ ص ٤١٧ .

(١٨) رايات المبرزين لابن سعيد ص ٤٥ .

(١٩) تقدم أن صاحب معجم البلدان وكذلك الدكتور لطفى عبد البديع في الجزء الذى حققه من كتاب الذخيرة قد نعتاه بالوزير الكاتب . ولم يعرف عن ابن بسام أنه تقلد منصب الوزير في الدولة لا في عهد ملوك الطوائف ولا في عهد المرابطين ؛ لأن العهد الطائفى كان قد استشرف على نهايته ولم يهاجر ابن بسام إلى أشبيلية بعد . وأما في العهد المرابطى فلم تذكر المصادر ذلك عنه أو تنسبه إليه . وكل ما نعرفه عن طبيعة عمله ما ألمح هو إليه في الذخيرة في قوله : « وأنا يومئذ بإشبيلية اتصرف مضطراً في بعض الأعمال السلطانية » الذخيرة ق ٤ م ظ ص ١١ .

ابن بسام

إذ صار اسم الوزارة عاماً لكل من يجالس الملوك ويختص بهم .. « وأكثر ما يكون الوزير فاضلاً فى عالم الأدب »[٢٠] بمعنى أنه لم يتقلد منصباً وزارياً فى الحكومة ، وإنما كان كما ينكر « المقرى » أن من عادة أهل الأندلس أن يطلقوا على الكاتب لقب الوزير فالوزير هو الكاتب[٢١] .

٣ ـ منزلته الأدبية :

لقد احتل ابن بسام منزلة أدبية سامية وظهر تفوقه فى قوة بيانه وجزالة لغته وهما من مصادر عبقريته التى تجاوزت الحفظ إلى الدأب فى التنقيب والبحث عن الخزائن والنفائس من الكتب واستيعاب ما فيها فكان فى ميدان الأدب فارس الحلبة وحائز قصب السبق ، فلا غرو أن يكون واحد وقته لإحاطته بكثير من مصادر الأدب القيمة بخاصة مصادر أدب الأندلس وحضارته وأدب المشرق كذلك .

فقد بدأ فى كتابه « الذخيرة » سامى الهمة مرتب الفكرة واضح المقصد قوى ملكة التصرف صاحب بينة وحجة ، محيطاً بجميع مصادر الأدب الموجُودة فكان دوره فيها أن حررها وانتقدها وانتخب منها بأصالته الأدبية ما يتلاءم مع ذوقه من غير تعصب ولا ضيق أفق ، بل كان واسع الفكر حر الضمير معطياً كل ذى حق حقه مع جد صارم فى سائر أحواله وهو على صرامته يجمع بين القديم والجديد فهو يبدو قديماً بثقافته وسعة محفوظة من التراث وبوقوفه فى وجه الفلسفة وشعر المتفلسفين[٢٢] ، كما يبدو جديداً بمنهجه ونفاذ بصيرته لعنايته بالبديع على طريقة المجددين من أهل المشرق حيث اتخذوا البديع مقياساً تقاس به الأعمال الأدبية ، وعدّه ابن بسام « قيمّ الأشعار وقوامها » كما أبان عن ذلك فى المقدمة حيث يقول : « وهذا الديوان إنما هو لسان منظوم ومنثور لا ميدان بيان وتفسير ، أورد فيه الأخبار والأشعار لا أفك معماها فى شىء من لفظها ولا معناها ، ولكن ربما ألمح ببعض القول بين ذكر أجريه ، ووجه عذراء أريه ، لا سيما أنواع البديع ذى المحاسن الذى هو قيمّ الأشعار وقوامها ، وبه يعرف تفاضلها وتباينها فلا بد من أن نشير إليه وننبه عليه »[٢٣]

وبذلك يكون ابن بسام قوة جديدة فى تحقيق الشخصية الأندلسية بما لها من تميز أدبى أدركها الذين عاصروه ، وقد وجدنا له ما ينبىء عن منزلته الأدبية من خلال ما كان يدور بينه وبين أصحابه من أهل عصره من مكاتبات ، فقد حسنت طريقته ، وحمدت خليقته بين هؤلاء الأصحاب الذين منهم الوزراء ومنهم الأدباء والشعراء إذ تباروا بمساجلته فأخلصه الودَّ

---

(٢٠) راجع نفح الطيب جـ ١ ص ٢١٧ .

(٢١) المرجع نفسه .

(٢٢) فلم يكن يعجبه شعر الشعراء وأصحاب الصياغة الفلسفية وأنحى باللائمة على أولئك الشعراء الذين يتفلسفون فى أشعارهم حتى إنه وصفهم بالهذيان الذى لا طائل تحته فها هو ذا يورد للشاعر « السميسر » هذه الأبيات :

لقد نشينا فى الحياة التى ... توردنا فى ظلمة القبر
يا ليتنا لم نك من آدم ... أورطنا فى شبه الأسر
إن كان قد أخرجه ذنبه ... فما لنا نشرك فى الأمر

ويقول : « والسميسر فى هذا الكلام ممن أخذ الغلو بالتقليد ، ونادى الحكمة من مكان بعيد صرح عن ضيق بصيرته ونشر مطوى سريرته فى غير معنى بديع ولا لفظ مطبوع ولعله أراد أن يتبع أبا العلا فيما كان ينظمه من سخيف الآراء » (الذخيرة ق ١ ص ٣٧٨)

(٢٣) الذخيرة القسم الأول المجلد الأول ص ٦ .

طائفةُ كبيرة منهم فكان ممدحا بألسنة هؤلاء شعرا ونثرا كالذى خاطبه به الأديب أبوالعباس أحمد بن قاسم لمّا بلغه جمع ابن بسام لكتابة الذخيرة :

يا من تكلــــف جمع المجد فى ورق
أنـا أنـاديك جهـــرا غير تعـــريض
ذهَّبْت عصرك يا من شعره ذهب
بالمذهبـات فأتبعنـــا بتــــفضيض
فشبـــه تِبْــرك متلـــوًّا بفضتنـــــا
جمان خود على لبّـــاتها البـــيض(٢٤)

وكتب إليه أيضا أبوالعباس المذكور فى مثله وقد بلغه أن ابن بسام أثنى عليه بمجلس بعض الأعيان بقرطبة :

يا دوحة المجد الكـــريم وسلالة الشرف الصميم
والغـــرة الغـــــراء فى وجـه النثير وفى التنظيم
قد كان نام زَمَانُنــــــا عن كشف آثار العلوم
حتـــى أتـــيت مُنَبِهًـــا جفنيه تنبيه النسيم(٢٥)

وكان قد خاطبه الأديب أبوبكر بن عبادة القزاز من جملة أبيات أيام مقامه عنده بالأشبونة أولها :

يا منيفـــا على السمــــاكين سام
حزت فضل السبـــــاق من بسام
قد خبرتُ الـــورى فلـــم ألفهـــم
إلا ثقـــال الأفهــام والإفهــــام
وتأمـــلت منك نكتـــة بغــــداد
لبـــاب العـــراق ومعنــــى الشآم
شكَّ ذهنــــــى فى أن يرى بصرى
مثـــلك حتـــى لحلتنـــى فى المنـام
إن تحك مدحـــة فأنت زُهَيْــــر
أو نسيبـــا فعــــروة بن خزام(٢٦)

وكان ابن بسام يشاركهم بأبيات من نظمه وينزل عليهم فى منازلهم .

(٢٤) المصدر نفسه المجلد الثانى ص ٣٩١ .
(٢٥) الذخيرة القسم الأول المجلد الثانى ص ٣٩٢ .
(٢٦) المصدر نفسه ص ٣٩٤ .

وكان ابن بسام قد بعث بأبيات إلى الوزير أبى الحكم عمرو بن مذحج يهنئه بمقدمه من بعض أسفاره ومنها :

يهنـــى قدومك كلا يا باالحكـــــم
يا دوحـــة العلـــم والآداب والحكـــم
مذ غبت فارنـــقت عينـــى إلى سنـــة
ياعمـرو إلا لكـى ألقـــاك فى الحلـــم
إن كنت فى تغلب فى بيت سؤددها
وكنت من مذحـح فى السؤدد العمم
فلـــم يضر ثنـــائى النسبـــتين وقـــــد
رحبنـــا نسيـــبين فى علـــم وفى فهـــم
والعـــذر فى زمـــــن إن جئت فى أمم
لا الجيـل جيلك فاعذرهـم ولا تلـــم

فراجعه بأبيات منها قوله :

يا من تنـــاول حر اللفــــظ من أمم
بذى غراريـــن مثــــل الصارم الخذم
لو أن فضلك تهديـــــه إلى حجـــــر
لما استجيز عليه الـــوصف بالصمـــم
هذى جوارح جسمـــى كلهــــا أذن
قد جاء منك بأذنى لؤلـــؤ الكلــــــم
حاشا لِ (نهلك) أن تخفـــى معـــالمه
وهـــن أشهـــر من نار على علــــم

إلى أن يقول :

من تغـــلب أنت فى عليـــاء مركزهـــا
فمــــن يســـاريك فى مجد وفى كرم(٢٧)

كما أن له رسائل كان قد وجهها إلى أصدقائه يخطب ودهم ، ويستجلب ما عندهم .

وهى جديرة بأن ينقل بعضها بنصه ، لأنها مما يلقى ضوءًا على أصالة منزلته الأدبية ونبل غايته العلمية بأوفى صورة وأحلى بيان ، وهاك نموذجاً من رسائله :

يقول فى رسالة بعث بها إلى الوزير الكاتب أبى بكر محمد بن ذى الوزارتين أيام أن كان بقرطبة أول سفرة إليها عام أربعة وتسعين وأربعمائة :.

(٢٧) الذخيرة القسم الثانى ص ٢٣٦ .

ابن بسام

« كل يبلغ ـ أعزك الله ـ من حسنات نبلك وفضلك ومعلومات حسبك ونسبك ...

.... ومازلت أسمع فأتطلع ، وأستمر فأستبصر ، وأحن الى مفاتحة الخطاب وكل ما يقع إلا بأسباب إذ الدخول لا يكون إلا على الباب، وعندهم على علمك أن الهجوم عليه دون سبب يدعو إليه نوع من الجفاء وضرب من مفارقة الحياء ، ولا يستجيزه إلا من كان عن الأدب بمعزل وللأمور غير محصل ، فهذا الخطاب الذى قرعت به هذا الباب من مواصلتك وجعلته سلما إلى مخاطبتك أسّ يقوم عليه بنيان وغرس ستلتفت فوقه أفنان ، وهمس سيكون بعده إعلان » .

ثم ختم رسالته بهذه الأبيات :

أبـــا بكـــر المجتنـــى للأدب
رفيـــع العمـــاد قريع الحسب

أيلحـــن فيك الزمـــان الخئون
ويعـــرب عنك لسان العـــرب

لقـــد كان جيـــل الـــورى أوهما
بقرطبـــة : عجمهـــا والعـــرب

إلى أن تبسم عقـــد الزمـــان
فأسفـــر عن واضح ذى شنب(٢٨)

ومع ما حظى به ابن بسام من منزلة أدبية رفيعة ـ حسبما تقدم من خلال مشاعرتـه لطوائف من الأدباء ومخاطبته لهم ـ إلا أنه كان يعانى من داء الحسد .

وقد حدثنا عما مُنِىَ به فى خبر تصنيفه لكتاب الذخيرة مع غير واحد من أهل عصره ، إذ كان بعضهم يستكثر عليه براعته فى الإبانة والإفصاح عن نواح تاريخية بعينها بألفاظ جيدة خاصة عندما كان يعز عليه أن يجد ذلك بلفظ « ابن حيان » فى كتابه « المتين » الذى ينقل عنه المادة التاريخية فكان عندئذ يستقل بتعليقاته عنه فيأتى بما يحسد عليه .

وفى هذا يقول ابن بسام .. « وعلى ذلك لما اندرجت لما فيه كلمات رائقات فى أوصاف مختلفات ، وبلغت فيه أَمَدَ المراد بألفاظ أعيان ، ومعان أفراد، انثال علىّ الكلام انثيال الغمام قالوا : ما وصف ابن بسام وأتقن لو لم يستعن ، وما أحسن ما قصص لو لم يتلصص »(٢٩) .

والحق أنه قد حقد عليه حسادُهُ منذ ابتدأ فى تأليف كتابه ، وهو يومئذ فى قرطبة إذ منع بعضهم عنه نتاجهم الأدبى حين أراد أن يستعين بنتاجهم على تأليف مصنفه ضَنًّا به عليه، واعتقادا منهم بأنه إنما يذهب بعمله الأدبى هذا مذهب أهل « الكُدْيَة والتكسب »(٣٠) .

وما تنكر هؤلاء لابن بسام ـ هذا الوافـــد الغريب ـ إلا لما كانت تحتدم به نفسه من تطلع وطموح ولما تنطوى عليه أنفس بعض أدباء عصره من حسد .

ومن ذلك أنه بعث إلى أبى حاتم الحجازى يستمده من نتاجه فمنعه فكتب إليه : « ولما كنت أبا حاتم خاتمة هذا الشأن أحببت أن أجعل كلامك من واسطة هذا الديوان إلا أنى رأيت لك من الامتناع بتلك الرقاع ما حدست أنك قلت : هذا ابن بسام كما أخرجته الروم من بلاده وصفرت يده طارفه وتالده وقدم قرطبة على قدم الضرورة بتلك الصورة ربما شحذ المدية فى أبواب الكدية فاتخذ تقييد هذه الشذور القلائد سببا لأن يسبى عذارى القلائد فى حجر أربـــابها ، ويسلبها عن أصحابها ، ولقد أبعدت إن كنت ظننت فى ذلك ، وكلّا أبا حاتم فإنك لى بعين الظالم وقد شهد الأشهاد بتلك البلاد أن لى بديهة قوية تربى على الروية »(٣١)

يتبـــع

(٢٨) الذخيرة القسم الثانى ص ٢١٣ وما بعدها .

(٢٩) الذخيرة القسم الرابع المجلد الأول ص ١١ .

(٣٠) الكدية : التسول والشحاذة . وكان هذا النوع سائداً فى الأندلس آنذاك ، وهو عمل يشبه ما يكون من عمل « الأدباتى » فى هذا الزمان حينما يقف على أبواب الناس فى القرى بمدحهم طالباً العطاء .

(٣١) الذخيرة القسم الثالث ص ٢٠٤ وما بعدها .

أنباء و آراء

أنبـاء مكـتب فضيلـة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الإمـام الأكـبر يشـهد الاحتفال بالعاشر من رمضان

شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الاحتفال الذى أقامته وزارة الأوقاف بذكرى العاشر من رمضان الذى وافق السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣م .

وقد ألقى فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد على محجوب وزير الأوقاف كلمة حيا فيها جنود مصر البواسل ، كما حيا فضيلته أرواح شهداء مصر فى هذه المعركة التى استرد فيها العرب والمسلمون كرامتهم وعزتهم وأرضهم .

الإمـام الأكـبر يستقبل سفير بنجلاديش بالقاهرة

شهد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق شيخ الأزهر فى الثانى من رمضان ١٤١٢ هـ ملتقى الفكر الإسلامى الذى أقامته رياسة الجمهورية بمشاركة الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف طوال شهر رمضان المبارك .

وقد ألقى فضيلته كلمة بين فيها أن الله سبحانه وتعالى قد اختص الأمة الإسلامية بشهر رمضان المبارك وجعل لها فيه ميزات كثيرة فقد جعل الله هذا الشهر صوما خالصاً لوجهه حيث يقول سبحانه وتعالى فى الحديث القدسى : « الصوم لى وأنا أجزى به » فجعله عبادة لا يدخلها الرياء ، عبادة تزكى النفس وتنير البصيرة .

وفى ختام كلمته دعا فضيلة إلى ضرورة مراجعة النفس ومحاسبتها لإصلاح الأحوال ، وتقويم ما أعوج من السلوك ، وما بدر من تقصير حتى تكون كما أرادنا الله بحق خير أمة أخرجت للناس .

ثم أجاب فضيلته على بعض التساؤلات التى طرحها رواد الملتقى حول سلوك المسلمين فى شهر رمضان المبارك .

الإمـام الأكـبر يشـهد ملتقى الفكر الإسلامى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه . السيد السفير/ محمد نور النبى شودرى ـ سفير بنجلاديش بالقاهرة .

في بداية اللقاء أعرب السيد السفير عن سعادته بلقاء فضيلة الإمام الأكبر للمرة الثانية منذ توليه لمهام منصبه بالقاهرة .

وقد تمنى فضيلته للسيد السفير إقامة طيبة وأن تزداد أواصر العلاقة الأخوية الصادقة بين مصر وبنجلاديش .

تم خلال اللقاء بحث قضية هجرة المسلمين من بورما إلى بنجلاديش حيث وعد فضيلته بالعمل على بحث القضية انطلاقا من اهتمام الأزهر بأمور المسلمين فى كل أنحاء العالم .

الإمام الأكبر يستقبل السيد وزير العلوم والتكنولوجيا لجمهورية باكستان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتب فضيلته السيد الوزير نجش سومرو - وزير العلوم والتكنولوجيا لحكومة باكستان يرافقه السيد / السفير جول ضيف - سفير باكستان بالقاهرة .

تم خلال اللقاء بحث قضية كشمير ، والنزاع القائم بين الهند وباكستان فى هذا الشأن وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر على ضرورة تضافر جهود الدول والمنظمات والهيئات الإسلامية لمواجهة مثل هذه القضايا التى تهم المسلمين كافة ، وأن تعلو هذه الدول وتلك الهيئات فوق الخلافات فيما بينها .

كما أكد فضيلته على أن الأزهر يعمل جاهدا على جمع كلمة الهيئات والمنظمات الإسلامية ، وتقريب وجهات النظر ، والعمل على وحدة الصف انطلاقا من دور الأزهر ومسئوليته تجاه المسلمين فى كل أنحاء العالم .

حلقات الإمام الأكبر عن القيم الحضارية فى القرآن الكريم

على امتداد ثلاثين حلقة تابع المواطنون على شاشة التليفزيون عقب صلاة التراويح فى ليالى رمضان المعظم سلسلة أحاديث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عن « القيم الحضارية فى القرآن الكريم » .

كما نقلت جميع وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة تهنئة فضيلته للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها بحلول شهر رمضان المعظم ثم عيد الفطر المبارك .

الإمام الأكبر يستقبل وزير التعليم الماليزى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتب فضيلته الأستاذ الدكتور / سليمان بن حاج داود - وزير التعليم الماليزى يرافقه السيد السفير / السيد زين الأزمان - سفير ماليزيا بالقاهرة .

تم خلال اللقاء بحث كافة وسائل دعم العلاقات الدينية بين مصر وماليزيا ، كذلك تم بحث كيفية دعم الجهود المبذولة فى مجال تعليم العربية وإنشاء المدارس الإسلامية فى ماليزيا وتقديم المنح الدراسية للطلاب الماليزيين .

أنباء العالم الإسلامى

إعداد : مجدى عبد الحميد بشير

انهاء الحكم الشيوعى فى ألبانيا

تشهد ألبانيا وللمرة الثانيـة خلال العـام الحالى اقتراعا جديدا لاختيار برلمان جديد وسط مؤشرات قوية بهزيمة الشيوعيين الذين يحكمون البلاد منذ ثمانية وأربعين عاما حيث من المتوقع ألا يحصل المرشحون الشيوعيون إلا على نسبة تتراوح ما بين ٢٠ إلى ٢٧ ٪ من أصوات الناخبين الذين يتطلعون إلى إنهاء الحكم الشيوعى فى ألبانيا عقب إنهيار قلعة الشيوعية الاتحاد السوفييتى .

٣٠ ألف كتاب إسلامى هدية إلى مسلمى ألبانيا

قرر الرئيس محمد حسنى مبارك إهداء شعب ألبانيا المسلم كتب فى موضوعات الصلاة والصوم والزكاة والحج باللغة الألبانية لتكون هدية مصر إلى مسلمى ألبانيا فى عيد الفطر المبارك .

يقوم على أعمال الترجمة الخاصة بهذه الكتب والتى تزيد على الثلاثين ألف كتاب مجموعة من الطلبة الألبان الذيـن يدرسون بالأزهر و مختلف المعاهـد والجامعات المصرية .

كما أعلن الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف عن تنازل وزارة الأوقاف عن حق الملكية الأدبية لهذه الكتب وهى صادرة عن المجلس الأعلى للشئــون الإسلامية ومنح حق طبعها لصالح مسلمى ألبانيا ليكون من حقهم إعادة الطبع فى بلدهم وقتما شاءوا دون الرجوع إلى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر .

ندوة علماء مصر

تعكف مجموعة من أساتذة جامعة الأزهر والمفكرين الإسلاميين البارزين على إعداد النظام الأساسى لتكوين رابطة جديدة يطلق عليها اسم « ندوة العلماء » تهدف إلى وضع التصور الإسلامى والرد على كل ما يثار من شبهات وأكاذيب حول الإسلام فى مصر والعالم وذلك للمساهمة فى توضيح الرؤية الإسلامية الصادقة لكل ما يشغل بال المسلمين من آراء وقضايا .

ومن بين أعضاء الرابطة : الدكتور عبد الغفار عزيز رئيس قسم الدعوة بكلية الدعوة بالقاهرة ، والدكتور محمود حماية رئيس قسم الدعوة بكلية أصول الدين بأسيوط بالإضافة إلى لفيف من كبار رجال الفكر الإسلامي .

تدريس اللغة العربية فى السويد

كنتيجة لزيادة أعمال السويد التجارية مع الدول العربية تبحث الحكومة السويدية مدى إمكانية تدريس اللغة العربية فى معاهد وكليات التجارة والاقتصاد بها وكيفية تدبير الكوادر اللازمة لذلك الغرض ، حيث تتجه النية إلى استقدام عدد من مدرسى اللغة العربية من الدول العربية .

مركز إقبال للبحوث

قرر مركز الأبحاث والتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي إقامة مركز جديد يحمل اسم « مركز إقبال للبحوث » فى بلجيكا وذلك تكريما للشاعر الإسلامي محمد إقبال وتصل تكاليف إنشائه إلى حوالى ١٢٠ ألف دولار ويهدف إلى نشر أعمال الشاعر محمد إقبال عن طريق مكتبة بيلوجرافية تضم كافة الوثائق المتعلقة بأشعاره وأفكاره وحياته .

محمد إقبال ولد عام ١٨٧٣ وعاش ٦٥ عاما وهو شاعر وفيلسوف باكستانى حفظ القرآن فى المدينة التى ولد فيها « سيالكوت » ودرس الفلسفة فى جامعة كمبردج واشتغل بالمحاماة ونظم الشعر ..

ترجمة تفسيرية للقرآن الكريم

قررت المحطة الرابعة بهيئة الاذاعة البريطانية B.B.C. إذاعة فقرات من القرآن الكريم ــ الترجمة التفسيرية ــ باللغة الانجليزية لمدة ربع ساعة كل يوم[1] . وقد رحبت الشخصيات العاملة بالمجال الدينى فى بريطانيا بهذه الخطوة . وقال الدكتور هشام العيسوى رئيس الجمعية الاسلامية للتسامح الدينى بلندن انها تعد نافذة يستفيد منها على الاقل ربع سكان العالم .. كذلك رحب الدكتور سيد الدرش ــ احد العاملين بالنشاطات الدينية هناك بهذه الخطوة مشترطا أن تصحب تلك القراءات شروحا وتفاسير تعين السامع على تفهم أسباب النزول والخلفية التاريخية التى تعين السامع على الاطلاع عن قرب على رأى الاسلام فى مسائل كالخمر ، والاسرة ، والقتال قائلا : انها خطوة تستلهم قول الله تعالى : وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله[2] .

---

(١) نهمس بهذا الخبر فى اذن المسئولين عن البرنامج الاوروبى المحلى الذين لا يقدمون الا فقرات محدودة من الحديث النبوى فى شهر رمضان فقط مصحوبة بشرح غير واف راجين منهم استغلال بقية اوقات السنة فى التعريف بالاسلام ، فى اذاعة تملك من امكانيات اللغة ما لا نستطيع التعبير عنه ، كما نتمنى أن يقدم البرنامج الاوروبى المحلى ترجمة فورية لخطابات الرئيس المذاعة فى المناسبات الدينية أسوة بالترجمات المقدمة لخطابات سيادته فى المناسبات الاخرى .

(٢) التوبة : ٦ .

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
• الافتتاحية : يوم مبارك للدكتور على أحمد الخطيب	١١٥٣
• هذا يوم عيد الفطر لفضيلة الامام الاكبر شيخ الازهر	١١٥٥
• مع سورة الانفال لفضيلة الاستاذ الدكتور عبد الجليل شلبى	١١٥٩
• قبس من أنوار النبوة (التحلل من المظالم) للشيخ : على حامد عبد الرحيم	١١٦٣
• أحكام نية الصوم فى الفقة الاسلامى -٢ - للدكتور : محمد حسين قنديل	١١٦٦
• النهى عن أكل أموال الناس بالباطل للدكتور : أحمد محمد عيسى	١١٧٧
• إتق الله حيثما كنت فضيلة الشيخ محمد حافظ	١٨٨٢
• ملامح النظام السياسى للدولة اليهودية (الفصل الاخير) بقلم لواء أ.ح دكتور فوزى محمد طايل ...	١١٨٨

الموضوع	الصفحة
• الاسلام والمسلمون فى أسيا الوسطى للاستاذ الدكتور/ محمد عبد العليم العدوى	١١٩٤
• مسلمو بورما إعداد : أحمد تقى الدين	١١٩٩
• امبراطورية المغول بين الاسلام وغيره من الاديان للدكتور أحمد محمد الدسوقى	١٢١٠
• ازمة التقنية والتنظير فى الفكر الاسلامى للدكتور عبد الله نجيب محمد	١٢١٠
• لحظات طيبات مع الامام ابراهيم الحربى - أبى إسحاق إعداد : عادل خفاجة	١٢١٣
• الفتاوى اعداد : عبد المنعم فودة	١٢١٦
• باب الشعر والشعراء	١٢١٩
• أهلا بقدومك ياعيد شعر رشاد محمد يوسف	١٢٢٠
• حتى متى شعر شوقى محمود أبو ناجى	١٢٢١

الموضوع	الصفحة
• قلت للعراف	
شعر محمد عبد الرحمن صان الدين	١٢٢٢
• شعر الاخنس	
للاستاذ ايمن ميدان	١٢٢٣
• من أعلام الازهر الشيخ عبد ربه مفتاح	
للاستاذ/ محمد الطاهر الزنكلونى	١٢٣٠
• العلوم الكونية - التآصيل الاسلامى لعلم الجبر	
أ.د أحمد فؤاد باشا	١٢٣٤
• العقم - ٣ -	
للدكتور احمد رجاء عبد الحميد	١٢٣٩
• الجديد فى العلم والتقنية	
اعداد : د. نجوى السيد احمد	١٢٤٣
• من روائع الماضى - أين المسلون اليوم من الاسلام	
إعداد وتقديم : عبد الفتاح حسين الزيات .	١٢٤٦
• طرائف ومواقف	
للاستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	١٢٥٠
• اللغة والادب والنقد	
فى طريق علم اللغة الحديث عند الغربيين	
للدكتور توفيق محمد شاهين	١٢٥٢
• نحو دراسة مقارنة لمدرسة الديوان	
بقلم : احمد مصطفى حافظ	١٢٥٧
• ابن بسام ولمحاته النقدية	
د. محمود جمعه أمين خليفة	١٢٦٢
• انباء وآراء	
اعداد : مصطفى عبد المجيد	
ومجدى عبد الحميد بشير	١٢٦٩
• القسم الفرنسى :	
المقالة الاولى : د. رقية جبر	١٢٨٧
المقالة الثانية :	
الاستاذة/ إيناس عبد الفتاح عامر	١٢٧٩
• القسم الانجليزى :	
المقالة الاولى :	
د.انس مصطفى النجار	١٢٩٧
المقالة الثانية :	
للاستاذ : لطفى على سلطان	١٢٩٢

La position d'Al Azhar à l'égard de la traduction du Coran.

Depuis plus d'un quart de siècle, les autorités d'Al Azhar se sont penchées sur l'étude de la traduction du Coran. A la suite de longues discussions, l'Aréopage des Grands Ulémas a décidé d'opter pour une interprétation du Coran. Ainsi une commission a été instituée en vue de préparer un commentaire en arabe susceptible d'être traduit dans les langues étrangères. Présidée par le Mufti d'Egypte à cette époque la commission a posé les conditions nécessaires à l'élaboration de ce commentaire. Ces conditions sont les suivantes :

1. **Le commentaire doit être dépourvu autant que possible de termes savants sauf lorsque la compréhension du verset l'exige.**
2. **Si l'explication de certaines questions s'avère nécessaire, la commission l'introduit en marge du commentaire.**
3. **Le commentaire doit respecter le sens du verset sans se limiter à une seule interprétation donnée par l'une des écoles juridiques en particulier.**
4. **Le Coran doit être interprété suivant le mode de lecture de Hafs[2] et n'aborder les autres lectures que si la nécessté l'exige.**
5. **Les circonstances de la révélation doivent être mentionnées en vue de faciliter la compréhension des versets.**
6. **Si un verset ou un groupe de versets abordent un seul sujet, on le mentionne. Ensuite, on donne l'explication de ces versets successivement dans une langue claire, tout en tenant compte des circonstances de la révélation et de la portée morale de ces versets.**
7. **Le commentaire doit indiquer au début de chaque sourate la catégorie à laquelle appartient la sourate : mecquoise ou médinois.**
8. **La commission doit faire précéder le commentaire d'un exposé sur le Coran et les thèmes qu'il renferme comme l'invocation à n'adorer qu'un seul Allah le culte, la législation et les récits des anciens, elle doit de même présenter la méthode adoptée dans le commentaire[2].**

Bien que l'Aréopage d'Al-Azhar ait mis les savants musulmans au courant de ce projet, celui-ci n'a pas vu le jour.

Quelques années plus tard, le Conseil Supérieur des Affaires Islamiques a édité un commentaire abrégé en arabe sous le titre. « المنتخب فى تفسير القرآن ».

Ce commentaire est susceptible d'être traduit. Le conseil en a présenté successivement maintes rééditions. Toutefois, cet ouvrage n'a pas encore été traduit en langues étrangères.

Après avoir ainsi fait le tour de la question, nous pouvons avancer l'opinion adoptée par la grande majorité des Ulémas : le Coran est arabe alors que l'Islam est universel. Or, comme l'Islam est la religion qui s'adresse à l'ensemble de l'humanité, il est nécessaire que le Coran soit interprété le plus fidèlement possible afin de faire parvenir ce message divin à quiconque veut le connaître. Quant à la traduction qui vise à produire dans une autre langue une oeuvre pouvant se substituer à la Parole divine, elle est impossible; car le style du Coran est un miracle et il est inimitable. C'est la raison pour laquelle les Arabes de la Gahiliya qui étaient pourtant célèbres par leur éloquence furent incapables de composer une seule sourate semblable à celle du Coran malgré le défi qui leur a été lancé par le Prophète paix soit sur lui. Or, "l'incapacité des plus qualifiés prouve l'incapacité de tout le monde"[1]

INAS ABDEL FATTAH AMER

---

1. Hafs Ibn Solyman, mort vers 190 H/805 JC, disciple direct et transmetteur (rawi) de Asm Ibn Abi Nagoud le lecteur canonique du Coufa.

٢ ـ أنظر الزرقانى ، مناهل العرفان فى علوم القرآن ، ص ١٧٠ ـ ١٧١ ، نقلا عن مجلة الأزهر (٦٤٨ ـ ٦٤٩ من المجلد السابع) .

1. J. Bouman. Le conflit autour du Coran et la solution d'Al Baqillani, op. cit, p. 61.

l'Imam Abu Yusuf, ils ont limité cette permission aux fidèles qui ne connaissent pas l'arabe[2].

On rapporte que, par la suite, L'Imam Abu Hanifa est revenu sur son opinion et a déconseillé cette pratique.

Les Safé'ites, les Malékites et les Hanbalites ont adopté une attitude plus strict que les Hanéfites. Ils ont insisté sur la nécessité d'accomplir la Prière exclusivement en arabe. Si le fidèle ignore cette langue,il est invités soit à apprendre "Al Fatiha" en arabe et les formules rituelles strictement nécessaires, soit à faire la prière derrière un Imam qui connaît bien la langue, soit à réciter des formules de glorification tout au long de la Prière, car Allah a dit dans son Livre sacré :

[Allal n'impose à chaque homme que ce qu'il peut porter]
Sour "La vache", le sens du verest 286[1].

La transcription du Coran dans les langues étrangères

Dans une "Fatwa" émise par Al-Azhar, il y a une interdiction d'écrire le Coran dans un alphabet autre que l'arabe et cela pour les raisons dont nous résumons le contenu en ces termes :

1. La transcription du Coran suppose une équivalence parfaite entre la structure phonologique de la langue originale et celle de la langue réceptrice. Or, ceci est impossible, car chaque langue possède un système phonologique particulier.
2. Tous les sons de la langue arabe n'ont pas leurs correspondants dans l'alphabet latin. C'est pourquoi il est impossible de transcrire le Coran dans une autre langue sans qu'il y ait quelques modifications dans la manière de les prononcer.
3. Selon la législation islamique, le Coran doit être conservé tel quel, sans aucune modification ni falsification. Or, le fait de changer la prononciation des mots du Coran modifie sans nul doute le sens réel. Ce qui est catégoriquement prohibé.
4. Les compagnons du Prophète (qu'Allah soit satisfait d'eux) et leurs successeurs ont toujours respecté l'écriture du Coran dans l'alphabet arabe[1].

Cependantla "Fatwa" n'est plus rigoureusement appliquée de nos jours vu le grand nombre de non-arabophones qui embrassent l'Islam et qui ne connaissent point la langue arabe.

---

2. A ce propos, le cheikh Al Maragi mentionne que les Hanéfites ont toléré dans la Prière l'emploi des versets qui peuvent être traduits littéralement. Par contre, ils ont interdit l'emploi de la traduction "interprétation" dans la prière, non parce qu'elle est illicite, mais parce qu'on n'est pas sûr qu'elle renferme le sens réel de la Parole d'Allah.

أنظر د. أحمد إبراهيم مهنا ، دراسة حول ترجمة القرآن المجيد ، ٦٦ ، ٦٧ .

١ ـ قال تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ سورة البقرة آية ٢٨٦ .

1. Le texte intégral de la "Fatwa" a été publié dans la revue "Al Azhar", T. 7, p. 45

« سئلت لجنة الفتوى فى الأزهر عن كتابة القرآن بالحروف اللاتينية ، فأجابت بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسوله بما نصه : لا شك أن الحروف اللاتينية المعروفة خالية من عدة حروف توافق العربية ، فلا تؤدى جميع ما تؤديه الحروف العربية ، فلو كتب القرآن بها على طريقة النظم العربى كما يفهم من الاستغناء ـ لوقع الإخلال والتحريف فى لفظه ، ويتبعها تغير المعنى وفساده وقد قضت الشريعة بأن يصان القرآن الكريم من كل ما يعرضه للتبديل والتحريف . وأجمع علماء الإسلام سلفا وخلفا على إن كل تصرف فى القرآن يؤدى إلى تحريف فى لفظه أو تغيير فى معناه ممنوع منعاً باتاً ، ومحرم تحريماً قاطعاً ، وقد إلتزم الصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم إلى يومنا هذا كتابة القرآن بالحروف العربية »

نقلا عن الزرقانى ، مناهل العرفان فى علوم القرآن ، دار الفكر العربى ١٩٨٠ . ص. ٢ ، ص ١٣٤ .

eux, le Coran doit être transmis aux Musulmans non-arabophones en arabe, tel qu'il a été revélé, et ces derniers sont invités à apprendre l'arabe pour comprendre le Coran. Car le Coran, selon le cheikh Al Satir, invite à l'unité de la langue parmi les Musulmans.

Pour apprendre notre religion aux étrangers, le cheikh conseille de composer des épîtres en leur langue pour expliquer les préceptes de l'Islam. Il a également ajouté :

"s'ils disent : nous ne voulons que l'interprétation du Coran, on peut leur répondre que le savoir des humains ne peut pas embrasser toutes les idées contenues dans le Coran même s'ils s'aidaient mutuellement"(3).

En 1932, le cheikh Mohammad Mostafa al Maragi, Grand Cheikh d'Al-Azhar, a publié une étude exhaustive sur la validité de la traduction du Coran, en se fondant pour cela sur l'opinion des différentes écoles jurisprudentielles(4) ainsi que livres de la jurisprudence (Sari'a) qui confirment son point de vue. Il est impossible d'aborder cette étude en détail mais nous nous contenterons d'en résumer les points essentiels.

Le cheikh Al Maragi ne voit aucun inconvénient à ce que le Coran soit traduit, à condition toutefois que les gens sachent que cette traduction est loin de remplacer le Coran lui-même et qu'elle ne renferme pas le caractère miraculeux qu'on ressent dans l'agencement des termes arabes. Cette traduction en effet rendra seulement les idées que le traducteur a saisies du Coran. C'est pourquoi notre cheikh ne fait pas de distinction entre le commentateur et le traducteur du Coran. Le premier explique le sens en arabe, tandis que le second essaie de rendre ce sens dans une langue étrangère.(1)

Enfin en 1936 J.C/ 1355 Hg, L'Aréopage des Grands Ulémas d'Al-Azhar a publié une "Fatwa" (décision juridique) dans laquelle ils reconnaissent comme licite la traduction des idées contenues dans le Coran, à condition toutefois que cette traduction ne soit jamais considérée comme le Coran.

L'utilisation d'une traduction du Coran dans la Prière

La question de la validité de la Prière faite dans une langue autre que l'arabe est une question qui ne manque point d'intérêt sur le plan pratique comme sur le plan doctrinal. Les positions prises par les écoles juridiques présentent des nuances. Nous ne les aborderons pas en détail mais nous soulignerons en gros l'opposition importante qui a eu lieu entre les Hanéfites et les autres écoles jurisprudentielles.

Les Hanéfites ont rapporté dans leurs ouvrages que l'Imam Abu Hanifa a exprimé une certaine tolérance à ce sujet. Il a déclaré que si le fidèle récite le Coran dans une langue étrangère, sa prière est valable. Quant à ses deux disciples l'Imam Mohammad et

---

٣ ــ وإن قالوا : أننا لا نريد إلا ترجمة معانى القرآن فقولوا لهم أن البشر لا يستطيع الاحاطة بمعانيه «ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً»

محمد مصطفى الشاطر ، القول السديد فى الحكم ترجمة القرآن المجيد مطبعة حجازى ، القاهرة ، ١٣٥٥ هـ ــ ١٩٣٦ م ، س ٨٠ نقلا عن د. أحمد إبراهيم مهنا ، دراسة حول ترجمة القرآن الكريم ، مطبوعات الشعب ص ٥٧ . **Traduction Personnelle** .

4. Les musulmans orthodoxes (sunnites) reconnaissent l'existence de quatre écoles juridiques officielles qui interprètent le droit musulman : l'école malékite l'école hanéfite l'école saite et l'école hanbalite.

١ ــ أنظر د. أحمد إبراهيم مهنا ، دراسة حول ترجمة معانى القرآن الكريم . مطبوعات دار الشعب ، بدون تاريخ ، ص ٧٠ .

Le Cheikh Mohammad Abu Zahra a dit à ce propos :

> "...... Le fait de considérer que cette traduction est le Coran amène à une altération et à une falsification de la nature du Coran, et même à lui faire subir des modifications comme ce fut le cas pour la Thora et l'Evangile. Ainsi l'original hébraique des Evangiles a été perdu et il n'en reste que les traductions grecques ou plutôt la traduction de quelques-uns de ces évangiles. La raison fut la traduction de l'hébreu. Tel sera le cas pour le Coran si nous tolérons qu'il soit traduit. Mais, au départ nous sommes dans une impasse, car la traduction est imposible"[1]

Bien que nous approuvions l'avis du Cheikh Abu Zahra pour ce qui est du fait de ne pas considérer la traduction comme le Coran lui même, toutefois nous réfutons l'idée que la traduction est la principale cause de la modification des textes de l'Ancien Testament et des Evangiles. En fait les remaniements que subirent ces derniers avant qu'ils nous parviennent dans l'état où ils se trouvent aujourd'hui, sont dûs à plusieurs raisons parmi lesquelles nous citons les suivantes :

1. L'Ancien Testament et les Evangiles ne furent point rédigés durant la vie de Moise ni de Jésus. Il furent tous écrits après la fin de leur mission. Autrement dit leurs auteurs n'étaient pas toujours les témoins occulaires des faits qu'ils relatent. Donc personne ne peut affirmer que les paroles des deux Prophètes ou les récits de leurs actes contenus dans l'Ancien Testament et les Evangiles sont rigoureusement conformes à la réalité.
2. La multiplicité des auteurs d'un même récit ainsi que les révisions des textes effectuées au cours des siècles et à des époques très éloignées les unes des autres ont amené à une modification des textes originaux.

Dans les années 30, la question de la légitimité de la traduction du Coran a été soulevée pour la 3ème fois en Egypte[1] lorsque l'Aréopage des Ulémas d'Al-Azhar a décidé d'entreprendre une interprétation du Coran en anglais avec la collaboration du Ministère de l'enseignement. Cette question a suscité de longues discussions et a donné lieu à de multiple courants d'opinions. Parmi les Ulémas qui s'opposaient à la traduction, on cite le cheikh Mohammad Solayman, Vice président de la cour légale Suprême, et le cheikh Mostafa al Satir, juge à la cour légale de Sébin el Qom. Chacun d'eux a formulé son opinion dans un ouvrage : le premier a pour titre : حدث الأحداث في الاسلام الاقدام على ترجمة القرآن [1] ou "Le grand événement de l'Islam : l'entreprise de la traduction du Coran", alors que le deuxième était [2] القول السديد في حكم ترجمة القرآن المجيد "L'avis pertinent sur la décision de traduire de saint Coran". Selon

---

١ ـ « اعتبار هذه الترجمة قرآنا » فإن ذلك يؤدى إلى أن لا يحفظ القرآن من التحريف والتبديل بل تعتريه ما اعترى التوراه والأناجيل من تحريف وتبديل ، فالأناجيل ضاع أصلها العبرى ، ولم يبق إلا ترجمتها اليونانية أو بالأحرى ترجمة بعضها والسبب فى ذلك هو ترجمتها من العبرية ، وهكذا يكون القرآن الكريم لو سوغنا ترجمة ولكن الطريق مسدود ابتداء لأن الترجمة غير ممكنة » **Traduction personnelle**

محمد أبو زهرة المعجزة الكبرى القرآن ، دار الفكر العربى ، ص ٥٨٨ نقلا عن د. عبد الله شحاته ، ترجمة القرآن ، دار الاعتصام ، القاهرة ص «١٠» .

1. La première fois, dans les années 20, les Ulémas d'Al Azhar interdirent l'entrée d'une traduction anglaise en Egypte et demandèrent aux autrorités de la brûler. La seconde a eu lieu lorsque le gouvernement turc, présidé par Mostafa Kamal Ataturk, décida de traduire la Coran en sa langue nationale en vue de se passer de l'original arabe.

١ ـ محمد سليمان ، حدث الأحداث فى الإسلام الاقدام على ترجمة القرآن ، المطبعة السلفية بمصر ، ١٣٥٥م.

٢ ـ محمد مصطفى الشاطر ، القول السديد فى الحكم القرآن المجيد ، مطبعة حجازى ، القاهرة ، ١٣٥٥هـ ، ١٩٣٦م .

Traductibilité

du Coran
par
Inès Abdel Fattah Amer

— 2 —

La question qui se pose alors est la suivante :

Est-il possible de traduire parfaitement le style coranique en une langue autre que l'arabe?

Pour répondre à cette question il faut d'abord savoir quel est le but de la révélation du Coran à notre Prophète paix soit sur lui.

Le Coran a été révélé dans deux buts essentiels :

1. Guider les hommes dans la voie de la Vérité et les invoquer à n'adorer qu'Allah.
2. Etre un signe miraculeux témoignant de l'authenticité du Message de Mohammad paix soit sur lui.

Selon Ibn Qotayba, ce second objectif ne peut être atteint dans le texte traduit, car tout discours éloquent traduit dans une autre langue ne peut être reproduit intégralement.

En effet le discours éloquent renferme en soi deux sens : l'un est original ou réel et l'autre est secondaire ou rhétorique. Le premier est compréhensible pour quiconque est capable de résoudre les ambiguïtés sémantiques de la langue, alors que le deuxième réside dans le choix des mots, des métaphores et des symboles.

En appliquant ce principe au Coran dont le texte atteint le plus haut degré d'éloquence, on constate que toute traduction du discours coranique qui se propose de composer dans la langue cible un discours qui soit identique au Coran dans tous ses aspects rhétoriques est impossible. C'est pourquoi les Ulémas reconnaissent à l'unanimité l'intraductibilité du Coran dans les deux sens : réel et rhétorique. Ils jugent que seul le sens réel ou original peut être rendu, quant au mode d'expression dans lequel le discours est écrit, il ne peut être reproduit. En effet, il n'existe pas deux langues qui aient, d'une part, la même grammaire, les mêmes formes syntaxiques et, de l'autre, un vocabulaire correspondant en tous points.

On en déduit donc que si l'on dépouille le Coran de sa forme linguistique, il perd son son caractère miraculeux car "l'igäz est intraduisible".

"Au cours de son voyage, le Prophète atteignit. "L'Arbre Lotus de L'Aboutissement qui se trouve au sixième ciel. C'est là la limite fixée aussi bien pour ceux dont les âmes remontent de la Terre après la mort, que pour ceux qui descendent des cieux. Le Prophète cita alors; [Au moment où l'Arbre était enveloppé par ce qui le couvrait]. Cet arbre décrit par le Prophète paix soit sur lui : "comme enveloppé d'une couverture d'or".

Là le Prophète paix soit sur lui reçut trois dons : les cinq prières canoniques, la Révélation des derniers versets de la Sourate "La Vache" et l'absolution pour quiconque ne donne point d'associé à Allah (à condition qu'il appartienne à la communauté musulmane et qu'il n'ait point commis de péchés majeurs)"[1]

Il ne faut point oublier toutefois que ce Voyage et cette Ascension Nocturnes du Prophète ont pour but de certifier par un miracle la toute-puissance divine mais aussi le Message de Mohammad. paix soit sur lui

En choisissant ce Prophète, élu parmi tous les prophètes, Allah a voulu lui montrer mantériellement les châtiments divins mais aussi le paradis promis aux croyants.

Ajoutons à cela que le but ultime de cette ascension fut d'imposer à la communauté musulmane les prières.

DR. ROKEYA GABR

---

1. عن عبد الله بن مسعود ــ رضى الله عنه ــ قال : لما أسرى برسول الله انتهى به إلى سدرة المنتهى ، وهى فى السماء السادسة إليها ينتهى ما يخرج به من الأرض فيقبض منها ، وإليها ينتهى ما يهبط به من فوقها فيقبض منها ، قال : (إذ يغشى السدرة ما يغشى) ، قال : فراش من ذهب ، قال فأعطى رسول الله ثلاثا : أعطى الصلوات الخمس ، وأعطى خواتيم سورة البقرة ، غفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئا ، المقحمات (الذنوب الكبائر التى تقحم أصحابها بالنار) .
صحيح مسلم : باذن الإيمان (باب إنتهاء النبى إلى سدرة المنتهى فى الإسراء) ص ٢٨ .

Sourate "les Troupeaux" le sens du verset 103[3]

Ajoutons à cela, ce verset tiré de la Sourate "La délibération" le sens du verset 51

[Il n'a pas été donné à un mortel que Allah lui parle si ce n'est pas inspiration ou derrière un voile]

Cet écran fut en effet la lumière éblouissante que le Prophète paix soit sur lui vit sur l'Arabe Lotus qui était comme voilé par un écran lumineux et qui lui apparut couvert sur chaque feuile d'anges chantant les louanges d'Allah. Cet arbre situé au septième ciel est la dernière étape que franchit l'âme de celui qui quitte la terre; c'est pourquoi il porte le nom de l'Arbre Lotus de l'Aboutissement.

D'ailleurs, la sincérité du Prophète Mohammad paix soit sur lui ne fait point de doute. Bien avant la Révélation du Message, il avait été surnommé par les siens "le sincère et le probe".

Il existe en outre plusieurs Hadiths authentiques qui en font foi et qui montrent que le Prophète n'a jamais rapporté que ce qui lui était commandé :

Dans un Hadith recueilli par l'Imam Ahmad Ibn Hanbal on rapporte que le Prophète a dit "*Je ne dis que la vérité*"[1]

"Ecris. Je jure par Celui dont ma vie est entre les mains que je ne prononce que la vérité"[2]

Dans un Hadith tiré *de Sahih Moslem* la vision béatifique de la Lumière divine est décrite comme un lueur aveuglante :

Allah est caché par un écran de lumière. Si cet écran venait à disparaître, les rayons émanant de la face divine brûleraient tout à perte de vue."[1]

Au sujet de l'Arbre Lotus de l'Aboutissement on trouve le Hadith suivant qui rapporte ces paroles du prophète Mohammad paix soit sur lui "Je fus emporté jusqu'à l'Arbre Lotus de l'Aboutissement : il était couvert de couleurs indescriptibles. Ensuite je fus introduit au Paradis; là je vis des cordes de perles tressées et du musc recouvrant le sol."[2]

---

3. Autre traduction : Les yeux des humains ne peuvent l'atteindre mais Lui voit tout.

﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب ﴾

سورة الشورى (آية ٥١)

« لا أقول إلا حقا ، أخرجه الإمام أحمد ـ مختصر تفسير ابن كثير (المجلد الثالث)

« أكتب . فوالذى نفسى بيده ماخرج منى إلا الحق » (أخرجه أحمد وأبو داود)

عن أبى موسى ـ رضى الله عنه ـ قال : قام فينا رسول الله بخمس كلمات فقال : « إن الله لا ينام ، ولا ينبغى له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه مختصر صحيح مسلم ص ٣١ (باب فى رؤية الله (م ١/١١١) .

« ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام » فعرض الله على أمتى خمسين صلاة .

ثم انطلق بى حتى انتهى بى إلى سدرة المنتهى ، وغشيها ألوان لا أدرى ما هى ؟ ثم أدخلت الجنة ، فإذا فيها حبائل (وفى رواية : جنايذ) اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك » مختصر صحيح البخارى ص ١٠٠ (كتاب الصلاة) ابن شهاب .

Les versets 5 à 10 de cette Sourate font allusion aux deux fois où le Prophète a vu Gibril sous son aspect véritable : la première fois, à la demande de Mohammad paix soit sur lui au début du Message (il a bloqué l'horizon avec ses six cents ailes) et la seconde fois durant l'Ascension nocturne près de l'Arbre Lotus de l'Aboutissement.

Le texte divin certifie ainsi que le Prophète Mohammad paix soit sur lui était en pleine possession de sa raison, qu'il a dit la vérité et qu'il n'est point un égaré qui divague.(3)

Allah nous apprend ainsi que le Prophète paix soit sur lui paix soit sur lui a fait part d'une Révélation et qu'il n'a fait que rapporter fidèlement ce que Allah lui a donné l'autorisation de dire. Ceci est confirmé par les versets suivants dans lesquels. Allah fait ser-. ment sur la véracité de toutes les paroles de Mohammad paix soit sur lui.

[Je jure par ce que vous voyez
et par ce que vous ne voyez pas :
c'est là, en vérité, la parole d'un noble Prophète;
ce n'est pas la parole d'un poète;
— votre foi est hésitante —
ce n'est pas la parole d'un devin;
— Comme vous réfléchissez peu
c'est une Révélation du Seigneur des mondes
S'il nous avait attribué quelques paroles mensongères...] (1)

Sourate "Celle qui doit venir"
le sens des versets de 38 à 44

Par ailleurs, le onzième verset de la Sourate "L'Etoile" où l'on trouve :

[Le coeur n'a point menti au sujet de ce qu'il a vu](2) **a amené les glossateurs à se demander si Mohammad paix soit sur lui a vu Allah tout comme Moïse Lui a parlé.**

Or dans un Hadith où Abou Therr demandait au Prophète paix soit sur lui s'il avait vu Allah Mohammad paix soit sur lui répondit : *"j'ai vu une Lumière."*

D'autre part, on rapporte dans un autre Hadith que l'épouse du Prophète, Aïcha, a dit : *"Celui qui t'a dit que Mohammad a vu son Seigneur t'a menti et elle a cité les versets suivants : [Les regards des hommes ne l'atteignent pas mais il scrute les regards]*(2)

---

3 ﴿ ما زاغ البصر » ما ذهب يمينا ولا شمالا
« وما طغى » ما جاوز ما أمر به ، ولا سأل فوق ما أعطى .

1. « ﴿ فلا أقسم بما تبصرون (٣٨) وما لا تبصرون (٣٩) إنه لقول رسول كريم (٤٠) وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون (٤١) ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون (٤٢) تنزيل من رب العالمين (٤٣) ولو تقول علينا بعض الأقاويل (٤٤) لأخذنا منه باليمين (٤٥) ثم لقطعنا منه الوتين (٤٦) فما منكم من أحد عنه حاجزين (٤٧) » .
سورة الحاقة (آية ٣٨ إلى ٤٧)

2. « ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾ سورة النجم (آية ١١)

2. « من حدثك أم محمدا رأى ربه فقد كذب ، ثم قرأت ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الابصار ﴾ سورة الانعام (اية ١٠٣)

— La glorification d'Allah au début du verset certifie qu'il s'agit là d'un miracle (un rêve ne nécessite pas de preuves à l'appui) et que le Prophète a été transporté grâce un pouvoir surnaturel (emploi de la voix passive)(1)

— D'autre part si c'était l'âme seule, et non le corps, qui s'était déplacée le Prophète n'aurait pas eu besoin de monture.

— Allah a certifié que c'était pour lui faire voir(2) des signes : Il est question de la vue du Prophète. Or la vue est l'un des cinq sens et elle exige l'usage d'un organe (l'oeil) faisant partie du corps humain.

On peut donc en conclure que ce voyage a été effectué matériellement par le Prophète paix soit sur lui.(3)

Les commentaires de la Sourate "l'Eloile" viennent éclairer davantage ce Voyage Nocturne en précisant le but de ce voyage et de cette ascension.

[Par l'étoile lorsqu'elle disparaît !
Votre compagnon n'est pas égaré.
Il n'est pas dans l'erreur
Il ne parle pas sous l'empire de la passion.
C'est seulement une Révélation qui lui a été inspirée.
Le Puissant, le Fort la lui a fait connaître.
Celui qui possède la force s'est tenu en majesté;
Alors qu'il se trouvait à l'horizon suprême;
Puis il s'approcha et demeura suspendu.
Il était à une distance de deux portées d'arc — ou moins encore.
Et il révéla à Son serviteur (1) ce qu'il lui révéla](4).

Sourate l'Etoile (v. 1 à 10)
le sens des versets de 1 à 10

---

1. [Celui qui a fait voyager de nuit Son serviteur]. « الذى أسرى بعبده »

2. [Pour lui montrer certains de Nos signes] « لنريه من آياتنا »

« ثم اختلف الناس هل كان الإسراء ببدنه ـ عليه السلام ـ أو بروحه فقط ؟ على قولين ، فالأكثرون من العلماء على أنه أسرى ببدنه وروحه يقظة لا مناما ، ولا ينكرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى قبل ذلك مناما ، ثم رآه بعد ذلك يقظة ، لأنه كان ـ عليه السلام ـ لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، والدليل على هذا قوله ـ تعالى : (سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله) . فالتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام ، فلو كان مناما لم يكن فيه كبير شيء ولم يكن مستعظما ، ولما بادرت كفار قريش إلى تكذيبه ، ولما ارتدت جماعة مما كان قد أسلم . وأيضا ؛ فإن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد وقد قال : (أسرى بعبده ليلاً) وقال تعالى : (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس) .

قال ابن عباس : هى رؤيا عين أريها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة أسرى به ، والشجرة الملعونة هى شجرة الزقوم . وقال تعالى : (مازاغ البصر وما طغى) ، والبصر من الآت الذات لا الروح ، وأيضا فإنه حمل على البراق ـ وهو دابة بيضاء براقة لها لمعان ـ وإنما يكون هذا للبدن لا الروح »

مختصر تفسير ابن كثير (ج ٢) ص ٣٦٣ .

3. Erreur à relever dans cette traduction de Masson :
d'après l'exégèse du Coran, cette expression signifie que Gibril était tout près du Prophète.
Son serviteur : c'est Allah qui lui révéla et non Gibril.

4. « ﴿ والنجم إذا هوى (١) ما ضل صاحبكم وما غوى (٢) وما ينطق عن الهوى (٣) إن هو إلا وحي يوحى (٤) علمه شديد القوى (٥) ذو مرة فاستوى (٦) وهو بالافق الأعلى (٧) ثم دنا فتدلى (٨) فكان قاب قوسين أو أدنى (٩) فأوحى إلى عبده ما أوحى (١٠) ﴾

سورة النجم

Aux Koraïchites[1] qui restaient sceptiques devant le récit du Prophète (à cette époque il était inconcevable qu'en une nuit on pût faire le voyage aller — retour de la Mecque à Jérusalem), l'Imam Ahmed Ibn Hanbal nous rapporte le Hadith suivant : Selon lui, le Prophète Mohammad paix soit sur lui a dit : "Lorsque les Koraïchites me démentirent au sujet de mon voyage à Jérusalem, je suis allé au Hijr de Ismaïl, alors Allah présenta à ma vue le temple et je me miŝ à le leur décrire tel qu'il se présentait devant mes yeux."[2]

Allah venant ainsi en aide à Son Envoyé voulait démontrer le bien-fondé des dires du Prophète devant les incrédules.

Or, on ne doit point s'étonner que le Prophète Mohammad paix soit sur lui ait parcouru cette distance en si peu de temps. A notre époque, et grâce aux découvertes de la science, les hommes ont réussi à parcourir de très grandes distances en un temps très court. A l'époque de Mohammad paix soit sur lui cela semblait incroyable.

Ce n'est là qu'un des signes de la Toute-puissance divine.

Ajoutons à cela que s'il s'agissait d'un songe personne n'aurait eu lieu de s'en étonner; mais le Prophète paix soit sur lui a donné à ses contemporains des témoignages qui prouvent qu'il a effectivement et physiquement accompli ce voyage (Al Isrâ) de la Mecque à Jérusalem (la caravane rencontrée sur la route et le chameau égaré, la description du Temple,..... etc).

Selon, un savant éminent, le Cheikh Châ'rawi[3], ces preuves données par Mohammad paix soit sur lui et vérifiées par les faits n'étaient qu'un préambule pour convaincre les contemporains du Prophète du récit de l'Ascension (Al Mi'rag) qui devait leur paraître encore plus extraordinaire. En effet une fois que les hommes sont convaincus que par Sa toute-puissance Puissance, Allah a donné à son Prophète le moyen de se libérer des limites spatiales et temporelles. Il peut, de la même manière, l'élever à des hauteurs jamais atteintes et inaccessibles à tout être vivant.

Dans son commentaire de la Sourate "Le Voyage Nocturne", le Cheikh Cha'rawi nous dit :

"Lorsque le Coran a évoqué le récit du Isrâ, il l'a fait explicitement, mais lorsqu'il parle du Mi'rag il le fait "implicitement" (i.e. conformément aux preuves préalablement données pour Al Isrâ).[4]

Dans le commentaire du premier verset de la Sourate "Le Voyage Nocturne", les exégètes se sont fondés sur les faits suivants pour affirmer que le Prophète paix soit sur lui a effectué ce voyage avec son corps et que ce n'était point un songe. En voici les preuves :

---

1. Noble tribu de la Mecque.

2. « لما كذبتني قريش حين أسرى بي إلى بيت المقدس ، قمت في الحجر فجلى » الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه » .

3. Considéré comme l'un des plus éminents exégètes et glossateurs du Coran à l'époque actuelle.

4. « والقرآن حين تعرض لحديث الإسراء تعرض له صراحة ... وعندما تحدث عن المعراج تعرض له كما يقولون إلتزاما » الشيخ الشعراوى فى الأخبار ١٣/١٠/٨٩ .

Comme, logiquement (pour ceux dont l'imagination est fertile) les âmes se servent d'une échelle pour monter au Paradis, on aura — inversement — une "descente" aux Enfers. Certains auteurs sont allés jusqu'à dire que l'Enfer se trouve au centre de la Terre et, plus précisément, sous la ville de Jérusalem, alors que le Paradis se trouve juste au-dessus.[1]

Cependant, rien dans l'eschatologie musulmane n'indique explicitement cette "descente". D'un autre côté, Mohammad paix soit sur lui commence son ascension du premier au septième ciel — notons le — sans échelle.

Dans l'une des versions du récit,le Prophète paix soit sur lui rencontre 'Azrail (l'ange de la mort) ainsi que le gardien des Enfers au cinquième ciel; c'est ce dernier qui, en soulevant une sorte de couvercle ou d'écran, lui découvrira les divers supplices infernaux. Cette "descente" au royaume des ombres que les critiques occidentaux ont appelée à tort "isrâ" n'a en fait aucune origine islamique certifiée. La seule explication plausible de cette interprétation réside dans la topographie des Enfers donnée par le Coran : alors que les Paradis sont sous forme d'étages, les Enfers sont en couches superposées et de plus en plus profondes et ils ont la forme d'un abîme[1]. Pourtant rien n'indique que cet abîme soit situé à l'intérieur de la terre (ou sous la ville de Jérusalem).

Or, l'on sait qu'avant l'Islam, le monde d'outre-tombe a fourni le sujet de plusieurs légendes (persanes, mazdéemes... etc.). Il existait sans doute en Inde et en Perse, bien avant l'Ascension du Prophète Mohammad paix soit sur lui plusieurs légendes relatives au ciel et aux enfers.

C'est pour cette raison que les orientalistes pensent qu'il s'agit d'une légende, non d'un récit véridique, qui a ses orignes dans les temps les plus reculés de l'histoire de l'humanité et plus particulièrement dans les civilisations les plus anciennes (hindoue, persane, grecque et pharaonique).

Or, si le sujet a été abondamment traité par les littératures pré-islamiques, les détails apportés par le récit du Mi'rag du Prophète Mohammad paix soit sur lui sont entièrement nouveaux.

Par ailleurs, la seule ascension au royaume d'outre-tombe qui eut lieu en réalité est celle du Prophète Mohammad paix soit sur lui. Elle est certifiée par le Coran[2] et confirmée par les Hadiths dont les chaînes de transmission ont été vérifiées par les traditionnalistes.

Que les récits et les légendes forgées par l'imagination des poètes et des écrivains à partir du Mi'rag de Mohammad paix soit sur lui aient pu s'inspirer de légendes antérieures, cela est fort possible. Mais ce n'est point là un argument sur lequel on peut se fonder pour nier que le voyage et l'ascension de Mohammad paix soit sur lui ont eu lieu réellement comme nous allons le démontrer avec des preuves à l'appui.

Tout d'abord, la véracité des paroles du Prophète paix soit sur lui ne fait point de doute pour un Musulman, d'autant plus qu'elle a été vérifiée comme nous allons le prouver :

---

1. Dans la doctrine islamique, le Temple Habité البيت المعمور est situé en ligne droite au-dessus de la Kaabah et des anges font nuit et jour la tournée processionnelle autour du Sanctuaire Sacré, tout comme les pélerins musulmans.

1. Voir plus loin.

2. Rappelons que le Coran est le Verbe incarné, c'est la Parole d'Allah immuable et conservée intégralement jusqu'à l'éternité.

En effet, par l'originalité de son sujet, ce récit marque un événement littéraire auquel l'homme de lettres n'a pu rester indifférent : sa mémoire en a sûrement gardé des bribes.[1]

Il serait bon de relever ici une erreur commise par la majorité des critiques non arabophones ou du moins qui ne sont point familiarisés avec la pensée islamique.

Faisons tout d'abord remarquer que le récit d'Al Isrâ (le voyage Nocturne du Prophète Mohammad paix soit sur lui du Sanctuaire Sacré de la Mecque au Temple de Jérusalem) n'a point eu d'échos dans les littératures occidentales.

Il a également fait l'objet de malentendus de la part des orientalistes et même de certains islamologues qui ont interprété le terme "Isrâ" comme étant la visite aux Enfers, par opposition au Mi'rag qui est l'ascension aux sept cieux du Paradis.

En fait, le terme arabe "Isrâ" signifie "voyage" (et non descente aux Enfers) et, pour tout Musulman, ce terme désigne le voyage effectué par le Prophète paix soit sur lui de la Mecque à Jerusalem.

Quant au terme "Mi'rag", il signifie littéralement "échelle", le verbe arabe "Araga" signifiant" il est monté par étapes successives" (pas en ligne droite). Ce verbe employé à la forme passive, a été ainsi interprété : le Prophète "a été monté" (i.e. transporté dans les hauteurs ou élevé) jusqu'au septième ciel.

Ainsi, ce terme a prêté à de nombreuses confusions parmi les non-arabophones.

Après cette mise au point nous étudierons les échos de ces récits islamiques dans la littérature occidentale.

L'Echelle de Mohammad paix soit sur lui[1] est le premier texte religieux relatant le voyage d'un vivant au royaume d'outre-tombe. Ce texte traduit d'abord en catalan, puis en latin et en français (au XIIe.s.)[2] s'est répandu à travers l'Europe médiévale.

Ce récit dont le titre est explicite, décrit en effet l'Ascension du Prophète (ce qui justifie l'emploi du terme "Mi'rag", traduit par "échelle").

Or, il n'est point fait mention de cette échelle dans les Hadiths authentiques.

Cependant dans le texte *l'Echelle de Mohammad* ou *Le Livre* de l'échelle qu'on pense être la version du Hadith de Ibn Abbas, on trouve une description détaillée de cette "échelle" avec maints détails brodés par l'imagination des poètes et des mystiques musulmans.

---

1. د. محمد رجب البيومى : أثر المعراج فى الأدب العالمى ص ٢٤٥

« يردون مورداً اشتق إبداعه وإلهامه من حديث صحيح ، ويمكننا إذ ذاك أن نسمى ما ساقه الوضاعون من حديث المعراج أدباً مصنوعاً استلهم البيان النبوى ثم نقل تأثيره إلى أدباء العالم ، وهم بإنتاجهم المتشابه ، يعلنون بلسان النقد أن صاحب الإبداع الأول هو نبى الإسلام لا محالة ، وغيره وقد احتذاه » .

1. « معراج محمد » أو « معراج الرسول » .

2. Voir Chap. V.

Le Voyage et l'Ascension Nocturnes de Mohammad Paix Soit Sur Lui en is Lam

Dr. Rokeya Gabr

— 2 —

Il faut toutefois faire une distinction entre le vrai récit de l'Ascension du Prophète à laquelle croit tout Musulman comme étant un miracle et les récits imaginaires ou les légendes traitant du même sujet.

Le récit authentique attribué au Prophète et qui contient les épisodes du voyage et de l'ascension a été rapporté dans les ouvrages de Hadiths où se trouve la tradition musulmane.

Dans certains Hadiths le narrateur tout en respectant l'esprit même du récit a ajouté des détails, en se référant pour cela à des descriptions du Paradis et de l'Enfer puisées dans le Coran. Selon les traditionnalistes ces Hadiths sont considérés comme "faibles" parce que les chaînes de transmission ne sont pas toujours vérifiées.

Toujours est-il qu'autour de ce sujet qui enflamma l'imagination fertile des poètes et des mystiques, se tressa toute une littérature eschatologique qui vint ajouter de multiples détails au récit authentique.

قال ابن أبى حاتم ، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « رأيت ليلة » أسرى بى لما انتهيت إلى السماء السابعة ، فنظرت فوق ، فإذا رعد وبرق وصواعق ، قال : وأتيت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء آكلوا الربا ، فلما نزلت إلى السماء الدنيا نظرت أسفل منى فإذا أنا برهج ودخان وأصوات ، فقلت من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هذه الشياطين يحومون على أعين بنى آدم لايتفكرون فى ملكون السماوات والأرض ، ولولا ذلك لرأوا العجائب » . رواه الإمام أحمد .

REVUE AL-AZHAR

Shawwal 1412
Volume 64 — Partie X

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr·Rokaya GABR, Professeur adjoint ou Département de Langue Française et de Traduction

M. Mohammad OMAR Traduct. en chef au Centre de Recherches Islamiques

are present. Their hearts are the lamps of guidance. They remove darkness from every piece of land."

Committing insincere acts within the garb of worship has its evils hidden even from the sight of the individual himself, and the society is also not able to recognize it. Such an individual remains absorbed in the ramifications of his acts. He is under the false impression that he is also working for the pleasure of Allah; without recognition of the insincerity of his intentions and actions. The whole mental orientation is not properly geared.

Again, true sincerity is also very much required in the transmission and teaching of knowledge. This should be a highly optimized process characterized by the most sincere devotion in performance and Ikhlas in the propagation of fields of knowledge and culture to other generation. This will ensure continuity of propagation, and the upkeep of knowledge. Allah granted superiority to man over all his other creatures. Therefore, it should be utilized in the furthermore of human enlightened and escalation of refinement.

Islamic teachings indicate the necessity that the teacher and learner should give proof of sincerity in the field of knowledge and give preference to high values and public interests over the desires and worldly gains. The diseases caused by lack of sincerity are many. When they garb and spread in a society, they destroy faith, and cause a barrier mental matrix which prevents sincere thoughts and intentions to populate within the psychic structure of the individual.

Muslims are urged continually to provide tension and good conduct in their lives. This attachment to such necessary qualities should be very strong and should not break or weaken. Selflessness, pure devotion, and Allah's pleasure as an ideal to follow in life. Their sincerity should be real, as in Allah's sight, not as in other men's sight; and they should always call upon Allah to give them the light by which their sincerity may command itself to Him as true sincerity, that is" as in His sight; for when they return to Him, they will be stripped of all pretence, even such self-deception as may satisfy them in this life.

If one's self is pure and full of sincerity, then its blessing helps to make an ordinary thing as weighty as a mountain. If it is devoid of sincerity, then what reward can it achieve from Allah ? The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) said : "Make your faith pure; a little (righteous) act will be sufficient to save you from hell". "When the Last Day would occur, the deeds done in the world will be presented to Allah. From them, the acts performed for Allah's pleasure will be separated; and the other acts performed for other purposes will be thrown into the fire of hell".

The external acts of man can neither achieve the pleasure of Allah nor the grandeur of the worldly life. Allah gives his attention only to His faithful and sincere subjects, and accepts only those of their acts that bring them nearer to Him. As regards the worldly show and human appearances, they have no importance and no value. The Prophet said : "Allah does not see your bodies nor does He look at your faces, but he sees your hearts".

According to the sayings of the Prophet" the reward for virtuous acts and good deeds is evaluated to be from ten times to hundred times, depending on the intention and sincerity hidden in the heart. This is known only to Allah Who knows about all the manifest as well as the hidden things in the universe. The reward increases according to the purity and sincerity of the intention.

A man who would adopt these realities in his life would experience relief and comfort in worldly life and achieve eternal bliss in the Hereafter. He will not be harmed by the loss of anything nor will be grieved. Charity is not acceptable unless it is given entirely for seeking the pleasure of Allah. The Glorious Qur'an says: "Those who spend their wealth for increase in self-purification, and have in their minds no favour from anyone for which a reward is expected in return, but only the desire to seek for the countenance of their Lord Most High; and soon will they attain (complete) satisfaction" (Surat Al-Lail, XCII, 18 - 21). The prayer based on hypocrisy is considered a sin, because after losing the essential sincerity it has become dead, and is therefore useless.

For this reason, Islam considers hypocrisy in human acts as most abominable and declares it as shirk (associating some one else with Allah). Hypocrisy is also polytheism. He who is hostile to Allah's friends, he openly declares a war against Allah. Allah likes those who are righteous, who fear Him and who pray secretly, those who would not be missed if they disappear and would not be recognized if they

The ultimate climax of Ikhlas manifests itself when the true nature of the Creator "Allah" is clearly indicated to the mind. The nature of the "Supreme Being" is so sublime, so far beyond limited conceptions, all existence is through His will, all worship is to Him alone, He is eternal without beginning or end, Absolute not limited by time place or circumstance. To the Supreme Being "Allah" there is total submission in "Tawhid", and to Him alone, there is total sincerity of intention and action in Iklhas. With this pattern of thought in mind, Islam evaluates man's actions according to the degree of Ikhlas initiating or propagating the action.

The real true value of actions depend on the nature of motivation that promoted the act. Actions with the highest values are those that were promoted by the sincerest intentions. The sincerity of intention is directed to Allah, however, the action itself is directed to the service of worldly aims in the various avenues of life. Acts of worship, charity, generosity, physical work, mental efforts must be done and executed to seek Divine Satisfaction from Allah, as a function of Tawhid. If such acts are made with the basic intention and plan to seek worldly fame, riches or esteem. The Holy Qur'an indicates these meanings in several verses" Verily it is We Who have revealed the Book to you in Truth: so worship Allah offering Him sincere devotion; surely sincere devotion is for Allah (Surat Al-Zumur, XXXIX, 2 - 3).

"And they have been commanded no more than this: to worship Allah offering Him sincere devotion, being True (in faith), to establish regular Prayer, and to practice regular Charity, and that is the religion right and straight". (Surat Baiyina, XCVIII, 5). "And they feed, for the love of Allah, the indigent, the orphan, and the captive, saying, "We feed you for the sake of Allah alone : no reward do we desire from you, nor thanks". (Surat Ad-Dahr LXXVI : 8 - 9). Worship or obedience to Allah, in all its ramifications, is not to be mixed with mean motives. Every good action should be motivated by a sincere desire to obey Allah, and to seek His good pleasure.

The prophet (peace and blessings of Allah be upon him) said: "Actions will be judged only by intentions, and for every man is that which he intends (to achieve). So, he who migrates for the sake of Allah and His Messenger, he really migrates for the sake of Allah and His Messenger; and he who migrates for the sake of worldly gain which he wants to attain or a woman whom he wants to marry, his migration will be accounted for the thing for which he migrates". He also said: "Beware, your deeds should always be for the sake of Allah only; deeds which are done merely out of vanity or to catch the public will eventually bring harm to the doer".

Intention and Sincerity

By: Lotfi Ali Sultan, B.A. (Hons), M.Ed., M.A.

The fundamental elements of Islamic doctrinal teachings provide a thought milieu to the human mind from which all conceptualizations and knowledge of understanding are essentially derived. The most profound for the proper orientation of the mental function and psychological depth of mankind is the faculty of "Ikhlas" which is devoted sincerity of genuine candid intention. This faculty of the mind and psyche entails within its domain a wide infrastructure of ramified dimensions. It implies probity in thought and action, integrity of righteousness, scrupulousness of character, moral excellence, fidelity, justness and principled ethics. The true understanding and tutorship of such dimensions are drawn upon from the text of the Holy Qur'an and the traditions of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The true understanding of these dimensions and the practice in life is a fundâmental requirement of the Muslim, without which his devoted submission to Allah as a Muslim confessing to the Shehadah, becomes very much distorted and undermined. In the real understanding of Islamic Theism, all human actions, intentions, deeds of every kind; that are not based on "Ikhlas" are rejected, refuted with no true fruitful beneficial result.

The faculty of Ikhlas is in reality the outcome of Tawhid; and a true stable equilibrium of understanding must be precisely balanced in the mind of the individual between the reality of Tawhid and his extent and degree of "Ikhlas". These human faculties are inherent in the mind, soul, spirit, and psyche of man; and only the true honesty, sincerity and candidness of each individual can represent the degree of Tawhid and the extent of Ikhlas. When purified intentions, and devoted sincerity prevail, "Ikhlas" supervenes through the degree of Tawhid that controls and regulates all these functional faculties of mankind. in this understanding, Iklhas is the true reflection of Tawhid of the individual. Since Tawhid entails the totality of human existence; Ikhlas must indeed become the fountain of all intentions and all actions. Ikhlas devoted sincerity and genuine candid intention is fundamentally to Allah the Creator; there can be no Iklhas in intention or action to anybody even one's own self, without the basic substrate of Iklhas to Allah as a function of Tawhid. This is similar to the sentiment of love; there can be no love to anybody or even one's own self, without the basic substrate of Love to Allah as a function of Tawhid.

organized conspiracy. The details of the underhand chicanery of deception were disclosed by Muslims of high rank, by mere chance. Abd Al-Rahman ibn Aouf happened to see the dagger by which Omar was stabbed. He recognized that he had seen that particular dagger with the handle in the middle of two blades, with Al-Hormuzan and Jufaynah the Christian, both persian captives. Abd-Al-Rahman ibn Abi Bakre also related that he had observed the persian bondslave Abu Loloah Fayruz, Al-Hormuzan, and Jufaynah secretly talking together, and when he approached them a dagger with a handle in the middle of two blades fell on the ground which they picked up. Both Ibn Aouf and Ibn Abu Bakre witnessed these association of circumstances on the day before Omar was stabbed. Both men were genuine witnesses, highly reputed with honesty. These evidences presented by the two witnesses left no doubt that the murder of Omar ibn Al-Khattab was an organized conspiracy planned by the Persians, the Christians, and the Jews to break through the unity of the Muslim Ummah by assassination of the energizing heads. Abu Loloah Fayruz the bondslave was only an instrument to execute the intrigue.

Ubayd Allah ibn Omar heard the words of Abd Al-Rahman ibn Aouf, and Abd Al-Rahman ibn Abi Bakre, and became certain that his father was assassinated according to a predetermined plot. Ubayd Allah ibn Omar took his sword, went to Al-Hormuzan and Jufaynah and killed them both. He was in the heat of furious rage for his father, he threatened to kill all Persian bondslaves at Al-Madinah. Finally, he was quietened down and placed in custody till judgement took its course when the new Ameer Al-Momineen was appointed. The "Shurah Council" finally elected Osman ibn Affan, the third man to govern the affairs of the Muslim Ummah after the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The first issue of state concern that Osman ibn Affan attended to as head of state was the trial of Ubayd Allah ibn Omar ibn Al-Khattab, for killing Al-Hormuzan the persian Muslim, and Jufaynah the persian Christian. After the proclamation of Osman ibn Affan, he sat in the Masjid and brought Ubayd Allah ibn Omar for trial in the presence of the Shurah Council and an assembly of Muslims. After much deliberation of opinion in this issue of delicate sensitive criticality, Osman ibn Affan declared that he was the guardian of Al-Hormuzan and Jufaynah, and that he considered it a matter for recompense that Osman ibn Affan would himself fulfill.

With these events, the curtain was drawn down to end a phase of paramount significance in the history of the Muslim Ummah. The reign of Ameer Al-Momineen Omar ibn Al-Khattab, the chancellor diplomat, educator, executive judge, premier instrument of the islamization process, and the renaissance of the Muslim Ummah.

from Aiyshah daughter of Abu Bakre Al-Siddiq, wife of the Prophet, to be buried with them, and she consented. Even with this consent, Omar told his son Abd-Allah ibn Omar to take the approval on this matter from Aiyshah before burial. The sovereign issue of dominant solemn priority in the life of Omar ibn Al-Khattab was his relation with Allah. At the last hours of his painful deadly wounds, Omar was indeed seriously anxiously apprehensive of the Day of Judgement of the Hereafter; his deep perceptive piety visualized the pontifical seriousness of the Day of Judgement. Omar instructed that his shroud must be simple and very modest, and his last words were to his son Abd-Allah "rest my head and cheek on the ground; I ask mercy and forgiveness from Allah; La Ilaha illa Allah". Omar had uttered the last words, the final beats of his heart, and the end of breaths heralded the death of the great man, Ameer Al-Momineen Omar ibn Al-Khattab.

The body of Omar was washed and shrouded according to Islamic teachings, then taken to the Masjid for funeral salat which Suhayb ibn Sannan had conducted with the assembly of Muslims. The body was carried to the burial place, and at the door of Aiyasha, Abd-Allah ibn Omar said "Omar ibn Al-Khattab asks permission to be buried with his two companions" (meaning the Prophet and Abu Bakre); and Aiyshah answered "Enter in peace". The body was placed in the grave with the head in a position near the shoulders of Abu-Bakre. The dust was heaped, the grave was closed, and the crowds of Muslims assembled in the Masjid and in the lanes, and in the homes of Al-Madinah. The sorrow was genuinely deep for the man who governed for ten years and six months, during which time their love to him was constantly growing. Omar ibn Al-Khattab was the champion of the Islamic Dominion, the instrument to the process of pan-islamization without coercion or compulsion, the tutor of thought transfer of Muslim doctrines by presenting the praiseworthy exemplary paradigm in his modest piety, strict balance of justice, wisdom in decision, his intimate concern for people, and his most profound sense of responsibility. Omar ibn Al-Khattab was devout, noble and unique, a texture of his own, restraining himself in perpetual self observance, assiduously judging himself before he was to face the Day of Judgement. The greatest of men was dead and buried but his supreme words remain to echo across the corridors of history "I shall be most firm to implement the doctrines of Islam, and I shall put down any check on the ground to those of chastity, righteousness and real content".

Omar ibn Al-Khattab died before the "Shurah Council" had reached their decision. The unexpected, unsavory dishonest fraudulent deceitful action that took place, remained requiring an explanation in the mind of people. All chronicles agree to the fact that the murder of Omar on the hands of a persian bondslave was an act of an

and dominantly pressing. The Muslims in the homes, on the streets, all around at Al-Madinah and in the Masjid were inquisitive about the exact details and circumstances of what had happened. The prime question was the health of Ameer Al-Momineen Omar ibn Al-Khattab.

The condition of Omar had deteriorated, and his death became inevitable. What was to become of the Muslim Ummah after his death. Who was to succeed Omar ibn Al-Khattab. The intimate associates of Omar implored him to appoint and select his successor at this most crucial conditions of the Muslim Ummah. In spite of his severe wounds, Omar was mentally alert, cognizant of the grave consequences of the situation. Was Omar to leave the Muslims to confront the dispute of selection, or was he to choose his successor to avoid the dispute and its aftermath of counteractive sequel among the widespread Arab clans.

Omar finally made his decision, he appointed a "Shurah Council" of six men, to convene privately and choose one of them to be the man who was to succeed Omar ibn Al-Khattab after his death. These men were Osman ibn Affan, Ali ibn Abi Taleb, Al-Zubeir ibn Al-Awam, Talha ibn Ubaid Allah, Abd Al-Rahman ibn Auof, and Saad ibn Abi Waqqas. The selection of the "Shurah Council" was to agree on a man who was to succeed in office; Omar said "I do not find except these six men who have the qualities to govern and administrate the affairs of Muslims and promote the doctrines of Islam; whoever is selected from them is to become my successor after my death". Omar ibn Al-Khattab specified a period of three days for these six men to resolve their decision of selection; He instructed that his son Abd-Allah ibn Omar was to attend with the six men to be instrumental in the decision making, without being a candidate for selection. Omar also ordered that Suhayb ibn Sannan was to be the Imam for the Salat during the three days, until the election of the Successor was finalized.

Omar ibn Al-Khattab was consciously aware and perceptive that the end was imminent soon; even at that terminal phase of his life, Omar was deeply concerned about the unity of the Muslim Ummah, and the true freedom of its subject. For the promotion of such unity, Omar ordered the freedom of men taken as bondslaves during the Muslim crusades. Omar had already sanctioned at the beginning of his reign, the freedom of the bondslaves taken during the wars against the apostates. Omar then considered his debts which were endorsed and notarized by his son Abd-Allah ibn Omar, as witnessed by a group of Al-Ansars and other men of counsel. Omar ibn Al-Khattab concluded his concerns with worldly life, and started to consider matters related to his death. He had previously obtained permission

As was his usual custom, Omar went on pilgrimage during the season of Haj on the twenty third year of Hijrah, his last year in office. He was accompanied during that year by the wives of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). During that particular season of Haj, Omar was melancholic, reflective and contemplative; he was repeatedly uttering words of supplication and worship. He returned to Al-Madinah apprehensive with an inner feeling that his end was near. Omar expressed this thought to way of his associates. The exact nature of this was good, however, that feeling remained to occupy the back mind of Omar, without attaching any importance to the matter. Omar left his house at dawn during the last few days of Zu Al-Hijah of the twenty third year of Hijrah to be the Imam for the morning Salat as was his usual custom. The succession of ranks for prayer assembly were in uniform alignment. The Majsid was in deep solitude and solemn silence for worship, ready for the words "Allahu Akbar" to declare the start of the Salat. Very unexpectedly, suddenly with predetermined deceptive intention, a man appeared in front of Omar, stabbed him several times in the abdomen.

Omar turned to face the prayer assembly and shouted "Hold the man, he has stabbed me". The man ran hysterically through the ranks of the prayer assembly stabbing whoever tried to stop him, until a man finally threw a cloak over him and arrested the murderer. Omar ibn Al-Khattab was gravely wounded, six other men suffered severe injuries, and few others died. The assembly in the Masjid became emotionalistically severely disorderly perturbed with stunning bewildered agitation and disoriented thought. The whole very distressing event was abrupt, unexpected, startlingly disappointing, contrary to all rational expectation, with confusing far-reaching consequences. The murderer realized his inevitable fate, so he stabbed himself with the same dagger with which he had stabbed Omar ibn Al-Khattab.

The Salat was not performed as yet, and amidst the disturbing commotion, a man shouted "Al-Salat"; Abd Al-Rahman ibn Auof was made Imam for the Al-Salat. After the Salat was completed, Omar ibn Al-Khattab was taken home, the dead was buried, and the wounded were attended. News of the incident spread to reach every home at Al-Madinah and beyond. Very soon it would reach distant places in the Muslim dominion. The situation was critical indeed, men of distinction were near Omar, Abd-Allah ibn Abbas was very close to Omar, attending him and listening to him. Omar asked "Have the people performed their "Salat". He also asked about the identity of the man that stabbed him; the man was Abu Loloah Fayruz, a persian captive from the battle of Nahawand, serving as subject to Al-Mughirah ibn Shoubah. The wounds of Omar were deep, the chances of recovery were very poor, the situation was portentously imposing; the circumstances were compelling, urgent

Omar Ibn Al-Khattab

The Death of Omar

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

The reign of Omar ibn Al-Khattab extended for ten years and six months, during which as Ameer Al-Moumineen, he denounced all mundane worldly luster, distinction and illustriousness. He condemned all avenues in life that distracted the path to Allah. He deprived himself, his family and his Kinsmen to avoid the pitfalls of abundance and injustice. Omar ibn Al-Khattab optimized all his facultative abilities to the utmost capacity of human effort to bear the heavy burden of the responsibility of his office during the most critical years in the history of the Islamic Ummah. He was the planner, the organizer, the administrator, a man of profuse knowledge and inherent wisdom. He was the man who introduced to the Muslim Ummah the social pattern of justice, equality, fraternity. He was the leader who governed the affairs of the Muslim Ummah with the most superior eloquence of diplomacy. Omar ibn Al-Khattab was the sincere devoted Muslim, who utilized his faith to achieve excellence in behaivour and performance with persevering confident patience. His potentials of administration widened greatly to encompass the rapid enlargement of the Muslim Ummah, and the wide expansions of its territorial limits. Omar ibn Al-Khattab developed the capability to govern the massive influx of people into the Muslim Ummah; people of different races, different nationalities, different cultures, different beliefs, and different thought patterns.

The policies of administration and management adopted by Omar ibn Al-Khattab were essentially derived from Islamic doctrinal teachings. The truthfulness to faith and devoted spirit of mankind, united the whole Muslim nation into one unison of strength based upon the most solid foundation of true social justice. This was the source of the true solid power of social cohesion, and social performance during the reign of Omar ibn Al-Khattab. This was the seat of his utmost concern, the true energizer of all his actions, the shining lantern in the history of the great man; that will continue to symbolize the true patterns of Muslim governance; the reality of the Islamic renaissance, a lantern that will remain to shine in memory of the founder of the Islamic dominion. According to most chroniclers, Omar ibn Al-Khattab was at the age of sixty three at the end of his reign.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 64, Part X

Shawal, 1412, Hijrah

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH. D.

CONTENTS

1. Omar Ibn Al Khattab

The Death of Omar.

By: Anas Moustafa El Naggar.

2. Intention and Sincerity.

By: Lotfi Ali Sultan.

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

٢٢٢٢٦ ع
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان
إدارة الأزهر - بالقاهرة ..
تليفون : ٢٦٣٨٥٩٩
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

ذو القعدة ١٤١٢ هـ
مايو ١٩٩٢ م
الجزء الحادى عشر
السنة الرابعة والستون

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه أجمعين .

تحت السماء البيضاء ... سيل من الدموع

ليس « العنوان » عبارة شاعرة تقدم الكلمة استهلالا لوجدان عاطفى ينزف الحزن ، ويعزف الألم ، لكنها الحقيقة بجزأيها : الطبيعة والمسلمين ... هى الحقيقة التى أحاطت ببعثة علماء الأزهر الشريف منذ وطئت أقدامهم أرض « موسكو » مساء الأحد السادس والعشرين من شعبان ١٤١٢ هـ « ١٩٩٢/٣/١ م » حتى عدنا إليها مساء الجمعة السادس عشر من رمضان ١٤١٢ هـ « ٩٢/٣/٢٠ » استعدادا للعودة إلى القاهرة صباح الأحد الثامن عشر من رمضان « ٩٢/٣/٢٢ » .

● فضيلة الإمام الأكبر أثناء اجتماعه بالوفد ●

كان الصباح التالى ـ لقدومنا « موسكو » أشد تأكيدا لكل ملامح الطبيعة البيضاء ، فقد نشرت السحب بساطها السميك ؛ فإذا ساحات السماء كآفاقها لا تطل منها جميعا عين زرقاء .

ابْيَضَّ كلُّ شيء ، حتى الأرض نالت ـ بدورها ـ نسيج السماء ؛ فإذا هى بيضاء ولم نكن ـ بعد ـ قد التقينا بالدموع .!!!

كنا نستعد صباح الإثنين السابع والعشرين من شعبان لأداء مهمتنا داخل الأراضى الإسلامية بـ « روسيا الاتحادية » لتشمل الجولة جمهوريات شمال القوقاز الخمس : « قراتشاى شركسك » ، « قبار دينى بلقار » ، « الأنجوش » ، « الشاشان »(1) و« داغستان » وجمهوريتى : « بشكرستان » و« تتارستان » وتقعان فى الشمال الغربى داخل « روسيا الاتحادية » .

وجمهورية واحدة بوسط آسيا هى جمهورية « أوزبكستان » . كان بين يدى الوفد توجيهات فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ، وتعليماته المستقاة من واقع النجاح الذى تم للأزهر الشريف .

حدَّث فضيلته الوفد عقب ظهر السبت الخامس والعشرين من شعبان ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢/٢/٢٩ فكان مما قال :

« إن الأزهر الشريف للمسلمين جميعا ، وإن كان موقعه فى مصر وتتولاه مصر ، وإن واجبه أن يتعرف على واجبات المسلمين فى تلك البلاد التى عادت إلى ديار الإسلام ، ليقدم لهؤلاء المسلمين ما يستطيع ، بل وفوق ما يستطيع بمشيئة الله .

● وللأزهر سمته الخاصة التى تدفع المسلمين إلى التعلق به ، إنه لا يتقدم إلى هذه البلاد اعتمادا على مذهب أو لغة ، ثم هو لا يثير ولا يستثير ، وربما يستثار ، لكنه فى كل الأمور يضبط عواطفه ليكون موضوعيا فى كل تصرفاته .

● إن مهمة الوفد الأولى استطلاع حاجة القوم إلى التعليم ، وحاجة الكبار والصغار إلى التعرف على واجبات دينهم .

● نريد هناك مكانا للدراسة وأثاثا لنبتدىء مرحلة دراسية كاملة فنرسل المعلم والكتاب .

● إن سياسة الأزهر جعلته ينجح فى الخارج نجاحا مرموقا ، فأصبح له معاهد بأكثر من بلد خارج مصر ، لذا كانت « الاحتياجات التعليمية » لهؤلاء القوم يجب معرفتها بدقة ، وإن سياسة الأزهر ترى أن إيجاد التعليم بنفس البلاد هو أنفع وأنجح .

وليس يمنع ذلك استقدام أبنائهم إلى رحاب الأزهر . خذوا ما يقدمون لكم من طلبات ، والمعادلات محلولة .

كونوا مستمعين أكثر ، وليتكلم أحدكم باسم الوفد ، اختاروه كما ترون . كونوا أحنافا مع الأحناف ، وشافعية مع الشافعية ، وإياكم والخلاف ! وللصوفية دور هام فى نشر الإسلام والحفاظ عليه ؛

● جزء من الوفد مساء النزول بمطار موسكو ●

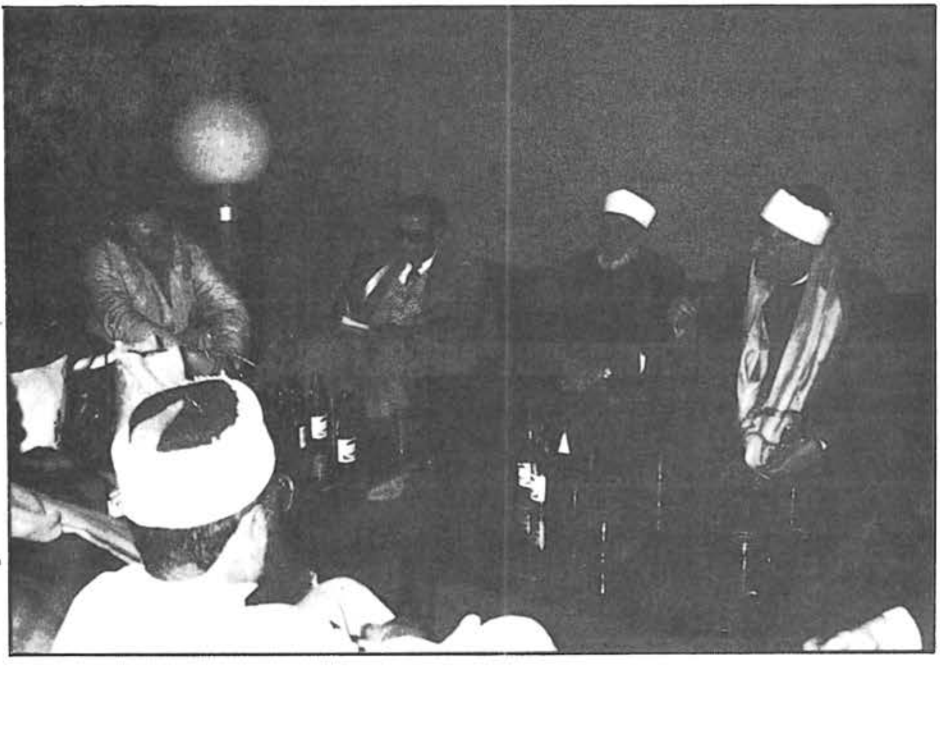

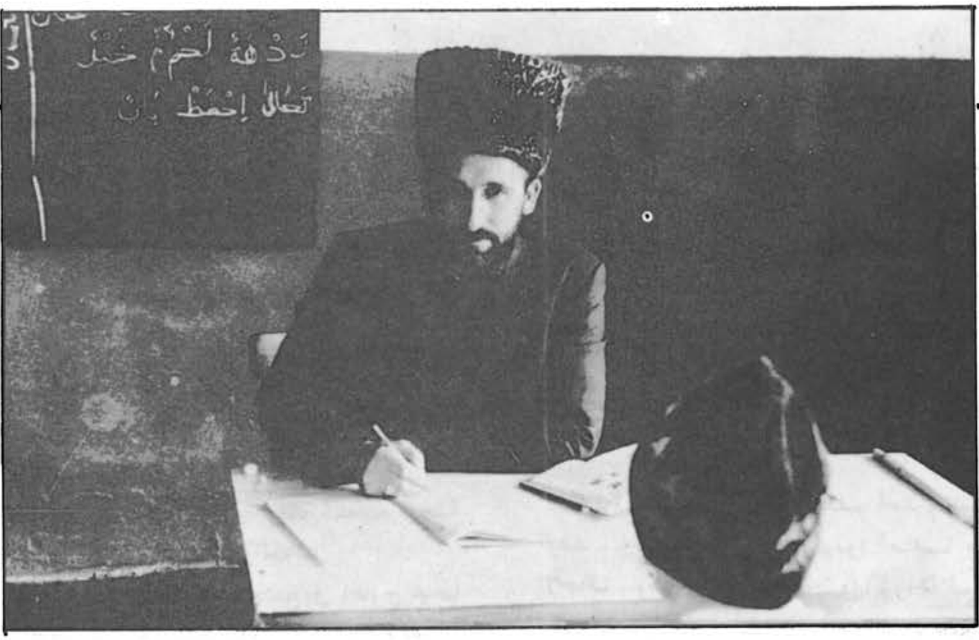

• السيد/ أحمد سليمان •
مفتى جمهورية داغستان

فلا تهاجم ، وإنما سبيل الدعوة الحكمة والموعظة الحسنة » .

وقام الوفد ـ باسم الله ـ يؤدى مهمته ، وفى أجواء جديدة تماما على كل أعضائه ، لكن الحماس لم يفارقه ، والرغبة فى أداء الواجب الدينى ابتغاء وجه الله تحفه ، فهو ينتقل من جمهورية إلى أخرى دون طائرة .

فى أحيان كثيرة ، ينطلق صباحا لتقوده السيارات طيلة يومه حتى الغروب لتستقر بجمهورية أخرى يُباشر فيها بحث حاجة المسملين إلى المعلم والواعظ والكتاب ، ولقد يمر ـ فى هذه الأبعاد الشاسعة فيجوز جسرا ؛ فإذا عليه أن يعيد عقارب الساعة إلى الوراء ساعتين ؛ فإذا الثانية عشرة عشرة فقط ، أو يزيدها فى أخرى نصف ساعة ..

بلاد شاسعة لا يشغلها من السكان إلا نحو مائتين وخمسين مليون من البشر ، لو ترك كل إنسان فيها وحاله لعاش غنيا مكتفيا بعمله .. لكن .. وآسفاه .. قضت الشيوعية على « الروح » ودمرت « البشر » .

ثم التقينا بسيول الدموع ..!! التقينا بالدموع ، منذ وطئت أقدامنا مطار « مينرال فودى » لنتجه إلى أولى القرى الإسلاميـــة بجمهوريـــة : « قرتشاى شركسك » قرية « بيساج »[1] لنبدأ فى تأدية واجبنا نحو هؤلاء الأعزاء .

(١) يتوقع قيام وحدة بين جمهوريتى : الأنجوش والشاشان .

(١) Béasage .

دموع ، إن ذهبت تحبسها حَشْرَجَتْ منك الصوت وقتلت الكلمات .

أو غَلَبَتْك فانطلقت أسالت ــ إلى جانب عبراتها ــ شجون الذكريات .

وكيف تحبس الدمع أمام لقاء من شوق جارف ، وحنين مقهور ، والتماس لِدِين فقدوا أغَرَّ معالمه إلى جانب ما فقدوا من كل عزيز وغال ..؟

كيف تملك آلامك حين يحدثك أبوين جاوزا الستين عن فتاتهما المسلمة التى أُخِذَتْ قهرا من بين أحضانهما ، وأُلْقِىَ بها بين الوثنيين أو غير المسلمين وأجبرت على الزواج بينهم ، فلايعرفان لها موطنا ولايسمعان عنها خبرا ..

ضاعت ، كما ضاع آلاف الْخَلْق ..

• حاتشم بن محمد •
رئيس برلمان جمهورية قبارديني بلقار

• جزء من الوفد أثناء تأدية صلاة الجمعة •

هناك تجد أكثر من « فلسطين » وملايين المشردين . يتطلعون ـ فى يومنا هذا ـ إلى أرضهم ، وما تبقى من ديارهم ، أو عاش من أهلهم ... إن كان ثمت أهل ، أو دار ..!!

نزل الوفد الجمهوريات الثمانية ، وطاف بستة وثلاثين موقعا ما بين عاصمة ومدينة وقرية ، وحرص على الاتصال المباشر بالأهلين والحديث إليهم والحديث معهم على مدى عشرين يوما ..

كنا مرهقين .. لكننا فى حال من متعة روحية ونحن نحس بآثار ما نفعل فى وجوه القوم وأفئدتهم ، لم نكن مبالغين ، ولا فى الوعود مسرفين .. قلنا ما يجب أن يقال فقط ، وتلقينا منهم ما يريدون .

ولقد تُوّج عملنا ـ فى النهاية ـ بأكثر من ثلثمائة منحة لطلبة من هذه البلاد ، وفد بعضهم إلى الأزهر فعلا بصحبة فضيلة الشيخ طلعت صفا تاج الدين مفتى القسم الأوربى وسيبيريا بجمهورية « بشكرستان » فى السادس والعشرين من رمضان ، ولعل لقاء آخر يتيح المزيد من الحديث .

د. على أحمد الخطيب

الرئيس مبارك

في الاحتفال بليلة القدر :

ماضى أمتنا العظيم يدعونا
إلى ان نحقق لها الحاضر العظيم
مشكلات أمتنا كثيرة ويمكنها
ان تتغلب على كل السلبيات

فى الاحتفال بذكرى ليلة القدر ألقى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك خطاباً هاماً فى قاعة الإمام محمد عبده بجامعة الأزهر أكد فيه على أن الأمة الإسلامية تملك وسائل النهضة المتمثلة فى القرآن الكريم والسنة المطهرة إضافة إلى التراث الحضارى الشامخ والقوة البشرية الفتية والإرادة الصلبة .

وحذر الرئيس من تسع ظواهر سلبية يعانى منها المجتمع الإسلامى تتمثل فى التفـرق المذهبـى ، والتطرف العقائدى ، والتعصب العرق ، والإرهاب الفكرى ، والاستغلال الدينى ، والتراجع العلمى ، والتأخر الاقتصادى ، والتشوه الاجتماعى ، والتخلف الحضارى وأخيراً التدين السلبى .

وفيما يلى موجـزاً لمحتـوى الخطاب :

فى البداية نبه الرئيس إلى أن أعظم احتفال بليلة القدر هو أن ننتفع بها على الوجه الصحيح وأن يكون موقفنا منها موقف الواعين المتبصرين تحقيقاً لقول ربنا سبحانه وأن يكون موقفنا منها ﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ والانتفاع بهذه الذكرى على وجهها الصحيح يقتضى أن نتأمل جوهرها ، ونستمد منه النور الذى نستضىء به ، والمنهاج الذى نمضى عليه ... وإن جوهر هذه الذكرى هو القرآن الكريم الذى هو كتاب الرسالة الخاتمة ، والذى أنزله الله على نبيه محمد ليتم به خطاب السماء إلى الأرض وتتوج هداية الخالق للمخلوقين ، وليعيش الناس على هداه إلى يوم الدين .. فهو الذى يقول فيه المولى جل شأنه ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ ويجعل من تلقى الذكر رسول الله وخاتم النبيين ، ويقول موضحاً جوهر رسالته : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ .

مراجعة النفس ونقد الذات

وأكد الرئيس مبارك على أن من مراجعة النفس فى أمانة ومن نقد الذات فى شجاعة أن نعترف دون حساسية بأن أمتنا الإسلامية وإن كانت لا تزال بخير فإنها فى الوقت الحاضر تعانى من بعض العقبات التى تقف فى طريق نهضتها وأنها تواجه من داخلها بعض السلبيات التى تكاد تنحرف بها عن أهدافها الكريمة التى تسعى جاهدة للوصول إليها .

وهذه العقبات وتلك السلبيات ، تحتاج إلى تضافر القوى ومضاعفة الجهـود لكـى نخلص منها أمتنـا ، ونبرىء منها ساحتنا .

وإن من الأمانة مع النفس أيضاً ، ومن شجاعة نقد الذات كذلك أن نعترف بأن هذه السلبيات إنما أصابت الأمة الإسلامية بسبب بعد كثيرين من أبنائها عن جوهر القرآن الحق ، وعن تعاليم الإسلام الصحيحة ، ويلفت نظر كل مسلم غيور على أمته وحاضرها ومستقبلها ، بعض تلك السلبيات الصارخة التى أوشكت أخيراً أن تمثل ظواهر مرضية تقتضى العلاج الحاسم والمواجهة الشجاعة .

ويحدد الرئيس محمد حسنى مبارك تسعة ظواهر خطيرة تهدد كيان الأمة وبنيانها .

الظاهـرة الأولى هى ظاهـرة التفـرق المذهبى ، ووصفها الرئيس بقوله : » هى ظاهرة تبعها تخرب وتمزق دفع إلى صراعات ومصادمات فى أكثر من مكان بأمتنا ، أنهكت القوى وبددت الطاقة وأهدرت ما كان يجب أن يُصان حفاظاً على مصلحة الأمة .

والظاهرة الثانية وهى التطرف العقائدى والتعصب العرق حيث نبه إلى أنه قد ثبت أن الرسول قد ترك بعض أصحاب الديانات الأخرى على ما يعتقـدون وعاهدهم وسار أصحابه من بعده على هذه السنة السامية ... لأن الدين عقيـدة والعقيـدة لا تكـون إلا عن اقتناع والاقتنـاع لا يتحقـق أبـداً بالعنـف ولا يدخل إلى القلب بحد السيف .

يقول الرئيسى « ومن نفس المنطلق نهى الإسلام عن التعصب العرق وعن إثارة النعرات التى يترتب عليها توليد الشقاق والخلاف داخل الجماعة الإسلامية ،

ويتضح هذا من قوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون اخوة ﴾ ومن الآية الكريمة : ﴿ إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ وبذلك وحد الإسلام صفوف الأمة » .

الارهاب الفكرى

وثالث هذه الظواهر هى « الارهاب الفكرى » حيث يقول الرئيس مبارك : « ان القرآن كتاب الإسلام ، قد نص على أن قتل نفس واحدة بغير حق هو بمثابة قتل الناس جميعاً ... وأن النبى صلوات الله وسلامه عليه عرف المسلم بأنه من سلم الناس من لسانه ويده وقال فى حديثه الشريف « كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه » .

أما الظاهرة الرابعة فقد أسماها السيد الرئيس محمد حسنى مبارك بـ « ظاهرة الاستغلال الدينى » وتحدث عنها بقوله « هى ظاهرة استغلال البعض للدين والتستر وراءه بحمل شعاره زيفاً ، والتلاعب بنصوصه افتراء وذلك من أجل الوصول إلى أهداف دنيوية متدنية أو نيل مكاسب سياسية رخيصة ... بالاستغلال للدين والاتجار به والتزييف لحقيقته مما لا يخفى على العيون المبصرة ولا يخدع إلا العقول الساذجة هو أمر يعود بالضرر على الشعوب الإسلامية جميعاً التى تدفع من رصيدها الحياة الكريمة أثماناً باهظة لهؤلاء المتاجرين المخادعين المستغلين .

ويعلق الرئيس على ظاهرة « التارجع العلمى » فيقول : « ليس من شك فى أن أمتنا الإسلامية ليست اليوم فى المستوى العلمى الذى يليق بأمة قادت العالم فى مجال العلم فى الماضى وأستمرت قيادتها له عدة قرون حتى أخذ علماء النهضة الأوروبية عن علمائها الذين تألقوا فى عهود الازدهار الإسلامية ، إن هذا التراجع مناف تماماً لدعوة القرآن الكريم إلى العلم والحث عليه ... فمن غير المقبول لأى غيور على أمتنا الإسلامية ألا تتجاوز هذه الأمة مرحلة التراجع العلمى وأن تظل بلاد منها من أكثر بلاد العالم أمية ، وبلاد أخرى تعيش علمياً فى نطاق التبعية ، فى الوقت الذى يجب أن تمضى تلك الأمة فيه بخطوات واسعة فى سبيل علم العصر وتكنولوجيا العصر ، وذلك ليعيد فى أقرب وقت عصر التفوق العلمى للمسلمين ، وتسترد أمتنا مكانتها التى كانت تحتلها فى عهود العلماء الرواد السابقين الذين أصبحوا بما أبدعوا وقدموا للإنسانية من الخالدين .

وعن « التأخر الاقتصادى » أكد الرئيس مبارك على أن الأوضاع الاقتصادي للأسرة الإسلامية ككل لا تتفق مع حجم امكاناتها البشرية وثرواتها الطبيعية ولا تعكس بالقدر الكافى وحدة المصلحة بين شعوب الدول الإسلامية التى تشترك فى الانتماء إلى العالم الثالث وفى مواجهة تحديات التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة التى تتطلب منا جميعاً درجة أعلى من التنسيق والتضامن ، وتفرض على كل مواطن فى دولة إسلامية أن يضاعف الجهد من أجل النهوض بالإنتاج والارتقاء بمستوى الجودة وأن يرعى الله فى عمله ، باعتبار أن العمل يأتى فى مرتبة عبادة الخالق عز وجل الذى استخلف الإنسان فى الأرض لينشر فيها العمران ويزرع الرخاء ويصنع المجد والتقدم .

للآخرة والأولى

وكانت ظاهرة « التشوه الاجتماعى » من أخطر الظواهر التى تناولها السيد الرئيس محمد حسنى مبارك فى خطابه حيث حذر من أن بعض أبناء أمتنا يظهرون فى كثير من الأحيان بمظهر بعيد عن الرفق متناقض مع السماحة مجاف للتحضر فيه كثير من الخشونة باسم الأصالة وكثير من القسوة باسم الجدية وكثير من التجاوز باسم الحرية وكثير من التخلف باسم المحافظة وكثير من التهور باسم الشجاعة وهكذا اختلطت المفاهيم وتشابكت المعانى وضاعت الحقيقة وكاد يضيع معها المظهر الإسلامى المشرف والمضىء لمجتمعنا الإسلامى ذلك المظهر الأصيل فى سماحته ومودته وتحضره أى فى إنسانيته وإسلاميته .

وحذر الرئيس من ظاهرة « التخلف الحضارى » الذى تعيش فيه أمتنا التى أخذت مكاناً ليس فى الحقيقة مكانها ولا يليق أبداً بماضى حضارتها ولذا وجب علينا جميعاً ان نجاهد لكى تسترد أمتنا الإسلامية مكانتها الحضارية الرفيعة وتستعيد أمجادها العظيمة .

وكانت ظاهرة « التدين السلبى » هى آخر وأهم الظواهر السلبية التى يعانى منها المجتمع الإسلامى والتى

تحدث عنها الرئيس فى خطابه حيث حذر من انصراف بعض المسلمين عن أى نشاط يتصل بالعمل ويتعلق بالكفاح فى هذه الحياة بدعوى أن الدين عبادة فقط وشعائر فحسب ، ويتجاهل هؤلاء أن الدين للآخرة والأولى معاً ولإصلاح الحياة والتزود لما بعد الحياة ، ولا شك فى أن هذا السلوك السلبى من بعض أبناء الأمة يعطل المسيرة ويعوق التقدم ويؤدى إلى التأخر لأن المسلم لم يخلق ليقيم الشعائر فقط ولا لينقطع للعبادة فحسب وإنما خلق ليعمر وينتج ويبدع جنباً إلى جنب مع التعبد والتطهر .... فالتدين مطلوب والعبادة واجبة ولكن لا يجوز أن يكون التدين سلبياً يحول بين الإنسان والعمل ويجب ألا تكون العبادة مؤدية إلى التواكل والكسل والتراخى فى أداء الواجب .

لدينا كل وسائل النهضة فى الكتاب والسنة

وفى النهاية يقول السيد الرئيس محمد حسنى مبارك :

إن ماضى أمتنا العظيم يدعونا إلى ان نحقق لها الحاضر العظيم ، وان لدينا كل وسائل النهضة ، وبايدينا ما يمكن ان نتغلب به على كل العقبات ونتجنب كل السلبيات ... لدينا الكتاب الكريم الذى نحتفل اليوم بذكرى نزوله ، ولدينا السنة المطهرة التى هى التفسير الأمين لهذا الكتاب المبين ، ولدينا التراث الحضارى الشامخ ، ولدينا الدين القويم الراسخ ، ولدينا بعد ذلك العلماء الأجلاء والمتخصصون المقتدرون ، ثم لدينا القوة البشرية الفتية ، والإرادة الصلبة القوية ، ولا ينقصنا بعد هذا سوى ان نرصد السلبيات فى شجاعة ، ونحقق بدلاً منها الايجابيات بتصميم وعزيمة ، فعلينا ان نبدأ فى ضوء القرآن مسيرتنا ، وان نمضى بكل العزم نحو النهضة الشاملة ، التى تعوض ما فات وتسترد ما ضاع .. فهذا هو الجهاد الحق ، الذى تتطلبه المرحلة الحالية من حياة أمتنا ، وهى مرحلة تتواكب مع تحولات دولية خطيرة ، جعلت العالم مكاناً للأقوياء المتحدين المتحضرين ، لا موضع فيه للضعاف المتناحرين ، ان عالم اليوم يتطلب منا العرق والجهد والتفانى من أجل ان نأخذ مكاننا اللائق ونبلغ أملنا المنشود .

فلنبتعد عن التمزق المذهبى ، ولنرفض التطرف العقائدى ، ولنقاوم الارهاب الفكرى ، ولنحمى أمتنا من الاستغلال الدينى ، ولننقذها من الجمود العلمى ، ولنصلح ما أصابها من التشوه الاجتماعى والتخلف الحضارى ، ان هذه السلبيات سوس ينخر فى جسد أمتنا ، ومن واجبنا نحو أنفسنا وأوطاننا ان نقاوم هذا السوس ونقضى عليه قبل ان يدمر كيان الأمة ويحولها إلى هشيم تذروه الرياح .

ان مشكلات أمتنا كثيرة ، والسلبيات فى حياتنا عديدة ، ولكن هذه الأمة يمكنها بفضل ارادة أبنائها القوية ، وحضارتها الايمانية الفتية ، وبفضل عقيدتها الصحيحة وتعاليم قرآنها الخالدة أن تتغلب على كل السلبيات ، وتحولها إلى ايجابيات وكل ما تحتاجه الأمة هو ان تنهض من كبوتها ، وتعدِّل فى ضوء القرآن من مسلكها ، وبذلك يعين الله ابناءها على بلوغ غايتهم وتحقيق أملهم ، ﴿ ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ .

إن القرآن الكريم الذى نحتفل اليوم بنزوله ، يجب الا تقتصر الحفاوة به على تجميل طباعته والتبرك باقتنائه ، إن ذلك كله مطلوب ولكن المطلوب ــ قبله ــ هو ان نجعله يمتزج بقلوبنا ، ويختلط بمشاعرنا وأن نحافظ عليه هادياً لمسيرتنا ، وموجهاً لتصرفاتنا ، ومنهلاً لقيمنا النبيلة .

فلا يصح ان نظل منقسمين ممزقين ، وكتابنا العزيز يريدنا ان نكون مجتمعين موحدين ، ولا يليق أن يكون البعض منا عاجزين مستضعفين فالقرآن يدفعنا إلى ان نكون متقدمين متصدرين ، ولا ينبغى ان يفسد حياتنا التطرف العقيم ، فالقرآن يدعونا إلى التسامح الكريم ، ولا يعقل أن يتاجر البعض منا باسم الدين ، والقرآن يجعل الدين خالصاً لرب العالمين ولا يمكن أن تظل أمتنا تضم ملايين المحتاجين ، على حين يدعونا القرآن إلى ان نعيش جميعاً اخوة متكافلين متراحمين ، ولا يجوز ان يتسلل الإرهاب إلى صفوفنا باسم الفكر ، والقرآن يجعل العدوان على روح الغير بغير حق قرين الكفر ..

فليكن احتفالنا بليلة القدر استلهاماً لذكرى ننتفع بها فى يقظة شاملة ، تصل بنا إلى نهضة عظيمة ، يصلح معها حالنا أفراداً وجماعات ودولًا ، ثم أمة إسلامية موحدة قوية ، متحضرة متصدرة ، تأخذ مكانها فى عالم اليوم ، وتكون بحق كما أراد لها الله ﴿ خير أمة أخرجت للناس ﴾ .

مع
الإمام الأكبر

فتويان للإمام الأكبر

بر الوالدين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .:
السيد المحاسب / منيب فياض
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..
وبعـد :

فقد أطلعت على كتابك الذى ورد إلى المكتب بتاريخ ٢٤/١١/١٩٩١ فى شأن صلتك بأسرتك وامدادك لوالدك بمبلغ مائة جنيه شهريا وأنك توقفت منذ حوالى ثلاثة أشهر لاعتراض السيدة زوجتك على أساس أن أسرتك وأسرتها قد رفضتا معاونتكما وقت أن كنتما فى حاجة إلى هذه المعونة ، وأن لوالدك شقة لو باعها لكفته مدة طويلة وأنك تقاسى من عذاب الضمير ، وأن زوجتك وافقتك على الاحتكام إلى شيخ الأزهر لمعرفة الرأى الدينى ..

وأفيدكما بالآتى :

أولا : أثنى على هذا السلوك الذى توافقتما عليه نتيجة للمصارحة والمشورة فيما بينكما عند اختلاف وجهة النظر فيما كان موضع المشورة ، وهذا شأن العقلاء لا سيما بين الزوجين اللذين جعل الله بينهما مودة ورحمة ، فبارك الله لكما ووفقكما فى حياتكما وأدام عليكما هذا الوفاق ..

ثانيا : والحديث موجه إليكما :

إن الله فرض بر الوالدين على أولادهما فى آيات كثيرة فى القرآن الكريم ، وقد قرن هذا البر بعبادته سبحانه ، فيقول سبحانه فى سورة النساء :(1)

﴿ وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ .

وفى سورة الإسراء(2)

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

فبر الوالدين فرض من الفروض التى أوجبها الله على الأولاد ، وليس هذا البر مشروطا بحاجتهما لأنه فوق الحاجة وقبلها لأن الولد كسب أبيه كما جاء فى الحديث الشريف :

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : أتى أعرابى رسول الله ﷺ فقال إن أبى يريد أن يجتاح مالى ، قال أنت ومالك لوالديك إن أطيب ما أكلتم من كسبكم ، وان أموال أولادكم من كسبكم فكلوه هنيئا .(3)

والمفهوم من أمر الله ورسوله ببر الوالدين أن هذا واجب ولو كان الأبوان موسرين ، وذلك إرضاء لهما وقضاء لحقهما على الأولاد حيث قاما بالتربية والتعليم .

ومن هنا أنصح بأن تتفقا على الاستمرار فى بر والدك بما ييسره الله لك وتعتقد أنه واف بحاجته وفاء بالحق وطاعة لله سبحانه فيما أمر به وأكده رسول الله ﷺ .

وأقول لزوجتك العاقلة : كونى عونا لزوجك على بر والده حتى يبركما أولادكما فى مستقبل حياتكما ..

والله معكما يوفقكما ويبارك لكما « ولن يتركم أعمالكم » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(1) من الآية ٣٦

(2) من الآية ٢٣

(3) كتاب الفتح الربانى لترتيب مسند الإمام أحمد مع مختصر شرحه بلوغ الأمانى من أسرار الفتح الربانى للشيخ أحمد عبدالرحمن البنا الشهير بالساعاتى جـ ١٥ ص ٧ .

من أحكام الزنى

فقد ورد إلى مكتب شيخ الأزهر من أ.ح.ف بمرسى مطروح سؤال خلاصته : أن رجلا زنى بامرأة وحملت منه وانجبت من الزنا برضاها ، وأن لهذه المزنى بها بنات فهل يحل شرعا لهذا الزانى أن يتزوج إحدى بنات المزنى بها أم لا يحل شرعا ؟

والجــواب :

ان مذاهب الأئمة الأربعة قد اختلفت فى حرمة المصاهرة بالزنا على النحو التالى :

ذهب الحنفيــة :

إلى أن « الزنا » عبارة عن الاتصال الجنسى التام بين رجل وامرأة مشتهاة ليس بينهما عقد زواج صحيح ولا شبهته ، وتثبت به حرمة المصاهرة نسبا ورضاعا لأن الزانى اعتاد على الزنى مع من زنا بها وقد لا يكف عن هذا مع الزواج بأصلها أو فرعها فيوقع العداوة بينهما ..

فمن زنى بامرأة حرمت عليه أصولها وفروعها فلا يحل له أن يتزوج بنتها سواء كانت متولدة من مائه ، أو من ماء غيره ، وبنت بنتها ، وهكذا ، كما يحرم عليه أن يتزوج أمها ، وجدتها ، وهكذا ، وله أن يتزوج أختها ..

وتحرم هذه المرأة المزنى بها أيضا على أصول الزانى ، وفروعه ، فلا تحل لأبيه ولا لابنه ، وتحل أصولها ، وفروعها لأصول الزانى وفروعه ، فلكل من أبيه وابنه أن يتزوج أمها ، وجدتها ، كما أن لكل منهما أن يتزوج بنتها بشرط ألا تكون متولدة من ماء زناه ، ولا راضعة من لبنه الناشىء بسبب زناه ، فإذا زنى بامرأة فحملت سفاحا ، وولدت ثم

أرضعت صبية بلبنها ، فإنه لا يحل لهذا الزانى أن يتزوجها ، لانها بنته من الرضاع ، وكذا لا تحل لأصوله ، ولا لفروعه ، ومثلها بنته المتولدة من الزنا ، فإنها تحرم عليه وعلى أصوله ، وفروعه وذلك لأنها جزء منه ، سواء كانت متولدة من مائه أم كانت راضعة لبن من زنى بها الناشىء منه .. ولذا لا تحرم على عمه ، أو خاله ، لانتفاء الجزئية فيهما ، ولم يثبت نسبها من الزانى حتى تحرم على العم والخال[1] ..

وما قال به فقه المذهب الحنفى من حرمة المصاهرة بالزنا منقول عن : عمر وابن عباس وابن مسعود وعمران بن الحصين وجابر وأبىّ وعائشة ، والحسن البصرى والشعبى والنخعى والأوزاعى وطاووس وعطاء ومجاهد وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والثورى واسحاق بن راهويه ..

هـذا :

ومذهب الإمام أبى حنيفة هو المعمول به فى القضاء فى مصر بمقتضى المادة ٢٨٠ من لائحة ترتيب المحاكم الشرعية الصادرة بالمرسوم بقانون رقم ٧٨ سنة ١٩٣١ والمادة السادسة من القانون رقم ٤٦٢ سنة ١٩٥٥ ..

وذهب الشافعية :

إلى أن الزنا لا يوجب حرمة المصاهرة على أى حال ، لأنها نعمة من الله فلا تنال بالحرام وهو الزنا ولأن ماء الزنا هدر لا حرمة له فمن زنى بامرأة حلَّ له نكاح أصولها ، وفروعها ، فله أن يتزوج أمها ، وجدتها ، وبنتها سواء كانت مخلوقة من ماء زناه أم من غيره ..

وكما تحل له تحل لأصوله ، وفروعه ، ولكن يكره نكاحها[2] .

وذهب المالكية :

إلى أن الزنا لا ينشر الحرمة على المعتمد ، فمن زنى بامرأة فإن له أن يتزوج بأصولها وفروعها ، ولأبيه ، وابنه ان يتزوجها ، وفى تحريم البنت المتخلقة من ماء الزنا على الزانى ، وأصوله ، وفروعه خلاف ، والمعتمد الحرمة ، فإذا زنى بامرأة فحملت منه سفاحا ببنت ، وجاءت بها ، فهى محرمة عليه وعلى

---

(١) الهداية وشروحها ص٣٦٥ وما بعدها جـ٢ ، وبدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع جـ٢ صـ٢٥٦ .

(٢) كتاب الاقناع شرح أبى شجاع مع حاشية تحفة الحبيب جـ٣ صـ٣٥٦ فى المحرمات فى النكاح .

أصوله ، وفروعه ، ولو رضعت من لبنها بنت كانت محرمة أيضا ، لأنه لبنه الذى جاء بسبب وطئه الحرام ، وبعضهم يقول :

إن المتخلقة من ماء الزنا لا تحرم – كما يقول الشافعية – لأنها لم تعتبر بنتا ، بدليل أنه لاتوارث بينهما ، ولا يجوز له الخلوة بها ، وليس له إجبارها على النكاح باتفاقهم ، فكيف تعتبر بنتا محرمة ؟ وكيف يكون لبن أمها محرما ؟ وهذا القول وجيه ، وان لم يكن معتمدا [1] .

وذهب الحنابلة :

إلى أن الزنا تثبت به حرمة المصاهرة على الصحيح من المذهب ، فمن زنى بامرأة حرمت عليه أمها ، وبنتها ، وحرمت على أبيه ، وابنه[2] .

لما كان ذلك :

كان الأحوط خروجا من خلاف الأئمة ، واتقاء للشبهات ، الأخذ بمذهب الحنفية ، والصحيح من مذهب الحنابلة من أن الزنا تثبت به حرمة المصاهرة نسبا ، ورضاعا ، فمن زنى بامرأة حرمت عليه أصولها ، وكذا فروعها سواء كانت متولدة من ماء زناه أم من غيره ، أم راضعة من لبنه الناشىء بسبب زناه ، وكذا تحرم المزنى بها على أصوله ، وفروعه ، كما سبق توضيحه بمذهب الحنفية ، لا سيما أن من يرى أن الفقه الشافعى وان قال بعدم حرمة أصول المزنى بها ، وفروعها يقول : بكراهة الزواج ببنت المزنى بها أو إحدى – أصولها ، وفى مدونة مالك من زنى بأم امرأته فارقها .

ومن ثم كان الأولى الأخذ فى هذه الفتوى بمذهبى الامامين أبى حنيفة وأحمد بن حنبل ومقتضاهما حرمة الزواج المسئول عنه بين الزانى وبنت من زنى بها ، ويؤيد هذا قول المذهب الشافعى بكراهة هذا الزواج وما جاء فى مدونة مالك على هذا الوجه المنوه عنه .

والله سبحانه وتعالى أعلم

---

(١) كتاب بداية المجتهد لابن رشد جـ ٢ صـ ٢٨ فى المسألة الرابعة من مسائل حرمة المصاهرة والقوانين الفقهية لابن جزى صـ ٢٣١ .

(٢) كتاب المغنى لابن قادمة جـ ٧ مع الشرح الكبير صـ ٤٨٢ وما بعدها .

مع سورة الأنفال

لفضيلة الدكتور عبدالجليل شلبى

بسم الله الرحمن الرحيم

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٧)

(سورة الأنفال ـ آية : ١٧)

نهت الآية السابقة المؤمنين عن التولى وترك القتال يوم زحف المشركين عليهم ، لأن الله ـ سبحانه ـ هيىء لهم أسباب النصر ، وقد هيأ لهم يوم بدر ما به انتصروا على أعدائهم مع قلة عَدَدِهم ونقص عُدَدِهم ، وكان أعداؤهم كثرة بالغة ولديهم أسلحة موفورة واستعداد للقتال ، فهم إذن أحق وأولى بالثبات ، وقد بينا ما فى الآية السابقة وأجملنا قول المفسرين فيها ، ومقتضى ذلك ان هذا القتل الذريع والفتك الشنيع لم يكن بمحض قوتكم واستعدادكم المادى ، ولكن بتوفيق الله سبحانه وتيسيره أسباب هزيمتهم ، فالله هو الذى قتلهم ، ألقى فى قلوهم الرعب ، وأنزل الملائكة تقف فى صفوفكم ، وثبت قلوبكم رغم قِلَّتِكم وعدم استعدادكم للقتال ، فلكم القتال الظاهرى والجهاد ، والنصر أخيراً وأولاً عند الله .!

والتفتت الآية من خطاب المؤمنين المحاربين إلى خطاب النبى ـ ﷺ ـ لأنه قائدهم ، ونصر الله إياهم وتأييده إنما كان بسببه ، فهو النبى وصاحب المعجزات . فقالت : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى ﴾

وتعددت آراء المفسرين والمحدثين فيما جاء فى هذه الآية من نفى القتل والرمى عن المؤمنين وإثباتهما لله ـ سبحانه ـ ، ونحن نجعل أهم أقوالهم وندع مالا سند قوياً له .

ما هذا الرمى الذى رماه رسول الله ـ ﷺ ـ ونسب لله تعالى ؟

قيل إنه ـ ﷺ ـ حين استغاث ربه فى بداية المعركة ـ فقال : هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها ، اللهم إنى سائلك ما وعدتنى ... فأتاه جبريل ـ عليه السلام ـ فقال له : خذ قبضة من تراب فارمهم بها ، فلما التقى الجمعان قال لعلى بن أبى طالب : أعطنى قبضة من حصباء الوادى ، فرمى ـ ﷺ ـ بها وجوههم وقال : شاهت الوجوه ، فلم يبق مشرك إلا شغل بعينه ، وسطا عليهم المؤمنون يقتلون ويأسرون .

فالله هو الذى رمى وجوههم بالتراب ، وجعله يصل إلى وجه كل واحد منهم لأن رمى الإنسان بمحض قدرته البشرية لا يبلغ هذا المبلغ ، ولا يصل إلى كل هذه الوجوه دفعة واحدة .

ويلاحظ من جهة التعبير الفنية أن المفعول به ذكر فى حال قتل المؤمنين الكافرين ولكنه حذف فى حال رمى النبى التراب ، سواء فى حال ثبوت الفعل أو نفيه ﴿ فَلَمْ تَقْتُلوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ ، وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى ﴾ ذلك لأن القتل أمر ظاهر بحسب ما هو معتاد من أفعال العباد ، أما رمى قبضة من التراب تصيب وجوه القوم جميعاً فهو من الخوارق ، وحذف المفعول يؤذن بعموم المفعول ، سواء فى ذلك حال الاثبات وحال النفى ، وليس الرمى سبباً مشاهدًا كالقتل ، ولا من المألوف الذى يعمله كل محارب كالقتل .

ووجه الجمع بين نفى القتل والرمى وإثباته ، أن المؤمنين عملوا ما يعمله مثلهم ، ولكن الله هو الذى يسر لهم نتيجة العمل ، فلهم كسب ظاهرى ، والله هو الفاعل الحقيقى وذلك جار فى كل شىء يعمل ، كما فى قوله تعالى : ﴿ أفرأيتم ما تحرثون ، أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ، لو نشاء لجعلناه حطاما ﴾ فحرثنا الأرض والقاؤنا فيها البذر عمل ظاهرى ، لكن لا قدرة لنا على إنبات البذر وإخراجه نباتًا ، أو إخراج النبات ثمرًا ، والمقاتلون هنا ضربوا بالسيوف ، ورموا الحراب والنبال ... وهذا ما يستطيعونه ، ولولا نصر الله وتأييده إياهم ما بلغ جهدهم ما بلغه من تقتيل الأعداء ، واحراز هذا النصر المبين .

ويتخذ الأشاعرة من هذه الآية دليلاً على ما ذهبوا إليه من أن الإنسان له كسب ظاهرى فقط ، وان الله يخلق القوة المؤثرة ، ولولا خلقه إياها ما أحرقت النارُ ولا قطعت السكينُ ، ولكن اجراء التعبير هذا المجرى يسلبه ما فيه من روعة وقوة تأثير لأنه يجعله مثل أى عمل من أعمالنا ، والأعمال والأشياء الرائعة تنسب عادة لله ـ سبحانه ـ فهم يقولون لله هذا الفتى ، ولله دَرُّه ، ولله ما صنعت يداه وهكذا ، والأشياء التى لا يقدر عليها الإنسان تسند إلى الله

فيقولون قاتلهم الله ، وأذَلهم الله أو أعزهم ... حيث ان قتالهم أو إذلالهم لا يقدر عليه غير الله ، فيدعى عليهم بذلك ، وهنا أمور عجيبة خارقة من القتل والرمى فنسبت لله .

ومن الجائز القريب أن يكون المراد بالرمى هو الحملة نفسها ، وحرب هؤلاء الصناديد من قريش ، ويكون التقدير إنك لم تحرز بنفسك النصر فى هذه المعركة الكبرى ، ولكن الله هو الذى يسره وهيأه لك ، والرمى يستعمل فى غير الرمى الحسى المادى ، فيقال : رماه الدهر بالأرزاء .

رمى الله فى عينى بثينة بالقذى وفى الغُرّ من أنيابها بالقوادح

ورماه بتهمة ، كالذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات ، والذين يرمون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ، وقريش رمت بأفلاذ أكبادها فى الحرب .. فتخريج الآية على هذا الوجه محتمل وواضح .

والأحاديث التى جاءت من رمى النبى - ﷺ - متعددة الأوجه ، ولكن لم تصل إلى درجة الصحة المقطوع بها ، وإن كانت لكثرتها يشد بعضها بعضاً .

وتخريج الآية على هذا الوجه يجنب أقوال المذهبيين من الجبرية الذين يقولون إن الإنسان كالريشة فى مهب الرياح لا تملك لنفسها وجهة ، وأصحاب وحدة الوجود الذين يجعلون أعمال الناس أعمالاً لله ، والاشعريين الذين يجعلون للإنسان مجرد اتجاه والله هو الفاعل لكل شىء .

فنحن فى غنى عن هذا كله .

وللمفسرين والنحويين أقوال أخرى فى ذكر الفاء فى أول الجملة « فلم تقتلوهم » قال أبو حيان هى للربط بين الجمل ، حيث قال الله تعالى : فاضربوا فوق الأعناق ، وقد امتثلوا وقتلوا فقيل لهم : لستم وحدكم القاتلين ، ولكن إقداركم عليه من عند الله ، قال السفاقسى : هذا أولى من دعوى الحذف ، ودعوى الحذف هى ان الفاء واقعة فى جواب شرط محذوف ، كأنه قيل : إذا كان الأمر على ما ذكرناً من إمدادكم بالملائكة وتغشيتكم النعاس ، وإنزال الماء من السماء ، فإنكم لم تقتلوهم بقوتكم وقدرتكم ، ولكن الله قتلهم ، بما أمدكم به من أسباب النصر وقيل إن المسلمين عند انصرافهم من غزوة بدر أخذوا يتفاخرون يقول الواحد منهم قتلت وأسرت ، وفعلت كذا وتركت كذا ، فنزلت الآية قطعاً لكل هذه الادعاءات ، بمعنى إن كنتم تفتخرون بهذا القتل فأنتم لم تقتلوهم ، ولكن الله هو الذى قتلهم ، واختار الزمخشرى هذا التقدير ، لأن القتل واقع ولا نزاع فيه والآية تعنى ببيان الفاعل الحقيقى له .

وهناك أقوال أخرى ، لا نطيل بعرضها .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَناً ﴾ . فالواو فيه عاطفة ، والمعطوف عليه محذوف ، أى ان الله رمى ليمحق الكافرين وليبلى المؤمنين ، والبلاء هو الاختبار ، ويكون بالحسن وبالسيىء ، كما قال تعالى : ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ وقال عن بنى إسرائيل : ﴿ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسيئَاتِ ﴾ ويكون تقدير الكلام أن الله فعل ما فعل من هذه الأشياء التى هيأت النصر للمسلمين لينصر دينه ويعز نبيه ، ويختبر المسلمين ماذا يفعلون بعد هذا العطاء والنصر .

والبلاء أيضاً العطاء ، يقال أبلاه أى اعطاه ، ومنه قول زهير :

جزى الله بالاحسان مافعلا بكم وأبلاهما خير البلاء الذى يبلى

يريد أعطاهما خير العطاء بسعيهما فى الصلح بين عبس وذبيان .

فيكون التقدير على هذا ، فعل الله ما فعل لينصر الإسلام وليعطى المؤمنين عطاء جزيلاً ، وهذا الوجه مقبول وجار مع اللغة .

أما تفسير ليبلى بأنها الإبلاء فى الحرب ، كما يقال أبلى بلاء حسناً أى قاتل قتالاً شديداً ، وصبر على لأواء الحرب وشدته صبراً عظيماً ، فهو أيضاً من البلاء بمعنى الاختبار ، لأن الحرب مما يختبر به الرجال لتظهر جلادتهم وحسن تأتيهم للنصر ، وفيه تعدية « أبلى » إلى مفعولين ، أى أبلاه الله فجعله يبلى فى حربه ، وليس بشىء .

وذيلت الآية بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ أى سميع لكل ما يسمع عليم بكل ما يعلم ، ويدخل فيهما دخولاً أولياً سمعه - سبحانه - لدعائهم واستغاثتهم وعلمه بنياتهم وأحوالهم وما ظهر من جهادهم ، فهو يجزيهم عن بينة وعلم بما يجزون عليه .

قبس من أنوار النبوة

الحجاج والعمار وفد الله

للشيخ : على حامد عبد الرحيم

١ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
« العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » .
٢ ـ « وعن عطاء قال : سمعت ابن عباس رضى الله عنهما يخبرنا يقول :
قال رسول الله ﷺ لامرأة من الأنصار سماها ابن عباس ، فنسيت اسمها .
ما منعك أن تحجين معنا ، قالت : كان لنا ناضح فركبه أبو فلان وابنه لزوجها وابنها وترك ناضحا ننضح عليه .
قال : فإذا كان رمضان اعتمرى فيه ، فإن عمرة فى رمضان حجة ، أو نحوا مما قال » .
« رواهما البخارى »

الحج المبرور : المقبول ، أو الذى لم يخالطه إثم .
الناضح : البعير الذى يستقى عليه .

إن الرحلة إلى بيت الله الحرام رحلة ربانية تهفو إليها القلوب ، وتحن لها الأرواح فى شوق عارم ، ويغمرها الحنين إلى منازل لها فى النفوس منازل !

يتجرد فيها الإنسان من كل زينة أو شارة فى لباس متواضع بسيط يتساوى فيه الغنى والفقير ، والأمير والأجير ، يذكّره باللباس الذى يخرج به من دنياه يوم يستقبل الموت ويستدبر الحياة .

تجرد يعود بالإنسان إلى فطرته ، ويطرح عنه كل ما لصق به أو خالطه من جاهه وعصبيته وطبقته وماله وولده ، فرداً بين الملايين متحرراً من أغلال الفقر والعبودية ، فلا يرى للغنى المعتز بغناه ، ولا للجبار المتميز بسطوته ، ولا للأبيض المستعلى بلونه ، لا يرى لهؤلاء فضلا ولا امتيازاً على من عداهم من الناس ، إلا بالتقوى والعمل الصالح ﴿ إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ وكما تجرد من شهوات النفس وسلطان المادة ، فهو يعلن فى تلبيته عن الإذعان لله ، وتوحيده ، والتزام طاعته ، وصدق التوجه إليه .

والتلبية فى حقيقتها نزوع بالنفس عن عالم الظلم والطغيان إلى عالم العدل والإحسان ، وترجمتها ، يا رب : أنا الواقف ببابك المستجيب لندائك المطيع لأمرك ، المقيم على عهدك ، فأنت الواحد الأحد ، رب النعمة السابغة ، والعزة السامقة ، والقوة القاهرة ، والسلطان النافذ فى الأرض والسماء سبحانك لا إله إلا أنت ، فيتجاوب الكون كله معه مردداً هذا النشيد القدسى فقد روى سهل بن سعد - رضى الله عنه - فيما اخرجه الترمذى وابن ماجه - عن رسول الله ﷺ قال : ما من ملب يلبى إلا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر وشجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من ههنا عن يمينه وشماله .

وعندما يشاهد البيت الحرام أول بيت وضع للناس يجول بخاطره ما قام به الخليل إبراهيم ، ورفع قواعده مع ولده إسماعيل عليهما السلام ، حيث يقول عز من قائل : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩) وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَٰهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّٰلِحِينَ (١٣٠) ﴾ البقرة ١٢٧ - ١٣٠

وهذا البلد الأمين ، مهبط النور ومبعث خاتم الأنبياء والمرسلين ، الذى هاجر إليه الخليل إبراهيم مع زوجه هاجر وابنه إسماعيل ، حيث تركهما فى هذا المكان المقفر والأرض المجدبة ، والصحراء القاحلة ، فأبقت على حياتهما وحفظتهما عناية الله ، وقد استجاب الله فيه دعاء إبراهيم عليه السلام . إذ يقول .

رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) إبراهيم

إن طوفانا من المشاعر والأحاسيس التى تحكى تاريخاً زاخرًا بصور البطولة وألوان الكفاح .

﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨)

لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (٢٧) الفتح ١٨ و ٢٧ .

هذه الكعبة حين تطوف بها تتواثب أمامك الصور حية نابضة حين تخرج إلى الصفا تلك الربوة التى وقف عليها رسول الله محمد ﷺ ينادى بطون قريش بأسمائهم ويقول : أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟ قالوا : نعم .. ما جربنا عليك كذباً .

قال : فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد .

فانفجر عمه أبو لهب ساخطا وهو يقول : تباً لك .. ألهذا جمعتنا .

تتواثب الذكريات ، حيث يصعد الرسول ﷺ

قبس من أنوار النبوة

على الصفا ويتلو قول الله تعالى :

• إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا

وهنا يقول ﷺ أبدأ بما بدأ الله به . ويسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط .

وعند ذلك تتمثل اللهفة الطاغية التى استبدت بقلب هاجر - زوج إبراهيم - وهى تهرول بين الصفا والمروة تلتمس قطرة من الماء تبل بها صدى وليدها إسماعيل ، وحين كانت على المروة تتوجه ببصرها نحو الكعبة فإذا عين ماء تتدفق تحت قدمى طفلها المشرف على الهلاك .

فلا يسعك الآن إلا أن تتضلع من ماء زمزم فهى طعام طعم وشفاء سقم ، وماء زمزم لما شرب له .

فإذا جئت إلى عرفات تمثلت رسول الله محمد ﷺ يغذ السير على ناقته القصواء وقد سار فى ركبه مائة ألف أو يزيدون وهو يلقى على الناس خطبة الوداع .. حيث أبان عن كثير من شئون الدين والدنيا فأوجز وأبلغ ، وحيث نزل عليه القرآن :

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ المائدة ٣ .

وهنا تتمثل الخليفة أبو بكر رضى الله عنه ، حين سمع هذه الآية فبكى لأنه علم أن النبى قد نعيت إليه نفسه .

ونأخذ عن صاحب الرسالة ﷺ مناسك الحج - كما قال :"خذوا عنى مناسككم" وكما شرعها بأقواله وأفعاله : إن الحج عرفة ، وكل مكان فيه موقف لأداء هذه الفريضة المقدسة حيث يباهى الله تعالى ملائكته ويقول : انظروا إلى عبادى أتونى شعثاً غبراً تركوا أموالهم وأولادهم من أجلى ، أفيضوا مغفوراً لكم ولمن شفعتم لهم .

ثم تأتى الذكريات ناصعة فى أيام منى ومتمثلة فى أروع مشهد للتضحية والفداء حيث يقدم الخليل إبراهيم عليه السلام فلذة كبده قرباناً لله ، وحيث يستجيب إسماعيل ويسلم رقبته للذبح ، ويقول : يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين . ويرحم الرحمن الرحيم الوالد والوليد حيث يقول : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ .

كما تحس وأنت ترمى الجمرات أنك ترجم الشيطان فى أعماق النفس حيث تعرض الخليل عليه السلام وابنه إسماعيل لفتنة الشيطان ، حتى لا تكون الاستجابة لأمر الله ، وكيف انتصروا على الشيطان الرجيم برجمه ودحره وهكذا يعيش الإنسان أعظم أحداث التاريخ متمثلة فى مشاهد ومناسك يؤديها تنفيذاً لأمر الله : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين ﴾ .

قال ﷺ فيما رواه أبو داود : « من أراد الحج فليتعجل » وزاد أحمد فى رواية له : « فإنه قد يمرض الصحيح وتضل الراحلة ، وتعرض الحاجة » .

فبادر أخى المسلم إلى طاعة ربك بأداء هذه الرحلة النورانية ، ففى الحديث المرفوع رواه الترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه : « تابعوا بين الحج والعمرة فإن متابعة ما بينهما تنفى الذنوب والفقر كما ينفى الكير خبث الحديد وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة » .

حديث قدسى

يقول الله تعالى :

« إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتى ، ولم يتكبر على خلقى ، وقطع نهاره بذكرى ، ولم يبت مصراً على خطيئته ، يطعم الجائع ، ويؤوى الغريب ، ويرحم الصغير ويوقر الكبير ، فذلك الذى يسألنى فأعطيه ، ويدعونى فأستجيب له ، ويتضرع إلىّ فأرحمه ، فمثله عندى كمثل الفردوس فى الجنان لا يتسنّى ثمارها ولا يتغير حالها قط » (فى الأفراد - عن على) للدارقطنى .

الحديث ٤٣٥٧٣ - ص ٩١٠ الجزء الخامس عشر .

من كنز العمال للعلامة المتقى الهندى.طبعة بيروت مؤسسة الرسالة .

والتسنّى : هو تغيّر الطعام والشراب وتعفنه بفعل الزمن وقد نطق به القرآن الكريم فى قصة العزير ، عليه السلام ﴿ انظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنّه وانظر إلى حمارك ﴾ .. الآيات .. والله أعلم .

وفعله سنه يسْنهُ سَنّها ، ولها معان أخرى قريبة من المعنى الأصلى .. والله أعلم .

(أ)

وروى عن الله - سبحانه - فى الكتب السالفة أنه قال : « ليس كل مصل أتقبل صلاته ، انما أقبل صلاة من تواضع لعظمتى ولم يتكبر على عبادى وأطعم الفقير الجائع لوجهى » ا.هـ .

وجاء نحوه فى الترمذى والنسائى من حديث الفضل ابن عباس بإسناد مضطرب .

(ب)

ويروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال دواد - صلى الله عليه وسلم - فى مناجاته : إلهى مَنْ يسكن بيتك وممن تتقبل الصلاة ؟ فأوحى الله إليه : يا داود إنما يسكن بيتى وأقبل الصلاة منه من تواضع لعظمتى وقطع نهاره بذكرى ، وكف نفسه عن الشهوات من أجلى ، يطعم الجائع ، ويؤوى الغريب ، ويرحم المصاب فذلك الذى يضىء نوره فى السموات كالشمس إن دعانى لبيته ، وإن سألنى أعطيته ، وأجعل له فى الجهل حلماً ، وفى الغفلة ذكراً ، وفى الظلمة نوراً ، وإنما مثله فى الناس كالفردوس فى أعلى الجنان لا تيبس أنهارها ولا تتغير ثمارها » ا.هـ .

إحياء علوم الدين للإمام الغزّالى - رضى الله عنه - ج ١ ص ١٥٦ و ص ١٥٧ طبعة الحلبى .

والله أعلم .

«واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا»

السوق الإسلامية المشـتركة بيـن النظـــرية والتطبيق

بقلم : لواء ا.ح. دكتور/فوزى محمد طايل

لقد شاء الله تبارك وتعالى أن تكون أمتنا الاسلامية أمة واحدة ، فقال جل شأنه : إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ (الانبياء/٩٢) ، كما قال سبحانه :

وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ (المؤمنون/٥٢) .

ولقد كانت أمة المسلمين كذلك عدة قرون ، ولم تتمزق إلا منذ بضع عشرات من السنين ، بيد أن تمزقها هذا تمزق صناعى وهمى لن يلبث طويلا ، بإذن الله ، حتى تسقط حواجزه ، وتعود هذه الأمة كما كانت خير أمة أخرجت للناس .

★ مما يذكر أن الدول العربية السبع التى وقعت على ميثاق جامعة الدول العربية (الاردن ـــ مصر ـــ السعودية ـــ العراق ـــ سوريا ـــ لبنان ـــ اليمن) كانت قد وقعت على اتفاق مكمل لميثاق الجامعة عام ١٩٥٠ م يهدف الى اقامة تعاون اقتصادى ودفاع مشترك ، وحث مؤتمر القمة العربى عام ١٩٦٤ على ضرورة وضعه موضع التنفيذ لاخراج سوق عربية مشتركة إلا أن نتائج هذه الفكرة جاءت متواضعة جدا .

من أجل هذا فإن فكرة « السوق الاسلامية المشتركة » لم تطرح على بساط البحث الفقهى فى أية مرحلة من مراحل تاريخ الأمة الاسلامية حتى ثمانينات القرن العشرين *، إذ طالبت « بنجلاديش » ، أثناء انعقاد مؤتمر القمة الثانى لمنظمة المؤتمر الاسلامى الذى انعقد بالطائف عام ١٩٨١ ، بضرورة إقامة « سوق إسلامية مشتركة » . وقد أعيد طرح الفكرة عام ١٩٨٢ فى اجتماع « الجمعية العامة للغرف التجارية الاسلامية » ، ثم عام ١٩٨٣ فى « جاكارتا » ، ثم فى المؤتمر العالمى الثانى للاقتصاد الاسلامى فى « إسلام أباد » عام ١٩٨٤ . وقد استمر طرح الفكرة مرات متعددة فى عدد من المؤتمرات التالية ، كان آخرها المؤتمر الذى عقد بجامعة الازهر تحت رعاية فضيلة الامام الاكبر شيخ الأزهر فى شهر مايو ١٩٩١م وكان يحمل عنوان « نحو سوق إسلامية مشتركة » .

« والسوق المشتركة » اصطلاح حديث نسبيا ينصرف الى مرحلة متقدمة من مراحل « التكتل » أو « التكامل الاقتصادى بين كيانات دولية ذات استقلال سياسى واقتصادى عن بعضها البعض » .

ويقصد بهذه الفكرة إزالة العوائق التى تعرقل أو تصعب أو تحول دون تحرك رءوس الأموال والمواد الخام ، واليد العاملة ، والخدمات من قطر إلى آخر ، وأن تكون هناك فرص متكافئة للمنافسة المشروعة بين المشروعات ، فلا يحكمها إلا القانون الالهى لتفاعل العرض والطلب .. فإن الله تعالى هو المسعر القابض الرازق الباسط . وتتوقف قدرة كل مشروع على المنافسة على قدر ما لديه من « ميزة نسبية » فى الانتاج .

وبينما تكون هذه هى العلاقة بين الوحدات المكونة للسوق ، فإن على الهيئة المشتركة القائمة على السوق أن تقوم باتخاذ « إجراءات حمائية » تعريفية (بزيادة الضرائب الجمركية) ، وغير تعريفية (بتحديد الكميات المستوردة) ، وذلك فى مقابل السلع ، والخامات ، ورءوس الاموال ، والخدمات القادمة من خارج السوق .

ففكرة « السوق المشتركة » إذاً تقوم على « التعاون » بين مجموعة من الدول لتحقيق أفضل استغلال لمواردها ، ولتحقيق أفضل عائد من وراء هذا الاستغلال كخطوة فى سبيل تحقيق « التنمية الشاملة المشتركة » ، لذا كان ضروريا أن تصاحب الاجراءات الاقتصادية سالفة الذكر إجراءات أخرى ، وتنظيمات فى المجالات الاجتماعية ، والسياسية ، والمالية ، والنقدية ، « والتقنية » (التكنولوجية) ، وفى مجالى الامن والدفاع .. فنكون بهذا قد وضعنا « استراتيجية شاملة » ، ذات أهداف واضحة ، تنفذ خلال مدة زمنية محددة ، وعلى مراحل متدرجة ، باستخدام الإمكانات المتاحة للدول المكونة للسوق .

هذا ، وواجب علينا أن نعى منذ البداية أن وصف « الإسلامية » الذى يضاف « للسوق الاوربية المشتركة » التى ظهرت منذ أوائل خمسينيات القرن العشرين الميلادى ، ووضعت موضع التنفيذ التدريجى بموجب اتفاقية « روما » عام ١٩٥٧م بين ست دول من أوربا الغربية ، بلغوا الآن اثنتى عشرة دولة ، وصار يطلق عليهم « المجموعة الأوربية » EC ، وتوشك هذه المجموعة أن تحقق فيما بينها درجة أعلى من درجات التكامل بحلول عام ١٩٩٣م ، كما أنها تسعى إلى التوسع لتصل الى أربع وعشرين دولة بمطلع القرن الميلادى القادم *. ووجه التميز الذى أتحدث عنه يرجع الى أن « السوق الإسلامية المشتركة » تقوم على تطبيق « الاقتصاد الاسلامى » بقيمه التى « تذر الربا » ، وتعلى « التكافل » ، و « التعاون » ، وتنبذ « الاحتكار » ،و « الاستغلال » ، و « طغيان رأس المال » ، وتعتمد « التنمية المشتركة »

---

* انضمت الى « المجموعة الاوربية » EC مجموعة أوربية أخرى تسمى « رابطة التجارة الحرة الاوربية » EFTA وهى مكونة من سبع دول أخرى بخلاف خمس دول كانت لها عضوية مشتركة بين المجموعتين ويهدف هذا الاجراء الذى اعلن عنه يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٩١ م إقامة سوق تجارية واحدة من « البلطيق » والى « الاطلنطى » بحلول عام ١٩٩٣ . سوف تضم ٤٠٠ مليون نسمة ، بحجم تجارة ٢٢٠ مليار دولار سنويا (٤٠٪ من تجارة العالم) .

مدخلا يخالف مدخل « تحرير التجارة » الذى تعتمده السوق الأوربية المشتركة . وصدق الله تعالى إذ يقول : « .. لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا .. » (المائدة/٤٨) ويقول سبحانه أيضا « ... وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ » (المائدة/ ٥٠) .

السوق الإسلامية المشتركة واجب وضرورة

تعد السوق الإسلامية المشتركة ، بالمفهوم الذى اتضح أمامنا الآن ، طريقا رشيدا لاستعادة « وحدة الأمة » ، فمدخل السوق هو المدخل الذى يربط « المصلحة الاقتصادية » بمصلحة « حفظ الدين » ، وهما مقصدان من مقاصد الشرع ، فهما واجب ، وما يؤدى إليهما واجب . فإذا ما علمنا أن « وحدة الامة » قيمة إسلامية عليا وهى واجب أيضا بنصوص القرآن الكريم التى تنهى عن التفرق والتنازع ، فإن ما يؤدى إلى وحدة المسلمين واجب .. فالسوق الاسلامية المشتركة إذاً واجب من إتجاهين ، والتخلف عن إقامتها خطأ تأثم الامة لاستمراره ، ويتحمل أولو الامر من حكام ، وعلماء ، ورجال اقتصاد القدر الأكبر من هذا الاثم .. وعلى كل منهم فى موقعه فرض عين لإقامة هذا الواجب .

من ناحية ثانية فإن الظروف الحالية التى صار اليها كوكبنا الأرضى بعد انتهاء « الحرب الباردة » وتسابق الامم غير المسلمة لوضع يدها على الموارد الاقتصادية للمسلمين وتسخيرها فيما يخالف مصالحنا ، فنصبح كثرة كغثاء السيل أو هشيما تذروه الرياح . وحتى يتبين القارىء الكريم حقيقة ما نحن مقدمون عليه ، فقد يكون من المفيد تحديد معالم ما يسمونه « بالنظام العالمى الجديد » ، ومعرفة مكاننا الحقيقى الذى يريدون أن يضعونا فيه :ـــ

١ــ توشك « الحرب التجارية العظمى » أن تبدأ بين كيانات وتجمعات اقتصادية دولية عملاقة هى بالتحديد : « المجموعة الاقتصادية الاوربية » وهى ما يطلق عليها اختصارا « المجموعة الاوربية » ، وهى كما ذكرنا حالا تتحكم فى أربعين بالمائة من التجارة العالمية ، و« تجمع أمريكا الشمالية » الذى يضم الولايات المتحدة الأميريكية ، وكندا ، والمكسيك ، وهى دول يبلغ تعداد سكانها ٣٥٥ مليون نسمة ، ويعادل انتاجها السنوى ١,١ قدر انتاج المجموعة الأوربية . أما العملاق الاقتصادى الثالث الذى يدخل طرفا فى هذه الحرب فهو « اليابان » ، التى قد تجد مع « الصين » ـــ رغم ما بينهما من تناقضات ـــ أن المصلحة تقضى تكاتفها فى جبهة تجارية تضم قرابة ١٣٠٠ مليون نسمة ، وتحظى سلعهما بقبول عالمى كبير يؤهلهما للبقاء على مسرح الصراع التجارى .

وبقاء الاقطار الاسلامية فرادى ـــ كما هى الان ـــ لن يمكنها من مواجهة أعاصير هذه الحرب التى لا هداوة فيها .. فالمسلمون معرضون لأن تسلب منهم ثرواتهم أو أن يقتسمها عمالقة « الحرب التجارية العظمى » وهذا أمر بدت إرهاصاته واضحة كل الوضوح ، على الاقل منذ أطلت أزمة الخليج المشئومة فى مطلع أغسطس ١٩٩٠م .

٢ ـ احتكار الكيانات الاقتصادية العملاقة « للتقنية الحديثة » وحرصها على اتساع « الفجوة التقنية » بينهم وبين ما يطلقون عليه « دول العالم الثالث »ـــ الذى تقع فيه أقطار الامة الاسلامية ـــ سوف يمكن لغير المسلمين من « السيطـــرة على البيئة » ، بمعنى السيطرة على كل الموارد الاقتصادية ، بما فى ذلك امتلاك « التقنية » اللازمة والضرورية « لحماية البيئة » .

٣ ـ تحاول « الولايات المتحدة الاميريكية » بإمكاناتها الهائلة فى الوقت الحالى سبق غيرها من الكيانات الدولية العملاقة وتحقيق ما يطلقون عليه « مركزية التحكم فى الاقتصاد العالمى » سواء باستخدام الاجهزة التابعة « للامم المتحدة » والتى أصبحت « الولايات المتحدة الاميريكية » تسيطر

عليها « كصندوق النقد الدولى » و « البنك الدولى للانشاء والتعمير » ، و « منظمات الامم المتحدة الاخرى المانحة للمعونة » ، أو باستخدام السيطرة المباشرة من خلال التواجد العسكرى ، أو بتطويع « الاتفاقية العامة للتجارة والتعريفة الجمركية » المعروفة باسم « الجات » ، GATT ، وذلك من خلال حصر تيار التجارة ليصبح فى اتجاه واحد ، فتتجه الخامات الرخيصة من الجنوب الى الشمال ، وتتجه السلع المصنعة ونصف المصنعة غالية التكاليف من الشمال للجنوب ، هذا فضلا عن استخدام « الجات » فى العمل « كمحكمة دولية اقتصادية » تمنع بلادنا الاسلامية من حماية منتوجاتها من المنافسة غير المتكافئة ، بل واستخدام احكام اتفاقية « الجات هذه » لمنع قيام السوق الاسلامية المشتركة ذاتها .

٤ ـ يتوقع المفكرون الاستراتيجيون ، بل يقررون ، أنه باختفاء الصراع « الايديولوجى » بين « الليبرالية الغربية » (الديمقراطية الغربية) ، وبين « الشيوعية » ، فإن صراع القرن الحادى والعشرين ، والذى بدأ فعلا فى عقد التسعينات من القرن العشرين ، سوف يكون بين « الليبرالية الغربية » والاسلام ، وأنه سوف يتخذ عدة أبعاد وعدة أشكال ، منها : التحكم فى الغذاء ، ومنها اعطاء معونات عاجلة ، مصحوبة بالتحويل الى النصرانية طوعا أو كرها ، لمن يتعرضون لكوارث من المسلمين كما يحدث فى « بورما » و « الفلبين » ، و « والبوسنة و الهرسك » ، و « الصومال » ، و « ارتيريا » ، بل وفى دول يكاد يكون كل سكانها من المسلمين مثل الدول الافريقية الإسلامية ، ومنها التحكم فى مصادر المياه ، ومنها استخدام فكرة « التحكم فى التسليح » ARMS CONTROL لإثارة الحروب المحلية والاقليمية كى يقتتل المسلمون .. الخ .. هذا فضلا عن العداء المعلن بين الاقتصاد الرأسمالى (الربوى) وبين الاقتصاد الاسلامى .

٥ ـ لقد علا اليهود وأفسدوا فى الأرض ، ومن المتوقع خلال المرحلة القادمة أن تتركز جهودهم على محاولة الهيمنة الاقتصادية على الدول الاسلامية فى إطار ما يسمى بعملية « تطبيع العلاقات » ، وبسبب ما لديهم من تفوق « تكنولوجى » وعلمى وتقدم فى مجال الادارة .. وهم لا يخفون هدفهم هذا بل يعلنونه فى كل مناسبة .

ولئن كانت « السوق الاسلامية المشتركة » ضرورة حتمية بسبب المتغيرات الدولية التى أوردنا طرفا منها فإن هذه السوق هى الخيار الوحيد لاستغلال الطاقات المعطلة فى رأس المال الموجود بالبنوك الربوية فى أوربا وأمريكا تحت ايدى اليهود ، وفى المواد الأولية التى تتجه معظمها بأرخص الاسعار إلى الشمال لتعود الينا مصنعة بأثمان باهظة ، وفى اليد العاملة التى إما أن تهاجر الى بلاد الشمال كى تدعم قدراتهم ، وإما تبقى مكونة مشكلة اجتماعية خطيرة فى بلادنا بسبب عدم تشغيل نسبة كبيرة منها .

« والسوق الاسلامية المشتركة » هى الوسيلة الامثل لزيادة حجم المشروعات الاقتصادية القائمة وللحد من الاثار السيئة التى تسببها إقامة الشركات الاجنبية العملاقة لافرعها فى بلادنا ، وهى الوسيلة المناسبة لتوسيع السوق أمام المنتجات الاسلامية ، ولانشاء التجارة . TRADE CREATION بين الاقطار الاسلامية ، شريطة الحذر من نشوء « آثار تحويلية » TRADE-DIVERSION EFFECT * .

ولما كانت السوق الاسلامية المشتركة هى وسيلة مناسبة للسيطرة على الثروات الاسلامية فإنها ستزيد من القدرة التفاوضية للمجموعة الاسلامية فى مقابل غيرها من التكتلات الاقتصادية ، فتصبح المعاملات التجارية الدولية اكثر عدلا .

ولا يخفى أن « السوق الاسلامية المشتركة » هى الوسيلة الاكثر قدرة على الاسراع بمعدلات التنمية الاقتصادية والاجتماعية وحسن تقسيم العمل واستغلال

* يقصد بالاثار التحويلية قيام دولة عضو بالسوق باستيراد سلع من دول أجنبية وإعادة بيعها للدول الاعضاء بالسوق ، فتصبح السوق مسخرة فى صالح تلكم الدولة الاجنبية .

التخصص والميزة النسبية فى الانتاج ، كما أنها الاطار المناسب لتحقيق الاكتفاء الذاتى فى مجالى توفير الغذاء وتصنيع السلاح ، فضلا عن أن ممارسة العمليات الاقتصادية فى مجال الصناعة والزراعة وغيرهما سوف يؤدى الى بناء وتطوير « التنمية الاسلامية » ، وبتحقيق هذه الامور نتخلص من التبعية والضغوط الخارجية المتزايدة ، ويصبح تعاملنا مع الكيانات الخارجية الاخرى على قدم المساواة .

لقد جربت الاقطار الاسلامية بديلين عن إقامة السوق المشتركة هما :

ـ الاستعاضة عن الاستيراد .

IMPORT SUBSTITUTION APPROACH

وذلك من خلال محاولة تحقيق اكتفاء ذاتى بغض النظر عن تكلفة الانتاج .

ـ تنمية الصادرات :

EXPORT PROMOTION APPROACH

وذلك بتبنى سياسة تصدير المنتجات بغض النظر عن تغطية احتياج السوق المحلى أولا ، وبغض النظر عن التمتع بالميزة النسبية أو القدرة على المنافسة فى الاسواق العالمية .

وللاسف لم يلق أى البديلين النجاح المأمول ؛ لقصور قدرة كل قطر اسلامى على حده عن تنمية انتاجه ، وصناعة انتاجه ، وصناعاته الوطنية بصفة خاصة ، والوصول بهذا الانتاج الى حجمه الامثل OPTIMUM SCALE الذى يقلل من نفقات الانتاج ويساعد على تحسين درجة الجودة ليصل بها الى المستويات العالمية فتصبح قادرة على المنافسة .. وكانت النتيجة عودة هذه الاقطار الى الاستيراد والاعتماد على الدول غير الاسلامية اعتمادا يبلغ حد التبعية الاقتصادية حتى فى مجالات حساسة كمجال الغذاء .

إن خيار إقامة « السوق الاسلامية المشتركة » هو البديل الأمثل الذى يحقق التكامل بين الاقطار الاسلامية وبين عوامل الانتاج فيها (الطاقة ــ المواد الخام ــ المياه ــ رأس المال ــ العمل ــ التنظيم) ، فتقل تكاليف الانتاج ويتم ذلك التغلب على شطر مشكلتى السوق وهى « مشكلة العرض » SUPPLY-SIDE PROBLEM أى أن المشروعات المتكاملة سوف تتمكن من عرض ما تحتاجه المجتمعات الاسلامية « فيستعيضون عن الاستيراد .

واذا ما تم اتباع السياسات المالية الواعية بالاضافة لكثرة المعروض فستنشأ التجارة البينية ويرتفع معدل التبادل التجارى بين الدول الاسلامية ، ومن خلال هذا التبادل ــ الذى هو الان فى مستوى متدنٍ للغاية ــ سوف يتم التحكم فى الشطر الثانى لمشكلتى السوق وهى مشكلة الطلب DEMAND-SIDE PROPLEM وبذا يحدث التوازن فى السوق الاسلامية .

إن « السوق الاسلامية المشتركة » ليست مشروعا اقتصاديا خالصا ، فمن خلالها سوف يدخل المسلمون مجال ثورة المعلومات والاتصالات ، والتطور التكنولوجى ، فيكون لنا الاعلام الاسلامى الخاص بنا الذى يحمى هويتنا الاسلامية ، وقيمنا ، ومنهاج حياتنا ، فى الوقت الذى سوف يسمح للامة الاسلامية بالتفاعل مع غيرها من موقع المؤثر فى الاخرين لا التابع المتأثر بالثقافات والحضارات الاخرى .

إن قيام السوق المشتركة بين أقطار الامة الاسلامية صار « حتمية شرعية » لاخراج الامة مما هى فيه من غمة ، ولاستعادة وحدتها ولامتلاك مقدراتها وتبوء مكانتها بين الامم .

ونحن لا نطالب المسلمين بالبدء من فراغ فلدينا بالفعل مقومات إقامة هذه السوق ، بل إن لدينا مؤسسات اسلامية تصلح أجهزة لاقامة وادارة هذه السوق .

وليس الأمر بهذه السهولة فأمامنا معوقات لابد من إجتيازها ، كما أن علينا أن نمتلك بعض الآليات التى نصنعها بأيدينا ، وعلينا أن نجاهد ونصبر وألا نفقد الهدف كى نصل إليه .

يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين :

« أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » (آل عمران/١٤٢) .

هموم المسلمين في شرق افريقية

د. عبدالله نجيب محمد

جغرافية المنطقة :

شرق افريقيا ، اصطلاح يطلق الآن على أوغندا وكينيا وتنزانيا (تنجانيقا ــ سابقا) والجزر الساحلية المقابلة لكينيا وتنزانيا فى المحيط الهندى ، علاوة على زائير . ومجموع مساحة الاقليم نحو من مليونى كم مربع ، تمتد من خط عرض ٥ شمالا إلى خط عرض ١٠ جنوبا ، ولهذا فهو إقليم استوائى ، ولكنه يمتاز عن الأقاليم الأستوائية الأخرى بميزات خاصة فى الموقع والتضاريس والمناخ والحياة النباتية وتوزيع اليابس والماء ، مما تنعكس آثاره على أنماط الحياة النشرية جملة .

والأقليم يعتبر وحدة طبيعية لها خصائصها العامة فهو يطل بجبهة بحرية طويلة على المحيط الهندى ، حيث تصطدم أمواجه الدافئة بسلسلة ممتدة من الحواجز المرجانية توازى الشاطىء ، كما تلحق به مجموعة من الجزر أهمها «زنجبار» و «بمبا» .

أما الداخل فعبارة عن سهل ساحلى يختلف ضيقا واتساعا من جزء إلى آخر ، تتناثر فوقه أشجار نخيل جوز الهند السامقة وأشجار الياوباب الضخمة ، وإذا ما اتجهنا من هذا السهل الساحلى إلى الداخل ، وجدنا الأرض عبارة عن هضبة تشرف على السهول بحافات واضحة المعالم ، يتلوها مرتفعات ذات تربة بركانية عالية الخصوبة ، يزداد فيها المطر ويعتدل الجو ، ويتكاثر السكان .

التجارة والنازحون والإسلام :

ومن أقدم الأزمان تواصلت أسباب التجارة بين مصر الفرعونية وشرق إفريقيا ، كما تواصلت تلك الأسباب بينها وبين الساحل الآسيوى ، بعد اكتشاف أسرار الرياح الموسمية التى تهب على آسيا صيفا ومنها شتاء .

كذلك هاجر إلى المنطقة منذ أزمان سحيقة أيضا جماعات من العرب ، وأنشأوا لهم مراكز على الساحل ، فلما ظهر الإسلام وحملة أهله إلى كل مكان ، ذهب بعضهم أيضا إلى شرق إفريقيا ، وقاموا على طول الساحل من الصومال شمالا إلى موزمبيق جنوبا ، ومن الساحل انتشروا إلى أعماق القارة على روافد نهر الكونغو ، وقامت للمسلمين عدة إمارات فى كل المدن تقريبا .

بداية استعمارية :

ثم وفد البرتغاليون — وهم فى طريقهم للبحث عن طريق جديد إلى الهند — إلى ساحل شرق إفريقيا ، وبدأوا حربا صليبية ضد المدن والإمارات الإسلامية ، وسيطروا على معظمها فترة من الوقت حيث تركوا آثارا سيئة فى حياة البلاد ، وقضوا على النهضة الإسلامية بها ، ثم لم يلبث شعب عمان منذ منتصف القرن السابع عشر أن وجه عنايته نحو الساحل ، واستطاع طرد البرتغاليين من البلاد نهائيا عام ١٧٣٠ م وأنشأوا لهم دولة أسيوية إفريقية كان لها أكبر الأثر فى حياة السكان حتى يومنا هذا .

أنتشر الاسلام فى الجزر ، وامتد إلى الداخل فى «تنجانيقا» وغلب عليها ، كما غلب على الساحل الكينى من (كيسمايو) فى الشمال إلى مدينة (كمباسا) فى الجنوب .

أما أوغندا فقد امتد الإسلام إليها منذ منتصف القرن التاسع عشر ، وانتشر بثلاث تيارات :

أولهما : قادم من ساحل شرق إفريقيا ، من مستقره الأصلى فى زنجبار .

وثانيهما : قادم من الشمال من السودان .

أما الثالث : فقد تم على يد فصائل من بقايا القوات المصرية السودانية التى لجأت واستقرت بقيادة أمين باشا فى هذه البلاد ، بعد احتلال الانجليز لمصر والسودان .

وكانت مصر قد أوفدت «صمويل بيكر» فى حملة إلى أعالى النيل والأقاليم الأستوائية عام ١٨٦٩ م بهدف فتح طريق التجارة والحضارة إلى هذه البلاد ، ولكن (بيكر) هذا أثار الفتن وفتك بالناس ، فعهدت الحكومة المصرية إلى «غوردون» حوالى سنة ١٨٧٣ م بإصلاح ما أفسده سلفه ، وطلبت فى تعليماتها أن يعمل على العناية بإنشاء علاقات ود وصداقة مع أهل البلاد حول البحيرات الكبرى وأعالى النيل .

وقد أبدى حكام المنطقة وملوكها رغبة أكيدة فى عقد أواصر الصداقة مع الحكومة المصرية . وطلب الكاباكا «موتيا» إرسال فقيه يلقنه وشعبه تعاليم الإسلام ، وبالفعل أرسل إليه من يعلمه الإسلام ، فدخل هو وشعبه فى الدين الحنيف ، وبدأ دور جديد فى انتشار الإسلام وتعلم اللغة العربية ، وانفتح باب واسع للحضارة والثقافة على هذه البلاد ، كما انفتح الطريق

أمام التجار القادمين من السودان ومصر إلى هذه المناطق .

التآمر الانجليزى :

أثار دخول « موتيا » فى الإسلام حفيظة تجار زنجبار الذين كانوا يحتكرون التجارة مع حكام هذه البلاد ، واستغل « جون كيرك » قنصل بريطانيا العام فى زنجبار هذا التنافس ، وأرسل إلى بريطانيا عام ١٨٧٦ يقول[١] : إن الخديوى يهدف إلى احتكار التجارة بمنطقة البحيرات ، وإبعاد الآخرين ، ويتضح هذا جليا من نشاط الكولونيل غوردون وأعوانه من الضباط ، واتصالهم بموتيا الحاكم المستقل لشمال بحيرة فيكتوريا ، وهذا بالطبع يرمى للحد من نشاط تجار زنجبار وإقصائهم ، وقد كانوا يتمتعون بنفوذ واسع منذ أيام الكاباكا « سنا » والد الملك الحالى ، وقد تمكنوا بالفعل من إقناع الكاباكا الحالى « موتيا » باعتناق الإسلام ، قبل أن تطأ أقدام المصريين منطقة أوغندا »[٢]

التنصير :

وأسرع قنصل بريطانيا العام فى زنجبار ، وبعث إلى « هنرى رايت » السكرتير العام لجمعية الكنيسة التبشيرية بلندن يحثه على إرسال بعثة من المنصرين الأوروبيين إلى أوغندا ، وأوضح له أهمية ذلك من الناحية الدينية والسياسية ، ثم اضاف يقول : « وإذا اعتنق موتيا النصرانية ، وعمل على انتشارها بين أفراد شعبه ، فإن هذه الخطوة تبدو أنها الفرصة الوحيدة والأخيرة لنا لإنقاذ إفريقيا الوسطى من نفوذ الإسلام الذى يقطع علينا سبيل الرجاء ، ولهذا السبب إن لم يكن لغيره يجب إبعاد المصريين عن المنطقة ... وإننا نرتكب خطأ مميتا إذا سمحنا باستمرار زحف المسلمين على كلا الدولتين (يقصد الحبشة وأوغندا) أهـ .

وتجمع كل المصادر على انتشار الإسلام فى المناطق الشمالية من أوغندا بالتسامح والتدرج والعفوية والمخالطة بالزواج والمصاهرة ، وكانت معسكرات الجيش المصرى بمثابة مراكز للإشعاع الحضارى والثقافى ، كما أن المدرسة والمسجد اللذين كانا مخصصين للضباط والجنود وعائلاتهم ، صارا نواة لمدارس ومساجد أخرى فى منطقة (أتشولى) و(بنيورو) و(اولاى) و(فاتيكو) وغيرها[٣] .

وقد استمر انتشار الإسلام على الرغم من هزيمة المهدية وقيام الحكم الثنائى فى السودان[٤] وكان للموظفين والحاميات العسكرية أكبر الفضل فى هذا الانتشار ، كما أن الإسلام وجد قبولا وترحيبا من الأفارقة فى كل مكان .

أما فى زائير فقد دخلها الإسلام من شرق إفريقيا ، ومن المناطق التى ينتشر فيها المسلمون حتى الآن « كاسونجو » و« كيسنجانى » وفى معظم الحوض الأوسط من نهر زائير ، كما يوجد المسلمون فى القطاع الممتد على نهر « لولابا » وفى مدينة « كينشاسا » وفى مناطق التعدين .

وكان هناك مركز تجارى هام للمسلمين فى مدينة « أوجيجى » على بحيرة تنجانيقا أيام ازدهار سلطنة زنجبار ، ومن هذه المدينة كان التجار المسلمون ينطلقون إلى داخل زائير ، وكان هذا الانتشار خلال القرن التاسع عشر ، وقد تكونت مدينتان إسلاميتان هما : « نيانجو » و« كاسونجو » على نهر زائير ، وأصبحتا مركز إشعاع إسلامى وسط الغابات الاستوائية الممتدة .

وقد زار المكتشفون الأوروبيون هذه المدن فأذهلتهم نهضة مدينة كاسونجو وتقدمها الزراعى الذى جاء به المسلمون ، وكان أحمد بن محمد بن جمعة المرجبى العُمانى الأصل قد أسس مملكة إسلامية بوسط وشرق إفريقيا من منطقة « بانتلا » بين نهرى (لولابا) و(لوماس) ولكن للأسف الشديد حطم البلجيك هذه الدولة وألجأوا أحمد المرجبى إلى زنجبار التى توفى بها عام ١٩٠٥ م .

كذلك وصل الإسلام إلى زائير عن طريق محاور أخرى ، فوصلها من الشمال عن طريق السودان . وانتشر بين شعب (الزاندى) كما جاء الإسلام أيضا إلى

(١) رسالة مخطوطة بدار الوثائق بزنجبار « بالنص » .

(٢) المخطوطة .

(٣) راجع رسالة للسير حاكم عام السودان فى الفترة من ١٨٩٩ ــ ١٩١٦

(٤) السابق أيضاً .

زائير عن طريق هجرة مسلمين من (مالى) و(السنغال) ودول غرب إفريقيا المسلمة .

منابع الاسى :

ويشعر الإنسان بالأسى والحزن عندما يراقب أحوال المسلمين اليوم فى زائير خاصة ، حيث نشطت البعثات التنصيرية فى ظل الاستعمار ، ومازالت تقوم حتى الآن بدور خطير فى تشويه تاريخ المسلمين ، والإشراف على التعليم والتنصير بين المسلمين ، مستغلين ظروفهم الاقتصادية السيئة ، وقد حكى لى طالب يدرس الإسلام واللغة العربية بمدرسة الرسول الاكرم بمدينة (نيروبى) : ان المسلمين الآن لايجدون من يعلمهم دينهم ، فهم مسلمون بالاسم ، كما أن أبناءهم يتعرضون للنشاط التنصيرى بل واليهودى ايضا ، خاصة فى المرحلة الابتدائية التى يتلقى فيها الاطفال تعليمهم الأساسى ، حتى إننا نجد الآن فى زائير ٢٠ الف مدرسة تنصيرية فى هذه المرحلة وحدها ، كما أن عدد البعثات التنصيرية (١٥) الف بعثة من مختلف الجنسيات الأوروبية والأمريكية فى حين لا يوجد غير منظمة إسلامية واحدة فقيرة هى مدرسة المؤتمر الاسلامى الزائيرى ، وجمعية إسلامية ولا يوجد غير مدرسة إسلامية عليا واحدة فى كنشاسا .

أما فى إفريقيا الوسطى التى تقع بين حوض نهر زائير ونهر « شارى » (تسارى) وتحد شرقا بالسودان وشمالا بتشاد وجنوبا بزائير والكونغو برازافيل ، ويبلغ عدد سكانها حوالى ثلاثة ملايين نسمة فقد تأثرت بالممالك الإسلامية المجاورة لها ، ومنها مملكة « كانم » التى كانت تقع إلى الشرق من بحيرة « تشاد » فى القرن الخامس الهجرى ، وقد قامت هذه المملكة بنشر الإسلام فى الجنوب حتى الأطراف الشمالية لإفريقيا الوسطى .

ومن جانب آخر كذلك ، أسهمت مملكة « البورنو » الإسلامية التى كانت تقع غربى بحيرة تشاد فى نشر الإسلام فى إفريفيا الوسطى وكذلك مملكة « الباجرمى » التى كانت تقع على نهر « شارى » فى القرن العاشر الهجرى .

ويقوم التعليم الإسلامى فى هذه البلاد على عدد قليل من الكتاتيب الأهلية الملحقة بالمساجد والمدارس وهى لاتزيد على عدد أصابع اليد الواحدة ومن هذه « مدرسة فى حاجة إلى ترميم وأثاث ثم مدرسة النصر الإسلامية وبها حوالى ٣٥٠ تلميذا ثم (مدرسة الفلاح الإسلامية) وجميعها فى « بانجى » وكلها فى حاجة إلى معلمين مدربين وكتب وأثاث وغير ذلك ، وتوجد فى إفريقيا الوسطى جمعية إسلامية واحدة تأسست عام ١٩٨٤ . وفى المقابل يوجد نشاط تنصيرى واسع ، خصوصا بين الوثنيين الذين يبلغ عددهم نحو ٥٠٪ من جملة السكان ، ويبلغ النصارى الآن مع ازدياد النشاط التنصيرى حوالى ٣٥٪ أما المسلمون فلا يزيدون عن ١٥٪ من جملة السكان .

معاناة المسلمين :

يعانى المسلمون فى كل البلاد الأفريقية ، وشرق إفريقيا بصفة خاصة من الضغوط التنصيرية الهائلة ، وسياسات التغريب ، كما يعانون من ضعف التعليم اسلامى ، وقلة المعلمين والوسائل التعليمية الأخرى ، ومن المعروف أن مجلس الكنائس العالمى قد أعد خطة شاملة تشارك فيها جميع الامم التنصيرية لجعل النصرانية دين الأغلبية فى كل وسط وجنوب القارة ، وقد نجحوا فى ذلك إلى حد بعيد ، خصوصا فى كينيا وزائير وشمال تنزانيا ، فهل يتعاون المسلمون ويعدون فى المقابل خطة عامة تتوحد فيها جهودهم للوقوف أمام المد التنصيرى ، ورفع معنويات المسلمين فى هذه البلاد ؟ نأمل من كل قلوبنا أن يتحمس المسلمون لهذه الغاية فيمدون أيديهم لاخوانهم فى هذه البلاد قبل فوات الأوان ، تلك البلاد التى هى الظهير الخلفى للعالم العربى قلب الإسلام النابض .

يقظة الضمير

أيها الحائرون

بقلم فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان

كل إنسان يحس فى قرارة نفسه بقوة تأمره بالخير والبر ، وتنهاه عن السوء والشر ، فإذا استجاب هواتفها الطيبة النبيلة استمر فى فعل الخيرات وابتعد عن ارتكاب الموبقات ، وقام بأداء الواجبات ، وبهذا يطمئن قلبه ويستقيم أمره وينشرح صدره ويرتفع قدره ويعلو شأنه : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (سورة الأنعام ٨٢) وذلك لأن النفس الطاهرة الأبية لاتنخدع ببريق الأهواء ولا يغريها الإغواء ولا تستميلها الوساوس والهواجس ، ولاتعيش لذاتها وملذاتها ولكنها تمشى فى الحياة بخطوات مسددة موفقة ترضى الله ، وبهذا لاتضل ولاتشقى ، ولاتذل ولاتخزى ، ولا تعتز إلا بالله ولا تعبد إلا إياه ، ولا تستعين بأحد سواه ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة النحل ٩٧)

والله يريد من عبده المؤمن آلا يرتكب الذنوب والعيوب ، لأن الوازع الدينى فى صدور المتقين الأبرار يحذر وينذر ويباعد بين المرء وخطيئته فإذاهم بالإثم جاءته المخاوف من كل مكان واعتراه القلق النفسى ، وهنا يتيقظ ضميره ويحضره يقينه ويعصمه دينه ، فيراقب ربه سرا وعلانية لعلمه بقوله تعالى وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ (سورة الحديد ٤)

الضمير هو القاضى الذى لا يحابى

الضمير (وهو الوازع الدينى) هو الآمر الناهى المحاسب المعاتب المراقب ، وهو القاضى الذى لا يحابى ولا يجامل ، ولا يخدعه التضليل ولا المغالطة أو سفسطة التدليل ، ولا سيما إذا استمد قوته من خشية الله ومراقبته وحده فى عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، وهو القاهر فوق عباده ، وهو القائم على كل نفس بما كسبت : والله يقول :

﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ⑧ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ⑨ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ⑩ ﴾

(سورة الرعد ـ الآيات : ٨ ـ ١٠)

وصاحب الضمير الحى الذى لا يموت يعيش مطمئن القلب هادىء البال مستريح النفس فلا هم ولا غم ، ولا جزع ولا فزع .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ㉘ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ㉙ ﴾ .

سورة الرعد : ٢٨ ـ ٢٩

الضمير حاسة خاصة

والضمير حاسة قوية تؤنب من يفعل خطيئة (سراً أو علانية) ولو بتأويل خاطىء أو بشبهة فى التفسير ، فإذا أقبل العبد بقلبه على ربه وتاب من ذنبه فسوف يجد الله تواباً رحيماً إذا حسنت نيته وطهرت سريرته ، وبيقظة الضمير يكون الندم والحسرة على ما فعل من زلة بجهالة ﴿ كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون ﴾

ومن رحمة الله بالعباد أن جعل باب المتاب مفتوحاً ، لأن الله هو غافر الذنب وقابل التوب ، وهو القائل :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُّبْصِرُونَ ﴾

(سورة الأعراف ـ الآية : ٢٠١)

وللجماعة ضمير يستيقظ فيوحى بالتعاون على البر والتقوى وبهذا تسعد الجماعة كما يسعد الفرد بيقظة الضمير ، لأنه ما استقامت حياة ولا نهضت مجتمعات إلا بيقظة الضمائر ورقابة الوازع الدينى كما حدث فى أيام الإسلام الأولى بأن وجد يومئذ من بين سكان التلال والجبال القادة والأبطال ، ومن بين رعاة الإبل والغنم قادة الشعوب والأمم ؛ أولئك الذين رفع الله بالإيمان أقدارهم وشرح بالإسلام صدورهم فملأوا الأرض عدلاً وأمناً وسلاماً ، والله يقول :

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ㉓ ﴾

(سورة الأحزاب ـ آية : ٢٣)

وللجماعة ضمير

وقد يمرض ضمير الجماعة كما يمرض ضمير الأفراد فيعتريها الاستهتار والتسيب واللا مبالاة فيضعف الوازع الدينى والانتماء الوطنى والوفاء العائلى والتكافل الاجتماعى والإحساس بالمسئولية ، ويومئذ يختلط الشر بالخير والفضائل بالرذائل ، ويصور لنا خاتم رسل الله سيدنا محمد بن عبد الله صاحب الخلق العظيم مجتمعاً هذا حاله فيقول ـ ﷺ ـ : « كيف أنتم إذا وقعت فيكم خمس وأعوذ بالله أن تكون فيكم أو تدركوهن ؟!!

• ما ظهرت الفاحشة فى قوم قط يعمل بها فيهم علانية إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم .

• وما منع قوم الزكاة إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا .

• وما بخس قوم المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين ونقص المؤنة وجور السلطان .

• ولا حكم أمراؤهم بغير ما أنزل الله إلا سلط الله عليهم عدوهم فاستنفد بعض ما فى أيديهم .

• وما عطلوا كتاب الله وسنة نبيهم إلا جعل بأسهم بينهم .

لقد استعاذ الرسول بالله ـ إشفاقاً على المسلمين ـ أن يدركوهن أو أن توجد فيهم ، لأنها محن تصيب جسماً غير متماسك بسبب عدم الالتزام بمبادىء دين الله وهى التى كونت أمة وبنت دولة قال لها ربنا :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ... ﴾

فإذا أصيب مجتمع ما (أى مجتمع) بمثل هذه الأمور فعليه أن يغير ما به ليغير الله حاله إلى حال أحسن :

﴿ إنّ اللهَ لا يُغيّرُ ما بِقَومٍ حَتَى يُغيّرُوا ما بأنْفُسِهمْ ... ﴾

مجتمع الضمائر الحية

المجتمع المسلم هو مجتمع الأخلاق الكريمة ، وهو مجتمع الإيمان والأمانة ، هو مجتمع الصدق فى القول والفعل ، وهو المجتمع القوى الذى يحمى أوقاته من الضياع بتأدية الواجبات ، وبالإخلاص لله فى العبادات وحسن المعاملات ، إنه هو المجتمع الذى يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات بإحياء الروح الإسلامية فى أبناء الأمة المحمدية والله يقول :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾

(سورة الفتح ـ آية : ٢٩)

هذه صورة الأمة المحمدية مرسومة على صفحات القرآن الكريم وهى الهيئة التى يجب أن يكون المسلمون عليها دائماً ، ولئن كان الوحى قد انقطع منذ قبض رسول الله ـ ﷺ ـ إلى الرفيق الأعلى لكن بقى معنا أعظم ما جاء به الوحى وهو القرآن الكريم الذى جعله الله باقياً إلى يوم القيامة ليكون شرعة ومنهاجاً . وفى الحديث « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وسنتى » وذلك لأن كتاب الله جاءنا بكل الفضائل ، ونهانا عن كل الرذائل وهذه صورة أخرى للمؤمنين ذوى الضمائر الحية فى كتاب الله الخالد (القرآن) .

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾

(سورة التوبة ـ آية : ٧١)

وهذا الكتاب المبارك الذى تركه فينا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه هو منهاج المسلمين وطريق المصلحين فى كل وقت وحين وأما سنة رسول الله فهى أقواله وأفعاله وتقريراته وصفاته ، وهو ـ ﷺ ـ قدوة المسلمين اجمعين :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾

(سورة الأحزاب ـ آية : ٢١)

لأن الله قد اصطنعه لنفسه وجعله أسوة حسنة لمن يقتدى به فى كل زمان ومكان ، وذلك لأن الإسلام قد انتشر بالقدوة كما انتشر بالدعوة وعلينا أن نعلم علم اليقين أن سيد البشرية وأستاذ الإنسانية هو قدوة الشيب والشباب فى شتى العصور والدهور ، ولو اتبعوا سبيله لسعدوا وسادوا :

﴿ قُلْ إن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾

﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾

ثم أرأيت كيف رد الرسول صلوات الله وسلامه عليه الخصوم إلى ضمائرهم فى القصة المشهورة الآتية :

« كان النبى ـ ﷺ ـ ذات يوم فى حجرة زوجه أم سلمة رضى الله عنها فسمع ببابها نزاعاً ارتفعت فيه

الأصوات ، وعلا بعضها على بعض ، فخرج إليها فإذا هم خصوم يتنازعون حقوقاً بينهم ، وقد جاءوا إليه - ﷺ - ليفصل بينهم فابتدرهم بقوله « إنما أنا بشر » وإنه يأتينى الخصم ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأحسب أنه صادق ، فأقضى له بذلك ، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هى قطعة من النار ، فليأخذها أو ليتركها !!!

وفى الخصومات مجال للأهواء والمغالطات ، ولكن الحياة تحتاج لمن يحق الحق ويبطل الباطل إنصافاً للمظلوم من الظالم ليرتدع الظالم : وبالعدالة تستقر النفوس ليقف كل إنسان عند حده ، ولهذا حذر الرسول من المغالطات التى تحل حراماً أو تحرم حلالاً ، ولكن مراجعة النفس ويقظة الضمير تقى من الإثم الموصل إلى النار ، والإسلام يبين لنا أنه لا مسئولية على القاضى إذا أخطأ ما دام يقضى بظاهر الأدلة ووضوح الأمور عنده وبشهادة الشهود ، ولكن المسئولية كل المسئولية على المحتالين على أكل أموال الناس بالباطل بالتزوير والتدليس ، والله يقول :

وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾

(سورة البقرة آية : ١٨٨)

وهذه موعظة أخرى يتجسد فيها الورع والأمانة فى أكمل صورة وأعظم عبرة وأكرم قوة تنتصر على النفس والهوى والشيطان باتقاء الشبهات وتجنب المحرمات ويقظة الضمير وحياة القلب المؤمن والعقل السليم ، حيث لا طمع ولا جشع ولا أنانية .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله - ﷺ - قال : اشترى رجل من رجل عقاراً له : فوجد الرجل الذى اشترى العقار فى عقاره جرة فيها ذهب فقال الذى اشترى العقار : خذ ذهبك منى إنما اشتريت منك الأرض ولم أبتع منك الذهب ، وقال الذى له الأرض إنما بعتك الأرض وما فيها فتحاكما إلى رجل فقال الذى تحاكما إليه ألكما ولد ؟ فقال أحدهما لى غلام . وقال الآخر لى جارية . قال أنكحوا الغلام الجارية وأنفقوا على أنفسهما منه وتصدقا .

وهكذا كان يتعامل الناس .

سفينة المجتمع كما تصورها السنة

عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبى - ﷺ - قال : مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا . فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً .

(رواه البخارى والترمذى)

والله يقول :

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾

ويقول جل جلاله :

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾

(سورة محمد - آية : ١٧)

الإسلام يريد من المسلمين أن يتعاونوا على البر والتقوى، وألا يتركوا من يريد أن يتعاون على الإثم والعدوان دون أن يرشدوه إلى ما ينبغى ، فلا يسمح لمن يريد أن يخرق سفينة المجتمع أن يخرقها ليغرق أهلها كما بين الحديث الشريف ، لأن للجماعة كياناً حيًّا متماسكاً ، وللرأى العام المسلم سلطان مبين يحمى الحق ويصون السلام ويحفظ الأمن ويفعل الخير والبر ويتمسك بالفضائل ويبتعد عن الرذائل . فإذا لم يتناهى المسلمون عن المنكر استحالت حياتهم إلى فوضى ودمار ، وتلك هى مسئولية الجماعة . ومن الناس من يسمى الإباحية حرية والهمجية مدنية ولن ينجح مجتمع يسمى الدعارة حضارة ، لأن هذا هو منطق شياطين الإنس والجن من دعاة الانحلال والفوضى والحماقة والعبث المؤدى إلى السقوط !

﴿ وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝ ﴾

(سورة العصر)

السلبيـــة

السلبية الضارة ، هذه السلبية أخطر شىء يصيب المجتمعات ويسبب لها النكبات والويلات ، لأن كل بلاء يصيب البشرية إنما يكون بسبب الأنانية والأثرة والانتهازية والفردية والانعزالية والشح الكريه الذى يجعل الإنسان مبتوت الصلة بالناس ولو كانوا أولى قربى فلا يفعل إلا ما تشتهيه نفسه ، فهو يعيش لذاته ، فما نشأ الطمع والجشع والشح ومنع الخير عن الغير إلا بسبب نومة الضمير ويقظة الأثرة فى نفوس السلبيين ، والله يقول :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝ ﴾ (سورة الليل ـ آية : ٥ ـ ١٠)

والجماعة مسئولة عن الفرد « كركاب السفينة » الماخرة فى اليم وفيها فرد يريد أن يخرق فى نصيبه خرقاً ، ولو لم يمنعوه لغرقوا والله يقول :

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾

(سورة الأنفال ـ آية : ٢٥)

هم ليسوا أحراراً

والذين حدثتهم نفوسهم بأنهم أحرار فى نصيبهم فى السفينة ـ لو أرادوا أن يفتحوا فيه ثغرة وسط البحر هم كذابون ، هم أحرار ـ لو كانت السفينة ملكاً خاصاً بهم ، ولو لم تكن تسير فى اليم والله يقول :

﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾

ومن مثل قولهم هذا .. ما يقوله الدهماء والرعاع والسوقة حينما يبررون فجورهم باسم الحرية الشخصية ومثل هذا ما يفعله كل من يريدون استباحة أموال الناس بالباطل مستظلين بظل من يعينهم على هذا العبث (بمال أو جاه) فتزلزل أركان الأمانة والعدالة فى نفوس من يعرفون الباطل ويعينون عليه ، وللرذيلة جنود فى كل مكان ، يزينون سوء العمل ليراه الناس حسناً وهؤلاء هم أعداء الحق والهدى والخير .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝ ﴾

(سورة البقرة)

شهادة الزور وفقدان الضمير

شهادة الزور من الكبائر :

عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ـ ﷺ ـ صلى صلاة الصبح فلما انصرف قام قائماً فقال عدلت شهادة الزور الإشراك بالله : عدلت شهادة الزور الإشراك بالله . عدلت شهادة الزور الإشراك بالله ، ثم قرأ :

﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ‹ حنفاء لله غير مشركين به ﴾

(سورة الحج ـ آية : ٣٠ ـ ٣١)

ورحم الله القائل :

يا شهد الزور أنت شر موزور ، ضللت القضاة وحلفت كاذباً بالله ، ونلت الأبرياء بأذاةٍ ، وحُلت بين القصاص والجناة ، والله يقول : ﴿ ولكم فى القصاص حياة ﴾ (أسواق الذهب) .

شاهد الزور شر موزور لأنه فقد الحياء من الله ومن الناس ففقد الإحساس بالذنب ، فضل الطريق إلى التوبة والعودة إلى مراقبة ربه التواب الرحيم ، فليس أصدق فى النفس من شعور بالندم عند الإحساس بآلام الذنب ، تلكم الآلام التى تحس بها النفس اللوامة وبآلام الوخزات فى الضمير حينما يصحو ويستيقظ من ثباته ، ثم يتذكر قول الله تعالى فى سورة النور :

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ ﴾

سورة التوبة ـ اية : ١٠٤

والله يقول :

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾

(سورة طه ـ آية : ٨٢)

وبالتوبة الصادقة تتم السعادة والراحة ، وأما من تمرد وطغى وأصر على ارتكاب الكبائر ومنها شهادة الزور أو كتمان الشهادة ، أو الوان أخرى من الجرائم فقد تعرض لوعيد الله ، وعذابه وانتقامه ، وهو القائل :

﴿ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾

(سورة البقرة ـ آية : ٢٨٣)

ولا ريب أن الشاردين من ربهم المقيمين على ذنبهم أولئك هم شر البرية .

هذا وليس قول الزور خاصاً بما كان أمام القضاء بل إن الترويج للباطل قول زور ، ووصفك إنساناً بغير ما فيه قول زور ، وتشويه سمعة المخلصين المجدين عند رؤسائهم شهادة زور ، وكل ما يجافى الحقيقة من قول شهادة زور وحسب هؤلاء المتلبسين بالزور قول الرسول لأصحابه يوماً فى اهتمام تام :

ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ـ وكررها ثلاثاً ـ ؟ قالوا بلى يا رسول الله : قال الإشراك بالله وعقـــوق الوالدين ، وكان متكئا فجلس وقال : ألا وقول الزور . ألا وشهادة الزور . فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت !

جريمة الكذب

ولا يشك مسلم فى جريمة الكذب التى حرمها الإسلام وجعلها من النقائص فى الرجال كما جاء فى القرآن الكريم .

﴿ ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾

﴿ إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ﴾

وروى أن النبى ـ ﷺ ـ قال للحسن بن على رضى الله عنهما : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الكذب ريبة والصدق طمأنينة .

وروى صفوان بن سليم قال : قيل للنبى ـ ﷺ ـ أيكون المؤمن جباناً قال نعم : قيل : أفيكون بخيلاً قال نعم . قيل أفيكون كذاباً قال لا !

وقال حكيم : الكذاب لص : اللص يسرق مالك والكذاب يسرق عقلك ، ولا يكذب أحد قط إلا لصغر قدر نفسه عند نفسه .

وقال الجاحظ : الصدق والوفاء توءمان والصبر والحلم توءمان وفيهن صلاح الدين والدنيا والله يقول :

﴿ يا أيها الذين آمنوا أتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾

(سورة التوبة ـ آية : ١١٩)

ولا يكذب من اكتملت رجولته ، وفى غيبة الضمير يجد الكذب المجال فيفقد الكذاب نخوته وشهامته ومرءوته .

الحارس القوى الأمين

لا ريب أنه لا تصلح أمة إلا بصلاح ضمائر أفرادها : لأن للضمير سلطاناً مبينا على الحاكم والمحكوم على حد سواء ، والله رقيب لا سلطان لأحد عليه ، بيده الأمر يعطى ويمنع ويضر وينفع ويعز ويذل ويقبض ويبسط وهو على كل شىء قدير ، الكون فى قبضته والسموات مطويات بيمينه :

﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾

والله يقول : ﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾

(سورة الملك ـ آية : ١٣ و ١٤)

ويقول الترمذى رحمه الله : أجمل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك ، وأجمل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك واجعل طاعتك لمن لا تستغنى عنه ، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه .

إذا ما خلوت الدهـر يومـاً فلا تقـل
خلـوت ولكـن قل على رقـيب
ولا تحسبـن الله بغافـل ساعـة
ولا أن ما تخفيـه عنـه يغـيب

وذلك لأن الله لا تأخذه سنة ولا نوم ولا يغيب عنه شيء فى الأرض ولا فى السماء ولكنه رحيم بعباده يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، والله يقول :

﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾

(سورة الزمر الآيات : ٥٣ ـ ٥٥)

ولو علم المسلم حقاً أنه مسئول مسئولية كاملة عما قدم وأخر لكان أشد خشية لله من عباد الله :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴾ **الانشقاق**

المشاكل وغيبة الضمير

إن كل ما على ظهر هذه الأرض من مشاكل مرده إلى البعد عن رب الناس ملك الناس إله الناس ويترتب على ذلك غيبة الوازع الدينى (الضمير) الذى يحاسب ويراقب ويعاقب ، فاتبع كلٌ هواه وأطاع شيطانه : والله يقول لنبيه داود عليه السلام ـ وقد كان رسولاً نبياً وملكاً تقياً قويا :

﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

(سورة ص ـ آية : ٢٦)

وأما الرحمة فدليل على رقة القلب ونقاء الوجدان وسلامة الصدر ومن لا يرحَم لا يُرحم ، ومن لم يرحم نفسه لن يرحم غيره ، وقد قيل إن محفظاً للقرآن ضرب طفلاً وأحدث به كسراً أو جرحاً فقلت لو رأيته لقلت له : إن القهر يحزن النفس ويصد عن الرغبة فى العلم وعن حفظ القرآن ويبغّض كل مدرسة ويدعو إلى الكسل وخيبة الأمل ، والقهر يحمل على الخداع والكذب وسوء التصرف والخبث ويربى الطفل على الجبن والحزن !! ويبعده عن حب العزة والحرية وبناء الشخصية وينافى قواعد التربية السليمة الصحيحة ، لأن التربية تقوية وصناعة وتوجيه وقدوة حسنة وحذق وذكاء ، وعطف فى غير ضعف وقوة فى غير عنف .

أمجـــاد الأسطول الإسلامى الأول

فى معركة ذات الصوارى

صفر ٣٤ هـ - أغسطس ٦٥٤ م

لواء ا . ح محمد جمال الدين محفوظ

● بيزنطة والبحر الأبيض المتوسط

كان للدولة البيزنطية (الروم) فى العصور الوسطى السيطرة والسيادة على البحر الأبيض المتوسط بلا منافس .

فعلى شواطئه الشمالية امتدت أملاكها إلى شبه جزيرة البلقان والجزر الملحقة بها وآسيا الصغرى ، ومن الشرق كان يتبعها سوريا وفلسطين ، ومن الجنوب مصر وشمال افريقيا ، كذلك امتد سلطانها السياسى إلى وسط وجنوب إيطاليا وبعض بلاد محددة ولفترة قصيرة على الساحل الجنوبى الشرقى لأسبانيا القوطية .

وكان لبيزنطة أسطول دائم ومهيب وعدة قواعد بحرية ودور للصناعة (صناعة السفن) فى القسطنطينية وعكا والاسكندرية وقرطاجة وسرقوسة بصقلية ورافنا بإيطاليا وغيرها ، فقد بلغت عنايتها بالسلاح البحرى أقصاها منذ عهد جستنيان (يوستانيوس) فى منتصف القرن السادس الميلادى وعهد هرقل قبل منتصف القرن السابع ومن جاء بعده من الأباطرة .

وإلى جانب الأسطول البحرى ، كان لبيزنطة عدد من السفن التجارية تستخدم فى عمليات نقل الجند والإمدادات ، وكانت تتحكم فى منافذ البحر الأبيض : القسطنطينية ومصر وسبته ، مما استحال معه دخول أية تجارة خارجية إلى هذا البحر دون موافقتها ، وشملت تجارتها العالم كله آنذاك .

● الأسطول الإسلامى

وجد المسلمون - خلال فتوح الشام - أن الأسطول البيزنطى مصدر تهديد خطير ومباشر لأمنهم وأمن المناطق المفتوحة واستقرار الإسلام فيها ، فأدركوا أن بناء أسطول إسلامى ضرورة حيوية من الناحية الاستراتيجية ، فكانت نواة هذا الأسطول من السفن التى وجدوها فى موانىء الشام ومصر ، ثم انطلقوا إلى صناعة السفن فى دور الصناعة ، وهكذا دخل السلاح البحرى فى الاستراتيجية العسكرية الإسلامية لأول مرة فى تاريخ المسلمين[1] وبدأ هذا السلاح الناشىء فى سرعة مذهلة فى ممارسة العمليات البحرية .

وكان من الطبيعى ألا تقف بيزنطة مكتوفة الأيدى أمام تلك القوة البحرية التى قامت فى البحر الأبيض المتوسط وأصبح تحت يدها أغلى ما كانت تملك من دور للصناعة وقواعد بحرية فى عكا والاسكندرية ، الأمر الذى يشكل تهديدا خطيرا لسيادتها البحرية التى امتدت زمنا بلا منافس .

وقد اتخذت العمليات البحرية للأسطول الإسلامى شكلين :

الأول : عمليات إغارة على جزر البحر الأبيض ذات الأهمية الاستراتيجية فى تأمين الشام ومصر مثل قبرص ورودس وغيرهما .

الثانى : عمليات قتال ضد أسطول بيزنطة مثل معركة ذات الصوارى موضوع هذا البحث .

● أسباب المعركة

يقول أرشيبالد . ر. لويس - بعد أن تحدث عن غزو الأسطول الإسلامى لقبرص[2] : « ويظهر أن الغارات التى انتهت باحتلال الجزيرة ، أثارت حماسة الدولة البيزنطية نحو البحر ، ودفعتها للقيام بعمليات بحرية جديدة ، وكانت هده العمليات قد توقفت منذ فشلها فى معركة الاسكندرية[3] عام ٦٤٥م (٢٥هـ) وفى عام ٦٥٥ أعد قنسطانز الثانى خليفة هرقل أسطولاً كبيرًا تراوح عدده من (٧٠٠) إلى (١٠٠٠) سفينة شراعية ، والتقى هذا الأسطول فى السنة ذاتها بأسطول صغير مشترك بين العرب والمصريين مكون من مئتى سفينة اقلعت من شواطىء سوريا قرب موضع يقال له فونيكس Phoenicus بآسيا الصغرى ، وتعرف هذه الواقعة بواقعة ذات الصوارى »[4] .

ويقول إرنست وتريفور ديبوى : « لقد بدأ العرب بشدة فى تحدى سيادة بيزنطة البحرية وهزموا أساطيل الامبراطور قنسطانز الثانى واستولوا على بعض الجزر فى شرق البحر الأبيض المتوسط » .

ويقولون فى موضع آخر : « وفى البحر استولى (المسلمون) على رودس ٦٥٤م وهزموا (أسطولا) بيزنطيا يقوده بنفسه قنسطانز فى معركة بحرية عظمى خارج ساحل ليكيا ٦٥٥م »[5] .

---

(١) انظر مقال « إنشاء الأسطول الإسلامى لأول مرة فى التاريخ » فى العدد السابق للمجلة .

(٢) بدأت عمليات البحرية الإسلامية النامية بغزو جزيرة قبرص عام ٢٨ هـ .

(٣) فى عهد الامبراطور قسطنطين الثانى (أوقنسطانز) جهز أسطولا من ٣٠٠ سفينة لاسترداد الاسكندرية سنة ٢٥ هـ من أيدى المسلمين الذين فتحوها عام ٢١ هـ لكنه فشل فى استردادها .

(٤) أرشيبالد . ر . لويس : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ترجمة أحمد محمد عيسى ص ٩١ .

(٥) Ernet Dully and Trevor N. Duouy :
The Encyclopedia OF Military History
Fronl 3500 B.C. to rhe Presellt. P222 - 223

ويقول د. عبد المنعم ماجد : « ويظهر أن النشاط المتزايد من قبل العرب ، أخاف بيزنطة بحيث أن الامبراطور قنسطانز الثانى (٦٤٢ - ٦٦٨) جمع عددا من المراكب لم يجمعها من قبل تزيد على ألف مركب ، وسار بها بقصد ملاقاة أسطول العرب ، أو بقصد احتلال الاسكندرية العظمى أكبر موانىء البحر الأبيض فخرجت إليه أساطيل العرب فى أعداد كبيرة بقيادة عامل مصر عبد الله بن سعد بن أبى سرح »(٦) .

انتقام البيزنطيين لما أصابهم على أيدى المسلمين فى افريقيا واسترداد مصر

وذلك ما يراه الطبرى حيث يقول : « وخرج عامئذ قسطنطين بن هرقل لما أصاب المسلمون منهم بافريقية »(٧) ، ويتفق معه فى ذلك ابن الأثير فيقول : « وأما سبب هذه الغزوة فإن المسلمين لما أصابوا من أهل افريقية وقتلوهم وسَبَوْهم (أسروهم) خرج قسطنطين بن هرقل فى جمع له لم تجمع الروم مثله مُذ كان الإسلام »(٨) .

وقال عبد الرحمن الرافعى وسعيد عاشور : « وفى سنة ٣٤هـ (٦٥٤م) خرج الامبراطور قنسطانز الثانى على رأس حملة بحرية كبرى فى محاولة للاستيلاء على الاسكندرية واسترداد مصر من العرب »(٩) .

● إجهـــاض تدابير المســـلمين لغـــزو القسطنطينية عاصمة بيزنطة

وذلك ما يراه المؤرخ البيزنطـــى ثيوفـــــانس Theophanes حيث يقول :

« فى هذه السنة جهز معاوية الجيش وزوده بأسطول ضخم قاصدا محاصرة القسطنطينية وأمر بتجميع الأسطول فى طرابلس فينيقيا ، فلما علم بذلك أخوان مسيحيان(١٠) من أهل المدينة ، هاجما السجن وحطما الأبواب وأطلقا سبيل جميع المحجوزين ، ثم هاجموا رئيس المدينة وقاتلوه وجميع رجاله وهربوا إلى تخوم الروم ، غير أن معاوية لم يغير رأيه فى حصار القسطنطينية ، بل جاء بجيشيه (يقصد أسطول الشام ومصر) إلى (قيصرية) و (كبا دوكيا) وعين أبو لاباروس Abula Barus (يقصد عبد الله بن سعد بن أبى سرح) قائدا للأسطول ، فقدم هذا فينيقيا إلى مكان فى ليكيا أو (ليسيا) Lycia(١١) حيث كان الامبراطور قنسطانز مقيما بعسكره وأسطوله ودخل معه فى معركة بحرية »(١٢) .

● حرمان المسلمين من الحصول على الأخشاب اللازمة لصناعة السفن

وهذا السبب ذكره أرشيبالد لويس كسبب محتمل لمعركة ذات الصوارى حيث قال : « ومما يلفت النظر أن المكان الذى دارت فيه المعركة ، وهو ساحل الأناضول يزدحم بغابات السرو الكثيفة ، وهو الشجر المستخدم فى صوارى السفن ، ولعل البيزنطيين قرروا القيام بتلك المعركة ليحولوا بين الخشب اللازم لصناعة السفن هناك ، وبين وقوعه فى قبضة العرب ، وإذا صح هذا الزعم فإنه يقوم دليلا على أهمية الخشب فى الصراع البحرى بين العرب وبيزنطة »(١٣) .

---

(٦) عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

(٧) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٤ ص ٢٩٠ .

(٨) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ٣ ص ٥٨ .

(٩) عبد الرحمن الرافعى وسعيد عبد الفتاح عاشور : مصر فى العصور الوسطى من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى ص ٧١ .

(١٠) يعتقد أنهما من عملاء البيزنطيين وأنهما أبلغا الامبراطور بنوايا معاوية .

(١١) ليكيا Lycia موضع على الساحل بآسيا الصغرى (انظر الخريطة) .

(١٢) ثيوفانس : كرونوجرافيا Chronographua عمود ٧٠٣ لاتينى فى حوادث سنة ٦٤٦م .

(١٣) أرشيبالد . ر . لويس : ص ٩٢ .

● أحداث المعركة

والواقع أن الأسباب التى ذكرناها كما وردت فى المصادر والمراجع التاريخية أسباب مقبولة لأنها جميعا تعبر عن « الدوافـــع المنطقيـــة » و « الضرورات الاستراتيجية » من وجهة نظر البيزنطيين الذين رأوا أغلى ممتلكاتهم تسقط فى أيدى المسلمين فى الشام ومصر وافريقية ، وأدركوا خطر الأسطول الإسلامى الناشىء الذى يهدد سيادتهم البحرية فى البحر المتوسط .

وقد التقى الأسطول الإسلامى بقيادة عبد الله بن سعد بن أبى سرح والى مصر وكان يتألف من مائتى سفينة بالأسطول البيزنطى بقيادة الامبراطور قسطنطين الثانى خارج ساحل (ليكيا) فى آسيا الصغرى (انظر الخريطة) وكان يتألف من سبعمائة إلى ألف سفينة ، وجرت أحداث المعركة كما يلى باختصار :

أنزلت نصف قوة المسلمين إلى البر بقيادة (بسرين أبى أرطأة) للقيام بمهام الاستطلاع وقتال البيزنطيين المرابطين على الساحل ، وذلك تطبيقا لواجبات أمير البحر عندما تكون المعركة البحرية قريبا من البر والسواحل والجزائر ، فعليه « ألا يهجم على المراسى لئلا تكون مراكب العدو بها كامنة ، ولا يتقدم إلى البر إلا بعد المعرفة والاحتراز من الأحجار والشعاب والأحارش التى تتكسر عليها المراكب ، وان كان القتال قرب البر والسواحل والجزائر فيجعل عيونه وطلائعه على الجبال فيتأهب لذلك »(١٤) .

بدأ القتال بين الأسطولين ـ عندما أصبحت المسافة بينهما فى مرمى السهام ـ بالتراشق بالسهام .

وبعد أن نفدت السهام جرى التراشق بالحجارة ومن أجل ذلك كانوا « يجعلون فى أعلى الصوارى صناديق مفتوحة من أعلاها يسمونها التوابيت يصعد إليها الرجال قبل استقبال العدو فيقيمون فيها للكشف ومعهم حجارة صغيرة فى مخلاة معلقة بجانب الصندوق يرمون العدو بالأحجار وهم مستورون بالصناديق(١٥) (انظر الرسم) .

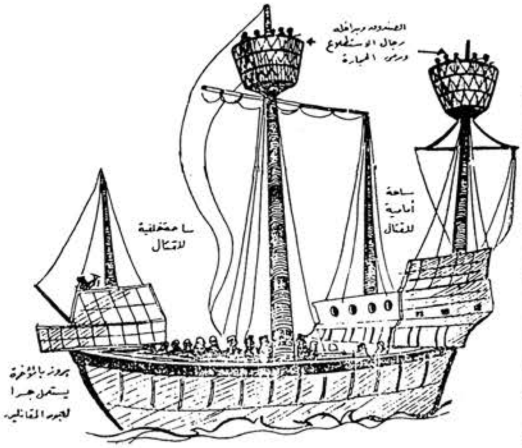

القراقه أو القرقور
من سفن
الأسطول الإسلامى

(١٤) عبد الفتاح عبادة : سفن الأسطول الإسلامى ص ١٥ .

(١٥) نفسه : ص ٨ .

وبعد أن نفدت الحجارة ربط المسلمون سفنهم بسفن البيزنطيين وبدأ القتال المتلاحم بالسيوف والخناجر فوق سفن الطرفين .

انتهت المعركة بعد قتال شديد بانتصار المسلمين بإذن الله .

● رواية ابن عبد الحكم

هذه المراحل التى ذكرناها يرويها ابن عبد الحكم كما يروى كيف نجا عبد الله بن سعد قائد الأسطول من الأسر الذى كاد يقع فيه فيقول : « إن عبد الله بن سعد لما نزل ذا الصوارى ، أنزل نصف الناس مع بسر بن أبى أرطأة سرية فى البر ، فلما مضوا أتى آت إلى عبد الله بن سعد فقال : "ما كنت فاعلا حين ينزل بك هرقل (يقصد قسطنطين) فى ألف مركب فافعله الساعة ، (أى أنه يخبره بحشد قسطنطين لأسطوله لملاقاته) وإنما مراكب المسلمين يومئذ مائتا مركب ونيف ، فقام عبد الله بن سعد بين ظهرانى الناس فقال : قد بلغنى أن هرقل قد أقبل إليكم فى ألف مركب فأشيروا علىّ ، فما كلمة رجل من المسلمين ، فجلس قليلا لترجع إليهم أفئدتهم ، ثم قام الثانية (أى مرة ثانية) فكلمهم ، فما كلمة أحد فجلس ، ثم قام الثالثة فقال : إنه لم يبق شىء فأشيروا على ، فقام رجل من أهل المدينة كان متطوعا مع عبد الله بن سعد فقال : أيها الأمير ، إن الله جل ثناؤه يقول : (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين) فقال عبد الله : اركبوا باسم الله ، فركبوا وإنما فى كل مركب نصف شحنته ، قد خرج النصف إلى البر مع بسر ، فلقوهم (أى أسطول البيزنطيين) فاقتتلوا بالنبل والنشاب ، وتأخر هرقل لئلا تصيبه الهزيمة ، وجعلت القوارب تختلف إليه بالأخبار ، فقال : ما فعلوا ؟ ، قالوا : قد اقتتلوا بالنبل والنشاب ، فقال : غلبت الروم (بفتح الغين) ثم أتوه فقال : ما فعلوا ؟ قالوا : قد نفد النبل والنشاب ، فهم يرتمون بالحجارة ، قال : غلبت الروم (بفتح الغين أيضا) ، ثم أتوه فقال : ما فعلوا ؟ قالوا : نفدت الحجارة وربطوا المراكب بعضها ببعض يقتتلون بالسيوف . فقال : غُلبت الروم (بضم الغين أى هزمت) .. وكانت السفن إذ ذاك تقرن بالسلاسل عند القتال ، فقرن مركب عبد الله يومئذ وهو الأمير بمركب من مراكب العدو ، فكاد مركب العدو يجتر مركب عبد الله إليهم (أى يجذبه نحوهم) فقام علقمة بن يزيد الغطيفى ، وكان مع عبد الله بن سعد فى المركب فضرب السلسلة بسيفه فقطعها »(١٦) .

● رواية ابن الأثير

قال : « فخرجوا (يعنى البيزنطيين) فى خمسمائة مركب أو ستمائة ، وخرج المسلمون ، وعلى أهل الشام معاوية بن أبى سفيان ، وعلى البحر عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وكانت الريح على المسلمين لما شاهدوا الروم ، فأرسى المسلمون والروم ، وسكنت الريح ، فقال المسلمون : الأمان بيننا وبينكم ، فباتوا ليلتهم والمسلمون يقرأون القرآن ويصلون ويدعون ، والروم يضربون بالنواقيس ، وقربوا من الغد سفنهم ، وقرب المسلمون سفنهم ، فربطوا بعضها مع بعض ، واقتتلوا بالسيوف والخناجر ، وقتل من المسلمين بشر كثير ، وقتل من الروم ما لايحصى ، وصبروا يومئذ صبرا لم يصبروا فى موطن قط مثله ، ثم انزل الله نصْره على المسلمين فانهزم قسطنطين جريحا ولم ينج من الروم إلا الشريد ، وأقام عبد الله بن سعد بذات الصوارى بعد الهزيمة أياما ورجع »(١٧) .

● رواية المؤرخ البيزنطى ثيوفانس

وهى توضح هزيمة البيزنطيين وفداحة خسائرهم وكيف فر الامبراطور ناجيا بنفسه : « ضم صفوف

(١٦) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ص ١٢٩ ـ ١٣٠

(١٧) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ٣ ص ٥٨ .

الروم (أى قسطنطين) إلى المعركة وأخذ يتحرش بالعدو فنشبت المعركة بين الطرفين وهزم الروم واصطبغ البحر بدمائهم ، ففير الامبراطور ملابسه مع أحد الجنود ، وقفز أحد الجنود على مركبه واختطفه وذهب به هنا وهناك ونجا بمعجزة »[١٨] .

● لماذا سميت ذات الصوارى ؟

بعض المؤرخين يرجع سبب هذه التسمية إلى كثرة عدد صوارى السفن التى اشتركت فيها من الجانبين .

وبعضهم الآخر يذكر أن هذا الاسم نسبة إلى المكان الذى دارت قريبا منه وهو ما نميل إليه وما يستنتج بوضوح مما يلى :

قول الطبرى : « فركب فى مركب وحده ما معه إلا القبط حتى بلغوا ذات الصوارى فلقوا جموع الروم فى خمسمائة مركب أو ستمائة » .

وقوله أيضا : « وأقام عبد الله بذات الصوارى أياما بعد هزيمة القوم » .

قول ابن الأثير : « وأقام عبد الله بذات الصوارى بعد الهزيمة أياما ورجع » .

يضاف إلى ذلك أن المكان الذى دارت المعركة قريبا منه اشتهر بكثرة الأشجار التى تستخدم أخشابها فى صناعة صوارى السفن وهو ما ورد فى أقوال أرشيبالد لويس التى ذكرناها .

● النتائج الاستراتيجية لذات الصوارى

● أولا : تأكيد النظرية الإسلامية فى النصر على العدو المتفوق

لقد كانت المقارنة المجردة بين قوة الأسطول الإسلامى وقوة الأسطول البيزنطى تكشف التفوق الساحق للبيزنطيين ، وتدفع أى خبير فى فنون الحرب إلى أن يتوقع أن ينهزم المسلمون فى تلك المعركة « غير المتكافئة » بالنظر إلى العوامل الآتية :

الأسطول الإسلامى ، أسطول ناشىء لا يزيد عمره على بضع سنوات ، ورجاله حديثو عهد بركوب البحر فضلا عن القتال فيه ولا يتعدى عدد سفنه المائتين إلا قليلا .

والأسطول البيزنطى ، أسطول عريق مهيب له السيادة على البحر ، وله تاريخ طويل فى العمليات البحرية ، ورجاله على درجة عالية من الكفاءة فيها ، وعدد سفنه يزيد ثلاثة أضعاف عدد سفن المسلمين .

المسلمون حين قبلوا التحدى وقاتلوا أسطول بيزنطة المتفوق وانتصروا عليه ، يقدمون للمسلمين ـ فى كل عصر ـ التأكيد على أن النظرية الإسلامية فى مواجهة العدو المتفوق وقهره التى قرر عناصرها وطبقها الرسول القائد ﷺ فى معاركه مع أعدائه المتفوقين ، كفيلة بترجيح كفتهم على أعدائهم المتفوقين فى موازين القوى ، وقد برزت أركان هذه النظرية فى ذات الصوارى كما يلى :

● قوة العقيدة والإيمان فى ميزان المقاتل

فقد ذكر المسلمون قول الله تعالى : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » (البقرة ٢٤٩) ورأينا كيف امتلأت نفوسهم بأقوى الدوافع المعنوية وكيف « صبروا يومئذ صبرا لم يصبروا فى موطن قط مثله » ، وكيف قاتلوا « أشد القتال » كما ورد فى المصادر التاريخية التى ذكرناها حتى أنزل الله عليهم نصره . فهذا الدرس يؤكد أن قوة العقيدة والإيمان من أهم العوامل التى ترجح كفة المسلمين فى موازين القوى مهما كان ثقل أعدائهم فى تلك الموازين .

● الإدارة السليمة والاستغلال الأمثل للقدرات المتاحة

لقد أدرك المسلمون أنهم أمام عدو متفوق فكانت إدارتهم للمعركة على النحو الذى « يجرده من هذا التفوق » ، وليس من شك فى أن جوهر تفوق

(١٨) ثيوفانس : كرونوجرافيا عمود ٧٠٦ لاتينى .

البيزنطيين هو كفاءتهم العالية فى « فن القتال البحرى » وقدرتهم الفائقة فى « المناورة البحرية »[١٩] .

ويكفى للدلالة على ذلك أن المسلـــمين حين عرضوا ـ قبل المعركة ـ على البيزنطيين أن يختاروا بين القتال على البر أو القتال فى البحر ، فإنهم اختاروا البحر « بإجماع الأصوات » وهذا ما رواه الطبرى على لسان شاهد عيان هو مالك بن أوس بن الحَدَثان قال : « كنت معهم ، فالتقينا فى البحر فنظرنا إلى مراكب ما رأينا مثلها قط .. ثم قلنا (للبيزنطيين) إن أحببتم فالساحل حتى يموت الأعجل منا ومنكم ، وإن شئتم فالبحر ، قال : فنخروا نخرة واحدة[٢٠] وقالوا : الماء ، فدنونا منهم فربطنا السفن بعضها إلى بعض حتى كنا يضرب بعضنا بعضا على سفننا وسفنهم »[٢١] .

فالبيزنطيون اختاروا « الميدان » الذى يجيدون القتال فيه وهو البحر ، والذى يعلمون أنه الميدان الذى يستطيعون فيه الانتصار على المسلمين لضعف خبرتهم فيه .

لكن المسلمين ـ رغم ذلك ـ كانوا يعلمون أن كفاءتهم فى القتال على البر تفوق البيزنطيين ، فأداروا المعركة « البحرية » على النحو الذى حولها إلى « معركة برية » وذلك بربط سفنهم إلى سفن البيزنطيين ومباشرة القتال المتلاحم بالأسلحة البيضاء ، واستغلوا مهارتهم فى هذا الفن إلى الحد الذى جعل الامبراطور وهو يتابع المعركة يوقن بانتصار المسلمين حين علم بذلك ـ وهو ما ورد فى رواية ابن عبد الحكم السابق ذكرها ـ فقال : « غلبت الروم » (بضم الغين) .

ولقد شهد للمسلـــمين بذلك بعض المؤرخين الأجانب ، فيقول أرشيبالد لويس :

« ويبدو أن انتصارهم جاء نتيجة « لخطط غير عادية » إذ ربطوا سفنهم بعضها إلى بعض بسلاسل ثقيلة ، فاستحال على أعدائهم اختراق صفوفهم واستخدموا فى تلك المعركة خطاطيف طويلة يصيبون بها صوارى وشرع سفن الأعداء الأمر الذى انتهى بكارثة بالنسبة للبيزنطيين »[٢٢] .

● التعاون والتكامل

لقد كان الانتصار الإسلامى فى مجال البحر ثمرة للتعاون والتكامل وحشد الطاقات بين الشام ومصر ابتداء من إنشاء الأسطول ، وصناعة السفن ، إلى قيام أسطول الشام مع أسطول مصر « بالعمليات البحرية المشتركة » فى هيئة أسطول مشترك تحت قيادة أمير بحر واحد ، وقد كانت أغلب العمليات البحرية تتم على هذا النحو .

● ثانيا : انتهاء عصر السيادة البيزنطية فى البحر المتوسط

وإذا كانت « موقعة أكتيوم » سنة ٣١ قبل الميلاد جعلت من البحر المتوسط « بحيرة رومانية » وأصبحت من المعارك الفاصلة فى التاريخ ، فإن معركة ذات الصوارى البحرية قد دخلت التاريخ من أوسع أبوابه ، حين سجلت انتصار الأسطول الإسلامى الناشىء على أسطول بيزنطة ذى التاريخ البحرى الطويل ، وليس ذلك فحسب ، بل كان من أهم نتائجها الاستراتيجية انتهاء عصر السيادة البيزنطية فى البحر الأبيض المتوسط ، وبروز المسلمين كقوة مؤثرة ذات ثقل عسكرى وسياسى واقتصادى فى عالم هذا البحر .

---

(١٩) يطلق لفظ « المناورة » على عملية تحريك القوات والوسائل من موضع إلى آخر وفى مختلف الاتجاهات بقصد تهيئة ظروف أفضل لصالح المعركة والمناورة الناجحة بالقوات والوسائل تدل على براعة القائد فى إدارة المعركة .

(٢٠) نخر نخرا ونخيرا : صوَّت بخياشيمه ، والنخير : الصوت بالأنف ، والمَنْخر : ثقب الأنف .

(٢١) الطبرى : جـ ٤ ص ٢٩٠ ـ ٢٩١ .

(٢٢) أرشيبالد لويس : ص ٩٢ .

إمبراطورية المغول

وصراع الإسلام مع الوثنية والصليبية

بقلم الدكتور/ أحمد محمد الدسوقى المنوفى

فى عهد جنكيزخان

علاقة جنكيزخان بدين قومه:

يذهب النويرى إلى أنه كان لا يدين لديانة ولا يرجع إلى ملة ، وذكر ما قيل من أنه تزهد مدة طويلة وانقطع بالجبال ، وكان سبب زهده أنه سأل بعض اليهود فقال له : (بم أعطى موسى وعيسى ومحمد هذه المنزلة العظيمة ، وشاع لهم الذكر ؟) فقال اليهودى : (لأنهم أحبوا الله وانقطعوا له فأعطاهم) فقال جنكيزخان : (وأنا إذا أحببت الله وانقطعت إليه يعطينى) قال اليهودى : (نعم وأزيدك أن فى كتبنا أن لكم دولة ستظهر) فترك جنكيزخان ما كان فيه من عمل الحديد أو غيره وتزهد ، وفارق قومه وعشيرته ، والتحق بالجبال ، وكان يأكل من المباحات ، فشاع ذكره ، فكانت الطائفة من قبيلته تأتيه للزيارة فلا يكلمهم ، ويشير إليهم أن يصفقوا بأكفهم ، ويقولوا : (يا الله يا الله يخشى در) فيفعلون ذلك ، ويوقعون له ، وهو يرفض ، فكان هذا دأبه وطريقته مع من يقصده للزيارة ، وهو مع ذلك لا يدين لديانة ، ولا يرجع إلى ملة ، بل مجرد محبة الله ــ بزعمه ، فمكث كذلك ما شاء الله أن يمكث ، فهذه كانت بدايته[1]

* الكاتب ــ مدرس التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ــ كلية اللغة العربية ــ جامعة الازهر .

(١) النويرى نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٣٠٢ .

وما ذكره النويرى غريب وبعيد ، فروايته تجعل من جنكيزخان رجلا من رجال الرهبانية أو التصوف وهذا يناقض ما عرف من تاريخه من سفك للدماء ، واعتداء على الحرمات ، ثم من أين له بالوقت الذى ينقطع فيه للعبادة ، وتاريخ شبابه يشير إلى أنه كان مشغولا بالحروب والقضاء على الفتن .

أما ابن كثير فيرى أنه كان مشركا بالله ، وكان يعبد معه غيره ، إلا أنه كان يأتى بمكارم يفعلها لسجيته ، وما أداه إليه عقله [٢] .

أما المصادر الأخرى غير الإسلامية فتشير إلى أنه كان على دين قومه الشامانية ، وتومىء المصادر الصينية المعاصرة لجنكيزخان ، أنه مارس دور الشامان ــ رجل الدين ــ بين قومه [٣] .

ومما لا شك فيه أن التمسك بدين قومه ، أو التظاهر بذلك ــ إن لم يكنْ يعتقده ــ كان ضروريا لقيادة هذه الجموع المغولية ، وتحقيق مشروعاته الطموحة ، وكان لابد من استغلال الدين لتحقيق هذه الآمال ، وفى هذا الصدد ينقل ابن كثير عن الجوينى : (أن بعض عبادهم كان يصعد الجبال فى البرد الشديد للعبادة ، فسمع قائلا يقول له : « إنا قد ملكنا جنكيزخان وذريته وجه الأرض .. » قال الجوينى : (فمشايخ المغول يصدقون بهذا ، ويأخذونه مسلما) [٤] .

وفى المؤتمر الذى اختير فيه ملكا على المغول ، كان فى جملة الحضور شيخ يعتقدون فيه الكرامة والقداسة فتقدم وليس عليه كساء وقال : (يا إخوتى قد رأيت فى منامى كأن رب السماء على عرشه النارى تحدق به الأرواح ، وقد أخذ فى محاكمة أهل الأرض ، فحكم أن يكون العالم لمولانا تموجين ، وأن يسمى جنكيزخان أى الملك العام) ثم التفت إلى تموجين وقال : (لبيك أيها الملك فإنك تدعى منذ الآن جنكيزخان بأمر الإله) [٥] .

لذلك فقد كان الخان العظيم الجديد يعتقد جازما أنه يحمل تفويضا إلهيا ، وكان يقول فى كلماته الشهيرة التى رددها المغول فى كل مكان : (هناك شمس واحدة فى السماء ، وسيد واحد على الأرض) [٦] .

ويعنى بالسيد نفسه ، وهذا الاحساس بالتفويض الإلهى كان مهما لتحقيق ما تطلع إليه جنكيزخان من انشاء مملكة كبيرة ، وامبراطورية عالمية .

ولما كان دينهم ــ الشامانية ــ ليس له كتاب ينير لهم طريق الحياة ، ويسيرون على هداه ، فقد أراد جنكيزخان أن يجمع أمة المغول على دستور يتبعونه فى حياتهم ، وفى معاملاتهم وأحكامهم هذا الدستور هو « الياسا » [٧] وهى مجموعة من التقاليد والأعراف السائدة عند المغول أكسبها جنكيزخان صيغة القانون ، وكان احترامها مفروضا على سكان الامبراطورية وعلى الخانان أنفسهم [٨] ، وهى عندهم كالقرآن عند المسلمين لا يستجيزون أن يخلو بشىء منها [٩] والياسا مدونة فى طوامير محفوظة بخزائن كبار أمراء البيت الحاكم ، ويخرجونها عند حدوث أمر هام فى الدولة كاعتلاء خان جديد للعرش أو إرسال جيش أو عند اجتماع الأمراء للتشاور فى شئون الدولة ، وتصدر الأحكام وفقا لما فيها [١٠] .

---

(٢) البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١١٩ .

(٣) من هذه الكتب « التاريخ السرى للمغول » أنظر برتولد شبولر مرجع سبق ص ٢٦ حاشية .

(٤) ابن كثير البداية والنهاية جـ ٢٧ ص ١١٨ . والجوينى هو علاء الدين عطا ملك بن محمد جوينى المتوفى سنة ٦٨١ هـ = ١٢٨٣ م صاحب كتاب « جهانكشاى » بالفارسية ، وقد اعتمد على روايات سمعها من المغول أنفسهم .

(٥) جورجى زيدان مرجع سبق جـ ٤ ص ٢٤١ .

(٦) برتولد شبولر مرجع سبق ص ٢٦ .

(٧) الياسا أو الاسياسا أو بالهاء فى آخر الكلمتين مكان الألف الأخيرة أو البسق وصيغته الأكمل اليساق (بالمغولية جساق) وأصل الكلمة سى ياسا اللفظ الأول فارسى والثانى تركى ومعناه التراتيب الثلاث أو الثلاثون لأن سى بالفارسية معناها ثلاثون ، واستخدم المغول الكلمة سى ياسا فلما ثقلت عليهم قالوا سياسه . انظر النويرى نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٣٣٧ حاشية ١ وفاسيلى برتولد مرجع سبق ص ١١٤ حاشية ٢٦٤ .

(٨) فاسيلى برتولد المرجع السابق ص ١١٣ .

(٩) الخضرى مرجع سبق ص ٤٦٨ .

(١٠) فاسيلى برتولد مرجع سبق ص ١١٤ .

ويذكر ابن كثير أن الياسا مكتوبة فى مجلدين بخط غليظ ، ويحمل على بعير عندهم ، وأورد نتفا مما جاء فيها نقله عن المؤرخ جوينى ، والياسا عند ابن كثير من وضع جنكيزخان ـ والكثيرون يتوهمون ذلك ـ وجاء وضعها بطريقة غريبة لا تخلو من الطرافة ، فيذكر ابن كثير عن بعضهم أنه (كان يصعد جبلا ثم ينزل ثم يصعد ثم ينزل مرارا حتى يعيى ويقع مغشيا عليه ، ويأمر من عنده أن يكتب ما يلقى على لسانه) ويقول تعليقا على ذلك فالظاهر أن الشيطان كان ينطق على لسانه بما فيها[11] .

هذا وكان من هذه الياسا نسخة بخزانة المدرسة المستنصرية ببغداد ، روى المقريزى عن أحمد بن البرهان أنه رآها ، وقد نقل عنه المقريزى ، ومما جاء فيها : (من زنى يقتل لا فرق بين محصن وغيره ، ومن تعمد الكذب أو سحر أو تجسس على أحد أو دخل بين اثنين وهما يتخاصمان ، وأعان أحدهما على الآخر قتل ، ومن بال فى الماء أو على الرماد قتل ، ومن أعطى بضاعة فخسر فيها فإنه يقتل بعد الثالثة ، ومن أطعم أسير قوم أو كساه بغير إذنهم قتل ، ومن وجد عبدا هاربا أو أسيرا قد هرب ولم يرده على من كان فى يده قتل ..)[12] .

وبجانب الياسا هناك « بيليك »[13] جنكيزخان ، ويتضمن أقواله وتعليماته ، وكانت موضوعا للمدارسة والمذاكرة ، ومما يدل على أهميتها ما يروى أنه قد حدث مرة بالصين أن كان العرش من نصيب أحد الأمراء ، لأنه كشف عن معرفة عميقة بهذا البيليك[14] .

موقف جنكيزخان من الأديان :

دعت الياسا إلى : (تعظيم جميع الملل من غير تعصب لملة على أخرى)[15] وأسقطت الكلفة والمؤونة عن الفقراء والقراء وأصحاب الزهد والعبادة والمؤذنين .

وعندما تقدم المغول لإسقاط دولة الخطا المجاورة وحاكمها « كشلوخان » رفعوا لواء الحرية الدينية ، فقد كان « كشلوخان » بوذيا ، وكانت زوجته مسيحية ، وعمل « كشلوخان » على إثارة مشاعر المسلمين الذين كانوا يشكلون نسبة كبيرة فى دولته ، وحاولت زوجته المسيحية نشر دينها على حساب الأهالى المسلمين[16] ، ونجح المغول فى إسقاط هذه الدولة التى كانت تشكل فاصلا بينهم وبين العالم الإسلامى .

ولكن واقع التاريخ يثبت أن تصرفات المغول كانت أبعد ما تكون عما جاء فى الياسا من تعظيم جميع الملل ، وكان شعار حرية العقيدة الذى رفعوه عند غزو دولة الخطا شعارا اضطرتهم الظروف إلى رفعه ، فمساجد لمسلمين انتهكت حرمتها ، والمصاحف مزقت وديست ، والأرواح البريئة أزهقت ، والمصادر التاريخية الإسلامية منها وغير الإسلامية ناطقة بذلك وشاهده على ما ارتكبه المغول من فظائع عند غزوهم للعالم الإسلامى بتعليمات من زعيمهم جنكيزخان وتحريض منه ، وإذا تتبعنا موقف جنكيزخان من الإسلام والبوذية والنصرانية ، نرى أنه فى بداية حكمه وجد أن عليه الإفادة من الشعوب المتحضرة فى إدارة دولته ، نظرا لتأخر المغول فى المجال الحضارى ، وكان أول ممثلين للحضارة ببلاد جنكيزخان بعض التجار المسلمين الذين أسهموا فى وضع نظام الحرس الخاص[17] واتخذ منهم السفراء بينه وبين سلطان الدولة الخوارزمية .

ولكن المغول مالوا إلى الأخذ بحضارة الإيغور فى المرحلة الأولى من بداية حكمهم فى عهد جنكيزخان فكانوا المعلمين الأول للمغول ، واستخدمت الأبجدية

---

(١١) ابن كثير البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١١٨ ولى ملاحظات على كتابات بعض المؤرخين المسلمين عن المغول أوردتها عند الحديث عن ديانة المغول وحضارتهم .

(١٢) المقريزى : تقى الدين أحمد بن على السلوك لمعرفة دول الملوك جـ ٢ ص ٢٢٠ تحت عنوان ذكر أحكام السياسة .

(١٣) بيليك لفظ تركى معناه المعرفة . فاسيلى برتولد مرجع سبق ص ١١٤ .

(١٤) المرجع السابق .

(١٥) المقريزى السلوك جـ ٢ ص ٢٢٠ وما بعدها .

(١٦) حافظ حمدى مرجع سبق ص ١١١ .

(١٧) فاسيلى برتولد مرجع سبق ص ٥٥٢ ، ص ٥٥٣ .

امبراطورية المغول

الإيغوريه فى كتابة لغة المغول التى لم تكن تكتب حتى ذلك الوقت ، وكان الإيغور أول عمال للدولة فى امبراطورية المغول ، وفيما بعد دخل عمال الإيغور الاقطار المتحضرة فى معية المغول ، فنراهم فى كل من الصين والبلاد الإسلامية ينافسون بنجاح أهالى البلاد الذين كانوا أوسع منهم ثقافة .

والإيغور قبائل جاورت المغول منذ عهد مبكر ، وقد تسربت إليها رياح الحضارة من الصين ومن الهند (البوذية) ومن تركستان (المانوية والنسطورية) غير أن افتقارهم إلى حياة آمنة قد حال بينهم وبين أن يقيموا لأنفسهم حضارة قومية وطيدة البنيان ، وقد اعتنق بعض الإيغور النصرانية ، واعتنق البعض الآخر البوذية ، ويرى بعض الباحثين أن عدد البوذيين الإيغور يفوق عدد النصارى منهم وأن ممثلى الطبقة المثقفة من الإيغور الذين عملوا فى خدمة المغول كانت أكثريتهم من أتباع البوذية ، ولم يكن هناك أدنى عداء دينى بين البوذيين والنصارى من الإيغور ، فقد كان الشعور القومى بينهما أقوى من الشعور الدينى ، ومن ناحية أخرى نرى أن كلا من البوذيين والنصارى كانوا أعداء ألداء للمسلمين[18] .

أما النصارى من غير الإيغور فى الأجزاء الأخرى من الامبراطورية فقد رأوا فى تدهور الإسلام وسقوط الأقطار الإسلامية فرصة للثأر من أعدائهم فى الدين ، وكان المسلمون – فى عهد جنكيزخان – يمثلون الاعداء الخارجيين الأول لامبراطورية المغول ، ويقال إن جنكيزخان مال إلى جانب النصارى ، فقد روى ابن العبرى : (أن جنكيزخان صعد إلى رأس تل عال ، وكشف رأسه ، ودعا الله أن ينصره على عدوه الخوارزمى ، وبقى على هذا التل ثلاثة أيام ، لم يذق فيها طعاما ، وفى الليلة الثالثة رأى فى منامه راهبا فى أثوابه السوداء ، وبيده عصا يقول له : (لاتخف ، افعل ماشئت فإنك مؤيد) فانتبه جنكيزخان مذعورا ذعرا مقرونا بالفرح ، وعاد إلى منزله ، وقص قصته على زوجته فطمأنته بأن مجى، هذا الأسقف إليه بداية سعادته ، وقد استدعى جنكيزخان أحد الأساقفة إليه ، ففسر حلمه بأن بين له أن من رآه فى منامه لم يكن إلا قديسا من القديسين ، ثم زين له رؤيته) ، ويضيف ابن العبرى : (ولهذا كان جنكيزخان يكرم المسيحيين ويميل إليهم)[19] .

ولعل زوجته هذه كانت مسيحية أو كانت تميل إليهم ، فقد ورد أنه تزوج بمسيحية وهى ابنة رئيس الكرائيث التتارية المسيحية التى كانت تقيم جنوب بحيرة « بيكال » عندما فتح بلادهم ، كما تزوج ابنة « كوبيلاى » من نفس هذه الأسرة[20] .

وعندما وصلت إلى أوربا أخبار ظهور جنكيزخان وحروبه ضد المسلمين ، هلل المسيحيون هناك لذلك ، وظنوه على ملتهم ، بل راجت اشاعات قوية بأنه المسيح المنتظر الذى سيأتى من الشرق[21] .

أما البوذية فقد تأثر المغول فى بلاد الصين بها ، واعتنقوها ، وكان جنكيزخان – بالرغم من اتصاله بأصحاب الديانات المختلفة ، وخدمة هؤلاء فى دولته – ينظر إلى الأديان جميعا نظرة استخفاف وعدم مبالاة ، وظل متمسكا بديانته الشامانية ، يتضح ذلك من حرصه على اختيار من يتولى وظيفة كبير رجال الدين الشامانى أو بتعبير آخر أعلى مناصب السلطة الدينية ، وتزويده بالنصائح التى تؤدى إلى احترام الجميع له ، وتنفيذ كلمته[22] .

---

(١٨) المرجع السابق .

(١٩) ابن العبرى : أبو الفرج الملطى تاريخ مختصر الدول ص ٤٠١ بيروت ١٩٥٨ م .

(٢٠) د. حسن إبراهيم حسن انتشار الإسلام بين المغول والتتار ص ٧٠ .

(٢١) برتولد شبولر مرجع سبق ص ٦٤ حاشية (١) للدكتور سهيل زكار .

(٢٢) فاسيلى برتولد مرجع سبق ٥٦ .

نأتى إلى موقف جنكيزخان من الإسلام والمسلمين ، وقد كان موقفا ينم عن العداوة والبغضاء ، يدلنا على ذلك ما أوردته كتب التاريخ من حوادث يشيب لها الولدان ، أثناء إغارته على البلاد الإسلامية ، فقتل من المسلمين الألوف المؤلفة(٢٣) وخرب المدن الإسلامية التى كانت عامرة ، واعتدى على مقدسات المسلمين وأعراضهم ، وقد بلغ من هول هذه الأفعال أن المؤرخ المسلم المعاصر لهذه الإغارة ، ابن الأثير أحجم عن ذكرها فى كتابه « الكامل » زمانا ، ويقول فى ذلك : (لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها ، كارها لذكرها ، فأنا أقدم إليه رجلا وأوخر أخرى ، فمن الذى يسهل عليه أن يكتب نعى الإسلام والمسلمين ؟ ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك ؟ فياليت أمى لم تلدنى قبل هذا وكنت نسيا منسيا ، إلا أننى حثنى جماعة من الأصدقاء على تسطيرها ، وأنا متوقف ، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدى نفعا ، فتقول هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى ، والمصيبة الكبرى التى عقمت الأيام والليالى عن مثلها عمت الخلائق ، وخصت المسلمين ، فلو قال قائل : إن العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلها ، لكان صادقا ..)(٢٤) .

فى عهد خلفاء جنكيزخان فى منصب قا آن

أوكـــداى (٦٢٤ ـ ٦٣٩هـ = ١٢٢٧ ـ ١٢٤٨م)(٢٥) وقد اختاره أبوه جنكيزخان لتحليه بالصفات الحميدة وفضله على أخيه تولوى ذى المواهب العسكرية ، وعلى جغتاى الذى عرف بصرامته فى تطبيق الياسا ، ويثنى عليه المؤرخون المسلمون ثناء عاطرا لحسن معاملته للمسلمين ، وبعضهم يؤكد أنه كان يفضل الإسلام على بقية الأديان ، وكان يحمى المسلمين فى دولته من كيد أعدائهم ومنافسيهم من الصينيين والإيغور ، وفى هذا الصدد يذكر قصة ذلك الإيغورى الذى أراد إرهاب أحد معارفه المسلمين ، وحمله على الدخول فى البوذية ، فقد أمر القاآن أوكداى بضرب الإيغورى مائة عصا فى السوق ، وأن تسلم زوجته ومنزله للمسلم(٢٦) ، ولعل القصة التى وردت فى « البداية والنهاية » من أن رجلا كافرا جاء إلى قان ـ دون تحديد اسمه ـ وقال له : رأيت فى النوم أباك جنكيزخان فقال لى : قل لابنى قان يقتل المسلمين ، وكان القان يميل إلى المسلمين مخالفا لأهل بيته ، فسأل الرجل : (هل تعرف المغولية ؟) فقال : (لا) فقال الملك له : (أنت كاذب لأن أبى ما كان يعرف من اللغات ودرس غير المغولية) وأمر بضرب عنقه وأراح المسلمين من كيده(٢٧) .

وأرى أن القان الذى لم يحدد اسمه فى القصة هو أكداى الذى عرف بميله للمسلمين ، ويؤكد ذلك أن هذه القصة ذكرت فى مصدر آخر من مصادر التاريخ مع اختلاف فى بعض التفصيلات وذكرت أن القان هو أكداى(٢٨) .

وفى الوقت الذى كان فيه أوكداى يعامل المسلمين معاملة طيبة ، كان أخوه « جغتاى » على النقيض من ذلك ، وكان يبسط نفوذه على المناطق الإسلامية بآسيا الوسطى ، وكان جغتاى يتمتع بتأثير كبير على أخيه القا آن ، لأنه أكبر أفراد البيت المالك سنا ، وكان حريصا على تطبيق الياسا على الجميع فى دولة المغول ، ولذلك لم يكن بوسع المسلمين الوضوء فى المياه الجارية ، أو أن يذبحوا البهائم وفقا لشريعتهم إلا فى السر ، ولم يقتصر الأمر على المناطق التى كانت تحت سلطانه ، بل تعداه إلى المناطق الأخرى ، مما اضطر

---

(٢٣) بلغ عدد القتلى على أيدى المغول فى الفترة بين سنتى ٦٠٨ ـ ٦٢٠ هـ ١٢١١ ـ ١٢٢٣ م وهى الفترة التى غزا فيها بلاد الصين فى الشرق والبلاد الإسلامية فى الغرب أكثر من ثمانية عشر مليونا . طه بدر مرجع سبق ص ٧٥ وما بعدها .

(٢٤) ابن الأثير الكامل ج ٩ ص ٣٢٨ .

(٢٥) وتسمية المصادر العربية أو كتاى أو أوكديه ، وذكر النويرى ان توليته كانت سنة ٦٢٥ هـ نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٣٣٨ .

(٢٦) فاسيلى برتولد مرجع سبث ص ٦٦٠ حاشية ٣٨ .

(٢٧) ابن كثير البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٢٠ .

(٢٨) المصدر الآخر هو طبقات ناصرى لجوزجانى ترجمة راخرتى جـ ٢ ص ١١٠٧ ـ ص ١١٤ نقلاً عن فاسيلى برتولد مرجع سبق ص ٦٦٠ .

عددا كبيرا من المسلمين إلى أن يأكلوا لحما كانوا يعدونه ضربا من لحم الميتة ، وكان القاآن يحتال لانقاذ المسلمين من براثن جغتاى عند خروجهم على تعاليم الياسا ، من غير أن يلجأ إلى استعمال سلطته المباشرة كقاآن ، ولا أن يحاول حماية الجناة الخارجين على تعاليم الياسا جهرة(٢٩) .

كويــوك (٦٤٤ ـ ٦٤٦هـ = ١٢٤٦ ـ ١٢٤٨م)(٣٠) وكان متأثرا بالمسيحية ، ويظهر محاباة عظيمة للمسيحيين مدى حياته ، ويرجع ذلك إلى أن الذى تولى تربيته رجل مسيحى هو « قداق » ، ثم وجد نفسه فيما بعد تحت تأثير وزير مسيحى هو « جينغاى » الذى أحسن إلى المسيحيين دون سواهم من أتباع الديانات الأخرى .

وقد اعتبر اختيار كويوك انتصارا للمسيحيين ، وحضر اختياره المبشر « جيوفانى دى بلانو كاربيتى » وترك حضور هذا المبشر ومواكب السفارات من الدول الأجنبية انطباعا لدى كويوك بتفوق الأمة المغولية من جهة ، ومن جهة أخرى اعتقد أن البابا والملك لويس التاسع ملك فرنسا يتوقان لوضع نفسيهما تحت حمايته وسلطته ، ويظهر هذا الاعتقاد بوضوع فى الجواب الذى سلمه كويوك إلى بعثة البابا(٣١) .

هذا وقد رأى البابوات وأهل الغرب أن المغول أصبحوا منذ أوائل القرن الثالث عشر خطرا يهدد القارة الأوربية ، وأن خير وسيلة لاتقاء شرهم ، هى العمل على كسبهم إلى الكاثوليكية ، واستمالتهم إليهم فى حرب صليبية مشتركة ضد الإسلام فى الشرق ، فى وقت كان فيه الصليبيون فى الشام يتلقون أشد الضربات من المسلمين ، وكانت أوربا الغربية تستجدى العون لحملة صليبية جديدة ، وإذا ما نجحت أوربا فى تحويل المغول إلى المسيحية قويت جبهتهم ، وأصبحت الأراضى المقدسة واقعة بين المغول وأوربا ، فلا يكون هناك مفر من بقائها فى قبضة المسيحيين بقاء دائما ، ثم إن المغول أصبحوا طرفا فى الصراع الدائر فوق أراضى المشرق العربى .

وتنفيذا لهذه السياسة أرسل البابا « انوسنت الرابع » اثناء انعقاد مجلس ليون الكنسى سنة ١٢٤٥م (٦٤٣هـ) عدة سفارات إلى المغول أخفقت فى تحقيق أهدافها الرئيسية ـ وستوضح الفقرات التالية أسباب ذلك ـ وإن كانت قد أبعدت الخطر المغولى عن أوربا .

وتجددت المفاوضات بعد ذلك بفترة قصيرة ، ففى أثناء إقامة الملك الفرنسى لويس التاسع فى جزيرة قبرص ، أواخر عام ١٢٤٨م (٦٤٦هـ) ، وقبل ابحاره فى حملته الصليبية إلى مصر ، أرسل له أحد حكام المغول فى وسط فارس ، وهــو ايلجيغــداى أو ايلجيداى ، سفارة تحمل رسالة يطلب فيها الاشتراك مع المسيحيين فى حملة صليبية كبيرة للاستيلاء على بيت المقدس من العرب(٣٢) وكان ايلجيغداى قد أرسله كويوك فى حملة ضد الاسماعيلية وضد الخلافة العباسية ببغداد ، وقد بعث بمبعوثين إلى لويس ملك فرنسا ، وانبأ المبعوثان لويس بأن والدة كويوك نصرانية ، وأن كويوك نفسه قد اعتنق النصرانية ، ومعه ثمانية عشر من أمراء البيت الحاكم ، وعدد كبير من النبلاء المغول ، وأن ايلجيغداى جرى تعميده منذ أعوام طويلة ، وأنه الآن فى طريقه إلى بغداد ليثأر من الإساءة التى وجهها الخوارزميون فى حق سيدنا يسوع المسيح(٣٣) .

---

(٢٩) المرجع السابق ص ٦٦٠ و ص ٦٦١ .

(٣٠) يرى النويرى أن موت أوأوكديه سنة ٦٣١ هـ نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٣٤٥ أما رشيد الدين فيرى وفاته سنة ٦٣٩ هـ جامع التواريخ جـ ١ ص ٤٨٠ .

(٣١) هذه الرسالة محفوظة فى أرشيف الفاتيكان ـ برتولد شبولر مرجع سبق ٤٠ و ص ٤١ .

(٣٢) د. جوزيف نسيم يوسف الإسلام والمسيحية وصراع القوى بينهما فى العصور الوسطى ص ٢٢٨ و ص ٢٢٩ دار الفكر الجامعى ـ الاسكندرية نقلاً عن A.S.A tiya Teh Crusade in the later Middle Ahes London 1938,233 ff وانظر د. سعيد عبد الفتاح عاشور الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١٠٩٨ وما بعدها .

(٣٣) ذلك أن الأتراك الخوارزميون الذين غادروا بلادهم مع جلال الدين منكبرتى التحقوا بعد موته بخدمة البيت الأيوبى بمصر وفى عام ١٢٢٢ م طردوا الصليبيين للمرة الثانية من بيت المقدس .

ورجا ايلجيغداى الملك لويس فى رسالته ألا يميز بين النصارى من مختلف المذاهب .. لأنهم يتمتعون بالمساواة فى دولة المغول ، وقد نالت فكرة التحالف مع المغول الذين اعتنقوا المسيحية ضد المسلمين القبول والاستحسان من لويس ، فأرسل بمبعوثيه إلى منغوليا ، غير أن رجاء المغول فى أن يشمل مبدأ التسامح المذاهب المسيحية الأخرى ـ غير الكاثوليكية ـ قوبل بالرفض القاطع ، وقد سلم أسقف « توسكولوم » المدعو « أودون » وكان ممثلا للبابا فى معسكر لويس ، سلم مبعوثى المغول رسائل إلى كل من القاآن وأمه وايلجيغداى وكبار رجال الكنائس الشرقية ، وقد ورد فى هذه الرسائل أن كنيسة روما سترحب بهم كأبناء بررة على شريطة أن يتبعوا مبادىء الكاثوليكية ، ويعترفوا بكنيسة روما أما لجميع الكنائس ، ويرأسها مفوضا من يسوع المسيح تلزم له الطاعة ممن يعتبرون أنفسهم نصارى .

وهكذا كان الاختلاف المذهبى هو الصخرة التى تحطم عليها الوفاق المغولى الصليبى ضد المسلمين ، وجاء موت كويوك ليقضى على أية بارقة أمل فى وفاق جديد ، واتخذ القاآن مونكو سياسة مختلفة عن سابقه(٣٤) .

ويرى أحد الباحثين أن كلا من المسيحيين فى أوربا والمغول ، كان يعمل على استغلال الآخر لمصلحته الشخصية فإذا نظرنا إلى المغول نجد أنهم منذ وقت غير قريب أخذوا فى وضع الخطط الأولية لتكوين امبراطورية قوية لهم تدخل فى نطاقها بلاد الشام والعراق ، وكانوا يعرفون مبلغ الضعف الذى وصلت إليه الخلافة العباسية فى بغداد آنذاك ، وأنها لابد أن تسقط عند أول ضربة توجه إليها ، وأدركوا أيضا أن مصر باعتبارها زعيمة العالم العربى ، يستحيل أن تقف موقف المتفرج ، بل ستهب لصد عدوانهم الذى كان يتهددها هى الأخرى تهديدا مباشرا ، لذا وجدوا أن سلم الطرق لتحقيق مآربهم فى رقعة الشرق الأدنى لعربى ، هى العمل يدا واحدة مع الصليبيين الغربيين للقضاء على سلطان مصر ، وإزالة قوتها من الميدان ، وكان طبيعيا أن يرحب مسيحيو أوربا الغربية أو اللاتين بذلك ، بل كان هذا ما يتمناه ملك فرنسا ، الذى أوفد بعثتين بين سنتى ١٢٤٩م (٦٤٧هـ) و ١٢٥٢م (٦٥٠هـ) إلى المغول لم يكن مصيرهما بأحسن من مصير السفارات السابقة(٣٥)

وأود أن أقول لو كان دافع المصلحة الشخصية والرغبة فى الاستعمار وحده كافيا ، لنجح التحالف ، ولكنه فشل لسبب دينى ، وهو الخلاف المذهبى ، مما يدل على أهمية الدافع الدينى ، وأنه محرك قوى للأحداث التى نحن بصددها .

لم يكن حكم كويوك القصير الأمد خيرا للإسلام ، بل كان ـ كما سبق القول ـ انتصارا للمسيحية ، وقد هرع إلى بلاطه النصارى من جميع الانحاء ، من بلاد الشام والروم وبغداد وروسيا ، وقد ترك أمر الحل والعقد فى أمور الدولة فى يدى قداق وجينقاى المسيحيين ، واستغل المسيحيون هذا الوضع فى مهاجمة الإسلام مهاجمة عنيفة ، من غير أن يجرؤ المسلمون على معاملتهم بالمثل ، ونقل المستشرق « فاسيلى برتولد » عن أحد المؤرخين المسلمين أنه بلغ من عداوة كويوك للإسلام والمسلمين ، أنه أصدر قرارا بخصى جميع المسلمين وجبهم ، عملا بنصيحة راهب بوذى يدعى « توين » ، وعندما كان الراهب يحمل نص القرار ، هاجمه كلب شرس ، فمزقه شر ممزق ، وكان لهذا الجزاء العادل من الله ، أثره فى نفس كويوك ، مما جعله يعدل عن قراره(٣٦) .

ومن القصص التى تساق للتدليل على كيد النصارى للمسلمين فى دولة المغول واعتدائهم عليهم ، ما روى أن النصارى أغروا كويوك بأن يدعو إماما من أئمة المسلمين ، اسمه نور الدين خوارزمى ، ليناظرهم فى الدين وجرت المناظرة فى حضرة كويوك على النحو التالى :

---

(٣٤) فاسيلى برتولد مرجع سبق ص ٦٩٥ و ص ٦٩٦ .

(٣٥) جوزيف نسيم يوسف مرجع سبق ص ٢٢٩ و ص ٢٣٠ .

(٣٦) فاسيلى برتولد مرجع سبق ص ٦٧٨ و ص ٦٧٩ وقد نقل عن المؤرخ المسلم جوزجانى : عثمان بن محمد طبقات ناصرى ترجمة رافرتى جـ ٢ ص ١١٤٨ ـ ١١٦٤ .

النصارى : بين لنا أى ضرب من الناس كان محمد ؟
الإمام : محمد هو خاتم النبيين وسيد المرسلين ورسول رب العالمين ، قال عنه موسى الذى أعجب بمناقبه : (اللهم اجعلنى من أمة محمد) وبشر عيسى (برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) .

النصارى : إن النبى هو من يعيش عيشة روحانية خالصة ، وليس له تعلق بشهوة النساء أو اهتمام بهن ، كما كان عيسى مثلا ، هذا بينما كان لمحمد تسع من النساء وعدد من الأولاد . فكيف تفسرون ذلك ؟

الإمام : لقد كان للنبى داود عليه السلام تسع وتسعون من الزوجات ، وكان لسليمان ثلثمائة حليلة وألف سرية .
النصارى : هذان لم يكونا من الأنبياء بل من الملوك[٣٧] .

وفى آخر الأمر أوقف النصارى المناظرة .. والتمسوا من كويوك أن يأمر الإمام بإقامة شعائر الصلاة جماعة ، فدعا الإمام أحد المسلمين ، وشرعا فى الصلاة ، وجهد النصارى بكافة الوسائل فى إعاقة صلاتهما ، وانهالوا عليهما ضربا عند السجود ، ودقوا رأسيهما بالأرض ، ولكنهما لم يقطعا صلاتهما ، وبعد أن سلما انصرفا بهدوء .
وواضح أن الغرض هو الاستهزاء بالمسلمين والاستخفاف بعبادتهم وإهانتهم بدافع من التعصب الدينى وفى نفس هذه الليلة هلك كويوك جزاء ما جنت يداه فى حق الإمام ــ على تعبير المصدر التاريخى ــ وفى اليوم التالى اعتذر أولاده للإمام ، وجهدوا فى ترضيته[٣٨] .
ويقال إنه كان قد تحرك بجيشه لقتال باتو الذى لم يقسم له يمين الطاعة فمات فى الطريق[٣٩] .

يتبـع

(٣٧) كذب يخالف صريح القرآن الكريم ، أما ادعاء أن محمداً ــ ﷺ ــ كان شهوانياً ففرية طالما رددها الضالون والمضلون من أعداء الإسلام ، وتكفل العلماء والمحققون بالرد عليهم وإفحامهم .
(٣٨) فاسيلى برتولد مرجع سبق ص ٦٧٩ و ص ٦٨٠ نقلاً عن جوزجانى مصدر سبق جـ ٢ ص ١١٦٠ ــ ص ١١٦٤ .
(٣٩) المرجع السابق ، ويرى النويرى أنه مات مقتولاً نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٣٤٦ ، أما رشيد الدين خيرى أنه مات ميتة طبيعية جامع التواريخ جـ ١ ص ٤٨٠ .

مغامرات

ماسونى

الأساس الذى تقوم عليه الماسونية ـ على تعدد فروعها وتنوع أسمائها ومذاهبها ـ هو الإيمان بظهوزر المسيح اليهودى المنتظر ،فاليهود من قديم يترقبون ظهور هذا المسيح ، ولما ظهر المسيح عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ بدعوته لم يجهر هو بادىء ذى بدء بأنه المسيح ، ولم يؤمن به اليهود ، وظلوا يترقبون مسيحهم ، ويتصل بهذه العقيدة إيمانهم بأن فلسطين ـ وهى الأرض التى منحها الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ تبدأ منها الدعوة لمملكتهم ، أو هى مركز الدائرة التى تنداح منها حكوماتهم حتى تشمل العالم كله ، وبما أنهم هم شعب الله المختار ، فمن عداهم من الناس والشعوب أتباع لهم ، خلقهم الله لخدمتهم ، وهم وإن كانوا فى صور آدمية ـ طَبَقَاتُهم منحطة لا تصل إلى مستوى اليهود ، ولا يزيدون على أن يكونوا أعوانًا وخدمًا لهم . وهم على هذه العقيدة إلى الآن .

هذه هى الفكرة التى تقوم عليها الماسونية ، وقد بدأت بالعمل على اتخاذ فلسطين وطنًا لليهود ، واصطنعت لهذه الدعوة أساليب شتى ، كلها كانت تغلف بالنفاق والخديعة .

ولما قامت لإسرائيل دولة فى أرض فلسطين ، انتقل العمل إلى الخطوة الثانية وهى التوسع فى رقعتها بكل وجه ممكن ودون مبالاة بما يصيب الآخرين :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِى الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾
(آل عمران ـ ٧٥)

ولست أريد أن أتحدث عن الماسونية ، وإنما ألخص حياة واحد من كبار دعاتها ، وهو الربانى « سبتاى بن زِفِىّ . ويسمى فى العبرية « شيتا بن صبى » واسمه ـ كما هو واضح ـ مشتق من يوم السبت ، اليوم المقدس عند اليهود ، ولد هذا الربانى فى أزمير سنة ١٦٢٦ م ، وتكونت له جمعية سميت جمعية السبتيين ولم يعمر طويلاً فقد مات قبل أن يكمل الخمسين سنة ، مات سنة ١٦٧٥ .

كان أستاذه الذى تربى على يديه هو الحاخام « إسحق داليا » ، وكان داليا معروفاً بسعة علمه وشدة تعصبه ، درس التوراة ـ العهد القديم ـ ودرس التلمود على سعته ، وفَقِهَ لألفاظ الكتابين معانى مجازية ، ودلالات خفية أو إيحات صوفية ، وبرع فى معرفة الأرقام التى تدل عليها الحروف الأبجديةالعبرية .

وكان سبتاى تلميذاً ذكياً متحدثاً لبقاً ، حلو الحديث له جاذبية كبيرة لمن يحدثهم ، وكان أيضاً حسن الصورة جميل المظهر ، وبرع ـ كأستاذه أو زاد عليه ـ فى معرفة الأرقام الأبجدية ودلالاتها ، وقال : إن لها دلالاتً على أحداث ستقع ، وكان سريع البديهة لماح الفهم ، وانفعل أتباعه ومحبوه بكلامه وطريقته ، واستنتجوا ـ أو لعله هو الذى استنتج لهم ـ أن المسيح اليهودى المنتظر سيظر فى سنة ١٦٤٨م ، ومع أنه لم يظهر فى هذا التاريخ ظل أتباعه موالين له .

وقبل أن نمضى معه فى فى مغامراته التى نريد عرضها ، نذكر التشابه بينه وبين دعوة القس النصرانى ـ وليم ميللر ، مؤسس جماعة الأدفنتست (١٧٨٢ ـ ١٨٤٩) ، فقد أعلن : أن المسيح عيسى ابن مريم سيرجع فى شهر مارس سنة ١٨٤٤ م ، وأيده عدد من القسس ، ولما لم يظهر أجل ظهوره إلى شهر أكتوبر من العام نفسه ، ولم يظهر فسمى هذا الموعد باسم « الخيبة الكبرى » The great disappointment ، وانفض أتباعه من حوله إلا قليلاً .

ولكن أتباع سبتاى ، لم ينفضوا ، واكتفوا بالإيمان بظهور المسيح اليهودى ، وكان لحسن حديثه وجاذبية محاضراته أثر كبير فى بقاء أفكاره .

وادعى سبتاى أن روح الإله هبطت عليه فى هذا العام نفسه ، وأنه هو المسيح المنتظر ، وقال : إنه بينما كان يمشى فى ليلة مقمرة هادئة ، خاطبه الله وقال له : أنت مخلص إسرائيل ، أنت المسيح بن داود ، والمختار من لدن إسرائيل « يعقوب » أنت المقدر لك جمع الشتات الإسرائيلى فى أورشليم » .

ولنلاحظ ثانياً ما بين هذا الادعاء وبين ما نادى به الرسول بولس ، حيث ادعى أن المسيح هبط عليه من السماء وخاطبه ، فانقلب مسيحياً بعد ان كان عدواً للمسيحيين .

وصَدَّق الكثيرون دعوى سبتاى والتفوا حوله . وعارضه الكثير أيضاً ، وكان على رأس معارضيه حاخام أزمير الأكبر . وكان له مقامه بين اليهود ، ولما لم ينجح فى رده ووَقْفِ دعوته جمع الحاخامات ، وكونوا مجلساً قرروا فيه وجوب قتل سبتاى ، وإهدار دمه ، ولم يستطع الصمود أمام هذا القرار . فاختفى وفر سراً إلى القسطنطينية ، بعد عامين من اعلان دعواه ، وتقفاه خصومه ؛ لأنهم رأوا فى دعواه خطراً على اليهودية ، ففر إلى « سلانيك » ـ وكان له فيها أنصار معجبون بفكره وبراعته فى معرفة الأرقام الأبجدية ، وفهم أسرارها ، فالتفوا حوله ، ووجد الفرصة سانحة لإعلانه عن نفسه أنه مسيح اليهود ، فأعلنها ولم يعدم الأتباع والأنصار الكثيرين ، وأزعج ذلك خصومه من الحاخامات ، فأعلنوا من جديد حربه ، وأنه مهدر الدم

لا كرامة له ولا دية على قاتله ، وأسرع هو بالهرب ، ففر إلى « أثينا » وأقام بها زمناً قصيراً ، ثم عاد سراً إلى استانبول ، فاختبأ عند صديق له ، وبقى مختبئاً حتى نُسِىَ أمره ، وغفل الناس عنه وعن دعواه ، فرجع إلى « أزمير » مسقط رأسه عَلَّه يجد حماية ، أو يجد جواً جديداً لدعوته ، ولم يطب له المقام ، فقرر الذهاب إلى فلسطين وصحبه بعض أنصار له فعرج على « مصر » ، وأقام بها فترة ، وتزوج من بنت يهودى مصرى ، كان ثرياً وكان يؤمن بدعوة سبتاى ، فأعطاه من ماله ما يستعين به فى الدعوة لفكرته . وصادف فى هذا الوقت أن ظهرت بين المسيحيين دعوة لظهور المسيح فى هذه السنة سنة ١٦٦٦ ، فانتهز سبتاى الفرصة ، وأراد أن يكون مسيح اليهود ومسيح النصارى جميعاً ، ولذا عاد إلى « أزمير » ليجمع اليهود حوله ، فنَبهَ أمرُه ، وجاء اليهود من هنا وهناك يبايعونه ، حتى يهود كثير من تركيا أعلنوا إيمانهم به ومبايعته ، وألبسه أتباعه تاج « ملك الملوك » وقالوا : إنه هو الذى سيذهب إلى فلسطين أرض المعاد يؤسس فيها دولة « يهوه » ، ويبدأ توسعتها حتى تشمل العالم كله ، وصدقه أيضاً بعض النصارى ، لأنه أعلن أنه ابن الله الأول والوحيد له ، وأصدر مراسيم وقعها باسمه وصفاته ، وخيل إليه حينئذ أنه جمع بين ملك إسرائيل وإله المسيحيين ، ولكن قاضى أزمير المسلم العثمانى أمر بالقبض عليه ، فأنكر حين استجوب أنه قال أى شىء من هذا ، وأمر القاضى بسجنه حتى يتوب ويَظهر كذبه .

وأثناء سجنه ظهر حاخام آخر يدعى « نجمة كوهين » ادعى أنه مسيح اليهود ، وبمكر يهودى وَشَى به لدى الحكام أنه يسعى لقلب الدولة العثمانية وإقامة دولة يكون هو ملكها . واستدعى السلطان سبتاى فأنكر كل شىء وأعلن إسلامه ، واتخذ لنفسه اسم « محمد الباب » ، وعفا عنه السلطان ، ولكن اتباعه تفرقوا من حوله .

وكتب إلى أتباعه سرا أنه ليس بمسلم ، وأنه على يهوديته ، ونصح لهم أن يظهروا الإسلام ، ويبطنوا اليهودية ، فإذا لقوا المسلمين قالوا : آمنا ، وإذا خلوا إلى إخوانهم من اليهود قالوا : إنا معكم إنما نحن مستهزئون .

ومات سبتاى ولم تمت فرقته ، وليست فكرة النفاق التى بثها خاصة به ولا هى مستحدثة ، وقد ادعى الفيلسوف اليهودى موسى بن ميمون الإسلام وارتد عنه ، ولكن أتباع سبتاى انثبوا فى كيان الدولة العثمانية ، وفى كيان دول أخرى ، فدبروا المكايد الكبرى ، وكانوا يبثون أعضاءهم فى الدولتين العدوين فإذا عقدت مؤتمرات صلح كان منهم ممثلوا الدولتين ، فيدبرون ما يريدون .

ومن الوسائل الشائعة أن يتظاهروا بحب الإنسانية والعمل على إسعادها ، ومهمتها الكبرى إضعاف الروح الدينى فى غير اليهود ، لذا يشيعون المنكرات من السكر والفسق ، بين الناس كى تلين جلودهم لدعواهم ، وتقسو قلوبهم عن الاستجابة لتعاليم دينهم ، وهم يتظاهرون دائماً بغير ما يبطنون .

وقد بلغ من نفاق سبتاى أنه أراد أن يحج إلى مكة ويزور قبر النبى محمد ـ ﷺ ـ ولكن الشكوك قويت ضده فلم يسمح له بذلك ، ثم نفته الدولة العثمانية إلى « ألبانيا » فبقى مدة وجيزة نحو خمسة أعوام أغوى فيها الكثير وضلل الكثير وغرر بالكثير ثم مات سنة ١٦٧٥ ، وبقيت سيرته مثلاً للنفاق الماسونى ، صداقة الناس جميعاً ظاهراً ، وكراهتهم واحتقارهم باطنا ، وإخلاصهم الحق وعملهم الدائب إنما هو للصهيونية وحدها .

لحظات طيبات مع الإمـام :

محمد بن شهاب الزهرى

إعداد : عــادل خفاجة

قال عنه الليث بن سعد :

ما رأيت عالماً قطُّ أجمع من ابن شهاب ، يحدث فى الترغيب ، فتقول : لا يحسن إلا هذا ، وان حدث عن العرب والأنساب ، قلت : لا يحسن إلا هذا ، وان حدث عن القرآن والسنة ، كان حديثه .

هو محمد بن مسلم بن عُبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زُهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ، إمام العلم ، وحافظ زمانه .

ولد سنة خمسين من الهجرة النبوية وقيل سنة ست وخمسين .

مفتاح شخصيته :

لعل أهم ما يُميِّز الإمام الزهرى ، كرمه . أو قل ـ إن شئت ـ إن الكرم مفتاح شخصيته . ويكفينا أن نقول أنه كان يستدين ليعطى غيره .

وهو ما ذكره أبو صالح عن الليث ، قال : كان ابن شهاب من أسخى من رأيت ، كان يعطى ، فإذا فرغ ما معه يستلف من عبيده ، أو يقول : يا فلان أسلفنى .

وقال مالك : كان ابن شهاب من أسخى الناس ، فلما أصاب الأموال ، قال له مولى له وهو يعظه : قد رأيتَ ما مرَّ علينا من الضِّيق ، فانظر كيف تكون ،

أمسك عليك مالك . قال : « إن الكريم لا تحنكه التجارب » .

وأى تجارب تحنك رجلاً عَلِمَ أنه ما نقص مال من صدقة ؟!

ونزل مرة بماء ، فشكا إليه أهل الماء ، ان لنا ثمانى عشرة امرأة عُمرية : أى لهن أعمار[1] ليس لهن خادم ، فاستلف ثمانية عشر ألفٍ ، وأخْدَمَ كل واحدةٍ خادماً بألف .

وكان ابن شهاب يتمتع بنفس هادئة ، هانئة ، لا يخلو كلامه من مقولة ظريفة ، أو إلماحة ظريفة ، على ما كان يمر عليه من شدة ـ كدين مثلاً ـ وأنى يتكدر من علم أن الله قاضٍ عنه دينه .

قال سعيد بن عبد العزيز : قضى هشام عن الزهرى سبعة آلاف دينار ، وقال : لا تعد لمثلها تدَّان ، فقال : يا أمير المؤمنين حدثنى سعيد بن المسيب عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » .

ولعل هذا الكرم الذى كان عليه الزهرى ، هو ما جعل فائد بن أقرم يمدحه قائلاً :

ذر ذا وأثن على الكريم محمدٍ .·. وأذكر فواضلهُ على الأصحاب
وإذا يُقال من الجواد بماله .·. قيل : الجواد محمدُ بنُ شهاب
أهل المدائن يعرفون مكانه .·. وربيع ناديه على الأعراب

غزارة علمه :

كان ابن شهاب قد جمع من العلم الكثير ، يهتم به وبأسانيده ، وقد سمع الناس يوماً يذكرون حديث الرسول ـ ﷺ ـ ، يقولون : قال رسول الله ، وقال رسول الله ـ ﷺ ـ فقال لهم : يا أهل الشام ، ما لى أرى أحاديثكم ليست لها أزِمَّة ولا خُطُمٌ ؟ قال الوليد : فتمسك أصحابنا بالأسانيد من يومئذ .

وعن الدراوردى ، قال : أول من دوَّن العلم وكتبه ابن شهاب . وعن ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال : ما رأيت أحداً أنصَّ للحديث من الزهرى .

وعن إبراهيم بن سعد قال : سمعت أبى يسأل الزهرى عن شىء من الخلع والإيلاء ، فقال : إن عندى لثلاثين حديثاً ما سألتمونى عن شىء منها .

ويحكى هو عن نفسه ، يقول :

نشأت وأنا غلام ، لا مال لى ، ولا أنا فى ديوان ، وكنت أتعلم نسب قومى من عبد الله بن ثعلبة بن صُعير ، وكان عالماً بذلك ، وهو ابن أخت قومى وحليفهم . فأتاه رجل ، فسأله عن مسألة الطلاق فعيَّ بها وأشار له إلى سعيد بن المسيّب ، فقلت فى نفسى : ألا أرانى مع هذا الرجل المُسن يذكر أن رسول الله ـ ﷺ ـ مسح رأسه ، ولا يدرى ما هذا ؟! فانطلقت مع السائل إلى سعيد بن المسيب ، وتركت بن ثعلبة ، وجالست عروة ، وعبيد الله ، وأبا بكر بن عبد الرحمن .

حتى فقهت ، فرحلت إلى الشام ، فدخلت مسجد فى السحر وأممت حلقة ، تجاه المقصورة عظيمة ، فجلست فيها فنسبنى القوم فقلت : رجل من قريش ، قالوا : هل لك علم بالحكم فى أمهات الأولاد ؟ فأخبرتهم بقول عمر بن الخطاب فقالوا : هذا مجلس قَبيصة بن ذؤيب وهو حاميك ، وقد سأله أمير المؤمنين وقد سألنا فلم يجد عندنا فى ذلك علماً ، فجاء قَبيصة فأخبروه الخبر ، فنسبنى فانتسبت ، وسألنى عن سعيد بن المسيب ونظرائه فأخبرته . قال : فقال : أنا أدخلك على أمير المؤمنين ، فصلى الصبح ثم انصرف فتبعته ، فدخل على عبد الملك ، وجلست على الباب ساعة ، حتى ارتفعت الشمس ، ثم خرج الآذِنُ ، فقال : أين هذا المدنى القرشى ؟ قلت : ها أنا ذا ، فدخلت معه على أمير المؤمنين فوجدت بين يديه المصحف قد أطبقه ، وأمر به فرفع ، وليس عنده غير قَبيصة جالساً ، فسلمت عليه بالخلافة ، فقال : من أنت ؟ قلت : محمد بن مسلم ـ وساق آباءه إلى زهرة ....

---

(١) أى : معمرات .

قال : ما عندك فى أمهات الأولاد ؟ فأخبرته عن سعيد ، فقال : كيف حاله ؟ فأخبرته ، ثم قلت : وأخبرنى أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فسأل عنه ، ثم حدثته الحديث فى أمهات الأولاد عن عمر ، فالتفت إلى قبيصة ، فقال : هذا يكتب به إلى الآفاق .

ومما يدل على غزارة علمه ، ما قاله عراك بن مالك ، حين سأله جعفر بن ربيعة : من أفقه أهل المدينة ؟

قال : أما أعلمهم بقضايا رسول الله ـ ﷺ ـ وقضايا أبى بكر وعمر وعثمان ، وأفقههم فقهاً ، وأعلمهم بما مضى من أمر الناس ، فسعيد ابن المسيب ، وأما أغزرهم حديثاً فعروة ، ولا تشاء تُفَجِّر من عبيد الله بن عبد الله بحراً الا فجرته ، وأعلمهم عندى جميعاً ابن شهاب ، فانه جمع علمهم جميعاً إلى علمه .

وعن مالك : إن هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذونه . لقد أدركت فى المسجد سبعين ممن يقولون : قال فلان قال رسول الله ـ ﷺ ـ ، وإن أحدهم لو ائتُمِنَ على بيت مال لكان به أمين ، فما أخذت منهم شيئاً ؛ لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن ، ويقدم علينا الزهري وهو شاب فنزدحم على بابه .

وعن عبد الرزاق أنه سمع معمراً يقول : كنا نرى أنا قد أكثرنا عن الزهرى ، حتى قتل الوليد ، فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزائنه ، يقول : « من علم الزهرى » .

وكان الإمام الزهرى من الأئمة العاملين ، وكان يعلم أن الناس لا يقنعهم إلا القدوة ، فما حاجتهم إلى من يقول ولا يعمل ! لذا نراه يقول : « لا يرضى الناس قول عالم لا يعمل ، ولا عمل عامل لا يعلم .

ورعـــه :

كان الزهرى على جانب كبير من الورع إلى ما تمتع به من علم بالسنة النبوية المطهرة . فكان تذكره للحديث يأخذ بروعه ؛ فقد روى مروان بن محمد أنه سمع الليث يقول : تذكر ابن شهاب ـ ليلة بعد العشاء ـ حديثاً وهو جالس يتوضأ ، فما زال ذاك مجلسه حتى أصبح .

وكان يقول : اعادة الحديث أشدُ علىَّ من نقل الصخر .

حبه الإيجاز فى القول :

وكان يحب التخفيف عن الناس والإيجاز فى القول ؛ فقد أُثر عنه قوله « إذا طال المجلس ، كان للشيطان فيه نصيب » .

ومن أقواله :

- « الاعتصام بالسنة نجاة » .
- « العمائم تيجان العرب ، والحَبْوَة حيطان العرب ، والاضطجاع فى المسجد رباط المؤمنين » .
- ثلاث إذا كن فى القاضى فليس بقاضٍ : إذا كره الملام ، وأحب المحامد ، وكره العزل .
- الايمان بالقدر نظام التوحيد ، فمن وحد ولم يؤمن بالقدر ، كان ذلك ناقضاً توحيده .
- وحين سُئل عن صيامه النفل فى السفر مع أنه يفطر فى رمضان فى السفر قال « إن رمضان له عدة من أيام أخر » .

من روى عنهم :

روى عن ابن عمر وجابر بن عبد الله شيئاً قليلاً.

وروى عن سهل بن سعيد ، وأنس بن مالك ، ولقيه بدمشق ، والسائب بن يزيد ، وعبد الله بن ثعلبة بن صُغير ، ومحمود بن الربيع ، ومحمود بن لبيد ، وسنين أبى جميلة ، وأبى الطفيل عامِر ، وعبد الرحمن بن

أزهر ، وربيعة بن عباد الدِّيلي ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة ، ومالك بن أوس بن الحدثان ، وسعيد بن المسيَّب ، وجالسه ثماني سنوات ، وتفقه به ، وعلقمة بن بن وقاص ، وكثير بن العباس ، وأبي أمامة بن سهل ، وعلي بن الحُسين ، وعروة بن الزبير ، وأبي إدريس الخَوْلاني ، وقَبيصة بن ذُؤيب ، وعبد الملك بن مروان ، وسالم بن عبد الله ، ومحمد بن جُبير بن مطعم ، ومحمد بن النعمان بن بشير ، وأبي سلمة بن عبد الرحمن ، وعُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، وعثمان بن إسحاق العامري ، وأبي الأحوص مولى بني ثابت ، وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ، والقاسم بن محمد ، وعامر بن سَعد ، وخارجة بن زيد بن ثابت ، وعبد الله بن كعب بن مالك ، وغيرهم كثير .

من حدثوا عنه :

حدث عنه عطاء بن أبي رباح ، وهو أكبر منه ، وعمر بن عبد العزيز ومات قبله ببضع وعشرين سنة ، وعمرو بن دينار وقتادة بن دعامة ، وزيد بن أسلم ، وطائفة من أقرانه ، ومنصور بن المعتمر ، وأيوب السَّختياني ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وأبو الزناد ، وصالحُ بن كيسان ، وعُقيل بن خالد ، ومحمد بن الوليد الزبيديُّ ، ومحمد بن أبي حفصة ، وبكر بن وائل ، وعمْرو بن الحارث ، وابنُ جريج ، وجعفر بن بُرقان ، وزياد بن سَعد ، وعبد العزيز بن الماجَشون ، وأبو أويس ، ومعمرُ بن راشد ، والأوزاعي ، وشعيب بن أبي حمزة ، ومالك بن أنس ، والليث بن سعد ، وإبراهيم بن سَعد ، وسعيدُ بن عبد العزيز ، وفُليح بن سليمان ، وابنُ أبي ذئب ، وابنُ إسحاق ، وسفيانُ بن حُسين ، وصالح بن أبي الأخضر ، وسليمان بن كثير ، وهشام بنُ سَعد ، وهُشيم بن بشير ، وسفيانُ بن عيينة ، وغيرهم كثير .

وله نحوٌ من ألفي حديث ، قال أبو داود : له ألفان ومائتا حديث ، النصف منها مسند .

من الأحاديث التي رواها :

● روى ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن النبي ـ ﷺ ـ : « كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ، ثم نفث فيهما ، فقرأ فيهما ﴿ قل هو الله أحد ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ ثم مسح بهما ما استطاع من جسده ، بدأ بهما على رأسه ووجهه ، وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات »(٢) .

● وروى عن أبي هريرة حديث « لتنتقن كما ينتقى التمر »(٣) .

● وروى عن عروة بن الزبير عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة أنها قالت : كان رسول الله ـ ﷺ ـ ، إذا اعتكف يدني إليَّ رأسَهُ فأرجله ، وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان(٤) .

وفاته :

وكانت وفاته في سنة أربع أو ثلاث وعشرين ومائة وقبره بأدما ـ وهي أول أعمال فلسطين وآخر أعمال الحجاز ، وكان بها ضيعة للزهري ـ رحمه الله .

---

(٢) أخرجه البخاري : في فضائل القرآن : باب فضل المعوذات .
(٣) أخرجه ابن ماجة في الفتن (٤٠٣٨) .
(٤) أخرجه البخاري ٤/٢٣٦ في الاعتكاف .

فريضة العمر

أحكاماً وأسراراً

لفضيلة الشيخ: معوض عوض إبراهيم

الحج إلى بيت الله الحرام فى مكة المكرمة هو خامس أركان الإسلام ، وهو فريضة العمر ، وجامع التكاليف الالهية فى الدين العظيم ، فانت فيه تصلى ، وتصوم وتتصدق وتُرِى الله من نفسك كل الفضائل الإنسانية ، وتُرَى من خلال أعماله ومشاهده أولئك الذين جاءوا كما جئت ﴿من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم﴾ (سورة الحج ٢٨) فى طليعتها مع تعميق العقيدة ، وتجريد الايمان وتصحيح المعرفة لقاءُ الاخوة فى الله والتواصى وإياهم بالحق ، والتناجى بالبر والتقوى ، والعلم بأحوالهم على النحو الذى يحرصون عليه من أحوالنا الاجتماعية والاقتصادية والعلمية ، ابتغاء التكامل فى ذلك وماوراءه حتى نكون الأمة الواحدة المتضامنة المتعاونة ، المتواصلة المتكافلة ، التى تبرز - بالعمل لا بالتمنى والتغنى والإنشاد - مراد رسول الله ﷺ فى قوله « المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، وهم يد على من سواهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم » رواه الامام على وأخرجه أبوداود فى الديات ، والنسائى فى القسامة ، وابن ماجه فى الديات ، قال الشوكانى فى « نيل الأوطار » جـ٧ من « كتاب الدماء » قوله « وهم يد على من سواهم » أى هم مجتمعون على اعدائهم ، ولايسعهم التخاذل ، بل يعاون بعضهم بعضا .. والشهادة لله بالوحدانية وللنبى ﷺ بالرسالة ، وفرائض الصلاة والصيام والزكاة ، ترسى قواعد الاخوة فى الله ، وتشد بيننا الاواصر ، وتجعلنا كجوارح الجسد الواحد ، ثم تجىء الفريضة الخاتمة تماما لهذه الحقيقة فى ظروف السفر والنزول فى مواقع ومواقف نؤدى فيها شرائع الحج ، وشعائر العمرة ، إحراما فى المواقيت وطوافا بالبيت ، وسعيا بين الصفا والمروة ، ووقوفا بعرفة ومبيتا بمزدلفة ، وبقاء بمنى حيث ترمى الجمرات ، فى أيام معدودات ، تتناجى فيها ارواح عباد الرحمن بهواتف الايمان ، ونرهف فيها الآذان ، لما يحكيه الزمان والمكان من أنباء أبى الأنبياء ابراهيم ، وابتلاء الذبيح المفتدى اسماعيل ومولد محمد ﷺ ونشأته وسيرته إلى بعثته حتى زهق الباطل ، وولت جحافل الشرك الأدبار ، وأكمل الله الدين وتمت به على البشرية النعمة ، وقامت الأمة التى امتن الله بها وهو يوحى إلى مصطفاه من فوق سبع سموات فى حجة الوداع يوم الحج الاكبر - عرفات -

﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ
فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ
نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾ .

(المائدة /٣)

وكان المسلمون ، كما قال الله تعالى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ
تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ ﴾

(آل عمران /١١٠)

ورضى الله عن الخليفة الراشد عمر فقد قال وهو يذكر هذه الآية « أيها الناس من سرّه أن يكون من تلكم الأمة ، فليؤد شرط الله فيها » حكاه قتادة ، كما ذكر العلامة الألوسى فى تفسيره « روح المعانى » جـ٤ ص٢٨ .

وفريضة الحج خليقة بأن يعرف أحكامها وحكمها المسلمون بعامة وأن يعرف ذلك بخاصة وفد الله إلى أشرف البقاع وأكرم المنازل ، حتى يكونوا على بينه من أمر الله وسنة مصطفاه وهم يتمون الحج والعمرة لله .. بعد أن أوجب الله الفريضة الخاتمة فى ختام آيات نوّه فيها بأول بيت قام على أرض الله مخلصا لوجهه وفيه معالم الخير ، ومنابع الأمن ، وجوامع الذكر والطهر قال تعالى :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا
وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ
كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ
وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾

(آل عمران /٩٦ ــ ٩٧)

ورطبت الأفئدة فى سورة البقرة آيات بناء إبراهيم وإسماعيل البيت « بواد غير ذى زرع » سورة إبراهيم /٣٧ بعد أن بوأ الله لخليله « مكان البيت » (سورة الحج /٢٦) .

وتابع وإسماعيل أمر الله ، كما قال :

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ
ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ
﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا
مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ
فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾

(البقرة / ١٢٧ ــ ١٢٩)

تجد التوجيه الكريم فى هذه الآيات وهى تستعين بذكر الله على انجاز ما شمروا له وأخذوا به أنفسهم من صوالح الأعمال ، وأن يلفتوا إلى ذلك الأبصار ، ويشحذوا الخواطر والهمم لأخذ ما نيط بإبراهيم وإسماعيل وهدوا إليه كما فعل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فكان البيت ﴿ مثابة للناس وأمنا ﴾ (البقرة /١٢٥) وكان البيت كله ﴿ آمنا ﴾ (البقرة /١٢٦) وإبراهيم /٣٥ وجلّت منة الله وهو يقول :

أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا
وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ

(العنكبوت /٦٧)

وبقيت الكعبة البيت الحرام ﴿ قياما للناس ﴾ (المائدة /٩٧) فى حين تقوم الساعة « قوام دنيا وقوام دين » وقيام أصلها قوام قلبت الواو ياء لمناسبة الكسرة قبلها ، والكلمة فى أول سورة النساء ﴿ أموالكم التى جعل الله لكم قياما ﴾ ٥ ــ النساء

قال صاحب تفسير المنار فيها قال الراغب : القيام والقوام اسم لما يقوم به الشيء ويثبت كالعماد والسفاد وذكر الآية ، وفسرت فى الكشاف ــ للزمخشرى ــ بقوله : «أى تقومون بها وتنتعشون ، ولو ضيعتموها لضعتم» تفسير المنار جـ٤ ص٣٧٨ .

وهذا القدر من الفهم يدنى من مراد الله فى آية المائدة ، ففى عز الكعبة عز الإسلام والمسلمين ، وهيبتهم بقدر قيامهم دونها ، وانطلاقهم منها إلى أمور دينهم ودنياهم ، ولعلى ألمح الى ما قال الامام القرطبى فى ذلك جـ٦ ص٣٢٥ «قياما للناس» أى صلاحا ومعاشا لأمن الناس بها ، حتى قال يقومون بها ، ويقومون بشرائعها اجل ، بقيت الكعبة البيت الحرام قياما للناس ، ترفل فى الأمن والسعة ويرد الله عنها بغى البغاة ، ويَبُك أعناق الجبابرة عنها حابس الفيل كما كان ذلك تكريما وإرهاصا برسالته صلوات الله عليه .

وأنت واجدٌ الحج ومايتصل به حديثا عجبا فى سورة البقرة وآل عمران والتوبة وابراهيم والحج والقصص والعنكبوت والفيل ، وهو ان كان الماحا فى مواقف وبسطاً فى اخرى فلقد تكفلت السنة المطهرة وحج النبى ﷺ بالتفصيل الذى يشفى العليل ويروى الغليل ، ويضيىء الى كمال النسك السبيل .

وقد مرت بك آيات «وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا» إلى آخر «إنك أنت العزيز الحكيم» .

وتطالعك آيات تحويل القبلة ومافيها من معانى الاعزاز والاعتراف بما أجرى الله على يد الخليل من نعمة بناء الكعبة .

فاذا قرأت «وَأَتموا الحج والعمرة لله» إلى آخر واذكروا الله فى أيام معدودات» البقرة /١٩٦ .

أخذت أحكاما وآدابا لابد منها للجميع ومنها جواز التكسب المشروع والإفاضة من عرفات ، والمشعر الحرام والذكر الخاص فى « أيام معدودات » .

وتمثل آيات سورة إبراهيم ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ الآيات ٣٥ ــ ٤٠

وآيات سورة الحج ﴿وإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ الآيات ٢٦ ــ ٣٠ فإنك واجد رى الإيمان ، وقرة العين وصدق العزم على إن تعيش مع المكتين وتغدو وتروح بين المسجدين وتستثير ماضيا لابد منه لاتمام المسيرة على الدرب الذى سلكه الله بمحمد ﷺ لنكون مرة اخرى «خير أمة أخرجت للناس» .

تنـــويه

ذكر فى عدد شهر شوال ١٤١٢هـ من مجلة الأزهر الشريف فى باب «الفتاوى» .

بكراهة الإمام مالك وأبو يوسف صيام الست أيام من شوال .

نفيـد الآتى :

ذكر فى «الموطأ» ص ٣١١ فى « كتاب الصيام » الجزء الأول . أن سبب الكراهة هو مخافة البدعة وأن يُلْحِق برمضان ما ليس منه أهلُ الجهالة والجفاء لو رأوا فى ذلك رخصة عند أهل العلم ورأوهم يعملون ذلك . وهذا نص ما ذكر فى «الموطأ» .

والله تعالى أعلم

لذا وجب التنويه .

الفتاوى

إعداد : الأستاذ:عبد المنعم فودة

ما حكم التركة

السؤال من السيد/ س.ى.ع :

رجل ذريته بنات ويريد أن يعطى كل تركته لبناته وزوجته ؟ فما الحكم ؟

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد : بأن للرجل أن يتصرف فى ماله حال حياته كيف يشاء فى حدود الدين الحنيف . فإذا كان هذا الرجل يريد أن يكتب كل أملاكه لبناته وزوجته بغرض حرمان عصبته فهذا حرام شرعاً . ولكن يجوز له أن يوصى لبناته وزوجته بجزء من ماله فى حدود الثلث وان كنا ننصح السائل بأن يتركها لتقسيم لله سبحانه وتعالى فهذا أفضل والله تعالى أعلم .

●●●

حكم حشو الاسنان بالذهب

السؤال من السيد/ ت.ح.ف :

١ ـ ما حكم المضمضة فى الوضوء والاغتسال مع عدم وصول الماء تحت سن الذهب أو الفضة أو البلاتين من الفم ؟

٢ ـ هل يجوز حشو الأسنان المسوسة بأى شىء أو تركيب غطاء لها بمعدن من المعادن كالذهب والفضة والبلاتين ؟

أفيدونا أفادكم الله .

الجـواب :

أما حشو الأسنان والأضراس بما يسد فجواتها فى الصناعة ، أو تغطيتها بمعدن كالذهب أو الفضة أو البلاتين أو أو نحوها ، أو شد بعضها إلى بعض بالأسلاك المعدنية بحيث أصبح الحشو والغطاء كأنه جزء من الأصل متصل به اتصالاً ثابتاً مستقراً ، وكذلك السلك المشدود به . فالظاهر من القواعد العامة أنه لا يجب فى الوضوء والغسل إزالتها ، بل يجرى عليها الماء بحالتها الراهنة ، ولا يجب غسل ما تحت الحشو والغطاء أو الأسلاك لما فى ذلك من بالغ الحرج والمشقة وهما مندفعان فى التشريع .

قال تعالى :

﴿ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ العُسرَ ﴾

وقال تعالى :

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

وأى حرج أشد من الزام المتوضىء والمغتسل إزالة ذلك وهو لم يلجأ إليه إلا للضرورة الصحية ودفعاً لألم شديد .

أما استعمال الذهب والفضة والبلاتين ونحو ذلك فى حشو الأسنان والأضراس أو غطائها فجائز للضرورة . وكثير من الأئمة قد شد أسنانه بالذهب

الفتــاوى

مثل (موسى بن طلحة) و (أبى رافع) و (ثابت البنانى) و (إسماعيل بن زيد بن ثابت) و (المغيرة بن عبد الله) ورخص فيه الحسن البصرى والزهرى والنخعى وأئمة الحنفية . وعند الإمام أبى حنيفة يتخذ ذلك من الفضة فقط وعند محمد من الذهب أيضاً . فقد أبيح من الذهب والفضة ما دعت الضرورة إليه .

●●●

الحج بــدون مــحـــرم

ومخالفة رغبة الزوج فى عدم الذهاب إلى الحج

السؤال من السيدة/ أ.ف.ح :

أنا سيدة مصرية مسلمة ومتعلمة ومتزوجة وأود الحج ولكن زوجى يمنعنى عن أداء هذه الفريضة بمفردى دونه مع ملازمتى لإحدى قريباتى نظراً لعدم سنوح فرصة له لترك أعماله لأنه ليس له معين سوى الله . فهل إذا خالفته وصممت على أداء الفريضة قهراً عنه بمفردى فهل هذا يعنى مخالفة لأصول الدين . وهل أعاقب على ذلك من الله . أرجو إفادتى ..؟

الجـواب :

اطلعنا على هذا السؤال . ونفيد أنه لا يجب الحج على السيدة المذكورة إلا إذا كان معها زوجها أو محرم لها بالغ عاقل ، ولا يحل لها أن تحج بدون زوجها أو محرمها لحديث البخارى ومسلم « لا تسافر امرأة ثلاثاً إلا ومعها محرم » زاد مسلم فى رواية « أو زوج » ولقوله عليه الصلاة والسلام « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفراً يكون ثلاثة أيام فصاعداً إلا ومعها أبوها أو زوجها أو ابنها أو أخوها أو ذو محرم معها » رواه الترمذى وغيره . وعن أبى هريرة عن النبى ـ ﷺ ـ قال « لا يحل لامرأة تسافر مسيرة يوم وليلـــة إلا ومعهـــا ذو محرم عليها » وغير ذلك من الأحاديث التى وردت عن رسول الله ـ ﷺ ـ .

من هذا يعلم أن السيدة إذا سافرت من غير زوجها أو محرم لها كانت آثمة مرتكبـة ما نهى عنـــه رسول الله ـ ﷺ ـ من السفر بدون زوج أو محرم ومرتكبة أيضاً معصية أخرى هى مخالفة زوجها الذى فرض الله على الزوجة طاعته فى غير معصية والذى جعل حقه على المرأة أوجب من حق أبيها عليها كما تدل على ذلك أحاديث كثيرة عن رسول الله ـ ﷺ ـ ويكفينا أن نذكر منها ما رواه الترمذى عن أبى هريرة أن النبى ـ ﷺ ـ قال : « لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » .

وبهذا علم الجواب عن السؤال والله سبحانه وتعالى أعلم .

●●●

مــا حكم الشـــرع

السؤال من السيد/ د.ح.ف :

ما حكم الشرع فى قراءة القرآن فى المسجد ؟

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد

يرجى من السادة القراء الذين لهم استفسارات أو استفتاءات أن يكتبوا مباشرة استفساراتهم أو استفتاءاتهم إلى رئيس تحرير المجلة بمكتبه بالجامع الأزهر .

المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد .. بأنه لا مانع من قراءة القرآن داخل المسجد وبشرط ألا يكون هناك تشويش على المصلين .

والله تعالى أعلم .

●●●

الأضحيـــــة

السؤال من السيد/ ت.ح.ف :

هل يجوز الأضحية بضأن بدون أليه ؟

الجـواب :

الأضحية بكبش أو شاة من الضأن بدون أليه تجوز إذا كان ذلك خلقة بأن خلقها الله بدون ألية . أما إذا قطعت الأليه منها فانها لا تجزىء أضحية .

والله أعلم .

●●●

س : سيدى الفاضل انى مواطن مصرى فى الغربة ولى سؤال فى غاية الأهمية حيث أنه يحدد مصير طفلين بريئين والسؤال باختصار هو :

انى مسلم الديانة وقد تزوجت بامرأة غير مسلمة (مسيحية) واستمر زواجنا سبع سنوات أنجبنا خلالها طفلين ولد فى السادسة من العمر وبنت فى الثالثة من العمر .. ومنذ عام طلبت زوجتى الطلاق .. وبعد الكثير من المحاولات اضطررت لطلاقها ومنحها حريتها ولقد سافرت بالطفلين إلى الوطن مصر بحجة ان الطفلين فى حضانتها لصغر سنهما . ونظراً لأن الطفلين مسلمان وأيضاً لصغر سنهما فانى أخشى تأثير والدتهما وباقى أهلها على هذين الطفلين خاصة بعيداً عنى . فهل يحق شرعاً للأم غير المسلمة حضانة أطفالها من أب مسلم وما الحكم ؟

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد فنفيد أن الأصل فى الحضانة للأم ولو كانت كتابية إذا لم يعقل الصغار الأديان وتوفرت فيها الشروط اللازمة للحضانة ما لم يثبت خلاف ذلك .

أما فيما يتعلق بسن الحضانة للصغير فقد نصت المادة ٢٠ من القانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥ م أحوال شخصية ينتهى حق حضانة النساء ببلوغ الصغير سن العاشرة وبلوغ الصغيرة اثنتى عشرة سنة . ويجوز للقاضى بعد هذه السن إبقاء الصغير فى يد الحاضنة دون أجر حضانة حتى فى سن الخامسة عشرة والصغيرة حتى تتزوج إذا تبين ان مصلحتهما تقتضى ذلك والله تعالى أعلم .

●●●

السؤال مقدم من السيد/ خ.م :

امرأة إذا وصل الماء إلى وجهها حدثت لها التهابات شديدة . ولا تريد ترك الصلاة ، فماذا تفعل فى الوضوء ؟

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ..

فنفيد بأنه إذا كان وصول الماء إلى وجه السيدة يحدث لها التهاباً شديداً كما ذكرت وليس لها علاج يمنعه فلها أن تتيمم لكل صلاة وتغسل باقى أعضاء الوضوء مع المسح على الرأس هذا إذا كان الحال كما ذكرت فى السؤال والله سبحانه وتعالى أعلم .

طاقة الرياح

وتقنية الطواحين الهوائية

أ.د. أحمد فؤاد باشا

انطبع العصر الصناعى الذى نعيشه بسمة التوسع الهائل فى استهلاك الطاقة على حساب مخزون الأرض المحدود من مصادر تقليدية تشمل الفحم والبترول والغاز الطبيعى . ومن ثم فإن البشرية تعلق على العلم والتقنية آمالاً كبيرة فى تطوير مصادر جديدة ومتجددة لانتاج الطاقة النظيفة بأقل كلفة ممكنة . فالشمس والأرض والرياح والمياه والنبات والحيوان كلها مصادر لا تنضب لطاقات الإمداد بقدرات كهربية وحرارية وميكانيكية . وسوف نعرض فى هذا المقال للتعريف بطاقة الرياح وآفاق استخدامها للإسهام فى تلبية احتياجات النشاط الإنسانى المتزايد ، خاصة بعد أن أدخلت تعديلات هامة على تقنية الطواحين الهوائية الحديثة لتطوير أدائها وتحسين كفاءتها .

كيف تنشأ الرياح ؟

تنشأ الدورة العامة للرياح من تحرك الهواء تحت تأثير فروق الضغط الجوى ، مندفعاً من مناطق الضغط العالى ومتَّجها نحو مناطق الضغط المنخفض . وتنشأ هذه الفروق بدورها نتيجة لاختلاف معدّلات التسخين فى الجو باختلاف سطح البرّ والبحر وباختلاف ميل أشعة الشمس على سطح الكرة الأرضية . فأشعة الشمس المتعامدة على سطح الأرض فيما بين المدارين تؤدى إلى زيادة تسخين الهواء الجوى ، ومن ثم تقل كثافته وينخفض ضغطه . وكلما زاد ميل الأشعة زاد تبريد الهواء ، وارتفع الضغط الجوى ، كما هو الحال عند القطبين حيث تكاد تسقط أشعة الشمس موازية لسطح الأرض . من ناحية أخرى ، يؤدى دوران الأرض حول محورها إلى دوران الغلاف الجوى معها بنفس الطريقة ، مما يجعل الرياح أيضاً تلف وتدور أثناء تحركها .

وهكذا يتضح أن العوامل المسببة لنشأة الرياح وحركتها هى عوامل كونية من تقدير الله سبحانه وتعالى الذى يحكم أمرها ويدبّر تصريفها لفائدة الإنسان ونفعه ، مصداقاً لقوله عزّ من قائل :

﴿ وهو الذى يرسل الرياح بُشراً بين يدى رحمته ﴾

(سورة الأعراف آية : ٥٧)

وتدلنا دراسات الأرصاد الجوية على أن الدورة العامة للرياح ، بما فيها من تيارات هوائية رأسية وأفقية ، تؤدى إلى احلال الهواء البارد محل الهواء الساخن ، وتعمل بذلك على توزيع الطاقة الحرارية بالعدل والقسطاس طبقاً لما يناسب احتياجات الحياة والأحياء فى مناطق الأرض المختلفة .

ويحتاج الأمر إلى دراسات إحصائية وتجريبية مطوّلة لرسم خرائط توزيع الضغط ودرجة الحرارة على ارتفاعات معينة فى طبقات الجو المختلفة وعلى مدار أيام السنة . كما تقام على سواحل البحار وفى المناطق المكشوفة والأماكن المرتفعة فوق الجبال والهضاب أعمدة ترتفع لأكثر من عشرين متراً ، وتوضع فوقها أجهزة قياس سرعة الرياح واتجاهاتها[1] . ويمكن ـ بعد دراسات تستغرق أعواماً طويلة ـ معرفة متوسط قوة الرياح فى منطقة ما ، والوقوف على ما يتبع ذلك من أحوال تتعلق بسرعاتها واتجاهاتها وأوقات هبوبها وأفضل الطرق لاستغلالها فى انتاج الطاقة المناسبة .

ومن الجدير بالذكر أن تسخير طاقة الرياح ليس بالأمر اليسير ، فربما كانت الرياح فريدة بين مصادر الطاقة فى كثرة تقلّباتها التى تغطى مجالاً واسعاً من السرعات ، فضلاً عن خاصيتها الانتشارية التى تجعل من اتساع جبهتها مصدراً مشتّتاً للطاقة . وينبغى على من يرغب فى السيطرة على الرياح أن يتعامل مع سكونها ونشاطها وتغيرات اتجاهها وسرعاتها على نحو لا يمكن التنبؤ بصورة قطعية ، كما أن توليد كميات ذات قيمة من طاقة الرياح يتطلب استخدام مساحة كبيرة من هبوبها . وقد تبين من البحوث والدراسات التى أجريت فى هذا المجال أن المروحة التى يصل قطرها إلى نحو ثمانية أمتار ، تستطيع ـ فى مواجهة ريح متوسطة ـ أن تنتج حوالى ٢ ـ ٣ كيلووات من الكهرباء ، وهو قدر يكفى احتياجات المنزل المعتاد . ويوجد بالولايات المتحدة الأمريكية أبراج عالية تحمل مراوح ضخمة يبلغ قطر بعضها نحو ٦٠ متراً ، وهى مقامة فى مواقع خاصة على السواحل وتستخدم لإنتاج الطاقة الكهربية .

---

(١) وضع الملاح البريطانى « فرنسيس بوفورت » Francis Beau Fort مقياساً تقريبياً من ثلاثة عشر مرتبة لتصنيف الرياح. وتحديد سرعاتها تبعاً لتأثيرها على بعض الأجسام المألوفة فى حياتنا اليومية ، وأعطى كل مرتبة رقماً ، بادئاً من الصفر كمقياس للرياح الساكنة تقريباً ومنتهياً بالرقم ١٢ الدال على إعصار تزيد سرعته على ١٢٠ كيلو متراً/ساعة . وطبقاً لهذا المقياس فإن سرعات الرياح الأعلى من المرتبة الثامنة ، أى تزيد على ٧٥ كم/ساعة ، لا تصلح للإستخدام فى إنتاج الطاقة نظراً لما تحدثه من دمار وتخريب . راجع فى ذلك : د.أحمد مدحت إسلام ، الطاقة ومصادرها المختلفة ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨ م ص ١٩٣ ـ ١٩٥

تقنية الطواحين الهوائية :

عرف الإنسان طاقة الرياح منذ أقدم العصور واستخدمها فى دفع السفن الشراعية وفى صناعة المراوح الهوائية ذات المحور الأفقى . وهناك من الأدلة التاريخية ما يؤكد أن المصريين القدماء قد استخدموا المراوح التى تدار بالرياح Wind turbines منذ عام ٣٦٠٠ قبل الميلاد فى ضخ المياه لرى الأراضى وطحن الغلال . كما عُثر فى الهضبة الفارسية على طاحونة قديمة كانت تدور حول محور رأسى ، الأمر الذى يوحى بأنها قد طُوِّرت من طاحونة كانت تدار من قِبَل بالأرجل أو بواسطة إنسان أو حيوان يجرّ نهاية عارضة خشبية على طول مسار دائرى .

ولقد استعمل المسلمون فى عصر ازدهارهم الحضارى طاقة الرياح لإدارة الطواحين الهوائية منذ القرن الرابع الهجرى ، حيث كان للرحى ثمانية أجنحة عمودية تقام وراء عمودين ينفذ بينهما الريح كالسهم ، على قائم عمودى أيضاً طرفه الأسفل يحرّك حجراً ، فيدور هذا الحجر على حجر آخر . وقد ذكر الغزولى المتوفى عام ٨١٥ هـ (١٤١٢ م) فى أمر هذه الطواحين ما يبين أن تنظيم سرعتها كان يتم بواسطة منافس تغلق وتفتح فيها ، وذلك لأنها إذا كانت سريعة جدًّا احرق الدقيق فيخرج أسود ، وربما حمى الرحى فانفلق [٣] ويذكر مؤرخو العلم والتقنية أن العرب هم الذين جلبوا الطاحونة الهوائية إلى أوروبا . وسبقت هولندة بلدان أوروبا كلها فى هذا المجال لأنها تتعرض لرياح بحرية قوية دائمة ، فاستخدمت قوة الرياح لضخ المياه إلى شبكة من القنوات وأفادت من ذلك فائدة كبيرة . كذلك ساعدت الرياح الدائمة الشديدة التى تهب على إنجلترا فى استخدام الطواحين الهوائية على نطاق واسع حتى لقد بلغ عددها فى مطلع القرن التاسع عشر حوالى عشرة آلاف طاحونـــة[٤] . وكانت الدانمارك ، وهى من الدول المفتقرة إلى الطاقة ، من أوائل البلاد الأوروبية التى عملت على الإفادة من طاقة الرياح منذ أوائل القرن الحالى ، حيث كانت تملك أكثر من ثلاثة وثلاثين ألفاً من طواحين الهواء بطاقة تبلغ مئات الآلاف من الكيلو وات .

ومنذ الحرب العالمية الثانية ازداد اهتمام الولايات المتحدة وروسيا وإنجلترا وألمانيا ومصر والهند وبلاد أخرى كثيرة بهذا المصدر المتجدد لانتاج الطاقة ، وشرع العلماء والفنيون فى تطوير تقنيات حديثة من الآلات الهوائية المحركة طبقاً لمبدأ « الخلخلة » ، حيث تتكون الآلة الهوائية من مروحة ذات جناحين أو أكثر من الألومنيوم تتغير زاويتها تلقائياً حسب شدة الريح واتجاهها . وتكون الأجنحة مجوّفة من الداخل وتنتهى عند الأطراف بفتحات . فإذا ما دفعت الريح المروحة حدث امتصاص للهواء خلال فتحات المروحة ، ونجم عن هذا الامتصاص خلخلة فى هواء البرج الذى تقوم عليه المروحة فيندفع تيار من الهواء من أسفل إلى أعلى ليدير « التوربين » الهوائى المركب أسفـــل البرج لتحريك مولّد الكهرباء .

وتخطط الولايات المتحدة حالياً لإنشاء محطات للطاقة تستخدم فيها حركة الرياح لإنتاج قدر كبير من الطاقة الكهربية التى ستحتاجها عام ٢٠٠٠ ، حيث قدر العلماء الأمريكيون كمية الطاقة التى يمكن

---

(٢) آدم متز ، الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ترجمة : محمد أبو ريدة ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ، المجلد الثانى ص ٣٦٤ وما بعدها . راجع أيضاً : د.محمد رأفت إسماعيل رمضان و د.على جمعان الشكيل ، الطاقة المتجددة ، دار الشروق ١٩٨٦ ، ص ٩٩ وما بعدها .

(٣) إيجون لارسون ، تاريخ التكنولوجيا ، قصة الاختراعات وأشهر المخترعين ، ترجمة د. مصطفى ماهر ، الجزء الأول (بدون تاريخ للنشر) ، ص ٤٦ ـ ٥١ .

(٤) راجع فى ذلك :

United Nations Economic Commison Fot Western Asia, « New and Reneqable Energy in the Arab World » , Beitut,1981 .

الحصول عليها من الريـــاح بثـــلاثين مليـــار كيلو وات/ساعةفى السنة ، وصنعوا أنواعاً مختلفة من الآلات الصغيرة والكبيرة يتكون بعضها من شبكة كبيرة من الأجهزة لتوليد ما تحتاج إليه مدينة أو مصنع من القـوى الكهربيـة للإضاءة أو إدارة الآلات ، وبعضها الآخر صغير ورخيص جداً لاستعماله فى البيوت والمزارع الريفية . وتعتبر مزارع الطواحين الهوائية فى كاليفورنيا من المشروعات الواعدة للإسهام فى شبكة الطاقة المحلية بما تمثله من مردود يتجاوز حالياً ٦٠٠ مليون كيلو وات/ساعة .

وتجدر الإشارة إلى أن جهوداً مكثفة تبذل فى معامل الأبحاث العلمية لتصميم جيل جديد من الطـواحين الهوائية لاستخرج أعلى نسبة من القدرة الكامنة فى الرياح باستخدام تقنيات مساعِدة لتصنيع مواد جديدة واستحداث نماذج الكترونية متقدمة من أنظمة التحكم وقد نجح العلماء فى تصميم أجهزة تعمل دون أن تتأثر بتقلبات الريح المستمرة أو تغيّرات المناخ العارضة ، ومن المتوقع أن تمثل الطواحين الهوائية فى المستقبل القريب ، بعد جيل أو أكثر ، مصدراً مهمًّا من مصادر الطاقة مثلما كانت حالها منذ قرون . ويزيد من أهمية هذا النوع من مصادر الطاقة أنه لا يسبب أى ضوضاء أو تلوث للبيئة ، ومن ثم يمكن تشييد محطات توليد الطاقة من الرياح بجوار المناطق السكنية دون حدوث ضررٍ ما . وربما يستطيع إنسان الغد بقليل من المعرفة والدراية أن يصنع جهاز توليد هذه الطاقة بنفسه من المواد المحلية المتوفرة ، وأن يفيد منها فى إضاءة بيته الصغير ، أو يُتاح له فى المزرعة طحن الحبوب وعصر الزيوت وتجفيف الخضر والفاكهة ، ورفع المياه من الترع والآبار للرى ، وإدارة الآلات الصغيرة للحرث والحصاد عن طريق « بطاريات » تختزن الكهرباء من إدارة المراوح الهوائية . كما يُتوقع لهذا النوع من الطاقة النظيفة أن يفيد أيضاً فى أغراض أخرى صناعية عظيمة النفع فى مختلف المجالات ، وأن يحظى باهتمام كبير لدى كثير من الدول النامية على وجه الخصوص .

طاقة الرياح فى العالم الإسلامى :

من المنتظر أن تحظى أبحاث طاقة الرياح فى كثير من بلدان العلم الإسلامى باهتمام كبير لتعميم استعمال هذا المصدر فى المستقبل القريب . ويعتبر تطوير برنامج الدراسات المناخية للرياح والخرائط القومية والإقليمية خطوة رئيسية لإجراء أى تقدم ملموس فى هذا المجال . وتؤكد البيانات المتاحة حتى الآن وجود مناطق متميزة لإنتاج طاقة الرياح على طول شواطىء البحر المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربى ، ونذكر من هذه المواقع على سبيل المثال السلوم فى مصر ، وبنزرت فى تونس ، والدار البيضاء فى المغرب ، وجدة فى المملكة العربية السعودية ، والدوحة فى قطر ، والبقاع فى لبنان ، والأحمدى فى الكـــويت ، ومحرق فى البحريـــن ، ومقديشيو فى الصومال ، وغيرها[٥] .

وتتوافر طاقة الرياح اللازمة فى مصر فى كثير من المناطق مثل الساحل الشمالى وساحل البحر الأحمر وشبه جزيرة سيناء وفى منطقة شرق العوينات . وقد تبين من بعض الدراسات التى أجريت فى هذا المجال أن سرعة الرياح فى منطقة العوينات تبلغ فى المتوسط نحو ثلاثين كيلو متراً فى الساعة ، وهى سرعة مناسبة تكفى لتوليد قد من الطاقة الكهربية باستخدام مراوح قطرها حوالى عشرين متراً يمكن عن طريقها استخراج المياه من الآبار « الآرتوازية » لرىّ نحو ٢٥٠ ألف فدان من الأراضى القابلة للزراعة بهذه المناطق . كذلك تبينَّ من بعض الدراسات أن منطقة خليج السويس بها سرعات هواء عالية على مدار العام تصلح لإقامة مجموعة من « التوربينات الهوائية » تصل قدرتها إلى نحو ١٠٠٠ ميجاوات ، وهى تعادل قدرة محطة نووية كبيرة . وهناك مشروعات أخرى لتوليد الكهرباء واستخراج المياه من باطن الأرض فى رأس غارب والغردقة . وتدلنا هذه الأمثلة على أهمية طاقة الرياح فى حياتنا المعاصرة ، ليس فقط من أجل تنمية أفضل لمشروعات حضارية فى المستقبل ، ولكن أيضاً من أجل توفير حياة أفضل للمجتمعات المنعزلة التى تعيش بعيـداً عن المراكـز المباشرة لتوليد الطاقة من مصادرها التقليدية ، وخاصة فى تلك المناطق الصحراويـة والجبليـة التـى تشغـل مساحات شاسعة فى عالمنا العربى والإسلامى . ألا ليت قومى يعلمون كيف يفيدون من بعض ما أودع الله سبحانه وتعالى فى نعمة الرياح من كنوز وخصائص وقوى .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الطاقة النووية مالها وما عليها ..

أ.د. محمد أحمد الناغى*

إن الطاقة النووية قد أصبحت فى عالمنا المعاصر احدى الركائز الأساسية التى تعتمد عليها العديد من الدول المتقدمة والنامية فى المجالات المختلفة للتنمية عن طريق التطبيقات العديدة فى مجالات الزراعة والصناعة والطب . ويدعم صحة هذه المقولة ما يحدث من تناقص سريع فى مصادر الطاقة التقليدية ، حيث تشير تقديرات الوكالة الدولية للطاقة الذرية إلى أن المخزون العالمى من البترول يكاد يكفى لاستهلاك حوالى ٣٠ عاماً ، ومن الغاز الطبيعى حوالى ٤٥ عاما ، ومن الفحم حوالى ٢٠٠ عام ، وذلك حسب المعدلات الحالية للاستهلاك دون النظر إلى معدلات الزيادة والنمو البشرى . ذلك أنه منذ الثمانينات برزت الطاقة النووية كأحد المصادر الأولية للحصول على الكهرباء ، وفى بعض الدول المتقدمة أصبحت المصدر الرئيسى . ففى فرنسا ، على سبيل المثال لا الحصر ، يأتى ٧٠ من انتاج الكهرباء بها من المحطات النووية . ولغة الأرقام تصور الوضع الحالى والمستقبلى بوضوح . فإذا كان المتوسط العالمى لاستهلاك الطاقة للفرد الواحد هو ٨٠٠٠ كيلو واط/ساعة (ك.و.س) فى السنة فان أعلى معدل فى العالم يوجد فى النرويج حيث يبلغ ٢٣,٠٠٠ ك.و.س ، بينما يبلغ فى السودان وبنجلاديش ٥٠ ك.و.س وفى مصر ٨٠٠ ك.و.س ، وهذا التباين الشديد فى معدلات استهلاك الطاقة فى الدول المتقدمة والنامية يبدو أكثر وضوحاً إذا علمنا أن ٦٠٪ من الاستهلاك العالمى للطاقة يتم فقط فى ١٦ دولة متقدمة ، بينما بقية دول العالم تستهلك ٤٠٪ لا غير . وإذا أخذنا فى الاعتبار تعداد السكان فى كل دولة ، فان ٢٥٪ من سكان الأرض (فى الدول المتقدمة) يستهلكون ٦٠٪ من الطاقة العالمية . وإذا أضيف النمو السكانى إلى جانب معدلات التنمية المتزايدة فان احتياجات البشر من الطاقة ستصل إلى أرقام فلكية . ففى الصين مثلاً ، حيث يتحقق معدل تنمية متواضع ٤ ٪ (مقارنة بكوريا الجنوبية حيث يصل إلى ١٦ ٪) ، يقدرون احتياجاتهم فى عام ٢٠٠٠ بحوالى ١٠٠,٠٠٠ ميجاواط (الميجا = مليون) . ولنفهم ضخامة هذا الرقم مقارنة بالانتاج السنوى لمصر من الطاقة الكهربية والذى يبلغ فى الوقت الحالى ١١,٠٠٠ ميجاواط سيتضاعف فى عام ٢٠٠٠م وسيلغ ٤٤,٠٠٠ ميجاواط فى عام ٢٠١٥م مما سبق يتضح حتمية استخدام الطاقة النووية كأحد المصادر الأولية لانتاج الكهرباء . فهل نحن مستعدون ؟

---

* الكاتب : أستاذ الفيزياء النووية بكلية العلوم جامعة القاهرة .

ومما يرفع من أسهم الطاقة النووية ما تراكم حتى الآن من آثار سلبية للاستخدام المتزايد للوقود الأحفورى (الفحم والبترول والغاز) ، مثل ارتفاع متوسط درجة حرارة جو الأرض نتيجة زيادة نسبة غاز ثانى أكسيد الكربون أو ما يعرف بـ « تأثير المستنبت الزجاجى » (Green House Effect) ، وسقوط الأمطار الحمضية الناتجة من ذوبان غاز ثانى أكسيد الكبريت فى بخار الماء الموجود بجو الأرض وما أدى إليه من القضاء على الزرع والضرع ، وكذلك حدوث « ثقب » فى طبقة الأوزون التى تعمل على امتصاص الأشعة فوق النفسجية وتنفذ القدر المقنن منها اللازم لسلامة الحياة على كوكب الأرض .

وفى مؤتمر الكهرباء والبيئة الذى عُقد فى مايو سنة ١٩٩١ م بالعاصمة الفنلندية « هلسنكى » اتضح أن استخدام الطاقة النووية لانتاج الكهرباء يخضع لعدة اعتبارات هى :

١ ـ الاعتبار الاقتصادى ، ويعنى مدى تحمل اقتصاد الدولة المعنية لأعباء مثل هذا النوع من الإنشاءات الباهظة التكاليف وكذلك مدى جدواها .

٢ ـ حجم الاستثمار المطلوب ، ويعنى القدرة المطلوبة من المحطة النووية المزمع إنشاؤها .

٣ ـ مخاطرة الفقد (Risk of Loss) ، وتعنى مدى القدرة على تحمل الخسارة الفادحة إذا حدث وتعرضت المنشأة النووية للدمار لسبب ما .

٤ ـ معدل التنمية ، حيث يكون قليلاً فى الدول النامية وبالتالى لا تحتاج إلى محطات ذات قدرة فائقة ، وقد لفت هذا الوضع انتباه الدول النامية إلى أن ما يستخدم من مفاعلات نووية فى الدول المتقدمة قد لا يتناسب معها .

٥ ـ الأمان النووى ، وهو عنصر حاسم فى اتخاذ قرار بناء مفاعل نووى حيث لا بد من اتخاذ جميع الاجراءات والسبل لحماية البيئة والإنسان من الأخطار النووية .

وقد أثّرت الاعتبارات السالفة الذكر على تصميمات المفاعلات الجديدة ويتلخص ذلك فى النقاط التالية :

١ ـ تقليل الكلفة حتى تصبح المحطة النووية متاحة للعديد من الدول .

٢ ـ تقليل زمن الإنشاء والتركيب .

٣ ـ عمل أنواع قياسية من المحطات النووية حتى تكون جاهزة للتسليم حين طلبها .

٤ ـ عمل أنواع صغيرة تتلاءم مع الدول النامية .

٥ ـ جعل المحطة أقل تعقيداً وأقل اعتماداً على أجهزة الحاسوب .

وبالنسبة لمصر فيبدو أن الاتجاه السليم يسير نحو مفاعلات متوسطة تبلغ قدرتها ٦٠٠ ميجاواط فقط وتعمل بالماء الثقيل حيث يتوافق ذلك مع ظروف مصر طبقاً للاعتبارا المذكورة آنفاً .

ومن الجدير بالذكر أن نشاط الأبحاث النووية فى مصر بدأ بإنشاء هيئة الطاقة الذرية فى فبراير سنة ١٩٥٥ م ، وبنى بها مسرع (معجل) خطّى فى ١٥ يونيو سنة ١٩٥٦ م . وفى ١٨ سبتمبر من نفس العام بدأ بناء المفاعل النووى الأول فى الشرق الأوسط . ومنذ هذا التاريخ قدمت الهيئة خدمات جليلة فى مجال تطوير التقنية النووية واستخداماتها إلى جانب الاسهام فى تقدم ملموس فى مجالات النيوترونات وهندسة المفاعلات وانتاج النظائر المشعة . هذا إلى جانب الدفع بقيادات علمية على المستوى العربى والأفريقى . ولا يزال أمام هذه الهيئة الكثير من مجالات العمل المستقبلية فى :

١ ـ تطوير الصحراء والأمن الغذائى .

٢ ـ إنشاء مسرع (معجل) حلقى (سيكلوترونى) .

٣ ـ علاج السرطان بالأشعاع .

٤ ـ التقنية الحيوية .

٥ ـ البيئة البحرية .

٦ ـ إنشاء معامل الطوارىء .

٧ ـ تحلية المياه .

٨ ـ اقامة مقابر للنفايات النووية .

من ناحية أخرى ، يمكن تصنيف المواد النووية اللازمة للصناعة النووية إلى ثلاثة أقسام :

١ ـ مواد الوقود النووى : وتشمل خامات اليورانيوم والثوريوم بالإضافة إلى البلوتونيوم المتولد من المفاعلات النووية .

٢ ـ مواد الإنشاءات النووية : وتتمثل فى خامات الزركونيوم والنيوبيوم والفاناديوم والبريليوم .

٣ ـ المواد المستخدمة كمبردات ومهدئـــات وقضبان تحكم فى المفاعلات النووية وتشمل خامات الهافنيوم والبورون والبريليوم والتنتالوم والجادولينيوم والكادميوم .. الخ .

وقد بدأت هيئة المواد النووية فى مصر عمليات التنقيب عن الخامات الذرية فى نوفمبر سنة ١٩٥٦ م أمتدت حتى وقتنا هذا . ويمكن تقسيم مصادر اليورانيوم الذى يمثل الوقود النووى الرئيسى إلى :

(أ) مصادر تقليدية،وهى الخامات التى يتم تعدينها وتصنيعها لاستخلاص عنصر اليورانيوم .

(ب) مصادر غير تقليدية،وهى الخامات التى يتم تعدينها وتصنيعها لأغراض أخرى ويمكن انتاج اليورانيوم منها كناتج ثانوى مثل الرمال السوداء ورواسب الفوسفات .

ومن الجدير بالذكر أن عمليات تعدين وتصنيع أحد رواسب اليورانيوم لا بد أن يمر خلال ستة مراحل رئيسية :

١ ـ مرحلة التخطيط وتشمـــل دراسة صور الأقمار الصناعية ودراسة المعلومات الجيولوجية بالإضافة إلى المسح الجوى الاقليمى وتنتهى هذه المرحلة بتحديد البيئات الجيولوجية الصالحة للتنقيب عن الرواسب المشعة .

٢ ـ مرحلة الكشف والتنقيب وتشتمل على معالجة معطيات الكشف الجوى الاقليمى والقيام بعمليات المسح الجوى الاقليمى بالإضافة إلى عمليات الكشف الجيوكيميائى والاشعاعى وتنتهى هذه المرحلة بتحديد وتصنيـــف الشاذات الأشعاعيـــة Rodiation anomalies .

٣ ـ مرحلة متابعة دراسة الشاذات الأشعاعية وتتضمن القيام بعمليات المسح الجوى التفصيلى والمسح الجيولوجى التفصيلى والمسح الاشعاعى الطيفى ، بالإضافة إلى بعض عمليات الحفر الاستطلاعى ، وتنتهى هذه المرحلة بتصنيف وتحديد الاكتشافات المشعة .

٤ ـ مرحلة التقيم الأولى للاكتشاف وهى المرحلة التى تشتمل على عمليات المسح الجيولوجى التفصيلى والمسح الاشعاعى الطيفى التفصيلى بالإضافة إلى عمليات المسح الجيوكيميائى والمسح الجيوفيزيائى الأرضى والحفر المنتظم ، وتنتهى هذه المرحلة بتحديد الاكتشاف سواء أكان راسباً مشعاً أو مجرد تمعدن .

٥ ـ مرحلة تنمية الاكتشاف وهى المرحلة التى تشتمل على عمليات الجيولوجيا التفصيلية والجيوفيزياء الأرضيـــة والـــدراسات المعدنيـــة والبترولوجيـــة والهيدرولوجية ، علاوة على عمليات الحفر المكثف واجراء دراسات الجدوى الاقتصادية واليمتالورجية وبما يؤدى فى النهاية إلى تحديد احتياطيات الراسب المشع .

٦ ـ مرحلة الانتاج ، وفيها يتم الحفر المكثف وتجميع العينات بشكل منتظم وتحليلها بالإضافة إلى دراسات الاستخلاص الكيميائى ودراسة هندسة المعادن والتقيم الاقتصادى علاوة على الدراسات المعدنية والبتروجرافية للخام والصخور الحاوية وبما ينتهى بتصميم المنجم وطريقة التعدين والمصنع الكيميائى وطريقة الاستخلاص .

وقد كُشف النقاب عن وجود ٤ مواقع لانتاج اليورانيوم بمصر لتغطى احتياجات برنامجها النووى للأغراض السلمية ويقع أولها فى جبل « قطار » غرب مدينة الغردقة بحوالى ٦٥ كيلو متر والثانى بمنطقة المسكات والعرضية فى منتصف المسافة بين سفاجا وقنا

الطاقة النووية..
مالها وما عليها

والثالث جنوب شرق أسوان بنحو ٢٨٠ كيلو متر بمنطقة « أم آرا » والرابع فى منطقة شرق أبو زنيمة بسيناء .

ويمكن ترشيد الدراسات النووية بتقيسمها إلى مجالات حسب الموضوعات التالية :

١ ـ القوى النووية وتشمل :
(أ) الحماية والأمان النووى .
(ب) التجهيزات المعملية والسيطرة الكيفية .
(جـ) هندسة المفاعلات .

٢ ـ دورة الوقود النووى وتشمل :
(أ) المواد الخام النووية .
(ب) التخلص من النفايات المشعة .

٣ ـ علوم الحياة والزراعة وتشمل :
(أ) التطبيقات فى علوم الحياة .
(ب) التطبيقات فى الزراعة .

٤ ـ العلوم النووية وتشمل :
(أ) الأطياف النووية .
(ب) الفيزياء النووية .
(جـ) فيزياء الطاقات العالية .

٥ ـ الكيمياء النووية والأشعاعية وتشمل :
(أ) الاستخلاص بالمذيبات .
(ب) انتاج النظائر المشعة .
(جـ) كيمياء الأشعاع والتبادل الأيونى .

ومن الطبيعى أن تؤدى مثل هذه الدراسات إلى بلورة المشاكل والحلول التى تمس جوهر حاضرنا ومستقبلنا من موضوعات الطاقة والماء والبيئة والطب والزراعة والمفاعلات النووية ، تكون أو لا تكون ، وارتباط التكوين الميكرسكوبى فى باطن النواة بتكوين النجوم وفنائها .

العقم التشخيص والعلاج

للأستاذ الدكتور
أحمد رجاء عبدالحميد

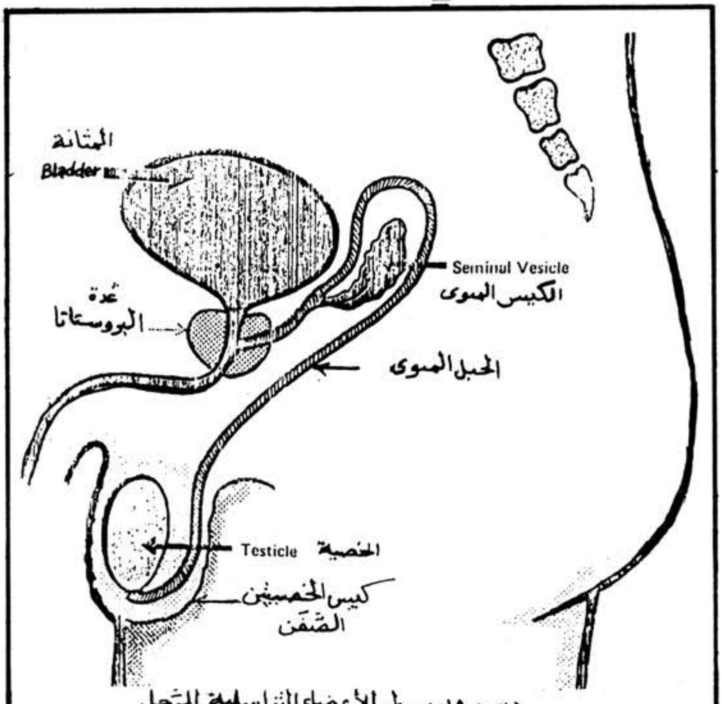

رسم مبسط للأعضاء التناسلية للرجل

كثير من الأمراض يتم تشخيصها وعلاجها ويكون العلاج ثابتا فى جميع الحالات ، فمن ذلك مثلا « التيفوئيد » يعالج بعقار (الكلور مفينيكول) والملاريا بعقار « الكينين » أو مشتقاته وهكذا .. وفى هذه الحالات ـ إذا اختلفت الجرعات ـ فإنها تختلف اختلافا طفيفا حسب السن والوزن والحالة الصحية . ولكن فى حالات تأخر الحمل والعقم ؛ فإن الطبيب يقوم بـ « تفصيل » العلاج حسب كل حالة ؛ فلا يوجد علاج ثابت لكل الحالات ، ولكن يوجد طرق مختلفة للعلاج تختلف باختلاف تشخيص السبب لكل حالة ، وكثيرا ما يكون لتأخر الحمل أسباب وليس سببا واحدا ، فقد يكون هناك ضعف فى (التبييض) فقط ، أو يكون هناك ضعف فى التبييض مع انسداد فى أنبوبى (فالوب) أو يكون هناك سبب فى الزوج وسبب فى الزوجة وهكذا .

دور الطبيب :

أولا : التحديد الدقيق لسبب أو أسباب تأخر الحمل .

ثانيا : مناقشة وممارسة العلاج المناسب مع الزوجين وتشخيص العقم ، هذا التشخيص الذى (نادرا ما يتم فى زيارة واحدة ، ولكن يحتاج كلا الزوجين لأكثر من زيارة إلى الطبيب المعالج . وفى الزيارة الأولى يجب أن يكون الزوجين معا حيث يقوم الطبيب بأخذ تاريخ مرضى كامل مفصل من الزوجين عن مدة الزواج ، وعدد مرات الزواج ، إن كان لكل منهما أو لاحدهما زواج سابق ، وهل حدث انجاب فى حالة تعدد الزيجات ؟ وهذا التاريخ قد يعطى فكرة عن السبب المبدئى للعقم وهل هو فى الزوج أو الزوجة ثم عن عمل الزوج ، وهل يستلزم هذا العمل التغيب عن المنزل لفترات معينة أو للتعرض للحرارة الشديدة ثم عن تاريخ الولادات والاجهاضات السابقة . فى حالة العقم الثانوى وكم مرة كانت ، عن مكان الولادة أو الاجهاض ؟ من الذى باشر الولادة أو الاجهاض ؟ هل حدثت مضاعفات مثل نزيف أو حمى نفاس ؟ وهذا أيضا قد يعطى فكرة عن وجود سبب فى (قناتى فالوب) ناتج عن حمى نفاس مثلا .

ثم بالنسبة للزوجة يسأل الطبيب عن تاريخ الدورة الشهرية فى أى سن بدأت ؟

هل هى منتظمة أم غير منتظمة ؟ ما مدتها ؟ ما كميتها ؟

هل تكون مصحوبة بألم ؟ هل تنزل نقط دم فى وسط الشهر ؟

هل تنزل إفرازات وسط الشهر ؟

وهذه الاسئلة قد تعطى فكرة عن حالة التبييض فى السيدة ، فالدورة المنتظمة والتى تكون مصحوبة ببعض الآلام غالبا ما تكون دورة تبييضية .

وينبغى أن يقوم الطبيب بسؤال السيدة عن التاريخ الجنسى بالتفصيل :

ما متوسط عدد مرات الجماع أسبوعيا ؟ وهل يوجد ألم أو ضيق أثناء الجماع ؟ وإذا كان يوجد هل يكون فى أول الجماع أم فى آخره ؟ أم هو مستمر طوال فترة الجماع ؟ وهل ينزل السائل المنوى فورا ؟ وأخيرا هل تقوم السيدة بالغسيل المهبلى بعد الجماع فورا أم تنتظر حتى الصباح ؟ إذ من الأفضل أن تنتظر إلى الصباح .

ثم يسأل الطبيب عن التاريخ المرضى السابق مثل الأمراض المزمنة ـ السل ـ الضغط ـ مرض السكر ـ والأمراض التناسلية مثل السيلان والتهاب الغدد النكافية .

وأخيرا يسأل الطبيب عن العمليات والأبحاث التى أجريت من قبل ، وهل أجريت بطريقة صحيحة أم لا ؟ وإذا كانت أجريت بطريقة صحيحة ما نتائجها ؟

وهناك بعض الأطباء يقومون بسؤال المريضة عن الوصفات الشعبية التى أجرتها ؛ حيث انها قد تؤثر على الحالة الصحية للمريضة . ومن هذا التاريخ المرضى المفصل تتكون عند الطبيب فكرة مبدئية عن التشخيص ، إذ فى حالات اضطرابات الدورة الطمثية قد يكون السبب كامنا فى ضعف التبييض أو عدمه .

وفى حالات الاصابة بحمى النفاس السابقة قد يكون السبب انسداد فى (قناتى فالوب) أو التهابهما .

والسؤال عن التاريخ الجنسى قد يؤدى إلى اكتشاف ان الجماع يحدث فى فترات متباعدة وبعيدة عن فترة التبييض ، وان العلاج قد يكمن فى تنظيم عملية الجماع بحيث تكون فى فترة التبييض .

كذلك فإن السؤال عن العمليات السابقة والطرق الشعبية ـ وبخاصة التى تكون عن طريق المهبل ـ قد يكون السبب فى وجود التهابات أو التصاقات بالحوض أو التهابات وانسداد بقناتى فالوب بسبب هذه العمليات أو الوصفات الشعبية .

الخطوة التالية

بعد تكوين هذه الفكرة الأولية تبدأ الخطوة التالية وهى فحص السيدة ، حيث يبدأ بفحص عام لحالتها الصحية ووزنها . حيث انه فى حالات الوزن الزائد أو الوزن الناقص (حالتى السمنة الزائدة أو النحافة الزائدة) قد يكون هناك عيوب فى المبيضين والتبييض . ولذلك ينصح السيدة ذات الوزن الزائد بتنظيم وزنها فإن هذا يساعد جيدا على العلاج الفعال .

ثم قياس ضغطها فإذا كان عاليا يجب أن ننبهها إلى أن هناك مرض يتميز بارتفاع فى الضغط وزيادة فى شعر الجسم وانقطاع فى الطمث . كما أنه يجب أن ننتبه إلى أنه فى حالة حدوث حمل عند ذات الضغط المرتفع يجب أن تلقى عناية خاصة .

كذلك يجب فحص القلب والصدر ثم يقوم الطبيب بفحص العلامات الجنسية الثانوية مثل توزيع شعر الجسم هل هو زائد أم لا ؟ وكذلك الثديين من ناحية نموهما أو وجود إفرازات تنزل من (الحلمة) حيث إن هناك هرمون «البرولاكتين» الذى إذا زاد فى الدم يسبب العقم وتظهر زيادته فى صورة إفرازات لَبَنِيَّة من الثدى .

ثم من الواجب فحص البطن للتحقق من خلو السيدة من أورام ظاهرة وكذلك ينبغى الاطمئنان على حالة الكبد وفحص الرأس والرقبة وذلك لاكتشاف وجود ـ أو عدم وجود ـ زيادة فى إفرازات الغدة الدرقية التى قد تؤثر على التبييض ومن أعراضها بروز فى العينين ، وورم بسيط أسفل الرقبة .

ثم الفحص المهبلى :

ويبدأ بالملاحظة : هل توجد عيوب خلقية ؟ وهل توجد إفرازات ؟

ما كميتها ؟ ما لونها ؟ هل لها رائحة غريبة ؟ وذلك لاكتشاف وجود التهابات أم لا ، ثم الفحص اليدوى للمهبل والرحم من ناحية الوضع ؟ هل هو طبيعى ؟ وهناك بعض الحالات يكون الرحم مائلا فيها إلى الخلف وكان فى السابق تجرى لهذا الرحم عملية يتم فيها فتح البطن لاعادته إلى الوضع الأمامى ولكن تبين أن كل ما يلزم فى هذه الحالة هو تغير وضع الجماع كأن تنام المرأة على بطنها ، أو تضع مخدة تحت عجيزتها ، وكانت هذه العملية لها آثار جانبية من ناحية تكون التصاقات بالحوض أو انسداد الأنابيب .

وكذلك فحص حجم الرحم : هل هو طبيعى أم لا ؟ وهل توجد أورام ؟ وهل الرحم مشدود إلى ناحية من الحوض (قد يكون بتأثير التصاقات) أم لا ؟ ثم يأتى دور المنظار المهبلى ووظيفته هو رؤية عنق الرحم هل هو سليم ؟ هل توجد قرحة ؟ هل هذه القرحة ملتهبة أم نتيجة اضطرابات هورمونية ، ثم ينظف عنق الرحم بمحلول مطهر يلى ذلك إمساك عنق الرحم بـ (ماسك عنق الرحم) ويوضع داخل فتحة عنق الرحم (مجس الرحم) لمعرفة طول عنق الرحم والرحم وهل يوجد زوائد (يولييوس) داخل الرحم أم لا ؟

وبهذا ينتهى فحص المرأة الأَوَّلـىّ ونبدأ مرحلة الفحوصات التى تبدأ بتحليل السائل المنوى للزوج .

يتبع بالفصل الأخير

الجديد في العلم والتقنية

إعداد :
د. نجوى السيد أحمد

جهاز للتخلص من روائح المصانع

اكتشف فريق علمي بريطاني أسلوباً عالي الفاعلية لإزالة روائح المصانع غير المرغوب فيها بإستخدام الأشعة فوق البنفسجية وغاز الأوزون ، واستخدم في هذه الطريقة معدّات بسيطة تتألف من اسطوانة رأسية مزودة بمجموعة من مصابيح الزئبق المنخفضة الضغط والمغمورة في الماء قاعدتها . ويتم التخلص من الروائح عن طريق مرورها من خلال رذاذ سائل ليقوم الأوزون بإزالة أي رائحة أو مادة كيماوية عضوية .

* باحثة بالمركز القومي للبحوث

جهـــاز فـــاكـــس يعمـــل بالصـــوت

انتجت شركة أمريكية للكمبيوتر جهازاً جديداً يقوم بترجمة صفحة مطبوعة إلى نبرات صوتية فى أقل من دقيقة . ويعمل الجهاز الجديد بنظام الإجابة على المكالمات بالتزامن مع جهاز « الفاكس » ، والذى بإستطاعته قراءة النص المعد من جهاز الفاكس وترجمة المفردات إلى أصول قواعد النطق بها والتى تم تخزينها مسبقاً فى ذاكرة الجهاز .

فـوائد طبيـة وصـناعية لقشـور الحشـرات البحـرية

اكتشف علماء اليابان أن قشور الأسماك والحشرات البحرية الصغيرة التى تعلق بشباك الصيادين تحتوى على مادة بيوكيميائية تسمى الـ (كيتين) (Chitin) وهى خامة طبيعية نادرة ومُثلى للاستخدامات الصناعية والزراعية والطبية ، كما انها عبارة عن نوع من السكر وتعــرف كيميائيــاً باسم بوليسكاريـــد (Polysaccharide) . ومادة الـ (كيتين) تدخل فى صلب تركيبة القشرة الجلدية الخارجية للأغلبية العظمى من الحشرات والزواحف البرية والبحرية وتتواجد فى الخلايا الجدارية لبعض الفطريات وكذلك فى الأصداف وفى البيوت الخارجية للسلاحف . ونتيجة للتحلل الطبيعى الذى تتعرض له هذه القشور ، يتشكل فى الطبيعة ما معدله ٢٠ جراماً من « البوليسكاريد » فى المتر المربع الواحد سنوياً يجعله ثانى أكثر سكر انتشاراً فى الطبيعة بعد السيلولوز .

الـــــردة لعـــلاج المعـــدة

تم انتاج نوع من الرَّدّة المعاملة والمعقمة بالمعمل المركزى للصناعات الزراعية تستخدم فى علاج أمراض القولــون والسمنــة والإمساك وكانت أفضل نسبــة للاستخدام هى ١٥ جرام فى اليوم بخلطها باللبن الزبادى . أثبتت الردّة فاعليتها فى تخفيض آلام القولون والجهاز الهضمى وإنقاص الوزن .

ريمـــوت كنتـــرول متعـــدد الأغـــراض

طور الأمريكيون الريموت كنترول لكى يتحكم فى العديد من الأجهزة الالكترونية عن بعد ودون أى جهد يبذل ، ولا يقتصر عمله على التليفزيون فقط ، فعن طريق الضغط على المفتاح المناسب بالريموت الجديد يمكننا تشغيل أو إيقاف المسجل ، أو رفع أو

خفض صوت الراديو أو التليفزيون أو تغيير الأسطوانة الموجودة داخل جهاز الأسطوانات أو تشغيل شريط كاسيت .

حلقات من الغبار حول الشمس

صرح أحد علماء الفلك اليابانيين باكتشاف وجود حلقات من الغبار حول الشمس وقد أمكن اثبات ذلك عملياً أثناء الكسوف الكلى للشمس ، فقد قام فريق من العلماء اليابانيين بتثبيت كاميرا متطورة فى بالون ارتفع أكثر من ٢٠ ميلاً فى الجو واستطاعت الكاميرا تصوير الكسوف الكلى ، وبمساعدة الكمبيوتر وتحليلات الضوء المرئى والأشعة تحت الحمراء استطاعوا تقديم صورة واضحة الحلقات .

جهاز يعمل كمسطرة حاسبة

تم إنتاج جهاز يعمل كمسطرة حاسبة ، إذا مرر على مخطط ما ، يمكن تحديد الأطوال والمساحات والحجوم الموجودة بشكل دقيق . والجهاز لا يتعدى وزنه ثلاث أوقيات ، ويستطيع خزن ٤٢ قياساً لتصاميم مصغرة أو مكبرة، كما يمكن برمجته بطريقة تمكنه من قياس نسب غير عادية .

الهيدروجين وقود جديد للسيارات

توصل العلماء الألمان إلى فكرة استخدام غاز الهيدروجين الذى شاع استخدامه فى مطلع هذا القرن فى مناطيد نقل الركاب كمصدر نظيف للطاقة للحد من التلوث البيئى . ولكن لكونه غازاً سريع الاشعتال فقد تم تخزينه بشكل سائل وتم صناعة محركات للطائرات والسيارات بنظام يسمح بتخزين الهيدروجين السائل فى خزان وقود يعمل بواسطة ضغط الهواء .

فرن جديد لفصل المعادن الخام المنصهرة

ابتكر المهندسون فى جامعة برمنجهام البريطانية فرناً جديداً لصهر المعادن ، يعد أول فرن فى العالم لانتاج ٣ معادن مختلفة فى آن واحد من خام مخلوط . تعتمد عمليات فصل المعادن على مجموعة من العمليات المعقدة التى تعتمد على الأكسدة والضغط المنخفض ويتكون الفرن من حجرتين بينهما حجرة للتفاعل وتربط بينها قناتان يدخل فى احداهما غاز خامل يساعد على عملية الأكسدة ، وتصل درجة حرارة الفرن إلى أكثر من ١٢٥٠ درجة مئوية .

أحـــدث جهـــاز هـــاتف

قدمت احدى الشركات الأمريكية أحدث انتاجها وهو جهاز هاتف مزود بشاشة قياسها ٥ بوصة تعمل بواسطة الكريستال السائل تقوم بعرض دليل الهاتف الخاص : أى اسماء وأرقام الهاتف التى يدخلها مستخدم الهاتف إلى ذاكرة جهازه التى تتسع لأكثر من ألف اسم ورقم . والمثير فى هذا الهاتف انه يقوم بطلب الرقم المعروض على شاشته بواسطة لمسها . ويكرر عملية طلب الرقم ٥٠ مرة فى حالة ما إذا كان الخط مشغولاً ، بالإضافة إلى العديد من الخدمات كعرض رقم هاتف الإنسان المتصل على شاشته فى أثناء رنين جرسه .

آلـــة لنحـــت الرســـومات على الاجزاء الاسطوانية والمخروطيـة

أنتجت احدى الشركات الفرنسية آلـة لنـحت الرسومات على الأجزاء الأسطوانية والمخروطية أو ذات الأشكال الأخرى مثل الكئوس . وتقوم هذه الآلة بالنـحت على أجـزاء يصل قطرهـا إلى ٢٧٠ مم وطـــولها ٤٢٠ مم . وبالنسبة للنحت على الزجاج فإن مخروطاً فارغاً يضمن ثبات الجزء الزجاجى المطلوب نحته دون شد الأحرف . وهذه الآلة سهلـة الاستعمال ويتم تشغيلها والتحكم فيها عن طريق حاسب آلى .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

المساواة فى الإسلام

للدكتور على عبدالواحد وافى

إعداد وتقديم/ عبد الفتاح حسين الزيات

المساواة مبدأ من المبادىء التى قام عليها الإسلام ويحيا به المسلمون . صافية نفوسهم نقية قلوبهم خالصة ضمائرهم فأصبح المسلمون أمام القانون ، وفى الحقوق العامة سواء ، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى .

ولأن الله أراد أن ينزع من قلوب المسلمين كل ما يؤدى إلى التباغض والشحناء عمل على أن يكون المسلمون قدوة لغيرهم فى كل ما يؤدى إلى خيرهم .

قال الاستاذ رحمه الله :

لم يصل أى تشريع سماوى أو وضعى فى مبلغ الحرص على مبدأ المساواة إلى ما وصل إليه الإسلام ، فقد قرر الإسلام مساواة الناس أمام القانـون ومساواتهم فى الحقوق العامة السياسية وغيرها ، وقرر ألا تفاضل بينهم إلا على أساس أعمالهم وكفاياتهم وما يقدمه كل منهم لربه ونفسه ووطنه والمجتمع الإنسانى . فقضى بذلك على نظام الطوائف وأساليب التفرقة بين الطبقات فى الحقوق والواجبات . وفى ذلك يقول الله تعالى :

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾

ويقول عليه السلام فى خطبة الوداع التى جعلها دستوراً للمسلمين من بعده وجمع فيها أسس الدين الإسلامى : « أيها الناس : إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا لأبيض على أحمر ؛ فضل إلا بالتقوى . ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد ؟ ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب » ويقول عمر ــ رضى الله عنه ــ فى وصيته لسعد بن أبى وقاص : « إن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته ؛ فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء » ويقـول فى وصيتـه للخليفة من بعده : « اجعل النـاس عنـدك سواء ، لا تبال على من وجب الحق ثم لا تأخذك فى الله لومة لائم ، وإياك والأثرة والمحاباة فيما ولاك الله » .

ولم يكن الأمر مقصوراً على وضع قواعد وتقرير مبادىء ، بل إن التاريخ لينبئنا أن هذه المبادىء كانت منفذة بحذافيرها أدق تنفيذ فى عهد الرسول عليه السلام وفى عهد الخلفاء الراشدين من بعده ، أى فى أثناء هذه المرحلة الذهبية التى تمثل مبادىء الإسلام أصدق تمثيل . فقد جاء مرة أسامة بن زيد إلى النبى ــ ﷺ ــ يشفع فى امرأة وجب عليها حد السرقة ، فانتهره عليه السلام وقال مغضباً : « أتشفع فى حد من حدود الله ؟ والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » وتقاول مرة أبو ذر الغفـــارى وعبد زنجى فى حضرة النبى عليه السلام ، فاحتد أبو ذر على العبد وقال له : « يا ابن السوداء » فغضب النبى عليه السلام وقال : « طفّ الصاع ، طفّ الصاع ! ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى أو بعمل صالح » فوضع أبو ذر خده على الأرض ، وقال للأسود : « قم فطأ على خدى » .

وشكا يهودى على بن أبى طالب إلى عمر بن الخطاب فى خلافته ، فلما مثلا بين يدى عمر ، نظر عمر إلى على وقال له : « اجلس يا أبا الحسن » فظهرت آثار الغضب على وجه على . فقال له عمر ما معناه : « أكرهت أن يكون خصمك يهودياً وأن تمثل وإياه أمام القضاء » . فقال على : « لا ! ولكننى غضبت لأنك لم تسوّ بينى وبينه إذ خاطبتنى بكنيتى ، فقلت يا أبا الحسن » (والخطاب بالكنية كان عندهم أسلوبا من أساليب التعظيم) وحدث مرة أن ولداً لعمرو بن العاص ضرب رجلاً من دهماء القوم من المصريين ظلماً فى عهد ولاية أبيه على مصر ، فأقسم المجنى عليه ليشكونه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . فقال له ما معناه : اذهب فلن ينالنى ضرر من شكواك فأنا ابن الأكرمين ، فبينما كان الخليفة مع خاصته وعمرو بن العاص وابنه معهم فى موسم الحج قدم هذا الرجل عليهم وقال مخاطباً عمر : « يا أمير المؤمنين إن هذا ــ وأشار إلى ابن عمر ــ ضربنى ظلماً ، وقال اذهب فأنا ابن الأكرمين » فنظر عمر إلى عمرو وقال له : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » ثم توجه إلى الشاكى وناوله درته ، وقال له « اضرب بها ابن الأكرمين كما ضربك » وحدث مرة أن عمر بن الخطاب فى أيام خلافته رأى رجلاً وامرأة على فاحشة ، فجمع الناس وقام فيهم خطيباً ، وقال : « ما قولكم أيها الناس لو رأى أمير المؤمنين رجلاً وامرأة على فاحشة » فقام على وأجابه بقوله : « يأتى أمير المؤمنين بأربعة شهداء أو يجلد حد القذف ، شأنه فى ذلك شأن سائر المسلمين » ، فنكت عمر ولم يعين شخصى المجرمين .

ولم يكتف الإسلام بتقرير المساواة بين الناس أمام القانون وفى الحقوق العامة السياسية وغيرها ، بل عمل كذلك على تقرير أكبر قدر ممكن منها فى الناحية الاقتصادية ، وعلى تقليل الفروق بين طبقات الناس وتقريبها بعضها من بعض ، وأتخذ لذلك وسيلتين : إحداهما الميراث ؛ والأخرى فرض ضرائب على الأغنياء . والإنفاق منها على الفقراء وعلى مرافق الدولة .

أما نظام الميراث فى الإسلام فهو من أمثل النظم لتوزيع الثروات بين الناس . وذلك أنه يقسم التركة على عدد كبير من أقارب المتوفى ، فيوسع بذلك دائرة الانتفاع بها من جهة ويحول من جهة أخرى دون تكدس ثروات كبيرة فى يد فئة محدودة من الناس ، فبفضل هذا النظام الحكيم لا تلبث الثروات الكبيرة التى يتفق تجمعها فى يد بعض الأفراد أن تتوزع ملكيتها بعد بضعة أجيال على عدد كبير من الأنفس وتستحيل إلى ملكيات صغيرة .

وهذه هى أمثل طريقة لتقليل الفروق بين طبقات الناس وتقريبها بعضها من بعض ولحرص الإسلام على الوصول إلى هذه الأغراض حظر على الشخص أن يوصى بشىء من ماله لأحد ورثته ، فقال عليه السلام : « لا وصية لوارث » ؛ وحظر عليه كذلك أن يوصى لغير ورثته بأكثر من ثلث ماله . فأين من هذا النظام الحكيم نظم أوروبا الحديثة التى ينقل بعضها جميع ثروة المتوفى أو معظمها إلى البكر من أولاده ، ويدع بعضها المالك حراً فى أن يوصى بها لمن يشاء ! فتجمعت من جراء ذلك ثروات ضخمة فى يد أفراد محدودين من الناس ، وأثار هذا حفيظة الفقراء ، وأورثهم الحقد على المجتمع ونظمه . فنشأت المذاهب المتطرفة الهدامة ، واضطرب نظام الحياة الاقتصادية أيما اضطراب ، وأدى هذا إلى معظم الانقلابات والثورات العنيفة التى تعرضت لها أوروبا فى العصور الحديثة .

أما الوسيلة الثانية التى اتخذها الإسلام لتحقيق أكبر قدر ممكن من المساواة فى الحياة الاقتصادية ، وهى فرض الضرائب على الأغنياء وصرف ما يجبى منها لسد حاجات الفقراء وللإنفاق على المرافق العامة ، فقد طبقها الإسلام فى أوسع نطاق ، فلم يغادر أية ناحية من نواحى الثروة إلا فرض عليها نوعاً من الضريبة الثابتة أو التصاعدية ، ففرض الخراج على العقار ، وفرض العشر أو نصف العشر على ما تنتجه الأرض ، وفرض الزكاة على جميع مظاهر الثروة الأخرى ؛ فرضها على عروض التجارة وما فى حكمها ؛ وفرضها على الذهب والفضة وما فى حكمها ، وعلى الأنعام ومنتجاتها .

وبجانب هذه الضرائب المقررة أوجب الإسلام التصدق على الفقراء فى مناسبات كثيرة كعيد الفطر والحج ؛ وجعل التصدق على المساكين أو إطعامهم أو كسوتهم كفارة لعدد كبير من الجرائم والخطايا التى يكثر حدوثها .

وفضلاً عن الضرائب المقررة والصدقات التى تقدم للفقراء فى المناسبات السابق ذكرها ، فقد حبب الإسلام إلى الأغنياء التصدق بفضل أموالهم على الفقراء ، وجعل هذا من أكبر القربات وأعظمها أجراً . فقال تعالى يمدح المؤمنين :

﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ سورة الذاريات

وقال :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ

﴿ إن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٤) ﴾

﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ (٩٢) ﴾

﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ
أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ
سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾
ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا
وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾

وأوجب الإسلام على أهل كل حى أن يعيش بعضهم مع بعض فى حالة تكافل وتعاضد ، يرق غنيهم لفقيرهم ، ويسد شبعانهم حاجة جائعهم ، فأكثر عليه الصلاة والسلام من الإيصاء بالجار ، حتى قال : « ليس منا من بات شبعان وجاره جائع » . ويروى أن رجلاً كان عند عبد الله بن عباس وغلام له يذبح شاة ، فقال ابن عباس : « يا غلام لا تنس جارنا اليهودى » ، ثم عاد فكررها ثانية وثالثة فقال له الرجل : « كم تقول ذلك يا ابن عباس ؟! » فقال : « والله إن رسول الله ـ ﷺ ـ ما زال يوصينا بالجار حتى ظننت أنه سيورّثه » أى سيجعل له نصيباً مما نترك .

وقد قضى الإسلام على مبدأ التفرقة بين الرجل والمرأة أمام القانون وفى الحقوق العامة ، فجعل المرأة مساوية للرجل فى هذه الشئون ، فأباح لها التعلم بمختلف أنواعه ومراحله ، بل جعله فريضة عليها فى الحدود الضرورية لها فى شئون دينها ودنياها . فقال عليه السلام : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » . وأباح لها كذلك أن تضطلع بمختلف الوظائف التى يمكنها الاضطلاع بها ولا تتعارض مع واجباتها الأخــرى ولا مع أوضاعهــا فى الأسرة والمجتمع .

وقد سوّى الإسلام بين الرجل والمرأة فى الحقوق المدنية والمالية ، فجعل للمرأة الحق فى أن تملك وتبيع وتشترى وتهب وتقبل الهبة وترهن وتوصى وتعقد باسمها العقود وتتصرف فى مالها بسائر وجــوه التصرف ، بدون حاجة إلى إذن زوجها أو رضاه . وهذه المنزلة من المساواة لم يصل إلى مثلها بعد أحدث القوانين فى أرقى الأمم الديمقراطية الحديثة . فحالة المرأة فى فرنسا مثلاً كانت لا تزال إلى عهد قريب أشبه شىء بحالة الرق المدنى .

فقد نزع منها القانون صفة الأهلية فى كثير من الشئون المدنية ، كما تنص على ذلك المادة ٢١٧ من القانون المدنى الفرنسى إذ تقرر أن « المرأة المتزوجة ـ حتى ولو كان زواجها قائماً على أساس الفصل بين ملكيتها وملكية زوجها ـ لا يجوز لها أن تهب ولا أن تنقل ملكيتها ولا أن ترهن ولا أن تملك بعوض أو من غير عوض بدون اشتراك زوجها فى العقد أو موافقته عليه موافقة كتابية»[(1)] . ومع ما أدخل على هذه المادة بعد من قيود وتعديلات ، فإن كثيراً من آثارها لا يزال ملازماً لوضع المرأة الفرنسية من الناحية القانونية إلى الوقت الحاضر . وتوكيداً لهذا الرق المدنى المفروض على المرأة المتزوجة تقرر معظم قوانين الأمم الأوروبية ، أو يقضى عرفها ، أن المرأة بمجرد زواجها تفقد اسمها واسم أسرتها ، فلا تعود تسمى فلانة بنت فلان ، بل تحمل اسم زوجها وأسرته فتدعى « مدام فلان Madame un tel » ، أو تتبع اسمها باسم زوجها وأسرته بدلاً من أن تتبعه باسم أبيها وأسرتها . وفقدان الاسم رمز إلى فقدان الشخصية المدنية للمرأة واندماجها فى شخصية الزوج ، ومن الغريب أن كثيراً من المتفرنجات من

---

(1) Art. 517. La femme, méme non commune ou sèarèe de biens; ne peut donner, aliener, hypotjèquer, acquerir à titre gratuit ou anérerux, sans le concoars du mari dans l'acte au son consentenmmt par ècrit.

سيداتنا يحاولن أن يتشبهن بالغربيات حتى فى هذا النظام الجائر ، ويرتضين لأنفسهن هذه المنزلة الوضيعة فتسمى الواحدة منهن نفسها « مدام فلان » أو تتبع اسمها باسم زوجها وأسرته ، بدلاً من أن تتبعه باسم أبيها وأسرتها كما هو النظام الإسلامى ، وهذا هو أقصى ما يمكن أن تصل إليه المحاكاة العمياء . وأغرب من هذا كله أن اللائى يحاكين هذه المحاكاة هن المطالبات بحقوق النساء ومساواتهم بالرجال .

وإذا كان الإسلام لم يسو بين الرجل والمرأة فى شئون الإشراف على البيت ومرافق الأسرة والوظائف العائلية والاجتماعية ، فخص كلاً منهما بأمور حرم منها الآخر ، فقد كان ذلك لحكمة بالغة ، وهى مراعاة طبيعة كل من الجنسين وما يصلح له والعمل على صون المرأة من الابتذال . وفى هذا ضمان لصلاح المنزل والمجتمع وتحقيق لمبدأ توزيع العمل .

وإذا كان الإسلام لم يسوَّ بينهما فى الميراث ، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين ، فما ذاك إلا لأن مسئولية الرجل فى الحياة من الناحية المادية وغيرها أوسع كثيراً فى الأوضاع الإسلامية من مسئولية المرأة ، فالرجل هو رب الأسرة وهو المكلف بالإنفاق على جميع أفرادها . على حين أن المرأة لا يكلفها الإسلام حتى الإنفاق على نفسها . فنفقتها واجبة على أبيها أو ولى أمرها أو أقاربها ما دامت لم تتزوج أو فى غير عصمة زوج . ونفقتها واجبة على زوجها ما دامت فى عصمته لا فرق فى ذلك بين أن تكون فقيرة لا تستطيع الإنفاق أو غنية تستطيعه . ونفقتها واجبة على بيت المال إن لم يكن لها زوج ولا عائل ، لا فرق فى ذلك بين أن تكون قادرة على العمل والكسب أو غير قادرة عليه ، فكان من العدالة إذن أن يكون حظ الرجل من الميراث أكبر من حظ المرأة حتى يكون فى ذلك ما يعينه على القيام بهذه التكاليف الثقيلة التى وضعها الإسلام على كاهله وأعفى منها المرأة ضماناً لسعادة الأسرة .

وإذا كان الإسلام لم يسوّ بينهما فى الشهادة فجعل شهادة المرأتين معادلة لشهادة رجل واحد ، فما ذاك إلا لأن ناحية العاطفة فى المرأة تطغى أحياناً على ناحية ادراكها وتمتزج بعناصره ، فتغير كثيراً من صور ما أدركته من حيث لا تشعر هى بذلك ، فاقتضت العدالة أن يتخذ شىء من الاحتياط حيال شهادتها . وإلى هذا يشير القرآن الكريم إذ يقول :

﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ﴾

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

طرائف و مواقف

شهادة

سئل يونس بن عبيد : هل تعرف رجلاً يعمل بعمل الحسن البصرى :

فقال رحم الله الحسن ، والله ما أعلم أحداً يقول بقوله ، فكيف يعمل بعمله ؟؟!

كان والله إذا ذكرت عنده النار ؛ كأنه لم يخلق إلا لها ، وما رؤى قط إلا وكأن النار والجنة بين عينيه : خشية ورجاء لا يغلب أحدهما صاحبه .

قالوا ..

• كان إسلام سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ فتحاً وهجرته نصراً ، وإمارته رحمة .

• المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم .

• تمام التقوى أن تتقى الله حتى تترك ما ترى أنه حلال خشية أن يكون حراماً .

• لأن أرد درهماً من شبهة خير من أن اتصدق بمائة ألف ، ومائة ألف ، ومائة ألف .

• إن الروح نار ، فإذا أنت لم تطعمها لتزيد وتقوى تناقصت وخبت ، وخير ما يشعل جذوة الروح هو « القرآن الكريم » ، إنه جوهر الوجود ، وروح الروح .

يدخل النار حياً

• مرت رابعة العدوية ـ رضى الله عنها ـ على رجل معه خروف مشوى ، فنظرت إليه طويلاً وبكت فقال الرجل لها : تريدين أن تأكلى منه شيئاً ؟ فقالت : ما نظرت إليه من قبل الشهوة وإنما نظرت إليه من قبل أن الحيوانات يدخلون النار أمواتاً ، وابن آدم يدخلها حياً .

مع المحبرة إلى المقبرة

• زار أحد العلماء العالم المسلم « البيرونى » وهو على فراش الموت ، فما كان من ـ البيرونى إلا أن سأله عن إحدى المسائل العلمية !!.

فقال العالم الزائر : سبحان الله تسأل عن العلم وأنت مفارقه ؟

فقال ـ البيرونى ـ أفارق الدنيا وأنا أعلم بتلك المسألة خير من أن أكون جاهلاً بها ، وعن فرقد، إمام مسجد البصرة ـ أن جماعة دخلوا على سفيان الثورى ـ فى مرض موته ، فحدثه أحدهم بحديث فأعجبه ، فضرب سفيان ـ يده إلى تحت فراشه ، وأخرج ألواحاً وكتب الحديث فقالوا له : على هذه الحال منك ؟!

فقال : إنه حسن ، إن بقيت فقد سمعت حسناً ، وإن مت فقد كتبت حسناً .

سرعة الإجابة

• قدم رجل على آخر ذى جاه ومنصب فقال ذو الجاه : سل حاجتك ؟ قال الرجل : يدك بالعطية أطلق من لسانى بالمسألة .

السرج خمسة

• قال ابن العماد : السرج خمسة :

سراج فى القلب ؛ وهو المعرفة .

وسراج فى الدنيا ؛ وهو النار .

وسراج فى السماء ؛ وهو الشمس .

وسراج فى الجنة ؛ وهو سيدنا عمر ـ رضى الله عنه .

وسراج فى الدين ؛ وهو سيدنا محمد ـ ﷺ ـ .

طرائف ومواقف

أبلغ ما قيل فى الإقدام

قول قيس بن الخطيم بن عدى الأوسى :

وإنى فى الحرب العــــوان موكل
بإقــدام نفس لا أريــد بقاءهــا

وكذلك قول العباس بن مرداس السَّلَمى :

أشد على الكتيبــــة لا أبَــــالى
أحتفـــى كان فيها أم سواهـــا

حــــــذار

قال الشاعر :

يحج لكيمــا يغفــر الله ذنبــه
فيرجــع قد حطت عليــه ذنـــوب

المستحق لولاية الله

قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما :

ثلاثة من كن فيه ؛ فقد استحق ولاية الله :

حلم أصيل يدفع به سفه السفيه .

وورع يمنعه من المعاصى .

وحسن خلق يدارى به الناس .

عفــــــوك

تعلق أعرابى بأستار الكعبة وقال :

عبدك ببابك ، ذهبت أيامه ، وبقيت آثامه ، وانقطعت شهواته ، وبقيت تبعاته ، فارض عنه ، فإن لم ترض عنه فاعف عنه ، فقد يعفو المولى عن عبده وهو عنه غير راضى .

من أعلام الأزهر

الشيخ أحمد موسى المنوفى

إمام المسجد الكبير بمدينة كلكتا فى بلاد الهند

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

علم من أعلام الأزهر اتسم بالذكاء وسعة الاطلاع والسفر والترحال للالتقاء بعلماء الإسلام فى شتى الدول والأقاليم والبلاد ذاعت شهرته فى بلده بمحافظة المنوفية فى بداية حياته مما دفع طلاب العلم إلى السفر إليه للاستفادة من دروسه التى كان يلقيها هناك فى علوم المعقول والمنقول .

ذلك هو الشيخ أحمد المنوفى بن موسى بن مصطفى بن إسماعيل من عائلة النحولة المشهورة فى محافظة المنوفية بريف مصر[1] .

(١) كتاب الرحلة اليابانية تأليف الشيخ على أحمد الجرجاوى طبعة سنة ١٣٢٥ هـ .

مولده ونشأته :

ولد رحمه الله عام ١٢٨٠ هجرية فى بلدة طاليا التابعة لمركز أشمون أحد مراكز محافظة المنوفية ، ولما درج مدارج الصبا أدخله والده مكتب أحد فقهاء بلدته فحفظ القرآن الكريم حفظا جيدا كما تلقى فيه مبادىء القراءة والكتابة .

ولما بلغ الخامسة عشرة من سنه بعث به والده إلى الأزهر الشريف بالقاهرة وكان ذلك فى عام ١٢٩٥ هجرية فانكب فيه على تلقى العلوم بأنواعها على العلماء من شيوخ الأزهر فى ذلك الزمان فأظهر براعة فائقة وذكاء نادرا حتى أعجب به كل من لازمه فى حلقات الدرس من الطلبة والمدرسين فى ذلك الوقت .

رحلاته وجولاته فى أنحاء البلاد المصرية :

بعد انتهائه من تحصيل العلم فى الأزهر المعمور فاجأته نوائب الزمان بوفاة والده فانصرف عن العلم إلى العمل بالتجارة فى بلده ولكن ما هو إلا عام وبضعة أشهر حتى حنَّ إلى العلم مرة أخرى فابتعد عن التجارة واشتغل بالعلم .

ثم بدا له أن يتجول فى البلاد المصرية والعربية للوقوف على أحوال المسلمين ومدى تمسكهم بدينهم الحنيف :

١ ــ فسافر فى عام ١٣٠٥ هـ إلى صعيد مصر ويمم وجهته إلى مدينة قنا حيث نزل ضيفا على أحد أصدقائه ممن كان يزامله فى طلب العلم بالأزهر الشريف ويعمل قاضيا هناك .

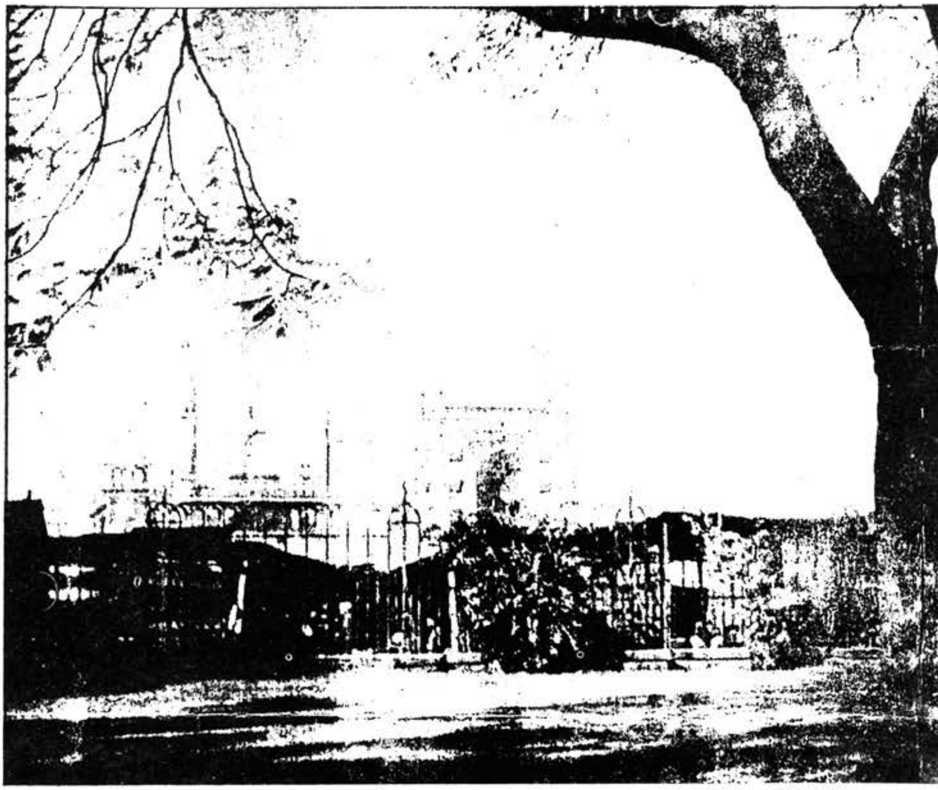

• المسجد الجامع بدلهى من أفخم المساجد وأحبها فى الهند •

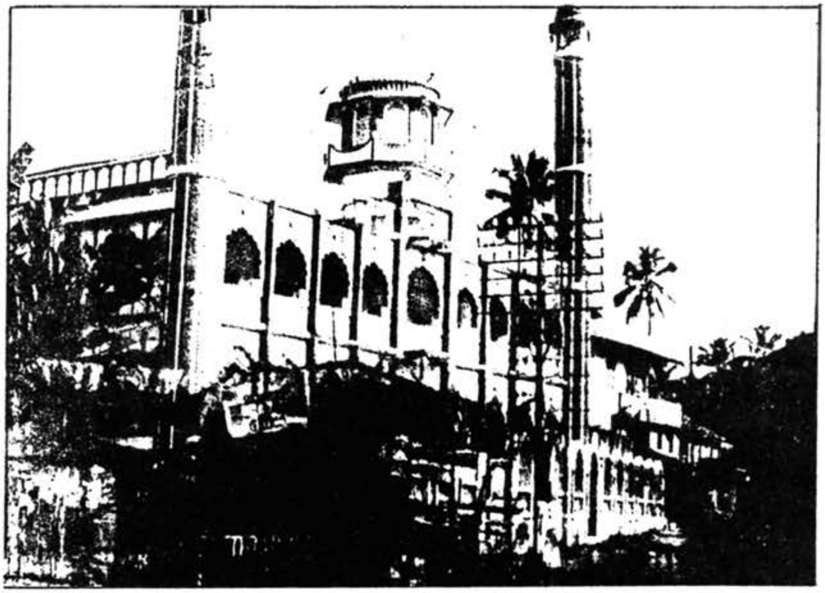

● من مساجد المسلمين بالهند ●

وعندما رآه بعض طلبة العلم تعلقوا به وطلبوا منه اقراء بعض الكتب فلبى طلبهم ودرس لهم العقائد النسفية فى علم التوحيد .

٢ ــ ثم سافر إلى حلفا وهناك تلقاه أحد كبار الضباط فى الجيش المصرى ممن كانت تربطه معه صحبة قديمة فاحتفى به وأكرم نزوله وطلب منه أن يلقى بعض الدروس الدينية لافادة جنود الجيش المصرى هناك ففعل ذلك حيث ألقى عليهم دروسا فى تفسير الذكر الحكيم .

٣ ــ ولما أراد الدخول إلى السودان نصحه صديقه الضابط المصرى بالعدول عن ذلك بسبب الاضطرابات التى كانت تجتاح القطر السودانى بسبب اندلاع ثورة الدراويش فى ذلك الوقت .

٤ ــ وعندما ألح عليه بعض طلبة العلم فى القاء بعض الدروس درس لهم بعض كتب النحو والفقه على مذهب الامام مالك وزادهم دروسا أخرى فى القرآن الكريم والحديث .

٥ ــ ثم توجهت رغبته إلى السفر إلى بلاد الحجاز لاداء فريضة الحج وزيارة قبر النبى ﷺ فكاشف صديقه الضابط المصرى فسهل له لوازم السفر ووجهه إلى مدينة القصير على البحر الأحمر حيث عبر منها إلى بلاد الحجاز عام ١٣٠٧ هجرية .

ولما وصل إلى البلد الأمين مكة المكرمة أدى المناسك عن فريضة الحج وبعد ذلك توجه إلى المدينة المنورة حيث زار قبر المصطفى ﷺ فى روضته الشريفة .

٦ ــ وهناك فى المدينة التقى بالشيخ سيد محمد على السنوسى شيخ الطريقة السنوسية فتعارفا وبسبب المودة التى ربطت بينهما بقى بهامدة تسعة أشهر اشترك معه خلالها فى مطالعة شتى العلوم وقبل رحيله أجازه الشيخ السنوسى بقراءتها لما رآه فيه من الكفاءة العالية والأهلية العلمية ، ثم عاد إلى مكة المكرمة وفيها التقى بالعلامة الشيخ اسماعيل الغراب فلازمه مدة عام حيث كان يطالع معه كتب الحكمة والفلسفة .

٧ ــ ولما سمع من الثناء الطيب على علماء اليمن سافر إلى هناك وقصد بلدة (المروعة) فوصلها عام ١٣٠٩ هجرية فتعرف على علمائها وفى مقدمتهم الأستاذ العلامة السيد حسن عبدالبارى شيخ المدرسين والعلامة السيد محمد الطاهر مفتى البلد[١] .

(١) كتاب الرحلة اليابانية المرجع السابق .

رحلات الشيخ أحمد موسى خارج البلاد العربية :

بعد أن انتهى رحمه الله من زيارته لبلاد اليمن يمم وجهته نحو بلاد الصين فسافر إليها وهناك أخذ يجوب أصقاعها وكلما سمع بأحد علماء الإسلام رحل إليه وأقام معه ما شاء الله له أن يقيم .

وفى تلك البلاد لقى احتفاء به زائداً من علماء الصين فدرس لهم عددا من الكتب فى المذهب الحنفى إذ كانوا يتمذهبون به مع أنه كان هو على مذهب الإمام مالك بن أنس وفى أواخر عام ١٣١٨ هجرية أنهى زيارته لبلاد الصين قفل راجعا إلى بلاد الهند حيث وصل إلى مدينة كلكته عاصمتها وقتئذ ولم تكن تستقر قدمه بها حتى شاع ذكره هناك وسرعان ما التف حوله المسلمون وفضلاء العلماء واحتفوا به احتفاء كبيرا وألحوا عليه بالبقاء وكان على رأسهم عالمهم سماحة الحاج محمد نور زكريا كما استعانوا فى ذلك لاقناعه بالسيد يوسف بن السيد أحمد الزواوى صاحب سلطنة مسقط والذى كان من أعز أصحابه فلم تسعه مخالفته .

ولما رضى بالبقاء هناك سعدوا بذلك سعادة كبيرة فعرضوا عليه إمامة المسجد الكبير فى كلكتا فأجاب طلبهم وعين إماما لذلك المسجد الجامع اعتبارا من غرة المحرم عام ١٣١٩ هجرية كما عهدوا إليه بجميع شئون المسجد المشار إليه فبقى به مبجلا محترما يجله الأمراء ويحترمه العلماء وكل من عرفه من المسلمين هناك .

ولما سمع خلال عمله بالمسجد الكبير فى مدينة كلكتا بعزم الشيخ على أحمد الجرجاوى السفر إلى بلاد اليابان عام ١٩٠٦ ميلادية بعث إليه يعرض مرافقته إلى هناك لينال شرف مشاركته فى ابلاغ دعوة الإسلام وإعلاء كلمة لا إله إلا الله بين شعب اليابان ولكن حالت دون ذلك ظروف مرضه المفاجىء فقام الشيخ على الجرجاوى بالسفر إلى هناك بمفرده[1] .

هل عاد الشيخ أحمد موسى المتوفى إلى مصر أم بقى هناك فى بلاد الهند ؟

لم نعثر فيما بين أيدينا على ما يشير إلى عودة ذلك العالم الأزهرى إلى وطنه فى مصر ويبدو أنه استمر فى إمامة ذلك المسجد الكبير فى مدينة كلكتة يدعو إلى الله ويعلم المسلمين هناك أمور دينهم حتى لقى ربه راضيا مرضيا فى بلاد الهند وكأنه يقول كما قال الشاعر :

إذا كان أصلى من تراب فكلها
بلادى وكل العالمين أقاربى

(١) يرجع فى ذلك إلى مجلة الأزهر ـ الجزء الثانى عشر السنة التاسعة والخمسون ذى الحجة سنة ١٤٠٧ هـ ـ أغسطس سنة ١٩٨٧ م .

الشعر
و
الشعراء

يا أمُّ

للشاعر : محمد عبد الرحمن صان الدين

يا أُمّ صوتك لم يزل فى مسمعـــــــى يَسْرِى سلامـا فى حنايـــا أضلعِـــى
كاللحن فى الوجدان ينـفث سحـــره كالبُـــرْءِ يمشى فى الفــؤاد الموجَـــع
يا أُمّ طيـــفك نصب عينــى ماثـــل فى غفـوتى ، فى يقظتــى ، فى مرتعــى
إن كانت الاقـــدار حالت بيننــــا فيـــدَاك مازالتْ تُهدهـــد مضجعــى
لم أنس يا أمـــاه منـــك أنامِـــلا يا طالما كانت تكفكـــف أدمعـــى
كيـف السلـو ، وأنت منـبت نبعتــى ورياض روحـــى فى اليبـــاب البلقـــع
يا أم ذكـــرك فى الـــلسان مُبـــادِر فى كل رَوْع طارق ، وتوجُـــــع
وكأنـــــه تعويـــــذة عُلْوِيَّـــــة من كل شر فى الحيـــــــاة مُرَوِّع
هل كنت إلا رحمة الله التـــــــى يحيـــا بها الإنسان غيـــرُ مُضَعْضع
هل أنت إلا الأمْـــن والإينـــاس فى داج من العـــيش المَخُـــوف المفـــزع

* * *

آه ، وآهٍ بعـــــد نور قد خبـــــا مَنْ لِى بحصْن للأمــــان مُمَنَّـــع ؟!
من لى بشمس الأمِ تُدفىء مهجتـــــى مَنْ لِى بصـــدْرٍ بالسـكينـة مُرْضـــعـى
لا والــذى فَطَـــر الخلائـــق ماالها مِثْـلٌ بقـــلبٍ بالمحبَّـــة متـــرع

* * *

أمـــاهُ ما برِّى ، وكل ترحُمِـــــى يُوفِى ويُجْـزى عُقْلـــةً مِنْ إصبعـــى
إنى مَقِـــرٌّ ما حَيِـــيتُ على الدُّنـــا بالعجـــز حتـــى فى ابتهال تركعـــى
لكـــن حسبك أن رب الكـــونِ قد أرْسى مقـــامك فى المحل الأرفـــع

وهنـــاك يا أمَّـــاه فى الفـــــردوس فَوْ ق ذُرَا النـــعيم المستـــــديم تربَّعـــــى
فجزيـــــل فضلك لا يُوفِيــــــهِ سوى ربُّ الجزاء بظـــــلٍّ روض مُونـــــع

* * *

قال الحنـــان ـ لسائـــل عن نبعـــه : مِنْ مُهجـــة الأم الرحيمَـــة منبعـــى
قال الضيـــاء ـ لكـــل طفـــل أو فتـــى : من وجـــه أمك فى حيـــاتِك مطلعـــى
قد قالت الدنيـــا بأصدق لَجهـــة : ـ ما الأم إلا آيـــة من مُبـــــدع
شمس الحيـــاة أمومـــة ، وأبُـــوَّة فى العيش تُشْرق فى مشاعر من يعى

* * *

يا من إلى الجنـــات يهفـــو قلبـــه ويرومهـــا فى لهفـــة ، وتطلـــع
سارع إلى أقـــدام أمك تُلفِهَـــا إن جئتها فى ذلـــــة وتخشُّع
الله كرمهـــا ، وأعلى قدرهـــا فى كل آى بالثنـــــاء مرصَّع
ومضى يشيـــد بفضلهـــا وحقوقهـــا فى النـــاس كل مُقَنِّـــن ومشرع

* * *

يأيها الأبنـــاء فى كل الـــــورى إنى أُحَيِّـــى الأم ، حيوهـــا معـــى
بالبر والتكـــــريم ، دون تفضل بدعـــاء قلب راحـــم ، وتضرع
تالله ما خَفَض الجنـــاحَ لأُمِّـــه وأبيـــه إلا كل شهـــم أروع
يعطـــى الأمومـــة والأبـــوة حقهـــا فى العـــيش أو فى الموت غير مضيـــع
إن الـذى عرف الحقائـــق عاش يقـــ ظـــان المشاعـــر ، عينـــه لم تهجـــع

شجرة الليمون

للشاعرة : جليلة رضا

قتلوكِ يا ليمونتى الحسناء
حرموك فى فصل الربيع الماء
فوقفت فى البستان عارية المنى
تتوسطين غصونك الجرداء
وحضنت شباكى الفسيح ضريرةً
تتلمسين بحجرتى الأحياء
وأطلّ وجهُك من خلال ضلوعه
جهم الملامح ، عابساً ، مستاء

* * *

ليمونتى الجرداء : لا لا تخجلى
ما ضاع حُسنك فى الرياض هباء
إن الدمامة والجمال كليهما
يتبادلان الأخذَ والإعطاء
فالموت قد أعطاك سحراً غامضاً
يُضفى عليك قَداسةً عذراء
والموت قد أعطاك حزنا قاسيًا
متوحشاً يستوقف الشعراء
ليمونك الغالى عصرتُ رحيقه
وصنعتُ منه لـ (فِلْذتىَّ)[1] دواء
أنا لستُ باكية عليه بقدرما
أبكيكِ أنتِ ضريرةً صمَّاءَ
أختاه لا تزنى الوفاءَ بروضة
نسيتكِ وازدهرتْ شذًا وسناءً
فلرب عُشبٍ تحت جِذعِكِ غائرٍ
يبغى لأجلك أن يَموت فداءَ ..

* * *

وإذا رأيتِ الناس أكثر قسوة
وأشد من هذى الرياض عداء
يكفيك أن هناك قلباً واحدًا
مثلى .. يشاطرك الشقاءَ .. شقاء
ولقد تصُبُّ الشمس فوقك نارَها
لكنَّ روحك تكشِف الأجواء
وإذا النسيم أبى عليك سلامَه
لن ترهبى فى عُرْيك الأنواء
فمتى الذبيح .. يُحسُّ نزْف دمائه ؟
ومتى الرياح .. تحارب .. العزلاء .. ؟!

(١) فَلْذَتَىَّ ، تقصد : ولدها وابنتها

يا هاجرا

للشاعر : محمد عبد الوهاب جنيدى

يا هاجرا فرض الإلّهِ وَنفلِهِ عُدْ للكريم فإنَّ عفوَهُ واسِعُ
أيليقُ مِنك عقوقُ ربٍّ مُنعمٍ يشفى السَّقامَ ، وفى الملمة يسمعُ

***

ماذا تقولُ إذا المنَيّةُ أنشبتْ أظفارَها ومِنَ الأحبَّةِ تُنزَعُ
وأتاك مِنْ قِبَلِ الإلّهِ ملاِئكٌ ماذا تُجيبُ وأىّ دفْعٍ تدفعُ ؟

***

القبرُ صندوقٌ لِمَا قَدَّمتَهُ إنْ كان خيرًا فالجنانُ المرتعُ
أو كان شرًا كيف تأمن بطشَهُ ؟ فهو الرفيقُ وقد حوَاك المضجعُ

***

وعلى الصرطِ المستقيمِ مسيرُنا هل مِنْ شفيعٍ ..؟ والعبادةُ تشفعُ
أقْبِلْ عَلى النفسِ المسيئة ، رُدَّهَا قد فازَ مَنْ لصلاحِ أمرٍ يَجْمَعُ[1]

(١) محمد عبد الوهاب جنيدى ـ شركة بدر للبترول

شعر الأخنس بن شهاب التغلبي

للأستاذ / أيمن محمد ميدان

تَطَايَرُ عَنْ أَعْجَازِ حُوشٍ كَأَنَّهَا جَهَامٌ أَرَاقَ مَاءَهُ فَهْوَ آيِبُ(1)
وَبَكْرٌ لَهَا ظَهْرُ الْعِرَاقِ وَإِنْ تَشَأْ يَحُلْ دُونَهَا مِنَ الْيَمَامَةِ حَاجِبُ(2)

(١) الحوش : إبل حوشية لم ترض . جهام : السحاب الذى هراق ماءَه وهو أسرع لسيره . أئب : راجع . ويقول التبريزى فى شرحه المفضليات ص ٥٠٠ « .. والمعنى أنهم يتسابقون إلى الشر والحرب عن اعجاز مراكب هذه صفتها ، والمراد أنهم وإن كانوا أصحاب إبل لا خيل ، فمتى دعوا إلى الحرب أجابوا سراعا ... » .
روى بالراوية السابقة فى :
المفضليات ٢٠٥ ، وشرحها لابن الأنبارى ٤١٥ ، وشرحها للتبريزى ص ٥٠٠ معجم ما استعجم ٨٦/١ ، ومنتهى الطلب ٢٩٤ .
●وبرواية ثانية فى الأشباه والنظائر ٢٨٣/٢ ، وشعراء النصرانية ١٨٦/١ ، وأشار إليها ابن الأنبارى فى شرحه للمفضليات ص ٤١٥ :
———— ———— هراق ————
هَرَاقَ لغة فى أراق ، وهراق ماءه أى صبَّهُ . أنظر اللسان « هرق » .
●وبرواية ثالثة فى شرح ديوان الحماسة لأبى العلاء ٨٤ أ :
تطير ———— جون ———— سحاب هراق ————
الجُون : ضرب من القطاسود البطون والأجنحة .
● وبرواية رابعة فى صفة جزيرة العرب : ٢٠٥/١ ، ومعجم البلدان (قِضَة)
يطيروا ———— ———— هراق ————
● وأشار ابن الأنبارى إلى رواية أحمد :
تَطِيرَ عَلَى ———— ————

(٢) بكر بن وائل : قبيلة عظيمة من العدنانية تنسب إلى بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن نزار بن معدّ بن عدنان فيها الشهرة والعدد ، فمنها يشكر بن بكر بن وائل ، وبنو عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل ، وبنو حنيفة ، وبنو عجل ابنا لجيم بن صعب .

كانت ديار بكر بن وائل من اليمامة ، إلى البحرين ، إلى سيف كاظمة ، إلى البحرين فأطراف سواد العراق ، فالأبلة فهيت . وقد تقدمت شيئا فشيئا فى العراق فقطنت على دجلة فى المنطقة المدعوة حتى يومنا هذا باسمهم « ديار بكر » ، وهى بلاد واسعة تنسب إلى بكر بن وائل .....
تعد قبيلة بكر من أعظم القبائل المحاربة ، فقد استعرت نيران الحرب بين بكر وتميم عرفت بأيام مشهورة ، منها : يوم ذى أحثال ، يوم السِّتار ، يوم سلمان ، يوم الهزبر يوم زبالة ...... ومن أيامهم مع بنى تميم يوم العُظالى ، وهو آخر وقعة كانت بينهما فى الجاهلية ، ومن وقعاتها الحربية يوم الوقبى ، كان بينها وبين بنى مازن ، ويوم قراقر كان لمجاشع على بكر . ووقعة كانت بين بكر وبنى سليط فى موضع يقال له : جِداب فى حزن بنى يربوع ... ويوم الفلج كان بين بكر بن وائل وبنى كعب بن ربيعة .
وقد غزت هذه القبيلة تخوم الامبراطورية الفارسية ، فجهز الملك شابور حوالى سنة ٣٣٠ م جيشا لتأديبها ، فقتل وسبىٰ وأسر عددا كبيرا من الأسرى فى فارس ..... وكان للنعمان بن المنذر من ملوك لخم بالعراق كتيبة يقال لها : الصنائع وهم صنائع الملك ، أكثرهم من بكر ....
واشتعلت نيران الحرب بين بكر وتغلب حوالى أوائل سنة ٤٩٠ م ... أربعين سنة ... وقد أصلح بين بكر وتغلب ابنى وائل الملك عمرو بن هند ، فقد أخذ من الحيين رُهُنا من كل حى مائة غلام ؛ ليكف بعضهم عن بعض ، فكان أولئك الرُّهُن يكونون معه فى مسيرة ، ويغزون معه فأصابتهم سموم فى بعض مسيرهم ، فهلك عامة التغلبيين ، وسلم البكريون ، فقالت تغلب لبكر : اعطونا ديات ابنائنا ، فإن ذلك لكم لازم ، فأبت بكر بن وائل ، فحكم عمرو بن هند أنه لا يلزم بكر بن وائل ، ما حدث على رهائن تغلب ، فتفرقوا على هذه الحال » .

« حاجب : مانع . والمعنى : لها هذا وإن أتاها خوف وشاعت أن يمنعها منه مانع من اليمامة قدرت على ذلك : أى لها باليمامة من يمنع ضيمها : يعنى بنى حنيفة : وحنيفة بن لجيم أخو عجل بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل » .
روى بالرواية السابقة فى :
المفضليات ٢٠٥ ، وشرحها لابن الأنبارى ٤١٥ ، وشرحها للتبريزى ٥٠٠ ، والأشباه والنظائر ٢ / ٢٨٤ للأخنس بن شريق التغلبى .
وبرواية ثانية فى :

وَصَارَتْ تَمِيمٌ بَيْنَ قُفٍّ وَرَمْلَةٍ ... لَهَا مِنْ جِبَالٍ مُنْتَأًى وَمَذَاهِبُ(٣)

منتهى الطلب ض ٢٩٤ ، ومعجم ما استعجم ٨٦/١ :

ـــــــ بَرٍّ ـــــــ ـــــــ ـــــــ

البَرّ – بالفتح – خلاف البحر .

وبرواية ثالثة فى : الجمهرة ٢٠٦/١ ، وشعراء النصرانية ١٨٦/١ .

ـــــــ بُرٍ ـــــــ تَخَفُ ـــــــ

وأشار إليها أيضا ابن الأنبارى فى شرحه ص ٤١٥ ، ونص على أنّها رواية أبى جعفر . وردت فى « معجم البلدان » . قِضَة .

وبرواية رابعة فى : صفة الجزيرة ٢٠٥/١

ـــــــ أرْضُ ـــــــ ـــــــ

وبرواية خامسة فى شرح الحماسة لأبى العلاء ٨٤ أ

ـــــــ صَحْنُ ـــــــ ـــــــ

والصَّحْنُ : المستوى من الأرض .

وأشار التبريزى فى شرحه للمفضليات ص ٥٠٠ إلى هذه الرواية .

(٣) تميم بن مُرّ : قبيلة عظيمة من العدنانية تنتسب إلى تميم بن مُرّة بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . كانت منازلهم بأرض نجدَ دائرة من هنالك على البصرة واليمامة حتى يتصلوا بالبحرين ، وانتشرت إلى العذيب من أرض الكوفة ، ثم تفرقوا فى الحواضر ، ولم تبق منهم باقية ، وورث منازلهم الحيّان العظيمان بالشرق غزية من طى ، وخفاجة من بنى عقيل بن كعب .

من منازلهم : صلب ، رهبى ، مغنى المثنى ، الحيار ، الدهناء ، الاحساء وسحنان ، والرمادة ، وبرة ، الحيرو .... ومن جبالهم : عُطالة .... ومن أوديتهم : ذو عشرة وكُلَية . ومن مياههم : حَمْض ، وحيضة ، كِنْهل ، الجفار ، أُوراه .... عُنْطوان تكُدّ ، نطاع ، والكُلاب .

تمتاز هذه القبيلة بتاريخها الحربى فى الجاهلية والإسلام ، فمن وقعاتهم أن كسرى قد توّج هوذة بن على الحنفى وضم إليه جيشا من الأساورة فأوقع ببنى تميم يوم الصفقة ... ومن أيامهم يوم القصيبة باليمامة ، وهو يوم كان لعمرو بن هند على تميم فانتصر عليهم ، وأحرق منهم ، وأغار النعمان بن المنذر على بنى تميم ومعه بكر بن وائل والصنائع من العرب ، فهزموه .... ولها مع القبائل وقعات كثيرة يمكن العودة إليها فى مظانها ... »

القُفُّ : ما خسن من الأرض واجتمع ، وجمعه قِفاف ، وكل مجتمع منقبض فهو قافٌّ . والجبا : حبال الرمل وهى معاظمها . والمنتأى : مُفْتَعل مِن النأى ، وهو البُعْد ... أى لها بُعْدٌ ومذاهب عن عدوها فلا يصل إليها .

ورد البيت بالرواية السابقة فى :

المفضليات ٢٠٥ ، وشرحها لابن الأنبارى ٤١٥ ، وشرحها للتبريزى ٥٠٠ ومنتهىٰ الطلب ٢٩٥ ، وشعراء النصرانية ١٨٦/١ .

وبرواية ثانية فى :

صفة جزيرة العرب ٢٠٥/١ ، ومعجم ما استعجم ٨٦/١ ، ومعجم البلدان (قِضَة)

ـــــــ ـــــــ جبال ـــــــ

جبال : : واحدها جبل ، ويطلق على كل وتد من أوتاد الأرض إذا عظم وطال .

وبرواية ثالثة فى : الأشباه والنظائر ٢٨٣/٢ .

ـــــــ ـــــــ فى الجبال ـــــــ

وأشار ابن الأنبارى فى شرحه للمفضليات ص ٤١٥ ، وهى :

ـــــــ ـــــــ فى حبال ـــــــ

حبال : واحدها حبل ، وهى قطعة من الرمل ضخمة ممتدة .

وَكَلْبٌ لَهَا خَبْتٌ فَرَمْلَةُ عَالِجٍ إِلَى الْحَرَّةِ الرَّجْلَاءِ حَيْثُ مُحَارِبُ(٤)

وَغَسَّانُ حَيٌّ عِزُّهُمْ فِى سِوَاهُمُ يُجَالِدُ عَنْهُمْ مِقْنَبٌ وَكَتَائِبُ(٥)

---

(٤) كلب : بطن من قضاعة ، من القحطانية ، وهم بنو كلب بن وبرة ـ بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن زيد بن مالك بن حمير ـ كانوا ينزلون دومة الجندل ، وتبوك ، وأطراف الشام ونزل خلق عظيم على خليج القسطنطينية .

ومن أمكنتهم : عقدة الجوف ، الشربة . ومن أوديتهم : قراقر . ومن مياههم : عُراعِر ، الأجداد ، نهيا ، الغُوَيْر ، وخالة . وقد اتخذوا فى الجاهلية بدومة الجندل صنما يُدْعى وُدًا . ودخلوا فى دين النصرانية ثم الاسلام » .

خَبْت : بلد دون الجزيرة ، وقيل : ماء لكندة ، وقيل : إنّها فى ديار كلب الرمّلة : حبال الرمل . الحرّة : الأرض تُلْبَس الحجارة ، وسُميت : الحرّة الرجلاء لأنها ترجِل سالكها ، ولا يقدر فيها على الركوب ، والحجاز كثير الحرار .

روى البيت بالرواية السابقة فى :

المفضليات ٢٠٥ ، وشرحها لابن الأنبارى ٤١٥ ، وشرحها للتبريزى ٥٠١ والأشباه والنظائر ٢٨٣/٢ ، وصفة جزيرة العرب ٢٠٥/١ ، ومنتهى الطلب ٢٩٥ وشعراء النصرانية ٨٦/١ ، ومعجم البلدان (قضة) .

وبرواية ثانية فى معجم ما استعجم ٢ / ٤٨٦ :

ورملة ـــــــ ـــــــــــــــ

(٥) غسّان : شعب عظيم اختلف فى نسبته ، فقالوا : غسّان أبو قبيلة باليمن وهو مازن بن الأزدبن الغوث ـ بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ابن سبأ ـ ، وقالوا : غسّان ماء بسد مأرب باليمن ، وقيل : بالمُشلّل نزلوا به فنسبوا إليه ، وقالوا : غسّان اسم ماء نزل عليه قوم من الأزد فنسبوا إليه ، منهم بنو حنيفة رهط الملوك ، ويقال غسّان اسم قبيلة ، وقالوا : غسّان أبو قبيلة باليمن ، منهم ملوك غسّان ، وماء بين رِمع وزبيد مَنْ نزل من الأزد فشرب منه سمى غسّان ، ومن لا يشرب فلا . وقالوا : غسّان بنو حنيفة والحارث وهو مُحرّق ، وثعلبة وهو العنقاء ، وحارثة ومالك وكعب وخارجة وعوف بن عمرو بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس البطريق ، ويقال : البُهْلول بن ثعلبة بن مازن بن الأزد . وقالوا غسّان اسم ماء نزل عليه بنو مازن بن الأزد بن الغوث ، وهم الأنصار ، وبنو جفنة وخزاعة فسموا به . وقالوا : الغساسنة ملوك الشام ، وهم بنو عمرو بن مازن بن الأزد .

كانت ديار غسّان إذا جزت جبل عاملة تريد قصد دمشق من حمص وما يليها فهى ديار غسّان من آل جفنة . وكانوا عمالا للامبراطورية الرومانية البيزنطية يحمون الحدود الشامية من غارات الفرس واللخميين ، ولم يكن لهم عاصمة معينة ، ومن أهم مراكزهم : الجولان ، ومدينة الجابية ، وجلق الواقعة بالقرب من دمشق ، ومن ديارهم : مَحْبِل .

ومن أيامهم : يوم حارث الجَوْلان ، وهو يوم لغسّان ، ويوم أباغ على لخم ونزار .... وكانوا خبيرين بأخبار الروم وبنى اسرائيل واليونانيين . وكانت النصرانية فى غسّان ، وكانوا يتبارون فى البيع .

وقدم منهم وفد على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى رمضان سنة عشر وكانوا ثلاثة نفر ، فأسلموا ، وأجازهم عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بجوائز ، وانصرفوا راجعين إلى قومهم ، فلم يستجيبوا لهم ، فكتموا اسلامهم ، حتى مات منهم رجلان على الإسلام وأدرك الثالث عام اليرموك ، فلقى أبا عبيدة فأخبره باسلامه ، فأكرمه .

عزهم : مجدهم ومنعتهم . يجالد : يقاتل ويدافع . المِقْنب : الجماعة ، والجمع مَقَانِب يقول ابن الأنبارى : هم ملوك ، ولم يكونوا كثيرا : وكانت الروم توليهم وتقاتل عنهم فعزهم فى غيرهم .

روى بالرواية السابقة فى :

المفضليات ٢٠٥ ، وشرحها لابن الأنبارى ٤١٦ ، وشرحها للتبريزى ٥٠١ ، والأشباه والنظائر ٢٨٤/٢ ، ومنتهى الطلب ٢٩٥ .

وبرواية ثانية فى « صفة جزيرة العرب » ٢٠٤/١ :

ـــــــ فى بيوتهم ـــــــــــــــ

وبرواية ثالثة فى « شعراء النصرانية » ١٨٧/١ :

ـــــــــــــــ تجالد عنهم حسر وكتائب

وَبَهْـــراءُ حَىٌّ قَدْ عَلِمْنَـــا مَكَانَهُـــمْ لَهُـــمْ شَرَكٌ حَوْلَ الرُّصَافَـــةِ لَاحِبُ(٦)

وَغَـــارَتْ إِيَـــادٌ فى السَّوَادِ وَدُونَهَـــا بَرَازِيـــقُ عُجْـــمٌ تَبْتَغِـــى مَنْ تُضَارِبُ(٧)

وأشار ابن الأنبارى ص ٤١٦ إلى رواية رابعة :

ـــــــــــ عزهم فى سواهم يجالـــــــد عنهم حسر وكتـــــائب

وعلّق .. قال أحمد : السَّوَاهِمُ الخيل التى اسودّت وتغيرت من شدّة التعب والسُهْمَةُ : السواد . والحَاسِر : الذى لا بيضة عليه .

وبرواية خامسة فى « معجم البلدان » قِضَة :

وغسّان جِنٌّ غيرهـــــم فى بيـــــوتهم تجالـــــد عنهم حسر وكتـــــائب

(٦) بَهْرَاءُ : بطن من قضاعة من القحطانية . وهم بنو بهراء بن عمرو بن الحاف بن قُضَاعَة . كانت منازلهم شمالى منازل بلى من الينبع إلى عقبة أيلة ، ثم جاوروا بحر القلزم . منهم خلق كثير ، انتشروا ما بين بلاد الحبشة ، وصعيد مصر وكثروا هناك وغلبوا على بلاد النوبة .

وقد انضم هذا البطن فى غزوة مؤتة سنة ٨ هـ إلى هرقل عظيم الروم ، وقدم وفد من بهراء سنة ٩ هـ على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتألف من ١٣ رجلا . معجم قبائل العرب ١/١١٠ .

الشرك : بينات الطريق واحدتها شركة . الرُّصَافة : ناحية حِمْص ، وهى لهشام بن عبدالملك . وقال يعقوب : اللاحب الطريق الماضى المنقاد .

روى بالرواية السابقة : المفضليات ٢٠٦ ، وشرحها لابن الأنبارى ٤١٧ ، وصفة جزيرة العرب ١/٢٠٥ ، وشعراء النصرانية ١/١٨٦ ، ومعجم ما استعجم ١/٦٨ وشرح المفضليات للتبريزى ٥٠١ .

وبرواية ثانية فى منتهى الطلب ٢٩٥ :

ـــــــ قَوْمٌ ـــــــ ـــــــــــــــ

وبرواية ثالثة :

وغَسَّانُ ـــــــــ ـــــــــــــــ

(٧) إياد بن نزار : بطن عظيم من العدنانية ، وهم : بنو إياد بن نزار بن معد بن عدنان منازلهم : منها عين أُبَاغ وما والاها ، الرقمتان ، ذو شعب ، بيضان ، الفضى ، جنّة عريان ، جائر ، حُرَض .... الخورنق وما يليها ، دَيْر الأعور ، ودير الجماجم ، وديرقُرّة تكريت ، الجزيرة ، أرض الموصل ، الحرجية ، أنقرة ، المُسْتَراد وأنقرة . ومن مياههم : تصَاف واللُّفَاظ .

كان لإياد شرف فى أهل تهامة ، ومنزلة فيهم ، وعزّ ومنعة . وفى أوائل القرن الثالث الميلادى انفردت مضر برئاسة الحرم ، فاضطرت إياد لأن تهاجر إلى العراق ، فظعنت إياد من منازلها ، ونزلوا سِنداد بناحية سواد الكوفة فأقاموا بها دهرا ، ثم انتشروا فيما بين سنداد وكاظمة وإلى بارق والخورنق وما يليها ، واستطالوا على الفرات حتى خالطوا أرض الجزيرة ، فكان لهم موضع دير الأعور ودير الجماجم ودير قُرّة ، وكثر من بَعِيْن أباغ منهم حتى صاروا كاليل كثرة .

وقد حاربت إياد الأعاجم ، وهزمتهم بشاطىء الفرات العربى ، ثم غزاهم أنوشروان فقتل منهم ونفاهم عن أرض العراق ، فنزل بعضهم الجزيرة وأرض الموصل كلها فبعث أنوشروان أناسا من بكر بن وائل مع الفرس ، فنفوهم عن تكريت والموصل إلى قرية يقال لها : الحرجية ، فالتقوا بها فهزمتهم الفرس ، وقتلتهم ، فساروا حتى نزلوا بقرى من أرض الروم ، وسار بعضهم إلى حمص وأطراف الشام .

ودانت إياد لغسّان ، وتنصروا ، ولحق أكثرهم بلاد الروم ، فيمن دخلها مع جَبَلَة بن الأيهم من غسّان وقضاعة وغيرهم ، وبقايا من بقاياهم ، فتفرقوا فى أجناد الشام ومدائنها ...... كان لهم كعبة بسنداد تُدْعىٰ كعبة شداد يعبدونها ثم اعتنقوا النصرانية ، ثم الإسلام ، وكان من إياد خطباء يضرب بهم المثل ، وتعلمت العرب الخط منهم ، وعنهم أتت أخبار كثيرة من الأمم الخالية كطسم وجديس .

غارت : دخلت . السَّواد : سواد العراق ، وسمى السواد سوادا لكثرة نخله . برازيق : مواكب واحدتها بَرْزَق وبِرْزِق ، وهو بالفارسية ، وعلق على هذه الكلمة محققا كتاب المفضليات « ..... ولم يذكر هذا المفرد فى المعاجم ، إنما ذكر بِرْزِيق بالكسر وزيادة الياء » . تبتغى : تطلب . وتضارب : تُقَاتِل .

ويقول التبريزى فى تعليقه على هذا البيت « .... يريد أنهم يخالطون الناس من أهل الحضر ، ويشاركونهم فى قراهم ومزالفهم ـ المزالف جمع

وَلَخْمٌ مُلُوكُ النَّاسِ يُجْبَى إِلَيْهِمُ ... إذَا قَالَ مِنْهُمْ قَائِلٌ فَهْوَ وَاجِبُ(٨)

وَنَحْنُ أُنَاسٌ لاحِجَازَ بِأَرْضِنَا ... مَعَ الْغَيْثِ مَانُلْقَى وَمَنْ هَوَ غَالِبُ(٩)

مزلفة وهى كل قرية تكون بين البرّ والريف ـ يطلبون من يجاذبهم لحرصهم على القتال .... » .

روى البيت بالرواية السابقة فى :

المفضليات ٢٠٦ ، وشرحها لابن الأنبارى ٤١٧ ، وشرحها للتبريزى ص ٥٠١ ، وصفة جزيرة العرب ٢٠٥/١ ، ومعجم ما استعجم ٦٨/١ ، ومنتهى الطلب ٢٩٥ .

وبرواية ثانية فى « الأشباه والنظائر » ٢٨٣/٢ :

ـــــــــــ ... طماطم ـــــــــــ

الطُّمَاطِمُ : هو الأعجم الذى لا يفصح .

وبرواية ثالثة فى « الاختياريين » :

ـــــــــــ فدونها ... برازيقُ عُجْمٌ تبتغى وتضارب

عجمٌ : نعت .

وبرواية رابعة فى « شعراء النصرانية » ١٨٦/١ .

ـــــــــــ ... ـــــــــــ عُجْمِ ـــــــــــ

عُجْمِ : مضاف إليه .

(٨) لخم بن عدى : بطن عظيم ينتسب إلى لخم ، واسمه مالك بن عدى بن الحارث بن مرّة بن أدد بن زيد بن يشخب بن عريب بن زيد بن كهلان من القحطانية . كانت مساكنهم متفرقة ، وأكثرها بين الرَّمْلة ومُضَر فى الجفار ، ومنها فى الجَوْلان ومنها فى حُوران .. ومدينة نوى . ومن بلادهم : بفلسطين رفح ، وحَدَس بالشام وقد نزل قوم منهم بمنطقة بيت المقدس ، فدعيت باسمهم ، وتسميها العامة اليوم بيت لحم .

ومنهم آل المنذر ملوك العراق ، وبنو عباد ملوك اشبيلية ، ومنهم بطون كثيرة فى الديار المصرية ، وقد انضمت سنة ٨ هـ طائفة من لخم إلى الروم فى غزوة مؤتة ، وسارت طائفة منهم سنة ١٤ هـ مع هرقل إلى انطاكية ، وحاربوا مع معاوية بن أبى سفيان ضد على بن أبى طالب . وكانوا يعبدون المشترى ويحجون إلى صنم فى مشارف الشام يقال له : الأقيصر ، ويحلقون رؤوسهم .

روى البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢٠٦ ، وشرحها لابن الأنبارى ٤١٧ ، وصفة جزيرة العرب ٢٠٥/١ .

وبرواية ثانية فى « الاشباه والنظائر » ٢٨٤/٢

ـــــــــــ ذو حصونٍ وَعُدةٍ ... وَإِنْ ـــــــــــ

وبرواية ثالثة فى « منتهى الطلب » ٢٩٥/٢ :

وَلَخْمُ ـــــــــــ ... ـــــــــــ

وأظنه تصحيفا . ولَخْم : من قبائل نجد تقيم فى القصيم .

وبرواية رابعة فى « شرح المفضليات » للتبريزى ص ٥٠١ :

ـــــــــــ مُلُوكُ الأَرْضِ ـــــــــــ ... ـــــــــــ

وبرواية خامسة فى « الاختياريين » :

ـــــــــــ ... وَإِنْ قَالَ مِنْهُمْ حَاكِمٌ ـــــــــــ

(٩) لاحجاز بأرضنا : أى نحن مصحرون لا نخاف أحدا فنمتنع منه . وقوله : مع الغيث ما نُلْقَى : أى كلما وقع الغيث فى بلد صرنا إليه ، وغلبنا عليه أهله ... ومن هو غالب : أى كل مَنْ نلقاه فهو مغلوب ونحن غالبون له . غير ابن الأنبارى : أى نحن مفضون ليس لنا شىء يحجز من الجبال نمتنع به . يريد نُلْقَى مع الغيث نحن ومن هو غالب أى والذى له الظفر والغلبة فهو أبدا مع الغيث .

● روى بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢٠٦ ، وفى شرحها لابن الأنبارى ٤١٦ ، ٤١٨ ومعانى أبيات الحماسة ١٠٧ ، وسمط اللآلى ٨٦٨/٢ ، وأشار إلى الرواية أيضا التبريزى فى شرح المفضليات ٥٠٢ ، وفى رسالة الصاهل والشاحج ص ٦٠٢ .

● وبرواية ثانية فى : الحماسة لأبى تمام ٣٠٢ ، وشرحها للتبريزى ٥٠٢ . وشرح المفضليات للتبريزى ٥٠٢ ، وشعراء النصرانية ١٨٦/١ :

ـــــــــــ ... ـــــــــــ ما نلقى ـــــــــــ

تُرَى رَائِــــدَاتِ الْخَيْــــلِ حَوْلَ بُيُوتِنَــــا	كَمِعْــزَىٰ الْحِجَــازِ أَعْجَزَتْهَــا الــــزَّرَائِبُ(١٠)
فَيُغْبَقْــــنَ أَحْلابَــا وَيُصْبَحْــــنَ مِثْلَهَــــا	فَهُــــنَّ مِنَ التَّعْــــدَاءِ قُبٌّ شَوَازِبُ(١١)

● وبرواية ثالثة فى « صفة جزيرة العرب » ٢٠٥/١ :

______________	______________ ما نَلْقَى ______________

● وبرواية رابعة فى « شرح ديوان الحماسة » لأبى العلاء ٨٤ ب :

______________	______________ وما هو غالب

● وبرواية خامسة فى « الأشباه والنظائر » ٢٨٤/٢ :

ونحن أنــــــاس لا حصون بأرضنــــــا	سوى مرهفـــــات تحتـــــويها الكتــــائب

● وبرواية سادسة فى « معجم البلدان » ١١٨/٧ :

______ جُصُونٌ ______	______________

● وبرواية سابعة فى « معجم ما استعجم » « عزب » :

______________	______ نُلْقَىٰ ______ عَازِبٌ

● وبرواية ثامنة فى « منتهى الطلب » ٢٩٥ :

______________	______ تُلْفَىٰ ______

(١٠) الرائدات : التى ترعى لا تعلف فى البيوت فهى ترود المراعى من كثرتها كأنها معزى الحجاز لا يتخذ لها محابس ، وشبّه الخيل المختلفات بمعزى الحجاز وقد ضاقت عنها الحظائر لكثرتها فهى تختلف كيف شاءت لكونها مُخَلاة لا يخافون عليها سلب سالب ، ولا طمع طامع . الزرائب : جمع زَرْب وهو شبيه بالحظيرة تُعْمل من حجارة .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢٠٦ ، وشرحها لابن الأنبارى ٤١٨ ، ومنتهىٰ الطلب ٢٩٥ ، وأشار التبريزى فى شرح المفضليات ٥٠٣ إلى هذه الرواية .

وبرواية ثانية فى : الحماسة لأبى تمام ٢٩٩ ، وشرحها للتبريزى ١٢٤/٢ ، وشرحها للمرزوقى ٧٢٤ ، وشرحها لأبى العلاء ٨٤ ب ، وشرح المفضليات للتبريزى ٥٠٣ ، وشعراء النصرانية ١٨٦/١ وأشار ابن الأنبارى إلى هذه الرواية . ووردت أيضا فى رسالة الصاهل والشاحج ص ٦٠٢ .

______________	______________ أَعْوَزَتْهَا ______________

أعوزتها : ضاقت عن أن تحتويها .

(١١) يُغْبَقْنَ : من الغبوق وهو شرب العشى . ويُصْبَحْنَ : من الصبوح ، وهو شرب الغداة . والتعداء العدو . القُبُّ : الضوامر الخواصر والشوازب : الضوامر ، الواحد شازب . ويعلق التبريزى فى شرحة للمفضليات ٥٠٣ : « ... وقوله أحلابا يجوز أن يريد به : حلبات العدو كأنها إذا عرقت قد حلبها العَدْو ، ويشهد لهذا قوله « فهن من التعداء قب » . ويجوز أن يريد بالأحلاب ما أوثرت به من الألبان صباحا ومساء » .. أحْلاب : جمع حَلَب وهو اللبن المحلوب ، أو بمعنى : أشواطا .

ورد البيت بالرواية السابقة : المفضليات ٢٠٦ ، وشرحها لابن الأنبارى ص ٤١٨ وشرحها للتبريزى ٥٠٣ . والحماسة لأبى تمام ٣٠٢ ، وشرحها للمرزوقى ٧٢٥ ، وشرحها للتبريزى ١٢٥/٢ ، وشرحها لأبى العلاء ٨٤ ب . وشعراء النصرانية ١٨٦/١ .

فى طريق علم اللغة الحديث عند الغربيين

٢

للأستاذ الدكتور توفيق محمد شاهين

لا يعيبنا ان نأخذ العلم عن سوانا مهما كان شأنه ، نستفيد من الصديق والعدو إلى مبتكرات العلم فى اقاصى الأرض . أو لم يأخذ الغرب عنا علومه وفلسفته حينما هم بالنهوض ؟ هم أنفسهم قالوا أن حضارتهم الحديثة مدينة للعرب .

اسمعوا أقوال عظمائهم :

.. قال جورج سارتون مؤلف « تاريخ العالم » كان العرب اعظم معلمين فى العالم زادوا على العلوم التى نقلوها عن غيرهم ، ولولا عملهم لتأخر سير المدنية قروناً عديدة » ..

وقال نيكلسون : « ما المكتشفات اليوم بمحسوبة شيئاً مذكوراً ازاء ما نحن مدينون به للعرب الرواد الذين كانوا مشعلاً وضاء إبان القرون الوسطى المظلمة فى أوروبا » ..

وقال أكثر مؤرخي العلم من الأجانب : « ان الحضارة الإنسانية مدينة للعلماء العرب فى كل فرع من فروع المعرفة ، وانه كان لا بد من ظهور ابن الهيثم والبيرونى والكندى وأمثالهم لكى يتسنى ظهور جاليلو وكيلر وكوبر نيق . وانه لولا أعمال العرب لاضطر علماء النهضة الأوروبية للبدء من حيث بدأ هؤلاء ، ولتأخر سير المدنية عدة قرون » .

وقال د. عبد الحليم منتصر رئيس اتحاد الجمعيات العلمية فى العالم العربى ، تعليقاً على ذلك : اذكر اننى شاهدت فى سقف مكتبة الكونجرس الأمريكية منقوشاً بماء الـــذهب : « ان مصر هى الينبـــوع الأول للحضارات جميعاً ، وأن العصر العربى الإسلامى هو الينبوع الأول للعلوم الطبيعية » .. فشعرت بالزهو ان اكون سليل هاتين الحضارتين ووريث هاتين الثقافتين .

●●●

وانصافاً للحقيقة والتاريخ ، واشادة بالعلم أينما كان مصدره ، وبالعلمـــــاء كيفمــــا كانت انتماءاتهم وأجناسهم .

وفى خطوط عريضة يهمنا ان نضع جهود المحدثين من علماء اللغة الغربيين ، فى سماتها العامة ، ومبادئها الرئيسية ، بدون التعرض لتفسير آرائهم أو مناقشتها ، مراعاة للحال والمقام والمقال .

ونذكر بالتالى نقاطاً ــ فى ايجاز موجز ــ عن حياتهم ونشأتهم وبيئاتهم ، والمجالات التى بحثوها وتناولوها بالبحث والتحليل .. فى نقط تشير ولا تفصل ، وتجمل ولا تناقش لآراء كثيرة ومفيدة فى الحقل اللغوى ، وأحدث النظريات الألسنية للافادة والاستفادة فى دراسة وتدريس اللغات .

فكل محاولتنا فى هذا البحث :

ادخال القارىء أو الطالب أو المتعلم أو المعلم إلى صميم المنهجية اللسانية المعاصرة ومسائلها ، بعرض اجمالى لمبادئها ومصطلحاتها ، وجهود روادها الذين اسدوا جميلاً إلى العلم والعلماء بأبحاثهم المتكاملة أو المكمّلة أو المتتابعة ، دفعاً للقراءة فى (اللغويات) بعدئذ فى تكوين ثقاف لغوى ، علها تقود إلى تعامل سليم وبناء بعدئذ فى تكوين المجال العقلى الذى تحركه اللغة ، أو مجال اللغة التى توجه المسار العقلى فى دنيا الحياة والأحياء .

فلما كانت اللغة ميزة الإنسان الخاصة .. لفتت انتباه المفكرين والعلماء فى القديم والحديث على السواء ، بحثاً ، وتحليلاً ، على معرفة جوانب منها ، من علماء كثيرين وفى مواد مختلفة ، تتصل بعلوم اللغة وطبيعتها فى زواياها المختلفة ، وبيئاتها المتعددة ، وأشكالها وألوانها الكثيرة ، وشعبها المعروفة .

● فقارنوا بين خصائص لغة الإنسان ، ولغة الحيوان التى يتفاهم بها ، للابقاء على معاشه وحياته ، وضروراته ، فإذا أمكن للطفل اكتساب لغة بيئته التى ينشأ بها .... كذلك فان الحيوان يستعمل تنظيماً اتصالياً على قدر كبير من الدقة ، من أصوات هادفة إلى ايصال لغة معينة ، لا يمكن اطلاقاً مقارنتها ــ للآن على الأقل ــ بأية لغة إنسانية لأنها نتيجة طارئة لسلوك غير الإنسان ، مع تنوعها ، ووفائها بالغرض فى شئونه وحياته ومهما كان الإنسان متخلفاً فى كوخ أو غابة ، فهو ــ لغوياً ــ أفضل بكثير من أرقى أنواع الحيوان ، واذكى الطيور ، والحشرات ..

ودرسوا لغة القرد أو الشمبانزى ، والدلفين ، والأسماك ، والنحـــل ، والنمل ... الخ ، وكان من دراستهم المتأنية والمضنية ان خصائص أصواتهم لا تظهر أية سمة من سمات اللغة الانسانية .

لأن الاتصال التنظيمى عند الحيوان مغلق ، وبسيط ، ويرتبط بابعاد غير لغوية وانفعالى ، ومن أدنى مستويات التعبير .

وحتى محاولات التعليم للحيوان ، برغم كونها سارت مركزة وفى عناية لم تسفر إلا عن فهم لبعض المفردات لا تزيد عن المائة لفظة ، والاستجابة لمعطيات هذه الألفاظ : بمهارة أحياناً .. وصدق الله العظيم حين يقول :

﴿ الرحمن ٭ علم القرآن ٭ خلق الإنسان ٭ علمه البيان ﴾

(سورة الرحمن ـ الآيات ١ : ٤)

ولذا كانت خصائص اللغة الإنسانية : الابداعية ، والازدواجية فى التعليم ، والتحول اللغوى ، والانتقال التقليدى ..

وكلها اصطلاحات تتطلب معرفة بالتفسير والشروح ، ومكانها فى مظانها من كتب اللغة واللسانيات . لمعرفة مظاهر اللغة ـ أى لغة ـ حين دراستها ، كواقع قائم بذاته من حيث انها بنية ، ووسيلة تفاهم ، كما يقول (فردينان دى سوسور) . مع ملاحظة عمل المتكلم والمستمع فى الشكل المنطوق والمسموع ، وتحليل العوامل من : إنسان مرسل وآخر مستقبل ، واقامة اتصال بينهما ، ولغة مشتركة يتفاهمانها ، ورسالة لغوية فيها محتوى ، يراد تفهيمه أو افهامه .

• وفى الدراسة الألسنية الكمية أو الاحصائية ، والتى يمكن الافادة منها فى حقل تعليم اللغات ، أظهرت الاحصائيات التى قام بها الباحثون ـ فى هذا المجال ـ على لغات مختلفة تشابه النتائج التى توصلوا إليها احصائياً على النحو التالى :

١ ـ تكوّن الـ ١٥ كلمة الأكثر استعمالاً فى اللغة ٢٥٪ من كلمات النص كله .

٢ ـ تكوّن الـ ٦٦ كلمة الأكثر استعمالاً فى اللغة ٥٠٪ من كلمات النص كله .

٣ ـ تكوّن الـ ١٠٠ كلمة الأكثر استعمالاً فى اللغة ٦٠٪ من كلمات النص كله .

٤ ـ تكوّن الـ ٣٢٠ كلمة الأكثر استعمالاً فى اللغة ٧٢٪ من كلمات النص كله .

٥ ـ تكوّن الـ ١٠٠٠ كلمة الأكثر استعمالاً فى اللغة ٨٥٪ من كلمات النص كله .

٦ ـ تكوّن الـ ٤٠٠٠ كلمة الأكثر استعمالاً فى اللغة ٩٧,٥٪ من كلمات النص كله .

فالألف كلمة على سبيل المثال تشتمل على ٨٥٪ من كلمات النص وتوضحه ، ومنها نفهم كثيراً عن مفهومه ، ومحتواه بالتالى من نصه الدلالى .. ومن هنا يمكن فهم ما كتبته ضمن هذه الأبحاث عن لغة (الاسبرانتو)[1] فى امكانياتها البسيطة فى مفرداتها ، وفى قواعدها بالتالى ، وكيف انها ممكنة علماً وعملاً .. ويمكننا بدراسة احصائية وتخطيطية ان نقوم بدراسة وصنع كتبنا التعليمية بالـذات فى ضوء هذه الدراسات .

• واللغة نشاط مصدره المخ الإنسانى ، فهى نشاط عقلى .. وقام الغربيون بدراسات متنوعة على العقل البشرى منهج تكنولوجى ، فحددوا مناطق الكلام فى الدماغ ، وعلاقة ذلك بالأبحاث التى جرت على الأعصاب وأثرها وتأثيرها صحة ومرضاً ، وأثر ذلك لغوياً كما صنع اللغوى (جاكبسون) قبل سنة ١٩٥٦ م .

ويمكننا معالجة المعاقين والمتخلفين عقلياً ، واعطاؤهم الجرعات اللغوية المناسبة عند تعليمهم والأخذ بيدهم . فضلاً عن الطوارىء التى تصيب السليم فى هذه المناطق فقد لاحظ (جاكبسون) ان المريض يحافظ أحياناً على القدرة على تمييز (الفونامات) بينما يفقد فى نفس الوقت القدرة على ادراك معانى الكلمات .

فما نعطيه من معلومات للمرضى والمعوقين ، يجب ان يكون مختلفاً عن غيره مما يأخذه الأصحاء .

• واللغة نشاط عقلى ، ولكن تختلف محاولة الضبط عند علماء اللغة عند بحث هذا المبدأ بين السلوكية عند (البنائيين) من جهة ، بينما يميل (التوليديون) إلى المبدأ العقلانى لا السلوكى .

ومعنى المبدأ السلوكى : ان المتكلم تحصل عنده الاستجابة الكلامية حين الحافز البيئى ، فيشعر بشعور معين ، فيتكلم ويعبر ، ويتصرف ، بدون تدخل الأفكار أو القواعد النحوية ، ومحاولة التفكير فيها ، ثم التكلم . وهذا يشبه إلى حد كبير سلوك الحيوان ونزوعه عند الشعور والاستجابة لدافع وحافز الحاجة .

بينما المبدأ العقلانى يرى وجود حقيقة عقلية تكمن ضمن السلوك الفعلى ، فلا بد من معرفة مسبقة كامنة فى العقل بالقواعد اللغوية ، تتم الاستجابة بواسطته

(١) أنظر مجلة الأزهر عدد رمضان ١٤١٢هـ ص ١١٠٩ .

لا تلقائياً ، إذ يدفعها الفكر ، ويلاحظ العقل تنظيمها واصدارها .

• وإذا أجريت التجارب على الحيوانات للتوصل إلى أبحاث لغوية ، فان ملاحظة لغة الطفل ورصدها فى تدرجها أولى وأجدر ، فقد اهتدى بدراسة لغته فى معرفة نشأة اللغة الأولى ، كنظرية نادى بها أصحابها ، كما ان له حقه فى أن يتدرج فى تناول المعلومات التى تعطى له كمتعلم ، وبذلك نكون قد انصفنا فى اطوار حياته العلمية على أسس منهجية .

وقد تم تفهم التطور اللغوى للطفل عبر نشاطاته اللغوية عند علماء الغرب ، بملاحظة مظاهر التطور اللغوى فى مجالات متعددة ، منها :

(ا) الفونولوجيا ، فى صراخه فى الشهور الأولى من حياته ، وثغثغته فى العشرة شهور الأولى له ، ونطقه لبعض الأصوات اللغوية ـ بعد ذلك ـ حين يفهم عليه هذه الأصوات من حوله ، وتشتد أجزاء جهازه النطقى .

(ب) وفى تزايد حصيلة مفرداته اللغوية فى نهاية السنة الأولى من عمره ، تبدأ بطيئة ثم تتزايد بكثرة وسرعة خلال السبع سنوات الأولى من حياته ، ثم تركيب جمل ذات دلالة يحاكى بها من حوله فى بيئته ، ويعبر بها عما يدور حوله .

فالصراخ العفوى كان تعبيراً عن حاجاتــه ، والصراخ المتعمد كان لفتاً لانتباه من حوله ، وبعد ذلك عبر باستعمال أصوات متنوعة لاشباع رغباته ، ثم ركب التراكيب حين نمت حصيلته اللغوية من المفردات فى يسر وسهولة .

وبملاحظة التسلسل الزمنى للتطور اللغوى عنده ، ومراعاة نمّوه اللغوى يتم تعليم الطفل فى يسر وسهولة فى الدور التوجيهى من المحيطين به ، ومن التعليم المباشر بعد ذلك فى تطور المدرسة وتنوعها ، وفقاً لقدراته ومتطلبات سنى عمره المختلفة .

ومتى توفر ذلك لأطفالنا نجحت العملية التعليمية ، وحصلنا على أطفال اسوياء ، يشبون رجالاً اذكياء نجباء .. نافعين لأنفسهم وأمتهم والإنسانية .

• وحين قامت الدراسات اللغوية عند الغربيين على أسس علمية ثابتة ، امكن للعلماء البحث عن عناصر هذه الدراسات فى مفاهيم اتفق عليها مثل :

المطرد والمنفصل ، والتنظيم للقواعد التى تحدد استعمال اللغة فى أصوات وصيغ وأساليب وكذلك تحليل الاشارة اللغوية .

• وأهم ما بحث بالتفصيل فى دراساتهم وتردد كثيراً هو : مفهوم الوحدات اللغوية فى الفونيم والمورفيم .. على نحو ما فهم علماؤنا نقلاً عن العبقرى الخليل بن أحمد تفاعيل العروض فى بحور الشعر وأوزانها وتقسم التفاعيل إلى وحدات هى الأسباب فى خفتها وثقلها والأوتاد فى مفروقها ومجموعها ، وفى فواصلها الصغرى والكبرى ـ فكان من كل ذلك حصراً للأوزان والبحور ومعرفة عللها وصحتها ، وما جرى منها حديثاً على سنن الأقدمين وما خالفه ، وأخيراً بما استجد من أوزان على سمة ذلك فى أوزان بحور مخترعة فى الحديث .

• و « الفونيم » يشكل الوحدة الفونولوجية الملائمة التى ينجم عن استبدالها بوحدة أخرى ، فى مورفيم معين ما يغير المعنى : فالفونيم (ت) مثلاً ، يحتوى على سمة (جهر) ، وهذه السمة تميزه عن فونيم (د) مع اتصافه بسمة (جهر) أيضاً ، لكن الغربيين اعطوا ـ للتفرقة ـ فونيم (ت) علامة (ـ) واعطوا (د) علامة (+) ..

ويعتبر « الفونيم » وسيلة لتحليل « المورفيم » إلى أصغر وحدة صوتية ، ويميز كل عنصر صوتى عن غيره بسمة خاصة .

• بينما (المورفيم) يعتبر وحدة تحليل أساسية لدراسة اللغة . ويحتوى (المورفيم) كاشارة لغوية على دال ومدلول ، امكننا من خلالها عدّ محتويات الجملة اللغوية فى مورفيمات . ففى هذه الجملة مثلاً : (المعلمان ذهباً إلى المدينة) ثمان مورفيمات هى عند التحليل : (ال ـ معلم ـ علامة التثنية ـ ذهب ـ الضمير ـ إلى ـ ال ـ مدينة) .

يتبــــع

أبو عبيدة بن الجراح[1]

و

محمد صبيح

للأستاذ : السيد حسن قرون

للأستاذ محمد صبيح باع بارع فى الدراسات الإسلامية ، وقلم رائع فى كشف الوثائق التاريخية ، وعرضها للقراء فى معارض جذابة ، سواء بالتحليل أو بالسياق القصصى الفنى الذى يرضى العقول والعواطف معا وحسبك أن تقرأ له « موسوعة التاريخ الإسلامى الجديدة » لترى إلى أى حد بلغ فى تصوير الشخصيات الإسلامية وتقريب الزمان البعيد ، وجعله يزاحم زماننا ، والشخصيات التى تناولها كتب فيها غيره مؤرخا ودارسا ومحللا ، ولكل طعمه واغراؤه ، وفنه وجلاؤه ، وقد كنت فى شوق إلى كتاب يصدر عن الصحابى الجليل (أبى عبيدة بن الجراح) لما له من أثر كبير فى فتوح الشام ، وكم تمنيت أن يكون لى كتاب عنه ، ولكن الأستاذ صبيح أعفانى من ذلك التمنى ، وسرنى أن أجد المكتبة العربية يزينها أبو عبيدة بن الجراح[1] كما كان يزين أصحاب محمد ـ ﷺ ـ ولئن فاتنى أن أؤلف فلن يفوتنى أن أحيى وأنقد وأعلق ملتزما الصدق ماوفقنى الله إليه ، فلأبى عبيدة مكانة فى قلبى لا تقدر ، ولمحمد صبيح منزلة ، كلامى السابق يؤمىء إليها ، ويبين عنها . هكذا استقبلت الكتاب حين وقع فى يدى ، فعكفت عليه قارئا ومتأملا ومشوقا إلى كل فقرة فيه ، أعجل حينا وأتأنى حينا آخر ، أتوقف أمام فكرة جديدة أو تعبير أصيل بعض الأحيان . ولما انتهيت منه فى جلستين على مدى يومين دخلت فى نقاش مع نفسى لا يهدأ ، وتساؤل لا ينقطع .

(١) الكتاب يحمل تاريخ ١٩٧١ .

هل بلغت الصورة التى تريدها لأبى عبيدة ؟
وماذا فى الكتاب من جديد عنه ؟
وهل بلغت الترجمة له حدًّا يرضى الأديب والمؤرخ والمقتدى ؟

وبدأت أجيب عن تلك التساؤلات فى ضوء ما جلاه المؤلف ، وحدا به الإبداع .

بدأ الأستاذ صبيح كتابه بدءا مغريا يشدنى ويحدد إقامتى ، ويدفعنى إلى العكوف على القراءة ، ونقلى نقلا سحريا إلى عهود مضت وانقضت ، وإلى مواطن أعرفها وإن لم أخط فوق أديمها ، فعشت فى القرن الثالث الميلادى مع (الزباء) أو (زنوبيا) التى تحملت مسئولية (تدمر) بعد مقتل زوجها (أذينة) أو (أود ياتوسى) لأن وارث العرش ـ أبنها ـ (وهبة الله) كان صغيرا ، فقويت وحكمت وتابعت الفتح حتى استولت على مصر . ملكة من سورية دوخت الرومان ، وانتصرت عليهم فى وقائع مشهورة ، وانتهى أمرها بالهزيمة والأسر . ثم عرضت مع غنائم النصر ـ نصر روما عليها ـ « وقد اكتفى الامبراطور بهذا العرض وأهداها مقرا على بعد ٢٥ ميلا من روما ، وكان بناتها معها ، فتزوجن من نبلاء روما » ثم ماتت وعفا الزمان على سلالة بناتها .

وكان على الكاتب أن يناقش أساطير العرب فى مأساة الزباء ، فلهم فيها شعر وأمثال تبلغ حد الحقيقة التاريخية فمن أمثالهم التى صاحبت قصتها مما يصور ما جرى بينها وبين جذيمة ملك الحيرة أو عمرو بعده : لا رأى فاتر ، « وغدر حاضر » و« لا يطاع لقصير أمر » ، « ببقَّة أبرم الأمر » و « خطر يسير فى خطب كبير » ، و« دَعُوا دمًا ضَيَّعَهُ أهله » ، وأخيرا حين انتحرت ـ فى زعمهم قالت ـ « بيدى لا بيدى عمرو » إلى كثير من العبارات التى صار كل منها مثلا ، فلندع كل هذا ، وَلْنَسِرْ مع المؤلف لنرى غزو (جالينوس) جزيرة العرب ، ثم نراه راجعا بالخيبة بعد أن بلغ (مأرب) من أرض اليمن لتعسر الأمر عليه .

وفى أسلوب قصصى بارع واضح وضوح الصحراء ينقلك إلى صراع الأديان ، وهو لا يحدثك عن اليهودية والمسيحية فحسب ، بل يعرض معها آلهة المصريين واليونانيين والفرس إلى أن ترى نفسك وجها لوجه مع هرقل .

أنت معه فى صراعه مع المذاهب المسيحية المختلفة ، وأنت معه مع اليهودية المعادية ، وأنت معه حين أغار على الفرس وانتقم منهم ، واسترد (الصليب) من حاضرتهم ، وأنت معه حين قامت الأفراح ، وابتهج الناس لانتصار قيصر ، وفى هذا الجو الملىء بمباهج النصر ، وهواتف الفخر يحدث أمر ، يصوره لك الكاتب هكذا . « وفى وسط هذه الأحداث الجسام وهرقل يتقدم نحو بيت المقدس ، أو لعله كان وصلها قدم إلى معسكره رسول ، قيل : إنه من قبل النبى العربى الذى ظهر فى الحجاز ، تُرجِمت الرسالة لهرقل ، فإذا فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل ، السلام على من اتبع الهدى . أما بعد . أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وإن تتولى فإن إثم الأكارين عليك ، ودهش هرقل من هذه الرسالة ... »

وما دام الكاتب قد أطلعنا على الرسالة الغريبة فى مجلس هرقل المنتصر ، فكان عليه أن يربط صلة ما بين هذه الرسالة الغريبة كما سماها وبين أبى عبيدة الذى أُلِّف الكتاب من أجله ، وقلت : هنا سيبدو أبو عبيدة ، ولكنه خيب أملى ، وتركنى فى إنتظار مرير . ولكن ماذا كان ؟ دخلنا إلى التاريخ العام ، فتحدث عن الشام ؛ جغرافيته ، وتاريخه ، ودياناته إلى أن نزلنا فى (مؤتة) الأولى حيث الرسول ينعى أمراء الجيش : زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة ، ثم يخيم على الدنيا سحاب الحزن ؛ فقد انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى حيث كان يهيىء (أسامة) لمؤتة الثانية ، ويقبل الخليفة أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ على مشكلات الساعة ـ كما نقول اليوم ـ فيحارب المرتدين ومانعى الزكاة ثم يعقد الأولوية لحرب الشام . وهنا يجىء ذكر أبى عبيدة

« فما(١) أن أطمأن أبو بكر إلى نجاح حروب الردة ، وتوحد شبه الجزيرة العربية تحت راية المدينة حتى دعا الخليفة كل قادر على حمل السلاح من مختلف القبائل إلى التجمع عنده ، فأمامهم عمل كبير آن أوانه ... وأقبلت المتطوعة من كل مكان ، فقسمهم إلى أربعة جيوش ، عقد اللواء لأحد القواد الذين اختارهم ، وهم :

١ ـ أبو عبيدة بن الجراح : وَوُجْهَتُهُ (حمص) ، ومركز قيادته فى (الجابية) .

٢ ـ عمرو بن العاص : ووجهته فلسطين .

٣ ـ يزيد بن أبى سفيان : ووجهته دمشق .

٤ ـ شرحبيل بن حسنة : ووجهته وادى الأردن .

وأمرهم الخليفة أن يعاون بعضهم بعضا ، وأن يكونوا جميعا تحت امرة أبى عبيدة . الحمد لله لقد وصلنا .

فمن أبو عبيدة ؟

إن الكاتب لم يذكر نسبه ، ولم يتحدث عن منشئه وبيئته ، ولا متى أسلم ؟ ولا متى هاجر ؟ وهل كان من مهاجرة الحبشة ؟ وما منزلته عند محمد وأصحابه ؟ ثم ماذا كان عمله على عهد هاديه إلى الإسلام ؟ وما موقفه من خلافة أبى بكر ؟

كل هذا ترك ، وترك تساؤلا حادا للقارىء : من أبو عبيدة ؟

مع أنه عقد تعريفات : لخالد بن الوليد ، وعياض بن غنم ، وساق ملامح بارزة لعمر بن الخطاب ـ رضى الله عنهم ـ ولم نتبين من شمائل أبى عبيدة إلا اللين والتسامح والميل إلى الصلح ، ولو درس حياته فى مكة والمدينة لعرف نفسيته وعلل لشمائله وتسامحه ونحن نرجع ميوله إلى قوة نفسه ، وثقته بإيمانه ، وبقدرته على مجابهة الصعاب ، والخروج من المآزق ولو نظرت إلى الوقائع الحربية ، والأحداث المصيرية لوجدته فى هذا الكتاب يتضاءل أمام غيره ممن أخذ حظه من جهد الكاتب ، فعمر وخالد وعياض وشرحبيل كانوا أظهر حركة وأكثر عملا ، لقد تساوى مع يزيد بن أبى سفيان ومعاوية أخيه ومع بلال ومعاذ بن جبل ـ رضوان الله عليهم ـ حتى نقاشه مع عمر فى أمر الطاعون لم يثبته له ، ونفى أن يجبه عمر بقوله : « أفراراً من قدر الله ؟ » مع أنها كلمة يقولها هو أو غيره ؛ إذا كانوا جميعاً على مستوى المسئولية ، فالدين النصيحة ، والشورى من تعاليم دينهم ، وقد سبق لأبى عبيدة أن واجه عمر بالإنكار يوم السقيفة حين قال له عمر : أبسط يدك فإنى أبايعك . قال أبو عبيدة لعمر : ما عرفت لك فُهة(٢) قبل هذه أيكون هذا وفيكم ثانى اثنين فأبو عبيدة لا يهرب من النصيحة ، ولا يتخلى عن قولة الحق ، فلا داعى إلى نفى ما صدر عنه فى شأن الطاعون ، وقد كرر أبو عبيدة رأيه عندما حضره الموت ، وسيجىء هذا فى موضعه . وموضوعات الكتاب لاتترك لأبى عبيدة مساحة ملائمة لحياته وتحركاته وانطلاقاته وغزواته ، فانظر معى تلك الموضوعات فهى : مملكة زنوبيا ، هرقل يظهر ، أرض الأنبياء . لماذا كانت الشام ؟ ونمضى إلى مؤتة الثانية : الجيش الكبير فى الطريق ، أبو بكر يعدل الخطة ، الإعصار ينطلق ، معركة التفاف أخرى ، يوم من أيام الله ، اليرموك ، وفاة أبى بكر وولاية عمر ، من دمشق إلى حمص ، عمر يقود ، من حمص إلى أنطاكية ، إلى القدس ، حكومة عمر ، ثمانية أشهر ، الولاة وأعطياتهم ، العلاقات مع بيزنطة ، البريد ونشاطه اليهود فى الشام ، عمر وأبو عبيدة وبلال ، العرب ، ذادة الإسلام ، القطيعة مع خالد ، إدارة عمر ، وحدث فى العام الثامن عشر من الهجرة ، جمع القرآن ، ملامح الأدب ، الوليد بن عقبة ، الجغرافيا ، اللغة العربية . هذه هى موضوعات الكتاب ، وهى كما ترى تدور حول حروب الإسلام على عهد الخليفتين ولا سيما عمر ، هل نسمى الكتاب « عمر » أو نسميه « جهاد المسلمين فى الشام » أو « العرب والروم على عهد الشيخين » ؟ فمادة الكتاب ومنهجه لا يعطينا صورة واضحة لأبى عبيدة ، وليس من اللازم أن تكثر صفحات الكتاب ، وتتنوع أساليبه ، وإنما المهم أن يلوذ بملاذ أمين ، فيعرف أبا عبيدة من قريب حتى يميزه من سائر أبطال التاريخ .

---

(٢) فهة : عيًا .

وقد حشر المؤلف موضوعات لا تتصل بسبب بأبى عبيدة ، فما لأبى عبيدة وجمع القرآن ؟ وما له وحديث الأدب والشعر ، وما صلته بالوليد بن عقبة ؟ لم يكن أبو عبيدة ، ممن أخذ عنه القراء ، ولم يكن يعنى بالشعر ، ولا بشعر الوليد بن عقبة ، والمؤلف لا نلومه على ذكر كل هذه المعلومات القيمة ، ولكنا نأخذ عليه أنها وضعت فى غير مكانها ، وكان ينبغى له أن يضعها فى مؤلف آخر ، كأن توضع فى سيرة أبى بكر أو عمر - باعتباره أشار - أو عثمان ، لأنه كتب المصاحف ، أو توضع فى كتاب يحمل عنوان « الحياة الفكرية والأدبية فى فجر الإسلام » مثلاً ، ويتفرغ لحياة أبى عبيدة حتى يجلوها لنا جلاء تاماً كما قلت آنفاً .

لذا كان علىّ أن ألم بسيرة ابن الجراح على القارىء ليتبين ملامحه ، ويعايشه .

خطب أبو عبيدة بن الجراح - وهو أمير الشام - قال : « يأيها الناس إنى امرؤ من قريش ، وما منكم من أحد أحمر ولا أسود يفضلنى بتقوى إلا وددت أنى فى مسلاخه » فهو إذن من قريش ، والطبقات الكبرى تدون نسبه على النحو الآتى : ومن بنى فهر بن مالك بن النضر بن كنانة - وهو آخر بطون قريش - أبو عبيدة بن الجراح ، واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر ، ولم يتحدث الرواة عن أى من آبائه كما تحدثوا عن هاشم وأمية وقُصَىّ ، ولكنهم احتفلوا بجد من أجداده ، وهو الحارث بن فهر ، ووصفوه بالشجاعة والقوة والغيرة ، فهو شخصية تاريخية مثل أبيه فهر ، يقول محمد لطفى جمعة فى كتابه « ثورة الإسلام » :

« أما فهر[٣] فقد اشتهر بحروبه ضد قبائل اليمن التى قادها الملك حسان بن عبد كلال بن مثوب ذو حراث الحميرى ، وكانت غاية حسان من هذه الحرب أن يلحق أذى بالكعبة فهزم ، وأسره الحارث بن فهر ، فبقى ثلاث سنين يعانى السجن فى مكة » فالحارث جدّ أبى عبيدة بطل وطنى ، وهو لا يجارى السوقة ولكنه يأسر الملوك ، وللوراثة أثرها فى الأبناء فلا عجب إذا صار أحفاده وفى مقدمتهم أبو عبيدة يحملون السلاح ، ويذودن عن العقيدة فى بدر وغيرها من الغزوات ، وينفرد أبو عبيدة بأنه فاتح الشام ، وواليه على عهد أبى بكر وعمر ، وقد نشأ أبو عبيدة كما نشأ غيره فى البيئة المكية يعيش على التجارة ، فهم فى واد غير ذى زرع ، فلما جاء الفجر الصادق ، وأعلن محمد - ﷺ - رسالته كان من أوائل من أسلموا ، وقد أسلم مع عثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وعبيدة بن الحارث المطلبى وأصحابهم قبل دخول رسول الله « دار الأرقم » فكان من علية أصحاب محمد . ولما ضاقت مكة به وضاق بها هاجر إلى الحبشة فى المرة الثانية ، ممن هاجر من بنى الحارث قومه سهيل بن بيضاء وأخوه صفوان ومعمر بن أبى سرح ، وعياض بن زهيد ، وعمرو بن أبى عمرو بن ضبة ، وفى هجرتهم إلى المدينة كانوا معاً فنزلوا على كلثوم بن الهِدم الأنصارى ، وشهدوا جميعاً غزوة بدر .

وقد آخى النبى - ﷺ - بين أبى عبيدة وبين سالم مولى أبى حذيفة ، وبينه وبين محمد بن مسلمة الأنصارى ، وعرف شأنه فى كل أمر كلفه أو قام به ، فهو تحت راية الرسول - ﷺ - دائماً لا يتخلف عن غزوة ، شهد بدراً والمشاهد كلها ، وكانت غزوة أحد امتحاناً للمسلمين ، وموضع تكريم للثابتين فى المعركة ، وقد بدت شجاعته وقوة إيمانه وحبه العظيم . بقول أبو بكر رضى الله عنه : « لما كان يوم أحد ، ورمى رسول الله - ﷺ - فى وجهه حتى دخلت وجَنتيه حلقتان من المغفر ، فأقبلت أسعى إلى رسول الله ، وإنسان قد أقبل من قبل الشرق يطير طيراناً . فقلت : اللهم اجعله طاعة حتى توافينا إلى رسول الله . فإذا أبو عبيدة بن الجراح قد بدرنى . فقال : أسألك بالله يا أبا بكر ألا تركتنى ، فأنزعه من وجه رسول الله . قال أبو بكر : فتركته ، فأخذ أبو عبيدة بثنيته إحدى حلقتى المغفر فنزعها وسقط على ظهره ،

---

(٣) يتحدث عن أجداد النبى .

وسقطت ثنية أبى عبيدة ، ثم أخذ الحلقة الأخرى بثنيته فسقطت . فكان أبو عبيدة عبيدة فى الناس أثرم » .

وأهم الأعمال الحربية التى قام بقيادتها على عهد رسول الله غزوتان : غزوة الخَبَطِ وغزوة السلاسل ، وفى الأولى كان إلى حى من جهينة بساحل البحر ، وفى هذه الغزوة لقى جهداً وبلاء لا من حيث الحرب ، ولكن من نفاد الزاد حتى اقتسموا التمر عدداً ، فلما نفد التمر ـ وكانوا ثلثمائة من المهاجرين والأنصار ـ لجأوا إلى الشجر يخبطونه بقسيهم فيسفونه ويشربون عليه من الماء ، فسموا جيش الخبط أو غزوة الخبط ، وبينما هم كذلك من الجهد والمشقة رأوا سمكة كبيرة « يقال لها العنبر » فقال أبو عبيدة : ميتة لا تأكلوا ، ثم قال : جيش رسول الله ـ ﷺ ـ وفى سبيل الله ونحن مضطرون ، فأكلوا . ولما قدموا على رسول الله . قال : ما حبسكم ؟ قال كنا نبغى عيرات قريش وذكروا له شأن السمكة . فقال : إنما هو رزق رزقكموه الله .

أما غزوة السلاسل[٤] فكانت إلى بلاد قضاعة ، وكان عمرو بن العاصى توجه إليها ، فبعث إلى النبى يطلب مدداً ، فأرسل إليه أبا عبيدة بن الجراح فى المهاجرين الأولين فيهم : أبو بكر وعمر ، وقال لأبى عبيدة لا تختلفا ، فخرج أبو عبيدة إلى قضاعة ، وهناك قال له عمرو بن العاص : إنما جئت مدداً لى . فقال له أبو عبيدة يا عمرو : إن رسول الله قد قال لى : لا تختلفا ، وأنت إن عصيتنى أطعتك . قال : فأنا أمير عليك وأنت مدد لى . فوافق أبو عبيدة وصلى بالناس عمرو . وفى الغزوتين أبدى من حسن التصرف ، والخروج من المآزق ما يشهد له بالقيادة الحكيمة ، ودل على أنه أمين هذه الأمة ، وتتجلى الأمانة فى الحفاظ على وحدة المسلمين ، والإشفاق عليهم .

قال الرواة : إن ناساً من أهل نجران أتوا النبى ، فقالوا : ابعث معنا رجلاً أمينا . قال . لأبعثن إليكم رجلاً أميناً « حق أمين » (قالها ثلاثاً) فاستشرف لها أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ فبعث أبا عبيدة بن الجراح ومن هذا كان حرص عمر على أن يبايعه بالخلافة ، وحرصه على أن يوليه قيادة جيش الشام ويعزل خالد بن الوليد ، وحرصه أن يكون الخليفة بعده لو كان حياً . ويلتقى رأى عمر مع رأى السيدة عائشة ، فقد سئلت : من كان رسول الله مستخلفاً لو استخلف ؟ قالت : أبا بكر . ثم قيل لها : من بعد أبى بكر ؟ قالت : عمر . ثم قيل لها : من بعد عمر . قالت : أبا عبيدة بن الجراح . قال الراوى أبو مليكة : ثم انتهت إلى ذا . وقد اشترك فى حروب قائد فرقة وقائداً عاماً ووالياً على الشام مما ذكره الأستاذ صبيح فلا داعى لتكراره .

أما قصة طاعون عمواس ، وما جرى بينه وبين عمر فهو من الشهرة المستفيضة بحيث لا يرفعه مؤرخ ولا باحث فكل الكتب التى بين أيدينا تقص هذا الحدث ، خرج عمر غازياً إلى الشام حتى إذا كان سَرْغ لقيه أمراء الأجناد فأخبروه أن الأرض سقيمة ، وكان معه جمع غفير من المهاجرين والأنصار ، وتشاوروا فى الأمر ، واختلفوا فى الرأى وأيده المهاجرون فى الرجوع إلى المدينة ، ثم دعا المسلمين إلى الاجتماع به ، فلما اجتمعوا قال : أيها الناس إنى راجع فارجعوا . فقال أبو عبيدة : أفراراً من قدر الله ؟

قال : نعم ، فراراً من قدر الله إلى قدر الله . أرأيت لو أن رجلًا هبط وادياً له عدوتان : إحداهما خصبة

والأخرى جدبة ، أليس يرعى من رعى الجدبة بقدر الله ، ويرعى من رعى الخصبة بقدر الله ؟ لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة .. فبينا الناس على ذلك إذ أتى عبد الرحمن بن عوف ، فقال : ما شأن الناس ؟؟ فأخبر الخبر . فقال : عندى من ذلك علم . فقال عمر : فماذا عندك ؟ قال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع وأنتم به فلا تخرجوا فراراً منه ، ولا يخرجنكم إلا ذلك ، فقال عمر : فلله الحمد ،

---

(٤) الطبرى السنة الثامنة .

أبو عبيدة بن الجراح

انصرفوا أيها الناس ، فانصرف بهم . فالرأى الصائب فى هذه القضية رأى عمر ، وهم يتصرفون فى ظلال الدين ، فلما روى ابن عوف حديث الرسول - ﷺ - حسم الأمر ، ولكن أبا عبيدة بقى على رأيه بدليل أنه قال - وهو على فراش الموت : « غفر الله لعمر بن الخطاب رجوعه من سرغ ، سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : المطعون شهيد ، والمطبون شهيد ، والغريق شهيد ، والحرق شهيد ، والهدم شهيد ، والمرأة تموت بجمع(٥) شهيدة ، وذات الجنب شهيدة » فهو يرى أن موته بالطاعون شهادة له . وقد توفى عام ١٨ هـ عن ثمان وخمسين سنة ، وشهد بدراً وهو ابن إحدى وأربعين سنة فهو فى سن عمر حينذاك .
ووصفوا أبا عبيدة جسمانياً فقالوا : كان رجلاً نحيفاً معروق الوجه ، خفيف اللحية ، طوالاً ، أجنأ ، أثرم الثنيتين . وقد بينا سبب ذلك .

ولا بأس أن نذكر ما وصفه به الأستاذ محمد صبيح فى كتابه . قال :

كان من عظماء الصحابة والسابقين إلى الإسلام والمتفقهين فى دينهم ، وهو فارس شجاع ، هادىء الطبع . حقيقة لا يمكن أن تقارن ميزاته القيادية بميزات خالدين بن الوليد الأسد المغوار ، ولكن أعظم ما يكون خالد وهو يتأهب لملاقاة العدو ، وهو يهجم ، وهو يثخن فيه . أما أبو عبيدة ، فكان رجل حرب ورجل سلم وكانت له مهابة فى أعين المسلمين ، وإن لم يكن أسطورة من أساطير العبقرية .

هذا تهميش على كتاب الأستاذ صبيح « أبو عبيدة بن الجراح » أرجو أن أكون قد قلت شيئاً يوضح صورة البطل أبى عبيدة ، وللمؤلف الشكر والتقدير .

(٥) حامل .

ابن بسام ولمحاته النقدية

للدكتور محمود جمعة خليفة *

(ب) لمحات بن بسام النقدية

امتاز ابن بسام بروح نقدية أصيلة حيث كان لا تستغرقه ألفاظ الإطراء والتقريظ فهو ـ فى الترجمة مثلا ـ يقف عند الشخصية ـ سواء فى الأدب أو فى التاريخ ـ يصغها ويحللها ويأتى على أهم ما يلتفت إليه فيها بحيث لا يغادرها إلا وقد تنقل فى نواحى الوصف فيها : من الخلق الشخصى إلىٰ الموهبة الأدبية والفنية إلى الوقائع التى تضافرت فى بناء تلك الشخصية ونمت فيها تلك المواهب الأدبية ، لا يكاد يجاريه فى مضماره أحَدٌ من معاصريه أو ممن جاءوا بعده ؛ إذ هو فى ذلك يجمع إلى أصالة الأديب وفنه إحساس المؤرخ ونفاذ بصيرته .

لقد عرف ابن بسام أصول الأدب والنقد حين أراد أن يستجلى صورة ما فى شعر أهل الأندلس ، وبيان موضوعاته وإبراز خصائصه الفنية بالنظر إلى الشعر المشرق حتى يعرف الناس أن للأندلسيين نتاجاً أدبيا هو فى مستوى نتاج المشارقة أو مما يتفوق عليه أحيانا ، كل ذلك فى موضوعية وعرض دقيق فيما يورده من نصوص أدبية يسعفه حضور ذهنى عظيم وقدرة فائقة على الربط فى مختلف أنواع الأدب فى الأندلس والمشرق على السواء .

(١) الكاتب مدرس الأدب والنقد ـ جامعة الأزهر ـ بنات سوهاج .

١ ـ منهجه فى نقد النصوص :

لم يَبْنِ ابن بسام منهجه فى النقد على أساس نظرى يعتمد على تقصى أوجه النقد الأدبى ، وإنما بناه على أساس تطبيقى يقوم على النظر فى بعض القضايا الشعرية وفى البديع بألوانه المختلفة والصدق الخلقى فى إطار نزعة أخلاقية دينية واجتماعية ثم فى موقفه من الفلسفة والشعر الفلسفى والمحافظة على عمود الشعر وفى البديهة والارتجال .

وعلى ذلك نستطيع أن نحدد منهج ابن بسام النقدى من خلال ماله من مواقف نقدية وتعليقات فى هذا المجال ـ ستأتى ـ بأنه ينحصر فى ثلاثة اتجاهات رئيسية هى :

(أ) الاتجاه الأول : اتجاه اجتماعى أخلاقى تمثل فى موقفه من الشعر الفلسفى والهجائى وفى تعليقاته النقدية حول الصدق الشعرى والتثبت فيه .

(ب) الاتجاه الثانى : اتجاه فنى جمالى تمثل فى جعله البديع مقياسا للعمل الأدبى فهو ميزان الجودة أو الرداءة إذ هو ـ أى البديع ـ « قيم الأشعار وقوامها وبه يعرف تفاضلها وتباينها[١] » .

(جـ) الاتجاه الثالث : اتجاه نقدى قائم على دراسة التاريخ الأدبى والذى من أبرز مظاهره البحث فى السرقات الأدبية .

٢ ـ القضايا النقدية لعصر ابن بسام واتجاهاته فيها :

بعد أن حددنا منهجه النقدى واستطعنا ـ من خلال تعليقاته النقدية التى سنذكرها ـ أن نحصره فى اتجاهات ثلاثة . ننتقل بعده إلى الحديث عن القضايا النقدية لعصره والمنحى الذى نحاه ابن بسام فى معالجة تلك القضايا واتجاهاته فيها مقتصرين فيها على ما يلى :

(أ) النزعة الأخلاقية :

وقد وضحت معالم هذه النزعة ـ كما أشرنا قبل قليل ـ عن ابن بسام فى موقفه من الشعر الهجائى الذى حاول أن يخلى كتابه منه ، وفى موقفه من الشعر الفلسفى كذلك إذ وجدناه يتحرج فى مقاييسه النقدية بل ويضيق كثيرًا بكل شعر يَلْمَحُ فيه استخداما للمصطلح الفلسفى .

وقد انعكس أثر هذه النزعة الأخلاقية على اتجاهه النقدى فأخذ بالصدق العقلى بل تشبث به إلى جانب الصدق الاجتماعى والأخلاقى ، ولم يلتفت كثيرا إلى الصدق الفنى فى إحساس الشاعر وإنما أخذ بهذا القول : « خير الشعر أصدقه » كما يشرح ذلك عبد القاهر الجرجانى فى كتابه (أسرار البلاغة) ؛ فناقض بذلك قول من قال : « خير الشعر أكذبه » فألحَّ على الشاعر أن يترك الاغراق ويعتمد مايجرى من العقل على أصل من الواقع[١] .

وبذلك تأتلف جهود ابن بسام مع جهود ناقدين مشرقيين هما : الآمدى المتوفى ٣٧١هـ وعبد القاهر الجرجانى المتوفى ٤٧١هـ على رفض قول من قال : « أعذب الشعر أكذبه » حيث يقول الآمدى : « وقد كان قوم من الرواة يقولون : « أجود الشعر أكذبه » ولا والله ما أجوده إلا أصدقه[٢] .

ذلك أن ابن بسام رجل أخلاق يؤمن بالحق والمبدأ وأهميتهما فى التوجيه والارشاد فهو يرى ذلك مطلبا دينيا واجتماعيا لا ينبغى للشاعر أن يحيد عنه أو يموه فيه ، ولذلك فإنه عندما يسمع قول الشاعر « أبى بكر الدانى » يبتعد عن الصدق الواقعى تثور ثائرته « لهذا البهتان والادعاء الكاذب » ـ على حد قوله ـ كما فى هذين البيتين :

فى نصرة الدين لا أعدمت نصرته
تلقى النصارى بما تلقى فتنخدع

(١) الذخيرة : القسم الأول المجلد الأول ص ٦ .

(١) انظر أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجانى ص ٣٠٨

(٢) الموازنة للآمدى جـ ٢ ص ٥٨ .

تنيلهم نعما فى طيِّها نقم
سيستضربها من كان ينتفع

ويعلق على ذلك بقوله :

« وهذا مدح غرور وشاهد زور وملق مُعْتَفٍ سائل وخديعة طالب نائل وهيهات !! بل حلّت الفاقرة بعد بجماعتهم حين أيقن النصارى بضعف المنن وقويت أطماعهم بافتتاح المدن واضطرمت فى كل جهة نارهم ورويت من دماء المسلمين ألسنتهم وشتارهم[1] ..

ولا نقول إن ابن بسام فى وقفته هذه قد أراد أن يحد من أخيلة الشعراء ويضعها فى قوالب معينة لا يتخطونها ؛ فإنه إنما ينافح عن الفن ويعصمه من أن يسف أو يسقط به صاحبه تحت شعارات « التمويه وقلب الحقائق » وإنما أراد أن يقف ضد هذا التمويه الشعرى الذى يسوغ الباطل ويلبسه ثوب الحق بعيداً عن كل صدق واقعى .

(ب) الفلسفة والشعر :

ويبدو أثر هذه النزعة بوضوح فى موقفه من المعانى الفلسفية فى الشعر حيث كان له موقف من الفلسفة والمتفلسفين ينسجم مع منزعه الدينى والأخلاق ، ولذا فلم يك يعجبه شعر الشعراء أصحاب المعانى والصياغة الفلسفية فأنحى باللائمة على أولئك الشعراء الذين يتفلسفون فى أشعارهم أو ترد المصطلحات الفلسفية فيها .

وقبل أن نحاول تحديد الأبعاد التى تقوم على أساسها نظرة ابن بسام النقدية فى هذا الاتجاه الفلسفى نشير إلى أن المرثية كانت هى المجال الخصيب ليبث فيها الشاعر آراءه الفلسفية فيما يتعلق بمشكلة الحياة أو الموت ، وطبيعة النفس البشرية التى يحملها عنصرا « الماء والتراب » كما يقول عبد الجليل بن وهبون المتوفى ٤٨٤ هـ أحد شعراء بنى عباد :

ما النفس إلا شعلة سقطت إلى
حيث استقل بها الثرى والماء

من قصيدة طويلة فى رثاء أبى الحجاج يوسف بن عيسى المعروف بالأعلم وأولها :

سبق الغناء فما يدوم بقاء
تفنى النجوم وتسقط البيضاء

تأثر فيها ابن وهبون بالمتنبى وأبى العلاء المعرى فيما ذهبا إليه من صفة النفس وخلودها وكما يقول عبد الله ابن الحداد :

والنفس عادمة الكمال وإنما
بالبحث عن علم الحقائق تكمل
والمرء مثل النصل فى إصدائه
والجهل يصدى والتفهم يصقل

وكذلك هذه الأبيات للشاعر السميسر التى تنبىء عن حيرته وتشككه .

من كان مخلوقا من الأرض إذ
ركّب لم يطلع على السرّ
حتى ترى الجثة مطروحة
والنفس فى عالمها تسرى
فعندها يأمن ما يتقى
وعندها يعلم بالأمر
هذا على فذهبنا ثم قد
قيلت مقالات ولا أدرى
لقد نشبنا فى الحياة التى
توردنا فى ظلمة القبر
ياليتنا لم نك من آدم
أورطنا فى شبه الأسر
إن كان قد أخرجه ذنبه
فمالنا نشرك فى الأمر ؟!

وقد وصف ابن بسام مثل هذه الأشعار بالهذيان الذى لا طائل تحته ، فإنه بعد أن أورد هذه الأبيات المتقدمة للسميسر قال :

« والسميسر فى هذا الكلام ممن أخذ الغلو بالتقليد ونادى الحكمة من مكان بعيد ، صرح عن ضيق بصيرته ونشر مطوى سريرته فى غير معنى بديع ولا لفظ مطبوع ولعله أراد أن يتبع أبا العلاء فيما كان ينظمه من سخيف الآراء[1] » ..

---

(١) الذخيرة : القسم الثانى ص ١٠٢ .

(١) الذخيرة القسم الأول المجلد الأول ص ٣٧٨ .

وهذا الموقف النقدى لابن بسام تجاه الشعر الفلسفى يمكن أن ترجعه إلى أمرين : أولهما وثيق الصلة بنظرة العصر ؛ حيث ظلت النظرة الأندلسية قائمة على التشكك فى الفلسفة والتنكر لها ، بل ومقاومتها أحيانا خاصة فى عصر المرابطين . فقد وقف التيار الدينى فى وجه هذا الاتجاه المتفلسف بقوة ، ولا نشك فى أن ابن بسام أيّد بكل قوة هذا التيار السائد فى موقفه من الفلسفة .

أما الأمر الثانى فيرجع إلى ثقافة ابن بسام ذات الأصول المشرقية وقد كان الاتجاه المعارض للفلسفة فى الشعر فى البداية مشرقيا . والحقيقة أن هذا الشعر الفلسفى الأندلسى كان يضم الآثار الفلسفية المشرقية فى كثير من مناحيه وخاصة فى معالجة مشكلة الحياة والموت وطبيعة النفس كما رأينا فى قصيدة ابن وحبون والتى سبق أن ذكرنا نموذجا منها ...

هذا عن الاتجاه الفلسفى فى الشعر ومحاولة الأندلسيين احتذاء المشارقة فيه . أما عن الأصول المشرقية فى نظرة ابن بسام النقدية لهذا الاتجاه فيمكن الاهتداء إليها من كتاب (الموازنة) للآمدى ؛ ذلك أن للآمدى فى موازنته موقفا متشددا فى هذا المجال . وعلى ذلك سنجد أنهما يتشابهان فى كثير من الأمر كما يظهره هذان التعليقان لهما ـ أى للآمدى وابن بسام ـ يقول الآمدى : « قالوا : وإذا كانت طريقة الشاعر هذه الطريقة ـ أى طريقة الفلسفة ـ وكانت عيونه مقصرة عنها ولسانه غير مدرك حتى يعتمد دقيق المعانى من فلسفة اليونان أو حكمة الهند أو أدب الفرس ، ويكون أكثر مايورده منها بألفاظ متعسفة ونهج مضطرب ـ وإن اتفق فى تضاعيف ذلك شىء من صحيح الوصف وسليم النظر ـ قلنا له : قد جئت بحكمة وفلسفة ، ومعان لطيفة حسنة ، فإن شئت دعوناك حكيما ، أو سميناك فيلسوفا ، ولكن لا نسميك شاعرًا ولا ندعوك بليغا لأن طريقتك ليست على طريقة العرب ولا على مذاهبهم[1] » ..

فالشعر عند الآمدى لا يكون شعرا إلا بهدى من طريقة العرب وأساليبهم الموروثة ـ وذلك أيضا ما يراه ابن بسام فى الشعر الفلسفى إذ فيه خروج عن « رونق كلام الأعراب » ومذاهبهم كما يستنتج ذلك من تعليق لابن بسام على أبيات فلسفية أوردها لأبى عامر الشنترينى فى رثاء نفسه ، والأبيات هى :

يالقومـــى دفنـــونى ومضوا
وبنـــوا فى الـطين فوق مابَنَـــوْا
ليت شعـــرى إذ رأونى ميِّتـــا
وبكـــونى أىُّ جزأىَّ بَكَـــوْا
أنعـــوا جسمـــى فقـــد صار إلى
«مركز التعيين» أم نفسى نعوا ؟!
كيـــف ينعـــون نفـــوسًا لم تزل
قائمـــــات بحضيض وبجو
ما أراهـــم ندبـــوا فىّ سوى
فرقة التأليـــف إن كانـــوا دروا

يقول ابن بسام معلقا : « وهذا معنى فلسفى قلما عرج عليه عربى ، وإنما فزع إليه المحدثون من الشعراء حين ضاق عنهم منهج الصواب وعدموا رونق كلام الأعراب فاستراحوا إلى هذا الهذيان ، وقد قال بعض أهل[2] النقد : إنه عجيب فى الشعر والنثر أن يأتى الشاعر أو الكاتب بكلام الأطباء أو بألفاظ الفلاسفة القدماء[3] » .

ويتابع ابن بسام تعليقه فيقول : « وإنى لأعجب من أبى الطيب على سعة نفسه وذكاء قبسه ، فإنه أطال قرع هذا الباب والتمرس بهذه الأسباب وكذلك المعرى كثر به انتزاعه وطال إليه أيضاعه[4] » ..

هذا ما يراه ابن بسام فى الشعر الفلسفى ، وجملة القول أن ما يتجشمه الشاعر من التعمق الفلسفى أو

---

(١) الموازنة ص ٤٢٤ وما بعدها .

(٢) يريد ببعض أهل النقد : الآمدى وما قاله فى الموازنة فى هذا الاتجاه .

(٣) الذخيرة القسم الثانى ص ١٩٤ .

(٤) المصدر نفسه ص ١٩٥ . والايضاع : نوع من الجرى ومثله الوخد .

التأليف المنطقى إنما هو ـ عنده ـ قيد يتقيد به الشاعر بيده عن صدق التعبير وسماحته ويقف به حائلا دون انطلاق الفكر معه وتجاوبه واياه إذ لايرى فيه شعرا ينطلق من داخل الوجدان وإنما هو فكر صيغ شعرا .

الموازنة والتحليل :

يقوم منهج ابن بسام فى تحليل الشعر على ما فيه من المعانى البلاغية : من توليد أو تقسيم أو زيادة فى التشبيه أو لما فيه من إشارات تاريخية أو ظواهر طبيعية أو لما فيه من التبريز فى اللفظ والمعنى أو لما فيه من التلميح إلى العاطفة الدينية .

وعلى ذلك فإنه يسوق ما فى فقده من عناصر تطبيقية على أساس من وحدة البيت من غير أن يتطرق إلى وحدة القصيدة وما تتضمنه من معان طبيعية أو قيم إنسانية .

ونبدأ بمثال تطبيقى يلقى الضوء على كثير من المنهج الذى سار عليه فى تحليل النصوص وموازنتها وبيان ما فيها من حسن أو قبح ، وتمييز جيدها من رديئها وصحيحها من فاسدها ، وسترى أن منهج ابن بسام فى هذا الصدد يجتمع له فيه النقد الأدبى والناحية الجمالية واللغوية والاتجاه الدينى والاشارات التاريخية .

يدور هذا المثال ـ كنموذج لما أشرنا إليه فى خطة منهج ابن بسام ـ حول قصيدة طويلة للوزير الكاتب « حسان بن المصيصى » مما مدح به المعتمد بن عباد وأولها :

من استطال بغير السيف لم يطل
ولم يخب من نجاح سائل الأسل

ومنها هذا البيت :

جاز المؤيد مما قلت أفضله
وزاد للفرق بين القول والعمل

فيستحسنه ابن بسام ويطريه بقوله : « وهذا البيت مما بَعُدَ شأوه وفاق سروره وتجاوز أكثر الحد عفوه » ..

ومنها هذا البيت أيضا :

تعطى الهواء منن الأرض غرته
نورا ونورا غطاء الشمس فى الحمل

فيثنى عليه ابن بسام لما فيه من توليد. وإجادة فنية ويقول : « وهذا البيت لحسان بن حسنات شعره وأبين آيات ذكره ، فيه توليد شهد أنه شاعر مجيد » ثم يمضى فى الثناء على ما أبدع فيه حسان بن قصيدته التى منها هذا البيت فى ذكر النجوم وهو :

تنهاه عفته عن أمر بطشته
فالمشترى عنده قاض على زحل

ويقول :

« وهذا البيت أيضا من مليح المنظوم وله اختصاص حسن بأحكام النجوم » ثم يلتفت إلى مابرز فيه حسان من لفظ ومعنى كما فى تعليقه على هذا البيت :

جر الذيول ولكن من جحافله
على القتاد ولكن من شبا الأسل

« وهذا البيت أيضا مما برز فيه حسان فى لفظه ومعناه وأراده كثير من الشعراء فأعياه » .

وعلى هذا النحو من الدقة فى الاستقراء لأبيات القصيدة يسترعى انتباهه الناحية الدينية التى يلمحها فى هذا البيت :

قد يدخل المسلم المخطى الجنان غدا
بنيتى ارتجى الغفران لا عملى

فيقول : « وهذا البيت مما أخلص فيه بغيته وحسنت بخالقه ظنونه وعسى الله أن يبلغه مآلها ، فرب مرحوم بكلمة قالها » ..

ويقول ابن المصيصى فى القصيدة نفسها بيتا يستثير حمية ابن بسام لما فيه من إشارات تاريخية مغلوطة نسجت حول « حسان بن ثابت » ـ رضى الله عنه ـ فيحاول أن يدحض هذه التهمة العالقة به بشىء من الاستنباط العقلى والحجاج المنطقى المؤيد بالوقائع التاريخية وهى أنهم ينسبونه إلى الجبن كما فى هذا البيت :

ومال الحروب ومثلى أن يشاهدها
وإنما أنا حسان وأنت على

فيقول ابن بسام :

« وأظن حسانا هذا ـ يقصد حسان بن المصيصى ـ لم يكن له علم بالسير ولا تصرف بعلم الخبر ، وقد رأيت جماعة من أهل الأدب ينسبون حسان ابن ثابت ـ رحمه الله ـ إلى الجبن فيخرجونه من أصل الضرب والطعن ، يحتجون فى ذلك بقعوده عن رسول الله ـ ﷺ ـ فى مغازيه وسراياه وينشدون له فى ذلك شعرا أظنهم نحلوه إياه ولاأمترى أنها منحولة إليه

ومفتعلة عليه . ومن أبلغ حججهم على ذلك حديثه فى شأن اليهودى يوم الأحزاب[1] .

ومن أول شىء على ذلك أنه هجا فى الجاهلية والاسلام أكثر من ثمانين شاعرا لم يصفه أحد بالجبن ولا عيّروه به ولم يكن شىء يتعايرون به أشد من الجبن .

ولحسان أيام مشهورة ومواطن فى الحروب مذكورة وقد أولع ابن المصيصى بهذا المعنى فأعاده وأبداه وألحمه وأسداه وأعجبه ما اتفق له منه حتى أخرجه إلى ما كان فى مندوحة عنه ، فقال من قصيدة يمدح بها المعتمد وذكر نفسه وابن عمار :

كأن أبا بكر أبوبكر الرضى
وحسان حسان وأنت محمد

فأراد أن يعرب فأعجم وأحب أن يضىء فأظلم ونعوذ بالله من الخطل فى القول ونبرأ إليه من القوة والحول[2] .

وثمة تعليقات نقدية كثيرة تلقى الضوء على المنهج النقدى لابن بسام وهى تعليقات وخواطر نقدية كان يقولها كلما كان إلى ذلك سبب .

وهو فى هذه التعليقات والتحليلات يدلل على أنه يصدر عن أصالة فنية وإحساس صادق بمواطن الكلم ومعانيه . وليس يخبط خبط عشواء جريا وراء شهوة النقد والموازنة بين معانى الشعراء بل نستشعر فى تعليقاته الأناة والروية والتثبت فيما يقوله .

ومن أمثلة هذه التعليقات النقدية ـ عدا ما تقدم ـ ماله فى الموازنة بين الأدباء إذ كان يولى هذه الناحية اهتمام ملحوظا .

يقول فى الموازنة بين ابن برد وابن فتوح : « وابن فتوح هذا كثير الاهتدام لأشعار سواه . قبيح الأخذ فى كل ما انتحاه ، وشعره كثير البرد ، وبينه وبين ابن برد من مسافة البعد ما بين القطب الثابت والقصب النابت ، وأكثر شعر ابن برد مليح السرد متمكن القوافى ، لا تكاد له قافية تخرج من مركزها ـ وقوافى ابن فتوح قلقة موضوعة فى غير مكانها نازلة فى غير أوطانها[3] » ...

وهو بعجب بحر الكلام وبالاستعارة الموفقة والاشارة الرقيقة والاتيان بالتشبيه دون أداة والاصابة فى الاشارة إلى التشبيه . ويفهم ذلك من تعليقاته على بعض مايورده من أشعار لتراجمه فإنه بعد أن أورد الأبيات الآتية المرتجلة للوزير الفقيه أبى الحسين سراج ابن عبد الملك بن سراج وهى :

عمرى أبا حسن لقد جئت التى
عَطَّنت عليك ملامة الاخوان
لما رأيت اليوم ولّىَ عُمرُه
والليل مقبل الشبيبة دانى
والشمس تنفض زعفرانا فى الربى
وتفت مسكنها على الغيطان
أطلعتها شمسا وأنت عطارد
وحففتها بكواكب الندمان

يعلق عليها بقوله : « وهذا رواء الديباج الخسروانى ورونق العصب اليمانى ولمثله فلتنشرح الصدور وتتشوف السرور ويذعن المنظوم والمنثور . ألا ترى ما آنق استعاراته وأرشق إشاراته وأقدر على الاتيان بالتشبيد

---

(١) روت بعض كتب السيرة أن بنى قريظة لما نقضوا العهد مع الرسول ـ ﷺ ـ وخرجوا الأحزاب ضد الرسول عليه الصلاة والسلام أرسلوا جاسوسا إلى خيام النساء فأبصرته السيدة صفية بنت عبدالمطلب عمة الرسول ﷺ فقالت لحسان اقتل هذا الجاسوس حتى لا يكشف أمرنا فقال حسان ـ رضى الله عنه ـ أنت تعلمين أننى لا أجيد مثل هذا العمل فأخذت عمودا من الحديد وقتلت اليهودى ثم قالت لحسان خذ سلبة فقال : أنا لست بحاجة إلى سلبة

وتفيد هذه القصة أن حسانا كان جبانا حيث لم يخرج مقاتلا مع المسلمين وإنما قعد مع الخوالف وزاد من جبنه أنه لم يتقدم لقتال اليهودى ولم يأخذ سلبة .

غير أن هذه القصة ـ فى اعتقادنا ـ أنها مختلفة على حسان لما ذكره ابن بسام من أنه هجا فى الجاهلية والاسلام أكثر من ثمانين شاعرا ولم يصفه أحد بالجبن ولاعيره به أحد ولم يكن شىء يتعايرون به أشد من تلك الصفة .

(٢) انظر الذخيرة القسم الثانى من ص ١٧٦ ـ ص ١٨٩ .

(٣) الذخيرة القسم الأول المجلد الثانى صـ٢٧٤ .

دون اداتة[١] .. وقد فرّق بين شعر الوجدان وبين شعر العلماء فأوضح أن الأول شعر قوى لأنه نابع من القلب ومصدره العاطفة الجياشة والاحساس المتدفق أما الثانى فضعيف وهمد بين التكلف وفى ذلك يقول : « على أن أشعار العلماء على قديم الدهر وحديثه بينة التكلف وشعرهم الذى روى لهم ضعيف حاشا طائفة[٢] منهم » ..

وهو فى هذا قد أوضح منهجه العام الذى ينظر من خلاله إلى الشعر . ومما يوضح هذا المنهاج أيضا أنه كان يعمد فى بعض الأحيان إلى الشرح ومن ذلك قوله شارحا بيتا من قصيدة لابن دراج القسطلى :

حتى بدا الصبح مشمطا ذوائبه
يطارد الليل موشيا أكارعه[٣]

يقول ابن بسام : « قوله : (موشيا أكارعه) جعل ذوائب الصبح مشمطة من ممازجة الليل له وجعل أكارع الليل موشية من ممازجته الصبح لها وجعل آخر الليل من مواخره وهى المتصلة بأول الصبح وآخر الصبح من مقاومة وهى المتصلة بآخر الليل ، وأصاب فى الاشارة إلى التشبيه ، لأنه أومأ إلى الصبح كالثور الوحشى وهو أبيض والثيران الوحشية كلها بيض وأكارعها موشية على وجه الخصوص . وإنما ألمّ القسطلى فى هذا بقول أعرابى يصف ليلة فيقول : « خرجنا فى ليلة حندس[٤] قد ألقت على الأرض أكارعها فمحت صور الأبدان فما كدنا نتعارف إلا بالآذان[٥] » ..

ويستمر ابن بسام فى تعليقاته النقدية على هذا النحو من التفهم الدقيق وبسط الأدلة . ففى أثناء فصول من ترجمة للأديب « أبى بكر يحيى بن بقى » يورد له هذين البيتين :

عليك أبا عبد الإله خلعتها
لها البدر طَوْقٌ والنجوم دلائل

(١) الذخيرة القسم الأول المجلد الثانى ص ٣٢٠ وما بعدها .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) الشمط = بياض شعر الرأس يخالط سواده ، والذوائب جمع ذؤابة وهو مقدم شعر الرأس ، والأكارع جمع كراع وهو مستدق الساق يذكر ويؤنث [القاموس مادة شمط وكرع] .
(٤) ليلة حندس = شديدة الاظلام .

وما هى إلا الدهر فى طول عمرها
وإن لم يكن فيها الضحى والأصائل

ويعلق على البيت الأخير منهما بقوله : « فيالهذا البيت !! ما أحسن مذهبه وأبدع مثواه ومنقلبه إلا أنه أتى بالدهر مسلوب الضحى والأصائل فلم يزد على أن جلاه فى زى عاطل ، لا ،بل أبرزه فى مسوح شوهاء ثاكل وليت شعرى أى شىء أبقى للدهر المظلوم بعد ضحاه الناصعة الأديم وآصاله المعتلة النسيم هل بقى إلا ليله الأسود الجلباب وهجيره السائل اللعاب ولو قال لممدوحه : « وتلك العلا فيها الضحى والأصائل » لأبرز قصيدته زفافة البرود شفافة العقود[٦] ..

وله فى بعض تعليقاته النقدية مواقف تظهره على أنه يتحرى القواعد الموضوعة إذ أنه لا يسوغ للشاعر أن يخرج عنها أو يجافيها أو يستغرقها فى نظمه لئلا تبدو بعيدة غير مستساغة .

وهو فى ذلك يستوى عنده الشاعر من أهل أفقه أو من غيره كما فى تعليقه على الاستعارة البعيدة ونفوره منها إذ أخذ على « ابن شماخ » استعارته « كيسا » للكلام فى قوله :

فلولا علاه عشت دهرى كله
وكيس كلامى لا أحل له عقدا

وعدّ ذلك من مضحكات الكلام[٧] .

وقدح فى المتنبى لخروجه فى الاستعارة إلى حيز البعد بقوله :

مسرة فى قلوب الطيب مفرقها
وحسرة فى قلوب البيض واليلب

حيث جعل للطيب واليلب والبيض قلوبا[٨] ..

وهكذا . تكشف لنا تعليقاته النقدية عن ملكة فنية فيه تجلت فى أوضح كلام وأحلى بيان .

(يُتْبَع)

(٥) الذخيرة القسم الأول المجلد الأول ص ٦٩ .
(٦) الذخيرة القسم الثانى ص ٢٥٣ .
(٧) الذخيرة القسم الأول المجلد الثانى ص ٣٣٥ .
(٨) المصدر نفسه ص ٣٣٦ . واليلب = الدروع (يمانية) والبيض = الخوذات .

نحو دراسة مقارنة لمدرسة الديوان

٤

الفجيعة فى صديق الروح

بقلم الأستاذ : أحمد مصطفى حافظ

صداقة العظماء ـ ككل صداقة ـ واحة يتفيَّأ ظلالها الأصفياء .. ولا أحد يستطيع أن يمضى وحده فى ركب الحياة ، إذ لابد له من الرفيق ، قبل الطريق .. وقد نمرّ بألف تجربة وتجربة ، فى عملية الاختيار والتنقيب ، حتى نعثر على الصدِيق ، الذى قال عنه (أرسطو) :

« إنه هو .. أنت ، إلا أنه بالشخص .. غيرك . »

وصدق (طرفة بن العبد) فى قوله بشطر بيته المشهور :

عن المرء لا تسأل وسَلْ عن قرينه ..

فالإنسال لا يستطيع أن يعيش وحده فى هذا الكون ، كجزيرة نائية ، لا يزور ولا يُزار ، كما يحاول أن يُوهمنا ذلك ، الشاعر الإسبانى «لوب دى فيجا» ، حين يقول فى إحدى رباعياته :

إلى وحدتى أنا ذاهب
ومن وحدتى أنا قادم
ذلك أنه يكفينى :
– فى غُدُوِّى ورواحى –
صحبة أفكارى فحسب ..

ونحن مع فيلسوف راحل قال عن الصديق ، أنه : « هو ذلك الإنسان ، الذى تشعر فى نفسك بالفرح عند لقائه ، والشوق للجلوس إليه ، والإفاضة له بكل ما لديك . تُعطيه مفتاح قلبك وعقلك آمنا .. ليرى فيهما كل شىء .. يُوحشك بُعْده ، ويُؤنسك قُربه ، وتجد فى نفسك باعثاً قويا ، وحاجة مُلِحَّة ، لا يسدُّها إلا .. لقاؤه . . »

* *

وهناك نصٌّ شعرى رائع للشاعر الأمريكى «هنرى ودزورث لونجفلو» (١٨٠٧ – ١٨٨٢) عن الصداقة ، لم يحاول فيه أن يفيض فى الشرح والتفسير لمعنى الصداقة ، ولكنه اكتفى فى نهاية قصيدته ، بفلتة شعورية عميقة ، تجمعت فيها شتى المشاعر والأحاسيس التى تدع للمتلقى الفرصة للاستيعاب والتأمل ، بما يسوقه تداعى المعانى من صور ورموز وإيحاءات ، عن الصداقة .. « ولونجفلو » هو أحد الشعراء الكبار الذين أنجبتهم أمريكا ، حين صار لها أدب مستقل عن الأدب الإنجليزى ، خاص بها .. ومن قرنائه فى القرن التاسع عشر : إدجار ألن بو ، وولْت ويتْمان ، وإميلى ديكسون وثورو وإمرسون وهاوثورن وغيرهم .. وفى هذا النص ، يقول لونجفلو Longfellow

السهم والنشيد :

أطلقت سهما فى المدى المترامى
فمضى بعيدا ، كالسراب .. أمامى
ولفرط سرعته .. تلاشى واختفى
متطاير اللمحات .. كالأوهام
وكما ارْتقى – لاشك عندى – قد هَوى
فوق الثرى .. متراخيا .. بسلام

I shot an arrow into the air
It fell to earth, I knew not where
For, so swiftly it flew, the sight
Could not follow it in its flight

* *

ونفثت – فى ذات الفضاء نشيدى
يطوى الفلا .. متنقلا .. فى البيد
فمن الذى يدرى مدى طيرانه
إن كان يمكن رصد سيْر قصيد ؟
وبِحدَّة الإبْصار يدرك ما انتهى
يوما إليه .. وهل ثَوَى بصعيد ؟

I heard a song into the air,
It fell to earth, I knew not where,
For who has sight so keen and strong,
That it can follow the flight of song ?

* *

ومضى الزمان .. لِكى أرى بطريقى
سهمى سليما .. فى مَدَى تحِديقى
وقد استقر بسنديانة غابة
أما القصيد .. فجلَّ عن تصْدِيقى
فمن البداية للنهاية .. قد ثوى
بين الحنايا .. مِلْء قلب صديق !

Long, Long afterward, in a noak
I found the arrow, still unbroken,
And the song, from beginning to end,
I found again, in the heart of a friend.

والصداقة العميقة الوثيقة ، التى قامت بين الأديبين الكبيرين العقاد والمازنى ، فى إطار اتجاههما المشترك فى الفكر والحياة والشعور ، وتمتُّع كل منهما بموهبة أدبية ممتازة ، ونهْلهما سويا من ينابيع الثقافة العالمية ، بالإضافة إلى الثقافة العربية الواسعة الشاملة .. كل هذا كان له أبلغ الأثر فى نتاجهما الأدبى وإصرارهما على السير قُدُمًا لتحقيق الدعوة التجديدية التى ناديا بها لتطوير الشعر العربى، وتخليصه من التقليد والاحتذاء 'لآثار الأقدمين . وعلى قيثارة هذه الصداقة الفذة الفريدة ، عزف كل منهما الكثير من القصائد الرائعة ، ومن ذلك قول المازنى فى قصيدته التى تحمل عنوان : (إلى العقاد) .

يا مُوقظـــى من غفـــلات الشبـــاب ومُـــــــرشدى فى حيرتى للصواب
وباعثـــى إنْ فَتـــرتْ همَّتـــى ومُنْــهِضِى إمــا كبــا بى الطـــلاب
أعْـــزز على نفسى أن تشتكـــى شيئـــا ، وأنْ لا أستطيـــع الطِّبـــاب

ومن ذلك ، قصيدة العقادفى رثاء المازنى ، وهى موضع المقارنة اليوم مع قصيدة لونجفلو ، فقد نظمها من عبراته الحرار،وهوْل فجيعته فى صديق عمره ، التى أخْرجتْه عن وقاره واتزانه ، وجعلته يجأر قائلا :

وقالـــوا : المازنى قضى .. فضـــلَّتْ مِقـــــاصدُ قولهم .. أو ضل رشدى
كأن حديث مازعمـــوا خيـــال بعيـــد فى الحقيقـــة أى بُعْـــد
إذا عين غَفَتْ ، فاعْـــجب لأخـــرى من العيـــنين ، عالقـــة بسهـــد

* * *

صحبنـــا العمـــر عامـــا بعـــد عام على الحالين : من ضنك ورغـــد
وبين تعهـــد منـــه ، ومنـــى وبين تبسُّط منـــا .. وجـــدّ
إذا أخـــذت مذاهبنـــا ، وردَّت أمِنَّـــا نحن .. من أخـــذٍ ورد
ونحمـــد فى العشيـــة مُلتقانـــا إذا ذهب النهار بكـــل حمد
وأرحب ما تلقَّانـــــا اجتماع على شملين : من أدب ونقـــد
هى الآفاق عاليـــة ذُراهـــا على ما ضاق من غوْر ونجد
رأبْنـــا كل صادعـــة ، فزالت أيصـــدع ما رأبنا : شـــق لحـــد ؟!

* * *

نَمْينـــا شعرنـــا صِنْويْـــن حيـــاً فكيـــف رثـــاؤه بالشعـــر وحـــدى
وجاوزْنـــا السهـــول معـــا ، فمـــاذا ستُجْـــدى فى الوعـــور جهـــود فرد

إذا ثقــــل الشبـــــاب ، ولى زميـــــل فيابـــــؤس المشيب المستبــــــد
حيــــاة إن تطــــلْ .. فالويــــل ويْلى وإن تقْصُرْ .. فقـــد أبلـــغت قصدى
سلامــــــا أيها الدنيــــا .. سلامــــــا لأنت أحب لى .. لوعـــاش بعــــدى

وإذا رجعنا إلى رأى العقاد فى الأصدقاء ، نجده يقول :

« لا أصادق أحدا ولا أُعاديه فى مأرب من مآرب النفس ، ولا فى صغيرة من صغائر الضعف الذى يُبتلى به كل إنسان . فما عرفت صديقاً فعرفت لصداقتى له سببا غير فكرة نشترك فيها ، أو مطلوب من مطالب الأدب نتفق عليه ، أو غاية من الغايات العامة ، نسلك السبيل إليها ، أو طُرْفة من طُرف الراحة الروحية ، تعم كل من يستريح إليها ، ولا تخصُّنى أو تخصه ، بداعٍ من دواعى الأثَرة والمحاباة » .

وهذا القول أكثر ما يكون انطباقا على أعز أصدقائه وزميل كفاحه الأدبى : المازنى ، وهو مفتاح رائع لمرثيته ، يمكن به النفاذ إلى عالمها المشحون بالأسى والشجن ، فصديق (الراحة الروحية) غير أى صديق ، هو أنيس الجليس ، وشقيق الفؤاد ، يؤنس من وحشة ، ويملأ النفس غبطة وانشراحا .. فكيف إذا اخترمه الموت فجأة ، كيف يكون وقع المصاب ، أو المصيبة ؟! وقد خلا الكون من حول العقاد من المازنى .. إنه لم يصدق الخبر الفاجع فى أول الأمر ، كما يعبر عن ذلك البيت الأول من قصيدته ، الذى فزع فيه إلى الشك ، بل والإنكار ، ونعت قول النعاة بالضلال !! ثم نسب الضلال إلى رشده ، بعد تأكده واستيعابه لألم الفقْد الحزّاز .. ثم يُعطينا العقاد صورة فريدة نادرة ، حينما يصور نفسه وصاحبه ، كعينين متجاورتين فى وجه واحد ، كيف تغفو إحداهما ، تظل الأخرى .. (عالقة بسهد !) ؟ وهذا محال !

ثم يكُرُّ أمام ناظريْه ــ الدامعيْن ــ شريط الذكريات ، لأنضر الأيام ، وأجمل الذكريات ، عن الحُلْو والمُرّ ، وثبات الود ، مهما تضاربت الآراء ، واحتدمت المناقشات ، فى الصباح والمساء .. ثم يُصْمى العقاد أفئدتنا بهذا البيت البالغ الشدة فى مأساويته ، الذى يقول فيه :

رأَيْنــــــا كلَّ صادعــــــــة ، فزالت أيصدع ما رَأَبْنــــــــــــا : شقُّ لحد !

أى أن كل كوارث الحياة التى حاولت تفريقهما باءت جميعها ــ على هوْلها ــ بالفشل .. ثم يأتى (شقُّ لحد) : ليهدم كل شىء ، ويجعل أحدهما فى عالم ، والآخر : فى عالم آخر .. فلا يلتقيان ..

ثم يتحدث بعد ذلك ، عن صداقة العمر ، والبناء الأدبى الذى أقاما صرحه سويا ، بعزيمة وجلد ، ويفزع من الوحدة والانفراد ولا زال الشوط بعيدا ، يحتاج للتضافر والتآزر ، والمشاركة الوجدانية ، التى صوَّرها أبدع تصوير ، قول لونجفلو فى ختام أبياته :

ومضى الزمـــان .. لكـــى أرى بطريقـــى سهمـــى سليمـــا .. فى مدى تحديقـــى
وقـــد استقـــر بسنديانــــة غايــــة أمــا القصيــد : فجــلَّ عن تصديقــى :
فمـــن البدايـــة للنهايـــة .. قد ثوى بين الحنايـــا .. ملء قلب صديـــق !

و (ملء قلب صديق) هذه ، هى خير إجْمال للحياة الوجدانية المتكاملة ، التى يهفو إليها كل أديب وشاعر ، ليبث صاحبه نجواه ، ويشرح له رؤاه ، ومايتهدّى له ويتصيده من سبحات الخيال ومُعطيات الوجدان ، والمشاركة الروحية فى السراء والضراء .. والسهم الذى أطلقه (لونجفلو) فى المدى المترامى ، هو آماله وطموحاته ، التى جعلته يهيم فى كل واد ، بعد أن مرّ العمر ، من خلف الظهر ، أسرع من البرق ، ثم إحساسه بأن كل شىء سيغدو على مايرام، بعد أن يحط عصا الترحال، بالنسبة للحاجات المادية ، والمظاهر العرضية ، التى هى أشبه شىء بالظل الزائل ، واللون الحائل ، بالنسبة للأديب .. أما أشواقه الروحية ، وطموحه إلى المجد الأدبى ، فى حقل الإبداع الشعرى ، فكان يشفق من أن يكون قد ذهب أدراج الرياح .. إلا أنه سرعان ما يشعر بالفرحة الغامرة ، حينما يجد أن هذا الشعر ، أو القصيد ، قد وجد ملاذا وتجاوبا ، ملء قلب صديق : يفهم ، ويقدّر ، ويتجاوب ، ويُعجب ، ويحب .. لأن القلب هو مركز الحب .. فلم يقل لونجفلو ، مثلا ، « ملء ذهن صديق » .. فهو يعنى ما يقول حقا ، بأوْجز عبارة ، ولكنها برغم ذلك ، عظيمة الدلالة ، وتشرح كل شىء ..

وهكذا نرى أن مرثية العقاد ليست مرثية عادية بالمعنى المفهوم ، الذى يزخر بالدموع والتفجع والأسى ، ولكنها وثيقة نفسية يُستدل منها على الآصرة القوية التى جمعت بين هذين الأديبين الكبيرين ، بأبلغ وصف ، وأروع تصوير . وقد استوعب لونجفلو ، فى أبياته القليلة ، شتى الأبعاد والظلال ، والمواقف ، التى يمر بها الشعراء الأصدقاء ، فى كل زمان ومكان .

---

(١) أنظر ديوانه (مدينة بلا قلب) ص ١٠٣ .

هذا المخطوط

تلخيص تقريب النشر في القراءات العشر

إعداد التحرير

هو مخطوظ جليل القدر فى هذا الفن الكريم ، ويعتبر تلخيصاً لتلخيص « النشر فى القراءات العشر » الذى ألفه الإمام الحافظ أبو الخير شمس الملة والدين محمد بن محمد بن محمد بن على بن يوسف بن الجزرى .. رحمة الله . وقد أودعه مذاهب الأئمة القراء ، وضمنه من الطرق والروايات ما اشتهر وانتشر وثبت وصَحَّ لدى الإثبات المتقدمين ، ثم عرج ـ رحمه الله ـ على « النشر » فاختصره فى كتابه : .. تقريب النشر فى القراءات العشر ؛ فجاء ـ تلخيصا ـ فريدا حفظ على ذخائر « النشر » ولم يقصر فى فوائده فأما النشر فقد قام بتحقيقه إمام هذا الفن وأستاذه الشيخ على بن محمد الضباع شيخ عموم المقارئ بالديار المصرية ، وطبعة السيد/ مصطفى محمد بمطبعته ـ رحمه الله تعالى .

وأما التقريب فقد عنى بتحقيقه وأخرجه ـ فعلا ـ فضيلة الشيخ إبراهيم عطوة عوض وأعده لقسم القراءات التابع لكلية اللغة العربية بالأزهر الشريف ، وصدرت طبعته الأولى عام ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١م حاملة تحقيقه فى قطع متوسط مسطرته خمسة وعشرون سطراً فى مائتى صفحة .

ثم وقع الشيخ إبراهيم عطوة على « تلخيص التقريب » وهو هذا المخطوط الذى جاء بوجه ورقته الأولى عبارة « وقف هذا الكتاب الحقيرُ أحمد الدمنهورى على طلبة العلم بالأزهر ، وجعل مقره خزانته بالمقصورة » وأعلى هذه العبارة كلمة « مختصر التقريب » والمخطوط من خزائن مكتبة الأزهر الشريف رقم (٦٩) خصوصى ، و (٤٤٧٥) عمومى ، فن القراءات وجاء بوجه الورقة الثانية أو الكتاب قال :

« بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين »

قال سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الإسلام ملك العلماء الأعلام ، عمدة المحققين ، زين الملة والدين أبو يحيى زكريا الأنصارى الشافعى ـ رحمه الله ـ ونفعنا والمسلمين ببركته ، بمحمد [صلى الله عليه وسلم] وآله .. آمين(١)

ثم بعد :

فإن الصلة العلمية للإمام أبى يحيى زكريا الأنصارى بالإمام ابن الجزرى متينة الأصول :

(أ) جاء فى (فائدة للتحفظ) إجازة فى القراءات من (وقف أحمد بن اسماعيل بن محمد تيمور) مصطلح حديث تيمور (١١٦) ـ جاء فى هذه الإجازة ـ بصدد سلسلة ذِكْرِ أخذ قارئ عن أستاذ .. (... الشيخ محمد بن حسن السمانودى الشهير بالمنير ، وهو قرأ على الحافظ النور الرفيلى ، وهو قرأ على البقرى قطب زمانه ، وقرأ شيخه على اليمين ، وهو على الوالد

(١) أنظر صورة وجه الورقة الثانية .

كامل بقرى على الطبلاوى شيخ أهل زمانه فعن شيخ الإسلام زكريا الأنصارى ، فعن شيخه الشيـــخ النووى ؛ فعن شيخ هذا الفن شمس الدين محمد بن الجزرى ...) ... أنخ . أهـ .

لذا كان للإمام زكريا عناية بشيخ شيخه شمس الدين أبى الخير محمد بن الجزرى فوضع شرحا على المقدمة الجزرية ، وهى مقدمة منظومة ، وسمّى شرحه (الدقائق المحكمة فى شرح المقدمة) وشارك ـ بذلك ـ الشيخ ملا على بن سلطان محمد القارى الذى شرح مقدمة ابن الجزرى أيضا وسمى شرحه (المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية) . وطُبع الشرحان على المقدمة ، طبعهما مصطفى البابى الحلبى آخر طبعة عام ١٣٦٧هـ .

وللشيخ زكريا أيضا مُؤَلَّف فى الوقف والابتداء ، طبعه أيضا مصطفى الحلبى عام ١٣٩٣هـ .

فالشيخ زكريا الأنصارى عالم بحر جوال ، طرق الفنون بقدم راسخة وأستاذية عالية ، ثم هو قارئ إمام فى فن القراءات ليس عسيرا على مثله أن يقدم هذا العمل ... لكن عسير علينا أن نقطع بأن هذا المخطوط المفيد هو كتابه ـ طبقا لقواعد التحقيق ـ ولعل من أهل الفن من يقدم لنا الدليل ، لذا نقف بجياد كامل لنقول : هذا المخطوط « تلخيص تقريب النشر فى القراءات العشر » منسوب إلى أبى يحيى زكريا الأنصارى » حتى يأتينا الدليل ، وليس بعسير ـ إن شاء الله

وقد حرص الواقف على تكرار عبارة (وقف على طلبة العلم بالأزهر بخزانته الدمنهورى) مكتوبة أعلى الصفحات : ١١ ، ٢١ ، ٣١ ، ٤١ ، ٥١ إلى آخر الكتاب .

ويبدو ـ والله أعلم ـ أن هذا الواقف هو الشيخ أحمد بن عبد المنعم بن يوسف بن صيام الدمنهورى ـ صاحب .. مقدمة الدمنهورى فى القراءات على مذهب الإمام عاصم » رحمهما الله .

ولد بـ « دمنهور الوحش » مديرية الغربية وقتئذ عام ١١٠١هـ ، وتوفى بالقاهرة عام ١١٩٢هـ ، ومقدمته هذه مخطوطة . أنظر الأعلام للزركلى .

والنسخة المخطوطة التى نقدم هذا الحديث عنها هى الثانية من مجلد يحمل مخطوطين : كتابنا هذا ، وقبله كتاب مخطوط ـ أيضا ـ هو « إتحاف البررة بما سكت عنه نشر العشرة » وهو كذلك من وقف الشيخ أحمد الدمنهورى على طلبة العلم بالأزهر بنفس خزانته .

نسبة الكتاب :

ذكر ناسخ المخطوط أنه للإمام أبى يحيى زكريا الأنصارى ـ رحمه الله ـ !

وبالعودة إلى مواطن مؤلفات هذا الإمام العلم[1] ، وبالبحث عن مؤلفاته فى هذا الفن لم نعثر على كتاب له بهذا الاسم . قال (روزنتال) ص ٨٤ :

.. وأخبرتْ جماعة الزيدية ابن النديم صاحب الفهرست أن الإمام الناصر للحق خلف مصنفات أكثر بكثير مما تَعَرَّفَ إليه ، أو رآه ؛ فترك ابنُ النديم فراغا ، وطلب إلى القراء أن يضيفوا عناوين هذه الكتب فى المكان المعد لها إذاقيض لهم أن يروا هذه الكتب التى أشارت إليها الزيدية ، أ هـ .

ونضيف إلى ذلك ما فعله مؤلفون فى الشرق والغرب على السواء إذْ قاموا بإعدام مؤلفاتهم فإذا البعض من التلاميذ يذكر اسم الكتاب دون جدوى من العثور عليه ؛ فقد مات الكتاب إلى الأبد .

ثم بين أيدينا فى هذا المقام الشيخ الواقف ؛ وإذا كان هو الذى توصلنا إليه ـ وهذا أمر يعسر تقريره ـ لقلنا : إنه عالم أيضاً بفن القراءات ، وبعيد على مثله ألا يعرف الخطأ من الصواب فى فن من اختصاصه ، ولقلنا : إن مؤلف مخطوطنا ـ فعلا ـ هو الإمام أبو يحيى زكريا الأنصارى .

ومما يلفت النظر ـ أن الناسخ لم يذكر اسمه ، فإن مال إنسان إلى أنه نفس الشيخ الدمنهورى ، فإنه مطالب بالدليل .

(١) أنظر للسخاوى : الذيل على رفع الإصر ص ١٤٠ » ، وأنظر : هدية العارفين (١/ ٣٧٤) والضوء اللامع (٣/ ٢٣٤) والكواكب السائرة (١/ ١٩٦) والنور السافر (١٢٠) ومعجم سركيس (٤٨٣) والزركلى (٣/ ٨٠) ، وفهرس الفهارس والأثبات (١/ ٤٥٧) وخطط مبارك (٦٢/١٢) .

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قال سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الاسلام ملك العلما الاعلام
عمدة المحققين زين الملة والدين ابو يحيى زكريا الانصاري الشافعي رحمه الله
ونفعنا والمسلمين ببركته بمحمد واله امين بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي
يسر بتقريبه على من وفقه القرآات العشر وجعل القرآن العظيم شافعا له يوم
الحشر واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة منجية من الهول
والضرر واشهد ان محمدا عبده ورسوله المويد بالنصر صلى الله عليه وعلى
اله وصحبه المنزهين عن القبح والشر وبعد فهذا ملخص تقريب النشر في
القرآات العشر مع فوايد ترتقي بها النبيه لحصيه لتسهيل لحفظ مبانيه وفهم
معانيه وسميته تلخيص تقريب النشر في معرفة القراات العشر والله اسال ان
يجعله نافعا خالصا لوجهه الكريم ووسيلة للفوز بجنات النعيم
مقدمة في مبادي علم القرآات وفي بيان المقري والقاري اصطلاحا فمباديه
حده وموضوعه وغايته واستمداده ومسايله فحده علم باصول يعرف
بها احوال الفاظ القرآن من حيث النطق بها وموضوعه الفاظ القرآن
من حيث يبحث فيه عن احوالها كالمد والقصر والنقل واستمداده من السنة
والاجماع وغايته ما يتزا به كل من ايمة القرا ومسايله المطالب التي يبرهن
عليها فيه كعلمنا بان قراة نافع كذا وقراة حمزة كذا والمقري العالم بالقرآات
الراوي لها مشافهة والقاري مبتدي وهو من شرع في افرادها الى ثلاث
منها ومنته وهو من نقل منها اكثرها واشهرها ومتوسط في العشر
وهو من نقل منها اربعا او خمسا باب اسما الايمة القرا العشرة
ورواتهم وطرقهم وهم نافع من روايتي قالون وورش عنه وابن كثير
من روايتي البزي وقنبل بواسطتين عنه وابو عمرو من روايتي الدوري
والسوسي عن يحيى اليزيدي عنه وابن عامر من روايتي هشام
وابن ذكوان بواسطتين عنه وعاصم من روايتي ابي بكر شعبة
بن عياش وحفص بن سليمان عنه وحمزة من روايتي خلف وخلاد
عن

وقف الله تعالى ... م كاتبه ... البرسلانية الاسلامبولي علي ... (margin note)

صورة وجه الورقة الثانية من المخطوط وهي أول الكتاب

كثير وابو عمرو ورويس لا تسمع بيا مضمومة لاغية بالرفع وكذا نافع لكن بالتا نحنا والباقون بتا مفتوحة ونصب
لاغية بمصيطر من في الطور قرا ابو جعفر ايابهم بالتشديد والباقون بالتخفيف قرا الاخوة والوتر بكسر الواو
والباقون بفتحها قرا ابن عامر وابو جعفر فقدر بتشديد الدال والباقون بالتخفيف قرا البصريان سوى روح من طريق
يكرمون ويحضون وياكلون ويحبون بالغيب في الاربعة والباقون بالخطاب واثبتا الفا بعد الحا تحاضون الكوفيون
وابو جعفر وجيء من في البقرة قرا الكسائي يعذب ويوثق لا يعذب ولا يوثق بفتح الذال والثا والباقون بكسرهما يا ات
الاضافة ثنتان ربي اكرمن ربي اهانن والزوائد اربع يسر بالواد اكرمن واهانن ومر حكم الامرين قرا ابو جعفر لبدا بتشديد
البا والباقون بتخفيفها ومر ليحسب في البقرة وانلم يره في ها الكناية قرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي فك بفتح الكاف
رقبة بالنصب اطعم بفتح الهمزة والميم بلا الف ولا تنوين والباقون برفع فك وجر رقبة اطعام بكسر الهمزة
ورفع الميم منونة والف قبلها ومر موصدة في الهمز المفرد وامالة رؤس اي والشمس والليل والضحى والعلق
قرا المدنيان وابن عامر فلا يخاف بالفا والباقون بالواو ومر لليسرى وللعسرى لابي جعفر ومر انلظى لرويس
وابن كثير والعسر يسرا في البقرة واقرا في الهمز المفرد قرا قنبل بخلاف عنه ان راه بقصر الهمزة والباقون بمدها ومر امالته
وامالة ادراك في بابها وارايت في الهمز المفرد وتنزل لابن كثير قرا الكسائي وخلف مطلع بكسر اللام والباقون بفتحها ومر
البرية معا في الهمز المفرد وربه ويره معا في ها الكناية ويصدر في النسا والعاديات ضبحا فالمغيرات صبحا في الادغام
الكبير وما هيه في الوقف على الرسم قرا ابن عامر والكسائي لترون الجحيم بضم التا والباقون بفتحها قرا ابن عامر والاخوة وابو جعفر
وروح جمع بالتشديد والباقون بالتخفيف ومر يحسب في البقرة وموصدة في الهمز المفرد قرا الاخوة وشعبة عمد بضم العين
والميم والباقون بفتحهما قرا ابن عامر لئلاف بلا يا بعد الهمزة وابو جعفر بيا ساكنة بلا همز والباقون بهمزة مكسورة ثم يا
قرا ابو جعفر الافهم بهمزة مكسورة بلا يا والباقون بهمزة ويا ساكنة ومر ارايت وشانئك في الهمز المفرد وعابد وعابدون في
الامالة يا ات الاضافة ولي دين والزوائد دين ومر حكم الامرين قرا ابن كثير ابي لهب باسكان الها والباقون بفتحها قرا عاصم حمالة
بالنصب والباقون بالرفع كفوا مر في البقرة قرا رويس بخلاف عنه النفاثات بالف بعد النون وكسر الفا مخففة
وروح من طريق بضم النون وتخفيف الفا ثم الف والباقون بفتح النون وتشديد الفا مفتوحة ثم الف الناس مر في الامالة

باب التكبير وهو في الاصل سنة المكيين عند ختم القران ولو في صلاة ولهم في ذلك اخبار واثار مرفوعة وموقوفة وصح عن
ابن كثير التكبير فان الاصل وقرانا به من رواية السوسي عن ابي عمرو وقد كان بعض ايمة القرا ياخذ به عن جميع القرا وكان بعضهم
ياخذ به في كل سورة من جميع القران واما لفظ التكبير فلم يختلف في انه الله اكبر قبل البسملة وزاد جماعة قبلها
التهليل عن ابي الحباب عن ابن كثير بان يقول لا اله الا الله والله اكبر وهو زيادة حسنة ثبتت روايتها وصح سندها
وزاد بعض الاخذين عن ابي الحباب بعد ذلك ولله الحمد ثم اختلف رواة التكبير من اي موضع يبتدا به فرواه الجمهور من
اول الم نشرح او من اخر الضحى على خلاف مبناه هل التكبير لاول السورة او لاخرها فالاكثر على انه من اخر الضحى والاقل على انه من اول الم نشرح
ورواه بعضهم من اول الضحى ولم يروه احد من اخر الليل ومن ذكره كذلك كالشاطبي وغيره اراد به انه من اول الضحى
واما انتهاؤه فمن كان عنده لاولها قطع التكبير لاخر السورة كبر حتى ينتهي فيكبر في اخر السورة ومن كان عنده لاولها
قطع التكبير في اول الناس ولم يكبر في اخرها ويتاتى على التقديرين حال وصل السورة بالسورة ثمانية اوجه يمتنع منها وصل الكل
مع القطع على البسملة لانها لاوايل السور لا لاخرها والسبعة الباقية جائزة فاثنان منها على تقدير ان يكون لاخر السورة
واثنان على تقدير ان يكون لاولها وثلاثة محتملة على التقديرين فاللذان على تقدير كونه لاخر السورة اولهما
وصل التكبير باخر السورة والوقف عليه مع وصل البسملة واللذان على تقدير كونه لاول السورة اولهما قطعه عن اخر السورة
تركته على حاله وحذفت همزة الوصل للدلالة لانه الساكن نحو الحميد الله اكبر وان كان صلة حذفتها نحو ربه الله اكبر واذا وصلته بالتهليل

اخر صفحات الكتاب

أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

للأستاذ : مصطفى عبدالمجيد

الرئيس مبارك يكرم حفظة كتاب الله في ليلة القدر

فى ليلة قرآنية مباركة وفى ذكرى ليلة القدر وفى قاعة الإمام محمد عبده بجامعة الأزهر كرمت مصر حفظة القرآن الكريم وعلماء الإسلام من مصر وعشرين دولة إسلامية فى قارات العالم الست حيث منح السيد الرئيس محمد حسنى مبارك خمسة وعشرين عالما وقارئا وحافظا للقرآن الكريم الأوسمة كما وزع جوائز الحج والعمرة وجوائز أخرى مالية للفائزين فى المسابقة الإسلامية الكبرى التى شارك فيها (٣٠) ألف طفل وشاب وفتاة من مصر وممثلين عن (٧٠) دولة إسلامية يدرس أبناؤها فى الأزهر الشريف .

وقد شهد حفل تكريم أهل القرآن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر والأستاذ الدكتور رئيس مجلس الوزراء والأستاذ الدكتور وزير الأوقاف وكبار رجال الدولة ودعاة مصر والعالم الإسلامى .

وقد ألقى الرئيس مبارك كلمة أمام الحفل دعا فيها سيادته إلى ضرورة التوحد والابتعاد عن التحزب والتطرف والانقسام ؛ فكتابنا الكريم يريدنا أن نكون مجتمعين موحدين .

وفى كلمة جامعة أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على ضرورة أن يعى المسلمون دلالات هذه الليلة المباركة وأن يكون ذلك بالعودة الكاملة إلى دين الله .

كما أكد فضيلته على أن هذه المناسبة دعوة لأن نحتفى جميعا بحفظة كتاب الله وأن ندعو أنفسنا وأبناءنا وصغارنا إلى حفظه والعمل به .

الإمام الأكبر يتلقى تقريرا عن أحوال المسلمين فى جمهوريات الكومنولث

بعد رحلة موفقة إلى الجمهوريات الإسلامية بدول الكومنولث الجديد عاد فضيلة الشيخ أحمد عطا سعود رئيس الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية والوفد الذى سافر إلى هذه الجمهوريات تحت رئاسته واستغرقت الزيارة عشرين يوما قام الوفد خلالها بتفقد أحوال المسلمين فى هذه الجمهوريات ودراسة احتياجاتهم التعليمية والثقافية وما يمكن للأزهر الشريف أن يقدمه لهم فى هذه المجالات وقد عرض فضيلة رئيس الوفد على فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر التقرير الذى أعده عن هذه الزيارة .

الإمام الأكبر يفتتح الدورة التدريبية للأئمة والدعاة

افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدورة التدريبية السابعة عشرة للأئمة والدعاة من مختلف دول العالم والتى تنظمها اللجنة العليا للدعوة بالأزهر تستمر الدورة ثلاثة أشهر ويشارك فيها عدد من العلماء والدعاة من جمهوريات الكومنولث الست ورومانيا بالاضافة إلى نيجيريا وماليزيا .

وقد طالب فضيلة الإمام الأكبر فى الكلمة التى ألقاها بهذه المناسبة دعاة العالم الإسلامى وعلماءه بالعمل على توثيق التعاون والتواصل والتلاحم بين الأمم والشعوب الإسلامية فى كل مكان .

أنبـاء مكتـب فضيلـة الإمـام الأكبـر شيـخ الأزهـر

كما طالبهم فضيلته بأن يستزيدوا بصفة مستمرة من كافة المعارف والثقافات والعلوم فى كل فروع المعرفة حتى يتمكنوا من أداء رسالتهم السامية فى بلادهم وفى العالم أجمع .

الإمام الأكبر شيخ الأزهر يشهد الجلسة الافتتاحية لمؤتمر المرأة والتنمية

شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهـر الجلسة الإفتتاحية لمؤتمر المرأة والتنمية الذى نظمتـه جامعـة الأزهر بالاشتراك مع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية تحت رعاية السيدة حرم السيد رئيس الجمهورية .

وقد ناقش المؤتمر على مدى ثلاثة أيام العديد من الأبحاث حول مكانة المرأة فى الإسلام ودورها فى عملية التنمية كما تناولت الأبحاث كذلك عمل المرأة من المنظور الإسلامى .

وفى ختام أعماله أكد المؤتمر على أن أهم عملية تنموية تقوم بها المرأة هى التنمية البشرية التى هى محور تقدم المجتمع وتثبيت أهميتها العظمى فى مواجهة مقاييس التنمية الاقتصادية عند الآخرين .

وأهاب المؤتمر بجميع الهيئات والمنظمات بضرورة تغيير استراتيجية عملها واهتماماتها بحيث تنقل نشاطها إلى الأماكن الشعبية وأماكن التجمعات خاصة فى الريف .

الإمام الأكبر يكرم طلاب الأزهر المتفوقين فى حفظ القرآن الكريم

شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر حفل تكريم طلاب الأزهر المتفـوقين فى حفـظ وتجويـد القـرآن الكريم ، حيث قام فضيلته بتوزيع الجوائز المالية على أربعين طالبا من الفائزين فى مسابقات حفظ القرآن الكريم من مختلف المناطق الأزهرية .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر على ضرورة أن يكون الأزهريون دائما فى مقدمة العاملين على حفظ القرآن الكريم وتحفيظه لأنهم القدوة لغيرهم سواء كانوا صغارا أم كبارا لأنهم القدوة فى الالتزام الدينى والمحافظة على القرآن الكريم حفظا وتجويدا وترتيلا وفهما وعملا .

وكان فضيلة رئيس المعاهد الأزهرية قد أشار إلى الاهتمام الكبير فى الذى يوليه الأزهر لحفظ القرآن وتجويده بين طلابـه فى مختلـف معاهدهـم ومراحـل تعليمهم .

وأكد على أن التفوق فى حفظ القرآن الكريم هو الذى يؤهل الطالب أن يكون عالما فاضلا فى المستقبل .

الإمام الأكبر يرأس اجتماعا لمديرى المناطق الأزهرية

ترأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر اجتماعا لمديرى المناطق الأزهرية على مستوى الجمهورية .

تم فى هذا الاجتماع بحث وضع الخطط اللازمـة للنهوض بالمعاهد الأزهرية كذلك وضع خطة شاملة للتدريب الفنى والإدارى والعلمـى لمدرسى المعاهـد الأزهرية والفنيين والإداريين وإعادة النظر فى اللوائح المنظمـة لأعمـال التوجيـه الفنـى لمدرسى المعاهـــد الأزهرية ، لتحديثها وادخال تعديلات عليها بما يخدم العملية التعليمية ويدفع بها إلى الأمام .

كما تقرر وضع خطة لتجميل مبانى المعاهد الأزهرية بما يناسب مكانتها الدينيـة والعلميـة وإنشاء معاهـد نموذجية فى عواصم المحافظات والمدن الكبرى .

حضر الاجتماع فضيلـة رئـيس الإدارة المركزيـة للمعاهد الأزهرية والوكلاء .

أنباء العالم الإسلامى

للأستاذ مجدى عبدالحميد بشير

مؤتمر عن الأمة الإسلامية فى مواجهة التحديات المعاصرة

عقدت رابطة الشباب العربى المسلم مؤتمرها السنوى الرابع عشر مؤخرا فى مدينة (فينيكس) بولاية (اريزونا) الأمريكية وحضر المؤتمر حشد كبير من شباب المسلمين وكوكبة من العلماء البارزين من مختلف أنحاء العالم الإسلامى .

وناقش المؤتمر مسيرة الأمة الإسلامية فى مواجهة التحديات المعاصرة والخطوات الواجب اتباعها فى هذا الصدد .

دعـوة إلى الخير

دعا السيد يوسف الأخضر مسئول قسم الجمهوريات الإسلامية بهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية ، الهيئات الإسلامية المختلفة للمبادرة بدعم مشروع الهيئة الرامى إلى طبع مائة ألف نسخة من المصحف المفسر الذى تتكلف طباعة النسخة الواحدة منه دولار امريكى واحد ، وسيقوم متطوعو الهيئة بالإشراف على الطباعة والتوزيع على المعاهد الدينية ومراكز تحفيظ القرآن الكريم فى مختلف الجمهوريات الإسلامية .

مبنى إسلامى جديد فى أوزبكستان

تقرر إقامة مبنى جديد للمعهد الإسلامى العالمى باسم شيخ الإسلام برهان الدين المرغلانى فى مدينة (مرغلان) فى (اوزباكستان) .

ويتكون المبنى من أربعة طوابق تضم حوالى مائتى فصل تخصص لتدريس القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه الإسلامى وما يستجد من بحوث تتعلق بهذه الفروع .

ندوة إسلامية عن وضع الأسرة المسلمة فى كندا

عقدت (بكندا) ندوة إسلامية عن وضع الأسرة المسلمة فى (كندا) وما يعترضها من مشكلات .. وقد نظم الندوة الجمعية الإجتماعية للمسلمين بكندا ، وكان من أهدافها زيادة الوعى بين المسلمين والإطلاع على المشكلات والقضايا التى تهم الأسرة المسلمة هناك ، وقد حضر الندوة عدد من الشخصيات الإسلامية وجمع غفير من مسلمى كندا .

معرض ثقافى إسلامى فى بوليفيا

أقيم فى (لاباز) عاصمة (بوليفيا) معرض ثقافى إسلامى عرضت فيه صور للفن الإسلامى المعمارى وكُتب ومطبوعات دينية متعددة بعضها مترجم بالإضافة إلى عرض أفلام إسلامية وأشرطة قرآنية مسجلة .

كما ضم المعرض منتجات متنوعة من صنع عدة بلدان إسلامية ، ونماذج من الخط العربى فى سائر الأقطار الإسلامية وقد وُزعت خلال المعرض نشرات إسلامية باللغة الأسبانية .

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحية : تحت السماء البيضاء سيل من الدموع لرئيس التحرير	١٣٠١
● كلمة رئيس الجمهورية	١٣٠٧
● فتويان لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر	١٣١١
● مع سورة الانفال لفضيلة الاستاذ الدكتور عبد الجليل شلبى	١٣١٧
● قبس من أنوار النبوة للشيخ على حامد عبد الرحيم	١٣٢٠
● من هدى النبوة (حديث قدسى) قسم التحرير	١٣٢٣
● السوق الإسلامية المشتركة بين النظرية والتطبيق بقلم : لواء دكتور فوزى محمد كامل	١٣٢٤
● هموم المسلمين فى شرق إفريقية د. عبد الله نجيب محمد	١٣٢٩
● يقظة الضمير أيها الحائرون بقلم : فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان	١٣٣٣
● أمجاد الأسطول الإسلامى الأول بقلم : لواء أ.ح. محمد جمال الدين محفوظ	١٣٤٠
● امبراطورية المغول بقلم : الدكتور / أحمد محمد الدسوقى المنوفى	١٣٤٧
● مغامرات ماسونى للدكتور عبد الجليل شلبى	١٣٥٥
● لحظات طيبات مع الإمام محمدبن شهاب الزهرى إعداد : عادل خفاجة	١٣٥٨
● فريضة العمر (أحكاماً وأسراراً) لفضيلة الشيخ : معوض عوض إبراهيم	١٣٦٢
● الفتـــاوى ... إعـداد : عبد المنعم فودة	١٣٦٥
العلوم الكونية	
● طاقة الرياح وتنقية الطواحين الهوائية أ.د. أحمد فؤاد باشا	١٣٦٨
● الطاقة النووية ما لها وما عليها أ.د. محمد أحمد الناغى	١٣٧٢
● التشخيص والعلاج ـ العقم للأستاذ الدكتور أحمد رجاء عبد الحميد	١٣٧٦
● الجديد فى العلم والتقنية إعداد : د. نجوى السيد أحمد	١٣٧٩
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر إعداد وتقديم / عبد الفتاح حسن الزيات	١٣٨٤
● طرائف ومواقف للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	١٣٨٨
● من أعلام الأزهر المستشار محمد عزت الطهطاوى	١٣٩١
الشعر والشعراء	
إشراف الأستاذ رشاد محمد يوسف	
● يا أمُّ للشاعر : محمد عبد الرحمن صان الدين	١٣٩٦
● شجرة الليمون للشاعرة : جليلة رضا	١٣٩٨
● يا هاجرا للشاعر : محمد عبدالوهاب جنيدى	١٣٩٩
● شعر الأخنس بن شهاب التغلبى للأستاذ / أيمن محمد ميدان	١٤٠٠
اللغة والأدب والنقد	
● طريق علم اللغة عند الغربيين للأستاذ الدكتور توفيق محمد شاهين	١٤٠٧
● أبو عبيدة بن الجراح ومحمد صبيح للأستاذ / السيد حسن قرون	١٤١١
● ابن بسام ولمحاته النقدية للدكتور محمود جمعة خليفة	١٤١٧
● الفجيعة فى صديق الروح بقلم الأستاذ أحمد مصطفى حافظ	١٤٢٤
● هذا المخطوط إعداد : التحرير	١٤٢٩
● أنباء وآراء الأستاذ : مصطفى عبد المجيد الأستاذ : مجدى عبد الحميد	١٤٣٣
القسم الفرنسى	
إشراف الأستاذ محمد عمر	
المقال الثانى	١٤٣٨
المقال الأول	١٤٤٧
القسم الإنجليزى	
المقال الإنجليزى الثانى	١٤٥٣
المقال الإنجليزى الأول	١٤٥٨

Or, notre ultime bonheur tient au fait que c'est Allah Lui-même qui en a précisé le but; car Sa miséricorde envers nous, ne nous a pas laissés préciser nos objectifs ni les voies qui nous y mèneront.

Mais Allah — gloire à Lui-nous les a précisés lui — même, car toute passion humaine lui est étrangère; c'est alors que la parole divine : "la voie droite est celle que'Allah nous indique." devient elle-même la vérité authentique. Elle est l'unique témoignage de l'objectif parfait et immuable qui même à un bonheur sans failles si minimes qu'elles soient.

Prenons pour exemple l'inventeur; c'est lui — même qui précise l'utilité de son invention ainsi que son but, avant même de la fabiquer, il précise également son mode d'entretien.

Puisqu'Allah estle Créateur, c'est donc Lui qui précise le but de Sa création, or, puisque c'est Lui qui a créé. Il est le Seul à pouvoir donner la recette du bonheur éternel pour cette créature.

Or l'égarement des humains vient du fait qu'ils ont précisé un but pour ce qu'ils n'ont pas créé, et qu'ils ont détérminé un objectif pour ce qui n'est pas l'object de leurs mains !!

Le révérend cheikh dit au sujet de la parole divine concernant le livre évident qui est "le guide pour ceux qui craignent Allah" : Allah-Tout Puissant - a employé le terme "direction" et n'a point dit "dirigeant" : ici la nuance entre les deux termes a une valeur considérable. Le révérend cheikh s'explique par l'exemple suivant : lorsqu'on emploie dans le langage courant l'expression "juge équitable", on entend par là qu'il y a un judge et qu'il est doué d'une qualité; or, il se peut que ce juge soit soumis à des circonstances ou même à des passions qui le dépouillent de cette qualité ou qui font que cette qualité ne peut lui être attribuée.

Lorsque nous disons dans le langage courant qu'une juge est l'équité même, cela veut-dire que l'équité est en lui, qu'elle est inhérente à sa nature !

Donc, lorsqu'Allah — Gloire à lui — a dit au sujet du livre évident qu'il est un guide pour les croyants, Il lui a attribué les qualités de stabilité et de permanence dans la voie d'Allah et cela dans l'absolu. C'est ainsi que la première expression "guide" est de loin plus éloquente.

Parlant de ceux qui craignent Allah, le révérend cheikh pose la question suivante : le Livre Saint est-il le guide divin destiné aussi bien aux croyants qu'aux non-croyants? A cela il répond en disant : puisque le guide est par lui-même un témoignage donc l'expression "les croyants" ne désigne pas excelusivement les croyants. En effet, pour le croyant le guide divin et un moyen de s'élever quant à celui qui n'a point d'élévation morale et qui se laisse aller au gré de ses passions, le Coran peut lui servrir, car il est un témoignage irréfutable pour tous les humains.

Ainsi le Coran représente le seulguide fourni par Allah à tous les humains : les croyants et les non-croyants : il guide les non-croyants vers les exigences de la dévotion; quant aux croyants, il les aide à l'obéissance et au progrès dans cette voie, en leur faisant aimer la foi et en les éloignant de la mécréance, de la débauche et de la désobéissance.

Le révérend cheikh appuie son raisonnement par l'argument suivant : il passe en revue les incidences du mot "guide" dansle Saint Coran, pour montrer que ce terme concerne aussi bien les croyants que les incroyants.

C'est ainsi qu'Allah agit envers toutes Ses créatures. Il aide celui qui se tourne vers Lui et le dirige de mieux en mieux, alors qu'Allah laisse à son gré celui qui se détourne de Lui.

Hoda Abdel Hamid Mohamed

Un guide divin destiné à tous les humains.

Grâce à la bénédiction d'Allah et à Son appui, nous nous retrouvons tous les vendredis avec le révérend cheikh Cha'rawi autour d'un sujet concernant le Coran.

Il nous fait part de ses réfléxions sur le saint Coran, dans le but de nous informer, de nous instruire et de nous guider par les enseignements qui abondent dans le livre d'Allah. Le Coran est en effet la source intarissable et pure du dogme; il indique la vraie voie, il renferme la vérité et l'argument indiscutable.

Lorsque le révérend cheikh Cha'rawi explique ce qu'on entend par la voie d'Allah dans le Coran, il dit :

«La voie d'Allah est pour l'hummanité le guide parfait et irrévocable»

Quant au guide humain, il est imparfait : il exige des rectifications et des modifications, parce qu'il provient d'un être changeant et imparfait; c'est pourquoi ce guide sera forcément changeant et imparfait.

Le cheikh Cha'rawi ajoute dans son explication de la parole divine : "Le Coran renferme un guide pour ceux qui craignent Allah" que le Coran est assurément la révélation d'Allah, il renferme le guide parfait, éternel et irrévocable pour l'humanité; c'est en suivant la voie d'Allah que l'homme atteindra la foi la plus parfaite et n'aura plus besoin d'être guidé par un humain imparfait.

Le guide divin nous indique ce qui est exigé de nous, c'est lui qui nous permet d'atteindre ce but, puisqu' Allah nous a tracé la voie dans le livre évident, donc, la voie droite c'est celle qu'Allah nous indique; car c'est lui qui a posé l'objectif immuable et permanent, l'objectif parfait pour le bonheur parfait. Allah — tout Puissant — en parlant de l'Islam qui est la dernière des religions dit : "Aujourd'hui, j'ai rendu votre religion parfaite, j'ai parachevé Ma grâce sur vous, J'ai agréé l'Islam comme étant votre religion."

Le révérend cheikh explique ceci par la métaphore suivante : si des humains doués d'une intelligence parfaite qui atteint le paroxysme du génie, voulaient réaliser pour l'homme une fin après laquelle il jouirait du bonheur parfait et n'éprouverait ni souffrance ni peine et qu'ils se mettaient à imaginer un paradis merveilleux où l'homme vivrait ... Auraient-ils l'idée de lui assurer tous les moyens de jouissance dans ce paradis? pourrait-il par exemple manger et boire sans que sa digestion produise des excréments?

Cheikh Cha'rarwi poursuit donc cette image qu'il termine par une question, puis il ajoute : si le génie humain en était capable, cette idée même ne pourrait pas lui venir à l'esprit, car son génie si parfait et si sublême qu'il soit est en réalité imparfait et ne peut aboutir qu'à des imperfections. Donc, même si les humains précisaient le but visé, ils ne pourraient rendre justice à celui qui sera rétribué.

Il nous semble opportun d'interpréter cette notion أسلم وجهه لله وهو محسن par une paraphrase, c'est à dire un choix d'expressions plus longues en ajoutant certaines explications nécessaires destinées au lecteur éventuel :

Celui qui s'est livré entièrement à la volonté d'Allah, en ayant confiance totale à lui, en accomplissant les bonnes actions, aura sa récompense auprès de son Seigneur.

Nous remarquons que la différence entre la valeur des mots dans deux langues différentes est particulièrement délicate.

Pour appuyer notre point de vue, nous relevons le verset n°132 :

بسم الله الرحمن الرحيم . ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يٰبنى إن الله اصطفىٰ لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون . صدق الله العظيم
(١٣٢ البقرة)

D. Masson

Abraham a ordonné à ses enfants et Jacob fit de même
O mes enfants !
Allah a choisi pour vous la Religion
Ne mourez que soumis à lui

(le sens du verset 132)

Kasimirski

Abraham recommanda cette croyance à ses enfants et Jacob en fit autant, il leur dit : O mes enfants ! Allah vous a choisi une religion, ne mourez pas sans l'avoir embrassée

(le sens du verset 126)

R. Blanchère

(Abraham) a commandé cela à ses fils, et Jacob lui aussi a dit "O mes enfants !, Allah vous a délégué le Culte,. Ne mourez point autrement qu'en soumis (à lui) !"

(le sens des versets 126 — 132)

Ce verset a été aussi traduit par S.G. BOUBAKEUR ;
Cette soumission (Islâm) fut le testament d'Abraham pour ses enfants. Jacob lui aussi [recommandal] aux siens. "Mes enfants, Allah a choisi pour vous cette religion. Ne mourez point sans que vous soyez des croyants soumis.

(le sens du verset 132)

D'après l'interprétation des exégètes musulmans "Ibrahim recommande à ses fils de suivre sa Religion : de même Jacob a informé aussi ses enfants qu'Allah a choisi leur religion et leur recommande de "ne mourir que Musulmans"[1]

Dr. SOHIER ALY EZZAT

---

1. Bien que ce verset ne figure pas dans la Sourate la Vache, sujet de notre étude, nous le citons, à titre d'exemple, pour le besoin de notre démonstration.

(١) « ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب » أى وصى الخليل أبناءه باتباع ملته وكذلك يعقوب أوصى بملة إبراهيم « يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين » أى اختار لكم دين الاسلام دينا وهذا حكاية لما قال إبراهيم ويعقوب لأبنائهما (فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) أى اثبتوا على الاسلام حتى يدرككم الموت وأنتم متمسكون به
صفوت التفسير مرجع سبق ذكره ص ٩٧ .

Selon la définition donnée par le Grand Larousse de la langue française (T.6) "se soumettre à quelqu'un : c'est reconnaître son autorités, accepter ses décisions, se conformer à , se plier à, se résigner à, suivre, obéir, s'incliner, céder.

La soumission, signifié également "imposer une autorité à une personne, à une collectivité,mettre dans un état de dépendance".

La soumission qui est le fait de se soumettre et dont les synonymes sont l'obéissance et la sujetion est insuffisante ici et ne transmet pas la vraie valeur de l'expression. De même, le fait de "se livrer à", c'est à dire "se mettre au pouvoir de, ou entre les mains de quelqu'un" ne peut véhiculer toute la valeur de cette expression.

"Il est évident que la connotation ajoute des impressions diverses à la signification des mots, qui peuvent être collectives (culturelles, historiques) ou individuelles.... Ces significations interviennent ensemble pour produire un déplacement de la signification première. Selon le contexte et l'individu elles varieront, ce qui rend difficile toute classification des connotations qu'un mot peut éveiller".[1]

Il faut donc définir le terme, non d'une façon absolue, mais d'après la manière dont les gens s'en servent. Notre attitude envers les personnes qui se servent d'un mot marque notre attitude envers le mot lui-même, et cette attitude à son tour donne au mot une partie de sa connotation.

Cette expression : أسلم وجهه لله وهو محسن . employée dans une communauté musulmane prend une sorte de valeur affective et peut avoir des connotations différentes. Elle évoque une attitude du vrai croyant en Islam. Cet exemple résiste à toute traduction du sens tout court vu que les traits émotionnels ressentis par un musulman sont différents.

« بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن »

veut dire, selon l'interprétation d'Ibn Kathir[1], que chaque musulman, qui respectera par pur amour d'Allah T.P., tous les actes de foi, est le bon musulman. Ces actes doivent remplir deux conditions 1°) la sincérité de cœur, c'est à dire le fait d'accomplir sincèrement ces bonnes actions par amour en recherchant l'approbation d'Allah T.P. 2°) que ces bonnes actions soient soumises aux prescriptions de l'Islam.

De même, dans l'interprétation de M.A. Al Sabouni[2], cette expression veut dire : "les hôtes du paradis sont ceux qui se soumettent et se livrent entièrement à Allah T.P., tout en étant sincères et satisfaits".

Il serait alors parfaitement justifié de considérer que le mot n'est pas un signe, mais un ensemble de significations, et que, à partir d'un texte théologique, la pensée puisse partir dans toutes les directions dans un jaillissement d'idées.

---

1. Amparo Hurtado Albir, "La notion de fidélité en Traduction" Collection "Traductologie n°5, Didier Erudition 1990, p.83.

(١) وقد ورد فى تفسير القرآن العظيم لابن كثير :
بل من أسلم أى أخلص (وجهه) قال دينه (وهو محسن) أى اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم فان للعمل المتقبل شرطين أحدهما أن يكون خالصا لله وحده والآخر أن يكون صوابا موفقا للشريعة فمن كان خالصا ولم يكن صوابا يتقبل . (ص ١٤٧) .

(٢) أما فى صفوة التفسير ذكر محمد على الصابونى :
أى بلى يدخل الجنة من استسلم وخضع وأخلص نفسه لله . (ص ٨٨) .

"Les diverses exégèses donnent à ce terme[1] un vaste éventail de sens et une conception différente dans l'Islam. Selon les prescriptions de l'Islam, c'est croire en Allah T.P., à ses anges, à la Résurrection, au Paradis, à l'Enfer, aux paroles de Mohamed paix soit sur lui, à tout ce qui a été prescrit dans le Coran".

Cette interprétation peut-elle, par conséquent, être considérée comme fidèle au texte? Sûrement pas, car la distinction entre l'idée exprimée par ces termes et la définition donnée par les exégèses islamiques prouve que ces mots ont des valeurs différentes et des emplois différents. Les musulmans voient dans l'usage de ce mot des traits de signification distincts et des concepts sensiblement différents au regard de la théologie.

Quoiqu'il en soi, le fait important à retenir du point de vue de la genèse du processus de traduction est le suivant : la langue n'est qu'une des composantes d'un message, entre la saisie des significations et la saisie du sens, la valeur d'un terme est tout aussi importante que sa référence à la réalité. En d'autres termes, un mot isolé ne veut rien dire, c'est l'usager d'une langue qui veut dire quelque chose à travers le signe linguistique que représente le mot.

De tout ce qui précède, nous optons pour l'emprunt du terme arabe tel quel est "Al-Ghaïb", en ajoutant une note explicative (version III, du Dr. K.A.S. El Beheiri ou IV de Boubakeur. Cest là le seul moyen efficace de combler cette lacune dans la langue cible.

Prenons un autre exemple : L'expression

بسم الله الرحمن الرحيم . بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . صدق الله العظيم
(١١٢ سورة البقرة)

interprété comme suit par :

D. Masson

Celui qui s'est soumis à Allah et fait le bien
aura sa récompense auprès de son Seigneur
Ils n'éprouvent plus aucune plainte
Ils ne seront affligés. (le sens du verset 112)

R. Blanchère

Non point ! ceux qui se seront soumis à Allah, tout en pratiquant la bienfaisance, auront leur rétribution auprès d'Allah. Sur eux nulle, crainte et ils ne seront point attristés. (le sens des versets 106-112).

Kasimirski

Loin de là, celui qui se sera livré entièrement à Dieu et qui aura pratiqué le bien trouvera sa récompense auprès de son seigneur, la crainte ne l'atteindra pas, et il ne sera point affligé. (le sens du verset 106).

---

(١) أما الغيب المراد ههنا الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه ويؤمنون بالحياة بعد الموت وبالعبث . عن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أما الغيب فمن غاب عن العباد من أمر الجنة وأمر النار وما ذكر فى القرآن ابن كثير القرشى الدمشقى تفسير القرآن العظيم ـ دار الكتاب المصرى جزء أول وفى تفسير آخر : أى يصدقون بما غاب عنهم ولم تدركه حواسهم من البعث والجنة والنار والصراط والحساب وغير ذلك من كل ما خبر عنه القرآن الكريم أو النبى صلى الله عليه وسلم محمد على الصابونى صفوة التفسير دار القرآن الكريم بيروت المجلد الأول .

"l'irrévélé" c'est littéralement "l'absence" terme difficile à rendre en français par un équivalent précis. Malgré la fréquence de son emploi dans le texte sacré (53 fois) généralement au singulier et parfois au pluriel ...

"Al ghayb" est justement ce dont on ne peut honnêtement témoigner, ce qui englobe le mystère de l'univers, les secrets du monde, sa durée et son extinction, le destin imprévisible de l'homme, la vie future et l'ensemble de la création, tout ce qui est en dehors du champ de la connaissance inspirée intellectuelle ou sensible ... Le Ghayb est précisément ce que Allah n'a pas révélé, ce qui est "absent" dans l'ordre de la connaissance humaine et cette absence rend celle-ci foncièrement lacunaire, limitée, relative. C'est ce qui nous conduit à traduire ce terme arabe, en serrant le texte de près à la lumière des commentaires (Tab 1, 101; Raz 11, 28 et 29) non pas par invisible, inconnaissable ou surnaturel, peu conforme au mot arabe, mais par irrevélé, ou mystère du monde", selon la bonne expression de G. Demonbynes."

Boubakeur a tort d'utiliser le terme absent "inexistant", parce que la notion " غيب " de bien qu'elle soit abstraite, fait partie de la connaissance humaine. Donc الغيب ce qui, dans l'ordre de la connaissance humaine, est foncièrement relatif, lacunaire, et limité.

Si nous prenons pour "critère général" le fait que l'emploi des mots ne dépend pas de leur équivalence significative en langue, il convient d'établir, ce que disent séparément chacune de ces langues; source et cible (l'arabe et le français dans notre cas), pour communiquer le contenu de la parole divine et non ce que le terme français signifie en arabe.

Nul ne contestera à première vue que "irrévélé" signifié الغيب dans la langue arabe,mais nous constatons, en examinant de près le texte que, pour désigner la notion de "ghayb" dans le Coran, le Cheikh S.H. Boubakeur aurait dû recourir à un commentaire ou à une explication détaillée pour éclairer le sens et la valeur de ce terme intraduisible et selon ses propres termes "difficile à rendre en français par un équivalent précis". Bien que le terme irrévélé" ne soit pas complètement exact, il est, nous semble t-il, le plus adéquat et le plus proche du sens original dans ce contexte précis.

Si nous étudions le terme arabe الغيب sur le plan de la langue nous trouvons :

كل ما غاب عن الانسان سواء كان محصلا فى القلوب أم غير محصل ويقال سمعت صوتا من وراء الغيب من موضع لا أراه(١) .

D'ailleurs, par le terme "Mystère" la religion chrétienne désigne selon le Grand Dictionnaire Encyclopédique (T.7) une "Vérité inaccessible à l'intélligence humaine mais dont le contenu ne peut être saisi que par la révélation divine". Théologiquement la cathéchèse traditionnelle classe parmi les principaux mystères : la trinité, l'Incarnation et la Rédemption.

Nous voyons aisément que les termes "Mystère", "l'Inconnaissable", "choses cachées" et se partagent une certaine aire de signification qui est "la vérité inaccessible à l'intélligence humaine". En effet, on remarque que la connotation de ce terme joue un rôle primordial dans la sélection de la valeur du mot.

Toutefois, au sens actualisé de ce terme, nous ajoutons un autre élément propre, soit à la conception de l'individu, soit à celle de la collectivité. Cet élément intervient pour produire un déplacement du sens.

---

(١) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية . مطابع دار المعارف بمصر ١٩٧٢ ـ الجزء الأول .

Les exemples mentionnés ci-dessous, tirés de l'interprétation de quelques versets coraniques de la Sourate "La Vache" montreront l'intérêt de la dichotomie suivante : Valeur/ Sens et Signification/ Sens.

Nous espérons que ces exemples tirés de La Sourate "La Vache" illustreront mieux notre point de vue comparatif : nous allons comparer les éléments sémiologiques, chacun étant construit en fonction des autres et étroitement dépendant de ceux qui l'entourent, dans sa fonction, dans sa forme, dans ses dimensions, et dans sa place à l'intérieur du système linguistique.

Valeur du terme « الغيـــب »

En effet, si nous comparons le verset coranique n°3

بسم الله الرحمن الرحيم . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوٰة ومما رزقناهم ينفقون . صدق الله العظيم (٣ البقرة)

avec ses différentes interprétations :

1. **par D. Masson :**
   Ceux qui croient au mystère.
   Ceux qui s'acquittent de la prière.
   Ceux qui font l'aumône avec les biens que nous leur avons accordés les sens du verset III.

2. **par Kasimirski**
   De ceux qui croient aux choses cachées, qui observent exactement la prière et font des largesses des biens que nous leur dispensons (les sens du verset III)

3. **par Dr. K. Abdel Salam Al Beheiri**
   Ceux qui croient à l'inconnaissable qui font la prière et dépensent de ce que nous leur avons attribué. (le sens du verset III)

4. **Le Cheikh Si Hamza Boubakeur :**
   Ajoutent foi à l'irrévelé, s'acquittent de la prière effectuent au profit des nécessiteux) des prélèvements sur ce dont nous les avons enrichis; (les sens du verset III)

Si nous examinons le terme "Mystère" au niveau de la langue, nous trouvons dans le Grand Dictionnaire Encyclopédique, (Larousse T.7) qu'il signifie "ce qui est obscur, incompréhensible et constitue une énigme". Tandis que l'expression "Choses cachées" donne, toujours au niveau de la langue, "dissimulées, déguisées, dérobées à la connaissance".

D'ailleurs, dans la traduction du Dr. K.A.S. El Béheiri, ce terme a été rendu par l'inconnaissable qui signifie, au niveau de la langue dans le Grand Larousse de la langue française T.S, "ce qui ne peut être connu. En termes de philosophie, ce qui s'oppose à toute tentative de connaissance de l'esprit humain". Néanmoins, la traductrice a ajouté en note :

Al-Ghaib est un des mots de la langue arabe qui nous mettent devant les yeux un panorama infini et non pas un sens limité. Il peut désigner les couches du Cosmos que notre raison ne peut percer, les êtres et les choses que nous ne sommes pas censés connaître, tel que l'Enfer, le Paradis, la resurrection, il peut signifier simplement l'avenir ou le passé, l'inconnu ou l'inconnaissable".

De même, dans la version de Boubakeur, et dans une tentative d'explication du terme Ghayb dans le Coran, il a précisé dans son commentaire :

Valeur réelle d'un terme

Si nous considérons les problèmes de confrontation des deux langues arabe et française à la lumière de la théorie saussurienne, la première question qui se pose aura trait à la nature du signifié et au type de relation qu'entretiennent la structure et la substance sémantique. Au lieu de partir de faits isolés, (phonème, mot, proposition, phrase), il faut considérer le texte dans sa totalité en tant que système de relations internes. La valeur est donc au niveau de ces relations et non des unités artificiellement isolées dans l'ensemble.

Par conséquent, nous ne rendons pas seulement compte de la structure propre à la langue arabe, mais nous devons saisir un mode de pensée et de sentir qui va justement jouer un rôle de premier plan dans la traduction.

La reconnaissance de ce fait nous apprend la façon dont les langues organisent les visions différentes du monde, la nature des liens unissant le concept d'un signe à un signifiant et la nature des rapports qu'entretiennent le signifié et le sens de la parole. Elle nous invite également à approfondir la notion même de traduction et à ne pas nous contenter de la considérer comme une recherche d'équivalences entre les idiomes considérés abstraitement.

Ainsi l'étude du langage consiste à traduire le mot non plus dans ses emplois particuliers, mais à travers un message précis, d'autant plus que la langue est un système où tout se tient. La valeur fait partie des éléments linguistiques qui interviennent dans la construction du sens; toutefois, il ne faut pas la confondre avec celui-ci.

"Le sens des mots et des syntagmes correspond à leur signification pertinente résultant de la neutralisation de leur polysémie grâce au contexte ou à la situation. Le sens d'un message découle de la combinaison et de l'interdépendance des significations pertinentes des mots et des syntagmes qui le composent, enrichies de paramètres non linguistiques et représentant le vouloir dire de l'auteur."[1]

Le sens se construit donc en fonction du contexte et des compléments cognitifs du recepteur. Néanmoins, il faut distinguer ce qui découle du texte et ce qui fait partie d'une interprétation individuelle. La communication linguistique peut produire chez la personne qui la reçoit différents effets. Ceux-ci vont plus loin que le sens qui découle du texte. Par conséquent, cette nation est très importante dans la théorie de la traduction en général et dans le domaine de traduction théologique en particulier.

Les considérations qui précèdent ne prennent cependant tout leur sens que si nous tenons compte du fait suivant : pour faire apparaître l'impossibilité de l'interchangeabilité des idiomes des deux langues, nous sommes amenés à les considérer non seulement à l'intérieur des énoncés que nous comparons, mais aussi et surtout à examiner le tout comme un système homogène. Il en découle que l'idiome considéré dans la langue n'a pas seulement un sens mais une valeur. Celle-ci, prise dans son aspect conceptuel, est sans doute un élément de la signification.

De même, quand nous parlons de la valeur d'un mot, nous pensons en particulier à la propriété qu'il a de représenter une idée, un concept, un sentiment etc...

Il s'ensuit que le signifié n'est pas seulement la somme des virtualités sémantiques du terme, mais aussi sa valeur dans l'ensemble du système.

Notre étude est donc axée, non pas sur l'examen des mots et de leurs rapports avec les autres mots qui constituent le système linguistique de manière permanente, mais aussi sur l'examen des mots "en situation" dotés de paramètres extra-linguistiques ainsi que l'interdépendance des significations pertinentes des mots et des syntagmes.

---

1. J. Delisle, Analyse du discours comme méthode de traduction, p.59.

Qu'il soit profondément ancré dans les esprits que le Coran est inimitable et qu'il est absolument impossible à quiconque de produire quoi que ce soit de semblable. D'ailleurs, le Coran a apporté une Parole nouvelle et unique qui dépasse toutes les catégories connues de l'expression linguistique.

Cependant notre étude ne vise pas à examiner le vrai miracle que renferment les traits stylistiques du Coran mais elle porte essentiellement sur les différents signifiés et les différentes interprétations de quelques termes et expressions. Notre but est d'essayer de déterminer jusqu'à quel point la traduction peut reflèter le sens du texte.

Le choix de ces exemples types se limite à l'examen de, quelques mots et expressions de la langue française employés pour traduire d'une manière approximative certaines expressions coraniques fondamentales, on trouvera également un certain nombre de termes ayant rarement leur correspondant exact; en effet, ces derniers ont perdu de la force que leur confère le contexte coranique et leurs acceptions ainsi mentionnées dans le Coran.

Sens et Signification

L'étude comparative ainsi présentée tend, en approfondissant l'étude de la valeur des termes, à montrer que le critère de cette évaluation ne peut être fondé sur une simple "substituabilité"[(1)] des signifiés des deux langues.

Pour tenter de rendre compte de la structure du lexique, nous aurons recours d'abord à la dichotomie fondamentale à l'intérieur du signifié entre sens et signification. Ces deux termes seront ici utilisés pour distinguer les deux composantes complémentaires mais irréductibles du signifié que nous allons dégager et analyser ci-dessous.

On peut analyser les mots à deux niveaux : celui du système abstrait de la langue, c'est à dire les significations virtuelles des signes linguistiques. Celles-ci sont ainsi mentionnées dans les dictionnaires qui consignent les sens les plus usuels que les mots ont acquis par suite de leurs emplois répétés dans le discours. Toutefois, ces ouvrages sont loin d'épuiser les possibilités sémantiques des mots "en contexte". Ceux-ci pris isolément n'ont en effet que des virtualités de signification. De même, tout mot peut avoir plusieurs acceptions qui sont perceptibles hors de toute communication, c'est-à-dire indépendamment de toute énonciation concrète. Cette opération consiste à dégager le contenu conceptuel des mots par une analyse lexico-grammaticale.

Le deuxième niveau est celui de la parole : on saisit le sens dès qu'on réinsère un mot[(2)] dans un contexte référentiel dans lequel il baigne, ce qui permet de découvrir ce qu'il désigne à l'intérieur du message.

Nous allons ensuite tirer les conséquences de la conception saussurienne[3] selon laquelle la langue n'est pas substance mais forme et le signe a non seulement une signification mais une valeur.

---

1. Terme utilisé par Maurice Pergnier dans son article "L'envers des mots" E.L.A. n°24, 1976.

2. Il en va pour les phrases comme pour les mots. Dans un texte, une phrase peut avoir un tout autre sens que celui qui découle normalement de la somme de ses signes linguistiques.

3. cf., F. De Saussure, Course de linguistique générale, Payot, Paris, 1981 pp. 153-166.

INTRODUCTION

Notre étude est l'aboutissement d'une réflexion sur la démarche que met en œuvre le processus traduisant, non pas dans l'esprit de pure spéculation intellectuelle, mais au contraire dans un but utilitaire qui est de dégager des principes susceptibles de constituer la base d'une théorie de la traduction.

Cette réflexion n'a pas pour objet d'échafauder une nouvelle théorie mais se fonde sur la théorie du sens telle qu'elle a été élaborée par les traductologues. Elle s'attache également à mettre en évidence certaines applications pratiques à la traduction.

Dans cet article, nous voudrions esquisser une analyse de la notion de "la valeur des signes". Cette dernière peut avoir certaines conséquences positives sur l'étude proprement linguistique des phénomènes de compréhension du langage. Nous entendons par "valeur", l'ensemble de circonstances fixes conditionnant la connotation des termes que nous allons étudier et analyser. Pour comprendre la valeur, il faut savoir qu'elle provient de trois sources fondamentales à savoir : 1°) les personnes qui s'en servent. 2°) les circonstances qui entourent leur usage habituel 3°) les contextes linguistiques dans lesquels nous les trouvons.

Nous porterons également une attention particulière à la notion du contexte, à ses propriétés, à la portée et aux limites de son influence.

D'ailleurs cette étude présente un double intérêt : d'une part, elle permet de vérifier sur des exemples types, comment s'opère la traduction d'un mot qui possède plusieurs significations ou traits de signification; d'autre part, elle apporte à l'enseignement l'appui d'une observation plus détaillée, et cela en était une lumière nouvelle sur les mécanismes du langage.

Mais avant d'aborder cette analyse, il y a un troisième et dernier point de méthode qu'il faut souligner : notre méthode sera essentiellement comparative. En effet, d'une manière générale, une analyse conceptuelle n'a d'intérêt — et surtout d'efficacité — que si elle repose, non pas sur l'étude d'un seul et unique mot considéré pour lui-même, mais sur la confrontation de ce mot avec d'autres mots qui présentent avec lui certaines différences qu'il s'agira d'expliquer.

Pour illustrer cet argument, il nous a semblé intéressant de procéder à l'étude comparative de quelques versets coraniques tirés de la Sourate la Vache et de confronter leurs différentes interprétations en langue française.

Dans la présente étude, nous avons opté pour les ouvrages suivants :

1. Essai d'Interprétation du Coran Inimitable
   Par D. Masson
2. Al-Qoran
   Traduit de l'arabe par R. Blachère.
3. Le Coran
   Traduit par Kasimirski
4. Les sens du Coran
   par Dr. Kawsar Abdel Salam El Beheiri[1].
5. Le Coran
   Par le Cheikh Si Hamza Boubakeur.

---

1. Cette traduction a été approuvé et elle est en voie de publication par l'Académie des recherches islamiques à l'université Al-Azhar le 26 mai 1991.

Signification, sens et valeur du signe linguistique.

Etude appliquée sur quelques exemples tirés de la Sourate "La Vache"

présentée par

Dr. Soheir Aly Ezzat
Faculté des Sciences Humaines
Université "Al-Azhar

Département de Langue, de Littérature
Françaises et de Traduction

Le Caire 1992

REVUE AL-AZHAR

Zoulkeida 1412
Volume 64 — Partie XI

Section Française

Comité de Rédaction :
Dr. Rokaya GABR, Professeur adjoint ou Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

undertake with the purpose; first, to discover within each the primeval endowment of Allah "Al Din Al Hanif", the true natural religion which Allah had sent to all Apostles of all times and places, to teach and preach to human societies. Second, to emphasize this primordial religion, adhere to its doctrines, and summon people to it with comeliness and sound argument. This indeed necessitates knowledge, patient perseverance, and tolerance.

In religion, there can hardly be anything more significantly important or prior in human relationships than tolerance. This quality transforms confrontation and reciprocal condemnations between the religions into a scholarly investigation of the genesis and development of the religions to the end of separating the historical accretions from the original genuine text of the Revelation. Tolerance (Yusr) immunizes the Muslim against life-denying tendencies, and assures him the minimum measure of confident optimism to maintain mental tranquility, balance, equilibrium of thought, sense of proportion; despite all the tragedies and afflictions which befall human life. Allah commanded mankind to examine every claim with certainty before passing judgement. The "doctors of jurisprudence" recoursed to experimentation before judging as good or evil anything desired which is not contrary to a clear divine injunction in the Holy Revelation or a genuine text of the Hadith of the Prophet (prayers ad peace from Allah upon him).

Excerpts from the Writings of
the Late lsmail Raji Al-Faruqi
Professor of lslamic Studies
temple University U.S.A.

truth are infinite to be totally mastered by any mind. The affirmation that Tawhid indicates is the absolute unity, sovereignty, and knowledge of Allah. The objects of this infinite knowledge are the patterns of creation, the knowledge of Allāh. The Creator provides man with knowledge, and this knowledge is absolute and universal; and this divine infinite knowledge is the source of the Revelation; Allah is the All-Knowing, Omniscent, All-Cognizant.

Since Tawhid is the absolute acknowledgement of the Oness of Allah, it follows that Allah is the ultimate supreme source of supreme virtue and goodness of all values. Therefore, everything disposed by Allah, has been disposed for good purpose and value. Mankind has been provided with faculties of knowledge, instincts, desires by which man can recognize the coherent patterns of creation by his inherent senses, unless these senses are deformed or sick. This opens the mental faculty of man to exercise intellect in addressing new data with scrutinizing rationality, constructive endeavor, and thereby enrich experience of life, and proliferate his culture and civilization ever forward. The acquirement of the basic doctrines of religion has been through the Divine choice of Messengers from among the human populations themselves. These Messengers teach people that there is no god but Allah, to Him they owe worship and service, understand the ultimate patterns of creation, and preserve the values doctrinated by Allah. Mankind is endowed with an inherent potential of sensus communis which enables man to understand, accumulate knowledge, assimilate the wisdom of the universal cosmic intelligence to recoginze the purpose of Allah's commandments to mankind.

The Islamic school of thought teaches the conviction that the present existing diversity of religious doctrines is due to history with all its affecting factors, its diverse conditions of space and time, its prejudices, passions, vested interests, and social, political and financial authority. Behind this religious diversity stands the foundations of "Al Din Al Hanif", the primordial religion of Allah with which all men are born before acculturation makes them adherents to the premises of this or that religion. The study of the history of religions is what tolerance requires the Muslim to

denies this truth arises out of failure and fear to proceed with the honest inquiry into truth to its end; the premature giving up of reaching the knowledge of truth. The epistemological analysis of skepticism describes it as a design purpose of despair which rests on the apriori assumption that mankind lives in a perpetual mental arrest where reality and unreality cannot be distinguished. Only empirical prosaism and subjective pragmatism imprisoned within the identity theory of the mind prevail the mental function of the skeptic mind. skepticism is therefore a form of nihilism of thought anarchy and denial of values; because apprehension of values requires the prime acknowlegement that man may reach the knowledge of the truth of values. Knowledge of values must be reached for its instantiation in a given situation, and this must originate on an assumption that is founded on the honest pursuit of true knowledge.

The conviction of Divine Transcendence is the certainty of the unity of Truth and Reality, being the proposition of Tawhid, that the Creator is One, and that Truth "Al-Haqq" is One. Therefore Tawhid as a methodological principle of infinite knowledge consists of three principles. First, the rejection of all that does not conform with reality; second, the denial of all ultimate contradications; third, openness to new evidence of thought and understanding. The first principle rules out falsehood and deception, and protects against makig an untested unconfirmed claim to knowledge; this unconfirmed claim is an instance of deceptive knowledge which the Holy Quran prohibits. The second principle is the essence of rationalism which insists on the unity of two sources of truth, the Holy Revelation, and reason. This protects against simple contradiction and paradox, and therefore prevents skepticism. When Revelation runs counter to reason, the individual is referred to review his understanding of the Revelation, or his rational findings. Since the Revelation stands above any manipulation by man, and consequently our human interpretation and understanding of it must be revised; in order that our understanding of the Revelation must agree with the cumulative evidence uncovered by reason. The third principle of Tawhid as the unity of truth, protects against literalism, fanaticism, and mental stagnant conservatism. The reality and

The Islamic doctrine of "Iman" means that all propositions that this doctrine covers are in fact fundamentally true, and that their truth has been fully understood, accepted,11conceived ad appropriated by the facultative functions of cognitive thought. "Iman" is synonymous to "Yaqin" when Truth is established with convincing evidence. Every form of argument and rational thought is used to bring about convincing evidence for rational conviction. The arguments from creation, design, purpose, and value moral consciousness received profound formulation in the Islmic doctrines. This rationalism of Islam, its insistence on distinct proofs, its admiration and promotion of knowledge and wisdom, its exhortation of science, and the discoveries of the Divine patterns of Creation, are all evidences of the Truth. This conviction of "Yaqin" is therefore certainty which is absolutely free of doubt or probability. It is not and act of decision, nor a resolution to accept; rather, it is of the nature of geometrical conclusion which when given the anteceding premises, one recognizes its truth and inevitability. The rationality of Islam consists in its appeal to the mind at its critical best; addressing reason, seeking to confornt the cognitive exercise of human intellect. Therefore "Iman" is in the first order a cognitive categary, consequent upon knowledge and the truthfulness of its propositions. And since the nature of its propositional contents are of logic, rational thought and knowledge, it follows that it acts as light within the individual which illuminates everything in the milieu of that individual. It becomes a ground matrix for the interpretation of the complex wonderous universe, the prime principle of reason and ratiocination. To deny "Iman", or oppose it, is the controversial contradication of being human possessing the facultative priviledge of congitive deliberative intellect.

The prime principle of knowledge, Tawhid is the recognition and absolute conviction that Allah, the Truth (Al-Haqq) is One; [La illah illa Allah]. This implies that all contention, doubt, or uncertainty has been annihilated through rational practice of the faculty of intellectual ecumenic thought. Therefore decisive judgement has been reached, and that the recognition that Truth is indeed knowable, and that man's primitive inherent senses are capable of the realization of such knowledge. Skepticism which

Tawhid : The Principle of Knowledge

By: Ismail Raji Al-Faruqi.

The present day human societies have become adverse to religious conceptualization, and skepticism has developed to very grave proportions. This agnostic thought attitudes have become the dominant principles among the educated fractions of the society, and is also observed among the unlettered who emulate the intelligentsia of their societies. This proliferating spectacular spread of religious skepticism is partly due to the apparent surfeit of secularism which is seen as the continuing surge of empirical thought over the religious mind.

The secular society, and all those who emulate its mental patterns are intoxicated by the dramatic amazing and spectacular achievements of the scientific mind. Under this environment of thought deviation, these secular societies plunge into the false belief that all channels to the truth must be empirical, finding their ultimate confirmation only as presented by the controlled experiment. Anything not so materialistically confirmed is therefore doubtful, unconfirmable, and is therefore necessarily false.

The doctrines of religious belief are considered by these skeptic mental attitudes, as an adherence to fudamentals which are not confirmable in their experience of mental function. Faith and Belief, in consequence become a mere act of decision by which an individual resolves to accept as Truth "an uncertainty" , the veracity of which ferever escapes him. During the nineteenth century, at the apogee of secular intoxication induced by scientific advances, Christian theologians preached that Christian truth should be based on subjective experience. Such foundation for belief will place the True Reality of Divine Transcendence dependant upon individual subjective experience of faith.

the cultural elements of Islam will continue to invoke the cognitive faculty and perceptive function of human thought.

The very unique qualified concept of responsiblity of Omar ibn Al-Khattab was the prime instrumental characteristic that developed into a social milieu of thought pattern by which the integrated life of the Ummoh functioned. This emerged into a modus operandi of every individual of the Ummah to achieve social evolution of renaissance known to be the greatet and most unique in the history of mankind. The third phase of early Islamic history ended by the death of Omar ibn Al-Khattab; the man who in his office as Ameer Al-Momineen, walked through the pathways of Al-Madinah concerning himself with the most intimate conditions of the Muslim Ummah widely spread in the distant corners of the Muslim Empire.

The responsibility of governance, and the institution of justice were issues that were mostly resolved through rational considerations and consultative procedures to maintain a consensus on decisions. This practice of consultative decision-making was a distinguished dominant feature of Omar's administration. Major issues of State were discussed with ecumenic objective intellectual discursive thougt by men of knowledge and wisdom, from among the companions of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The sense of responsibility, and the institution of absolute justice originated from Omar's true understanding of the fundamental spirit and culture of the Muslim Faith. This brought about a social cohesion of theopolitical unification based on the foundations of worship which reflected itself as the foundation of social life, economy, trade, knowledge, science, culture, thought patterns, and every feature of human function in life.

Omar ibn Al-Khattab was congnizant of the basic fact that the creed of Islam would bring about a sociocultural transformation of the population groups resident in the expanding territories that were under th domain of Muslim jurisdiction. The practice of the doctrines of Islam were the fundamental concern of Omar ibn Al-Khattab. This resulted into a coherent social matrix of the widely spread Muslim Ummah. The practice of Islamic doctrinal teaching were the foundations of worship, social life, judicial matters, economy, trade and all functions of life. This administration was characterized by the genuine sincere efforts of Omar ibn Al-Khattab, and his extreme sence of responsibility regarding his position of office. He was pragmatically conscientious, orthodox and scrupulous in implementing the precepts of Islam .

The domination of Muslim culture was the ultimate outcome of the evolutionary transformation that took place in human societies in which Islamic teachings were instituted. During the office of Omar ibn Al-Khattab, an Islamic Empire was being established; an empire that actively promoted within its templates all the manifold resources of human faculties of knowlededge, culture, sciences, language, thought patterns, and theism. The rationality of

to the west of Egypt, and from the Indian ocean south, to the caspian sea north. Within this expanse of land, all the inhabitants of different cultures different languages, different thought patterns, and different beliefs, all transformed by time to embrace the religion of Islam. The period of pan-Islamization, and assimilation of contrasting populations within a unified system of governance. This resulted into an integrated economic socio-political order which identified itself into a spontaneous instinctive communal socialistic mechanism, the ideologic roots of which were the Islamic doctrinal teachings. This pattern of policy was wisely instituted by Omar ibn Al-Khattab, to bring unification of credence among all the various population groups living in the domain of Islam. The proliferation of Muslim culture througout the vast territories that Muslim warriors had crusaded, did not come about by compulsion, intimidation, force or coercion. The Muslim ideology propagated by its own inertia of substantial tangible rational doctrines. This phase in the early history of Islam was indeed one characterized by human emancipation from fear and subjugation; an era of enlightenment and promotion of the facultative fuction of human rational thought. This was the foundation of one of the most commanding influencing cultural civilization known in the history of mankind, up to the present times.

The active spread of Muslim culture was promoted in its practice by the paradigm of governance of Omar ibn Al-Khattab, who exercised the ordinances of the Faith with precision and ecumenic understanding. Justice was implemented as the most fundamental element of individual and social rights. Every detail of the life of the Ummah was the intimate concern of Omar ibn Al-Khattab, bearing the optimum of responsibility as the supreme acme of his office. His famous statement became a dictum of administrative responsibility. "If a mule blundered on a distant trail, Omar would be held responsible for not paving its path". This concept of responsibility was a very unique outstanding feature of Omar's character, an inherent thought in the mind of the man, extorting for itself reverence and obedience that were reflected on all his actions and decisions.

After the death of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), The second phase of Islamic history started by the succession of Abu Bakre Al - Siddiq as Khalifah of Rassul Allah. A mutiny broke out inflaming the four corners of the Arab peninsula into a state of contradicition and anarchy. Some tribes refused the authority of Abu Bakre, others refused to comply with the act of Zakah and thereby abrogating the fundamental structure of Islam, and others claimed prophetic personalities and addressed people to follow them. In his province as Khalifah of Rassul Allah, Abu Bakre Al-Siddiq was very adamant to confront this paroxysm of apostasy by the edge of the sword, in order to defend and preserve the Muslim Theism in the first place, and secondly, to secure and safeguard the integrity and cohesion of the Muslim Ummah. In a period of one year, the tribes and clans of the Arab peninsula obediently returned under the banner of Islam, and the administrative authority at Al-Madinah. During the last months of Abu Bakre's office, the theopolitical unity of all the tribes of the perinsula became well established. The Muslim crusades were advancing truimphantly into the territories of Iraq, and across the northern borders into Palestine and Syria. The Muslim warriors were crusading across alien land carrying within their hearts, minds and souls the words of Allah to propagate these words to distant places. Abu Bakre Al-Siddiq died, and before his death, he obtained consensus proclamation from Muslims, that Omar ibn Al - Khattab was to succeed him in office.

Omar ibn Al-Khattab came to office after the death of Abu Bakre at a very critical time of Islamic history. The Muslim warriors were confornting the Roman legions in Palestine without progress; and in the Persian Iraq conditions were not any better . With the great numbers of Muslim warriors outside the Arab peninsula, without news of triumph or advance, was a matter that caused great concern and anxious apprehension to Omar ibn Al-Khattab. That was the start of the third phase of the early Islamic history. A phase that lasted for ten years, very rich with accomplishments, a phase during which the security of the Islamic dominion was achieved; the wealth and prosperity of the Muslim Ummah became established and legalized, the territorial expansion of the Muslim domain extending from the east of the Persian plains

Omar ibn Al-Khattab

The Acme of Responsibility

By: Anas Moustafa El - Naggar MD, Ph D.

The death of Omar ibn Al-Khattab was the unexpected sudden grievous tragedy that precipitated the termination of the third phase of early Islamic history. The uninterrupted sequence of three and half decades began since the prophet Muhammad (Prayers and peace from Allah upon him) first received the Holy Revelation, expounded its doctrines, and summoned people to follow the injunctions of the new creed; and to witness with conviction that "there is no god but Allah, and that Muhammad is the Messenger of Allah". This premier phase was the dawn and foundation for the institution of the most profound cultural enlightenment of the human race; the descent of the Divine words of the Holy Quran to become the doctrines for the life of mankind on earth. That period lasted for twenty three years, during which the Prophet succeeded to spread the doctrinal teachings of Islam throughout the whole Arab peninsula. During the final years of the Prophet's life, all the tribes and clans of the peninsula came to Al-Madinah to pay hommage, respect, obedience and allegiance to the Messenger of the Revelation. They accepted the creed of Islam as the new faith, and conformed with all the doctrinal teachings incumbent upon them as Muslims. A new juvenille nation was born whose constitution was the exact injunctions and ordinances of the Muslim Theism. This Theism was fundamentally based on the Divine Words of the Holy Quran, providing to mankind the highest most progressive enlightening civilized culture for the life of mankind on earth. As scholars in the Islamic schooling of the Prophet, the companions absorbed the fountain roots of Islamic knowledge, and practiced them with excellence, devotion, and sincere love to Allah, to the Prophet, and to their fellow Muslims.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 64, Part XI

Zu Al - Qida, 1412, Hijrah

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH. D.

CONTENTS

1. Omar Ibn Al Khattab

The Acme of Responsibility.

By: Anas Moustafa El Naggar.

2. Tawhid : The Priciple of Knowledge.

By: Ismail Raji Al-Faruqi.

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR

MAGAZINE

ENGLISH SECTION

ع ٢٢٢٢٦
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، وآله وصحبه أجمعين

أرض السهول البيضاء

هى تلك السهول البيضاء التى امتدت من بين أيدينا ومن خلفنا إلى مرمى البصر ، حتى لا تلمح لها أفقاً بين السماء والأرض ، لقد التحمتا لتكون علبة من (بللور) رائع الجمال ، ذات برودة منعشة صاحبت وفد الأزهر الشريف إلى نهاية رحلته ، فى الثانى والعشرين من رمضان المبارك عام ١٤١٢ هـ .

إن « روسيا » تشكل جزءاً من هذه الأرض الطيبة ، وما من شك فى أنها « أرض طيبة » ، برغم ما قطَّب الشيوعيون من وجهها بالدماء ، وما لوثوا به ظهورها من قمع واضطهاد .

يحدثنا الأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام أستاذ القانون العام وعضو وفد الأزهر عما كان الاتحاد السوفييتى من تنظيم فكتب بمذكرته يقول :

مجمع البحوث الإسلامية

الأزهر
مجلة شهرية جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان
إدارة الأزهر - بالقاهرة ..
تليفون : ٢٦٣٨٥٩٩
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

ذو الحجة ١٤١٢ هـ
يونية ١٩٩٢ م
الجزء الثانى عشر
السنة الرابعة والستون

تشكــل « الاتحاد السوفييتـــى » خلال القـرنين : التـاسع عشر والعشريـن من عدة شعوب مجاورة لروسيا ذات قوميات وأديان مختلفة دون نظر إلى عناصر الوحدة ، أو التشابه بين هذه الشعوب والشعب الروسى .

وكان النظام السياسى لهذا الاتحاد يختلف فى علاقاته القانونية والسياسية مع هذه الوحدات :

فبعضها كان يعطيه شكل الدولة المستقلة ، كما فعل بـ « روسيا البيضاء » و « أوكرانيا » حتى يكتسب فى المجمع الدولى والمنظمات الدولية أصواتاً تسانده فى تحقيق أهدافه ، مع حرية فى الحركة لا تتوفـر لجمهوريات أخرى .

وبعضها جعله جزءاً من جمهورية روسيا ، لا يزال يعرف باسم « روسيا الاتحادية » وهى الوحدة الكبيرة من بين هذه الوحدات .

والجزء الأخير كان يعطيه شكلاً ما من أشكال الاستقلال فى تنظيم أوضاعه الداخلية مع الخضوع للسلطة المركزية لروسيا فى السياسة الخارجية والدفاع والأمن والعديد من الأمور الاقتصادية » ا.هـ .

وشاء الله الرءوف الرحيم أن يرفع عن هذه الأرض الطيبـة كبـول أغـلالها ، وأسقامها ؛ فَيَنْفَضُّ هذا الاتحاد ، وتبدو ـ للناس ـ روسيا الشيوعية عارية عن كل ما صَنَعَهُ خبراء إعلامها من أغلفة براقة أشبه بالزجاج فوق جثة « لينين » بما فيها من إثْم وعَفن .

أئمة من القوقاز

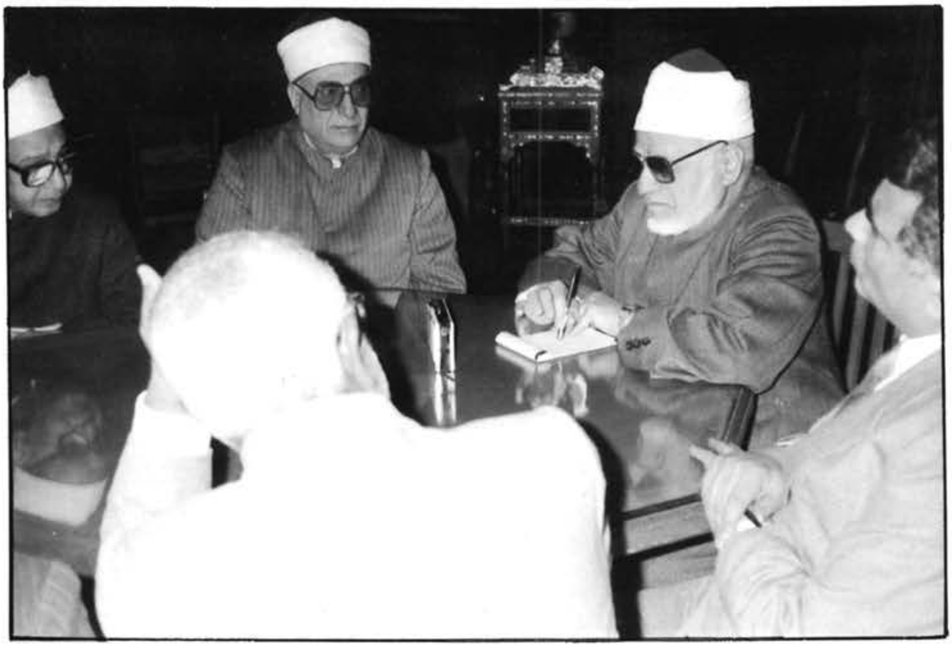

فضيلة الإمام الأكبر أثناء اجتماعه بالوفد ظهر السبت ٢٩ من شعبان سنة ١٤١٢ هـ

ومع ذلك رأى المسلمون فى كل دولة من هذا الاتحاد السابق أن يقوا على القليل الذى لا بد منه لتستطيع كل دولة كانت به أن تقوم على قوة بلا عدوان ، وسلطة بلا بطش ، وسيادة لا يعبث بها الآخرون ، و (مُوَاطِن) بلا إذلال ولا ضغوط .

رأوا لـ « موسكو » شيئاً ، ولهم أشياء :

فالمجتمع كله لا يزال يعانى من مشاكل ليست هينة ، فى مقدمتها – كما قال السيد/ جيندى فيلشين(١) Genndi Filahin :

« أسجل الآن أن الأسعار الحالية للروبل غير حقيقية » ا.هـ ولقد لمسنا اضطرابا بها بشكل مباشر حين طوفنا بالجمهوريات الثمانية التى نزلناها فكان السعر الرسمى لشراء (الدولار) فى البنوك الرسمية مختلفاً جداً حتى ليتراوح علواً وهبوطاً – فيما بينها – بما لا يقل عن عشرين إلى خمس وعشرين فى المائة .

على أن سياسة التعاون – وقد نهجها المسلمون – قائمة ليتوفر قدر أكبر من الاستمرارية والاستقرار فى تحسين الأوضاع الداخلية والعلاقات الخارجية تقدمه تلك الجمهوريات المستقلة ، فتم فيما بينها جميعاً التوقيع على ثمانى (بروتوكولات) تتعلق بأهم مجالات الحياة ، وعلى رأسها تلك المتعلقة بالاقتصاد فى علاقاته الخارجية ، منها – على سبيل المثال :

التزام جميع الجمهوريات بتنفيذ جميع التعاقدات والالتزامات الخاصة بـ « الاتحاد السوفييتى » وسداد ديونه الخارجية .

(١) جيندى فيلشين عمل وزيراً للعلاقات الاقتصادية الخارجية لجمهورية روسيا الاتحادية ، وحضر – فى القاهرة « ندوة العلاقات الاقتصادية » بين مصر والاتحاد السوفييتى فى ١٩٩١/١٠/١٩

عضوا الوفد السعودى الذى انضم إلى وفد الأزهر فى موسكو
الدكتور عبدالله المصلح إلى اليمين وإلى يمينه الدكتور حميد

ومنها : أن تكـون السيـاسة (الضريبيـة) و (الجمركية) موحدة ... إلخ .

وما من شك فى أن المسلمين هم أصحاب اليد الفضلى والأسرع تحقيقاً لهذا الإصلاح ، ولنأخذ ـ بين يدى ذلك ـ هذه الحقائق لنرى من خلالها الكثافة الإسلامية لنعلم مدى تأثيرها :

فبينما نجد نسبة المسلمين إلى غيرهم فى جمهورية تشيركسك) (٥٠٪) فى المائة ، نجدها مائة فى المائة (١٠٠٪) فى كل من جمهوريتى (الأنجوش) و (الشيشان) فمواطنو الجمهوريتين مسلمـون جميعاً ، ويمثل المسلمون فى جمهورية (داغستان) (٨٠٪) ثمانين فى المائة ، وفى (قبرداى بلقار) (٧٠٪) سبعين فى المائة ، وفى (بشقار تستان) (٥٥٪) خمس وخمسين فى المائة .. وكلهـا من جمهوريات روسيا الاتحاديةُ .

ومن جمهوريات وسط آسيا (أوزبكستان) ونسبة المسلمين فيها إلى غيرهم (٨٦٪) ستوثمانون فى المائة .

وهذه ـ جمعياً ـ جمهوريـات زارهـا وفـد الأزهر ؛يمكن للأزهر الشريف تقدير حجم المبعوثين إليها من علمائه ووعاظه ومدرسيه .

لذا ـ ومع الاحتياط الشديد ـ لم يكن التقدير الكلى العام لنسبة المسلمين إلى غيرهم من مواطنى الجمهوريات جميعاً ، وقدره (٦٥٪) خمس وستون فى المائة ـ مبالغاً فيه .. فإلى المسلمين يرجع الفضل ـ بعون الله ـ فى تحقيق هذا التقدم السابق فى الإصلاح .

وإذا كنا – فى هذا المقال نعنىَ ببسط الأحوال العامة لهذه الجمهوريات فينبغى أن نلاحظ قدر الإمكان – عدم التعميم إلا فيما أمره ظاهر ؛ فإن الوفد لم يزر كل جمهوريات الاتحاد السابق حتى يعطى القول الفصل فى هذه الأحوال .

من هنا يمكن أن نقول :

إن تعداد السكان غير متناسق بالنسبة لكل الجمهوريات ؛ فبينما هو نحو (٤٣٤٠٠٠) أربعمائة وأربع وثلاثين ألف نسمة فى (تشيركسك) إذا هو فى (أوزبكستان) (٢١,٠٠٠ ٠٠٠) واحد وعشرون مليون نسمة ، وفى (تتارستان) (٤,٠٠٠ ٠٠٠) أربع مليون نسمة ، وقد لا تجد ريحاً للقوميات فى كثير من الجمهوريات ؛ لكنها فى (تشيركسك) (١١١) مائة وإحدى عشرة قومية ، ومن المفارقات أن تعداد هذه الجمهورية (٤٣٤٠٠٠) أربعمائة وأربع وثلاثون ألف نسمة كما سبق .

وقد تتعدد اللغات فى إحدى الجمهوريات فنجدها فى (داغستان) ستاً وثلاثين لغة .

ومن العجيب أن هذه الجمهورية ، جمهورية (الداغستان) كانت لغة أهلها المتداولة قبل الثورة الشيوعية هى اللغة العربية ، ولا تزال لهم مؤلفات محفوظة بها .

●●●

ولنلق نظرة على التعليم :

إنه – باختصار – حتى يومنا هذا خاضع للبرنامج الشيوعى ؛ فإنه لا يتوقع أن يتم التغيير بين يوم وليلة .

إن إصلاح التعليم – بهذه البلاد -- يقتضى مالاً ومنهجاً ، وتعديلاً فى القانون حسب اختيار كل جمهورية ، لكن ثمة نشاطات إسلامية طيبة فى كثير من

فى الصورة جزء من الوفد مساء النزول بمطار موسكو

يبدو فى الصورة جزء من الوفد أثناء تأدية صلاة الجمعة

بلدان روسيا الاتحادية وغيرها .

فما من قرية أو مدينة نزلنا بها إلا وجدنا المسلمين ينشئون فيها المسجد وبجانبه مدرسة خاصة بتعليم الدين والعربية ، وبعضها ـ كما فى جمهورية (قبرداى بلقار) يبنى مجمع إسلامى لتخريج الأئمة والدعاة ، وفى جمهورية (الأنغوش) وفى عاصمتها (نُزْران) معهد إسلامى له مبنى خاص من طابقين ، وبهذه الجمهورية خمس مدارس للعلوم الإسلامية والعربية ، ويجرى بها ـ حديثاً ـ إنشاء مركز إسلامى يشمل مسجداً ومدرسة وإدارةٍ دينية . وفى (الشيشان) معهد إسلامى هو معهد (الإمام الشافعى) ـ رضى الله عنه ـ يدرس فيه أربعمائة طالب ، وبكل قرية من قراها الأربعمائة مدرسة لتعليم القرآن الكريم واللغة العربية . وفى (جُرُوْزنى) عاصمة (الشيشان) يقام ـ حالياً ـ مركز إسلامى ... ويمكن أن نعد من ذلك الكثير ، لكنْ ثمة أمران :

الأول : وجود القانون الإلزامى الذى يلزم الطفل بالتعلم حتى نهاية المرحلة الثانوية ، الأمر الذى يترتب عليه أن تعمل المدارس الإسلامية مساء فى فترات ما بعد الدراسة الرسمية حيث الوقت ضيق والواجبات كثيرة .

الثانى : أنه لا توجد (الكوادر) الفنية فى تعليم الدين والعربية من أبناء البلاد التى يمكنها مزاولة العمل بدقة ونظام وحسن أداء على المستوى المطلوب فى هذا الوقت الضيق أو غيره .

وهذا وذاك أمر أصبح له فى الأزهر الشريف دراسة خاصة ظهرت بعض نتائجها سريعاً ... والحمد لله ـ تعالى ـ نعم المعين .

د. على أحمد الخطيب

مع
الإمام الأكبر

الأضحى

عيد للأسرة وللملّة وللأمة

هذا العيد يوم من أيام الله تتسامى فيه المشاعر ، وتتوافد التضحية لله . عيد الأضحى أجل الأعياد خطراً وأبلغها أثراً فى حياة المسلمين ، وأظهرها فى نفوسهم دلالة ، لقد تجلت فيه مبادىء الإسلام وغاياته .

جاء هذا العيد وكأنه موجة من النور الهادى فى خضم هذا الزمان المضطرب ، وفترة من السلام الإلهى بين هذه الخطوب التى تموج فى جنبات ديار المسلمين وتضطرم بها الأحاسيس والشواغل .

انه نفحة من نعيم الله تندى لها القلوب اليابسة بالود الخالص وبالبر المحض ، وسبب يصل بين الغنى والفقير بالإحسان ، وبين القريب والبعيد بالمودة ،وبين القوى والضعيف بالرحمة ، وبين الله والإنسان بالصلاة ، وبين ضيوف الرحمن فى الحج بالحمد والشكر لله الذى اتم نعمته .

هذه الأعياد الإسلامية الدينية ما أشد حاجتنا ــ نحن المسلمين ــ إلى أن نفهمها فهماً سديداً جديداً نتلقاها ، ونأخذ أنفسنا فيها بفكر يليق بها حتى تكون أياماً سعيدة ، عاملة ، تنبه فينا ما خمد من أوصافها القوية . وتجدد فى نفوسنا معانيها السامية ، وتدفعنا إلى التفكير فى صدق القول السائر : دوام الحال من المحال ــ فنعمل على تغيير ما وقر فى النفوس من كساد وما استقرت فيه من فراغ ، حتى صار أكبر همها تجديد الثياب ، واتساع ابتسامة النفاق .

العيد ــ فى الإسلام ــ هو المعنى الذى يكون فى اليوم وليس اليوم نفسه .

ذلك أن معنى العيد فيه انبعاث وجود الأمة وحضورها الروحانى فى أجمل المعانى واثبات ذاتيتها بدلاً من اثبات وجودها الحيوانى فى أبرز معانيه .

إنه معنى إشعار الأمة بأن فيها قوة تغيير الأيام بدلاً من ركونها واستكانتها إلى أن الأيام قد تغيرت وأن المسيرة قد تعثرت ، حتى صارت حياة الأمةفرقاً متناحرة وعصبيات متشاجرة ، وربما متقاتلة .

نرقب أن يكون هذا العيد يوماً أو أياماً تعرض فيه أمة الإسلام جمال نظامها الاجتماعى وتكافلها فى المهمات والملمات ، فيكون الشعور الواحد فى قمة الوجود فى نفوس كافة شعوبها تتعاطف وتتعاون على دفع الكروب التى أحاطت بالأمة من كل جانب ، والخطوب التى خطت على أرضها ففرقتها بعد ان كانت معتزة بتجمعها .

ليس العيد إلا أن تكون كلمة الأمة واحدة تجاه تلك النوازل المتواثبة ، فتشعر بالقدرة على وقف تلك الاحداث وتغيير مسارها إلى صالحها لا القدرة على تغيير الثياب .

الإسلام يدعو أمته إلى أن تتسع روح الحوار وتمتد ، فيتحقق الإخاء عملاً ، وتظهر فضيلة الإخلاص مستعلنة للجميع .

عيد الأضحى هو عيد الأسرة والمِلَّة والأمة يُفيض المودة والبهجة فى البيوت ، ويجدد الألفة والمودة فى الوطن ، ويكون سفير التعارف والتآلف بين الأخوة وفود الرحمن فى عرفات ــ ينبغى أن يكون العيد صوت القوة الذى يهتف بهذه الأمة أن اخرجى من أتراحك وخذى العدة ليوم النصر فى التقاء الكبار بالصغار معنى الفرح بالحياة الناجحة النامية بنمو هذه البراعم ، المتقدمة فى طريق التخلص من الأوزار والأوضار ليكن فى عيد الأضحى تضحية بالأهواء ، وبعد عن الانطواء والقطيعة واللَّدد فى الخصومة ، وتقارب وتوافق على ما ينفع الأمة وعلى ما يرفع هذه الغمة والتى طمت وعمت ساحات المسلمين حتى لا نكاد نجد وطناً مسلماً غير مبتلى بالغدوان عليه وليكن عيد الأضحى مُعلِّما للأمة كيف توجه وتقود نفسها بقوتها وبكلمتها وبوحدتها حركة الحياة إلى معنى واحد ــ كلما شاءت ــ تتغياه ، حيث وضع لها الإسلام قواعد النجاة وضرب لها الأمثال .

ليت هذا العيد يشهد التقاء القّادة والزعماء لهذه الأمة ، لقاء عمل نقِى وإلى عهد يتعاهدونه أن ينحوا فرقتهم وينهوا غربتهم عن وحدتهم ويتدارسوا كيف يقودون أمتهم إلى حياة عزيزة رشيدة تخلو من ذل

السؤال ومن وصمة الاستذلال تتساند فى البأساء والضراء ، وتتعاون على البر والتقوى فهذا هو طوق النجاة من الأوحال التى غاصت فيها الأمة ، فثقلت أقدامها عن مسيرة الحياة كأمة لها مجدها وتاريخها ، وتثاقلت فى السباق حتى اسُتِبقَتْ ، وأنَّى للكسول أن يكون مقداماً وللخَوَّار أن يكون شجاعاً ، وما كان العهد بها فقد قادها الإسلام إلى عز العلوم والمعارف وأحيا التحديث والتجديد لما خمد من أسباب القوة وأساليب الحياة الشريفة .

إنها دعوة من الأزهر الشريف إلى أصحاب الجلالة والفخامة والسمو الملوك والرؤساء والأمراء لأمة الإسلام وإلى من يعاونونهم من الزعماء والقادة أن يضحوا فى هذا العيد بكل العوامل التى فرقت كلمتهم وزرعت التباغض فيما بينهم وأن يحيلوا ليل هذه الأمة الدامس نهاراً وضيئاً مضيئاً مليئاً بالأمل وبالعمل وعندئذ تنجلى عن الأمة هذه الغمة ، ويعلو قدرها ، وتنكف عن أرضها وعن عرضها هذه الذئاب العاوية . إن الشعوب المسلمة ترقب بأمل يوم عيد الأضحى لترى هذا الأمل عملاً مرئياً بالأبصار ، بدلاً من برقيات التهانى (البروتوكولية) التى لم تكن من تقاليد الإسلام ولا من سلوك المسلمين وانما كان هذا (البروتوكول) من وسائل التغريب التى وفدت فقطعت الأواصر وحجبت سبل المصارحة .

إن رسول الله ـ ﷺ ـ حذَّر المسلمين من القطيعة ومن الخصام لأكثر من ثلاث ليال وبشر بأن خير المتخاصمين هو الذى يبدأ بالكلام أو بالسلام .

ومن أقوال رسول الله ـ ﷺ ـ الآمرة : الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله . قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

وها هو الأزهر الشريف يرفع نصحه إلى أئمة المسلمين وأولياء أمورهم : أن التشرذم والتقاطع والتدابر قد أحال الأمة إلى أشلاء حتى سهل على ذئاب البشر اقتناصها متتابعة وحتى كاد أن يقول قائلها معاذ الله : انج سعد فقد هلك سعيد .

وفى العيد المجيد عيد الأضحى والتضحية والفداء أهنىء ـ باسم الأزهر الشريف ـ أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء وأمراء الأمة الإسلامية وحكوماتها وشعوبها بهذا العيد وأدعو الله أن يعيده فأل سرور وسعادة مصحوباً للأمة بالحسنى وزيادة وأمل تمهيد طرق النجاة والسير بها إلى عز الحياة والهيبة ، وما النصر إلا من عند الله ، فخذوا بأسبابه وأجمعوا أمركم (والله معكم ولن يتركم أعمالكم ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

بيان من الأزهر الشريف :

الدعوة إلى صلاة الغائب على أرواح شهداء البوسنه والهرسك

ما تزال الأنباء تترى عن تصاعد المحن التى ابتلى بها المسلمون فى مختلف أنحاءالعالم .. ولا سيما هذه المحنة الحادة فى جمهورية البوسنه والهرسك حيث أشعلت القوات الصربية ومعها الجيش الاتحادى النيران فى منازل المسلمين وفى المنشآت الحيوية واستهدفت البشر فقتلت وجرحت المئات .. ولقد توارت أو انسحبت قوات الأمم المتحدة وتوقفت الوساطة بين المتقاتلين من كافة الجهات الدولية المسئولة والمؤثرة ..

وان الأزهر الشريف ليأسف لهذه الحال التى آل اليها التعامل الانسانى حتى على مستوى المنظمة الدولية بكافة هيئاتها .. فقد بدا على تصرفاتها التراخى والإهمال لهذه الأحوال ، الأمر الذى يدعو الأمة الاسلامية بكافة شعوبها الى أن تستبصر أمورها وتسارع الى التضامن فى مواجهة هذه الأحداث ونجدة أولئك المضطهدين فى أوطانهم واغاثتهم بما يحفظ عليهم حياتهم وديارهم ..

وانه وقد سقط المئات وربما الالآف من الشهداء فإن الأزهر الشريف ــ عملا بسنة رسول الله ــ ﷺ ــ يدعو كافة الشعوب الاسلامية إلى أداء صلاة الغائب على أرواح شهداء الشعوب الاسلامية التى تواجه هذه المجازر البشرية والاضطهاد فى أوطانها وهذا عقب صلاة الجمعة الموافق ١٩ من ذى القعدة ١٤١٢هـ ٢٢ من مايو ١٩٩٢م طلبا لرحمة الله لهم ولأمتهم التى حاقت بها الصعاب .. والهوان والتشرد ، بعد أن تفرقت كلمتهم وتنازعوا فى أمورهم ، ورجاء أن يؤلف الله بين قلوب المسلمين ويوحد صفوفهم فى الحياة كما يتوحدون فى الصلاة ودعاء أن يمد الله هؤلاء المضطهدين بنصره وتأييده .

وصلاة الغائب مشروعة سنها رسول الله ــ ﷺ ــ ، وتجوز على الغائب فى بلد آخر سواء أكان قريبا أم بعيدا وان لم يكن البلد الذى به الغائب جهة القبلة .. فقد روى الشيخان عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ــ ﷺ ــ صلى على أَصْحَمَةَ النجاشى فكبر عليه أربعا وفى لفظ قال توفى اليوم رجل صالح من الحبش ، فهلموا فصلوا عليه ، فَصُفِفْنَا خلفه ، فصلى رسول الله ــ ﷺ ــ عليه ونحن صفوف ..

نسأل الله أن يتقبل منا ومنكم ، وأن ينصر عباده ويلهمهم الأخذ بأسباب النصر ..

الأزهر الشريف يدعو

الدول الإسلامية وكافة هيئات الاغاثة فى العالم الإسلامى

لقد تواترت الأنباء عن عدوان الصرب اليوغسلاف على جمهورية البوسنه والهرسك — وتدمير المساكن وقتل الاطفال والنساء والشيوخ والتخريب المستمر للمرافق من خطوط المواصلات والكهرباء ووسائل الاتصالات ، وحجب المعونات الطبية والغذائية عن الجرحى والمرضى والفارين من العدوان .

وإن الأزهر الشريف ليأسف لهذه الأحداث التى تجرد أصحابها عن إنسانيتهم — وتخلوا عن الرحمة التى يجب أن تحفظ الضعفاء وتنأى بهم عن الأذى والعدوان .

ولقد زاد قلق الأزهر الشريف اشفاقا على هؤلاء المسلمين المستضعفين فى بلادهم بعد إذ أعلنت أمانة الأمم المتحدة عن تراخيها فى إرسال قوات حفظ السلام فى هذه الجمهورية (البوسنه والهرسك) حالة أن لها قوات هرعت الى مواقع أخرى من جمهوريات يوغسلافيا المنحلة .

ثم أين جهود مجموعة الدول الاوربية ومنظمتها فى حماية أرواح وممتلكات هؤلاء المسلمين المستضعفين الجيران ، وحقوق الجوار مقررة فى كافة الأديان والمواثيق الدولية .

ولقد سارعت مجموعة الدول الاوربية الى التدخل فى جهات أخرى فى يوغوسلافيا لكنها توقفت عن بذل أى جهد فى البوسنه والهرسك .

إن الأزهر الشريف ليهيب بالدول الاسلامية أن تبادر الى بذل جهدها لحماية سكان جمهورية البوسنه والهرسك مما حاق بهم والعمل على دفع هذا العدوان واغاثة هؤلاء المنكوبين والفارين من جحيم العدوان .

وان الازهر الشريف ليدعو كافة هيئات الاغاثة فى العالم الاسلامى الى المسارعة الى هذه الجمهورية أداء للواجب الانسانى والاسلامى نحو أهلها فى مواقعهم .

ويدعو الازهر الشريف منظمة المؤتمر الاسلامى أن تبذل جهدها فى متابعة الدول الاسلامية للعمل على إنهاء هذه المحنة مع الاعتراف باستقلال جمهورية البوسنه والهرسك .

ويدعو أمانة منظمة الامم المتحدة الى سرعة اتخاذ إجراءاتها نحو إرسال قواتها لحماية سكان هذه الجمهورية تطبيقا لمواثيقها وان تكثف جهودها لتزويدهم بمواد الإغاثة والإعاشة والمواد الطبية ومهمات الإيواء للمشردين والمطرودين والمطاردين .

ويقدر الازهر الشريف مبادرة الخارجية المصرية نحو الاعتراف باستقلال هذه الجمهورية ويأمل أن تبذل مساعيها الحميدة مع الدول العربية والاسلامية الشقيقة ومع الدول الصديقة نحو الاعتراف بها كذلك وتقديم العون لها فى محنتها .

ومرة اخرى يأمل الأزهر الشريف أن تقدر منظمة الأمم المتحدة مسئوليتها نحو المسلمين والكروات بالعمل على وقف تلك المذابح الدائرة فى بلادهم من جيش الدولة المنحلة وانقاذ المسلمين والكروات من العمل غير الإنسانى الموجه اليهم والمستمر باصرار ضد مبادىء حقوق الانسان وكرامته ولتراجع هذه المنظمة موقفها وتسارع الى انقاذ وحماية الأرواح والممتلكات المستهدفة من قوات الجيش الاتحادى .

نداء ورجاء من الأزهر الشريف إلى المجاهدين الأفغان

نحمد الله الذى صدق وعده وأعز جنده الذين صبروا وصابروا وثابروا على جهادهم لتحرير أفغانستان مما ألم بها من عدوان ليس على أرضها فحسب وانما على دينها الاسلام ويحيى الأزهر الشريف هذا الجهاد ويهنىء جميع المجاهدين أفرادا وقادة على تنوع فئاتهم ، فالكل كان فى ساحة الجهاد لهدف واحد هو تحرير البلاد ورد كيد المعتدين ودحر العدوان .

ولنستمع الى ثناء الله سبحانه وتعالى وتوجيهه الى المجاهدين مع الرسول — ﷺ — وأمره سبحانه أن يكونوا لبعضهم أولياء ونصراء ذلك قول الله تعالى فى سورة الانفال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾

فلتكونوا أيها المجاهدون الأفغان وقد ارتفعت أعلامكم المنتصرة أولياء بعضكم لبعض ، ولا تكونوا متفرقين ومتحاربين كما تواردت الأنباء التى أحزنت شعوب الأمة الاسلامية ، التى تخشى أن تضيع دماء الشهداء ويندثر جهادكم باسم شعب أفغانستان ، ويذهب بهاء ورواء النصر بهذا التناحر والشجار فيما بينكم .

إن الازهر الشريف يدعوكم باسم الاسلام الذى جاهدتم لرفع رايته فى وطنكم أن توقفوا كل

فرقة والا تستمعوا لمن يسعى بينكم بالوقيعة التى حذرنا القرآن من آثارها المدمرة ــ فقال الله سبحانه فى سورة الانفال « .. وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ » ونصح القرآن بالحق والصواب فى قول الله سبحانه فى سورة آل عمــران (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) ..

وليكن جهادكم لله سبحانه إخلاصا لدينه الاسلام ووفاء لشعب أفغانستان المسلم فقد وعد الله سبحانه = ووعده حق وصدق = أن يهدى المجاهدين المخلصين سبل الرشاد حيث قال فى ختام سورة العنكبوت « وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ » .

والأزهر الشريف وهو يحسب أن جهادكم كان لله وفى الله ليدعو الله سبحانه أن يكون معكم يؤلف بين قلوبكم ويوحد صفوفكم ، ويشد من أزركم لتعيدوا ترتيب أمور بلدكم ، ولتوفروا قدراتكم فى جهاد آخر هو إعمار ما تخرب من المرافق والمساكن والمزارع والمصانع والمدارس .

تواضعوا لله ايها المجاهدون وأنتم أعرف بمعنى قول الله سبحانه وتعالى فى ختام سورة العنكبوت (.. وانَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) فأحسنوا نياتكم وأعمالكم لله وأوقفوا كل خلاف وتجاوروا وتشاوروا تنفيذا لقول الله سبحانه (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) .

واقتداء بما فعل أصحاب رسول الله ــ ﷺ ــ يوم سقيفة بنى ساعدة واختيار أول خليفة لرسول الله ــ ﷺ ــ أبى بكر رضى الله عنه ولا تتقاتلوا وتزيدوا من مساحة الدمار والخراب والخلاف والتشرذم ، فيشمت بكم الأعداء .

إن العالم كله ليترقب صدق جهادكم ، فلا تنكثوا بما عهد به الشعب الأفغانى إليكم أن تحرروا أرضه وأن تحموا عرضه وترفعوا راية دينه الاسلام ، إنها أمانة وان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها .

وإن الأزهر الشريف ليوجه الرجاء إلى كافة الحكومات الاسلامية لتبادر الى الاعتــراف بالحكومة الشرعية فى أفغانستان تمكينا لها من تسيير أمور الشعب والدولة وتأييدها وتزويدها بالنصح لتتعرف الطريق الصحيح للتغلب على الخلافات .

إن الازهر الشريف ليأمل أن يبادر الأمين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامى الى العمل ــ على ازالة أسباب الخلاف بين فصائل المجاهدين الأفغان وحث دول المنظمة بل وشعوبها على تقديم كل عون لإعادة بناء أفغانستان ومساعدة المهاجرين منهم إلى العودة إلى ديارهم لاعمارها وحمايتها .

أيها المجاهدون الأفغان إن ثمرة مشقة جهاد أربعة عشر عاما ينبغى أن تصان وأن تكون حافزا على التعالى فوق كل غرض أو هوى فكونوا يدا واحدة ، وفكروا وقدروا أنكم مستهدفون وأن فرقتكم تشعل النار مرة أخرى فى أفغانستان ، وإذا كانت رحمة الله ونصرته قد حلت بكم وتكلل جهادكم برضا الله ورضوانه كان عليكم الشكر لله الذى أعانكم ولا يكون هذا الشكر إلا بالامتثال لأمر الله فى قوله تعالى : « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا » والتوقف عندما نهى عنه : « وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ » .

الأزهر الشريف يهيب

بمنظمة المؤتمر الإسلامى ومنظمة الأمم المتحدة

إن الحوادث المؤسفة التى وقعت فى المسجد الأقصى أمس من العصابات الاسرائيلية التى هاجمت المسجد ومن القوات الاسرائيلية التى داهمت الفلسطينيين الذين يدافعون عن المسجد وملحقاته فقتلت منهم العشرات وأصابت أكثر من الف نفس .

هذه الحوادث المؤلمة التى تدل على أن الاسرائيليين على مختلف مستوياتهم قد تخلوا عن الانسانية ، وأن الحكومة الاسرائيلية قد خرقت المواثيق الدولية التى تؤكد على الحفاظ على حقوق الانسان واحترام دور العبادة وحمايتها وهى بهذا العمل قد شاركت فى انتهاك حرمة المسجد الاقصى ، ولم تحترم شعور مليار مسلم من كافة شعوب الأرض .

وإن الأزهر الشريف ليستنكر هذه الأفعال الهمجية المؤسفة التى لم ترع حق الله ولا حق الناس .

ويهيب الازهر الشريف بمنظمة المؤتمر الاسلامى أن ترفع أمر هذه الحوادث الشنيعة الى منظمة الأمم المتحدة بكافة هيئاتها لتنظر فى هذا الجرم الفظيع الذى ارتكبته إسرائيل حكومة وشعبا .

كما يهيب بمنظمة الأمم المتحدة التى أقامها العالم حفاظا على الحقوق الانسانية والمقدسات لدى كافة الشعوب ، أن تضطلع بمسئوليتها تجاه هذا العدوان الاثيم .

كما يهيب الازهر الشريف بالدول الخمس الكبرى صاحبة الرأى الحاسم فى مجلس الأمن أن تتضافر جهودها فى رد هذا العدوان بالاجراءات الحازمة الحاسمة التى تحمى مقدسات المسلمين فى الأرض المحتلة وفى فلسطين وتحمى الفلسطينيين من هذا العدوان الاثيم .

كما يهيب الأزهر الشريف بالشعوب الاسلامية والحكومات أن يتخذوا موقفا موحدا إزاء هذا العدوان على المسجد الأقصى والذى قتل وشرد الأنفس البريئة التى تدافع عن المقدسات والحرمات .

ويحث الازهر الشريف الحكومات أن تدعم الشعب الفلسطينى فى القدس والأرض المحتلة .

كما يهيب الأزهر الشريف بالفلسطينيين بالقدس والأرض المحتلة أن يثبتوا فى مواقعهم ولا يتخلوا عن أرضهم ولا عن مقدساتهم مدافعين عنها ولو بأجسادهم ولا يوهن من عزمهم ذلك الخلل الذى بدا فى صفوف الأمة العربية والاسلامية فلعل ما حدث فى القدس يكون دافعا لجمع كلمة العرب والمسلمين ووحدة صفهم للدفاع عن مقدساتهم وكافة حقوقهم .

وعلى الفلسطينيين فى القدس والأرض المحتلة ان ينزلو عند حكم الله سبحانه فى قوله تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾

أموال القصر فى المجلس الحسبى هل عليها زكاة ... ؟

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ..

وبعد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر كتاب من خال أولاد قصر (ن ـ د) متضمنا :

أنه يوجد أطفال قصر كل أموالهم بالمجلس الحسبى الذى يصرف لهم شهريا قدرا لا يكفيهم فلولا أن من ذوى قرابتهم من يوالى امدادهم بالمال لضاق أمرهم ــ فهم عموما ــ هذا معروف ــ لا يملكون التصرف فى أموالهم وليس لهم أموال خارج المجلس الحسبى ولا يستطيعون التصرف حتى بلوغ السن القانونية هل على أموالهم زكاة ؟ واذا كانت هناك زكاة فكيف تزكى والمال هكذا ؟

هذا مع ملاحظة :

١ ـ أن الأموال سائلة .

٢ ـ وأن هذه الأموال السائلة تودع بمعرفة المجلس الحسبى فى البنك ولا يصرف عنها أى عائد ولا فوائد .

والجـواب

الزكاة ركن من أركان الإسلام ، وفرض عين على كل من توافرت فى أمواله شروط الزكاة . ودليل فرضيتها ثابت بالكتاب والسنة والإجماع من هذا قوله تعالى :

﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ (٤٣) ﴾

(١) الآية رقم ٤٣ من سورة البقرة

وما رواه ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ أن النبى ــ ﷺ ــ لما بعث معاذا إلى اليمن كان مما أوصاه بإبلاغه للناس (أن الله افترض عليهم صدقة فى أموالهم ، تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم) .

وقد أجمع المسلمون على فرضية الزكاة ، وأنها تجب فى كل أنواع المال بشروط ومقادير محددة لكل نوع . وأهمها :

أن يبلغ المال النصاب الشرعى .
وأن تكون ذمة مالكه خالية من الدين .
وأن يكون مدخرا فائضا عن حاجته المعيشية وحاجة من يعوله ، وأن تمضى عليه سنة .

والنصاب الشرعى ــ أى الحد الأدنى للمال النقدى الذى تجب فيه الزكاة بعد استيفاء باقى الشروط ــ هو ما تقابل قيمته بالنقود الحالية قيمة (٨٥) جراما من الذهب عيار (٢١) ويلزم مراعاة سعر الذهب وقت وجوب الزكاة ، فاذا ملك المسلم هذا النصاب أو أكثر منه وجبت فيه الزكاة بمقدار ربع العشر أى ٢,٥٪ .

هذا :
وقد تحدث الفقهاء فى شروط وجوب الزكاة وقالوا : إن منها العقل واختلفوا فى وجوبها فى مال الصغير والمجنون .
فقال الأئمة الثلاثة مالك والشافعى وأحمد بن حنبل : إنها تجب فى مال كل من هؤلاء بشروط الوجوب ، ويجب على الوصى أو الولى أو القيم إخراجها من مال عديم الأهلية[٢]
ويرى الإمام أبوحنيفة أنها لا تجب فى مال الصغير أو المعتوه أو المجنون عتها وجنونا مطبقا مستمرا دون إفاقة لسقوط التكليف ، ولا يطالب الولى أو الوصى أو القيم بإخراجها طالما كان بهذه الحال .
ونميل إلى الأخذ برأى الأئمة الثلاثة القائلين بإخراج الزكاة من مال عديمى الأهلية متى توافرت الشروط لقوة أدلتهم ، ولأن الزكاة متعلقة بالمال .
وعلى هذا :

وفى واقعة السؤال : إذا ما تحققت شروط وجوب زكاة المال مع توافر النصاب الشرعى فى المبلغ المذكور وقت إيداعه البنك ، وتمام الحول عليه ، وجب على ولى أو وصى هؤلاء القصر أن يخرج عنهم زكاة رأس المال المودع مجردا عن الأرباح إن كانت .

هذا :
والقيم أو الولى أو الوصى هو المسئول أمام الله ــ سبحانه ــ عن زكاة أموالهم إذا استحقت عليها الزكاة ، وعليه أن يعرض الأمر على المحكمة المختصة للإذن بإخراج ما وجب من الزكاة .
فإذا لم يؤذن له بقيت إلى وقت بلوغ الصغير أو إفاقة المجنون أو المعتوه فيؤدى كل بنفسه زكاة سنة واحدة وفقا للفقه المالكى فى زكاة الديون .
والله سبحانه وتعالى أعلم ..

---

(٢) متفق عليه واللفظ للبخارى .

مع سورة الأنفال

لفضيلة الدكتور عبدالجليل شلبى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ
وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ
فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ
تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ
لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

التفسير

يأتى إسم الإشارة بعد توضيح أمر من الأمور أو تفصيل مسألة من المسائل ، بمعنى الأمر ذلك ، أو هذا هو الأمر ، ففى سورة الحج بعد أن جاء أن الملك يوم القيامة يكون لله وحده يثيب الصالحين ويعذب العصاة الكافرين ويخص المهاجرين الذين قتلوا أو ماتوا برزق حسن ، جاء .. ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به .... وفى سورة « ص » بعد أن عرضت سير الأنبياء وما أعد لهم من مثوبة عند الله ورزق لا ينفد جاء قول الله تعالى : ﴿ هَذَا وإنَّ لِلطَّاغِينَ لَشرَّ مآب ﴾ .. والتقدير فى الآيتين : ذلك هو الأمر ، وهذا ما هو ثابت مقرر ، أو اعلموا ما ذكر .

وفى هذه الآية : ﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ تقدير الكلام الأمر ذلكم ، أو ذلكم ما ثبت ورأيتم من هزيمة المشركين على كثرتهم وانتصاركم على قلتكم .

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أى مضعف تدبيرهم ومهون شأنه ، وقرىء ان بفتح الهمزة على تقدير حرف جر محذوف ، أى لأن الله موهن ، وقرىء بكسر الهمزة على الاستئناف ، فتكون جملة مستقلة ، وموهن إما من « أوهن » الشىء بمعنى أضعفه وأذل قواه ، وإما من « وهَنهُ » بتضعيف الهاء ـ وبفتح الواو ـ بالمعنى نفسه ، والتضعيف كما هو معروف يفيد المبالغة ، ونلحظ الفرق بين الفعلين فى مثل كسَرهُ وكسّره ، ومزقه ومزقه ، وقراءةابن كثير ونافع ، وقرأ من غير السبعة بالتضعيف ، وقراءة حفص عن عاصم بالتخفيف .

وجعل بعض المفسرين المشار إليهم فى « ذلكم » القتل أو الرمى ، وقيل هو إبلاء المؤمنين وإبطال حيل المشركين ، والأولى أن تكون الإشارة لكل ما سبق .

والآية تحمل بشرى للمؤمنين ، بأنهم فى كل مواقفهم يضعف الله ـ سبحانه ـ عدوهم وينصرهم ، ولذا لم تعبر الآية بالفعل الماضى « أو هن » وآثرت التعبير باسم الفاعل الدال على الاستمرار ، وهذا يوحى للمؤمنين بالتزامهم بشرائع الإيمان وقوانينه ، لأنهم حين يفرطون فيها يتساوون بأعدائهم ، وكلما تركوا منها شيئا اقتربوا منهم وخدشوا إيمانهم .

وكان المشركون يرون أن محمدا ـ ﷺ ـ قطع رحمه إذ ترك عبادة الآلهة التى كان يعبدها آباؤه ، كما أنهم كانوا يرون أنهم على هدى وأن المسلمين على ضلال ، ويرون أنهم أكرم وأعز لأنهم من قريش وأهل الحرم ، بينما الذين اتبعوا الإسلام كانوا من الفقراء المستضعفين ، فحين هموا بالخروج إلى بدر ، تعلقوا باستار الكعبة ، وأخذوا يدعون : اللهم انصر أعلى الجندين ، وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين ، وحين التقى الجمعان فى بدر كان أبوجهل يدعو : اللهم ربنا ، ديننا القديم ، ودين محمد الحديث ، فأى الدينين أحب اليك وأرضى عندك ، فانصر أهله اليوم ، وهذا يدل على أن ، أبا جهل وبعضا ممن معه كانوا يرون أنهم على حق ، وأن آلهتهم ستنصرهم ، وقد ظل هذا الظن مستحكما فى نفوسهم حتى إننا نجد هند بنت عقبة ـ زوج أبى سفيان يوم فتح مكة تحطم الصنم الذى كان فى بيتها ، وتقول له : ان كنا منك لفى ضلال ، ولا ينافى هذا ما كان باديا من حقد أبى جهل ، وحقد قبيلته بنى مخزوم على بنى هاشم ، حتى يقول فى بعض مواقفه تنازعنا الشرف وبنى هاشم ، أطعموا فأطعمنا وسقوا فسقينا .. حتى قالوا منا نبىّ يوحى إليه ، فهم يجمعون الأمرين ، ولم تلن قلوبهم وجلودهم لذكر الله وما نزل من الحق .

والآية تخاطبهم بأسلوب ساخر فتقول : ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح « يعنى إذا كنتم تستغيثون الله ، وتسألوه النصر ، والفصل بينكم وبين اعدائكم المسلمين ، فهذا الذى حدث إجابة ما سألتم ، نصر الله حقا اهدى الفئتين ، وأكرمهما عليه ، وليست العزة والكرامة بالمال ولا بالنسب ، ولكنها باتباع الحق ونصره . « وان تنتهوا » عن حرب الرسول ـ ﷺ ـ ومعاداة المسلمين فهذا الانتهاء خير لكم من القتل والأسر والخسارة والذلة بين القبائل ، وكل ذلك قد أصابكم بسبب إصراركم على العداوة والحرب ، فالأنتهاء عن المعاداة خير لكم .

« وإن تعودوا » إلى الحرب والقتال نعد إلى مثل ما أصابكم ، ولن تغنى عنكم فئتكم وجماعتكم التى تجمعونها وتعتزون بها أى شىء من الإغناء ، ولو كانت أكثر مما كانت يوم بدر ، لأن الله مع المؤمنين ، ولا يغلب الله غالب .

ونجد مصداق هذا فى يوم الأحزاب ، اذ كانت جموع القبائل التى جمعتها قريش أكثر عددا من الذين كانوا يوم بدر ، وقد اذلهم الله ـ العلى القدير ـ وردهم بغيظهم لم ينالوا خيرا .

وقرىء « وأن الله مع المؤمنين » بفتح الهمزة ، على ان الواو للحال ، أى لن تغنى شيئاً والحال أن الله مع المؤمنين ، أو على تقدير حرف الجر بمعنى لأن الله مع المؤمنين ، وهو ـ سبحانه ـ لا يغلب ، وقرئت « وان الله » بكسر الهمزة ، على أنها جملة مستأنفة ، وهى أقوى لأنها اعلام بأن الله معهم دائماً ، فلا ينبغى أن يكون لكم مطمع فى هزيمتهم .

ويرى بعض المفسرين ان الخطـــاب فى « إن تستفتحوا » ان الخطاب موجه للمؤمنين وبه يتغير معنى الجملة كلها ، وفحواه إن تستنصروا الله أيها المؤمنون ، فقد جاءكم النصر ، وان تنتهوا عن التكاسل والتردد فى الاتجاه إلى الحرب ، كما بدا منكم إذا أردتم الغنيمة غير ذات الشوكة ، وذهبتم إلى الحرب كارهين ـ فهذا الانتهاء خير لكم من كل شىء ، لأنه مدار سعادة الدارين ، وإن تعودوا إليه نعد عليكم بالانكار وتهييج العدو وحينئذ لن تغنى عنكم فئتكم ، إذ لا يكون الله معكم بالنصر ، فهو ـ سبحانه ـ بعزته ونصره مع كاملى الإيمان .

وقد يكون خطاب المؤمنين فى الآية التالية بما يؤيد أن الخطاب فى جملة « إن تستفتحوا » لهم ، ولست أميل إليه لأن تلوين الخطاب يجعله مرة لأولئك وأخرى لهؤلاء مما يجعل الكلام أكثر تنشيطاً للذهن ، والسخرية فيه ذات مغزى .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾

اطيعوا الله فى كل ما بلغكم الرسول عنه ، وطاعة الله هى طاعة الرسول ، لأنه ـ ﷺ ـ لا ينطق عن الهوى ، ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ، ويجمع الأمر بالطاعتين للتقوية والتوكيد ، كما فى ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ﴾ يأمر الله المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ، وينهاهم عن مخالفته وامتثال أمره ، أى لا تديروا وجوهكم عما يأمركم به ولا تخالفوه ، وأنتم تسمعون توجيهه ونصائحه ، ولا تكونوا مثل المنافقين والمشركين ، فالمنافقون يقولون سمعنا بألسنتهم بينما هو معرضون عن دعاته بقلوبهم ، فهم لا يسمعون سمع إجابة وطاعة ، والمشركون يقولون سمعنا ما تقول ولكنهم لا يستجيبون ، بل يستهزئون بقوله ، والمؤمنون إذا لم يستجيبوا لدعوة رسول الله ـ ﷺ ـ كانوا مثل المشركين والمنافقين فى عدم انتفاعهم بما سمعوا ، لهذا قالت الآية :

﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾

أى الذين ادعوا السماع ، أو استمعوا استماع استهزاء ، والحال أنهم لا يستفيدون من سماعهم شيئاً ، فهم كمن لا يسمع شيئاً أصلاً .

والمعنى : انكم أيها المؤمنون تصدقون بالقرآن والنبوة وينبغى أن يكون تصديقكم تصديق استجابة وإذعان ، فإذا توليتم عن طاعة الرسول فى بعض الأمور من قسمة الغنائم ، وكراهتكم لقاء العدو ، كان تصديقكم كلا تصديق ، وكان سماعكم سماع غير المؤمنين .

وواضح من هذه الآية أن مجرد التصديق والايمان ما لم يقترن به عمل فليس فيه استجابة لله ولا للرسول ، وواضح أيضاً أن الاتجاه إلى مطامع الدنيا والتعلق بمادياتها مما يلفت عن طاعة الله ورسوله ، ومن أحب دنياه أضر بأخر بآخرته ، ولم يمنع الإسلام السعى إلى تحصيل الرزق وتحصيل الثروة ، ولكنه منع أن يكون ذلك كل غاية المؤمن وكل مطامعه من حياته وهو أيضاً تول عن الله ورسوله ، ونسيان لحق الله وللدار الآخرة ، وتلك سجايا المشركين والمنافقين الذين يسمعون كلام الله ولا يستجيبون له ، فهم كالصم الذين لم يسمعوا .

ونسأل الله ـ سبحانه ـ إنارة قلوبنا وتوجهينا إلى حسن طاعته وطاعة رسوله ـ ﷺ ـ والحمد لله رب العالمين .

قبس من أنوار النبوة

بين الحرمين الشريفين

للشيخ/ على حامد عبد الرحيم

١ ـ عن جابر ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال :
هذا البيت دعامة الإسلام ، فمن خرج يؤمّ هذا البيت من حاج أو معتمر ، كان مضموناً على الله إن قبضه أن يدخله الجنة ، وإن رده رده بأجر وغنيمة » .

رواه ابن جريج بإسناد حسن

٢ ـ وروى ان ماجه عن جابر مرفوعاً ـ قال رسول الله ـ ﷺ ـ :
صلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه »

٣ ـ وروى البخارى ومسلم ـ وغيرهما ـ عن عبد الله بن زيد المازنى ، أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » .

والأحاديث الشريفة تدعونا إلى الحديث عن حج بيت الله الحرام ثم زيارة الرسول ﷺ

فأما حج البيت ؛ فإنه لم ينقطع منذ شع نور الفجر الصادق وأشرقت الأرض بنور ربها ، ورفع الخليل إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل - عليهما السلام ، وأذن الخليل بالحج ، فلباه أهل الإجابة إلى يوم تقوم الساعة ، فلم يخل البيت من طائف أو عاكف ، وراكع أو ساجد .

ثم يهوى الحاج إلى المدينة حيث مقام رسول الله - ﷺ - ، ومسجده - عليه السلاة والسلام - أوسط المساجد الثلاثة التى حُبِّبَ شد الرحال إليها ، فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى - ﷺ - قال : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجد الرسول - ﷺ - ، ومسجد الأقصى » .

(رواه البخارى ومسلم)

ولزيارته - ﷺ - آداب :

فإذا هم بدخول مسجده - ﷺ - يقول :

بسم الله والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، اللهم صلى على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك - ﷺ - وعلى آله وصحبه وسلم .

اللهم اغفر لى ذنبى وافتح لى أبواب رحمتك ، ووفقنى وأعنى على ما يرضيك ، وامنن علىّ بحسن الأدب بين يديه - ﷺ - .

السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته .

روى مالك - رحمه الله - عن جابر بن عبد الله ، قال : قدمت من سفر فجئتُ رسول الله - ﷺ - ، وهو بفناء المسجد فقال : أدخلت المسجد فصليت فيه ؟ قلت : لا . قال فاذهب فادخل المسجد فصل فيه ، ثم أئت فسلم علىّ » .

وما أُحَبَّ أن تكون الركعتان أو الركعات بالروضة الشريفة ، وأن يستكثر من الصلاة والسلام على الرسول الأمين - ﷺ - قال تعالى : إن الله وملائكته يصلون على النبى يأيها الذين أمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » الآية /٥٦/ من سورة الأحزاب .

وقال - ﷺ - : من صلى علىّ مرة واحدة صلى الله عليه عشراً الحديث رواه مسلم . وإنما طلب من زائر المسجد ، أن يتوجه إلى الروضة الشريفة فيصلى بها ، لأنها روضة من رياض الجنة .. قال - ﷺ - : ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » رواه البخارى ومسلم .

قال النووى فى شرح مسلم ذكروا فى معناه قولين : أحدهما : أن ذلك الموضع بعينه ينقل إلى الجنة ، والثانى : أن العبادة فيه تؤدى إلى الجنة .

وقال الطبرى فى المراد ببيتى هنا قولان :

أحدهما : القبر كما روى مفسراً بين قبرى ومنبرى .

والثانى بيت سكناه ، كما روى : ما بين حجرتى ومنبرى .

ثم قال الطبرى : والقولان متفقان ؛ لأن قبره - ﷺ - فى حجرته وهى بيته - ﷺ - .

ثم بعد فراغك من الصلاة فى الروضة الشريفة توجه للتشرف بزيارة الرسول - ﷺ - فى أدب وخشوع كما لو كنت واقفاً أمامه حال حياته ، تقول - فى أدب كريم السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا نبى الله ، السلام عليك يا خاتم النبيين ، السلام عليك وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، السلام عليك وعلى أصحابك وأزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين .

جزاك الله عنا أفضل ما جزى نبياً عن قومه ، ورسولاً عن أمته ، أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنك عبده ورسوله ، وصفيه وأمينه ، وأشهد انك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وجاهدت فى الله حق جهاده حتى أتاك اليقين ، فصلى الله عليك وعلى أهل بيتك وسلم تسليماً كثيراً . وحتى تحظى برده عليه الصلاة والسلام ، فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - فيما رواه أبو داود - أن رسول - ﷺ - قال : ما من أحد يسلم علىّ إلا رد الله علىّ روحى حتى أرد عليه السلام .

وروى الدارقطنى عن رجل من آل حاطب عن حاطب عن رسول الله - ﷺ - : « من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى » .

وروى البيهقى وابن أبى الدنيا عن أنس - مرفوعاً : من زارنى بالمدينة محتسباً كنت له شهيداً وشفيعاً يوم

القيامة » حسنه السيوطى وضعفه غيره .

وأخرج الدارقطنى والبيهقى عن ابن بن عمر – مرفوعاً – من زار قبرى وجبت له شفاعتى ، قال النووى فى المجموع ضعيف جداً ، وقال السبكى : بل حسن صحيح .

وقال الذهبى : طرقه كلها لينة لكن يتقوى بعضها ببعض ، وصححه ابن السكن وعبد الحق .

فإذا كان ما بين بيته – ﷺ – ، وبين منبره روضة من رياض الجنة ، وقد قال عليه السلاة والسلام ، إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا .. »

وكانت الصلاة فى مسجده – ﷺ – بألف صلاة فيما سواه من المساجد الأخرى . فكيف لا تشد إليه الرحال :

إليـــيك وإلا لا تشد الـــــركائب
وعــــــــنك وإلا فالمحدّث كاذب
وحـــبك يا خير الـــورى مذهبــــى
وللنـــاس فيمـــا يعشقـــون مذاهب

يا خير من دفــنت بالقــاع أعظمــه
فطـــاب من طيبهن القـــاع والأكم
نفسى الفـــداء لقبر أنت ساكنـــه
فيـه العفــاف وفيــه الجود والكـــرم
أنت الشفيع الذى ترجــى شفاعتــه
يوم الحساب إذا ما زلت القـــدم
أنت الـــبشير النذيـــر المستضاء به
وشافـع الخلــق إذا يغشاهــم النـــدم
وصاحبـــاك فلا أنساهما أبـــدا
منى السلام عليكـم ما جرى القلـم

اللهم إنا قد سمعنا قولك ، وأطعنا أمرك ، وقصدنا نبيك ، وما أثقل ظهورنا من أوزارنا – تائبين من ذنوبنا فتب علينا وشفع فينا نبيك ، واغفر للمهاجرين والأنصار ، واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان . اللهم لا تجعله آخر العهد من قبر نبيك ، ومن حرمك يا ارحم الرحمين .

وصلى الله على صاحب الشفاعة العظمى ، ورضى الله عن صحابته اجمعين .

أَسَــدُ الغابَـــة

كتب قارىء فاضل يعيب على مجلة « الأزهر » ضبط اسم كتاب ابن الأثير هذا الضبط بـ (فتح الهمز والسين) ، ورأى أن الضبط الصحيح إنما هو بصيغة الجمع (أُسْد) بضم الهمز وتسكين السين .

ونحن نشكر للسيد القارىء هذا الاهتمام ، ثم نؤكد له أن الضبط الصحيح هو ما رسمته المجلة ، أعنى فتح الأول والثانى بصيغة المفرد .

ونقدم – بين يدى ذلك – حفظ فضيلة شيخنا الأستاذ الدكتور محمد على أحمدين المحدث المعروف ورئيس قسم الحديث بكلية أصول الدين – رحمه الله – الذى تلقى التصحيح من لسان أستاذه الشيخ الجكنى الشنقيطى نزيل القاهرة أوائل هذا القرن ، وعليه قرأ الشيخ أحمدين بضم الهمزة وسكون السين فصحح له النطق . وما أكثر « الوقف » فى علومنا ..!!

وتوضيحاً لذلك نقول :

إنـه – فى حال الضم فالتسكين – أى صيغة الجمع ، فاللفظ حينئذ إما (حقيقة) يراد بها هذه الحيوانات المفترسة ، والمعنى حينئذ مضطرب ، وإما أن يكون مجازا عن (الصحابة) والأمر حينئذ لا معنى له ، إذ سيكـون معنـى العنـوان : (الصحابـة فى الصحابة) .

ولما كان « الأسد » ملك الحيوانات كان الأفراد هو الأولى ؛ إذ يعنى أن هذا الكتاب أقوى الكتب المتحدثة عن الصحابة .   وبعد .

فهذا مبلغ علمنا حتى نسمع ، أو نقرأ – بدليل – صحة الضم .

« المحـــرر »

الحج من الخليـــل صلوات الله وسلامه عليــه إلى خاتم المرسـليـن عليه أفضـل الصــلاة وأتم التسليم

مصحوبـا بحجــه عليــه الصــلاة والسلام قبـــل حجــة الــوداع

بقلم : رئيس التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، آية الله ــ تعالى ــ فى خلقه الى يوم الدين ، أتم الله ــ سبحانه ــ به النعمة وهدى المسلمين الى الصراط المستقيم فأنزل :

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾

سورة المائدة ــ آية : ٣

وبعــد :

فإن ذهن المسلم ــ حين يقرأ أو يسمع كلمة : حجة النبى ، ــ ﷺ ــ ينصرف تلقائيا الى حجة الوداع التى وقعت منه ــ عليه الصلاة والسلام ــ فى العام العاشر من الهجرة وهذا ولا شك انصراف سليم اذ أن هذه الحجة مناط التشريع ، وعنها أُخِذ عَمَلُه ــ عليه الصلاة والسلام ــ فكان ضبطا لهذا الركن الركين فى الاسلام ، هذا الركن الذى هو من التشريع الوارد بشريعة ابراهيم الخليل ــ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ــ ولرسول الله محمد ــ ﷺ ــ جهاد أى جهاد فى تخليص هذه الشريعة مما علق بها ، أو صاحبها ، أو نشأ حولها من عادات وأعمال وثنية أنهاها ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ حتى خلصت نقية طاهرة زكية الى يوم الدين .

---

* البحث المقدم للندوة العالمية الرابعة للحج وأحكامه التى أعد لها بمدينة بنكلور بالهند فى شوال ١٤١٢ هـ .

لذا كان من حق البحث فى حجة الوداع أن يُصْحَب ببحث يسلط الأضواء على هذه الشريعة وعلى حجه ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ من قبل حجة الوداع فتكتمل الحلقات ، ويتبين المسلم كيف يتقى البدعة ويمارس الصواب فى عمل قل أن يجد مجالا لتكراره ، فعامة الحجيج انما يحجون مرة واحدة فى العمر ، وقل أن تتكرر لهم ، لذا أستعين بالله ــ سبحانه وتعالى ــ لاقدم الى « الندوة العالمية الرابعة للحج وأحكامه » هذا البحث ، بعنوان :

« الحج من الخليل ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ إلى خاتم المرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم مصحوبا بحجه ــ عليه الصلاة والسلام ــ من قبل حجة الوداع .

حياة الخليل :

إن حياة أبينا الخليل ــ صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه ــ تقع فى الفترة التى يحدها القرن العشرين والتاسع عشر من قبل الميلاد ، وكل البحوث التى حللها الأستاذ عباس محمود العقاد فى كتابه : أبو الأنبياء الخليل ابراهيم .. تنفى وجوده ــ عليه السلام فيما قبل القرن العشرين ، أو فى القرن الثامن عشر من قبل الميلاد ، فحياته ــ عليه السلام ــ إذن هى فى تلك المساحة الزمنية التى قوامها مائتا عام يمثلان القرن التاسع عشر والعشرين من قبل الميلاد .

وإذن نعتبر هذه الفترة هى التى فيها ولد وعاش وأدى الرسالة وتنقل فيها من العراق الى الاردن الى مصر ، ثم مكة حيث أتم ــ بأمر الله سبحانه ــ بناء البيت الحرام ، وأذن فى الناس بالحج ، فاستجاب لندائه من أراد الله ــ تعالى ــ له أن يحج الى يوم الدين .

ويعتبر هذان القرنان ايضا بداية العصر التاريخى[1] لـ « مكة » المكرمة التى كانت واديا لاعهد للقبائل المرتحلة شمالا الى فلسطين ، أو جنوبا الى اليمن ــ أن تجد فيه الماء ، ويذكر سيدنا عبد الله بن عباس ــ رضى الله عنهما ــ فى حديثه الذى رواه الامام البخارى ــ رضى الله عنه ــ وصفا دقيقا لما كانت عليه مكة حتى نزل الخليل ــ على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام ــ وترك بها وديعته : « اسماعيل وأمه هاجر » عليهما افضل الصلاة والسلام ، وما كان من نبع ماء زمزم ، ورؤية رِحلَةٍ من جُرْهُم لطير يحوم فوق الماء .. الى نهاية الحديث الشريف ومثله لا يتحدث به ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ من نفسه وانما هو من وحى معصوم سمعه من رسول الله ــ ﷺ ــ[2] والله اعلم .

بناء البيت الحرام :

وفى هذه الفترة بُنيت الكعبة ، البيت الحرام ، وكل أمر فيها بقضاء :

مكان البيت ووضعه وكل شأنه قال تعالى :

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ الحج

وَبُنِى البيت وفى التنزيل العزيز :ــ

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ سورة البقرة

---

(١) العصر التاريخى لأية أمة هو العصر الذى تترك فيه الأمة آثارا تدل عليها : فى أعمالها وأحكامها .. الخ .

(٢) صحيح البخارى ٤ / ١٧٢ مطابع الشعب ١٣٧٨ هـ .

تم بناء البيت الحرام ، واستجيبت دعوة ابراهيم تامة كاملة : فإذا هو و ولده إسماعيل — عليهما السلام — على علم بالمناسك التى تؤدى بها هذه العبادة الفذة ، والتى نصا عليها فى دعائهما الخالد :

﴿ وأرينا مناسكنا ﴾

وأمره — تعالى — فأذن فى الناس بالحج .

قال تعالى ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ (٢٩) ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ الحج

والله — وحده — يعلم : كم مرة صحب الخليل — عليه الصلاة والسلام — الحجيج وأدى معهم هذه الفريضة ، فتعلموها ومارسوها إلى ما شاء الله تعالى .

إن تَتَبُّعي لرحلات الخليل — على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام — استقصى رحلات له كثيرة إلى مكة المكرمة ، وفى حديث أبى جَهْم « كان ابراهيم يزور هاجر كل شهر على البراق » وروى الفاكهى — من حديث على — بإسناد حسن نحوه وأن ابراهيم كان يزور اسماعيل وأمه على البراق(١) .

● ● ●

لقد ترك الخليل واسماعيل فى نفوس أهل الجزيرة العربية ، ومن دان دينهم — عقيدة عميقة الجذور بالوحدانية ظل عمقها يَدرُّ أعظم الثمار ، ويقاوم الوثنية مدة طَويلة عقيدة مصحوبة بعبادة الله — تعالى — على هذه الشريعة — ودان بها الأنبياء من بعد ابراهيم — عليه السلام — حتى رسول الله الخاتم محمد — ﷺ — روى مسلم عن ابن عباس — رضى الله عنهما— قال :

« سِرنا مع رسول الله — ﷺ — بين مكة والمدينة ، فمررنا بواد ، فقال : أى واد هذا ؟ فقالوا : وادى الازرق ، فقال : كأنى أنظر الى موسى — ﷺ — (فذكر من لونه وشعره شيئا لم يحفظه داود) واضعا إصْبَعَيْه فى أذنيه ، له جُؤَار الى الله بالتلبية ، مارا بهذا الوادى » قال :

« ثم سرنا حتى أتينا على ثنية فقال : أى ثنية هذه ؟ قالوا : هَرْشَى أو لَفتَ فقال : كأنى أنظر الى يونس ، على ناقة حمراء عليه جُبَّةٌ صوف ،خِطَام ناقته لِيفُ خُلبَةٌ(٢) مارا بهذا الوادى ملبيا » مسلم — كتاب الايمان الحديث رقم ٢٦٩ وما فات داود — رحمه الله — وهو من رواة حديث مسلم فى شأن موسى — عليه السلام — ذكره أبو هريره — رضى الله عنه — قال : فَنَعَتَهُ النبى — ﷺ — « فإذا رجل — ضَرْبٌ قال : مضطرب ، رَجِلُ الرأس : كأنه من رجال شَنُوءة » والحديث الشريف هذا رواه الامام أحمد — رحمه الله — بالمجلد الأول من مسنده ص ٢١٦ و ص ٢٧٧ ط الميمنية .

وروى مسلم — فى صحيحه قال : .... عن عبد الله ابن عمر أن رسول الله — ﷺ — قال : « أرانى — ليلة — عند الكعبة — فرأيت رجلا آدم كأحسن ما أنت راء من أُدْمِ الرجال له لِمة كأحسن ما أنت راء من اللِّمم ، قد رَجَّلَها فهى تقطر ماء مُتَكِئاً على رَجُلَيْن — أو على عوائق رَجُلَيْن — يطوف بالبيت فسألت : من هذا ؟ فقيل : هذا المسيح بن مريم » مسلم — كتاب الايمان الحديث رقم ٢٧٣ .

وهذان الحديثان الصحيحان فيهما دلالة كافية قاطعة فى بيان :

١ — أن الحج فريضة مستقرة من لدن الخليل ابراهيم — عليه السلام — وردت فى شريعته وشريعة

(١) ابن حجر — فتح البارى ٦ / ٢٥٤ .

(٢) ليف نخلة .

من بعده من الانبياء ... أنبياء بنى إسرائيل ، وخاتمهم عيسى بن مريم — على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام — وخُلُوُّ كتبهم منها لا يعنينا .

٢ — وأن مكانها هو نفس المكان الذى يحجه المؤمنون إلى يومنا هذا حيث مواقع الحج من مكة إلى عرفة ولا مكان لها آخر .

٣ — ولقد قضى المولى — سبحانه — بالأشهر الأربعة الحرم ، منذ خلق السموات والأرض ، وَأجْرى الزمن ، فقال — تعالى :

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾

سورة التوبة — آية ٣٦

وإنما كانت هذه الأشهر يتوسطها شهر حرام فرد ، ثم أشهر ثلاثة متتالية تختص هذه الثلاثة المتتالية بتلك الشعيرة ، فزمانها كمكانها لم يتغير فى شرعة الله ولا ناله(١) نسخ .

ولقد يحتج محتج بأن تسمية الشهور العربية إنما كانت قبل بعثته — ﷺ — بمائتى عام فنقول : إن أمر تقديرها توقيتا بدءا ونهاية معروف معلـــوم لله — تعالى — لا يغيب عنه ، ولتكن الأسماء ما تكون : فتلك الشهور الحرام الثلاثة هى زمن الحج الذى أراد الله تعالى قضاءَ قضاهُ — سبحانه — منذ خلــق السموات والارض .

ثم نؤكد أن شريعة الحج .. حج بيت الله الحرام بمكة وأداء شعائره بأماكنها المقدسة المتصلة بها حتى عرفة ، هى هى المخاطب بها بنو إسرائيل ، ولم يخاطبوا بسواها . إن الأنبياء من أبناء إبراهيم : إسحاق وإسماعيل وأبنائهما لم تَرِدْ على أيديهم — صلوات الله وسلامه عليهم — نسخ لها أو تغيير :

ففى الكتاب العزيز : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾

ولو أن نسخا نالها ما حج موسى — على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام — بيت الله الحرام بمكة ، ولما كانت التوراة هى الكتاب المقدس ، والإمامُ الرَّحمة — فى بنى إسرائيل ، ولم يكن أنبياء بنى اسرائيل إلا حفظة عليه يقيمون حدوده ويحفظون أمره ، فقد استمرت هذه الشعيرة فيهم بدليل حج يونس بن متى وعيسى بن مريم — عليهما السلام — نفس البيت الحرام .

وإذن فحج بيت الله الحرام بمكة فريضة مختارة أرادها الله — تعالى — فى كل شرائعه من لدن الخليل — عليه السلام — الى نبينا محمد — ﷺ — ألى يوم الدين .

والله أعلم ...

ونعود الى حديث الحج من بعد الخليل — عليه السلام — لنذكر ما شابَهُ من وثنية ؛ ومن الدقة أن نقول :

ليس ميسورا معرفة متى بدأت الوثنية تدخل على الحنيفية السمحة التى أرساها ابراهيم واسماعيل — عليهما السلام — ولا متى أطلت برأسها ثم زحفت فدخلت مكة ، ولا على يد من دخلت ، كذلك لا نستطيع أنْ نعرف متى بدأ الناس يجترئون على الكعبة نفسها ، فيفتح بابها تمر إلى داخله الأوثان ، ثم تتسع فى حركة شاملة فتستقر حول الكعبة ، ثم يُصَوَّرُ ابراهيم واسماعيل — عليهما السلام — يستقسمان بالأزلام كذبا وبهتانا ، وقد علم القوم أنهما ما استقسما بها قط .

ويتناسى الناس فروع شريعة ابراهيم ، ويشوبون أصولها ، فتعبد الأصنام بحجة الشفاعة لعابديها عند الله .

---

(١) خسيرها وامتهنها فأضلها .

وتتغير شعائر الحج ؛ فيقف المكيـــون بـ .. مُزْدَلِفَة .. مدعين أنهم أهل الحرم فلا يقفون بعرفه كما يقف الناس ، فهم أهل حرم لا يقفون إلا بحرم ، لذا طاب لهم من أنفسهم أن يقفوا بـ .. مُزْدَلِفَة .. بينما يقف بقية الناس ــ من غير الحُمْس ــ بعرفة ويطوف بعض الناس عارياً وبخاصة النساء فينطلقن بأرهاط حول خصورهن ويصيحون حول البيت ويصخبـون في « مكاء وتصدية » أى صفير وتصفيق .

ثم يكون لنسيئهم أثر فى اختلاط التوقيت فيقع الحج فى غير زمانه ، ثم لا يبقى للأشهر الحرم الأربعة قدسيتها فبينا يحتفظ بها القرشيون « الحُمْس » تأتى « البُسْل » فتجعلها ثمانية ، وكانوا قوما من غطفان وقيس ومن تبعهم .

ويبقى الحج مشوبا بفساد يزيد عاما بعد عام كما يبقى الى جواره ــ من شريعة الخليل ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ النذر والاعتكاف .

ويبقى ــ فى العرب ــ الاعتراف بالله ربا خالقا لكل شىء ويسجل القرآن الكريم تفصيلا لهذه الحقيقة فى آيات كثيرة ، ولولا شركهم بعبـادة الأوثـان ، وإنكار معظمهم لقدرته ــ تعالى ــ على إحياء الموتى لكانوا من الناجين كما نجا سيدنا زيد بن عمرو بن نفيل ــ رضى الله عنه ــ الذى يبعث أمة وحدة يوم القيامة ولقد روى الامام البخارى ــ على لسان أسماء بنت الصديق ــ رضى الله عنهما ــ قوله ــ مسندا ظهره للكعبة .. « والله ما منكم على دين ابراهيم غيرى » .

كان لا يشرك بالله شيئاً ، ويعتقد بقدرته تعالى التامة فى الخلق والنشر والثواب والعقاب رضوان الله ــ تعالى ــ عليه .

ويستقر الشرك ، وتلعب الأهواء ما شاءت حتى صار لكل عُبَّادِ وثن (تلبية) يجأرون بها فى الطريق اليه .

قال ابن حبيب صاحب .. المحبر .. :

وكانوا يلبون إلا أن بعضهم كان يشرك فى تلبيته ، فكانت قريش ــ وكان نسكهم لـ « إساف » تقول :

★ لبيك اللهم لبـيك ★ لبيك لا شريك لك ★ الا شريك هو لك ★تملكه وما ملك.. ا هـ

● ولبى عباد جهار فقالوا :

★ لبيك اللهم لبـيك ★لبيك ، اجعل ذنوبنا جُبَار ★ واهدنا لأوضح المنار ★ومتعنا وملنا بجهـار

● ولبوا لـ « ذِرَيح » فقالوا :

★ لبيك اللهم لبـيك ★ لبيك كلنـا كَنُـود ★ وكلنا لنعمه جَحُود ★فاكفنا كل حية رصود

● ولبى من نَسَك لـ « ذى الْخَلَصَة » فقال :

★لبيك اللهـم لبـيك ★لبيك بما هو أحب إليك

● وقال من لبى لـ « ذى الكفين » :

★لبيك اللهـم لبـيك ★إن جُرْهُمـاً عبـادك ★الناسطُرْفٌ وهم يَلادُك ★ونحن أولى منهم بولائك

● ومن نسك « ذا اللبا » قال :

★لبيك اللهـم لبـيك ★لبيك رب فاصْرِفَنْ عنا مُضَر ★وسَلِّمَنْ لنا هذا السفر ★إن عمـا فيهم لمزدجر

★واكفنا ــ اللهم ــ أرباب هجر★

● والناسك « سُواعًا » يلبى فيقول :

★لبيك اللهـم لبـيك ★لبـيك أُبْنـا إلـيك ★إن سواع طِلْبَتُا إليك

● وَلِـ « شُمْس » يقول :

★لبيك اللهـم لبـيك ★ما نهارُنـــــــانجره ★إدلاجـه وحَرُّهُ و قِرُّه ★لا نتقى شيئا ولا نضره

★حَجًّـــا لرب مستـــــقيم بِرُّه

● وللعُزَّى يقول :

★لبيك اللهـم لبـيك ★لبـيك وسعـــديك ما أحبنـــا إلـــيك

إن هذه التلبيات جميعا ، وغيرها مما لم يدركه الرواة توضح عقيدة الشرك الخالصة التى تبين حجاً لهذه الآلهة ، وحجاً لبيت الله الحرام — قبلها أو بعدها .

وهكـــذا لوَّث الشرك بوثنيتـــه هذه الشعيرة فلا عجب أن تخلص لله — وحده — فى العام العاشر عام حجة الوداع .

لقد كانت فى حاجـــة الى جهـــاد رسول الله — ﷺ — يمنع عنها ما لوثها ، وليرد الناس عن أعراف ابتدعوها ، وتقاليد مارسوها ما أنزل الله بها من سلطان وليقضى — ﷺ — على مذاهب الوثنية الثلاثة :

الأحمسية ، والحِلَّة ، والطُّلسْ

الأحمسيـــة مذهب قريش — بإجماع — ومـــن جاورهم ، أو صاهر إليهم من العرب ليؤمن بما ابتدعوا اذا مارسوا حجا أو عمرة فلا يسلئون سَمْنًا ولا يطبخون أَقِطًا ولا يدخرون لبنا ولا يحركون شعرا ولا ظفرا ولا يشيدون — اذا حجوا — شعرا ولا وبرا ولا صوفا ولا قطنا ، ولا يأكلون لحما ، ولا يمسون دهنا ، ولا يلبسون الا جديدا ولا يطوفون البيت الا فى نعالهم ، ولا يدخلون البيوت من أبوابها . فضلا عن وقوفهم — دون الناس — بمزدلفة ، ثم يفيضون إذا أشرقت الشمس من موقفهم ليأخذوا طريقهم من مزدلفة الى منى ويتحرجون فى حجهم السعى بين الصفا والمروة .

بينما للحلة والطُّلسْ — بدورهم — أعرافهم المنبثقة عن أهوائهم كما يستحسنون ، فما من عربى إلا كان على واحد من هذه المذاهب ، يمارس هواية البدعة فى الشرك والرأى فى العقيدة ، والطواف عرايا إلا فى ثياب القرشيين .

● ● ●

ويحج — ﷺ — على شريعـــة جده الخليـــل — صلواتُ الله وسلامه عليه قبل هجرته .. وقبل الهجرة يحتمل أحد أمرين :

قبلها مطلقا فيمتد الأمر الى ما قبل الرسالة حيث الجاهلية قد تربعت وضربت أطنابها أو قبلها بعد البعثة وقبل انطلاقه — ﷺ — الى المدينة المنورة مُسْتَقَرّ الرحمة والتشريع .

وأياًما كان الأمر ، فقـد حج — عليه الصلاة والسلام — حجا مبروراً لم تمَسَّـه أعراف الوثنية ، حتى كان موضع تعجب ممن رآه من قومه ..

لَكنْ ، لا عجب ، فلقد قال المولى — عز وجل — فى حفظه — عليه الصلاة والسلام : « فإنك بأعيننا » الطور ٤٨ .

روى الامام ابن ماجه — فى سننه — قال :

« عن القاسم بن محمد بن عباد المهلبى ، حدثنا عبد الله بن داود ، حدثنا سفيان قال :

حَجَّ رسول الله — ﷺ — ثلاث حجـــات : حجتين قبل أن يهاجر ، وحجة بعـد ما هاجـر الى المدينة .. ابن ماجه ١٠٢٧/٢ دار احياء الكتب العربية القاهرة .

ولقد روى الامام البخارى — فى صحيحـه — إحدى الحجتين أوَّل حديث له فى باب الوقوف بعرفه قال :

« حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو ، حدثنا محمد بن جبير بن مُطْعِم عن أبيه قال :
كنت أطلب بعيراً لى .
(ح) وحدثنا مسدد ، حدثنا سفيان عن عمرو :
سمع محمد بن جبير عن أبيه جبير بن مطعم قال :
أضللتُ بعيرا ، فذهبت أطلبه يوم عرفه ، فرأيت النبى — ﷺ — واقفا بعرفه ، فقلت : هذا — والله — من الحُمْس ؛ فما شأنه ههنا ؟! » .

وسياق الحديث يرجح أن هذه الحجة كانت قبل البعثة ؛ فها هو جبير بن مطعم ذهب يحج كقومه من قريش فوقف بمزدلفة ولولا أن بعيره ضل فذهب يبحث عنه ما دخل عرفه ، فلما دخلها بحثا عنه رأى — رسول الله — ﷺ — واقفا بها ، وهو القرشى ؛ فعجب : لم لا يقف — عليه الصلاة والسلام مع قومه !!؟

ويبدو لى — والله أعلم — أن لو انتشر أمر رسول الله — ﷺ — بالرسالة ، ما كانت هذه الدهشة ، وإنما كان من الجائز — جدا — أن يحمل جبير الأمر على « المخالفة لهم » .

ثم يُشْرِق الإسلام ، وينبسط ، ويمتد ويسلم جبير بن مطعم القرشى بعد عام الحديبية ، ثم يسمع ويروى مقالة ابن مِرْبَع الأنصارى إلى الحجيج يقول لهم :
« انى رسولُ رسولِ الله — ﷺ — إليكم يقول : كونوا على مشاعركم ، فإنكم على إرْثٍ من إرث إبراهيم » صحيح الترمذى ٣/٢٢١[1] .

يقول جبير — رضى الله عنه :
« فلما أسلمتُ علمتُ أن الله وَفَّقَهُ لذلك »[2] .

جزى الله سيدنا رسول الله — ﷺ — خير ما جازى نبيا عن أمته والحمد لله رب العالمين ، نسأله العفو والمغفرة والقبول .
إنه سميع قريب مجيب ......
وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا رسول الله — ﷺ — ..

(١) طبع مصطفى البابى الحلبى

(٢) ابن حجر — فتح البارى ٣ / ٤١٢ ط الميرية .

قطرات السلسبيل

على طريق أم إسماعيل

د. مبروك عطية أحمد أبو زيد*

حملت وليدها الرضيع ومضت ، لم تسأل زوجها إلى أين الرحيل ؟ لم تقل : لماذا ؟ بل امتثلت ، فلما رأته يتركهما فى بلقع مهجور ، ثم يمضى منصرفاً كان السؤال من معطيات العقل .

أتتركنا هنا ؟ ألا ترى المكان غير ذى زرع ؟...

فلّما وجدته صامتًا لا ينطق أدركت أنّ وراء ذلك حكمة عليا ، ربما ، فكان السؤال الأخير .

ـ آلله أمرك بهذا ؟

فكان الجواب كلمة واحدة هى : نعم

وكان منها الردّ الذى بعث فى نفسها الأمن والسلام ، وصوّر لعينيها الصحراء جنة ، والخراب عمرانًا ، حين قالت :

ـ إذن لن يضيّعنا

ومضى خليل الله إبراهيم بعد أن رفع يديه إلى السماء قائلا : ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ (1) .

* مدرس اللغويات بجامعة الأزهر كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج

(1) إبراهيم (٣٧) .

هنا نموذج للعقيدة فى أعلى صورها ، حين يواجه أصحابها واقعاً ظاهره الهلاك ، الأمر الذى يجعل أصحاب النفوس الضعيفة يخورون ، ويترددون ويسألون أسئلة المضطرب ، كيف ؟ ومتى ، وإلام ؟ ثم ماذا ؟ أمّا أصحاب العقيدة السليمة فهم يأخذون بالأسباب ، فها هى (هاجر) أم إسماعيل ــ عليه السلام تسعى بين الصفا والمروة باحثة عن أسباب الحياة ، سعت شوطاً فلم تجد شيئاً ولم تيأس ، وسعت شوطاً آخر ، فلم تجد شيئاً ، ولم تيأس ، وتوالت الأشواط ، سبعة أشواط ثم عادت ، فإذا العين تنبع ، والصغير يضرب الأرض برجله فيخرج منها الماء ، وزمزمت هاجر ، بعد أن ملأت سقاءها ، وأقبل الطير وقد ناداه ماء زمزم ، فحدا بالناس إلى حيث تسكن الذريّة الطيبة ، فقد تحول الموت إلى حياة ، جاءوا قلوباً تميل وتحن تماماً كما دعا إبراهيم ، فقالوا :

ــ هل ترضين بنا أهلا وجيراناً ، والأرض أرضك ، والماء ماؤك ؟ ودبت الحياة بحركتها فى هدوء وسلام ، ونال الصابران خيراً ، حيث تمت النعمة بالإيمان ، الذى يواجه أصحابه الغرائب والعجائب فيستعينون بالله والله يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء ، ولعلى أكون مصيباً وأنا أقرأ سورة « إبراهيم » من جديدة ، برؤية جديدة ، أحاول فيها التأمل ، وأجد فيها ذلك الخيط الواحد ، من بدئها لختامها ذلك الخيط الفكرى هو الإيمان بالله ــ عز وجل ــ وما يترتب عليه من نتائج فقد بدأت بالحروف المقطعة « الر » وكلام الأئمة فى هذه الحروف كثيرٌ ومشهورٌ ، لكنّ النفس تميل إلى أنها من المتشابه ، الذى استأثر الله تعالى بعلمه ، وموقف الراسخين فى العلم منه نصّ عليه القرآنُ فى قول ربنا ــ عز من قائل :

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (١) ففكرة الإيمان بما لا نعلم معناه وهى المتمثلة فى الحروف المقطعة لها صلة بقصة « هاجر » التى آمنت بالله ، وأنه لن يضيعها برغم أنّ العين ترى أسباب الضياع محققة ، لكنها خرجت من ظلمات الكفر بقدرة الله القادر إلى نور اليقين ، والقضية ممتدة إلى ما شاء الله لم تتغير ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٢ ﴾ إبراهيم :

وأتأمل قوله تعالى : ﴿ بإذن ربهم ﴾ فى أوائل السورة الكريمة ، والتعبير بالرب يشعر بالنعمة ، ويوحى بالفضل ، ويدل على الرعاية والحفظ ، وقد تكرر لفظ « رب » فى سورة إبراهيم خمس عشرة مرة فى الآيات « ١ ، ٧ ، ١٣ ، ١٨ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٤ » .

وأذكر قول ابن الأثير فى تاريخه : « تزوج إسماعيل امرأة من جرهم فتعلم العربيّة منهم هو وأولاده ، فهم العرب المتعربة »(١) .

وكأنّ فى سورة إبراهيم إشارة إلى ذلك ، فى قول ربنا تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلّا بلسان قومه ليبيّن لهم » : ٤

وفى سورة إبراهيم أضواء على الماضى ، وتوجيه قلوب المؤمنين إليها ؛ ليزداد إيمانهم بالله عزَّ وجل ، فيأتى من قصة سيدنا موسى قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩ ﴾

وفى قصصهم عبرة ، وقد وعد الله تعالى رسله الذين قالوا على سبيل الإنكار « أفى الله شك » ؟ وتوكلوا على الله الذى هداهم سبل الرشاد بأنه ناصرهم ، وهالك

(١) آل عمران : ٧

(١) الكامل ١/٣٦

عدوهم ، وسجلت سورة إبراهيم بعض أهوال القيامة وما سوف يلقاه الكافرون من عذاب وضياع للأعمال ، وتدور صيحة الحق ؛ لتنتزع القلوب من وسائد الصدور فى قوله تبارك اسمه :

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾

ويالخيبة الخاسرين ، الذين كفروا بالله ساعة يسمعون الشيطان وقد قضى الأمر : ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

وتزداد الحسرة فى قلوبهم بعد هذا الإعلان ، فلا ولى لهم ولا يضير وبعد أن يدخل المؤمنين الذين عملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار وينعمون بالسلام : ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾ وجزاؤهم الحسن لا ينقطع ، فهم أهل الكلمة الطيبة ، التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، وهى تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، أمّا أهل الباطل والكلمة الخبيثة فلا أصل لهم ولا قرار ، فقد بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار ، فالنار مأواهم وبئس القرار .

ويأتى دليل الوجود الحق ، والقدرة العليا فيما تراه العين ، وتسمعه الأذن ويحس به البدن : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾

ولذا كانت دعوة إبراهيم الأولى مبنية على التوحيد ، حيث قال :

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ وتختم دعواته بطلب المغفرة ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾

ذلك اليوم الذى يؤخر الله فيه الظالمين ، فتشخص أبصارهم ويأتون مسرعين رافعى رءوسهم ، وقد أصبحت أفئدتهم هواء ، فطوبى لمن تدبر واتعظ :

﴿لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾

وتأتى آخر آية فى السورة منذرة الناس ، كما بدأت بأول آية : ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ ، فتكون الخاتمة : ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾

● ● ●

فيا مَنْ تسعون بين الصفا والمروة ، وتقتفون أثر أم إسماعيل هنيئاً لكم ، بما وعدكم ربكم من مغفرة وعفو وكرم ، ها أنتم أولاء تستعيدون أطيب الذكريات ، وتخطون أطهر الخطوات ، على طريق الرحمة والجنات ، فلتسعدوا برحلتكم الطيبة ، ولتنعموا بالعبادة فى ظل الهدوء الروحى ، والسكينة الإلهية التى تغشاكم من فضل ربكم حيث لا رفث ، ولا فسوق ، ولا جدال ، والله يتقبل منّا ومنكم نسأله ـ تعالى ـ ألّا يحرمنا زيارة بيته ، إنّ ربنا على ما يشاء قدير ، وحج مبرور وذنب مغفور إن شاء الله .

أندونيسيا الخضراء الدولة الإسلامية الكبرى

للشيخ : عبدالمنصف محمود عبدالفتاح

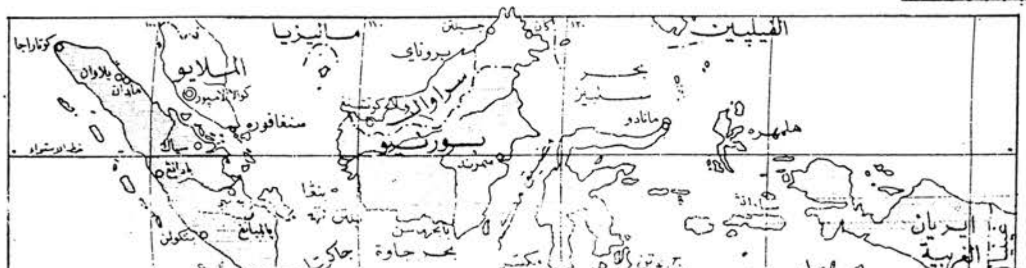

تعتبر جمهورية أندونيسيا من أكبر الدول الإسلامية. . وهى تمتد على خط الاستواء : ما بين المحيط الهندى : غربا ، والمحيط الهادى : شرقا .. وما بين قارتى آسيا : شمالا ، واستراليا : جنوبا .. ويبلغ عدد جزرها الزبرجدية الخضراء : (١٣٠٠٠) ثلاثة عشر ألف جزيرة .. من بينها : (١٢٤٠٠) جزيرة خالية من السكان ، وإن كانت غنية : بالخامات الطبيعية ... فتكون الجزر الآهلة بالسكان : ٦٠٠ جزيرة ..

ومما يثير الدهشة ، ويسترعى الانتباه : أن كل حزيرة من هذه الجزر : تعتبر لوحة فنية رائعة ، أضفت عليها العناية الإلهية : جمالا خلابا ، حيث تزدان بالمناظر الطبيعية : التى تبهر العقول ، وتأخذ بالألباب ، وتدخل البهجة على نفوس الرائين .. فالمزارع والخضروات ، والأزاهير المختلفة الألوان ، والأشجار الباسقة ، والحدائق الغناء ، والبساتين المثمرة الفيحاء ، تغطى مساحات كبيرة منها ، حتى المرتفعات والتلال ، والسهول والأودية والجبال : تظهر للرائى فى ثوب سندسى قشيب ..

* الكاتب : المدير العام للدعوة والاعلام بالأزهر سابقاً .

وتعتبر منطقة « بوشنق » ذات الجبال والهضاب ، والسفوح الخضراء ، وخرير المياه المتدفقة من المرتفعات ، والتى تجرى بين جنباتها : فحدث عنها ولا حرج .. وهذه المنطقة أغنى المناطق بمزارع الشاى والخضروات .

ومما يثير الغبطة فى النفوس . ويبعث فيها : كوامن الحب والإعجاب : أن هذه الجزر وفى مقدمتها : جزيرة « جاوة الغربية » (والتى تعتبر « جاكرتا » العاصمة جزءا منها) وتأخذ طابعا جميلا من النظافة . وروعة المظهر ، وبراعة التنسيق .. فالعلاقات والقصور ، والمصانع والدور ، والمنشآت والمؤسسات ، لا تكاد تخلو من حدائق ذات بهجة .. ففى أى مكان يحل فيه الإنسان : يجد الخضرة ، وأشجار الزينة : تكتنفه : من كل ناحية .. أما الشوارع والميادين ، فإنه يتجلى فيها : الفنُّ ، والإبداع الهندسى بصورة تثير لروعتها : الدهشة والإعجاب .

أهم الجزر :

وأهم هذه الجزر وأكثرها تعدادا للسكان هى : « سومطرة » ومساحتها : (١٨٢٠٠٠) ميل مربع .. وجاوة : بأقاليمها الثلاثة : الشرقية ، والوسطى ، والغربية ، ومساحتها : (٥١٢٠٠) ميل مربع .. و (كاليمنتان) : بأقاليمها : الشرقية والغربية والوسطى والجنوبية ، ومساحتها : ٢٠٨٠٠٠ ميل مربع .. و (سولا ويسى) : ومساحتها : ٧٥١٥٠ ميل مربع .

وأما باق الجزر : فصغيرة مثل : « يالى » الشهيرة « ولومبوك » و « سوميا » و « تيمور » وجزر « مالوكو » ونحوها ..

أشهر المدن :

ومن أشهر المدن وأكثرها تقدما وازدهارا ، بعد العاصمة « جاكرتا » : (باندونج) .. و (سوريانا) .. و (سمارانج) .. و (جك جاكرتا) .. و (مالانج) .. و (بادانج) .. و (ميدان) .. و (سيرانج) .. وتوجد بها : جامعة إسلامية حكومية .

وتحتل الأرض الزراعية : حوالى ٩٠٪ من مساحة الأراضى .. وأكثر من ٦٠٪ من السكان .. يشتغلون بالزراعة ، وفلاحة الأرض .

المساحة والسكان والادارة :

وتبلغ مساحة أندونيسيا : ٣٧٥٠٠٠ ميلا مربعا .. وتمتد طولا من الشرق إلى الغرب : ٣٢٠٠ ..وعرضا من الشمال إلى الجنوب : ١١٠٠ .. ويربو عدد سكانها عن : ١٥٠ مليون نسمة .. وهى تعتبر : خامس دولة : فى العالم كله من حيث عدد السكان ..

وتنقسم إداريا إلى : ٢٧ مقاطعة ، لكل منها عاصمة ، يحكمها ويرعى شئونها الإدارية والأمنية : محافظ ، وقائد من قواد الجيش (يعنى أحد كبار الضباط) .. ولغة الدولة الرسمية : هى الأندونيسية اللاتينية ..

الدين :

والدين السائد فيها : هو الإسلام ، إذ تبلغ نسبة المسلمين : ٨٥٪ والباق ويقدر بنسبة : ١٥٪ من الديانات والنحل الأخرى : كالمسيحية . والبوذية ، والهندوكية .

الصلات العربية :

ويذكر المؤرخون : ان البحار العربية : هم الذين جاءوا بالإسلام إلى أندونيسيا ، حيث انتشروا فى شواطىء : سومطرة الشمالية ، وبالتحديد فى « آتشيه » وأقاموا لهم مستوطنات : استقروا فيها ، وقد دانوا بالإسلام ، ونشروه بين أهل البلاد ..

وأن أول مملكة إسلامية : قامت فى هذه المنطقة : هى (مملكة آتشيه) سنة ٦٧٤ م ويقرر البروفيسور « قدر الله فاطمى » ملخصا دخول الإسلام إلى أندونيسيا كما يأتى بيانه :

(١) كان أول اتصال جرى للعرب بأندونيسيا سنة : ٦٧٤ م .

(٢) وصل الإسلام إلى مدن السواحل سنة : ٦٧٨ م .

(٣) قام للإسلام أول كيان سياسى له : فى هذه البلاد سنة : ١٢٠٤م ، ... حيث عم انتشاره بين مختلف طبقات الشعب ..

والمسلمون الأندونيسيون : متدينون ، وهم شافعيو المذهب ، ويتحلون بالحلم ، والصبر ، ورحابة الصدر ، كما يمتازون بجودة العمل ، وإتقانه ، والقدرة على الإبداع : فى (لفن التشكيلى) ، وهم يحبون العلم والعلماء ، ويعنون أشد العناية بتخفيظ القرآن الكريم لأولادهم ، والأغلبية الساحقة من هذا الشعب : يصومون شهر رمضان .. كما أنهم يحافظون على الصلوات الخمس : فى أوقـاتها ، ويحرصون على أدائها : جماعة فى المساجد .. وعلى الرغم من كثرة المساجد واتساعها ، فإنها تكون مكتظة بالرجال والنساء ، والفتيان والفتيات ، مع تخصيص جناح أو طابق للسيدات ، وخاصة أيام الجمع ، لدرجة أن بعض المساحات المحيطة بها : تكون مزدحمة ، لا يوجد فيها موضع لقدم .

ويوجد بـ « جاكرتا » مسجد الاستقلال .. وهو أكبر مسجد بجنوب شرق آسيا ، ويتكون من خمسة طوابق ، ويعتبر آية فى الفن المعمارى .

والمؤسسات الدينية والتعليمية بأندونيسيا ، والتى تشمل : المساجد والمعاهد والجامعات تنقسم إلى قسمين :

(١) مؤسسات : تابعة لوزارة الشئون الدينية ، وتقوم الحكومة بتمويلها والإشراف عليها : فنيا وإداريا .. ويبلغ عدد الجامعات الإسلامية الحكومية : (١٤) جامعة .

(٢) مؤسسات أهلية : يشرف عليها ويديرها بعض العلماء ، ويموها : الأثرياء من أهل الخير والبر .

ومن أشهر المؤسسات الدينية :

(١) مؤسسة الشافعية الإسلامية : وتشمل المساجد ، والمعاهد : الابتدائية والاعدادية ، والثانوية ، والمعهد الخاص باليتامى ، والجامعة الإسلامية .

وقام بتأسيسها وإدارتها ، الشيخ عبدالله شافعى عام ١٩٣٣ م .. وكان أول منطلقه للعمل : من مسجد البركة فى حى : (بالى ماترمان) .. وكان نشاط هذه المؤسسة : يدور حول العربية والتعليم ، والدعوة إلى الله تعالى ـ وعمل البر والإحسان : إلى أن أخذت وضعها الحالى ، وأنشئت لها فروع : بجاكرتا وضواحيها .

(٢) والمؤسسة الدينية الطاهرية : وتنظم الجامعة الإسلامية ، والمعاهد الدينية ، والإذاعة الإسلامية ، ومجالس التعليم الدينى ، والمكتبة الإسلامية ، ومعهد القرآن الكريم .. وقـد أنشأ هذه المؤسسة عام ١٩٥١م : الشيخ محمد طاهر ، أحد علماء جاكرتا : وهو خريج أحد المعاهد الإسلامية : بمكة المكرمة عام ١٩٣٨م، وهو الذى يدير هذه المؤسسة منـذ إنشائها ، مستعينا بالمدرسين المتخصصين من الجامعات العربية ، والإسلامية .. وينحصر نشاطها : فى التعليم الدينى « والدعوة الإسلامية » والخدمات الاجتماعية ، والأعمال الخيرية .

ولعلماء أندونيسيا الأجلاء : وخاصة الذين تلقوا تعليمهم : بالأزهر الشريف ، وجامعة أم القرى : بمكة المكرمة : دور كبير فى التوعية الدينية ، بالإضافة إلى ما يقوم به السادة العلماء : مبعوثو الأزهر الشريف : من نشاط ملحوظ : فى هذا الميدان .

وإن كان الشعب الأندونيسى : لا يزال فى مسيس الحاجة إلى تبصيره بالمفاهيم الإسلامية الصحيحة ..

وبالتالى إلى العمل الإيجابى الجاد : على صد تيار التبشير والذى يتستر أحيانا تحت اسم حركة الحب والإخاء .

نشاط التبشـــير :

وللتبشير وسائله المختلفة ، وأساليبه المتعددة ، والتى من بينها قيام المبشرين : بوسائل الإغراء المتنوعة ، وخاصة بالنسبة للفقراء والمعوزين : فى بعض القرى والجزر ، حيث يمدونهم خلسة : بالمال أو الغذاء أو الكساء ، يعقب ذلك زيارات دورية للأسر فى بيوتهم ، بحجة العمل على حل مشاكلهم .. ثم يبدأ الراهب : فى الحديث عن عيسى عليه السلام ، وما يتعلق بالنصرانية بأسلوب سهل مبسط .. هذا بالإضافة إلى قيامهم : بطبع آلاف المنشورات والكتيبات والأناجيل طباعة فاخرة ، وبلغتهم ، وتوزيعها مجانا عليهم ، بطريقة سرية ..

ومما يؤسف له أشد الأسف : أن عدد المسلمين : أخذ يتناقص .. من حين إلى حين : كنتيجة حتمية لتلك الجهود التى يقوم بها المبشرون بالدين المسيحى !!

وخير علاج لهذه المأساة الخطيرة يكمن فى موالاة الأزهر الشريف للعمل على زيادة المنح الدراسية للأندونيسيين ، والتوسع فى تعليم اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم والعمل على نشر الثقافة الإسلامية : فى ربوع البلاد : عن طريق الوعاظ ، والدعاة ، والمدرسين . وكذا العمل على إمداد تلك الجزر التى يَنْفُثُ فيها التبشير سمومه : بكتيبات عن الاسلام ومفاهيمه بأسلوب سهل مبسط وباللغة الأندونيسية حتى تؤتى ثمارها المرجوة .. والله يقول الحق ، وهو يهدى السبيل ..

«واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا»

السوق الإسلامية المشتركة بين النظرية والتطبيق

٢

عرضنا فى المقال السابق لحتمية قيام السوق الإسلامية المشتركة لكونها السبيل إلى تحقيق وحدة الأمة ، كى تتمكن من مواجهة المتغيرات العالمية التى يشهدها عصرنا الحاضر . ولا غرو فتحقيق التكامل الاقتصادى الإسلامى أصبح البديل العملى المناسب كى تمتلك الأمة غذاءها ، وتبنى قدرتها « التقنية » ، ويصبح لديها من القوة المادية ما يمكنها من التعامل مع غيرها من الكيانات الدولية على أسس عادلة . ولا شك أن إقامة مثل هذه السوق هو الخيار المناسب لتحقيق « أمن أمتنا » ، الذى لا يتحقق من خلال هذا الركن المادى فط بل يتطلب ركناً معنوياً ألا وهو « الإيمان » .

بقلم : لواء ا.ح. دكتور/
فوزى محمد طايل

يقول الله تبارك وتعالى :

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾

(سورة النور ــ آية : ٥٥)

والسوق الإسلامية المشتركة ليست فكرة نظرية ، أو مجرد خيال . فمقومات قيامها متوافرة ، بل إن ما يجرى على الساحة الإسلامية منه ما يعد مؤشرات طيبة تبشر بنجاحها إذا خلصت النوايا واشتدت العزائم للتغلب على المعوقات التى تعترض طريق قيامها ، وأخذ المسلمون بالأسباب المادية لبناء آلياتها وتوكلوا على الله .

مقومات السوق الإسلامية المشتركة :

١ ــ لعل أهم وأقوى الدعائم « وحدة العقيدة » ، و « وحدة المنهاج » ، ووحدة « منظومة القيم » فى هذه الأمة ، وهى أمور مهما ران عليها من صدأ طوال ما يقرب من قرنين من الزمان ، فإن الصدأ لن يلبث أن يزول أمام العزائم الصادقة وإرادة التغيير ، ليستبين الجوهر النقى ، الذى صقلته وحدة الحضارة والتاريخ على مدى أربعة عشر قرناً من الزمان . ولن يضل قومنا ما إن أخذوا بكتاب الله وسنة رسوله ــ ﷺ ــ .

٢ ــ إن أمتنا الإسلامية تمثل « وحدة جغرافية » متصلة أو تكاد ، تمتد من « جاكارتا » فى أقصى الشرق حتى « داكار » فى أقصى الغرب ، ومن « حوض بحر قزوين » ، و « حوض البحر الأسود » حتى « حوض المحيط الهندى » ، يسر لها كل أنواع الاتصال البرى والبحرى والجوى ، وجعل لها إطلالات على كل محيطات الدنيا ، ومعظم بحار الأرض ومضايقها البحرية ، وتتوافر الأمطار الغزيرة بمعظم بلدانها ، ويمر بأراضيها عدد من أكبر وأهم الأنهار فضلاً عن ما بها من مياه جوفية ، وحباها الله بمناخ متنوع ، هو فى غالبه معتدل ، وبها آلاف الملايين من الأفدنة القابلة للزراعة* فضلاً عن المساحات الشاسعة المغطاة بالمراعى والغابات (بها ٨٠٪ من الانتاج العالمى للمطاط) . فإذا أضفنا إلى ذلك الثروة الحيوانية والسمكية الهائلة ، وكنوز الأرض من المعادن بدءاً من النفط (قرابة ثلثى الاحتياطى المؤكد فى العالم) وحتى اليورانيوم ، مروراً بالحديد والنحاس والألمونيوم والذهب .. الخ لعلمنا أن الله تعالى قد حبا هذه الأمة بالخير الكثير وجعل بين أيديها من الأسباب المادية لامتلاك القوة ما لا يتوفر لدى غيرها من أمم الأرض .

٣ ــ لا تنقص الأمة الإسلامية ــ بفضل الله ــ أى عنصر من عناصر الانتاج ، فلدى بعض أقطارها المال ، ولدى البعض الآخر الأيدى العاملة (مع وجود قدر معقول من العلماء والفنيين والعمال المهرة) ، ولديها المواد الخام على تنوعها ، ومصادر الطاقة التقليدية وغير التقليدية ، وتوجد بمعظم بلدانها « بنية أساسية » (طرق ــ وسائل اتصال .. الخ) بقدر معقول ، بل وبقدر زائد عن الحاجة فى بعض البلدان ، بل إن هناك من المشروعات العملاقة القائمة بالفعل ما يمكن البناء عليه وتوسيع وتنويع نشاطاته . وفى بلاد الإسلام عدد لا بأس به من رجال الأعمال « المنظمين » الناجحين المنتشرين فى كل بلاد العالم . هذه الأمور جميعها تيسر ــ إن احسن تنظيمها واستغلالها ــ تحقيق مصالح مادية مشتركة ، أو متوازية لكل البلاد الإسلامية ، وتساعد على التوسع فى المشروعات القائمة بالفعل ، كما أنها تساعد على « إنشاء التجارة » ، وتوسيع التجارة البينية (أى بين الدول الإسلامية وبعضها البعض) لاتساع السوق التى ندعو إلى إقامتها (يوجد ببلاد المسلمين وغيرها أكثر من ١٣٠٠ مليون مسلم ــ حوالى ٢٥٪ من سكان العالم بنسبة زيادة سنوية ٢,٧٪) وهذه الأمور تحقق بدورها واحداً من أهم متطلبات السوق وهو التوازن بين « العرض والطلب » .

٤ ــ تدخل البلدان الإسلامية كلها ــ بدرجات متفاوتة ــ فى إطار ما يسمى « بالبلدان النامية » ، فلا خشية من احتمال قيام أى منها باستغلال التكامل الاقتصادى من أجل تحقيق هيمنة سياسية شبيهة بتلك التى مارستها الدول « الامبريالية » الغربية على بلادنا لأكثر من مائة عام . يضاف إلى هذا وجود قدر مناسب من التشابه فى الأذواق وفى أنماط الاستهلاك بسبب

تقـارب العـادات ، والتقاليـد ، والثقافـة ، والمشكلات ، الأمر الذى يجعلنا نتوقع زيادة الاقبال على طلب السلع والخدمات الإسلامية ، بمعنى زيادة « الطلب » ، وتنشيط التجارة فيزداد الانتاج وتعتدل الأسعار .

٥ ـ لعل من أكثر المقومات أهمية وجود صحوة ووعى إسلاميين ـ لا يمكن انكارهما ـ وهما بفضل الله تعالى فى تزايد ونمو . ومن جهة أخرى فإن الكتابات والتأليف حول المنهاج الإسلامى بوجه عام ، وهـو الشق الاقتصادى منه بوجه خاص ، قد بلورت الكثير من المفاهيم ، ووضعت من القواعد ما يصلح للتعامل مع المشكلات المعاصرة . ومنذ عقـد المؤتمر الأول للاقتصاد الإسلامى بمكـة المكرمـة عام ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م) عقدت الندوات والمؤتمرات الكثيرة ، التى كان منها ما عالج فكرة السوق الإسلامية المشتركة معالجة أخرجتها من مجرد الفكرة النظرية إلى التأصيل العلمى ، والبحوث الميدانية .

٦ ـ إن بين أيدينا إطاراً إسلامياً ، واقعاً ملموساً ، من شأنه ـ إن خلصت النوايا ، واشتدت العزائم ـ أن يصل بنا إلى تطبيق فكـرة « السوق الإسلاميـة المشتركة » ، شريطة أن يحدث بهذا الاطار (منظمة المؤتمر الإسلامى) بعض التعديلات الهامة التى تتناول ميثاقه وأسلوب عمله ، نعرض لها بعد قليل .

وقد يكون من المناسب أن أضع بين يدى القارىء الكريم المؤسسات الإسلامية التى أقيمت فى إطار منظمة المؤتمر الإسلامى :

(ا) المؤسسة الإسلامية للعلوم و « التكنولوجيا » والتنمية ـ جدة (يوليو ١٩٧٥) .

(ب) البنك الإسلامى للتنميـة ـ جدة (أكتوبر ١٩٧٥ م) ، فضلاً عن « الاتحاد الـدولى للبنوك الإسلامية » الموجود بالقاهرة .

(جـ) اللجنة الإسلامية للشئون الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ـ اسطنبول (يناير ١٩٧٧ م) .

(د) مركـز البحوث الاحصائيـة والاقتصاديـة والاجتماعيـة والتـدريب ـ طرابلس (مايـو ١٩٧٧ م) .

(هـ) المركـز الإسلامى للتـدريب التقنى والمهنى والبحوث ـ داكار (أبريل ١٩٧٨ م) .

(و) المركز الإسلامى لتنمية التجارة ـ مكة (يناير ١٩٨١ م) .

(ز) اللجنة الدائمة للتعاون الاقتصادى والتجارى بين الدول الأعضاء فى منظمـة المؤتمر الإسلامى (١٩٨٦ م) .

(ح) المجلس الإسلامى للطيران المدنى .

(ط) اتحاد الغرف الإسلامية للتجارة والصناعة وتبادل السلع .

(ى) الاتحاد الإسلامى لملاك البواخر .

٧ ـ وأخيراً فإن هنـاك « تجمعـات اقتصاديـة إسلامية » فرعية قامت بالفعل ، ومنها ما قطع شوطاً لا بأس به ، وهى تقع بين « المقومات » التى تساعد على قيام السوق الإسلامية المشتركة وبين « المعوقات » التى تعوق قيامها .. والأمر يعتمد على صدق النوايا ووضـوح الرؤيـة . ويمكـن الاشارة إلى بعض هذه التجمعات الاقتصادية الفرعية فيما يلى :

(ا) « السوق العربية المشتركة » ، التى أعلن عن قيامها عام ١٩٦٤ م تنفيذاً لمعاهدة التعـاون الاقتصادى والدفاع المشترك ، التى وقعت فى إطار الجامعة العربية . ورغم أن هذا التجمع لم يلغ حتى الآن إلا أن قيامه على فكرة « تحرير التجارة » حال دون تحقيقـه لهدفـه فتمـخض التجمـع عن بعض المشروعـات المشتركـة ، معظمها فى قطاعات المال والائتمان والتأمين .

(ب) « مجلس التعاون الخليجى » ، وهـو قائم بين الدول النفطية فى شبه الجزيرة العربية ، ويكاد يقتصر نشاطـه على التعـاون فى مجال النفـط وصناعاته الوسيطة ، ويلقى صعوبات جمة فى سوقه الطبيعية ، وهى أوروبـا ، بسبب قيام المجموعة الأوروبيـة بفـرض حواجـز تعريفيـة (جمركية) على الصناعات « البتروكيماوية » العربيـة ، واعتزامهـا فرض ضريبـة على ما تستورده من نفط من الدول الخليجية بحجة حماية البيئة !

(جـ) « اتحاد دول المغرب العربى » الذى قام منذ عام ١٩٨٩ م .

(د) « المجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا (ECWAS) ويضم ست عشرة دولــــة (١٩٧٥) .

(هـ) « اتحاد نهر مانو » (MRU) ، ويضم سيراليون ، وغينيــا ، وليبيريــا (١٩٧٣ م) . هذا والاتحادان الأخيران شكليان هامشيان .

(و) « تجمع الآسيــان » ، ويضم اندونيسيــا ، وسنغافورة ، وبروناى ، والفلبين ، وتايلاند . وقد قام هذا التجمع عام ١٩٦٧ م .

(ز) « منظمة التعاون الاقتصادى » التى قامت منذ عام ١٩٦٥ م ، بين كل من تركيا ، وإيران ، وباكستان ، وفى شهر مايو ١٩٩٢ عقد مؤتمر قمة فى « عشق أباد » عاصمة تركمنستان ، بين دول المنظمة وخمس من الدول الإسلامية بوسط آسيا : (تركمنستــان ـ طاجيكستــان ـ أوزبكستـان ـ قرغيزيـا) ، لتوسيع النطـاق الجغـرافى « لمنظمـة التعـاون الاقـتصادى » ، والاتفاق على مشروعـات فى مجالات النفـط والجمارك والنقـل والمواصلات . والتجمـع المذكور يضم أكثر من ٢٠٠ مليون مسلم ، وتضم أراضيه امكانات زراعية واستخراجية وثروة حيوانية جيدة ، فضلاً عن النفط والغاز الطبيعى . وفضلاً عن الأهمية « الاستراتيجية » لهذه المجموعة فإن انضمام كل من أذربيجان ، وأفغانستان لها مستقبلاً ـ وهو أمر متوقع ـ سوف يزيد من أهمية هذا التجمع باعتباره خطوة مشجعة على طريق إقامة السوق الإسلامية المشتركة بمفهومها الواسع .

عقبات تعترض طريق قيام السوق الإسلاميــة المشــتركــة :

من الطبيعى أن يكون أمام أى مشروع عدد من العقبات والتحديات ، ومهمـا كانت صعـوبتها أو تعقدها ، فإن توفر إرادة اجتيازها ، والاصرار على ذلك ، مع الاستعانة بالله والتوكل عليه ، يؤدى بمرور الزمن إلى بلوغ الهدف . هذا ونجد العديد من العقبات والتحديات التى تعد بمثابة عراقيل أمام قيام السوق وتطبيق فكرته ، ونقلها إلى الواقع :

١ ـ ضعف الوعى بشئون التكامل الاقتصادى ، وتشكك بعض الاطراف الإسلامية ، خاصة ذات الدخل القومى المرتفع ، وخشيتها ضياع ما بأيديها من ثروة لصالح الدول الأقل ثروة .

٢ ـ التمسك بأفكار السيادة ، وفكـرة الدولـة بمفهومها التقليـدى ، الـذى لا يتنـاسب والمنهاج الإسلامى من ناحية ، ومن ناحية أخرى تجاوزته الأحداث والزمن ، فعالم اليوم أصبح عالم تكتلات ، بل بدأت فكرة « مجتمع العالم » World Society تظهر فى الأفق ، ولم يعد لأفكار « السيادة والحدود » المهابة القديمة .

٣ ـ وجــــود خلافـــــات « مذهبيــــة » و « أيديؤلوجية » ، واعتنـاق بعض الـدول لفكـرة « العلمانية » صراحة أو ضمنا ، وبالتالى فهى تسقط من حساباتها جزءاً كبيراً من منهاج الإسلام ، على الأقل فى مجال الاقتصاد الإسلامى .

٤ ـ سوء توزيع السكان ، فبينما نجد كثافة سكانية عالية فى بنجلاديش ، وباكستان ، ووادى النيل ، نجد شبه فراغ سكانى فى ليبيا ، وعلى جانبى البحر الأحمر ، وغرب الخليج ، ويزيد من صعوبة التغلب على هذه المشكلة وجود صعوبات إدارية وتنظيمية ، وقلة منشآت البنية الأساسية والخدمات ، خاصة وسائل الانتقال والطرق كى يتم انتقال السكان من مناطق التكدس إلى مناطق الفراغ السكانى .

٥ ـ ضعف أجهزة المعلومات ، والاعتماد على الاحصائيات التى تقوم بها جهات أجنبية يهمها ألا يقوم تجمع إسلامى ذو شأن .

٦ ـ وقوع عدد كبير من الدول الإسلامية فريسة للهيمنة الغربيـة ، خاصة فى الشئون الاقتصاديـة ، بسبب ما تتلقاه منها من معونات وقروض ، لا يتصور إلا أن تكون مشروطة بشروط لصالح الجانب الذى يهمه ألا تتحقق فكرة التكامل الإسلامى ، ومن هذا القبيل أيضاً وجود معظم الأموال الإسلامية بالبنوك

الأجنبية ، تحت سيطرة اليهود ! وتعرض هذه الأموال بين الحين والآخر لأخطار المصادرة والتجميد ، وتخفيض قيمتها ، واستهلاكها فى تبادلات تجارية هى من قبيل عقود الاذعان التى تحتوى على قدر كبير من الغبن للجانب الإسلامى .

٧ ـ ضعف التجارة البينية إذ لا تتعدى ١٠,٤٪ من اجمالى تجارة الدول الإسلامية ، ويرجع ذلك أساساً لعاملين هما : تشابه النشاط الاقتصادى ، وعدم وجود مواصلات برية أو بحرية أو جوية مباشرة بين بعض هذه البلدان والبعض الآخر .

٨ ـ ضعف القطاع الصناعى بسبب التخلف التقنى ، وهجرة العلماء والأيدى الفنية الماهرة إلى خارج الأمة الإسلامية ، وحدوث خطأ خطير فى مفهوم « نقل التكنولوجيا » ، إذ يتصور البعض أن قيام الشركات الأجنبية بفتح فروع لها فى بلادنا ، أو السماح بتجميع منتجاتها عندنا « بتصريح » Under Licence هو بمثابة نقل لهذه « التكنولوجيا » ، والحقيقة عكس ذلك تماماً ، فهذه الأمور تقلل فرص التقدم التقنى فى بلادنا وتؤكد التبعية الاقتصادية للغرب ، وتمكن هذه الشركات من استغلال المواد الخام والأيدى العاملة فى بلادنا ، وغزو أسواقنا لقربها منها فتوفر نفقات النقل وما إليها ، وتصبح منتجاتنا غير قابلة للمنافسة حتى فى أسواقنا .

٩ ـ اعتماد الكثير من البلدان الإسلامية على الضرائب الجمركية كمورد رئيسى لخزانة الدولة ، فهى بذلك تنظر إلى فكرة التكامل الاقتصادى بعين الشك إذ قد تتسبب الفكرة فى حرمانها من بعض مواردها المالية بسبب رفع القيود الجمركية فى التجارة البينية ، ويدخل فى هذا الاطار ارتفاع الضرائب على المهن التجارية والصناعية لدى بعض البلدان الإسلامية الأمر الذى يعرقل قيام المشروعات الحالية بالتوسع عبر الحدود وانتاج سلع قادرة على منافسة مثيلاتها الأجنبيات .

١٠ ـ استمرار معظم مصارف البلدان الإسلامية فى التعامل « بسعر الفائدة » ، أى « بالربا » الأمر الذى يوجه أكثر من ٧٥٪ من الايداعات المحلية إلى الاقراض عامة ، وإقراض الحكومات خاصة ، وأكثر من ٨٠٪ من الايداعات بالعملات الأجنبية توجه إلى بنوك أمريكا وأوروبا أو تمويل عمليات الاستيراد من تلكم البلدان .

ولعل مما يبشر بالأمل ، باذن الله ، أن معظم هذه المعوقات تجد علاجها تلقائياً بمجرد اتخاذ الاجراءات العملية الجادة لاقامة « السوق الإسلامية المشتركة » ذاتها ، شريطة أن يكون هناك إيمان بالفكرة واستعداد لبعض التضحيات للحصول على الخير العميم والمصلحة المؤكدة من وراء قيام السوق .

الآليات اللازمة لاقامة سوق إسلامية مشتركة :

١ ـ تأكيد وترسيخ وحدة منظومة القيم الإسلامية :

سواء فى مجال القيم الإسلامية العليا (العلم الايمان ـ العمل ـ تكريم الإنسان ـ وحدة الأمة الإسلامية ـ العدل ـ الشورى) ، أو فى المجال الاقتصادى (حرية السوق المنضبطة بضوابطها الإسلامية ـ حماية الملكية الفردية بمفهومها الإسلامى ـ التكافل الاجتماعى) . وتعد هذه الآلية هى نقطة البداية والعمود الفقرى لفكرة السوق الإسلامية المشتركة . ولا غرو فأمامنا مثل « السوق الأوروبية المشتركة » قامت ، واستمر قيامها على أساس وحدة « منظومة » القيم الديمقراطية الغربية ، ورفضت ولم تزل ترفض انضمام « تركيا » ، و « المغرب » لهذه السوق بسبب الاختلاف فى منظومة القيم ، لأن الخلاف واضح لا جدال فيه بين « منهاج الإسلام » من جانب وبين « الديمقراطية الغربية » من جانب آخر ، وهذا ما يدركونه تماماً فى الغرب .

٢ ـ بناء قاعدة تكنولوجية إسلامية :

لقد صارت التكنولوجيا فى عصرنا الحالى بمثابة قوة مستقلة من قوى المجتمع ، وبلغ تقدير الغرب لها ولأهميتها بوصفها أحد العمد الرئيسية لمجتمعاتهم أن أوصى مؤتمر قمة الدول الصناعية الذى عقد فى شهر

يوليو ١٩٩١ باحتكارها ومنع تسربها إلى دولنا حتى يظلوا محتفظين بتفوقهم الحضارى .

إن التكامل الاقتصادى بين الدول الإسلامية يعنى الاستقلالية والاكتفاء الذاتى والمنافسة التجارية على المستوى الدولى وكلها أمور لا يمكن ارتيادها مع استيراد تكنولوجيا الآخرين أو التقاط ما يسمح لنا بالتقاطه منها . فلا بد إذاً من بناء القاعدة التكنولوجية الإسلامية المستقلة بحيث نبدأ من حيث انتهى الآخرون . وأجد مناسباً أن أسهم ببعض الأفكار العامة المفيدة فى بلوغ هذا الهدف :

(ا) أسلمة العلوم بمعنى اتباع التوجيه الإسلامى فى تعليمها وتعلمها وتطبيقها ، والمعيار لذلك هو : قيم الإسلام وأوامره ونواهيه .

(ب) الاستفادة على نطاق واسع بالعلماء والفنيين المسلمين بالجمهوريات الإسلامية المستقلة فى وسط آسيا .

(جـ) إنشاء مدن للعلماء ، وأخرى لطلائع العلماء (من الطلاب المتفوقين من سن ١٠ سنوات فأكثر) .

(د) زيادة الاهتمام بالبحث العلمى والتطوير ، وزيادة الانفاق عليه ، كذا الاهتمام بالتعليم الفنى والتأهيل المهنى وتنمية المهارات فى مراحل التعليم قبل الجامعى .

٣ ـ بناء قاعدة للمعلومات الاقتصادية على مستوى الأمة الإسلامية .

٤ ـ إنشاء رابطة للمصدرين والمستوردين الإسلاميين تعمل فى اطار من التنسيق الكامل مع « اتحاد الغرف الإسلامية للتجارة والصناعة وتبادل السلع » .

٥ ـ إنشاء اتحاد للقوى العاملة الإسلامية يعمل بناء على خطة للتنسيق بين البلدان الإسلامية لتحسين ظروف وشروط حركة العمالة الإسلامية بين دولها ، وحسن استغلال الكفاءات الإسلامية واعطائها أولوية فى التوظف .

٦ ـ إنشاء نظام اعلامى إسلامى موحد يلتزم بقيم الإسلام ، ويرسخ منهاجه فى النفوس ، ويسهم فى الدعوة ، ويتصدى للغزو الفكرى والثقافى ويدعم فكرة التكامل الاقتصادى الإسلامى .

٧ ـ التوحيد التدريجى للقوانين الاقتصادية والمالية الإسلامية كخطوة فى سبيل إصدار مجموعة القوانين الإسلامية الموحدة .

٨ ـ إقامة مجتمعات عمرانية مشتركة فى المناطق الفارغة من السكان كجانبى البحر الأحمر والصحراء الليبية والصحراء المغربية وغيرها .

٩ ـ تحويل الوحدة الحسابية الإسلامية (الدينار الإسلامى) إلى عملة متداولة ، وتحريرها من الارتباط بصندوق النقد الدولى ، وهذا يستلزم قيام « بنك مركزى إسلامى » ، كبنك للبنوك الإسلامية ، يتحول فيما بعد ليصبح بنكاً لبنوك الأمة الإسلامية ؛ بعد أن تتحول هذه جميعها إلى المعاملات الإسلامية المبرأة من الربا .

١٠ ـ تشجيع مشروعات المشاركة الإسلامية الدولية وتوسيع نطاق الموجود منها ، والخروج بهذه المشروعات من نطاق القطاع المالى والقطاع السياحى لدخول مجال الصناعة والزراعة والنقل وتصنيع الاحتياجات الدفاعية للأمة .

١١ ـ إقامة سوق لرأس المال الإسلامى للحد من هجرة رءوس الأموال الإسلامية للخارج ، وحسن توظيفها وتداولا .

التدرج هو السبيل لاقامة السوق الإسلامية المشتركة :

إن الأسلوب العملى السليم ـ فى تقديرى ـ لاقامة التكامل الاقتصادى الإسلامى يجب أن يكون باتباع استراتيجية متدرجة تحدد فيها الأهداف المطلوب تحقيقها خلال مراحل متدرجة متصاعدة ، دون إبطاء مثبط للهمم ، أو تعجل يحدث انتكاسة . وهذا هو الأسلوب الإسلامى فى التشريع .

كما يجب علينا أن ننبه إلى أن الانبهار بتجارب الآخرين ومحاولة تقليدها أمر ضار غير نافع ، لأن ما يصلح لأمة لا يصلح لأمة أخرى ، وصدق الله تعالى إذ يقول :

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾

(سورة المائدة ـ ٤٨)

لذا فقد لا يكون من المناسب أن نبدأ بإنشاء « منطقة إسلامية للتجارة الحرة » ؛ لأن هذا الأمر تكتنفه الكثير من الصعوبات ، وتحتاج إلى مفاوضات طويلة ، وضبط للسياسات ، وهى أمور قد تقابل الكثير من العوائق والتدخلات الخارجية المؤثرة ، كما أن إنشاء مثل هذه المنطقة مع ما نحن فيه من تخلف صناعى سوف يؤدى غالباً إلى « تحويل التجـــارة » Trade deflection فيتعرض التكامل للفشل .

وما ينطبق على « المنطقة الحرة » ينطبق على صورة « الاتحاد الجمركى » ، لذا فإن المناسب لظروف أمتنا هو الدخول مباشرة فى مجال « إنشاء المشروعات المشتركة » وتوسيع مجالاتها ، والتوسع الجغرافى لفروعها ولنشاطاتها مع حسن توزيعها وتوزيع عوائدها بالعدل ، وقد يكون من الضرورى أحياناً ـ تغليباً للعدل ـ أن تقام بعض الصناعات فى بلد إسلامى دون آخر مراعاة للميزة النسبية ، وتقليلاً لنفقات الانتاج الأمر الذى يقتضى تعويض بعض البلدان الإسلامية ذات الامكانات الأقل (مثل تشاد ، وجيبوتى ، والنيجر ، وموريتانيا ... مثلاً) . وذلك من خلال إنشاء « صندوق للتنمية الاجتماعية والاقتصادية » يمول بجزء من عائدات المشروعات المشار إليها ، وبجزء من عائدات الصناعات الاستخراجية كالنفط وباقى المعادن كالذهب والنحاس والألومنيوم والحديد ... الخ .. وعلى « البنك الإسلامى للتنمية » تقع أيضاً مسئولية تمويل مشروعات التنمية فى هذه البلدان كأسبقية أولى .

إن الأولوية الملحة فى المشروعات المشتركة يجب أن تكون فى « مجال الزراعة » ، لأن الاكتفاء الذاتى من الغذاء ليس ضرورة للتنمية والتكامل الاقتصادى فحسب ، بل إن بدونه يتعرض الأمن الإسلامى (القيم ـ ومنهاج حياة المسلمين ـ وقراراتهم ـ وأراضيهم) للمخاطر والتهديدات . على أنه من المهم أن نحدث التوازن بين مشروعات الزراعة ومشروعات الصناعة من جهة ، وبين التنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية من جهة أخرى ، وبين تحقيق قدر مناسب من الاكتفاء الذاتى ، واستمرار التبادل التجارى على المستوى الدولى من جهة ثالثة .

بالتوسع فى المشروعات المشتركة سوف تحدث حركة تلقائية لرءوس الأموال ، والأيدى العاملة ، والخدمات ، والخامات ، وسوف « يتوازن تيار التجارة » بين الأقطار الإسلامية من جهة ، وبينها وبين العالم الخارجى من جهة أخرى ، ولا غرو فهذه سنة إلهية دلنا عليها رسول الله ـ ﷺ ـ عندما امتنع عن التسعير فى حديثه المشهور ، وعندما نهى عن التدخل فى الصفقات التجارية باحتكار أو بتلقى الركبان أو ببيع الحاضر للباد .

من ناحية أخرى فإن الحواجز الجمركية والحدود المصطنعة سوف تسقط تلقائياً إذا ما نجحنا فى بلوغ هذه الأهداف لنرى فى النهاية مشروعات اقتصادية عملاقة قادرة على انتاج السلع الإسلامية والمنافسة فى الأسواق العالمية .

وباكتمال السوق الإسلامية المشتركة تكون الأمة مهيأة لبلوغ وحدتها واستعادة مكانتها الحضارية التى غابت عنها أكثر من مائتى عام .

يقول الله تبارك وتعالى :

مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾

(سورة النحل ـ ٩٧)

إمبراطورية المغول

وصراع الإسلام مع الوثنية والصليبية

الحلقة الأخيرة

مونكوخان (٦٤٦هـ - ٦٥٧هـ) (١٢٤٨م - ١٢٥٩م)

بقلم الدكتور/ أحمد محمد الدسوقى المنوفى

ذكر النويرى أنه كان يدين بدين النصرانية ، بينما يذكر رشيد الدين أنه كان بوذيا[١] ، وقد لاحظ المستشرق فاسيلى برتولد ـ بناء على ما توفر لديه من روايات ـ أن كلا من اتباع الديانات المختلفة كان يعد القاآن (مونكوخان) من ملته ، ولكنه كان شامانيا يرى أن جميع الأديان جديرة بالاحترام والتقدير ، ولم يسمح البتة باضطهاد أحد من الناس بسبب العقيدة كذلك لم يحس من نفسه أى دافع لقسر اتباع الديانات الأخرى على الالتزام بقواعد الياسا[٢] .

وعلى ذلك استقبل المسلمون فى عهده ـ فى رأي هذا المستشرق وأمثاله ـ عصرا من الحرية الدينية بعد الاضطهاد والتعصب فى عهد سلفه « كويوك » وأصبح المسلمون فى مأمن من مؤامرات الحاقدين المتعصبين ، وقد بسط ظل حمايته عليهم ، ومن الحوادث التى تذكر تدليلا على ذلك ، المحاكمة التى جرت لأديقوت ـ أى رئيس إلا يغور وكان قد دبر مؤامرة تهدف إلى قتل جميع المسلمين ببلاده أثناء صلاة الجمعة ، وقيل إن الملكة الوصية « أوغل غايميش » هى التى أمرته بذلك ، وقد قام مونكوخان بمحاكمته بنفسه ، وحكم عليه بالاعدام ، واعدم معه اثنان من الكبار »[٣]

● الكاتب مدرس التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية بكلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر .

(١) النويرى نهاية الأدب حـ ٢٧ صـ ٥٥٣ ، ورشيد الدين جامع التواريخ حـ ١ صـ ٤٨١.

(٢) فاسيلى برتولد مرجع سبق صـ ٦٨٥ ، صـ ٦٨٦ .

(٣) المرجع السابق .

وحوادث التاريخ تجعلنا لا نسلم بأنه كان متسامحا فى معاملته للمسلمين ، أو أنهم عاملهم معاملة طيبة ، أما حادثة ايدقوت إلا يغور - إن صحت - ففى رأيى أن لها ملابساتها ، ولا تؤخذ دليلا على حماية المسلمين من أعدائهم ، وحسن معاملتهم ، وهذه الملابسات هى وجود الملكة « أوغل غايميش » أرملة كويوك كطرف فى هذه المؤامرة - على ما قيل - فقد كان مونكوخان لا يحسن معاملتها ويسىء الظن بها[٤] ، ومن هنا كانت شدته مع المتآمرين .

ويثبت التاريخ أنه كان شديدا وقاسيا على المسلمين ، وفى عهده قوى الاتصال بين المسيحيين فى أوربا والمغول وقد أراد المسيحيون أن يتخذوا من المغول قوة لتحطم القوى الاسلامية والانتقام من المسلمين بعد الضربات العنيفة التى لحقت بهم على أيدى صلاح الدين وخلفائه ، ولهذا أخذوا يرسلون سفراءهم إلى بلاط قاآن المغول ، ومن هذه السفارات السفارة التى أرسلها لويس التاسع ملك فرنسا برئاسة أحد رجال الدين واسمه (وليم رو بروق) وقد رحل عن عكا سنة ٦٥٠هـ (١٢٥٢م) ووصل إلى عاصمة الامبراطورية المغولية قراقورم ، واستقبله القاآن منكو استقبالا حسنا ، وسمح له أن يناظر العلماء البوذيين والمسلمين فى حرية تامة ، غير أنه لم يعطه جوابا مقنعاً فيما يتعلق بتكوين اتحاد بين المغول والمسيحيين ضد المسلمين ، وطلب إليه أن يسارع لويس مع جميع الملوك المسيحيين إلى الدخول فى طاعته ، وكانت سياسة القاآن منكو الخارجية تقوم على اعتبار أصدقائه أتباعا له أما أعداؤه فينبغى القضاء عليهم أو إخضاعهم حتى يكونوا أتباعا له فقد كان القاآن لا يقبل أن يكون فى العالم سيد سواه[٥] .

وكان طبيعيا أن يرفض لويس هذا الشرط ، وهكذا تحطم مشروع التحالف بين مسيحيى أوربا والمغول على صخرة الاستعلاء والرغبة فى السيادة على الجميع من قبل المغول فى عهد منكوخان ، كما حطمه من قبل التعصب المذهبى من قبل البابوية فى عهد كيوك خان ، وقد كان لدى كيوك خان شيئا من اعتقاد السيادة على الجميع فى بداية حكمه ولكن يبدو أنه كان على استعداد للتغاضى عن ذلك أمام التحالف ضد المسلمين بدافع من تعصبه الشديد ضدهم .

ووجد المغول فى شخصية هيتوم الأول ملك أرمينيه الصغرى حليفا مسيحيا لا يأنف من الخضوع لهم فى سبيل تحقيق آماله فى النيل من المسلمين ، وما إن علم هذا الملك بتوليه قاآن جديد قوى وهو منكوخان حتى سارع بنفسه إلى عاصمة المغول ، وقدم نفسه على أنه تابع للقاآن ، ونظير ذلك نال عند منكوخان منزلة سامية ، فأقام له حفل استقبال رسمى ، وجعله كبير مستشارى الخان المسيحيين فى كل ما يتعلق بأمور غرب آسيا ، ووعده بإعفاء الكنائس والأديرة المسيحية من الضرائب بالاضافة إلى وثيقة تكفل السلامة لشخصه ومملكته .

وبذل الملك هيتوم الأول خلال المدة التى أقامها فى عاصمة المغول جهودا مكثفة لاقناع القاآن بالقيام بحملة مشتركة ضد المسلمين ، ووافق القاآن أمام إلحاحه على مساعدة المسيحيين ، وكلف أخاه هولاكو بالسير إلى بغداد عاصمة الخلافة الاسلامية لإسقاطها ، كما تعهد بأن يعيد بيت المقدس إلى المسيحيين إذا ما تعاونوا مع المغول تعاونا كاملا[٦] .

---

(٤) مما يدل على ذلك رسالة منكوخان إلى لويس التاسع التى يتنكر فيها لسياسة التحالف التى اتبعها سلفه معهم ، ووصف فيها الملكة أوغل غايميش التى كانت قد استقبلت سفارة لويس بالعطف - بأنها امرأة شريرة أسوأ من كلبه ، وأنى لها أن تعرف شيئا فى شئون الحرب والسلم أو مصالح الدولة . فاسيلى برتولد مرجع سبق صـ ٦٩٥ ، صـ ٦٩٦ .

(٥) ستيفن رنسيمان مرجع سبق حـ ٣ صـ ٥١٠ ، صـ ٥١١ ود. الصياد مرجع سبق صـ ٢١٢ .

(٦) د. الصياد المرجع السابق صـ ٢١٥ .

وهكذا تحالفت الصليبية مع الوثنية ضد المسلمين ، ودخل هو لاكو بغداد تحت راية أخيه وسيده منكوخان وصب الغزاة جام حقدهم على المدينة ، وقتلوا من المسلمين الأعداد الهائلة ، ودمروا من مظاهر الحضارة الاسلامية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، ولم ينج منهم أحد سوى النصارى والشيعة ، واختلف الناس فى عدد من قتل من المسلمين ببغداد فى هذه الواقعة ، فقيل ثمانمائة ألف ، وقيل ألف ألف ، وقيل ألفى ألف نفس(٧) ، واستطاع المسيحون أن يعيدوا بناء كنائسهم بعد ذلك وفى ظل دولة المغول ، وأن يعقدوا احتفالاتهم ومواكبهم الدينية العامة .

وكانت روح التعصب ضد الاسلام فى عهد منكوخان واضحة المعالم ، ولم تكن قاصرة على الطبقات العادية من الناس ، بل ظهرت فى أوساط الطبقة الحاكمة ، وبين أفراد البيت الحاكم نفسه ، والمثال الواضح على ذلك ما حدث عندما دخل بركة خان ــ عاهل المملكة التتارية فى جنوب روسيا أو مملكة القبائل الذهبية ــ الإسلام وهو من أسرة جنكيز خان(٨)، وقد أثار دخوله الإسلام حفيظة أمير مغولى مسيحى هو « سرتاق » ابن أخى بركة وكان يعد الرجل الثانى فى امبراطورية المغول فى عهد القاآن منكو ، فوجه إلى عمه بركة حديثا عبر فيه عن عدائه الشديد للاسلام حيث قال له : (انت مسلم وأنا نصرانى ، وإنى لأطير برؤية وجه المسلم)(٩) .

هذا وقد عامل منكوخان النصارى فى دولته معاملة كريمة لم يظفر بها غيرهم ، فقد كانت أمه نصرانية ، لذلك فقد أسند تعليم ولده الأكبر إلى رجل نصرانى ، وكان كبير وزرائه بلغاى نصرانيا أيضا .

أما موقف المغول من اليهود فتشير المراجع إلى أنهم عوملوا معاملة سيئة ، فقد أعفى رجال الدين من مختلف الملل من كل الضرائب فى عهد منكوخان باستثناء اليهود وحدهم ، ويبرر بعض الباحثين ذلك بأن بلاط الخان لم يكن به ممثلون لليهود يشفعون لهم عند القاآن بينما وجد للمسلمين والمسيحيين والبوذيين ممثلون(١٠) وهذا تبرير للظلم بظلم آخر وهو حرمان تمثيلهم فى بلاط القاآن .

ولعل ما نال اليهود من ظلم على أيدى المغول يفسر لنا موقفهم من غزو المغول لبغداد ، فقد حاربوا مع المسلمين حتى آخر لحظة ، وقاسوا معهم ويلات المذابح التى أعقبت سقوط بغداد(١١) على أن موقف اليهود بدأ يتغير تدريجيا نحو التقرب من المغول ، فنجدهم فى بلاد الشام يوقعون الأذى بالمسلمين أثناء الغزو المغولى ، كما فعل النصارى ، وإن كان ذلك بدرجة أقل ، ولذلك عندما انتصر المسلمون فى موقعة عين جالوت ، وبدأ المغول ينسحبون من الشام ، أخذ المسلمون ينتقمون ممن تحالف معهم ، فانتقموا من النصارى ، ثم هموا بنهب اليهود فنهب قليل منهم ، ثم كفوا عنهم لأنهم لم يصدر عنهم ما صدر من النصارى(١٢) ، وقد تزايد التقارب بين اليهود والمغول بعد ذلك(١٣)

(٧) ابن كثير البداية والنهاية حـ١٣ صـ٢٠٢ الذهبى دول الاسلام حـ٢ صـ١٢٣ حيداباد الركن ١٣٣٧هـ .

(٨) النويرى نهاية الأرب حـ٢٧ صـ٣٥٦ وبرتولد ثبولر مرجع سبق صـ٥٠ ــ صـ٥١ وبركه خان أول من دخل الاسلام من هذه مالأسرة .

(٩) فاسيلى برتولد مرجع سبق صـ٦٩٢ .

(١٠) المرجع السابق صـ٦٨٦ ــ صـ٦٨٧ والحاشية رقم ١٤٢ .

(١١) د. عبد السلام عبد العزيز فهمى تاريخ الدولة المغولية فى ايران صـ١٣٠ .

(١٢) محمد كرد على خطط الشام حـ٢ صـ١٠٧ ــ صـ١٠٨ الطبعة الثانية بيروت ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م .

(١٣) بلغ تقارب اليهود مع الحكام المغول أوجه فى ايلكخانية ايران فى عهد « أرغون خان » (٦٨٣ ــ ٦٩٠هـ = ١٢٨٤ ــ ١٢٠١م) حيث شغل منصب الوزارة لهذا الملك « سعد الدولة اليهودى » وتعاون الاثنان فى العمل ضد المسلمين ، وذاق المسلمون فى هذا العهد صنوف الأذى والتعذيب والقتل ، وبلغ حقد هذا اليهودى على الاسلام والمسلمين درجة التفكير فى هدم الكعبة المشرفة ، وإحلال معبد بوذى (بت خانه) محلها ، وقد انتهى أمر هذا الوزير بالعزل ثم القتل أثناء احتضار أرغون خان على أيدى أمراء من المغول لأهداف سياسية ، وفرح المسلمون لمقتله فرحا عظيما . د. عبد السلام فهمى مرجع سبق صـ١٧٥ ــ صـ١٧٧ :

قوبيـــــــلاى (٦٥٨ ـ ٦٩٣ هـ ١٢٦٠ ـ ١٢٩٤ م) :

بعد موت مونكوخان سنة ١٢٥٩ م (٦٥٧ هـ) تم اختيار قاآنين فى وقت واحد ، هما قوبيلاى فى الصين وأربع بوكا فى منغوليا ، وحدث قتال بينهما ، وتم النصر لقوبيلاى على أريغ بوكا ، وأعلن خضوعه سنة ١٢٦٤ م (٦٦٣ هـ)[١٤] ، وقد استمر قوبيلاى فى منصبه حتى سنة ١٢٩٤ م (٦٩٣ هـ)[١٥] ولم يكن على مستوى من سبقه فى منصب القاآن قوة ونفوذا على الرغم من طول فترة حكمه ، ويرى النويرى « أنه بعد وفاة منكوخان استقل كل ملك من ملوك التتار بنفسه ، وانفرد بمملكته ، بعد أن كان الجميع يدخلون تحت طاعة من ينتصب على تخت القانية ويأتمرون بأمره »[١٦] هذا وقد اعتنق قوبيلاى البوذية وزاد نفوذها زيادة كبيرة[١٧] .

أما موقف قوبيلاى من المسلمين ، وبخاصة فى بلاد الصين التى كانت تحت حكمه المباشر ، فهناك ما يشير إلى تقديره للملسمين وتولية بعضهم مناصب الدولة ، ومن هؤلاء « السيد أجل شمس الدين » الذى أسند إليه ادارة مقاطعة يوننان بجنوب الصين الغربى ، وعندما ذهب بعض المواطنين العاملين تحت ادارة شمس الدين إلى قوبيلاى للشكوى زاعمين أن شمس الدين طاغية مستبد ، أدرك قوبيلاى أنها شكوى كيدية ولا أساس لها من الصحة ، لذلك أمر بتكبيل هؤلاء الشاكين بالأغلال والقيود ، ثم أعادهم إلى شمس الدين ـ الذى كان يتميز بحسن السياسة ـ فعفا عنهم ، وأعادهم إلى مناصبهم ؛ مما كان له أكبر الأثر فى إخلاصهم له بعد ذلك[١٨] .

هذا وسيتركز الاهتمام على الممالك المغولية الفتية التى تفرعت عن الامبراطورية الأم لتوضيح علاقة المغول بالأديان ، وسنختار منها مملكتين هما مملكة القبائل الذهبية ، وايلكخانبه إيران ؛ لأهمية هاتين المملكتين ولأن صراع المسلمين مع البوذيين والمسيحيين فيهما كان واضح المعالم بارز القسمات ، وتمثل أحدهما الجانب الاسلامى (مملكة القبائل الذهبية) وتمثل الثانية الجانب البوذى والمسيحى فى آن واحـــد (ايلكخانيه إيران) .

مملكة القبائل الذهبية :

قيل إنها دعيت بهذا الاسم نسبة لخيمة الخان المذهبة ، وكانت هذه المملكة ببلاد الشمال ونواحى الترك والتفجاق ، وعاصمتها حراى أو سراى على الشاطىء الأيسر لنهر الفولجا ، وحاكمها بركة خان (٦٥٢ هـ ـ ٦٦٥ هـ = ١٢٥٧ م ـ ١٢٦٧ م) وهو ابن باتو بن جوجى بن جنكيزخان ، أسلم وحسن إسلامه ، وأظهر شعائر الاسلام ـ كما يقول النويرى ـ وأكرم الفقهاء وأدناهم ، وابتنى المساجد والمدارس بنواحى مملكته ، وأول من دخل دين الاسلام من عقب جنكيزخان ، ولما أسلم ، أسلم أكثر قومه ، وأسلمت زوجته « ججك خاتون » واتخذت لها مسجدا من الخيام تسافر به[١٩] ، وقد خسرت المسيحية كل نفوذ لها بعد تحول بركة إلى الاسلام ولم تقم للبوذية قائمة أبدا فى هذه الانحاء[٢٠] .

إيلكخانية إيران :

وتضم خراسان وفارس والعـــراق العجمـــى وأذربيجان وديار بكر وبلاد الروم وبلاد أخرى ،

---

(١٤) يرى النويرى أن أرنيكا (أريغ بوكا) بعد هزيمته سقى سما فمات ، نهاية الأدب جـ ٢٧ صـ ٣٥٣ وفاسيلى برتولد مرجع سبق صـ ٦٩٩ وما بعدها .

(١٥) رشيد الدين جامع التواريخ جـ ١ صـ ٦٦١ ويرى النويرى أنه مات سنة ٦٨٨ هـ = ١٢٨٩ م نهاية الادب جـ ٢٧ صـ ٣٥٥ .

(١٦) النويرى نهاية الأدب جـ ٢٧ صـ ٣٤٧ .

(١٧) د. الصياد مرجع سبق صـ ٣٣٦ .

(١٨) المسلمون فى الصين صـ ١١٥ ـ صـ ١١٨ إصدار مجلة « بناء الصين » سلسلة ثقافية (١) الطبعة الأولى بكين ١٩٨٢ م .

(١٩) النويرى نهاية الأدب جـ ٢٧ صـ ٣٥٦ ـ صـ ٣٥٩ وابن كثير البداية والنهاية جـ ١٣ صـ ٢٤٩ .

(٢٠) برنولد ثبولر مرجع سبق صـ ٩٥ .

وتولى حكمها الايلكخان[٢١] هولاكو (٦٥٨ - ٦٦٣ هـ = ١٢٥٩ - ١٢٦٤ م) وكانت مدينتا تبريز ومراغة عاصمتى هذه الإيلكخانية[٢٢] .

كان هولاكو لايتقيد بدين من الأديان[٢٣] وإن كان يميل ميلا ظاهرا إلى البوذية ، وان لم يتخذها دينا بصفة رسمية ؛ لهذا فقد استقرض بلاطه عدد من الكهنة البوذيين الذين كانوا يدعون من قبل المغول « بخشيس » وفى نفس الوقت أبدى تعاطفا كبيرا للمسيحية ، وقد اعتنقت زوجته « دقوزخاتون » هذه الديانة ، وكان يشترك بنفسه فى الأعياد المسيحية ، ويحضر القداس ، وقد أجاز بناء كنيسة صغيرة فى البلاط الملكى ، وأوقف الأوقاف لمصلحة الكنائس ، كما فضل المسيحيين على المسلمين فى المعاملة ، وتمتعت الطوائف المسيحية المختلفة بعطف الحاكم وتضاعف عدد أبرشياتهم ، وزاد نفوذهم وتعاظم ، وأصبح لهم الحق فى السير فى مواكبهم علنا ، وأن يرمموا كنائسهم وأديرتهم ويوسعوها[٢٤] .

لكل هذا نجد شخصية الايلكخان هولاكو (قد أحيت آمال المسيحيين فى أوربا فى العصور الوسطى فى ظهور « يوحنا الشرق » أى رجل الدين الذى يملك ثروات خيالية ، واعتقد البابوات ولعدة سنوات أن باستطاعتهم كسب الايلكخانات بتحويلهم إلى المسيحية ، ومنذ وصول أول خبر عن قدوم المغول ، عمد البابا « غريغريوس التاسع » ومن بعده الباب « انسنت الرابع » إلى فكرة الاعتماد على عساكر ملك المغول الخيالية فى كسر شوكة الاسلام ، وجعلوا هذا هدفا من أهدافهم التى يرجون تحقيقها »[٢٥]

وحقق هولاكو لمسيحيى أوربا آمالهم التى كانوا يتمنون تحقيقها ، وقاد الحملة لاسقاط عاصمة الخلافة الاسلامية ، وكان صورة حية للتمازج الوثنى الصليبى ضد الاسلام ، وشاركت الصليبية المحلية فى الحملة ضد الاسلام متمثلة فى حاكم أرمينية المسيحى « هيتوم الأول - كما سبق القول - فقد كان على رأس العوامل فى اقناع قاآن المغول بإرسال هذه الحملة[٢٦] .

ووقف بركة خان الحاكم المغولى المسلم من هذه الحملة موقف المعارضة ، انطلاقا من انتمائه للاسلام ، وحاول التوسط فى الأمر دون جدوى ، وكان الجيش المرسل إلى بغداد مكونا من فرق شتى من ولايات الامبراطورية المغولية ، ومن هذه الفرق فرق من جيش القبائل الذهبية التى يحكمها بركة خان ، وكان ارسال مثل هذه الفرقة دليلا على خضوع امراء المغول للقاآن ، ووحدة الامبراطورية المغولية ، وكان بركة حتى ذلك الوقت يعتبر نفسه - بالرغم من اسلامه - جزءا من هذه الامبراطورية ، ولكن خضوع بركة لقاآن المغول وانتمائه للامبراطورية المغولية الوثنية لم يستمر طويلا لأسباب عدة :

منها أن توجهات هذه الامبراطورية وموقفها المعادى للاسلام والمسلمين كان يتعارض مع كونه مسلما ارتضى الاسلام له دينا ، حتى قبل أن يعتلى عرش مملكة القبائل الذهبية[٢٧] - على بعض الروايات - ويتصادم مع مشاعره الدينية ، ولهذا حاول أن يمنع الفرقة التى أرسلها من جيشه من المشاركة فى الهجوم على عاصمة الخلافة الاسلامية ولكننا لانعرف الظروف التى لم تمكنه من ذلك .

ومنها أن القاآن منكوخان جعل بلاد القوقاز وما جاورها من نصيب هولاكو ، وهى بلاد كانت تابعة أصلا للقبائل الذهبية .

وقد بدأ اتجاه بركة خان للانفصال عن الامبراطورية المغولية الوثنية عمليا عندما طلب من رجال جيشه الذين كانوا ضمن الجيش المغولى عند دخول بغداد تحت

---

(٢١) الايلكون نائب الملك المرجع السابق صـ ٥١ .
(٢٢) النويرى نهاية الأدب جـ ٢٧ صـ ٣٩٢ - صـ ٣٩٣ .
(٢٣) ابن كثير البداية والنهاية جـ ١٣ صـ ٢٤٨ .
(٢٤) برتولد شبولر مرجع سبق صـ ٥٧ - صـ ٥٨ .
(٢٥) المرجع السابق صـ ٦٣ ، صـ ٦٤ .
(٢٦) ابن العبرى تاريخ مختصر الدول صـ ٤٥٩ ومابعدها .
(٢٧) برتولد شبولر مرجع سبق صـ ٥٠ .

إمرة هولاكو بترك هذا الجيش ، والتوجه إلى مصر لدعم المماليك مما سهل انتصارهم فى معركة عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ ١٢٦٠ م ، وقد علــق المستشرق « شبولر » على ذلك فقال : (وهكذا فإن خان القبائل الذهبية ـ بركة خان ـ اتحد لأول مرة مع قوة أجنبية ضد إخوانه المغول مما سهل انتصار المماليك فى عين جالوت[٢٨] ومما يؤكد اتجاه بركة إلى التخلى عن الانتماء إلى امبراطورية المغول الوثنية ، أن العملات التى أصدرها فى منطقة القبائل الذهبية خلت من إسم القاآن منذ سنة ٦٥٨ هـ ١٢٦٠ م ، وكان وجود اسمه على العملات رمزا لسلطته الشرعية على هذه المنطقة .

ثم رأى بركة خان بعد التطورات التى حدثت داخل الامبراطورية المغولية وانتهت بفوز قوبيلاى ـ حليف هولاكو ـ بمنصب القاآن أنه ليس هناك مايدعوه إلى الابقاء على علاقاته بالامبراطورية المغولية الوثنية ، وأنه آن الأوان لارضاء مشاعره الدينية الاسلامية ومشاعر أفراد القبائل الذهبية بالانطواء تحت راية الخليفة العباسى فى القاهرة باعتباره زعيما للعالم الاسلامى من الموجة الشرعية ، فأعلن اعترافه به وتبعيته له .

أما انتصار هولاكو ودخوله بغداد عاصمة الخلافة الاسلامية فقد كان له صدى عميق فى الشام وآسيا الصغرى ، وأصبح المسيحيون فى هذه المناطق ينتظرون مجيء هولاكو بفارغ الصبر ، مدفوعين فى ذلك بروح صليبية بغيضة ضد المسلمين أعمت بصائرهم ، إذا بهم يساعدون المغول فى اسقاط كثير من البلاد الاسلامية فى شمال العراق ، وتهيأ المغول للزحف على مدن الشام سنة ٦٥٨ هـ ١٢٥٩ م فاستولوا على حلب وحماه ثم ساروا إلى دمشق واستولوا عليها بالأمان وتمكنوا من فتح قلعتها التى استعصت عليه[٢٩] .

وكان فى مقدمة العوامل التى شجعت المغول على فتح الشام التحالف الذى تم مع (هيتوم) ملك أرمينية الصغرى (قليعية) و (بوهيمند) ملك انطاكية الصليبى ، وكان ملك أرمينية الصغرى يرى أن وضع مملكته بين دولتين مسلمتين هما دولة السلاجقة الروم بالشمال ، ودولة أماليك فى الجنوب تحتم عليه ضمانا لحمايتها التحالف مع المغول ، والانضمام إلى هولاكو فى حربه ضد المسلمين بالشام ، وصارت مملكته بذلك تابعة لايلكخانية ايران[٣٠] .

وكان بوهيمند حليفا لهيتوم ، وقد تزوج بابنته ، ودخل بدوره فى التحالف مع المغول ، وكان يجمع الملكين المسيحيين العداء للإسلام والمسلمين ، وكان لزوجة هولاكو المسيحية (دوقوزخاتون) التى حظيت بتقديره وحبه أثر كبير فى توطيد الصداقة بين الزعماء المسيحيين وبين هولاكو[٣١] ، وقد نقل عن المؤرخ الأرمنى « هيتون » **Hayton** « أن خطة الحملة المغولية قد تقررت بعد لقاء تم بين هولاكو وتابعه الأرمنى (هيتوم) الأول ملك قليقيه ، وكان الخان قد طلب إليه أن يسير بجيشه الأرمنى إلى الرها بحجة أنه ذاهب ليخلص الأرض المقدسة من المسلمين ، ويردها إلى المسيحيين ففرح الملك هيتوم بهذا الخبر وجمع جيشا كبيرا وانضم إلى هولاكو ، وقدم البطريق الأرمنى ليمنح البركة للخان »[٣٢] ونسوق هنا مثالا معبرا لتعصب المسيحيين من أهل الشام ضد المسلمين ، وتحالفهم مع

---

(٢٨) هذا المستشرق لو عرف أخلاقيات الاسلام ومبادئه حقا لأدرك أن بركة خان باسلامه أصبح أخا للماليك المسلمين فى مصر ، ولم يعد أخا للوثنيين أو المسيحيين المغول ، فأخوة الدين ـ فى الاسلام ـ مقدمة على أخوة النسب الباحث .

(٢٩) النويرى نهاية الادب حـ ٢٧ صـ ٣٨٣ ـ صـ ٣٩٠ وابن كثير البداية والنهاية حـ ١٣ صـ ٢١٦ .

(٣٠) المقريزى السلوك فى معرفة دول الملوك حـ ١ ق ٢ صـ ٥١٠ حاشية (١) نشر الدكتور محمد مصطفى زيادة القاهرة ١٣٥٣ ـ ١٣٥٨ هـ (١٩٣٤ = ١٩٣٩ م) .

(٣١) د. فؤاد عبد المعطى الصياد المغول فى التاريخ حـ ١ صـ ٢٩١ دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٠ .

(٣٢) المرجع السابق صـ ٢٩١ ، صـ ٢٩٢ نقلا عن **Geaumet** **Lempire des Steppes P.434** .

المغول الوثنيين أورده ابن كثير عند حديثه عن استيلاء المغول على دمشق ، فيقول : « وسلموا البلدة والقلعة إلى أمير منهم يقال له « إبل سيان » وكان لعنه الله معظما لدين النصارى ، فاجتمع به أساقفتهم وقسوسهم ، فعظمهم جدا وزار كنائسهم ، فصارت لهم دولة وصولة بسببه ، وذهبت طائفة من النصارى إلى هولاكو ، وأخذوا معهم هدايا وتحفا ، وقدموا من عنده ومعهم أمان فرمان من جهته ، ودخلوا من باب توما ومعهم صليب منصوب يحملونه على رءوس الناس ، وهم ينادون بشعارهم ، ويقولون ظهر الدين الصحيح دين المسيح ، ويذمون الاسلام وأهله ، ومعهم أوانى الخمر لا يمرون على باب مسجد إلا رشوا عنده خمرا ، وقماقم ملآنة خمرا يرشون منها على وجوه الناس وثيابهم ، ويأمرون كل من يجتازون به فى الأزقة والأسواق أن يقوم لصليبهم ـ وكان فى نيتهم إن طالت مدة التتار أن يخربوا كثيرا من المساجد « غيرها » وذكر ابن كثير أنه اشتكى وجوه الناس من العلماء والقضاة إلى الحاكم المغولى أهانهم وطردهم وقدم كلام رؤساء النصارى(٣٣) .

لذلك لا عجب إذا اعتقد البعض أن المغول بصورة عامة مسيحيون ـ عدا هؤلاء الذين تمسكوا بالديانة الشامانية ـ وكانت الدلائل أمامهم واضحة ، فعندما غزا الايلكخانات بلاد ما بين النهرين واحتلوها ثم غزوا سوريا ، أظهروا صداقتهم للمسيحيين مع خصومتهم وعدائهم للمسلمين ، بل كان اعترافهم بالمجتمعات والكنائس النسطورية والبعصوبية فى أماكن تواجدها عاملا فى جعل الديانة المسيحية ذات حظوة ونفوذ فى بلاط الايلكخان وفضلا عن وجود (دقوزخاتون) المسيحية زوجة هولاكو ، كان هناك عدة أميرات مسيحيات نسطوريات(٣٤) .

ثم كان الصدام حتميا بين الاتجاهين المتناقضين فى امبراطورية المغول الاتجاه الاسلامى الذى يمثله بركة خان والاتجاه الوثنى الصليبى الذى يمثله هولاكو ، وحدث الصدام ، وكان على رأس أسبابه الناحية الدينية ، فقد وقف بركة خان موقف الحامى للمسلمين من اضطهاد هولاكو ، بالاضافة إلى الرغبة فى استعادة اقليم القوقاز الذى ضمه القآن مونكوخان إلى أملاك هولاكو .

أما تاريخ هذا الصدام ، فيذكر النويرى أنه كان سنة ٦٥٣هـ = ١٢٥٥م أى قبل غزو هولاكو لبغداد ، وذكر أنه لما اتصل ببركة خبر هولاكو ، وقربه من البلاد سار بجيوشه للقائه ، وكان بينهما نهر يسمى نهر ترك ، وقد جمد ماؤه لشدة البرد ، فعبر عليه هولاكو بعساكره إلى بلاد بركة ، فلما التقوا واقتتلوا كانت الهزيمة على هولاكو فلما وصل إلى هذا النهر تكردس أصحابه عليه فانخسف بهم ، فغرق منهم خلق كثير ، ورجع هولاكو بمن بقى معه من أصحابه إلى بلاده(٣٥) ، ويذكر رشيد الدين لهذا الصدام تاريخين مختلفين ، فيذكر مرة أنه كان سنة ٦٦٥ هـ = ١٢٦٦ م ويذكره مرة أخرى أنه بدأ سنة ٦٦١ هـ = ١٢٦٢ م(٣٦) .

ولعل التاريخ الثانى الذى ذكره رشيد الدين أصح هذه التواريخ؛ لأن هولاكو توفى قبل عام ٦٦٥هـ = ١٢٦٦ م ، كما أن هذا التاريخ يتفق مع سياق الأحداث ، فإلى هذا العام ترجع أولى سفارات بركة إلى مماليك مصر ، وقد أشار النويرى إلى هذه السفارة ، وذكر أن بركة بعث إلى السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحى ملك الديار المصرية والممالك الشامية فى سنة ٦٦١ هـ = ١٢٦٢ م ، يخبره بما من الله به عليه

---

(٣٣) ابن كثير البداية والنهاية جـ ١٣ صـ ٢١٩ .

(٣٤) المصدر السابق جـ ١٣ صـ ٢٤٨ ويسمى زوجة هولاكو (ظفر خاتون) وذكر أنها تنصرت ، وكانت تفضل النصارى على جميع الخلق . وانظر برتولد شبولر مرجع سبق صـ ٦٤ ، صـ ٦٥ .

(٣٥) النويرى نهاية الأدب جـ ٢٧ صـ ٣٥٩ .

(٣٦) رشيد الدين جامع التواريخ م ٢ جـ ١ صـ ٣٣٤ ـ صـ ٣٣٥ .

من الاسلام ، فأجابه السلطان يهنيه بهذه النعمة ، وجهز له هدايا جليلة ، وكتب إليه يغريه بهولاكو ، ويحضه على حربه(٣٧) .

وفى اطار هذا التحالف الذى تم بين بركة ملك القبائل الذهبية وبين المماليك فى مصر ، طلب بركة من رجال جيشه الذين اشتركوا مع هولاكو فى غزو بغداد ، بترك جيش هولاكو والانضمام إلى المماليك فى مصر – كما سبق – وكان التحالف بين مملكة القبائل الذهبية ومصر لاعتبارات كثيرة(٣٨) يأتى فى مقدمتها العامل الدينى الذى كان له أثره فى علاقات شعوب الشرق ، فقد ربط الاسلام بين بركة وحكام مصر من المماليك .

وبعد وفاة هولاكو ، تولى ابنه « أباقا » أو « أبغا » حكم ايلكخانية ايران ، وواصل سياسة العداوة التى انتهجها أبوه ضد الاسلام ، وفى هذا الصدد بادر بإرسال جيش لقتال بركة خان سنة ٦٦٣ هـ = ١٢٦٤ م وبعث بركة بجيشه ، وكانت الدائرة على جيش أباقا (أبغا)(٣٩) .

وكان أباقا يميل إلى البوذية كأبيه ، وكان يشجع انتشارها بين بلاطه وأفراد شعبه ، ويبدو أن الحكام المغول فى ايلكخانية إيران كانوا قد تخلوا عن تأييد الديانة الشامانية فى هذه الفترة من التاريخ ، كما تخلوا عن سياسة عدم المبالاة بالنسبة للأديان ، ويقال إن أباقا شيد عددا كبيرا من المعابد البوذية فى عديد من المدن الايرانية ، وحتى فى بعض القرى ، وهذا يمثل تحديا صريحا لمشاعر جماهير المسلمين فى هذه المناطق الاسلامية .

ولم تكتب لمحاولات نشر البوذية النجاح ، وتمسك المسلمون بعقيدتهم الدينية ، وتصدوا لتسلط أباقا الذى كان يتظاهر – كذبا – بتطبيق مبدأ الحرية الدينية لرعاياه ، انطلاقا من مبادىء الياسا ، ومن جهة أخرى حرص أباقا على مضايقة المسلمين بتشجيع المسيحية ، وفتح الباب أمام المبشرين ، وكانت هذه الفترة هى العصر الذهبى بالنسبة لليعاقبة والنساطرة ، فقد تجددت كنائسهم ، وانتشرت بعثتهم التبشيرية ، وقد أظهر أباقا ميلا وعطفا للمسيحيين ، وكل هذا على حساب جماهير المسلمين .

وكانت إحدى زوجات أباقا مسيحية ، وكانت أميرة بيزنطية على المذهب الأرثوذكسى ، وبعض أمراء وأميرات البيت المالك المغولى اعتنقوا المسيحية ، وبدا واضحا للغرب المسيحى أن النصرانية سوف تنتصر فى النهاية ، ومما زاد فى تفاؤل الغرب المسيحى أن الايلكخانات لم يكن لديهم رغبة فى اعتناق الاسلام ؟ وهو دين الشعب الذى يحكمونه ، فقد كان المسلمون منقسمين إلى سنة وشيعة ، وحدثت مواجهات عدائية سافرة بينهما(٤٠) .

انتصار الاسلام :

لقد كان عصر هولاكو وابنه أباقا فى ايلكخانية ايران ، يمثل ذروة ما وصل إليه تيار التعصب ضد الاسلام ومحاربته ، وقد خرج الاسلام – كدين وعقيدة – من هذا الصراع مع الوثنيين والصليبيين مرفوع الهامة ثابت الخطا ، والحقيقة أن ما لحق بالمسلمين من هزائم وتقهقر على يد جنكيزخان وهولاكو وغيرهما ، هو هزيمة للمسلمين وليس للاسلام ، وما لحق بهم ذلك إلا لبعدهم عن مبادئه

(٣٧) النويرى نهاية الأدب حـ ٢٧ صـ ٣٦٠ .

(٣٨) من هذه الاعتبارات الناحية التجارية فقد أبرمت معاهدة تجارية بين مصر ومملكة القبائل الذهبية بموجبها يستمر تصدير العبيد من شواطىء البحر الأسود إلى مصر ، هذا إلى تشابه العادات والتقاليد بين المماليك ومغول القبائل الذهبية حيث ينتمى الجميع إلى منطقة أواسط آسيا انظر برتولد شبولر مرجع سبق صـ ٥٢ – صـ ٥٣ .

(٣٩) النويرى نهاية الأدب حـ ٢٧ صـ ٣٦١ وقد ذكر أن بركة خان توفى بعد هذه المعركة بسنتين أى عام ٦٦٥ هـ = ١٢٦٦ م .

(٤٠) ابن كثير البداية والنهاية حـ ١٣ صـ ١٩٦ وانظر برتولد شبولر مرجع سبق صـ ٦٥ .

وأخلاقياته فى الاتحاد والتعاون والأخذ بأسباب القوة وغير ذلك[٤١] .

هذا وقد وجد الاسلام طريقه إلى حكام الدولة الايلكخانية بقوته الذاتية ، وبساطته وملاءمته للفطرة التى فطر الله الناس عليها ، فقد تحول حكام هذه الدولة إلى الاسلام ، وذلك بعد وفاة أباقا ٦٨١هـ = ١٢٨١م[٤٢] ، فقد تولى أخوه « توكـدار » أو « نيكودار » السلطة ، وأعلن فور توليه اعتناق الاسلام عن اقتناع خالص بهذا الدين ، واتخذ له اسما جديدا هو أحمد ، وبعث إلى أهل بغداد يبشرهم بذلك ، وبتطبيق شريعة الاسلام ، وكتب إلى السلطان (قلاوون) بمصر[٤٣] ، ولكن الجماعات البوذية المتطرفة أزعجها ما حدث ، وتآمرت ضده ، وأسقطته بعد سنتين من حكمه ، وعملت على الانتقام من المسلمين ، ولم يكن ذلك منها إلا محاولات يائسة لاطفاء نور الاسلام وكان كذلك بمثابة صحوة الموت النهائى ، فلم تمض سنوات قلائل حتى تولى العرش « غازان » ٦٩٤هـ = ١٢٩٥م الذى أعلن إسلامه ، وترك الديانة البوذية التى كان يعتنقها ، وكان ذلك نقطة فاصلة فى تاريخ دولة المغول فى إيران ، فقد استقر فيها الاسلام إلى ما شاء الله .

وهكذا فقد انتصر الاسلام فى آخر المطاف ، ويمكن أن نقول إن المغول إذ كانوا قد هزموا المسلمين فى بلادهم عسكريا ، وانتصروا عليهم سياسيا فى البداية ، فإن الاسلام قد غزاهم فكريا وانتصر عليهم حضاريا فى النهاية ، فقد دخل عدد كبير من المغول الاسلام ، وتبعهم غيرهم ، ونكست أعلام البوذية ، وحولت معابدها إلى مساجد ، أما المسيحية النسطورية فقد أخذت فى الذبول والخمود ، وتحول بعض أفراد هذه الطائفة إلى الاسلام ، والذين بقوا على دينهم انسحبوا وسكنوا الجبال الجرداء شمال الفرات الأعلى[٤٤] .

كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ المجادلة

والحمد لله رب العالمين

امبراطورية المغول فى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى)
(١) - الإمارات الروسية الخاضعة للقبائل الذهبية

---

(٤١) أورد النويرى قصة تؤكد ما أشرنا إليه حيث تحاورت زوجة قائد مغولى مع أحد الخطباء ؛ فقالت له : أنتم خير عند الله أم نحن ؟ قال : بل نحن قالت فاذا كنتم خيرا منا عنده فكيف نصرنا عليكم ؟ فقال هذا الثوب الذى عليك ـ وكان ثوبا نفيسا ـ نعطيه لمن يكون خاصة بك أم بعيدا عنك ؟ قالت بل أخص به من يختص بى قال فإذا أضاعه وفرط فيه ودنسه ما كنت تصنعين به ؟ قالت أنكل ؟ واقتله فقال لها دين الاسلام بمثابة هذا الجوهر والله أكرمنا به فما رعيناه حق رعايته فغضب علينا وضربنا بسيوفكم واقتص منا بأيديكم ... الخ نهاية الأدب حـ٢٧ صـ٣٥١ ـ صـ٣٥٢ .

(٤٢) المصدر السابق حـ٢٧ صـ٤٠٠ وابن كثير البداية والنهاية حـ١٣ صـ٢٩٧ .

(٤٣) النويرى نهاية الأدب حـ٢٧ صـ٤٠٠ ـ صـ٤٠٢ وابن كثير البداية والنهاية حـ١٣ صـ٢٩٧ وعندما أن توكدار (أحمد) ابن لأبغابوليس خاله كما ذكر النويرى وغيره وانظر برتولد شبولر مرجع سبق صـ٦٩ ـ صـ٧٣ .

(٤٤) برتولد شبولر المرجع السابق .

لحظات طيبات مع :

الإمام عبدالله بن المبارك

اعداد : عادل خفاجة

• قال ابن المهدى : « ما رأيت أنصح للأمة من ابن المبارك » .

• وقال محمد بن عبد الوهاب الفرَّاء : « ما أخرجت خراسان مثل هؤلاء الثلاثة : ابن المبارك ، والنضر بن شميل ، ويحيى بن يحيى » .

• وقال عَمار بن الحسن فى مدحه :

إذا ســـار عبـد الله من مرو ليلة
فقـــد نسار منها نورهـــا وجمالها
إذا ذكـر الأحبـــار فى كل بلـــدة
فهـــــم أنجم فيها وأنت هلالها

هو الإمام عبد الله بن المبارك بن واضح شيخ الإسلام وعالم زمانه وأمير الأتقياء فى وقته أبو عبدالرحمن ، أحد من أنجبتهم « مرو » ، فهو مروزى ، أبوه تركى ، وأمه خُوَارِزمية . طلبَ العلمَ وهو ابن عشرين سنة .

فسمع من : سليمان التيمى ، وعاصم الأحول ، وحُمَيد الطويل ، وهشام بن عُرْوة ، والجُرَيْرى ، وإسماعيل بن أبى خالد ، والأعمش ، وبُريد بن عبد (الله) بن أبى بُرْدة ، وخالد الحذَّاء ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، وعبد الله بن عَوْن ، وموسى بن عُقْبة ، وأجلح الكِنْدى ، وحسين المعلِّم ، وحنظلة السَّدوسى ، وحَيْوة بن شُرَيح المصرى ، وكَهْمَس ، والأوزاعى ، وأبى حنيفة ، وابن جُرَيج ، ومَعْمر ، والثَّورى ، وشُعبة ، وابن أبى ذئب ، ويونس الأيلى ، والحمَّادَين ، ومالك ، والليث ، وابن لَهيعة وابن عيينة وغيرهم كثير .

وحدَّث عنه : مَعْمَر ، والثورى ، وأبو إسحاق الفزارى ، وابن وَهْب ، وابن مَهْدى ، وأبو داود ، وعبد الرزاق بن همَّام ، والقطَّان ، وعفَّان ، وابنُ مَعين ، وحِبَّان بن سَلَمَة المِنْقَرى ، ومُسْلم بنُ إبراهيم ، وعَبْدان ، والحسن بن الربيع البُورانى ، وأحمد ابن مَنيع ، وعلىُّ بن حُجْر ، والحَسن بن عيسى بن ماسَرْجس ، والحسين بن الحسن المَروزى ، والحسَنُ ابن عَرفة ، وإبراهيم بن مُجَشِّر ، ويعقوبُ الدَّورق ، وأممَ يتعذر إحصاؤهم ، ويشُقُّ استقصاؤهم .

وحديثُه حجةٌ بالإجماع ، وهو فى المسانيد والأصول[1] .

حب الناس له : كان الإمام عبد الله بن المبارك يتمتع بقدر كبير من حب الناس ، قال أشعث بن شعبة المصيصى : « قدمِ الرشيد الرَّقَّة ، فانجفل الناس خلف ابن المبارك ..... وارتفعت الغبرة ، فأشرفت أمُّ ولد لأمير المؤمنين من برج قصر الخشب ، فقالت : ما هذا ؟ قالوا : عالم من أهل خُراسان ، قدم . قالت : هذا والله المُلْكُ ، لا ملك هارون الذى لا يجمع الناس إلا بشُرَط وأعوان »[2] .

ولم يكن حب الناس له إلا ثمرة كفاح ، وعمل ، وعِلْم جمع علمه على مر السنين ، وممارسة أصيلة فى التطبيق ، ولم يكن حب الناس له إلا توأم حب حمله لهم فى قلبه ؛ يؤثرهم بما معه ويقدمهم على نفسه ، وقد صادف هذا قلباً ذاكراً وعقلاً واعياً جمع الحديث ، والفقه ، والعربية ، وأيام الناس (التاريخ) .

ومن دلائل كرمه وحبه لأصدقائه ما فعله مع إخوانه من أهل « مرو » :

فقد حدث أن جاءه بعض إخوانه من أهل « مرو » فقالوا له : نصحبك فى حجك ، فقال : هاتوا نفقاتكم . فجعلها فى صندوق ، وأقفل عليها ثم اكترى له ، وأخرجهم من مرو إلى بغداد ، وما زال يطعمهم أطيب الطعام ، ثم أخرجهم من بغداد بأحسن زى وأكمل مروءة حتى وصلوا إلى مدينة رسول الله ـ ﷺ ـ فقال لكل واحد : ما أمرك عيالك أن تشترى لهم من المدينة من طُرَفها ؟ فيقول : كذا وكذا ، فيشترى لهم ، وكذا إذا دخلوا مكة ، فما زال ينفق عليهم حتى يعودوا إلى « مرو » . فما أن مرت ثلاثة أيام ، حتى عمل لهم وليمةً ، فإذا أكلوا وسُرُّوا ، دعا بالصندوق ، ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صُرَّته ، عليها اسمه .

ومن طريف ما روى عن كرمه وجوده ـ ويعكس شدة خوفه من اليوم الآخر ـ ما رواه سلمة بن سليمان قال : « جاء رجل إلى ابن المبارك ، فسأله أن يقضى ديناً عليه ، فكتب له إلى وكيل له ، فلما وَرد عليه الكتابُ ، قال له الوكيُل : كم الدَّينُ الذى سألتَه قضاءه ؟ قال : سبع مئة درهم ، وإذا عبدُ الله قد كتب له أن يُعطيه سبعة آلاف درهم ، فراجعه الوكيلُ ، وقال : إن الغلَّات قد فَنِيَتْ ، فكتب إليه عبدُ الله : إن كانت الغلَّاتُ قد فنيت ، فإن العمر أيضاً قد فنى ، فأجزْ له ما سبق به قلمى[3] .

جمع ابن المبارك ـ رحمه الله ـ بين العلم ، والفقه ، والأدب ، والنحو ، والإنصاف ، والزهد ،

---

(١) أنظر سير أعلام النبلاء : حـ ٨ ص ٣٨٠ .

(٢) أنظر تاريخ بغداد ١٠/١٥٦ .

(٣) تاريخ بغداد ١٠/١٥٧/١٥٨ .

والفصاحة والشعر ، وتحكى خاصته أن له جانباً من قيام الليل ، والحج ، والغزو ، والفروسية ، وترك الكلام فيما لا يعنيه ، وقلة الخلاف على أصحابه(٤) .

وتكفى هاتان الأخيرتان دليلاً على طلبه العلم لله ، وبذله لله .

وكان ابن المبارك تواقاً للحج ، فإذا خرج إلى مكة أنشد يقول :

بغض الحياة وخوف الله أخرجنى
وبيع نفسى بما ليست له ثمناً
إنى وزنت الذى يبقى ليعدله
ما ليس يبقى فلا والله ما اتزنا

بهذه المشاعر يخرج ابن المبارك قاصداً بيت الله الحرام ، فإذا ما وجد نفسه عند بئر زمزم . وتذكر قول النبى - ﷺ - : « ماء زمزم لما شرب له »(٥) نجده يأخذ شربة ، ويستقبل القبلة ويقول : « اللهم إن ابن أبى الموال ، حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر ، عن النبى - ﷺ - أنه قال : « ماء زمزم لما شرب له » وهذا أشربه لعطش القيامة » ويشربه .

وكان ابن المبارك شاعراً مفوهاً ، ومن شعره لأهل العلم :

فَكَيْفَ قَرَّتْ لِأَهْلِ العِلْمِ أَعْيُنُهُم
أو اسْتَلَذُّوا لَذِيذَ النَّومِ أو هَجَعُوا
والنَّارُ ضَاحِيَةٌ لَا بُدَّ مَوْرِدُها
وَلَيْسَ يَدْرُونَ مَن يَنْجُو وَمَنْ يَقَعُ
وَطَارَتِ الصُّحُفُ فى الأَيدى مُنَشَّرَةً
فِيها السَّرائِرُ والجَبَّار مُطَّلِعُ
إمَّا نَعِيمٌ وعَيْشٌ لا انْقِضَاءَ لَهُ
أو الجَحِيمُ فَلَا تُبْقِى ولا تَدَعُ
تَهْوى بِسَاكِنِها طَوْراً وَتَرْفَعُه
إِذَا رَجَوْا مَخْرَجاً مِنْ غَمِّها قُمِعُوا
لِيَنفعِ العِلْمُ قَبْلَ المَوْتِ عَالِمَهُ
قَد سَالَ قَوْمٌ بِهَا الرُّجْعى فَمَا رَجَعُوا

• ومما قاله مادحاً الفاتحين :

يَا عَابِدَ الحَرمَيْنِ(٦) لَوْ أَبْصَرْتَنَا
لَعَلِمْتَ أَنَّكَ فى العِبَادَةِ تَلْعبُ
مَن كَانَ يَخْضِبُ جِيده بِدُمُوعِه
فَنُحورُنا بِدِمائِنا تَتَخضَّبُ
أَوْ كَانَ يُتْعِبُ خَيْلَه فى بَاطِلٍ
فَخُيولُنا يَوْمَ الصَّبِيحَةِ تَتْعَبُ
رِيحُ العبير لكم ونحن عبيرنا
رَهَجُ السَّنابِك والغُبَارُ الأَطْيبُ
وَلَقَدْ أَتَانَا مِنْ مَقَالِ نَبِيِّنَا
قَوْلٌ صَحِيحٌ صَادِقٌ لا يُكْذَبُ
لا يَسْتوى وغُبَارُ خيل اللَّهِ فى
أَنْفِ امْرِىءٍ ودُخَانُ نَار تَلْهبُ(٧)
هذا كِتابُ اللَّهِ يَنطِقُ بَيْنَنا
لَيْس الشهيدُ بميتٍ لا يُكْذَبُ

عاش ابن المبارك ضارباً المثل الطيب للمسلم المتبع ، وله حِكم طيبات منها :

• « من إستخف بالأمراء ذهبت دنياه ، ومن استخف بالعلماء ذهبت آخرته » .
• وسئل عن العُجْب ، فقال : « أن ترى أن عندك شيئاً ليس عند غيرك » .
• وقد سئل : إلى متى تكتب ؟ فقال : « لعل الكلمة التى أنتفع بها لم أكتبها بعد » .
• من بخل بالعلم ابتلى بثلاث : إما موتٌ يُذهِبُ علمه وإما يُنَسَّى ، وإما يلزم السلطان ، فيذهب علمه .

وفاته :

كانت وفاته - يرحمه الله - لعشر مضين من رمضان سنة مائة واحدى وثمانين ، ودفن بـ (هيت) .

ومر بقبره أحد الفضلاء فقال :

مَرَرْتُ بِقَبْرِ ابْنِ المُبارك غُدْوةً
فَأَوْسَعَنى وعْظاً وَلَيْسَ بِنَاطِقِ
وَقَدْ كُنْتُ بِالعِلْمِ الَّذى فى جَوَانِحى
غَنِيّاً وبِالشَّيْبِ الَّذى فى مَفَارِقى
وَلكِنْ أَرَى الذِّكْرى تُنَبِّه عَاقِلاً
إِذَا هِى جَاءَتْ مِنْ رِجَالِ الحَقَائِقِ

(٤) سير أعلام النبلك : حـ ٨ ص ٣٩٧ .
(٥) أخرجه الإمام أحمد مسنده حـ ٣/٣٥٧ .
(٦) أى متعبداً فى الحرمين .
(٧) يشير إلى حديث رسول الله - ﷺ - « لا يجتمع غبارٌ فى سبيل الله ودخان جهنم فى جوف عبد أبداً ، ولا يجتمع الشح والإيمان فى قلب عبد أبداً » أخرجه الإمام أحمد فى مسنده حـ ٢/٢٥٦ .

أبى بن كعب
سيد المسلمين

للأستاذ الدكتور/ عبدالعزيز غنيم

كان العرب فى جاهليتهم أميين وكان الذين يقرأون ويكتبون منهم قليلين بعضهم فى مكة وبعضهم فى المدينة . وبعضهم فى غيرهما من المدن القليلة المتفرقة فى أنحاء شبه الجزيرة . وكان أبى بن كعب من الذين يعرفون القراءة والكتابة فى يثرب . فلما أرسل النبىُ ـ عليه الصلاة والسلام ـ إليها مصعب بن عمير ، وعبد الله بن أم مكتوم . يدعوان أهلها إلى الإسلام ويتلوان عليهم القرآن . هدى الله أبى فيمن هداهم إلى الحق من أبناء الأوس والخزرج . ولما حان موسم الحج . خرج فيمن خرج من قومه لزيارة البيت وأداء المشاعر والمناسك . وكان ـ رضى الله عنه ـ من بين السبعين الذين استقبلوا ـ النبى عليه الصلاة والسلام ـ عند العقَبة . وبايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه الأزر والذرية . ولما أذن ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لأصحابه فى الهجرة . وآخى بينهم وبين الأنصار آخى بين أبى وبين سعيد بن زيد بن عمرو ، أو آخى بينه وبين طلحة الخير بن عبيد الله .

يقول المؤرخون : إن أبى بن كعب قد كان نجاريًا خزرجيًا من جهة أبيه . وكان نجاريًا خزرجيًا من جهة أمه . فهو أبى بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، وأمه سهيلة بنت الأسود بن حرام بن عمرو من بنى مالك بن النجار .

وقد كان أبى رفيع المنزلة فى قلب النبى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ والدليل على هذا أنه لما دخل المدينة أدناه منه ، وأئتمنه على كتابة الوحى بين يديه ؛ فكان ـ رضى الله عنه ـ أول من كتب له صلى الله عله وسلم من الأنصار ، ولم يكن يكتب له القرآن وحسب ، وإنما كان يكتب له رسائله كذلك . ويظهر أنه ــ عليه الصلاة والسلام ـ قد أسند إليه هذه الوظيفة بصفة دائمة . فقد ذكر الرواة أنه كان يكتب بين يديه فإذا غاب أو مرض استدعى زيد بن ثابت . فأنابه عنه وقد كان لهذا العمل الذى قلده النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ إياه أثره فى حفظه للقرآن . وتكريسه وقته وجهده لتلاوته . فقد ذكر الرواة أنه كان أحد النفر الأربعة الذين كانوا يحفظون القرآن كله ، وهـم : عبد الله بن مسعود ، وأبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وسالم مولى أبى حذيفة . وأنه كان يختمه فى ثمانى ليال .

ويظهر أن أبيًا قد كان نسيجا ـ وحده ـ فى ترتيل القرآن وتجويده . وأنه قد أوتى صوتًا رخيًا نديًا أخاذًا يخلب المشاعر ويجذب العواطف ويصل إلى شغاف الأنفس وأعماق الأفئدة . والدليل على هذا قول النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فيه : أقرأ أمتى أُبى[1] ، وشهادته له ـ وهو يصنف أصحابه ـ ويُعزى كلًا منهم إلى ماحذقه ونبغ فيه ، واسمع إلى ما روى عنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فى ذلك « أرحم أمتى بأمتى أبو بكر ، وأقواهم فى دين الله عمر ، وأصدقهم حياء عثمان ، وأقضاهم على بن أبى طالب ، وأقرؤهم أبى بن كعب ، وأفرضهم زيد بن ثابت ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذى لهجة أصدق من أبى ذر ، ولكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيـدة بن الجراح[2] » . وأوضح من هذا وأصرح ما رواه الثقاة من أن الله تعالى أمر نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يقرأ على أبى قوله تعالى « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون[3] » . وفى رواية أخرى : « أن الله أمر النبى ـ صلوات الله عليه ـ أن يقرأ عليه سورة البينة[4] » من البداية حتى النهاية . وقد أثر هذا الأمر الالهى فى أُبى ـ رضى الله عنه ـ فقال : يا رسول الله ، الله سمانى لك قال : الله سماك لى . فجعلت عيناه تذرفان[5] . وقد علق الحافـظ بن كثير على هذه الروايات : فذكر أن المقصود بالقراءة هنا . قراءة الإبلاغ والاسماع . وليست القراءة التى يتعلم منها ـ وهذا حق ـ فإن أبى لايمكن أن يعلم النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ كيف يقرأ القرآن ؟ وقد تسأل . وما السبب الذى من أجله أمر النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يقرأ أو يعرض على أبى .

والجواب : ما رواه الرواة من أن أبى سمع رجلًا يقرأ سورة البينة على غير طريقته . فرفعه إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال له : اقرأ السورة فقرأ فقال : هكذا أنزلت وقال للمشكو منـه : وأنت فاقرأها فقرأها فقال : هكذا أنزلت . فأعتلج الشك فى نفس أبى . فهبط جبريل على رسول الله . وأمره أن يقرأ السورة الآنفة الذكر على أبى وأن يبين له . أن القرآن لم ينزل على حرف واحد ولا على لهجة واحدة وأنما نزل على سبعة أحرف .

لم يقتصر نشاط أبى بن كعب على حفظ القرآن وكتابته بين يدى النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وحسب . وإنما كان فارسًا يغشى المعامع ، ويخوض المعارك ويحمل روحه على كفه فى سبيل إعلاء راية الحق

(١) الطبقات الكبرى جـ٣ ص٤٩٨ .

(٢) الاستيعاب جـ١ ص٥٠ .

(٣) البداية والنهاية جـ٥ ص٣٤٠ .

(٤) الطبقات الكبرى جـ٣ ص٥٠٠ .

(٥) البداية والنهاية جـ٥ ص٣٤٠ .

ونشر أضواء الإسلام ، وقد سجل الرواة : أنه شهد المشاهد كلها تحت لواء النبى — صلوات الله عليه — فلم يغب عن موطن ، ولا تخلف عن غزوة .

وفى ميدان العلم والفقه كان أبى بن كعب أمة وحده يبحث ويدرس . ويستنبط ويجيب على ما يطرح عليه من القضايا والمسائل . سأله رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يومًا : أى آية معك من كتاب الله أكبر ؟

فقال : « الله لا إله إلا هو الحى القيوم » . فضرب على صدره وقال : ليهنك العلم يا أبا المنذر .

وكان يعد — رضى الله عنه — فى الستة الذين كانوا يفتون الناس فى عهد النبى — عليه الصلاة والسلام — وعهد الشيخين أبى بكر وعمر .

وكان الفاروق — رضوان الله عليه — يستشيره فى المعضلات والمشكلات كان — رضى الله عنه — أقرب إلى أهل الحديث .

وقد قيل : « ثلاثة كان يستفتى بعضهم من بعض : فكان عمر وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت يستفتى بعضهم من بعض ، وكان على وأبى بن كعب وأبو موسى الأشعرى يستفتى بعضهم من بعض » . ولعل هذا هو السبب الذى من أجله لم يكن أبى يجيب عن المسائل التى كانت تفترض افتراضًا ويقتصر على الموجود والمعقول فيها . سأله رجل عن مسألة . فقال له يا ابن أخى أكان هذا ، قال : لا ، قال أبى : فاجمنا حتى يكون ، فإذا كان اجتهدنا لك رأينا .

وقد كانت فى أبى — رضى الله عنه — رثاثة فى المظهر ، وزهادة فى المأكل والمسكن . قال جندب بن عبد الله البجلى : أتيت المدينة ابتغاء العلم فدخلت مسجد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فإذا الناس فيه حلق يتحدثون ،فجعلت أمضى الحلق حتى أتيت حلقة فيها رجل شاحب عليه ثوبان كأنما قدم من سفر ، قال فسمعته يقول : هلك أصحاب العُقدة ورب الكعبة ولا آسى عليهم ، أحسبه قال مرارًا . قال فجلست إليه فتحدث بما قضى له ، ثم قام . قال : فسألت عنه بعدما قام ، قلت من هذا ؟ قالوا : هذا سيد المسلمين أبى بن كعب ، قال فتبعته حتى أتى منزله فإذا هو رث المنزل رث الهيئة ، فإذا رجل زاهد منقطع يشبه أمره بعضه بعضًا . فسلمت عليه فرد علىّ السلام ، ثم سألنى ؟ ممن أنت ؟ قلت : من أهل العراق ، قال أكثر منى سؤالًا : قال لما قال ذلك غضبت ... فجثوت على ركبتى ورفعت يدى — هكذا — وصفهما حيال وجهه ، فاستقبلت القبلة ... قلت : اللهم نشكو هم إليك ، إنا ننفق نفقاتنا وننصب أبداننا ، ونرحل مطايانا ابتغاء العلم فإذا لقيناهم تجهموا لنا وقالوا لنا : قال : فبكى أبى وجعل يترضانى ويقول : ويحك لم أذهب هناك . لم أذهب هناك . قال : ثم قال : اللهم إنى أعاهدك لئن ابقيتنى إلى يوم الجمعة لأتكلمن بما سمعت من رسول الله « لا اخاف فيه لومة لائم » .

ومادمنا قد تطرقنا إلى وصف الرجل وما كان عليه من الخشونة والنسك فلنمض فى هذا الطريق ونذكر أنه كان دحداحًا لا طول فيه ولا قصر وأنه كان أبيض الوجه والرأس لا يغير شيبه ولا يختضب كما كان يفعل غيره . وأنه لم يل من المناصب فى حياة النبى — عليه الصلاة والسلام — سوى كتابة الوحى وغيره من الرسائل والحوائج . والأمر كذلك بالنسبة للشيخين ، فإن أبى بن كعب — رضى الله عنه — لم يتقلد فى عهدهما قيادة جيش ولا إمارة بلد . وأنما بقى إلى جانبهما يشير عليهما وينصح لهما . وقد روى أنه — رضى الله عنه — قال لعمر — يوماً : لِمَ لَمْ تستعملنى ؟ فقال له : لأنى أخشى أن أدنس دينك .

وصفوة القول : أن أبى بن كعب كان حافظًا للقرآن كاتبًا له . قضى حياته كلها فى تدبر آياته واستنباط أحكامه واستخراج كنوزه ، وأسراره ونشر ذلك فى إخلاص وأمانة ، وقد كانت له حلقة فى مسجد النبى — عليه الصلاة والسلام — فى المدينة يقصد إليها طلاب العلم والفقه . وكان من تلاميذه الذين رَوَوْا عنه : عمر —.وأبو أيوب — وعبادة بن الصامت وسهل بن

سعد وأبو موسى وابن عباس وأبو هريرة وسليمان بن صرد ـ رضى الله عنهم .

وقد اختلف المؤرخون فى وفاته ، أكانت فى خلافة عمر ، أم فى خلافة عثمان ـ رضى الله عنهما ـ فذهب فريق إلى انها كانت فى خلافة عمر ، وفى العام التاسع عشر أو الحادى والعشرين أو العام الذى يليه . وذهب آخر إلى أن وفاته قد كانت فى العام المكمل للثلاثين . ومن الناس من يدعى أنه قد امتد به الأجل حتى الجمعة السابقة على استشهاد عثمان . وعندى ان الرجل قد عاش حتى العام المكمل للثلاثين .

والدليل على ذلك أن زر بن حبيش قد لقيه فى خلافة أمير المؤمنين عثمان ، وحجة ثانية : وهى أن ذا النورين لما عزم على جمع القرآن الكريم فى مصحف واحد اختار لهذه المهمة اثنى عشر رجلا كان منهم أبى بن كعب .

ومهما يكن من شىء فان أبيا ـ رضى الله عنه ـ كان جالساً عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال له رجل : يا رسول الله : أرأيت هذه الأمراض التى تصيبنا ما لنا فيها ؟ قال : كفارات ، فقال أبى بن كعب : يا رسول الله وان قلت . قال : وإن شوكة فما فوقها . فدعا أبى أن لا يفارقه الوعك حتى يموت وان لا يشغله عن حج ولا عمرة ولا جهاد ولا صلاة مكتوبة فى جماعة . فما مس إنسان جسده إلا وجد حَرَّهُ حتى مات (الاصابة ١/٢٠) .

وقد روى جندب بن عبد الله . أن أبى بن كعب لما صعد إلى الرفيق الأعلى غصت طرقات المدينة بأهلها . وراح بعضهم يموج فى بعض . ولأنه لم يكن من المقيمين فيها ، فإنه سأل : عما يرى . فقالوا له : أغريب أنت ؟ قال : نعم . قالوا : مات اليوم سيد المسلمين . فرحم الله أبى بن كعب وأجزل له الأجر والمثوبة وحشره مع النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وحزبه « أُوْلَٰئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » .

مراجع المقال

(١) القرآن الكريم .

(٢) الحديث الشريف .

(٣) الاصابة لابن حجر .

(٤) الاستيعاب لابن عبد البر .

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد .

(٦) البداية والنهاية لابن كثير .

(٧) تاريخ الطبرى .

(٨) فجر الإسلام لأحمد أمين .

(٨) سورة المجادلة .

الفتـــاوى

إعداد الأستاذ: عبدالمنعم فودة

السؤال من السيد م ـ ع ـ ش :

زوجة تطلب الطلاق من زوجها بعد خمسة عشر عاما بسبب وجود عيب «عدم الانجاب» من الزوج وهذا ثابت بتقارير الأطباء المختصين أن الزوج كامل الرجولة والعضوية وهى تصر على طلب الطلاق لعدم الانجاب لأنها تقول أن من حقها الانجاب وسن الزوج ٤٥ سنة وسن الزوجة ٣٢ سنة . علما بأنه ثبت بالتقارير أن الزوج يعانى من ضعف فى الحيوانات المنوية يحتاج للعلاج وقد استمر العلاج خمسة عشر عاما ثم توقف . وهل يحق للزوج أن يتزوج من زوجة أخرى فى حالة عدم الانجاب وما الحكم ؟

الجـواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأنه بعد أن ثبت بالتقارير الطبية أن الزوج كامل العضوية والرجولة وأن هناك ضعف فى الحيوانات المنوية للزوج وقد استمر فى العلاج خمسة عشر عاما فاذا أرادت الزوجة أن تطلق نفسها من هذا الزوج كان لها أن ترفع أمرها إلى القضاء . كما أنه يجوز للرجل أن يتزوج من زوجة بعد مصارحتها بمرضه

هذا والله تعالى أعلم .

السؤال من أ ـ ح ـ ف :

عم والدى قد توفى إلى رحمة الله تعالى وترك زوجة وأرغب أن أتزوج منها على سنة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .... أفيدونى أفادكم الله .

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد فنفيد بأن الله سبحانه وتعالى بين فى كتابه الكريم وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم المحرمات من النساء تأبيداً وتأقيتاً ونسباً ومصاهرة ورضاعا وأحل ما وراء ذلك .

وزوجة عم الوالد ليست من المحرمات لا فى الكتاب الكريم ولا فى السنة المطهرة .

وعلى ذلك يجوز للسيد السائل شرعا أن يتزوج من زوجة عم والده المتوفى بعد انقضاء عدتها والله تعالى أعلم ،،،،

السؤال من السيد/ م ـ ع ـ م :

١ ـــ حلفت على زوجتى بقولى لها « أنت طالق » وكان ذلك قبل الدخول بها ، ثم ذهبت وحدى إلى أحد العلماء وراجعتها إلى عصمتى .

٢ ـــ ومرة ثانية بعد الدخول بها طلقتها مرتين بقولى لها أنت طالق/ فما الحكم ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد .

فنفيد عن الأول بأنه يقع به طلقة واحدة بائنة بينونة صغرى حيث كانت قبل الدخول بها فلا تحل له الا بعقد ومهر جديدين وبرضاها ، وحيث أنه راجعها أمام أحد العلماء فان الرجعة لا تجوز ويجب على الزوج الآن أن يعقد عليها عقدا جديدا بشهود وولى ، وبناء على ذلك فان الطلقتين اللتين حصلتا بعد الدخول غير محسوبتين حيث إن المرأة فى هذه الحالة ليست زوجة له والله تعالى أعلم ،،،،

السؤال من السيد الدكتور/ م ـ ج ـ أ :

تعاقدت إحدى الشركات مع مستشفى خاص لعلاج مرضاها .

واشترط بعض موظفى هذه الشركة أن يأخذوا من المستشفى (١٠٪) مكافأة خاصة لهم حتي ييسروا تحويل المرضى إلى هذا المستشفى .

فما الحكم فى دفع هذا المبلغ لهؤلاء الموظفين ؟!

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد

فنفيد بأن هؤلاء الموظفين يأخذون المبلغ الذى يشترطونه رشوة لا تحل لهم ؛ لأنهم موظفون فى الشركة ليقوموا بكل ما تكلفهم به ، ويأخذون رواتبهم على هذا العمل فلا يحل لهم اشتراط مبلغ يأخذونه من أصحاب المستشفى والذى يقدم لهم هذا المبلغ مشارك لهم فى الاثم لقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ (لعن الله الراشى والمرتشى والرائش) وكون هؤلاء الموظفين لا يحولون المرضى لهذا المستشفى اذا لم يأخذوا العشرة فى المائة لا يبرر الدفع لهم .

والله الرزاق ، وهو ـ سبحانه وتعالى أعلم .

السؤال من السيد/ ع ـ ح ـ ف :

ماحكم الاحتفال باقامة السرادقات للميت واستقبال المعزين والتباهى بالانفاق عليها من احضار قارىء مسموع . وتقديم الأطعمة للمعزين . وتأخير الدفن لوقت معين لاجتماع الناس والنعى . وقراءة القرآن للميت وتقديم الصدقة ؟

الجــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد .....

فنفيد بأن المشروع عند الموت الاسراع بالتجهيز والجنازة للدفن بعد أن يمضى الوقت الذى يغلب على الظن فيه أن الوفاة قد تحققت ـ يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم : (أسرعوا بالجنازة فان تك صالحة فخير تقدمونها إليه ، وإن تك غير ذلك فشر تلقونه عن كاهلكم . رواه الترمذى ، وبذلك لا يشرع تأخير الدفن حتى يجتمع الناس ، كما لا يشرع النعى بالصورة المعروفة الآن من ذكر صفات الميت ووظائفه وأقربائه وصفاتهم فان ذلك من نعى الجاهلية ، وقد نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم ...

أما المشروع للنعى فهو الاعلان لأقربائه وأصدقائه بدون ذكر لصفاته ومراكزه ....

واقامة السرادقات والتباهى بإقامتها وإحضار القارئين المسموعين لها ، وتقديم الأطعمة للمعزين كل ذلك غير مشروع لما فيه من الاسراف فى الأموال والفخر على الناس والاضرار بالقُصَّر من ورثة الميت إذ أن صرف الأموال فى ذلك محرم ، وصرف أموال القصر فى ذلك أشد حرمة .

أما المشروع فهو أن يصنع الناس الطعام لأهل الميت فذلك نوع من المواساة .

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما قتل جعفر بن أبى طالب (اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد آتاهم ما يشغلهم) رواه الخمسة الا النسائى فصنيعة الطعام من أهل الميت للناس غير مشروعة .

ويحرم الذبح عند القبر ، أو عند خروج الميت من البيت حيث قد نهى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ذلك والمطلوب للميت أن يحسن غسله ، وأن يحسن تكفينه مما يحل له فى حياته ، وأن يكون من الثياب البيضاء ، وأن يجتمع أكبر قدر من الناس للصلاة عليه ، وأن يجتمعوا كذلك لتشييع جنازته لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (من تبع جنازة فله قيراط ومن تبع جنازة وصلى عليها فله قيراطان والقيراط مثل جبل أحد) رواه النسائى .

والذى ينفع الميت كذلك قراءة القرآن والدعاء له والاستغفار والصدقات من مال الميت إن كان قد وصى بذلك ، أو من مال البلغ من ورثته أن رضوا بذلك ، وأهم شىء إنما هو سداد ديونه . فإن النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه) وأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ امتنع عن الصلاة على جنازة ، لأنه مدين وصلى بعد أن تعهد أحد الصحابة بأداء دينه ، وأن الشهيد يغفر له كل شىء إلا الدين . فليتق الله المسلمون وليلتزموا شرع الله بعيدا عن التفاخر والرياء وبخاصة فى مثل هذه المواقف حتى لا تجتمع بلية النفس والمال .. والله تعالى أعلم .

من أعلام الأزهر

الأستاذ الشيخ

على محمد حسين حسب الله

رحمه الله

للأستاذ الدكتور مجاهد توفيق الجندى

نسبه ومولده ونشأته :

هو المغفور له العلامة الأشهر ، الفقيه البارع ، والأصولى المتقن ، والحجة المحقق حنفى زمانه البحاثة النادر ، الأستاذ الكبير الشيخ على محمد حسين حسب الله أسأل الله عليه شآبيب الرحمة .

كان ـ رحمه الله ـ آية فى دقة النظر ، واشتعال الذهن ، وتوقد الذكاء ، وهمة المطالعة ، وحل غوامض المشكلات ، واستنباط المسائل وتحرير الدلائل.

ولد ـ رحمه الله ـ فى ١ يناير سنة ١٨٩٥ م بمدينة (الاسماعيلية) وهى وقتئذ جيدة المناخ طيبة الهواء عذبة الماء .. وترعرع الشيخ فى هذه البلدة الطيبة المباركة حيث نشأ بين أبوين كريمين عرفا بالاستقامة ، وحسن الخلق والنبل ، وطيب الأورمة والكرم الحاتمى فهو سليل أسرة عربية ذات نبل ووفاء ومستوى رفيع من الأخلاق الطيبة .

ألحقه جده بمدرسة فى (الاسماعيلية) حفظ بها القرآن الكريم ، ولقد كان من حسن طالعه وجميل صنع الله به ، أن قيض الله له وهو فى هذه السن المبكرة أساتذة أجلاء اختصوه بمزيد من العلوم التى لم تكن ضمن برامج الدراسة فى المدرسة فقرأ عليهم مبادىء العلوم الإسلامية والعربية من نحو وصرف وفقه وتوحيد وما إلى ذلك بعد أن فاق أقرانه واستوعب العلوم المقررة فى منهاج الدراسة بالمدرسة من الحساب والتاريخ والتقويم وجودة الخط ، الأمر الذى حدا بأساتذته أن ينصبوه عريفا على التلاميذ يعيد لهم الدروس ، وينوب عنهم فى غيابهم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

٥ الكاتب : أستاذ بقسم التاريخ والحضارة ـ جامعة الازهر .

انتسب إلى الأزهر الشريف فى (١٣٢٥ هـ ١٩٠٧ م) تقريبا وهو أحرص ما يكون على تلقى العلوم من منابعها الصافية وأنهارها المتدفقة ، وكان العهد بالأزهر ـ إذ ذاك ـ الحرية المطلقة فى اختيار المدرس ، ومن أجل هذا اختار الشيخ على حسب الله أفضل العلماء وأحسنهم فى نظره ، فجلس فى حلقاتهم كامل الإنتباه ، مرهف الحس والعقل ، فكان فى دروسه متقدما ، يغبطه إخوانه على سعة علمه وقوة تفكيره ، فكان إخوانه يقصدونه ليجلى لهم ما خفى عليهم ويشرح لهم ما عسر فهمه ، وهو لم يزل طالبا ينهل من موارد أشياخه ويستقى من معين علمهم النقى الصافى .

لم يمكث الشيخ طويلا فى القسم الثانوى للأزهر ، فقد التحق بمدرسة القضاء الشرعى ـ وهى يومئذ قسم وجزء لا يتجزأ من الأزهر حيث درس له بها أعظم أساتذته والجدير بالذكر أنه فى امتحان القبول كان الأول على دفعته وعددهم تسع وتسعون طالبا ، وقد تخرج الشيخ على حسب الله من مدرسة القضاء الشرعى بعد أن حصل على (البيورلدى) : شهادة العالمية سنة ١٩٢٤م ومما جاء فيه بعد الديباجة .

« فشكرنا لكم هذا التقدم الجليل وقابلناه بالثناء الجميل ، حيث كان من أجل النعم المهمة لإصلاح الوطن ، وصلاح الأمة نشر أنوار أنواع العلوم والفنون ، إذ بها تستنير الأفكار ، وتزول ظلم الشبه والظنون لا سيما علم الشريعة المقدسة الطاهرة الذى هو عنوان السعادة فى الدنيا والآخرة ، إذ به تعظيم العبادات وتنظيم المعاملات ... الخ .

مدارج وظائفه :

حصل الشيخ على حسب الله على (دبلوم من دار العلوم) معادلة إجازة التدريس فى ٤ رجب سنة ١٣٤٦ هـ ، وعمل الشيخ بعد ذلك فى (تجهيزية دار العلوم) مدرسا من سنة ١٩٢٧م إلى أن ألغيت ، فعمل سنة من ١٩٣٥ م الى ١٩٣٦ م فى التدريس (بكلية الحقوق) جامعة (فؤاد الأول) وكلية البوليس الملكية منتدبا ، ثم عاد لمدرسة فؤاد الأول الثانوية سنة ١٩٣٦ م .

ثم عين فى دار العلوم من سنة ١٩٣٧ م إلى سنة ١٩٥٥ م ، ثم أحيل إلى التقاعد فى هذه السنة حيث كان معارا إلى (كلية الخرطوم) الجامعية من سنة ١٩٥٤ م حتى سنة ١٩٥٦ م ثلاث سنوات .

ثم عمل الشيخ فى عمل هو أبعد ما يكون عن تخصصه فأثبت فيه كفاءة نادرة يتحاكى بها القاصى والدانى ذلك أنه عمل مديرا إداريا للشركة الهندسية للصناعات والمقاولات ، التى تحولت إلى شركة (المقاولين العرب) وإنشاء السد العالى كان ذلك من سنة ١٩٥٦ م ـ ١٩٦١ م .

ولما تأممت الشركة خير بين المعاش والمرتب فاختار المعاش ، لأنه حقه الشرعى ، والمسألة مسألة مبدأ لكنه عين (بكلية دار العوم) أستاذا غير متفرغ من ١٤/٢/١٩٦٠م لمدة سنتين ثم جدد له ابتداء من ١٤/٢/١٩٦٢م حتى ١٣/٢/١٩٦٤م إلى أن قدم استقالته فى ١٦/١٢/١٩٦٤م .

عاد الشيخ إلى كلية الخرطوم الجامعية للمرة الثانية سنة ١٩٦٥ / ١٩٦٦ الى ١٩٦٧ / ١٩٦٨ ثم عاد إلى القاهرة ليسافر إلى الكويت ، ويعود للقاهرة سنة ١٩٧١ م رغم الحاح جامعة الكويت فى طلبه .

تدرجه الوظيفى

(١) رقى إلى أستاذ مساعد سنة ١٩٤٧ م .
(٢) رقى إلى أستاذ ٢٠ مايو سنة ١٩٥٠ م .
(٣) رقى إلى وظيفة أستاذ فئة (ب) فى ٢١ / ٥ / ١٩٥٢ م .
(٤) وظيفة أستاذ (ب) فئة (أ) فى ١/٣/١٩٥٣م .
(٥) رقى إلى أستاذ فئة (أ) فى ١٨/٦/١٩٥٤م .

كان الشيخ رحمه الله يدرس لطلابه المعقول والمنقول فى أسلوب سهل ممتع ، لذلك كان طلابه أحرص ما يكونون على حضور دروسه .

وكان مع ذلك حسن الخلق لين الجانب لا تفارق الابتسامة شفتيه حتى فى غضبه وألمه ، عطوفا على طلابه عذب العبارة ، جميل الأسلوب ، حاضر النكتة ، فأحبه تلامذته حبا جما ملك عليهم مشاعرهم ، لأنهم كانوا يستفيدون من تدريسه فائدة لا يرونها فى غيره ، ويرون درسه دائرة معارف ، القول فيه معقول والمنقول مفهوم والغامض واضح والصعب سهل والجامح منقاد .

ثم هو – إلى ذلك – مهندس لا يبارى فى التخطيط والتنفيذ والإشراف ، وكانت مدينة الاسماعيلية ميدان نشاطه الهندسى حيث خطط ونفذ منازل عدة لأقاربه وذوى رحمه .

مؤلفاته :

لقد أخرج الشيخ رحمه الله كثيراً من المؤلفات النفيسة ما بين مطول ومختصر ونحن نشير إلى أهمها اجمالا :

(١) أحكام المعاملات فى الشريعة الإسلامية .
(٢) بحوث فى القرآن الكريم .
(٣) الميراث فى الشريعة الإسلامية .
(٤) عيون المسائل الشرعية .
(٥) محاضرات فى علم التوحيد .
(٦) أصول التشريع الإسلامى .
(٧) بحوث فى الحديث .

(٨) الرسول ﷺ يعلم الناس مناسكهم فى حجة الوداع .

(٩) لقد منّ الله على المؤمنين بحث فى مولد النبى محمد – عليه الصلاة والسلام – نشر فى (مجلة دار العلوم) .

(١٠) من هدى القرآن بحث نشر فى مجلة الوعى الإسلامى نوفمبر ١٩٦٨ م .

(١١) أحاديث دينية متنوعة فى الاذاعة المصرية والسودانية بالقطر الشقيق .

اللجان العلمية التى شارك فيها الشيخ على حسب الله :

(١) اللجنة العلمية لعمل معجم للقرآن الكريم .
(٢) اللجنة العلمية لعمل مناهج لكلية الشريعة – جامعة الأزهر ١٣٨١ هـ – ١٩٦١ م .
(٣) اللجنة المشكلة لوضع مناهج جديدة لكلية الدراسات العربية جامعة الأزهر ١٣٨١ هـ ١٩٦١ م .
(٤) اللجنة المشكلة لوضع ميزانية لجامعة الأزهر لمدة ٣ سنوات اعتبارا من ١٩٦٢ – ١٩٦٣ .
(٥) لجنة بحث الانتاج العلمى للأساتذة والأساتذة المساعدون لكلية الشريعة (لجنة الشريعة رقم ٣) .
(٦) عضو بمجلس كلية الشريعة المؤقت لمدة عام ١٣٨١ هـ – ١٩٦١ م .

تلاميذ الشيخ وعارفو فضله فى دار العلوم:

كان للشيخ على حسب الله تلاميذ كثير تخرجوا من مدرسته العظيمة ، وهم كل من درس فى كلية دار العلوم ما بين سنة ١٩٤٦ ، سنة ١٩٦٤ لقد تتلمذوا مباشرة على الأستاذ وتأثروا به وكانت له فى نفوسهم منزلة خاصة ، ومن أشهر هؤلاء التلاميذ – وكان لهم فضل التخصص فى دراسة العلوم الشرعية وتدريسها :

(١) الأستاذ الدكتور / مصطفى زيد – رحمه الله – الأستاذ والرئيس الأسبق لقسم الشريعة بكلية دار العلوم .

(٢) الأستاذ الدكتور / عبدالله شحاته أستاذ ورئيس قسم الشريعة سابقا بكلية دار العلوم .
(٣) الأستاذ الدكتور / محمد بلتاجى أستاذ وعميد الكلية الحالى حفظه الله .
(٤) الأستاذ الدكتور / عبدالمجيد محمود أستاذ بكلية الشريعة .

وله طلابه وأحباؤه من البلاد العربية وهم كثيرون منهم :

الأستاذ محمد عجاج الخطيب رئيس قسم الشريعة بجامعة دمشق .

إختياره وكيلا لكلية دار العلوم :

كان الأستاذ رحمه الله يضع نصب عينيه مصلحة الكلية فكانت شغله الشاغل وعمله المتواصل كان حريصا كل الحرص على إنماء الروح الإسلامية فى النفوس والقلوب ونشر أسرار الكتاب المجيد وسائر ما جاءت به الشريعة السمحاء بين طبقات الأمة وذلك لا يتيسر إلا بتخريج علماء أجلاء يخلصون العمل لله ويقومون بالدعوة اليه .

على هذا الأساس الوطيد وبهذه الروح الإسلامية المخلصة ساس الشيخ شئون الكلية فكان للطلاب أبا رحيما ، وللأساتذة صديقا حميما .

أنجاله :

بارك الله فى ذرية الشيخ فرزقه الله الذكور والأناث يخدمون الوطن والمواطنين وجميعهم قرت بهم عين والدهم ، وهم يحتلون مناصب مرموقة يطمح إليها كل من طلب المعالى وهم :

(١) الأستاذ الدكتور عبدالمنعم على حسب الله :

أستاذ الكلى المعروف الذى شغل منصب وكيل كلية طب القاهرة وهو الآن رئيس مجلس إدارة المركز الطبى للمقاولين العرب بالإضافة إلى عمله بطب القاهرة .

(٢) السيد المهندس صلاح الدين على حسب الله :

أحد العلماء المهندسين المعروفين ويرأس الآن مجلس إدارة (شركة المقاولين العرب) .

(٣) السيد المهندس سامح على حسب الله :

وله خبرة طويلة فى العمل والتخطيط والتصميم الهندسى ، وقد رأس سابقا (إدارة الطرق) بالإضافة الى كونه عضوا بمجلس إدارة المقاولين العرب وهو الآن رجل أعمال .

مسجد ومكتبة وندوة السلام :

خطط الشيخ على حسب الله مسجدا بشارع الهرم أسماه مسجد السلام يؤدى رسالة الإسلام الهامة ، وقد جلس فيه إبان حياته يفتى ويلقى دروسه لمؤيديه ومحبيه .

ولم ينقطع هذا المدد الروحى بوفاة الشيخ بل ان ابناءه بارك الله فيهم يعقدون ندوة شهرية كبيرة مساء الجمعة الأولى من كل شهر عربى يجتمع فيها العلماء والمفكرون حول أستاذ من الأساتذة يلقى عليهم محاضرة يناقشونه فيها بعد ذلك ويوجهون إليه الأسئلة ويتلقون إجابتها .

وفاته :

توفى الشيخ على حسب الله فى فبراير سنة ١٩٧٧ .

رحم الله الشيخ برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جناته بقدر ما قدم للإسلام والمسلمين آمين يارب العالمين .

هذا وقد حصل المرحوم الشيخ على حسب الله على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى من الرئيس حسنى مبارك فى الاحتفال بالعيد المئوى لكلية دار العلوم فى ٢٦ من ربيع الآخر سنة ١٤١٢ هـ ٣ نوفمبر سنة ١٩٩١ م واستلمه نيابة عن الأسرة الدكتور عبدالمنعم حسب الله النجل الأكبر للشيخ .. والله ولى التوفيق .

الاتجاهات المعاصرة فى دراسة العلم الإسلامى

د . أحمد فؤاد باشا *

شهدت العقود الأخيرة من هذا القرن اهتماما متزايدا بعلوم الحضارة الإسلامية ، سواء من جانب الدارسين العرب والمسلمين أو من جانب المستشرقين والفلاسفة ومؤرخى العلم الغربيين على حد سواء ومن يتتبع الدراسات المختلفة فى هذا الميدان سوف يجد نفسه إزاء عدد من الاتجاهات المتباينة فيما يتعلق بقيمة العلم الإسلامى ومضامينه وغاياته . ومن الطبيعى أن تحظى هذه الاتجاهات بالقبول والتقدير عندما تعكس موقفاً مناصراً للحق والحقيقة ، ولكنها تكون منفرة ومرفوضة عندما تعنى فى الأذهان تعصبا أعمى لنزعات ذاتية أو أبتعاداً مقصوداً عن جانب الحق والموضوعية . وسوف نعرض فيما يلى لبيان وجهة نظرنا فى مثل هذه الاتجاهات المؤثرة ، مع التدليل عليها بنماذج وأمثلة منتقاة من واقع الدراسات التراثية المعاصرة التى يمكن تصنيفها أجمالا الى دراسات موضوعية محايدة ودراسات لا تخلو من تحيز واضح أو تعصب أعمى أو ترويج مفتعل لأفكار خاطئة عن الاسلام والمسلمين .

* أستاذ الفيزيا ، بكلية العلوم جامعة القاهرة

أولاً : اتجاهات موضوعية محايدة :

إن العلم فى حد ذاته لغة موضوعية لا تعرف غير الحياد والمنهجية السليمة ، ولكنه كنشاط إنسانى مولد لطاقة عقلية ومعرفية أكبر ، يمكن أن يوجه ليكون أداة نافعة تتيح للانسان أن يفهم نفسه ، وأن يفهم العالم المحيط به على نحو يحقق الخير والسعادة لكل البشر ، ويمكن أن يوجه الى عكس ذلك ليكون أداة فلسفية أو تقنية تخدم نزعات معينة أو تحقق مصالح فئة من الناس على حساب الآخرين . فإن كانت الأولى ، فهو التحيز الموضوعى الأثير الى النفس ، وإن كانت الثانية فهو التعصب المرفوض بكل أشكاله ودرجاته ، لأنه يؤدى الى صراعات فكرية ويعوق مسيرة الحياة والإعمار على الأرض كما أرادها الله — سبحانه وتعالى — للناس أجمعين .

واذا ما انطلقنا من هذه المقدمة الى محاولة رصد واستعراض الأدبيات المعاصرة التى تنتهج نهجا موضوعيا فى معالجة قضايا التراث العلمى للحضارة الاسلامية فإننا — وبكل الأسف — لن نبتعد عن الحقيقة كثيرا اذا قررنا أننا نكاد لا نجد لهذه الأدبيات مكانا لائقا على خريطة المضمون المعرفى للموضوع ، اللهم الا بعض الاجتهادات الفردية المتناثرة[1] التى تهتم بالتاريخ لتراث المسلمين (أو العرب) فى إطار ثقافى عام ، متأثرين فى أغلب الاحيان بما عرفوه عن هذا التراث من أعمال المستشرقين[2] . ولهذا نجد ان معظم الاقلام الاسلامية العربية التى اقتربت من هذا الميدان قد انشغلت بقضية توصيف التراث لاعادة صياغته ومناقشته ، واتبعت فى ذلك منهجا تاريخيا قائما على الأثر والتأثر ، من أجل الدفاع عن التراث أو التصدى بالنقاش لقضايا جدلية يضيع فيها الوقت والجهد . أما باق قضايا العلم الاسلامى التى تعالج لغته ومنهجه وتاريخه ونظريته وكل ما يتعلق بمسيرته ، فيمكن القول بأنها ما زالت بكراً فى انتظار من يتناولها بالدراسة وفق منهج تحليلى مقارن . ولا يقلل من حجم هذه المشكلة ظهور بعض الشروح والتحقيقات الرائدة لكوكبة من أهل الإختصاص عكفوا على إبراز قيمة المحتوى المعرفى لما تناولوه من نصوص تراثية ، متجاوزين بذلك قواعد التحقيق التقليدية من تفسير غريب اللغة أو أستدراك على النساخ فيما يقع بينهم من سقط أو زيادة . وقد كان لمثل هذه التحقيقات أجل الأثر فى التعريف بحقيقة الدور الإسلامى فى دفع مسيرة الفكر البشرى خلال العصور الوسطى ، كما أنها كشفت عن بعض حالات الغش الفكرى والقرصنة العلمية من قبل بعض المؤرخين والنقلة والمستشرقين فى حق التراث العلمى

---

(١) انظر على سبيل المثال :—
— قدرى حافظ طوقان ، العلوم عند العرب ، القاهرة ١٩٦٠
— عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، بيروت ١٩٧٧ .
— عبد الحليم منتصر ، تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ، القاهرة ١٩٨٠ .
— د. أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمى للحضارة الاسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ، القاهرة ١٩٨٣ .

(٢) انظر على سبيل المثال :
— سيديو ، خلاصة تاريخ العرب العام ، ترجمة على مبارك ، القاهرة ١٣٠٩ هـ .
— آدم متز ، الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، القاهرة ١٩٤٠ .
— سارطون ، الثقافة الغربية فى رعاية الشرق الأوسط ، ترجمة عمر فروخ ، بيروت ١٩٥٢ .
— سيجريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب ، الترجمة العربية ، بيروت ١٩٦٤ .
— ألدوميلى ، العلم عند العرب وأثره فى تطور العلم العالمى ، القاهرة ١٩٦٢ .
— غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، القاهرة ١٩٦٤ .
— فرانز روزنتال ، مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى ، ترجمة أنيس فريحة ، بيروت ١٩٦١ .

الإسلامي[٣] . وقامت على إثر ذلك دعوات جديدة تحث على فهم العلوم الاسلامية بمدلولاتها الخاصة ، أكثر من فهمها على أساس أنها علوم نشأت على هامش العلوم الغربيـة القـديمة . وقـد بدأت بالفعـل هذه الدعوات تؤتى ثمارها بإعـادة تعريـف المصطلحـات الخاصة بالعلوم الاسلامية والنظر إليها باعتبارها ظاهرة للحضارة الإسلاميـــة ذاتها[٤] ، وإن كان يحدّ من ازدهارها بعض الشيء أن أغلب الدراسات التى تتبناها تعتمـد على المصادر الثانويـة ، بالاضافـة الى بعض النصوص العربية واللاتينية المطبوعة ، وهذه بلا شك لا تمثل سوى نسبة ضئيلة من المصادر المدونة للمعرفة الاسلامية التى ازدهرت فى منطقة شاسعة من الأرض تمتد من الأندلس غربا الى السند شرقا ، وفى حقبة طويلة من الزمان تمتد إلى تسعة قرون على الاقل . ومع تزايد عمليات البحث عن المخطوطات المفقـودة فى مختلف أنحاء العالم ، العربية منها وغيرُ العربية ، زاد الاهتمام حديثا بعمل فهارس للوثائق والمصادر التراثية المتعلقة بمختلف فروع العلم الاسلامى[٥] .

ثانيا : اتجاهات لا تخلو من تحيز أو تعصب :

تظهر هذه الاتجاهات فى بعض الدراسات التى تعنى بالتاريخ العلمي والتقنى إجمالا ، أو بتحليل مرحلة معينة من مراحله ، أو بتطور نظرية علمية معينة من نظرياته ، أو بتقويم السيرة الذاتية لعالم بارز من علمائه . وهنا يقابلنا منذ البداية اتجاه ينكر الماضى تماما ويزدرى أى محاولة لاحياء التراث ، انطلاقا من مقولة مؤداها أن العلم فى تأكيده لليقين يُعتبر نظريا مجردا إلى درجة يكون معها نقيضا للحياة التى تنفرد وحدها فى هذا الوجود بميزة أن لها تاريخا[٦] . ويوجد فى ساحة الفكر العربى من يتبنى هذا الموقف الرافض لأى ربط بين التاريخ والحاضر بحجة أنه لا يصمد أمام أى تحليل عقلى دقيق ، حتى وإن كان يفيد فى استنهاض الهمم ورفع المعنويات ، فليس فى التاريخ البشرى ــ فيما يزعمون ــ أمجاد معنوية تتحول الى جزء من « الجينات » المكونة لشعب من الشعوب وتظل كامنة فى افراده على شكل استعداد للنهوض ينتظر اللحظة المناسبة لكـى يصبـح واقعا متحققا[٧] . بل إن هناك ، بكـل أسف ، من أبنـاء

---

(٣) نذكر من هذه الشروح والتحقيقات على سبيل المثال :ــ
ــ كتاب الجبر والمقابلة ، تأليـــف محمـــد بن موسى الخوارزمى ، تحقيق على مصطفى مشرفة ومحمد مرسى أحمد ، القاهرة ١٩٣٧ .. وقد سبق الغرب الى نشره بالعربية سنة ١٨٣١ م .
ــ كتاب الحسن بن الهيثم ، بحوثه وكشوفه فى البصريات ، د. مصطفى نظيف ، القاهرة ١٩٤٢ ، ١٩٤٣ .
ــ كتاب « أزهار الأفكار فى خواص الأحجار » ، تأليف أحمد بن يوسف التيفاشى ، تحقيق : د. محمد يوسف حسن ود. محمد بسيونى خفاجى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ م .
ــ مؤلفات مؤرخ الطب البـارز « ماكس مايرهـوف » MAX MAYERHOF .راجع فى ذلك : « ماكس مايرهوف » دراسات فى الطب العربى فى العصور الوسطى : النظريـة والتطبيـق ، بأشراف : بنلـــوب جونستـــــون PENELOPE JOHNSTONE ، سلسلـــــة دراسات مجموعـــــــــة ، LONDON,VARIORUM REPRINTS,1984 .

(٤) ــ عبد الحميد صبره ، الاستحواذ على العلم اليونانى وتطبيعه فى الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى ، عرض أولى ، مجلة تاريخ العلم ، ١٩٨٧ ، العدد ٢٥ ، ص ص ٢٢٣ ــ ٢٤٣ .
ــ د. أحمد فؤاد باشا ، العلوم الكونيـــة فى التـــراث الاسلامى ، هدية مجلة الازهـر ، مجمع البحـوث الاسلامية ، رمضان ١٤١١ هـ .

(٥) لمعرفة المزيد عن الفهـارس الحديثـة لمخطوطـات العلـوم الاسلامية راجع :
ENILIE SAVAGE-SMITH,« GLEANINGS FROM AN ARABIST,S WORKSHOP CURRENT TRENDS IN THE STUDY OF MEDIEVAL IS LAMIC AND MEDICINE, » ISIS,NO.297,JUNE 1988.
والترجمة العربية للمقال منشورة فى مجلة « الثقافة العالمية » العدد ٤٤ ، الكويت ١٤٠٩ هـ/١٩٨٩ م .

(٦) جان دومبريه **JEAN DHOMBRES** فى مجلة : **IMPACT OF SCIENCE ON SOCIETY,UNESCO,NO.159,P.190 (1990).**

(٧) د. فؤاد زكريا ، « اين العرب من الابداع العلمى » ، مجلة آفاق علمية ، العدد الأول (١٩٨٥) .

جلدتنا ـــ نحن معشر العرب والمسلمين ـــ من يعلن صراحة أن إحياء التراث إنما يكون بقتله[٨] .

ومهما يكن من أمر المبررات والحجج التي يسوقها أصحاب هذا الاتجاه المتطرف ، فإننا لسنا بحاجة الى ادنى جهد لدحض مزاعمهم . ويكفى دليلا على زيف دعواهم ما يشهده واقع الفكر العلمى المعاصر من نشاط واضح فى ميدان الدراسات التراثية المتعلقة بالعلوم وتقنياتها عن طريق المعاهد والمؤسسات الأكاديمية والمؤتمرات الدولية والمجلات الدورية والترجمة والتأليف وإعادة نشر أعمال الأعلام البارزين فى تاريخ العلم والتقنية . الأمر الذى يؤكد أهمية تاريخ العلم واستحالة انفصاله عن العلم ذاته باعتباره عملية ممتدة خلال الزمان ، وإذا ما ران على العلم جهل بتاريخه فإنه لا محالة مخفق فى مهمته[٩] .

من ناحية أخرى ، هناك من تعامل مع تاريخ العلم والتقنية على مراحل ، وهو التعامل الشائع بين المؤرخين . لكن كل مؤرخ اتبع منهجا انتقائيا نتيجة لتفضيل تصورى أو انطلاقا من « أيديولوجية » أو نزعة ذاتية تخصه ، فرفع من شأن بعض المراحل الحضارية وحط من شأن البعض الآخر . ولم يستطع معظم هؤلاء المؤرخين إخفاء دوافعهم النفسية مهما حاولوا تغليفها بمعسول الالفاظ والعبارات الانشائية . فهذا هو « جورج سارتون » G SARTON ، الذى يعدُّ على رأس المشتغلين بتاريخ العلم فى القرن العشرين ، يقول فى مقدمة الجزء الأول من كتابه « تاريخ العلم » .. « وحديثنا عن الماضى محدود من عدة وجوه : وأحد هذه الوجوه الضرورية أنه يجب علينا أن نقصر أنفسنا على أسلافنا فحسب »[١٠] . ويواصل حديثه مركزا على ما أسماه « بالمعجزة اليونانية» وتفوقها على الحضارات المجاورة لها قائلا : « والواقع أن ثقافتنا النابعة من الأصل الاغريقى والعبرى هى الثقافة التى تعنينا كثيرا ، إن لم تكن هى كل ما يعنينا .. والزعم بأنها بالضرورة أرقى الثقافات فيه خطأ وشرّ .. لأننى اذا كنت أرقى من جيرانى فليس لى أن أقول ذلك . ولكن لهم فقط أن يقولوه ، وإذا زعمت لنفسى شيئا من العلوّ لا يستطيعون ـــ أو لا يقبلون ـــ أن يصادقوا عليه ، فإن ذلك لا يثمر سوى العداوة بيننا »[١١] .

وفى سلسلة « تاريخ العلوم العام » ، التى تقع فى أربعة أجزاء ساهم فى تأليفها أكثر من مائة باحث بإشراف « رينيه تاتون » RENE TATON ، نجد المدح والثناء يُكالان على ما يسمى « بالعلم العبرى » و « العلم المسيحى » ، كما تساق التبريرات الواهية لاعتبار إسرائيل ضمن الحضارات الكبرى القديمة فى الشرق ، ولـلإشادة بالعصر الذهبى « للعبقرية السامية » فى حضارة بابل وآشور[١٢] .

---

(٨) د. صلاح قنصوة ، ندوة « الجمالية العربية » ، مجلة الفكر العربى ، العدد ٦٧ (١٩٩٢) .

(٩) د. أحمد فؤاد باشا ، « منهج فى التعامل مع التراث العلمى للحضارة الاسلامية » دراسة قيد النشر عرضت بالتفصيل لمظاهر الاهتمام العالمى بقضايا تاريخ وفلسفة العلم والتقنية وخلصت الى صياغة منهج موضوعى يفيد فى دراسة التراث العلمى الاسلامى .

(١٠)جورج سارتون ، تاريخ العلم ، الترجمة العربية ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٦ ، ص ٢٣ .

(١١)المرجع السابق ص ٢٤ .

(١٢)رينيه تاتون ، تاريخ العلوم العام ، العلم القديم والوسيط ، ترجمة د. على مقلد ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٨٨ .

وهنا تجدر الاشارة الى أن الدعاية الصهيونية لجأت داخل شعوب الغرب الى اثارة فكرة « الميراث اليهودى المسيحى المشترك » لتتوصل به الى ضمان انحياز الغرب شعوريا وعقائديا ، ومن ثم سياسيا وعمليا الى جانب الدولة الصهيونية فى صراعها مع العرب والمسلمين ، ونشطت فى ظل هذا الانحياز حديثا كنائس مسيحية كثيرة تبشر « بالصهيونية المسيحية » (راجع فى ذلك : د. أحمد كمال أبو المجد ، مجلة العربى ، عدد ٣٩٩ ، الكويت ١٩٩٢) .

ثالثا : الترويج لافكار خاطئة عن الاسلام والمسلمين :

وفى كتاب « العلم فى التاريخ »[١٣] لم يستطع « جون ديزموند برنال » J.BERNAL أن يخفى تحيزه الواضح الى جانب الاغريق والفرس والرومان ، فى الوقت الذى يكيل فيه اتهامات متنوعة للاسلام والمسلمين دون أن يشرحها أو يدلل عليها فالأسلام ، فيما يزعم برنال ، أقام ثقافة متلاحمة ظلت باقية الى يومنا هذا بالرغم من أنها ليست ثقافة تقدمية ، واللغة العربية ـ فيما يزعم برنال أيضا ـ هى التى حجبت الدور الكبير للعنصر الفارسى فى العلوم الاسلامية الشرقية[١٤] والمسلمون يتحملون مسئولية كبيرة عن إقامة حواجز بين العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية الى يومنا هذا ، بدعوى أنهم لم يترجموا إنسانيات الاغريق مثلما ترجموا معارفهم العلمية والفلسفية ، فانتقلت الانسانيات والعلوم الى الثقافة الحديثة عن طريقين مختلفين[١٥] . وينكر « برنال » مآثر علماء المسلمين ويقصرها فقط على مجرد حفظهم لمواريث القدماء قائلا : « رضى معظم علمـاء المسلمين بالنمط الكلاسيكى الاخير للعلوم ، ووثقوا هذا النمط ، ولم يكن لديهم طموح كبير ليحسنوه ، ولم يكن لديهم أى طموح لأن يطوروه تطويرا ثوريا »[١٦] .

وفى دراسة حديثة حول « الاتجاهات الجارية فى دراسة العلوم والطب عند المسلمين فى العصر الوسيط » يورد « إميلى سفيج سميث » E.SAVAGE-SMITH كلاما مبتسرا عن الطب النبوى والرسائل المؤلفة فيه من قبل علماء الدين ، وليس من قبل الأطباء ، على أساس اعتقادهم بأن المعرفة يمكن الحصول عليها فقط عن طريق الوحى والنبى محمد (ﷺ) ، وأعراف الصحابة المقربين وآرائهم[١٧] . ويزعم « سميث » فى دراسته أن رسائل الطب النبوى قد شاعت فى مقابل الطب القائم على أساس إغريقى على أيدى فريق من الأطباء النطاسيين أمثال ابن جميع وابن رضوان وغيرهما والحق أن ما يعرف بالطب النبوى أو الطب الاسلامى قد نشأ بظهور الاسلام ونما وتطور على أيدى علماء الامة الاسلامية وأصبحت له فروع تبحث فى أسرار القرآن الكريم وأحكامه وشرائعه وعلاقتها بمختلف المباحث الطبية (١٨) .

وفى مقال آخر ظهر حديثا فى مجلة « العلم والمجتمع » بعنوان « العلم فى خدمة الدين » يتخذ « ديفيد كنج » DAVID A KING من العلم ومنهجه رداءا خادعاً لترويج أفكار خاطئة عن عقيدة الاسلام ، بحيث تبدو هذه الافكار وكأنها تعبير صادق عن واقع الاسلام والمسلمين[١٩] . ففى غمرة انشغاله بقضايا التراث

---

(١٣)ج . د . برنال ، العلم فى التاريخ ، ترجمة د. على على ناصف ، الجزء الأول ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٨١ ، ص ٢٩٦ .

(١٤)المرجع السابق ، ص ٣٨٧ .

(١٥ المرجع السابق ، ص ٢٩٨ .

(١٦) المرجع السابق ، ص ٣٠١ .

(١٧)المرجع السابق ، مجلة الثقافة العالمية ، العدد ٤٤ ، الكويت ١٤٠٩ هـ/١٩٨٩ م .

(١٨)سبق ان فصلنا الحديث عن مفهوم الطب الاسلامى قديما وحديثا وأشرنا الى مباحثه المختلفة المتعلقة بالصحة والوقاية والبيئة والعلاج والتربية والطب النفسى وغيرها ، وذلك فى مؤلفنا : التراث العلمى للحضارة الاسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ، القاهرة ١٩٨٣ ، ص ١٦٢ وما بعدها .

(١٩)يعمل « ديفيد كنج » حاليا مديرا لمعهد تاريخ العلوم التابع لجامعة يوهان فولفجانج جوته فى فرانكفورت . وقد قام منذ سنوات بفهرسة مقتنيات دار الكتب المصرية من المخطوطات العربية والفارسية والتركية المتعلقة بالفلك والرياضيات والميكانيكا والبصريات (٢٥٠٠ مخطوطا) ، ونشر أبحاثه فى ثلاثة مجلدات ، يعرض كل منها نفس المخطوطات (٢٥٠٠) من خلال منظورات مختلفة . راجع :

DAVID A.KING, « SCIENCE IN THE SERVICE OF RELIGION:THE CASE OF ISLAM, » IMPACT OF SCIENCE ON SOCIETY,UNESCO,NO.159,245-262 (1990),

العلمى الاسلامى المتعلقة بمسائل تحديد اتجاه القبلة واستطلاع أهلة الشهور القمرية ، نجده يتطرق بدون مناسبة الى مناقشة أمور هى من صميم العقيدة الاسلامية ذاتها ، ويثير أسئلة لا تؤهله ثقافته للرد عليها . فهو مثلا يتساءل عن سبب اعتياد المسلمين لخمس صلوات رئيسية ، زاعما أن هذا التحديد لم يرد بشأنه نص صريح فى آيات القرآن الكريم ، أو فى أحاديث الرسول — ﷺ — ويظهر من خلال مناقشته لهذه المقولة التى أقحمها على موضوع بحثه إقحاما أنه يخلط بين الصلوات المفروضة وصلوات التطوع . وكان الأجدر بمثل هذا الباحث (المدقق) ان يستخدم منهج البحث العلمى فى الرجوع الى المصادر الموثوقة من الأصول الاسلامية ، أو سؤال أهل الذكر والاختصاص ، قبل إصدار أحكام قاطعة لا يوجد دليل على صحتها ولو قرأ أو سأل لعلم أن الصلوات الخمس المفروضة هى ركن من أركان الاسلام الخمسة التى نص القرآن الكريم على وجوب أدائها فى العديد من الآيات القرآنية الكريمة ، وترك للرسول الكريم بيان تفصيلها قولًا وأداءً وتوقيتا وعنه — ﷺ — تنوقلت الى يومنا هذا . ولو قرأ « كنج » أو سأل أهل الذكر لعلم أيضا أن صلاة الضحى عبادة مستحبة ، من شاء ثوابها من المسلمين فليؤدها والا فلا تثريب عليه فى تركها ، وليس صحيحا ما ذكره « كنج» عن الرسول — ﷺ — من روايات تنسب اليه قوله بأنها بدعة موروثة ، وأن هذا كان سببا واضحا — فيما يزعم — لحيرة المتأخرين وترددهم فى ضم صلاة الضحى الى الصلوات الخمس الرئيسية . فقد جاء فيما رواه الترمذى وحسنه عن ابى سعيد رضى الله عنه قال : « كان — ﷺ — يصلى الضحى حتى نقول : لا يدعها ، ويدعها حتى نقول لا يصليها[٢٠] .

خلاصة لابد منها :

حاولنا فى هذه العجالة أن نعرف القارىء الكريم بأهم الاتجاهات والدوافع التى تحكم دراسات المفكرين من فلاسفة العلم ومؤرخيه المعنيين بقضايا التراث العلمى للحضارة الاسلامية ج وأهم ما نخلص اليه فى هذا الشأن هو لفت الانظار الى وجود نوع جديد من الاستشراق لا يكتفى بمعرفة الشرق من أجل اختراقه وإحكام السيطرة عليه ، ولكنه يهدف أيضا — بأسم العلم ومن خلاله — إلى بث أفكار خاطئة عن الاسلام والمسلمين من اجل حماية الانسان الغربى من أن يرى نور الاسلام فيؤمن به ويحمل رايته ويجاهد فى سبيله .

وعرضنا لمثل هذه القضية ، التى نستمليها من لسان الحال ويؤيدها العلماء المستشرقون أنفسهم بلسان المقال ، يمثل من جانبنا دعوة إلى فهم أعمق لطبيعة علاقتنا مع حضارة العصر المادية . وهذا بدوره يمثل جزءاً من الاجابة عن سؤال أعم وأخطر هو : كيف نريد لمستقبل أمتنا الاسلامية أن يكون ؟؟!! ..

هذا وبالله التوفيق

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(٢٠)راجع : السيد سابق ، فقه السنة ، الجزء الأول ، باب التطوع ، ص٢٠٨ — ٢١٠ ، دار الريان للتراث .

العقم
التشخيص والعلاج

الفصل الأخير

للأستاذ الدكتور أحمد رجاء عبدالحميد

بانتهاء فحوص الزوجة ، تبدأ مرحلة الفحوص الخاصة بالزوج .

وبعد إتمام الفحص يتكون لدى الطبيب فكرة مبدئية عن السبب ، ولكنه لابد أن يبدأ بعمل تحليل السائل المنوى للزوج ، فقد يكون هناك سبب ظاهر فى الزوجة ، وقد يكون ـ فى نفس الوقت ـ سبب غير ظاهر فى الزوج .

تحليل السائل المنوى للزوج :

وهذا التحليل يستلزم أن يكون عقب أيام أربعة متتالية ـ على الأقل ـ لم يحدث منه فيها جماع ، وتؤخذ العينة فى اليوم الخامس ، وتحلل فورا مع الحرص الشديد على أن تحوى العينة القطرة الأولى من السائل إذ أنها الغنية بالحيوانات المنوية ، كذلك ينبغى أن تكون هذه العينة ـ الحاوية على القطرة الأولى ـ بعيدة تماما عن أى خلط ـ من صابون أو غيره ، فإنه قد يقتل أو يضعف فيتأثر بيان الواقع فى نسبة الحيوانات المنوية .

وهذا يعنى ـ بوضوح ـ ألا يتم أخذ العينة عن طريق الجماع .

وتصل النتيجة ـ نتيجة التحليل ـ إلى الطبيب ، فينظر :

أولًا : الحجم من ١ ـ ٥ سم .

ثانيًا : التفاعل : قلوى (٧,٤) .

ثالثًا : اللزوجة ، لزج ، ويصير سائلًا بعد نحو عشرين دقيقة .

رابعًا : العدد الكلى ، ويجب ألا يقل عن (٥٠) مليون حيوان ، على ألا يقل - كذلك عن (١٠) ملايين منها فى (١) سم^{3} .

خامسًا : الحركة فى الساعة الاولى يجب أن تزيد على (٧٠٪) ثم تصل إلى (٦٠٪) بعد نحو ساعتين .

سادسًا : الأشكال الغير طبيعية لا تزيد عن ٤٠٪ .

وأخيرًا نسبة الصديد لاتزيد على خمس خلايا فى (١) سم^{3} .

أسباب تأخر الحمل بالنسبة للزوج :

١ - أسباب عامة : السمنة أو النحافة الزائدتان - الافراط فى التدخين وشرب الخمور .

٢ - أسباب خلقية : عدم نزول الخصية إلى مكانها الطبيعى - عدم نمو الخصية - وجود عيب فى فتحة مجرى البول يؤثر على عملية القذف .

٣ - أسباب إلتهابية : الاصابة بالامراض التناسلية - التهاب الخصية - التهاب البروستاتا .

٤ - أمراض غدد صماء : نقص إفراز الغدة النخامية - أمراض الغدة الدرقية .

٥ - أسباب نفسية : وجود ضعف أو عدم انتشار (انتصاب) .

٦ - أسباب مختلفة : دوالى الخصية - نقص عدد أو حيوية الحيوانات المنوية - زيادة غير طبيعية فى نسبة الحيوانات المنوية - اصابات الخصية .

وفى حالة عدم وجود حيوانات منوية تجرى عملية بسيطة لأخذ عينة من الخصية لتحليلها ليتبين : هل السبب هو الخصية أم فى القنوات الموصلة للحيوانات المنوية .

عودة إلى إتمام فحص الزوجة :

وبعد ان يطمئن الطبيب على الزوج يبدأ دور الزوجة وحتى لو كان هناك عيب فى الزوج فقد يكون هناك أيضا عيوبا فى الزوجة ولذلك لابد وان يقوم الطبيب بعمل الأبحاث التالية للزوجة ، والطبيب هنا ليس بحاجة لإجراء كل الفحوص التالية لكل النساء ، ولكنه يتخير منها ما يراه مناسبا ولازما لكل زوجين حتى يصل إلى التشخيص الدقيق لأسباب تأخر الحمل حتى يمكن علاجها .

أولًا : اختبارات (الإباضة) : وهذه غالبا ما يحتاجها النوع الأول : (العقم الأولى) وهى تشمل عدة اختبارات منها : قياس درجة حرارة الجسم القاعدية يوميا حتى يلاحظ أى ارتفاع طفيف فى درجة الحرارة (منتظم لثلاث دورات متتالية) فى النصف الثانى من الدورة الشهرية ، أو قياس نسبة الهرمونات فى الدم وبخاصة هرمون البروجيسترون فى اليوم الثالث والعشرين من الدورة أو أخذ جزء من بطانة الرحم (عملية الكحت والتوسيع والعينة) لتحليلها (هستوياثولوجيا) بواسطة المجهر أو عمل مسحة مهبلية (لطخة مهبلية) ومن هذه الطرق المختلفة فإن أكثر الطرق كعادة هى عينة باطن الرحم وقياس هرمونات الدم .

ثانيًا : اختبارات انفتاح (قناتى فالوب) ويمكن إجراؤها بطرق عدة منها الأشعة السينية باستخدام صبغات معينة (مواد مرئية) تحقن فى عنق الرحم ، أو عن طريق منظار البطن وقديما كان يستعمل عملية النفخ التى بطل استخدامها حديثًا .

ثالثًا : اختبارات التوافق : (اختبار ما بعد الجماع) وذلك لمعرفة مدى ملائمة عنق الرحم وإفرازاته لمرور الحيوانات المنوية وهذا الاختبار يجرى لسحب الافرازات من عنق الرحم والرحم خلال أنبوبة رفيعة (كانيولا) من داخل عنق الرحم وذلك بعد الجماع لفترة (فى الاغلب ٦ ساعات) وتفحص هذه الافرازات تحت المجهر ، ويكون ايجابيا فى حالة وجود عدد من الحيوانات المنوية النشطة فى العينة .

رابعًا : منظار البطن : ويتم إدخاله بواسطة فتحة صغيرة أسفل السرة وهذا المنظار هو أنبوبة رفيعة من المعدن مزود بعدسة وطريقة إضاءة خاصة وبواسطة نفخ البطن بواسطة هواء حجرة العمليات المرشح بواسطة مرشح خاص أو بواسطة (غاز ثانى أكسيد الكربون) يتم فحص الرحم والمتعلقات ، كما يتم فحص (قناتى فالوب) واختبار صلاحيتهما عن طريق حقن مادة ملونة عن طريق عنق الرحم ويكون الاختبار إيجابيا فى حال رؤية هذه المادة (الميثلين بلو) تنزل من البوقين ، أو توجد فى تجويف البطن . وكذلك من الممكن إجراء بعض العمليات البسيطة بواسطة منظار البطن (وبدون اللجوء إلى عملية فتح بطن) مثل أخذ عينة من المبيض .

خامسًا : تخطيط الصدى أو (الموجات فوق الصوتية أو الأشعة التليفزيونية) وهى لازمة فى بعض الحالات مثل اشتباه وجود أورام صغيرة بالرحم أو متعلقاته .

وأخيرا هناك بعض الاختبارات تجرى لبعض الحالات المختارة مثل بعض اختبارات المناعة (فى حالات التنافر الصناعى) داخل وخارج الجسم ، ففى هذه الحالات يكون الزوج سليما والزوجة كذلك ، ويتأخر الحمل ، وقد يحدث طلاق ثم زواج من آخرين فيحدث إنجاب للزوجة من آخر والزوج من أخرى . وأخيرا هناك بعض الحالات التى تحتاج إلى فحص للكروموزومات (حاملة الصفات الوراثية) .

حالات غامضة : وبالرغم من إجراء كل هذه الفحوصات ، وبرغم التقدم العلمى الهائل فى هذه الفترة الحديثة ، فإنه لاتزال توجد نسبة حوالى (١٠٪) لايوجد سبب مفهوم لتأخر الحمل فيها فالزوج - ظاهريا - سليم مائة فى المائة ، وكذلك الزوجة ، وقد يأتى اليوم الذى نصل فيه إلى معرفة الأسباب كاملة وكذلك علاجها ، وإن التقدم الحديث فى الهندسة الوراثية قد يساعد فى المستقبل فى علاج أو منع حالات يئسنا منها طويلا .

الجديد فى العلم والتقنية

إعداد :
د. نجوى السيد أحمد

بلاستيك اصطناعى من حليب البقر

أعلن أحد مديرى مختبرات الأبحاث اليابانية الخاصة ، أنه نجح فى صنع مادة بلاستيكية تركيبية مستخرجة من حليب البقر لا يمكن تفريقها بتاتا عن عاج ناب الفيل الطبيعى ، ويعتقد أن هذا العاج الاصطناعى الجديد سيحل فى استعمالات كثيرة محل العاج الطبيعى ، مما يخفف من حدة المجازر المرتكبة باستمرار ضد الفيلة .

باحثة بالمركز القومى للبحوث

استخدام الحواسب « الكمبيوتر » في انتاج النفط

لم يعد استخراج النفط من مكانه فى باطن الأرض عملية ميكانيكية فحسب ، كما كان فى السابق ، بل أصبح يعتمد وبشكل متزايد ـ يوما بعد يوم ـ على عمل الحواسيب الألكترونية الدقيقة ، فهى التى تحدد الطريقة التى يجب أن يتبعها الحفر ، وهى التى تحلل السوائل ، ويستخدمها البعض لقياس المسامات فى عينات الصخور ثم حساب مدى سهولة تدفق النفط عبر هذه المسامات . ويقول أحد خبراء النفط أن تقدم الحواسيب لم يسمح للشركات بالعثور على النفط وانتاجه بسرعة أكبر فحسب ، بل باقتصاد فى النفقات أيضا .

ناسخة يدوية عملية

تم انتاج ناسخة جديدة باليابان هى عبارة عن قلم صغير الحجم ، خفيف الوزن ينسخ مباشرة من أى سطح كان مهما كانت سماكة الورق أو حجمه أو نوعه ويعيد طبع الصورة على أى جسم مسطح ناعم ، ويحتوى القلم فى طرفه على ناسخ يلتقط الصورة عبر تمريره فوق الأصل المراد نسخه فتخزن الصورة فى الذاكرة ثم يقلب القلم على الطرف الثانى الذى يحتوى على الطابعة التى تقوم بطبع الصورة من الذاكرة على السطح الجديد ، القلم عملى لنسخ الأسماء والعناوين وأرقام الهاتف ويطبع على البطاقات المصورة وملصقات الأشرطة وعلى « السيلوفان » ، وهى ذو تطبيقات غير محدودة .

مجهر الجيب

ابتكر العلماء مؤخرا فى بريطانيا مجهراً صغيراً يصل وزنه إلى ٦٣٠ جرام ويعمل على البطارية أو على الكهرباء ، ومن مميزات هذه المجهر أنه يمكن إمساكه باليد كما يمكن استعماله على الطاولة ، ولا تقل إمكاناته عن إمكانات أى مجهر آخر ، فهو مجهز بعدسة عينية تكبر عشر مرات بثلاث عدسات شيئية تكبر الصورة ١٠ ، ٤٠ ، ١٠٠ مرة على التوالى .

يستخدم هذا المجهر فى مجالات الطب وعلم الأحياء وعلم المعادن والألياف البصرية والالكترونيات . كما أنه سهل التكيف مع المناخات القاسية فى الوقت الذى يصعب على المجاهر العادية ذلك ، ويستطيع فحص المعادن فى موقعها كجناح الطائرة مثلًا . وهو مجهز بعدسة « شيرلوك » المكبرة المشهورة .

أصغر مرقاب للقلب

ابتكر اليابانيون جهازاً جديداً هو مخطط القلب الكهربائى الشخص ، يصل وزن هذا الجهاز إلى ٢٣٠ جرام وهو أخف بكثير من جهاز مراقبة القلب الذى يوضع عادة على رقبة المريض ويسجل أداء عمل القلب على شريط مغناطيس لمدة ٢٤ ساعة ، فى حين يستطيع مخطط القلب الكهربائى الشخص خزن بمعلومات لمدة ٤ دقائق فقط أثناء الأزمات القلبية كالذبحة أو الجلطة أو أى نشاط غير طبيعى للقلب .ويقوم مستخدم هذا الجهاز بالضغط على زر التسجيل فور إحساسه بألم فى صدره أو بخفقان سريع وقوى ثم تنقل المعلومات إلى حاسوب شخصى لمعالجتها .

إنتاج «الفركتوز» من مخلفات السكر

نجحت التجارب نصف الصناعية التى أجراها علماء المركز القومى للبحوث بالاشتراك مع إحدى الشركات المصرية فى إنتاج سكر الفاكهة « الفركتوز » وحمض الجلوكونيك الذى يدخل فى العديد من الصناعات الدوائية وذلك من مخلفات صناعة السكر فى مصر ، يتميز السكر الجديد بأنه

أعلى نقاوة من السكر الحالى بالاضافة الى زيادة نسبة حلاوته عن باقى أنواع السكر ، ويتم الحصول عليه بتخمير مخلفات صناعة السكر صناعيا باستخدام سلالات من فطر معين مما يؤدى إلى تحليل السكر « السكروز » الموجود فى المخلفات بنسبة ٦٠٪ إلى سكر الفاكهة وحمض الجلوكونيك .

« تستغرق عملية التخمر ٤٨ ساعة فقط يتم بعدها التخلص من هذه المخلفات التى تسبب مشاكل بيئية كثيرة لشركات صناعة السكر فى مصر .

حاسوب بسرعة الضوء

ظهر مؤخرا فى أوساط التكنولوجيا المتطورة تقنيتان جديدتان لتعطيا صناعة الحواسي تقدماً علمياً جديدا ـ الأولى هى الحاسوب الضوئى ، وهو عبارة عن مجموعة مؤتلفة من الليزر والعدسات والمناشير ، ويعتمد على النقل الضوئى بدلا من الالكترونات ، تُعالج الإشارات داخل هذا الحاسوب بواسطة الفوتونات التى تشكل الوحدة الأساسية للحزم الضوئية والتى يعتبر استخدامها نظريا أفضل بكثير من استخدام الالكترونات فالفوتونات تنتقل بسرعة تفوق سرعة الالكترونات بعشر مرات ، والتقنية الثانية هى المبدل الضوئي ، وهو عبارة عن جذاذة رقيقة جدا تصنع من مواد اصطناعية متطورة ، يعمل هذا المبدل ويتوقف عن العمل بلايين المرات فى الثانية دون أن يسخن ، وتستخدم الحزم الليزرية لتشغيل مبدلات القطع والوصل هذه والتى تشكل أساس الحواسيب الضوئية .

بروتين من أوراق التبغ أفضل من البيض واللبن

تمكن باحثون بجامعة « كنتاكى » الأمريكية من استخلاص البروتينات من أوراق التبغ بطريقة كيميائية ، حيث تم استخلاص بروتين يحتوى على خليط من الأحماض الأمينية الأساسية أكثر توازنا من كثير من الأطعمة البروتينية ، وقد يساعد استخدام بروتين الأوراق النباتية على تأمين الغذاء خاصة فى البلاد النامية .

من فوائد عش الغراب

فطر عش الغراب الذى ينمو محلياً على المخلفات الزراعية مثل قش الأرز وقشور البسلة والخرشوف ولا يتأثر بالبيئة المحيطة له فوائد كثيرة فى علاج مرضى السكر وتصلب الشرايين والأنيميا وعدم ظهور السرطان ، كما أنه غذاء عالى القيمة الغذائية ومنخفض السعرات الحرارية ولهذا يستخدم فى الرجيم وعلاج السمنة .

الشعر و الشعراء

إلى أعضاء رحلة الأزهر
إلى الكمونولث الإسلامى

الشاعر : رشاد محمد يوسف

تلك الدمـــوع دمـــوع الشوق تحنانـــا ... تفـــيض من لهفـــة الأرواح أزمانـــا
لا تحبسوهـــا ففـــى أعطافهـــا عبـــق ... تُعَـــطِّـر الكـــون إسلامـــا وايمانـــا
عاشت على غصص الأيـــام صابـــرة ... وأحـــرق الشوق أكبـــادا وأجفانـــا
كم أنَّـــةٍ فى دجـــى الطغيـــان شاكيـــة ... إلى الإلـــه تبـــاريحا وأشجانـــا
وآهـــةٍ فى قيـــود الأسر ثائـــرة ... وعزمهـــا لم يُطِـــق قيـــدا وسجانـــا
وكم نداءٍ جريح فى مآذنها ... قد أخـــرسوه فمـــا يستطيـــع إعلانـــا
وكم مُصَـــلِّـــى أقامـــوا فى مَحَارِبِـــهِ ... منـــابت الإثم إلحادا وعصيانـــا
وكبلـــوا صَلَـــوات الفجـــر فارتعـــدت ... فرائص القـــوم أذهانـــا وأبدانـــا
شعب بلا شرعـــة للـــه تحكمـــهُ ... قد زيفـــوه أحـــاسيسا ووجدانـــا
وَصَيَّـــرُوهُ غريبـــا فى مشاعـــره ... وشيَـــدوا حولـــه سورا وقضبانـــا
أرض البخـــارى والـــرازى قد سَبَـــحَتْ ... فى بحر أحـــزانها شيبـــا وشبانـــا
شادوا حصارا على الأفكـــار واتخذوا ـ ... من الطواغـــيت أربابـــا وأوثانـــا
« لينين » يعبـــد دون اللـــه فى ملأ ... قد طوّفـــوا حولـــه صمـــا وعميانـــا

وحاربوا دعوة التوحيد عدوانا ... وعطلوا فى فجاج الأرض أديانا
على الجماجم والقتلى مسيرتهم ... ويحشدون جموع الناس قطعانا
شريعة الغاب والإرهاب قد ملكت ـ ... وسائل الفتك بالأحرار أطنانا
سبعون عاما شعارات مزيفة ... ماأسعدت مرة فى الأرض إنسانا
ما حققت غاية أو شيدت أملا ... أو ثبّتت قيمة أو أصلحت شانا

وشاء ربك والدنيا بقبضته ... والخلق والأمر إقرارا وإذعانا
فانهار كل كيان الزيف وانهدمت ... معاقل الكفر بنيانا وسلطانا
وعاد للحق والإيمان دولته ... وعاد كل شريد كان حيرانا
صحَتْ مآذنُها عادت مكبرة ... فأيقظت بالندا من كان غفلانا
زهت أسارير دين الله مذ رجعوا ... وجمّعوا شملهم صفا وبنيانا
واستقبلت مكة التكبير باسمة ... وهلّل البيت أعتابا وأركانا
وأزهر الأزهر المعمور وانطلقت ... قوافل النور أعوانا وخِلّانا
يُعَبِّدُون طريق الخير فى يدهم ... مشاعل الحق إسلاما وقرآنا
خاضوا على الطائر الميمون رحلتهم ... وصادفوا من عناء الجهد ألوانا

هذى الدموع دموع القوم يسكبها ... فيض المشاعر والأشواق عنوانا
ألقوا إليكم حشاشات وأفئدة ... وأسلموكم أحاسيسا وأذهانا
فَعَانِقُوها ففى أشواقها عَبَقٌ ... فاضت به زفرات القلب عرفانا
مدوا إليهم جسور الود صادقة ... فليس غير هدى الإسلام رُبَّانا
وعوضوهم سنين القهر واحتسبوا ـ ... كل المعاناة ـ عند الله قربانا
يا بارك الله فى جهد يقوم به ... ركب الدعاة زرافات ووحدانا
وبارك الأزهرَ المعمور دوحته ... تمد فوق بقاع الأرض أغصانا

فى رحاب منى ..!

للشاعر : يوسف العظم

رجمت إبليس فى نفسى ووجدانى … ورحت أطرد بالتنزيل شيطانى
وعدت أقطع عهداً لست أخلفه … بأن أكون لإسلامى وإيمانى
أرتل الذكر علّ الذكر يحفظنى … من الخطايا ويحمينى ويرعانى
أسترحم الله فى أفياء كعبته … وأسأل الله فى سرى وإعلانى
بأن يمنّ على نفسى بهدأتها … حتى أمزق بالطاعات عصيانى
يا مسجد الخيف فى أفيائك انطلقت ـ … ترتيلة الحق من آيات قرآنى
وفى حماك رسولُ الله هامته … غرّاء كالصبح لا تعنو لطغيان
فى كل حبّة رمل منك مأثرة … وكل نسمة حبّ منك تلقانى
كتيبة الله قد حطت بساحته … تسمو بسلمان أو تزهو بعثمان
يا مسجد الخيف فى الأقصى إجِبَّتُنَا … وفى الخليل وفى حيفا وبيسان
تهفو نفوسهم للزحف منطلقا … يحرر القدس من ظلم وعدوان
وراية الحق تعلو فى مرابعنا … تطهر القدس من رجس وأوثان
وتمسح العار من ساحات مسجدها … وتغرس المجد فيها بالدم القانى
لقد أثرت دموع الشوق والهفى … يا مسجد الخيف مذ حركت اشجانى

شوق إلى الحجاز

للشاعر : محمد مصطفى الماحى

عذر من بات رهن الوجد والسقم … وأَرَّقَتْ جفنه الذكرى فلم ينم
ما أعذب الحب وِرْدًا طاب منهله … رغم السهاد ورغم البين والألم
لى فى الحجاز ونجد من هوى وجوى … ذكرى تؤجج مشبوبًا من الضرم
لكنها راحة للنفس شافية … بما تفيض به من هاطل الديم
وأىّ نعمى حلا فى القلب موقعها … كروضة المصطفى أو كعبة الحرم
مناهل من جنان الخلد منبعُها … روت فؤادى بما جادت به وفمى
فاعجب لمن ظل بعد الرى فى لَهَفٍ … إلى الورود ، أيقضى العمر وهو ظم ؟

من وحى الحرمين

للشاعر : مصطفى حمام

يا رب جاء إلـيك يَسْـألكَ الهدى   عبـد له أوزاره وضلالـه
قد خال آفـاق الحجـاز تضيـق عن   آثامـه وبها تنـوء جبالـه
عبر البحـار إلى حماك ودمعـه   آمالـه أو دمعـه أوْجَالُـهُ
وخطـا بأرضك ذاهـلا وكـأنما   طفـقت تطـارد خطـوه أعمالـه
حتـى إذا البـيت المحرم ضمـه   قرت بلابلـه وأصلـح بالـه
يا رب قد بلغتنـى املى ومـن   آواه بيـتك لم تخب آمالـه
انـزلْت فى القـلب اللهيـفَ سكينـةً   لا روعـه باق ولا زلزالـه

•••

يا مِن يجب التائـبين دعـاك من   صدق المتـاب فهـل يجاب سؤالـه
المسلمـون ودينهم فى محنـة   لم يخف حالهمـوُ علـيك وحالـه
وأراهمو متفـرقين كأنهم   جسم سوى مزقت أوصالـه
وأراهمو قد مكنـوا لعدوهـم   فتملـكت أعناقهـم أغلالـه
صال العـدو عليهمُ متـجبراً   واشتـد فيهم بطشه ونكالـه
وإخـال منهم من يخون عهـوده   ومـن الخيانـة جاهـه أو مالـه
وإخـال من فساقهـم من غَرَّهُ   إمهـال رب العـرش لا إهمالـه
وإخـال منهم من ينـوب لعلـة   فإذا انـقضت غلب المتـاب ضلالـه
يا رب ألزمنـا صراطك تنصرف   عنـا مآسى يومنـا ووبالـه
يا مِن ينير الـروح باهـرُ نوره   ويـزف ألـوان الجمـال جمالـه

مهبط الوحى

للشاعر : العوضى الوكيل

مهبط الوحى ومسعى الطائفين
حولك التفت قلوب المسلمين
خافقـــات فى ولاء ويـــقين

•

هل درى أفقك يا أم القـــرى
أى غيث من سماك انهمــــرا
وشعـــاع للهـــدى منك سرى
وضيـــاء عبقـــرى قد جرى
فهـــدى النـــاس إلى الحق المبين
مهبط الوحى ومسعى الطائفين

•

قبلـــة تهوى إليها الأفئــــده
الأمانـــــــىّ لديها غَردة
هاتفــــات بالهوى محتشدة
سمع الله بها من حمده
وإليها يدفـــع القـــلبَ الحنين
مهبط الوحى ومسعى الطائفين

•

الثرى الحر بواديك سماء
لا يَزَلْ مرفـــوع البنـــاء
فهـــو للإسلام درع ووقـــاء
وهـــو أمـــن وسلام ورجـــاء
وحمى ما زال وضاح الجبين
مهبط الوحى ومسعى الطائفين

ماذا ... للبوسنه والهرسك

شعر : أ. د. عبد الغفار حامد هلال

ألاَ هُبُّوا بِبَأسِكُم الدءوبِ ... وبالإسلام قُومُوا للوثوبِ
أقِيلُوا الحقَّ (عثْراتِ) اللّيالى ... فقد أودَى به ظُلم الشعوبِ
فنحنُ نرىَ ونسمعُ ما يعانى ... أخُ الإسلامِ فى الوطنِ السليب
فلسطينٌ بها جرحٌ عميقٌ ... وفى القدس الشريف وفى الدروبِ
وفى « بُورما » نرى الأهليَن صرعى ... وما أثِمُوا بِجُرمٍ أو ذَنوبِ
وفى « البوسْنَى »[1] و « هرسك » من دماءٍ ... على يد كلِّ سفاكٍ غريبِ
فيُطَردُ باسم سيف الغدذرِ حقٌ ... وما للعَدلِ من ليثٍ غضوبِ
وباسم حضارةٍ هَتِكتْ ديارٌ ... وباسمِ تدُمِ الأممِ (الرهيبِ)
وهذى صولةُ الغاباتِ؟ عادتْ ... إلى عصرِ المخاوفِ والخُطوبِ

●●●

أفىِ الحقِّ الأخوةُ قد توارَتْ ... ومالتْ شمسُهاَ نحوَ الغروبِ
بِمشرقَنا ومغربنا ترانا ... بعيداً عَنْ تآزُرنا المهيبَ
تَفَرّقْنا فأصبحْنا ضِعَافاً ... وخارَ العزمُ فى وَهَنٍ عجيبِ
أتَرْضَى أن يَموتَ الحقُّ فينا ... ولاَ نأسَى لإذْلالِ السليبِ
رسولُ اللهِ كان يُمدُّ عوناً ●●● لمنْ شطَّ المزارُ وللقريبِ
وكنَّا فى عيونِ الداهرِ يْقظيِ ... نصونُ الحقَّ بالرأى المُصيبِ
أقْنا الأمْنَ روضًا مُسْتراداً ... لكلِّ الناسِ بالعدلِ الرحيبِ

لماذا الماردُ العملاقُ أمسَى ... مهيضَ الحِسِّ فى وادِى الهُرُوب
أفى الإسلامِ يُقْطَعُ كلُّ عِرقٍ ... من الأرْحَامِ فى اليوم العصيبِ
وما هذا القعودُ عن المعالى ... ألم تثقُوا برِّبكم المجيبِ
أتعرفُ أن دينَك منكَ ينأى ... إذا خُنْتَ الأمَانةُ بالنكُوبِ

●●●

فكيق بمنْ يَنامُ على حريرٍ ... نُناديهِ وليسَ بُمستَجيبِ
ألا أيدٍ تهُب لمنْ دَعَاها ... لنجْدتِه بكلِّ فتىً أريبِ
ونصرُ اللَّهِ يحمى وجْهَ حُرٍّ ... يشيبُ بِعالَمِ اليوم الكئيبِ
فَتَحْضَلَ الحياةُ بغرسِ حُبٍّ ... يفوحُ شَذَاهُ بالأملِ القشيبِ

---

(١) اصلها اللغوى كما تكتب بالانجليزية **Bosa** .

من روائـــع الماضى بمجلة الأزهـــر

من طرائف القرآن الحكيم

لفضيلة الأستاذ الشيخ/ عبدالغنى عوض الراجحى

اعداد وتقديم : الاستاذ/عبد الفتاح حسين الزيات

سيظل كتاب الله الحكيم هو المعجزة الخالدة التى تثير مشاعر ووجدان المؤمن فيرسخ إيمانه .

والذين يقرأون القرآن قد يجدون فيه أشياء تصيبهم أحيانا بالدهشة والتعجب .

من ذلك ما جاء فى القرآن من قصص ..

ولكن سرعان ما يزول أثر ذلك اذا عرف السبب وهو سخاء القرآن بمعجزاته التى لا زالت تمدنا كل يوم بجديد : وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾

قال الاستاذ رحمه الله :

نقتصر فى مقالنا هذا على سبع مفارقات تتعلق بتشابه النظم فى قصص القرآن الكريم ، حيث يكون المعنى واحدا أو كالواحد يذكر فى أكثر من موضع بعبارات تختلف تقديما وتأخيرا وذكرا وحذفا ونحو ذلك نكشف عن السر فى ذلك تفصيلا بعدما عرف إجمالا من أن ذلك مردود الى التفنن والتنويع ومناسبة المقامات المختلفة لمقتضيات أحوالها المختلفة .

المفارقة الأولى .. فى قوله تعالى فى سورة الأعراف فى قصة صالح « فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى » .. مع قوله تعالى فى السورة نفسها فى قصة شعيب .. « فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات .. ربى » مع قوله تعالى فى السورة نفسها فى قصة نوح .. « ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى » .. مع قوله تعالى فى السورة نفسها فى قصة هود « ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى » فقد كانت الرسالة فى قصة صالح على لفظ المفرد ، وفى قصة غيره على لفظ الجمع ، فهل من سر لذلك .. ؟ والجواب : أن المؤدى فى النهاية واحد ؛ لأن الرسالة بالنظر إلى وحدتها فى حد ذاتها يصح أفرادها وبالنظر الى ما تشمل عليه من الأوامر والنواهى والإرشادات الكثيرة يصح جمعها لكن الأفراد بقصة صالح أوفق لأنه لم يحك عنه فى القصة كثير من ذلك بل دار كلامه على الناقة والحث على إكرامها .. والجمع بقصص المذكورين من نوح وهود وشعيب أوفق فقد ذكر فى قصصهم كثير من الجدل والأوامر والنواهى سيما شعيب الذى كان مرسلا الى أهل مدين وأصحاب الأيكة الأمر الذى يقتضى تعدد التبليغ وتكثر الارشادات وفى « ملاك التأويل » ما يعطى أن العرب فى كلامها تضع الأكثر فى مقابلة الأكثر وبجواره ، والأقل فى مقابلة الأقل وبجواره ، فحيث كان فى قصة شعيب كثير من أوامره ونواهيه المتعلقة بالعبادة والموازين والمكاييل وقع التعبير بالرسالات (جمعا) .. وحيث كان فى قول قوم نوح له « إنا لنراك فى ضلال مبين » كثرة وشمول حيث أرادوا أنه ضال فى كل ما يأتى ويذر ضلالا بينا كان الرد عليهم بالرسالات (جمعا) فى قوله : (ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى) وكذلك كان الحال فى قصة هود حيث قال قومه له : إنا لنراك فى سفاهة ، والسفاهة مصدر سفه بالضم ، أرادوا أنها صارت له مَلكَةً فى كل ما يأتى ويذر ، فكان فى ذلك شمول فناسب الجمع فى الرسالة فى رده عليهم : « ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى » وحيث لم يذكر فى قصة صالح شىء من ذلك اللهم إلا الناقة وكفر قومه به، جاء لفظ الرسالة (مفردا) .

المفارقة الثانية : فى قوله تعالى فى سورة هود فى قصة نوح « أرأيتم أن كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده » مع قوله تعالى فى السورة نفسها فى قصة صالح « أرأيتم أن كنت على بينة من ربى وآتانى منه رحمة » مع قوله تعالى فى السورة نفسها فى قصة شعيب « أرأيتم إن كنت على بينة من ربى ورزقنى منه رزقا حسنا » .

فالآيات الثلاثة فى حكاية أقوال هؤلاء الأنبياء الثلاثة لأقوامهم . لكن المفعول الثانى لفعل الإيتاء فى قصة نوح تاليا للفعل ومفعوله الأول لا فاصل بينهما وفى قصتى هود وشعيب وقع المفعول الأول وفعله بالجار والمجرور وهو قوله « منه » ، فهل من سر لذلك . ؟؟ والجواب أنه حيث تقدم فى قصة نوح فى نفس السورة ـ أفعال اقتضت مفعولين لا فاصل بينهما بمثل هذا الجار والمجرور وذلك فى قولهم له : « ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى » ، كان من الحسن اتباع المتأخر بالمتقدم فى الطريقة ، فلما كان التقدير فى قولهم هذا ، نراك بشراً مثلنا : نراك متبوع الأراذل كان رده على نفس هذه الطريقة .. آتانى رحمة من عنده بعدم الفصل بين المفعولين بجار ومجرور .. وحيث تقدم فى قصة صالح فى نفس السورة قول قومه فى كفرهم « قد كنت فينا مرجوا قبل هذا » فوقع الجار والمجرور بين اسم كان وخبرها كان من الحسن اتباع المتأخر بالمتقدم فى الطريقة بوقوع مثل هذا الفاصل بين المفعولين فقيل « وآتانى منه

رحمة » وقريب من ذلك الواقع فى قصة شعيب فإن ما فى حكاية كلامه من تقديم الجار والمجرور على المفعول الذى هو الرزق شبيه بما سبقه فى نفس القصة والسورة من قول قومه له « أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء » بتقديم الجار والمجرور على المفعول ...

وفى « ملاك التأويل » ما يعطى فى سر هذه المفارقة جوابا آخر مؤداه أن قوم نوح القوا الشبه والكفريات على الأصل دون تقعر والتواء فى الكلام فقد اتهموه بالمثلية فى البشرية واتباع الأراذل وكاشفوه بظنهم كذبه وكذب اتباعه وقوم صالح تقعروا فى الكلام واسقطوا صالحا عن رتبة الرجاء فى حاله فوقعت حكاية قول كل رسول على طريقة حكاية كفر قومه فكانت فى قصة نوح على الاصل من تقديم المفعول وتأخير المتعلق به فقيل : وآتانى رحمة من عنده ، وكانت فى قصة صالح على خلاف الأصل بتقديم الجار والمجرور على المفعول الثانى « وآتانى منه رحمة » وقريب منه ما فى قصة شعيب ، فقد كان قومه متقعرين ملتوين خارجين عن الأصل فى قولهم له « أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد » فكان فى جوابه خروج عن الأصل بتقديم الجار والمجرور على المفعول الثانى فى قوله ورزقنى منه رزقا حسنا .

أما التعبير بالرزق فى قصة شعيب بدلا من الرحمة فى قصتى هود وصالح فلمناسبة الأموال والمكاييل والموازين المذكورة فى قصته فإن لفظ الوزن بجوار ذلك أشكل وأوفق .

أما كون هذا الجار والمجرور فى قصتى صالح وشعيب بلفظ « منه » وفى قصة نوح بلفظ من عنده فالمعنى ، وأن كان واحدا إلا أن زيادة العندية تفيد زيادة التمكين فى المعنى وذلك أوفق بقصة نوح لما فيها فى هذه السورة خاصة من الاطناب والزيادة فى بيان جداله مع قدمه الذين كانوا كما نطق القرآن عنهم أظلم وأطغى ..

المفارقة الثالثة : فى قوله تعالى فى سورة الصافات فى قصة ابراهيم من قول ابنه له « ستجدنى ان شاء الله من الصابرين » مع قوله فى سورة القصص فى قصة موسى من قول صهره له « ستجدنى إن شاء الله من الصالحين » وواضح أن الأولى من قول الذبيح حين أخبره والده بعزمه على ذبحه تنفيذا لوحى الله فكان له معوانا على طاعة الله بامتثاله وقوله له يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين أى على آلام الذبح فالصبر بهذا الموضع أوقع وأن الثانية من قول شعيب لموسى حين المعاقدة بينهما على زواج الثانى بابنة الأول على أن يأجره ثمانى حجج فإن أتم عشراً فمن عنده ، فقال له : وما اريد أن أشق عليك ستجدنى إن شاء الله من الصالحين أى فى المعاملة لا ظالما ولا طامعا فالصلاح بهذا الموضع أوقع ..

المفارقة الرابعة : فى سورة الشعراء فى سائر قصص السورة(١) يقـول كل رسول لقومـه فاتقـوا الله وأطيعون ، هكذا تكون آية برأسها إلا أنها فى قصة كل من نوح وهود وصالح ذكرت مرتين وفى قصة لوط وشعيب ذكرت مرة واحدة .. والسر فى ذلك ــ والله اعلم ــ أنها فى قصة شعيب وقع الاغناء عن ذكرها مرة ثانية بما ذكر من قوله لقومه « واتقوا الذى خلقكم والجبلة الأولين ووقع الاغناء عنها فى قصة لوط بما ذكر من قوله لهم « إنى لعملكم من القالين » فهو بغض لعملهم مستلزم لارادته أن يطيعوه بتقوى الله والاقلاع عما هم . ثم لا يبعد أن يكون ذلك لأن شعيبا ولوطا ذكر عنهما خاصة فى السورة الاشتغال بالنهى عن معصية معينة هى اتيان الذكور والتلاعب بالمقاييس فكان ذلك اشتغالا بتحصيل طاعة وتقوى فى أمر معين أغنى عن الاشتغال بتحصيل طاعة وتقوى عامة مرة ثانية(٢) .

المفارقة الخامسة : فى قوله تعالى فى سورة الشعراء قصة ابراهيم « فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾

---

(١) ما عدا قصتى موسى وإبراهيم فلهما نمط خاص .

(٢) راجع السورة الكريمة .

﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ۝٨١﴾ مع قوله تعالى فى سورة النجم

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝٤٢ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ۝٤٣ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ۝٤٤ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ۝٤٦ وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ۝٤٧ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ۝٤٨ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ۝٤٩﴾ الكلام ها هنا فى ذكر الضمير « هو » قبل بعض الأفعال المسندة إلى الله دون بعض فى كل من الآيتين هل من سر لهذه التفرقة ؟ والجواب أن هذا الضمير ذكر قبل الأفعال التى يتوهم أنها من فعل العبد ومن شأنها أن يلتبس الأمر فيها أما الأفعال التى من شأنها أن لا يقع فى أنها محض فعل الله اشتباه فيستغنى بوضوح خلوصها لله عن الاتيان بهذا الضمير وعلى ذلك فقد جاء قبل الاغناء والاقناء والاضحاك والابكاء والاطعام[1] والهداية وكونه ربا للشعرى ولم يجىء قبل كونه عليه النشأة الأخرى وكونه خلق الزوجين الذكر والأنثى مع ما حصلت به تقوية هذا الاخير من سابق قوله تعالى فى سورة النجم « هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم » لكن ما يستحكم فيه السؤال فعل الإحياء والإماتة وتقدم الضمير عليهما فى سورة النجم دون ذلك فى سورة الشعراء وهما شىء واحد ولعل ذلك — والله اعلم — لأن الأصل عدم وقوع اللبس فى أنهما من محض فعل الله لكن قد يعرض هذا اللبس ويحلو التلبيس فى هذا للنادر من المعاندين الذين يركبون رؤوسهم كالنمروذ حين حاجه ابراهيم فقال له « ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت » وإذا كان ذلك كذلك فقد جاء الكلام على الأصل من عدم الالتباس وبالتالى حذف الضمير فى سورة الشعراء السابقة على سورة النجم فى ترتيب التلاوة لأنها كالأصل لها فكان ذلك من وقوع الأصل ، فى الأصل مع مراعاة أن عدم اللبس فيما يختص بشخص المتكلم أبرز وأظهر فيتبعه حذف الضمير وهذا هو الواقع فى سورة الشعراء لأنها فى حديث ابراهيم عن نفسه بينما كان المقابل لذلك كله هو الواقع فى سورة النجم ..

المفارقة السادسة : فى قوله تعالى فى سورة هود والذاريات فى قصة ابراهيم « أوجس منهم خيفة » مع قوله تعالى فى سورة طه قصة موسى « أوجس فى نفسه خيفة موسى » فقد زادت الثانية على الأولى قوله فى نفسه وذلك لأن موسى استشعر هذه الخيفة وهو فى موقف التحدى بمعجزة العصا على ملأ من الناس بعد ان القى السحرة حبالهم وعصيهم وخيل اليه من سحرهم أنها تسعى فكان ، يبالغ فى إخفاء هذه الخيفة عن الناس وما صرح بها لأحد ، أما ابراهيم فما كان يبالغ فى إخفاء هذه الخيفة عن ضيفه المكرمين بل أنه أعلنها بعد أن توجسها بقوله إنا منكم وجلون فقالوا له لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم .

المفارقة السابعة : فى قوله تعالى فى سورة ابراهيم الآيات ٩ ، ١٠ ، ١١ قصص قوم نوح وعـــاد وثمود .

---

(١) قوله ويسقين معطوف على قوله يطعمنى فهما واحد .

(٢) سورة البقرة .

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

طرائف و مواقف

« ثلاثيـــــات »

فى الحديث الصحيح : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان » [رواه البخارى] .

وقيل ان ابراهيم الخليل ـــ عليه السلام قال : « ثلاثة أشياء أحبها لنفسى ، ولمن أحب رشده أحب أن يكون بينى وبين ربى ، من أفضل عباده ، وأكون بينى وبين الخليقة من أوسطهم ، وبينى وبين نفسى من شرهم .

وقال عمرو بن شية :

ثلاثة من أعجب الأشياء ، اقتران بعضها ببعض : الحرفة للأدباء ، تباعد المال عن الظرفاء ، وإقبال الدنيا على النواكى أى « الحمقى » .

« حتى تفوز »

قال يحيى بن معاذ : من أقر لله بإساءته ، جاد الله عليه بمغفرته .. ومن لم يمن على الله بطاعته ، أوصله إلى جنته ، ومن أخلص لله فى دعوته مَن الله عليه بإجابته .

« طوبى لعبد »

قيل لأعرابى : كيف حالك ؟

فقال بخير ، أمزق دينى بالذنوب وأرقعه بالاستغفار ، ثم قال :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا
فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

فطوبى لعبد أثر الله ربه
وجاد بدنياه لما يتوقع

« علامات الحمق »

قالوا : علامات الحمق : شدة العجب وكثرة الكلام ، وسرعة الجواب ، والعجلة والخفة ، والسفه ، والظلم ، والغفلة ، والاحمق ان استغنى بطر ، وإن افتقر قنط ، وإن قال أفحش ، وإن سئل بخل ، وإن سأل ألحف .

« ففيم كنا »

حكم القاضى على رجل كثرت ديونه ، فأركبه حمارا وطوف به فى البلد ، ليحذر الناس من معاملته بعد ذلك ، فلما نزل عن الحمار ، قال له صاحب الحمار أدِّ الكراء .

فقال : ففيم كنا طول النهار يا أبله ؟!

« الشيطان ومداخله »

قيل : إن إبليس ظهر لسيدنا عيسى ، ــ عليه السلام ــ فقال له : ألست تقول : لن يصيبك إلا ما كتب الله عليك ؟ .

قال : بلى ، قال : فارم نفسك من ذروة هذا الجبل ، فإذا قدر الله لك السلامة تسلم .

فقال له : يا ملعون ، إن الله ــ تعالى ــ يختبر عباده ، وليس لعبد أن يختبر ربه .

« فضل الله »

قال الشاعر :

إلهى لك الحمد الذى أنت أهله
على نعم ما كنت قط لها أهلا
إذا ازددت تقصيرا تزدنى تفضلا
كأنى بالتقصير استوجب الفضلا

« انصرف فإنه صادق »

دعا رجل صديقا له إلى منزله ، قائلا : تعال نأكل خبزا وملحا ، فظن الصديق أن ذلك كناية عن طعام شهى ، وشراب سائغ ، فمضى معه فلم يزد على الخبز والملح ، وبينما هما يأكلان إذ وقف بالباب سائل ، وألح فى السؤال فقال صاحب البيت : إذهب والا كسرت رأسك .

فقال الضيف : انصرف فإنه صدق فى وعده ، وسيصدق فى وعيده .

« دعــاء »

اللهم ياذا الحبل الشديد والأمر الرشيد ، أسألك الأمن يوم الوعيد ، والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود ، والركع السجود الموفين بالعهود ، إنك رحيم ودود ، وإنك تفعل ما تريد .

فى طريق علم اللغة الحديث عند الغربيين

(٣)

للأستاذ الدكتور توفيق محمد شاهين

إذا كان الغرب قد أخذ عن العرب علومه وفلسفته ـ وهو ما أقره علماؤهم ـ فانهم فى الواقع لم يقفوا عند حد الأخذ والنقل بل انطلقوا فى طريق التطوير والابتكار ، وكان للدراسات اللغوية عند الغرب نصيب ؛ فدرسوا التطور اللغوى للطفل على أسس علمية ، وتمكنوا من ارساء مفاهيم اتفقوا عليها ، مثل مفهوم الوحدات اللغوية فى القونيم والمورفيم على نحو تفاعيل العروض فى بحور الشعر العربى ، وجدير بالذكر أن الغرب يستخدم تلك الدراسات فى تعليم لغته للمبتدئين فى الكنيسة والمدرسة والجامعة على أسس علمية ، ويثبت ذلك فى كتب اللغة للمبتدئين ، نشراً للغتهم ، واتماماً للفائدة من العلوم الحديثة ووسائل التكنولوجيا .

فمتى تحظى لغتنا ببعض هذا .. أقول : فمتى تحظى لغتنا بذلك ؟

والمؤسف .. والمؤلم : أن يسخر بعض من نسميهم جامعيين من لون الدراسة هذا ..

• ويدرس الغرب اليوم بكل وسائل التقنية أصوات اللغة على ضوء علمى « الفونيتيكا » و « الفنونولوجيا » .. وهذان العلمان متكاملان : « فالفونولوجيا » تطلق على مجموعة الدراسات التى تعالج أصوات اللغة وكيفية النطق بها ، وطبيعتها « الفيزيائية » .

• بينما يطلق اسم « الفولولوجيا » على مجموعة الدراسات التى تبحث فى تنظيمات « الونيمات » الخاصة باللغات المعروفة :

فاللغة العربية ، واللغة الفرنسية مثلاً تحتويان على حرف (ب) ، لكن يهم عالم اللغة أن يبين أن وظيفة الصوت اللغوى فى اللغتين مختلف أحدهما عن الآخر إلى حد كبير .

ومن زاوية العلاقات القائمة بين العناصر ضمن التنظيم اللغوى ، تم دراسة الأصوات اللغوية فى المجال (الفونولوجى) .

• ومن أهم ما توصلت دراساتهم اللغوية إليه : المستوى الدلالى للمفردات ، ومن الصعوبة تحديد دلالة المفردة ، لأنها تحتوى أحياناً على معان ذات دلالات كثيرة للفظة الواحدة ، تكون قريبة المدلول أو مختلفة ، أو حتى علاقة تضاد ، ولا يفهم ذلك كله إلا من دراسة الكلمة فى السياق الذى تظهر فيه اللفظة .

• ناهيك بما تم عن الترجمة الآلية التى أصبح لها شأن كبير فى دنيا الغرب ، وتعتمد على تحليل الآلة للمادة اللغوية فى مستوى المفردات والتراكيب والدلالات .

وتعادل هذه التحليل مع تحاليل مماثلة فى لغة أخرى يراد النقل بالترجمة منها ، أو إليها .

وأفاد ذلك كثيراً فى دنيا العلوم ، التى تتطلب سرعة فى تبادل المعلومات ، وبخاصة التى لا تتحمل طبيعتها الركون والثبات كالأدب مثلاً .

ونحن بحاجة إلى ذلك - لا شك فى هذا - فما زالت قواميسنا عامرة بذكر الجمل وأوصافه فى أكثر من ٤٠٠٠ لفظة ووصف - بينما ستنقرض سيارة فورد. ونحن نلهج باسماء أجزائها ، وليست فقط قطع غيارها كما نطقها أصحاب السيارة وصانعوها .

•••

هذا قليل من كثير من المسائل التى عنى الغرب ببحثها ، ولاقت فى الجامعات النظرية اكباراً واعجاباً وعناية بدراستها والاستفادة منها .

وبقى فى هذا البحث أن نشير إلى بعض الروّاد اللغويين المحدثين ، لتاريخهم وبيئتهم ، ونشأتهم ، والمناصب التى تولوها ، والعوامل التى اعانت على نجاحهم ، والآراء التى بحثوها واتموها أو اتمها من بعدهم ، أو فتحت المجال لمن بعدهم فى تعديل أو اضافة .. وكيف كانت عنايتهم بتأسيس النواد اللغوية لاجتماعاتهم ، واصدارهم لمجلات متخصصة وكتب تنشر وتعبر عن مبادئهم وآرائهم .

كل ذلك فى اشارة يتطلبها البحث والمقال والمقام .

•••

١ - أدوار سابير :

ولد فى عام ١٨٤٨ م ، وتلقى علومه فى جامعة « كولومبيا » بمدينة نيويورك .. وتخصص فى اللغة الألمانية . وأظهر اهتماماً بالغاً بالدراسات (الهندوأبوروبية) . وقام بدراسات تناولت اللغة (الاميركو - هندية) .

ثم انتقل إلى جامعة « يال » ودرّس فيها حتى توفى سنة ١٩٣٦ .

يعتبر « سابير » من الألسنيين والأوائل الذين ساهموا فى نشأة الألسنية . وأهم القضايا التى تناولها بالبحث هى :

١ - المفاهيم البنيانية عند سابير .
٢ - المستوى (المورفو - فونولوجى) .
٣ - اللغة مكوّن من مكونات الثقافة .
٤ - فرضية ورف - سابير .

٢ ـ فردينــــــان دى سوسور (١٨٥٧ ـ ١٩١٣) :

قام بسلسلة محاضرات فى الألسنية العامة سنة ١٩٠٦ ـ ١٩١١ وهذه المحاضرات هى كتــاب « دروس فى الألسنية العامة » .

ويعود الفضل الأول لـ « دى سوسور » فى ارساء أسس الألسنية على دعائم علمية ثابتة ، عندما أشار إلى أن الألسنية تهدف ، بصورة أساسية إلى دراسة عمل اللغة وليس دراسة تطورها . ولا يجب أن نفهم من ذلك انه قد حط من شأن الدراسات اللغوية التاريخية إلا أنه ـ فى الواقع ـ اعتبرها ثانوية بالنسبة إلى الدراسة الألسنية الوصفية التى دعا بصورة واضحة إلى اقرارها .

ونعرض بصورة موجزة المبادىء الأساسية التى نجدها فى تعاليم « دى سوسور » ، والتى كان لها الأثر البناء فى نشوء الألسنية ، منها :

١ ـ اللغة مادة البحث الألسنى .

٢ ـ بعد الالسنية الداخلى وبعد الألسنيـــة الخارجى .

٣ ـ الدراسة التاريخية والدراسة الوصفية .

٤ ـ اللغة والكلام .

٥ ـ اللغة تنظيم من الاشارات المغايرة .

٦ ـ سياق اللغة الخطى .

٧ ـ الخط الاستبدالى والخط الركنى .

٨ ـ السيميولوجيا .

●●●

٣ ـ ليونرد بلومفيلد (١٨٨٧ ـ ١٩٤٩) :

اصدر سنة ١٩١٤ كتاب « مدخل إلى اللغة » فانتشر فى الولايات المتحدة الأمريكية إذ كون المرجع الأساسى لدراسة اللغة آنذاك .

وشارك « بلومفيد » فى تأسيس جمعية الألسنيـة الأمريكية سنة ١٩٢٤ وساهم فى الكتابة فى مجلتها « اللغة » وقــد كان لاهتماماتــه بدراسة اللغــة الأميركو ـ هندية ، أثرها فى تحديد اتجاهه الألسنى الحديث .

وساهم « بلومفيلد » فى وضع نظام متماسك يحتوى على مبادىء لوصف اللغات ، بصورة عامة . ومع ان نظام المبادىء هذا قد تخطاه التطور الألسنى الحالى إلا أنه لا بد من ان نعرض بعض أسسه التى كان لها الأثر الواضح ، فى مجال التطور الألسنى اللاحق :

١ ـ ارتباط الصوت اللغوى بالدلالة .

٢ ـ الأشكال اللغوية .

٣ ـ المؤلفات المباشرة .

٤ ـ النظرية اللغوية الآلية .

●●●

٤ ـ نيقولاى تروبتسكوى (١٨٩٠ ـ ١٩٠٥) :

يعتبر « تروبتسكوى » مؤسس علم الفونولوجيا : ففى مؤتمر الألسنية العالمى ، الأول الذى انعقد فى مدينة « لاهاى » سنة ١٩٢٨ تقدم بالاشتراك مع « جاكبسون » ببرنامج واضح للدراسة الفونولوجية وأصدر سنة ١٩٣٩ كتابه « مبادىء الفونولوجيا » الذى ترجم إلى الفرنسية سنة ١٩٤٩ م .

وتندرج أفكار « تروبتسكوى » فى اطار المفهوم الوظيفى الذى قال به « نادى براغ الألسنى » فينظر إلى اللغة من حيث هى تنظيم وظيفى : أى تنظيم قائم على الوسائل التعبيرية المستعملة ، بهدف اقرار غاية معينة .

وتشمل دراسته مجمل المستويات اللغويـــة : الفونولوجية والصرفية والمعجمية .

ونعرض هنا المبادىء الأساسية التى يعتمدها « تروبتسكوى » فى مجال الدراسة الألسنية :

١ ـ الفونتيكا والفونولوجيا .

٢ ـ الوظيفة التمييزية .

٣ ـ التحقيق فى الفونامات .

٤ ـ تحديد الفونام .

●●●

٥ ـ رومان جاكبسون :

ولد « جاكبسون » عام ١٨٩٦ ودرس فى جامعة موسكو القواعد المقارنة وفقه اللغة السلافية .

وأسس سنة ١٩١٥ م مع بعض الطلاب « نادى

موسكو الألسنى » وساهم فى وضع بعض النظريات الأدبية الحديثة .

ونتاج « جاكبسون » وكتاباته متنوعة ، تناولت مواضيع الفونولوجيا بصفته أحد مؤسسى « نادى براج الألسنى» .

وتوالت دراساته فى مجال الدلالات والتراكيب ، كما اهتم بالدراسات الأدبية وبلغة المعاقين والأطفال .

نكتفى بذكر بعض المبادىء الأساسية التى كان « لجاكبسون » الفضل فى وضعها والمساهمة فى انتشارها :

١ ـ السمات السمعية فى مجال الفونولوجيا .
٢ ـ السمات الكلية فى مجال الفونولوجيا .
٣ ـ السيكو ـ السنية .
٤ ـ وظائف اللغة .

●●●

٦ ـ لويس يلمسلف (١٨٩٩ ـ ١٩٦٥) :

يعتبر « يلمسلف » من الألسنيين الأوائل الذين اهتموا بصورة جدية بالمنطق الرياضى وبالمنهجية العلمية . ولعل اهتمامه هذا عائد إلى انه توخى وضع نظرية السنية كلية . وقد ساعده فى هدفه هذا المامه الكبير باللغات حديثها وقديمها .

والقضايا التى كانت فى رأس اهتمامات « يلمسلف » العلمية فى خطوط عريضة هى :

١ ـ اللغة موضوع الدراسة الألسنية .
٢ ـ منهجية الدراسة الألسنية .
٣ ـ مستويا التعبير والمحتوى .
٤ ـ الاشارة والرموز .
٥ ـ النظرية اللغوية .

●●●

٧ ـ اندريه مارتينه :

ولد « مارتينه » سنة ١٩٠٨ فى مقاطعة السافوا فى فرنسا وتخصص فى اللغة الألمانية .

شارك فى أعمال « نادى براغ الألسنى » .

ومن المفاهيم الأساسية التى تكون محور آرائه :

١ ـ وظيفة اللغة .
٢ ـ التلفظ المزدوج .
٣ ـ المبادىء الوظيفية للدراسة الألسنية .
٤ ـ مفهوم الملاءمة .
٥ ـ الاقتصاد اللغوى فى مجال التطور اللغوى .

●●●

٨ ـ نوام تشومسكى :

ولد « تشومسكى » سنة ١٩٢٨ فى مدينة (فيلدلفيا) فى الولايات المتحدة الأمريكية . يعتبر « تشومسكى » مؤسس النظرية التوليدية والتحويلية التى هى حالياً أكثر النظريات الألسنية انتشاراً ليس فقط فى الجامعات الأمريكية انما أيضاً فى الجامعات الأوروبية .

نتناول هنا بعض المفاهيم الأساسية التى تقوم عليها هذه النظرية :

١ ـ الكفاية اللغوية والأداء الكلامى .
٢ ـ مقدرة الإنسان الفطرية ومراحل اكتساب اللغة عند الطفل .
٣ ـ الكليات اللغوية وتنوع اللغات .
٤ ـ انتقاد المذاهب السلوكية .
٥ ـ العودة إلى الأصول العقلانية .
٦ ـ البنية العميقة والبنية السطحية .
٧ ـ تخطى الألسنية البنيانية .

●●●

٩ ـ يان بودوان دى كورتناى :

ولد بودوان دى كورتناى فى بولونيا سنة ١٨٥٤ . ويعتبر بودوان دى كورتناى رائد فى مجال الألسنية : إذ كان له الفضل فى ارساء أسسها ، إلا أنه لم يؤثر مباشرة فى نشأة الألسنية البنيانية ، لأنه لم يضع نظرية كاملة ومتماسكة ، كتلك التى نجدها عند « دى سوسور » ولأن أفكاره وآراءه مبعثرة فى أكثر من ٦٤٠ مقالاً لغوياً .

وسنتناول بصورة موجزة بعض المفاهيم الألسنية التى قال بها وحاول ارساء دعائمها :

١ ـ الفونام .
٢ ـ التمييز بين اللغة كنظام وبين اللغة كمسار متكرر .

٣ ـ التمييز بين ديناميكية اللغة وبين واقعها الحالى .
٤ ـ التمييز بين اللغة المحكية واللغة المكتوبة .
٥ ـ الألسنية دراسة علمية .

●●●

وآمل أن أقوم بدراسة عن الاعلام من علماء اللغة عندنا ، اشادة بجهدهم .. واشارة إلى فضلهم بحول الله وقوته .. ويسألونك متى هو ؟ قل عسى أن يكون قريباً .

والله الهادى إلى سواء السبيل ...

المراجــع

استفدت فى هذه الدراسة من كتب وأبحاث الأساتذة الدكاترة

١ ـ أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، نايف خرما ـ سلسلة عالم المعرفة (٩) الكويت سنة ١٩٧٨ م .

٢ ـ نظريات فى اللغة ـ انيس فريحة ـ دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ١٩٧٢ م .

٣ ـ الألسنية العربية ريمون طحان دار الكتاب اللبنانى بيروت ١٩٧٢ م .

٤ ـ الألسنية (علم اللغة الحديث) ميشال زكريا ـ المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر سنة ١٩٨٣ م .

٥ ـ مذكرات جامعية فى الأصوات ـ كمال محمد بشر ـ على الاستنسل .

٦ ـ علم اللغة العام ـ كمال بشر ـ دار المعارف ـ ١٩٧٣ م .

٧ ـ فى علم اللغة العام ـ عبد الصبور شاهين ـ ط ١٣٩٧ هـ .

٨ ـ علم اللغة العام ـ توفيق محمد شاهين ـ ط مكتبة وهبة بالقاهرة سنة ١٩٨٠ م .

٩ ـ منهج البحث فى اللغة والآداب (مانسون ومانييه) ترجمة محمد مندور القاهرة .

١٠ ـ الوجيز فى فقه اللغة ـ محمد الانطاكى ـ ط الشهباء حلب سنة ١٣٨٩ هـ .

١١ ـ اللغة ـ ج : فندريس ، تعريب : الدواخلى والقصاص ط القاهرة سنة ١٩٥٠ م .

١٢ ـ دوريات :

المجلة التربوية ـ المركز التربوى للبحوث والانماء ـ بيروت عدد ٢ سنة ١٩٧٩ م والعدد الثانى سنة ١٩٧٨ م ـ ومجلة الفكر العربى ، عدد ٨ و ٩ سنة ١٩٧٩ م من مقال للأستاذ رشيد الضعيف ، بعنوان : « نسق الصوائب » فى احدى اللهجات العربيـة .. ومجلات ودوريات سيارة .

نحو دراسة مقارنة لمدرسة الديوان

مع المازنى ..

بقلم الأستاذ : أحمد مصطفى حافظ

بعد أن قطعنا هذا الشوط من الدراسة المقارنة لمدرسة الديوان ، نرى أنه أصبح يتعين علينا أن نمعن النظر قليلا ، فيما نسب إلى المازنى ، من لجوئه إلى أخذ معانى بعض قصائده ، من قصائد أخرى ، لبعض شعراء الإنجليزية ، من أمثال شلى P.B,Shelley (١٧٩٢ ــ ١٨٢٢) وتوماس هود Thomas Hood (٧٩٩ ــ ١٨٤٥) وروبرت بيرنز Robert Burns (١٧٥٩ ــ ١٧٩٦) وغيرهم . ثم تعليله لهذا الأمر ، لزميله عبدالرحمن شكرى ، بقوله أنه : « حفظ المعانى ، ونسى أنها لغيره » وحينما أبدى شكرى عدم اقتناعه بتبرير المازنى لما أقدم عليه ، « لأن الأبيات والمعانى متسلسلة ، والترجمة دقيقة جدا » .. غضب المازنى ، وأسرَّها فى نفسه ، وبخاصة بعد أن أشار شكرى فى مقدمة أحد دواوينه إلى هذا الأمر ، وأبدى استنكاره له ..

حتى إذا سنحت الفرصة بإصدار (الديوان) للعقاد والمازنى ، قام المازنى بشن حملة قاسية على زميله وصديقه شكرى ، وأنكر عليه الشاعرية ، ونعته بأنه : (صنم الألاعيب !) وذلك بعد أن كان يقول عن شكرى من قبل ــ فى معرض الموازنة بينه وبين شاعر النيل : (حافظ إبراهيم)(١) ــ « إن حافظا ــ إذا قِيسَ إلى شكرى ــ لكان كالبِرْكة الآجنة ، إلى جانب البحر العميق الزاخر ، وحَسْب القارىء أن يتأمل ديوانيهما ، ليعلم ما بينهما من البعد ، وليعرف كيف يَقْعد الخيال بحافظ ، ويسمو بشكرى .. وكيف يجنى التقليدُ عَلى رجل ، ويُغلق فى وجهه أبواب التصرف والتفنن .. » إلى أن يقول المازنى عن شكرى ، أنه : لا يُبالغ كحافظ فى تحبير شعره وتدبيجه ، بل حَسْبُه من الوشى والتطريز ، أن يسمعك صوت تدفق الدماء ، من جراح الفؤاد ، وأنْ يفضى إليك بنجوى القلوب والضمائر ، وأن يُريك عيون الندى ، على خدود الزهر إلخ »

(١) أنظر مجلة (عكاظ) عدد ١٩١٣/٨/٨

ونرى أنه قد آن أن نقف وقفة متأنية ، أمام أحد النصوص التى اتُّهم المازنى بانتحالها ، والتى سبَّبَتْ الخلاف الذى أدَّى إلى القطيعة لِعدَّة سنوات بين شكرى والمازنى(١) ، حتى قام (العقاد) آخر الأمر ، بإعادة الوفاق وأواصر الصداقة والمودة بينهما مرة أخرى ، قبيل الخواتيم ..

وسنحاول ، فيما يلى ، إمعان النظر فى إحدى القصائد التى أخذ على المازنى انتحال معانيها ، وَلْتَكُنْ قصيدة : توماس هود ، التى تحمل عنوان : (سرير الموت) : The Death - Bed التى يقول فيها : (وسنكتفى هذه المرة بترجمة نثرية لها ، لنكون بمعزل عن أبيات المازنى ، التى تقف على مسافة قريبة منها) ولسنا فى مقدرة المازنى

رَاقَبْنا تُنَفَسَها خلال الليل	We watch'd her breathing thro the night
كان تنفسها ناعما بطيئا	Her breathing soft and low
حينما كانت نسمة الحياة	As in her breast thewave of life
لازالت تروح وتغدو فى صدرها	Kept heaving to and fro
ولذا دار حديثنا فى سكون	So silently we seem'd to speak
كأننا قد أعَرْناها نصف قُوانا	As we had lent her half our powers
كى تستمر فى البقاء على قيد الحياة	To eke her living out

***

إلا أن مخاوفنا خيبت آمالنا	Our fears are hopes belied
فَحَسْبناها ميتة وِهى نائمة	We thought her dying when she slept
وظَنَّناها نائمة .. وهى فى وادى المنون	And sleeping when she died
ولكنْ حينما أقبل الصباح كئيبا حزينا	But, when the morn came dim and sad
مَقْرُوراً بزخات البكور	And chill with early showers
انطبق جفناها الهادئان مغمضين	Her quiet eyelids closed.. she had
لقد أصبحت فى عالم آخر غير عالمنا	Anothe morn than ours

أما أبيات المازنى ، فقد اتخذت عنوانا آخر للمذكر وليس للمؤنث كما فى أبيات هود ـ يقول المازنى بعنوان :

فتى فى سياق الموت

نُعَـــــدُّ أنفــــــاسَه ، ونحسبها ... والليـــل فيـــه الظـــلام يلتطـــمُ
إذا خروج الحيــــاة أجْهــــده ... تساقـــطتْ على جبينـــه الـــدِّيم
صدْرٌ ـ كصدر الخضمِّ ـ مُضْطَـــربٌ ... جحافـــل الموت فيـــه تزدحـــم
إنْ قام .. مِلْنـــا له بمسمعنـــا ... أوْ نام ، خَفَّتْ بِوَطئنـــا القـــدم

***

يرتـــاع فى طول نومـــه الأمـــلُ ... ويشتكيـــه الرجـــاءُ والسَأم
كأنما الخوف من تردُّده ... خَيْـــلٌ لها من رجائنـــا .. لُجُـــمُ

---

(١) ولم يقتصر اتهام المازنى بانتحال بعض معانى الشعر الأجنبى على شكرى فحسب ، بل إن هناك ناقدا آخر هو : (السيد مصطفى علوى) ـ وهو أديب كان صاحب مقهى فى عابدين وكان يلتقى عنده الادباء وكان يعرف الانجليزية ويقرأ الشعر وقد أخذ على المازنى انتحاله .. فى مقال له بهذا الخصوص بجريدة السفور : عدد ١٤ مارس سنة ١٩١٨ (إرجع لكتاب إبراهيم عبدالقادر المازنى للدكتورة نعمات أحمد فؤاد ص ٥٤ ، ص١٥٥ ط (الاعلام) سنة ١٩٧٨ .

.. خِلنـــاه مات وَهْـــو فى سِنَـــة ونـــائم الجَفْـــن ـ وهـــو مُحْتـــرم
قد قلصَتْ ثغْـــرَه .. مَنِيَّـــة كأنـــه للحِمـــام يبـــتسم .. !

وأول ما يتبادر إلى الذهن فى قصيدتىْ : هود والمازنى ، وأن كلتيهما تصفان « روحا بشرية » فى لحظة الاحتضار ، وهى لأنثى عند توماس هود ــ إذ نظمها عند وفاة شقيقته (آن) .. أما عند المازنى ، فلم يوضح لنا مناسبة نظمها ..

وجعل المازنى (فتاهُ) فى حالة نزع شديدة ، يتلاطم ظلامها ، كما يضطرب صدر الفتى ، حيث تموج وتمور فيه جحافل الموت ، متزاحمة .. كما يصور الخشوع فى مجابهة الموت ــ حين نشاهده فى (الآخر) .. مشفقين على انفسنا ، حينما يأتى الدور علينا .. ويصور المازنى ــ مثل (هود) تماما ــ الهدوء التام (أو المطبق بمعنى أدق) والحذر الشديد فى ملازمة (الجسد) وهو يجود بآخر نسمة للحياة وزاد المازنى عليه ـ على هود ـ صورة حزينة هيفة ، تحث دائما فى مثل هذه المواقف الرهيبة ، إذ يتواكب أهل المحتضر حوله من شتى الجهات ، إن هم بحركة للقيام أو التقلب فى مرقده ساعة النزع الأخير ، فى (حلاوة الروح) ، ثم الاخلاد إلى السكوت والصمت العميق الذى لا حركة بعدهما قط .. إذا أغمض المحتضر عينيه ، مستسلما لمصيره المحتوم ..

وتعبير المازنى : (مِلْنا له بمسْمعِنا) فى غاية الدقة والقدرة على تصوير وتشخيص مايحدث بالفعل .. مما يجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأن المازنى قد وقف هذا الموقف بالفعل ، قبيل نظمه لأبياته تلك وتسللت جل معانى (هود) متوافدة من حافظته وواعيته الباطنة ، التى سبق لها اختزان العديد من الصور والمعانى الجياشة ، التى (تكدست) فيها نتيجة الاطلاع الواسع الغزير على عيون الشعر فى الادبين : العربى والانجليزى .

ثم يأتى المازنى بصورة أخرى فريدة ، حينما يتحدث عن : (الأمل) الذى (يرتاع) لطول نوم المريض .. و(الطول) هنا قياسى فى وطأة الاحساس المتوتِّر به ، حسب نظرية النسبية التى أعلنها (أنشتين) وفسرها لنا أروع تفسير عالمنا الجليل الراحل ، الدكتور على مصطفى مشرفة .. فقلق المحيطين بالمحتضر تجعل (الثانية) تمر كيوم كامل أو أطول من ذلك ، لانها تمر ببطء مرهق شديد .. فما بالك بالدقائق والساعات ؟!

ثم يزيد المازنى معناه قوة ولوعة ، حينما صور تردد الخوف ، كخيل ، نلجمها بالرجاء ، حتى لانمضى قدما بالعزيز المحتضر ، إلى مثواه الأخير ! وكأنما نحاول ـ عبثا ـ أن نوقف عجلة الزمن .

وكذلك فى بيت المازنى الأخير إضافة أخرى لمشهد الميت ، زيادة على تعبير (هود) إذ جعل تقلص الثغر بسبب المنية التى أنشبت أظفارها ، كأن الميت ــ بهذا التقلص ــ كان يبتسم للموت .. وربما صح ذلك إذا كان عمله فى الحياة الدنيا صالحا ووداعه للحياة جعل نفسه المطمئنة ، ترجع إلى ربها راضية مرضية ، كما نصت على ذلك الآية القرآنية الشريفة(١)

وصفوة القول أن المازنى قد أفاد بلاشك ـ بوعى أو بغير وعى ـ من أبيات (هود) : الجو العام لمشهد الاحتضار ، وتأثر بأبيات هود عند قراءته لها لأول مرة ، وحينما سنحت (الفرصة) ــ ومر المازنى بتجربة مماثلة لتجربة هود ــ انبجست المعانى فى ديباجتها العربية الجزلة وتزاحمت الصور فى مخيلة المازنى ، فحدث له ما يصفه صديق عمره العقاد ــ وأعلم الناس بموهبته ، بعمق وتفهم شديدين ــ حين تحدث عن : (ملكة الترجمة عند المازنى فقال : « هى ما يصح أن نسميه بعبقرية الترجمة ، لأنه استطاع بترجمته ، أن يرد الكلام أصيلا ، كأنه لم يكتب فى لغة أخرى ولم يصدر عن قريحة سابقة فقد كان يترجم الكلام فى سليقته شعورا .. قبل أن يترجمه لفظاً ومعنى ، فيجيش كما جاش به صاحبه ، ويعبر عنه بعد ذلك كأنه ينقل قطعته من حسه وخياله ويصنع ذلك بالكلام المنظوم كما يصنع بالكلام المنثور ، فإذا به قد نقل روحه وطلاوته وموسيقاه ، وما يتخلل عباراته من ظلال المعانى المستترة ، وخفاياه المضمونة .. » والمازنى نفسه ، يعطينا

---

(١) وهى فى قوله عز وجل : « يا أيتها النفس المطمئنة إرجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » .

إضاءة كافية ، حينما يقول فى مقدمة قصيدة : (الراعى ...) : « هى قصة قديمة لـ (جيمس يل لويل) وقد نظمتها بتصرف كثير ، ما بين حذف وزيادة !

ثم يقول فى هامش الصفحة : « كل بيت أمامه هذه العلامة : * فهو للمترجم عنه ، والباقى لصاحب الديوان وكذلك فى بقية القصائد »[(١)]

وللمازنى قصيدة أخرى بعنوان : (الشاعر المحتضر) ينص فيها على أن الأبيات : ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ للشاعر شلى ، أوردها فى سياق قصيدته .

بل إننا نجده يقرر بهامش صفحات ديوانه[(٢)] فى تقديمه لقصيدته : (إكليل الشوك) : « إن فكرة تكليل الرأس بالشوك فى الحلم للشاعر تنيسون ــ فيما أظن ــ على أنى راجعت ديوانه فلن أعثر بها ، إما لورودها فى غضون قصائده الطويلة ، أو لانى لم أستطع التوفيق فى البحث ، مع كثرة الشواغل .. وقد أكون مخطئا فى نسبتها إليه .. »

وأخيرا ــ وليس آخرا ــ فإن قصيدة (فتى فى سياق الموت)[(٣)] موضوع الموازنة فى مقال اليوم ، فإن المازنى لم يُشر من قريب أو بعيد الى مصدرها ، أو مصدر الايحاء بفكرتها على أقل تقدير فى هامش صفحة القصيدة .

وإن كان ــ بعد ذلك ــ قد عاد فى تقديمه للجزء الثانى من ديوانه ، إلى الاعتراف باستيحاء نص توماس هود ، والاضافة إليه ، يقول المازنى :

« أما ما اتهمنا بسرقته مما ورد فى الجزء الأول من ديواننا ، فقصيدة : (فتى فى سياق الموت) ــ وهى ثمانية أبيات ــ فقد راجعنا قصيدة (هود) فوجدنا فى قصيدتنا أبياتا ليست له ، ونحن ننزل عن القصيدة كلها راضين ، ونبرأ من تعمد أخذها ، والاغارة عليها ... »

وفى هذا القول اعتراف ضمنى من المازنى بتأثره بقصيدة هود ، بل وصياغة معانى بعض أبياتها ، بعد تمثيلها واستيعابها فى واعيته الباطنة .

ومهما يكن من أمر فإن المعانى الانسانية العامة مجال فسيح لكل أديب ، وهو بسبيله إلى التعبير عن تجاربه الوجدانية ، وإبداع الصور الجديدة التى تلوح بمخيلته أثناء الخلق الفنى . وموهبة المازنى الكبيرة ، وغزارة نتاجه الشعرى ، وروعة الاداء عنده مما يجعلنا نسلم بأخذه عن غيره من الشعراء الكبار ــ من أنداده ــ ولكن بعد أن يمهرها بطابعه الخاص ، ويضيف إليها ما يجعلنا أكثر إشراقا وتفردا بل وتصبح أقرب إلى الاصالة والابتكار وهناك فرق كبير بين نقل نص ما نقلا حرفيا ، بدون زيادة أو نقصان ، وبين التعامل مع هذا النص باقتدار ، ثم هضمه وتمثله ، وإطلاق العنان بعد ذلك بجيشان عاطفة وتدفق مشاعر لصياغة جديدة تستوعب ولاتقلد وتضيف الجديد من إبداع الشاعر ، الذى يتسم بطابعه الخاص وتعبيره المميز .

---

(١) أنظر (ديوان المازنى) ص ٩٧ ــ ١٠٨

(٢) أنظر (ديوان المازنى) ص١٩١

(٣) أنظر (ديوان المازنى) ص٣٤

قراءة فى كتاب

التاريخ وتطوره فى ديار الإسلام حتى نهاية القرن الثالث الهجرى ومناهج البحث فيه

المؤلف دكتور/ محمد عبد الوهاب فضل
أستاذ التاريخ الإسلامى المساعد بجامعة الأزهر
عرض وتقديم/أحمد السيد تقى الدين

إن دراسة علم التاريخ عند المسلمين وتطور الإلمام بجهود المؤرخين فى ذلك يعتبر دراسة مهمة جداً لكل دارس للتاريخ الإسلامى خاصة ، لأنها تمده بأصول وجذور هذا التاريخ لأن ما كتبه أولئك المؤرخون يعتبر جزءاً من مصادر التاريخ الإسلامى .

ولا شك أن الرصيد الهائل الكبير من كتب التاريخ عند المسلمين ـ منذ ابتداء عصر التدوين فى أوائل القرن الثانى الهجرى ـ يؤكد أن المسلمين اهتموا بالتاريخ اهتماماً كبيراً قل أن نجد له مثيلاً عند غيرهم .

منذ نهاية القرن الأول الهجرى ، وخلال القرن الثانى ، وكان أهم ما يميز هذه الفترة بالنسبة للتاريخ عند المسلمين هو ظهور الخط الفاصل بين التاريخ والحديث .

أما بداية التخصص فى الأخبار ، وهو الطور الثالث ، فقد برزت ملامحها خلال القرن الثانى الهجرى ، وهذه المرحلة تعتبر من أهم المراحل التى مرت بها فكرة الكتابة التاريخية عند المسلمين ، وذلك لأنها مهدت لظهور مرحلة أخرى متطورة متقدمة تبلورت فيها الفكرة التاريخية خلال القرن الثالث الهجرى وحتى نهايته .

والمرحلة الرابعة تتمثل فى ظهور التخصص فى الكتابة فى التاريخ العام بما نعنيه من اكتمال ونضوج الفكرة التاريخية لدى المسلمين ابتداء من أواخر القرن الثانى الهجرى وأوائل القرن الثالث حيث يلحظ الباحث زيادة جوهرية فى المادة التاريخية ودقة وتحرراً فى مصادرها ، واستمرت هذه المرحلة حتى نهاية القرن الثالث الهجرى .

المرحلة الخامسة ممثلة فى ظهور التواريخ المحلية ، فحين تعرضت الدولة العباسية للحركات الانفصالية منذ النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى تداعت هذه الوحدة السياسية وانفصلت عنها فى الشرق والغرب دويلات فتأثرت الكتابة التاريخية بهذا التمزق السياسى الذى أصاب الدولة .

والواقع أن تطور الكتابة التاريخية عند المسلمين كان جزءاً من التطور الثقافى العام الذى عرفه المجتمع الإسلامى فى القرون الثلاثة الأولى من هجرة الرسول ـ ﷺ ـ هذا التطور كان إسلامياً صرفاً لم يتأثر بمؤثرات ثقافية أجنبية إلا فى جوانب ثانوية منه ومحدودة .

وكان لا بد من توضيح المنهج الذى سار عليه المسلمون فى كتابة التاريخ ، وقد كان الاهتمام قبل الإسلام بالأيام والأنساب ، وكانت الروايات الشفوية تنقل الأخبار فى هذا الميدان ، وبعد ظهور الإسلام تركز الاهتمام على دراسة سيرة الرسول ـ ﷺ ـ وكان كتاب السيرة يجمعون الروايات ويرتبونها حسب الأحداث والسنين عن طريق الرواية والاسناد ، وتتوقف قيمة الرواية على مدى سلامة الاسناد وتسلسله .

وفى القرن الثالث الهجر تطور منهج الكتابة التاريخية بظهور الحوليات التى يراعى فيها ترتيب الحوادث ترتيباً زمنياً عاماً بعد عام منذ الهجرة النبوية وحتى عصر المؤلف ، ومنهج التأريخ حسب الموضوعات للدول والعهود ، والطبقات والأنساب .

وفى الفصل الثانى تناول المؤلف « مدرسة المدينة فى السيرة » وكيف نشأت هذه المدرسة فى المدينة باعتبارها داراً للسنة وداراً للصحابة رضوان الله عليهم الذين شاهدوا الرسول ـ ﷺ ـ وسمعوا أقواله ورووها إلى التابعين ومن هنا تأثرت الكتابة فى السيرة بمنهج الحديث ، وكانت كتب السيرة أقدم الكتب التاريخية التى تجمع بين الحديث والتاريخ ، فالسيرة تشكل المحور الذى تدور حوله حركة التدوين لتاريخ الإسلام ، بل انها البوابة العريضة الهامة التى دخل منها المسلمون إلى دراسة التاريخ وتدوينه عموماً .

وقسم الباحث مدرسة المدينة إلى أجيال ـ طبقات ـ ثلاثة متتابعة ، وتميز رجال الجيل الأول بأن أخبار السيرة والمغازى كانت عبارة عن شذور متفرقة من الأخبار مؤيدة بالاسناد ، فقد يروون الخبر أكثر من مرة وكل مرة باسناد مختلف على طريقة المحدثين فكانوا محدثين ناقلين ويمثل هذا الجيل :

ابان بن عثمان ، وعروة بن الزبير ، وشرحبيل بن سعد .

وتميز رجال الجيل الثانى بأنهم جمعوا الأخبار المتعلقة بموضوع واحد وأوردوها على نسق تاريخى وأدمجوها فى حديث واحد وهو ما يسمى بالإسناد الجمعى ، وفصلوا بذلك السيرة عن الحديث ، وهذه خطوة بالغة الأهمية فى العرض التاريخى ، ويمثل هذا الجيل :

عبد الله بن حزم الأنصارى ، وعاصم بن عمر ، ومحمد بن شهاب الزهرى .

ثم كان رجال الجيل الثالث الذين تميزوا بالجمع والتبويب ، فقد الفوا كتباً فى السيرة كما فعل محمد بن اسحاق وكتابه كان ثمرة تفكير سليم أبعد أفقاً وأوسع

من هنا تأتى أهمية الدراسة التى نعرضها هذا الشهر وهى بعنوان « التاريخ وتطوره فى ديار الإسلام حتى نهاية القرن الثالث الهجرى ومناهج البحث فيه » للدكتور محمد عبد الوهاب فضل أستاذ التاريخ الإسلامى المساعد بجامعة الأزهر .

تألفت الدراسة من بابين ضم الأول فصلين والثانى ثلاثة فصول .

وجاء الباب الأول بعنوان « مناهج البحث فى التاريخ » وفيه تناول الباحث المنهج الذى يجب أن يسير عليه الباحث خلال رحلة بحثه حيث بدأ فى الفصل الأول بالقاء الضوء على علم التاريخ من حيث :

- تعريفه .
- مكانته بين العلوم الأخرى .
- أهداف دراسة التاريخ .
- الصفات والمميزات الواجب توافرها لباحث التاريخ .
- المقصود بمنهج البحث .

وفى الفصل الثانى تناول المؤلف مراحل البحث الطويلة من حيث :

- الثقافة الواسعة .
- اختيار موضوع البحث .
- جمع الأصول والمصادر .
- نقد المادة التاريخية واثبات صحة الأصول بالنقد الظاهرى والباطنى .
- مرحلة التركيب والعرض واخراج البحث .
- تبويب وتقسيم البحث .
- الأسلوب وطريقة العرض .
- مراعاة مستوى القارىء .
- كيفية استخدام الهوامش .
- تتويج البحث بالخاتمة .
- ضرورة الملاحق للبحث .
- كيفية إعداد قائمة المصادر والمراجع .
- إعداد الفهارس العامة للبحث التى تعتبر مفتاح البحث .

أما الباب الثانى فقد أفرده المؤلف للحديث عن « الكتابة التاريخية فى ديار الإسلام حتى نهاية القرن الثالث الهجرى » .

ففى الفصل الأول تناول المؤلف « أخبار العرب قبل الإسلام » أو ما يسمى « بالمدرسة اليمنية » وكيف أنها بدأت على شكل قصص وروايات ، فلم تتبلور فكرة كتابة التاريخ عند العرب حيث لم يعثر على تاريخ مأثور بالكتابة فيه سمات المنهج المبنى على أساس من العلم ، وكل ما وصلنا من ذلك لم يعد أن يكون بقايا أخبار العرب التى حفظها لنا بعض الراوة والنسابين والمؤرخين الذين عاشوا فى القرنين الأول والثانى الهجريين .

ثم تحدث المؤلف عن العوامل والمؤثرات التى أثرت وساعدت على الكتابة التاريخية عند المسلمين وتتبع مراحل التدوين التاريخى فى ديار الإسلام وجمع القرائن والأدلة التى يستدل بها على بداية التدوين التاريخى فى أوائل القرن الثانى الهجرى ، وان قضية العلم الإسلامى الذى ظل محفوظاً فى صدور الرجال وذاكرتهم حتى أواسط القرن الثانى الهجرى إنما هى محض خرافة ، وكان نضوج التدوين التاريخى فى نهاية القرن الثالث الهجرى حيث استقرت وتوطدت فكرة التدوين فتوحد بها علم التاريخ الإسلامى ومناهجه فى التدوين .

وحرص المؤلف على توضيح المراحل التى مرت بها الكتابة التاريخية عند المسلمين حتى نهاية القرن الثالث الهجرى موضحاً أن مراحل تطور الكتابة التاريخية لم تكن محدودة بحدود زمنية أو بفترات سياسية ، وإنما تدخلت العوامل والظروف التى ساعدت على نموها ، فامتدت عبر الفترات السياسية لحكم الدولة الإسلامية . الأمر الذى لا يمكن معه فصل مرحلة عن أخرى طبقاً لفترات حكم الدول كالأموية أو العباسية . ولذا عنى المؤلف بإبراز مراحل التطور دون التقيد بالحدود الزمنية الدقيقة لتلك الفترات السياسية .

وكان الطور الأول من القصص والأساطير الشعبية ، ثم كان الطور الثانى وظهور مؤرخى السيرة

نطاقاً من تفكير سابقيه ومعاصريه ، فهو كتاب تاريخ بمعنى الكلمة ، ويمثل هذا الجيل :

موسى بن عقبة ، ومحمد بن اسحق ، ومحمد بن عمر الواقدى .

ثم تابع المؤلف حديثه عن السيرة بعد محمد بن اسحاق تتمة للفائدة حيث لم تنقطع العناية بالتأليف فى السيرة إلى يومنا هذا ، فبعد محمد بن اسحاق جاء طور النقد والتعليق والجمع والتعقيب كما فعل عبد الملك بن هشام فى سيرة محمد بن اسحاق وأخرى بالشرح والتفصيل والتعليق والتحرير والضبط كما فعل عبد الرحمن السهيلى فى كتابه « الروض الأنف » وثالثة بالاختصار كما فعل يوسف بن عبد البر فى كتابه « الدرر » ورابعة بوضعه فى ثوب جديد هو النظم شعراً كما فعل عبد العزيز الدميرى .

ثم جاءت مجموعة من المؤرخين ، فجمعوا بين أيديهم كل ما كتب فى السيرة وخرجوا منها بكتاب هو فى ظاهره له وفى حقيقته أنه لغير واحد ممن سبقوه ، ومن هؤلاء :

القاضى عياض اليحصبى وكتابه « الشفا ... » وابن سيد الناس وكتابه « عيون الأثر ... » ، وابن قيم الجوزية وكتابه « زاد المعاد » ، وابن كثير وكتابه « سيرة النبى – ﷺ – » .

ثم ختم الباحث دراسته بالفصل الثالث وخصصه للحديث عن المدرسة العراقية ، وتميزت هذه المدرسة بناحية خاصة من الدراسات التاريخية ، وهى دراسة الأخبار ، والأنساب مع وجود التيار الدينى الممثل فى السيرة والمغازى .

وتناول المؤلف جهود هذه المدرسة فى ميدان السيرة والمغازى ، ويمثلها معمر بن راشد ، ومحمد بن سعد .

وفى القرن الثالث الهجرى تطور منهج الكتابة

وفى مجال الأنساب يمثلها محمد بن السائب الكلبى ، وابنه هشام ، ومصعب الزبيرى .

وأخيراً فى مجال الأخبار ، وقد تركزت كتابات المؤرخين فى القرن الثانى الهجرى على الموضوعات التى تشغل بال المسلمين أو ما يُطلق عليه اليوم « موضوعات الساعة » كالردة ، والفتوحات ، والشورى ، والفتنة والمعارك ... الخ ، ويمثل هذا اللون أبو مخنف لوط بن يحيى ، وعوانه بن الحكم وسيف بن عمر ، ونصر بن مزاحم ، والهيثم بن عدى .

ثم كان التطور الذى حدث فى القرن الثالث الهجرى وحتى نهايته ، حيث شهد مرحلة جديدة فى تطور الكتابة التاريخية عند المسلمين وتميز بوفرة المادة التاريخية ، وظهر فى هذا العصر عدد كبير من أئمة المؤرخين الكبار ويمثلهم : ابن قتيبة والبلاذرى واليعقوبى والدنيورى وشيخ المؤرخين محمد بن جرير الطبرى .

• « تعقيب » :

وبعد فالكتاب يعد إضافة هامة فى مجال منهج البحث التاريخى وتطورم وتزداد أهميته إستناداً إلى قلة ما كتب فى هذا المجال الذى يتجنب الكثير من الباحثين الخوض فيه لصعوبته ووعورته مما أدى إلى جعله يكاد يكون قاصراً على المستشرقين الذى تخصص عدد غير قليل منهم فى هذا المجال دون سواه بحيث لا نجد للباحثين المسلمين إلا النذر اليسير ليس فى منهج البحث التاريخى فقط وإنما فى مناهج البحث بوجه عام ونرجو أن يعمل الباحثون المسلمون على سد هذا النقص مستقبلاً .

أنبـــاء مكـــتب فضيلـــة الإمـام الأكبر شيخ الأزهر

للأسـتاذ : **مصطفى عبدالمجيد**

دعـوة فضيلـة الإمـــام الأكبر للمشاركة فى الملتقى الاسلامى بجزر القمر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الازهر السيد/ابراهيم عبد الله سفير جمهورية (جزر القمر) الاتحادية الاسلامية والدكتور مصطفى الدباغ ممثل الاسيسكو بجزر القمر لتوجيه الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر من رئيس جمهورية جزر القمر لحضور الملتقى الدولى للثقافة الإسلامية المزمع عقده فى الفترة من ٢٨ يوليو وحتى ٤ اغسطس القادم .

تم خلال اللقاء بحث تقديم المنح الدراسية لطلاب جزر القمر لتلقى العلوم العربية والشرعية بالازهر الشريف .

ويلتقى والسيد نائب رئيس جمهورية الصومال

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه السيد/عبد القادر محمد آدم نائب رئيس جمهورية الصومال ، حضر اللقاء السيد/سفير الصومال بالقاهرة .

شرح نائب الرئيس الصومالى خلال اللقاء أحوال الطلاب الصوماليين بعد إغلاق المدارس والمعاهد فى الصومال بسبب الظروف الحالية هناك .

وطلب نائب الرئيس الصومالى من فضيلة الإمام الأكبر دعم الأزهر لهؤلاء الطلاب وتيسير أمورهم هناك خاصة ، وإن الصومال يوجد بها أكبر بعثة تعليمية أزهرية بالخارج .

وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة هذه الأمور على وجه السرعة واتخاذ القرار الذى يراعى مصلحة الطلاب الصوماليين .

ويلتقى وسفير اثيوبيا بالقاهرة

التقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الازهر بالسيد/ابابيا ابو جوبر سفير اثيوبيا بالقاهرة .

طالب السيد السفير خلال اللقاء دعم الأزهر لطلاب اثيوبيا فى مجال التعليم وتوثيق العلاقات الثقافية بين الازهر واثيوبيا .

وقد أعرب فضيلة الإمام الاكبر شيخ الازهر عن استعداد الأزهر الشريف لتقديم الدعم للمسلمين هناك واستعداده كذلك لأى تعاون من الناحية التعليمية سواء حضر الطلاب الى مصر أو سافر العلماء إلى اثيوبيا على نفقة الأزهر الشريف .

وفى نهاية اللقاء تقدم السيد السفير لفضيلة الإمام الأكبر بخالص الشكر والتقدير على الحفاوة وحسن الاستقبال .

قرار فضيلة الإمام الأكبر ببعثة الحج

أصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر قراراً بتكليف فضيلة الشيخ محمد بشير عبد العال مصطفى وكيل الادارة المركزية للمعاهد الأزهرية لشئون المناطق برئاسة بعثة الازهر الشريف للحج لعام ١٤١٢هـ ١٩٩٢م لكى تقوم بدورها فى التوعية الدينية بين الحجاج واداء رسالتها فى الأراضى المقدسة للارشاد الدينى والاسهام فى نشاط بعثة الحج الرسمية لجمهورية مصر العربية .

ويلتقى وسفير موريشيوس بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر السيد/سعيد مودربوكس بسفير موريشيوس بالقاهرة .

تم خلال اللقاء بحث تنمية العلاقات الثقافية بين الأزهر الشريف وموريشيوس وكذلك دعم المركز الثقافى الإسلامى هناك وتزويده بالائمة والمدرسين والكتب والمراجع الدينية .

أنباء العالم الإسلامى

للأستاذ مجدى عبدالحميد بشير

دعـــم الجمهوريـــات الإسلاميـة بالكمنـولث

تم مؤخراً عقد اتفاق بين حكومة أوزبكستان إحدى الجمهوريات الإسلامية بآسيا الوسطى ومجموعة من شركات الاستثمار والصرافة العربية (دلة ـ بركة) على تأسيس معهد للدراسات الاقتصادية والإدارية يعتمد على المنهج الإسلامى فى براجمه الدراسية .

ومن المقرر أن يتولى المعهد المزمع إنشاؤه إجراء بحوث فى مجالات التجارة والزراعة والصناعة والنقل والاتصالات وفق المنهج الإسلامى . كما يقوم كذلك بإجـــراء دراسات لاستطـــلاع فرص الاستثمار فى (أوزبكستان) وسبل دعوة المستثمرين إلى المشاركة فى التنمية الإقتصادية لأوزبكستان .

يأتى هذا الاتفاق ضمن إطار دعم الجمهوريات الإسلامية بالكمنولث الروسى .

البوســــنه والهرســـك

يهدف القتال فى البوسنه والهرسك إلى أمرين :
(ا) القضاء التام على القوة الإسلامية لهذه الجمهورية بأى ثمن وبأى شكل .
(ب) تمزيق وحدة هذا البلد الإسلامى بتقسيمه بين جمهوريات أربع . وفى سبيل الهدف الأول يشرد يومياً الكثير من أبناء هذا الشعب حتى اقترب اللاجئون منه إلى نحو مليون ، علماً بأنه لا توجد دولة كبرى يمكن أن تتكلم باسمهم كما أذاع ذلك (راديو لندن) صباح الاثنين (٢٠ من ذى القعدة ١٤١٢ هـ) .

ويمهد للهدف الثانى إحاطة الأعداء من كل جانب بهذه الجمهورية من جهة ، وسحب الأمم المتحدة جنودها منها .

ماذا ... لإبادة مسلمى البوسنـه والهرسك ..؟

ويقدم البنك الإسلامى للتنمية عوناً عاجلاً للاجئين المسلمين فى البوسنه والهرسك الذين يتعرضون لخطر الإبادة الجماعية على أيدى الصرب ، أعلن ذلك رئيس البنك عقب انتهاء اجتماعات مجلس المديرين التنفيذين للبنك فى دورته الـ ١٣٣ .

تقريـــر هـــام

رفع اليونسكو ب (باريس) مذكرة بخصوص الاعتداءات على مسجد طوكيو باليابان والمسجد البابرى فى الهند الذى يعتزم الهندوس هدمه ، وكذا محاولات إسرائيل هدم المسجد الأقصى ، وما يتصل به من أوقاف للمسلمين والهجوم على المحكمة الشرعية فى القدس ونهب سجلات الأوقاف وهدم الأوقاف حول الأقصى فى حى المغاربة غربى المسجد الأقصى .

هل تُنفـــذ الاتفاقيـــة ..؟

وقعت (بنجلادش) و (بورما) اتفاقاً فى ٢٧/٤/١٩٩٢ الماضى يقضى بإعادة ربع مليون من مسلمى بورما إلى بلادهم وهم يعيشون الآن فى مخيمات فى بنجلادش ، ومن المقرر أن تبدأ عودة اللاجئين إلى بورما فى الخامس عشر من مايو الحالى ، هذا وقد قام اللاجئون بمظاهرات اعتراضاً على حكومة بنجلادش التى لم تقدم لهم الضمانات الكافية لسلامتهم إثر العودة إلى بلادهم .

منشـــآت إســـلاميـــة جديـدة بموســـكـو

تم إنشاء مركز إسلامى كبير بموسكو ضم مسجداً ومدرسة ومتحفاً أنشأته الجمعية المحمدية الإسلامية هناك ، ليساهم فى إعادة بعث الثقافة الإسلامية فى روسيا ، صرح بذلك رئيس الإدارة الدينية ومفتى مسلمى روسيا .

دورة صيفية لمعلمى ومعلمات القـــرآن الكـــريم

بدأت جمعية تربية الأجيال الفلبينية برنامجها التربوى بعقد دورة صيفية لمعلمى ومعلمات القرآن الكريم وعلومه فى (مسجد البرهان) بمدينة (كوتاباتو) وسنة مساجد أخرى فى بعض المدن بجنوب الفلبين .

يشمل البرنامج طرق تحفيظ وتدريس القرآن الكريم من تجويد وتفسير ومعان مفردات وكذا الحديث النبوى واللغة العربية وعلومها .

جوائز لحفظة القـرآن الكـريم

أقام المركز الإسلامى بمعهد دار السلام العربى الإسلامى فى كوتونو عاصمة جمهورية (بنين) حفلاً بمناسبة توزيع شهادات ختم القرآن الكريم ، وشهادات المرحلتين : الابتدائية والمتوسطة على طلابه .

أشرف على الحفل مدير المعهد الشيخ/ محفوظ الرحمن الندوى ، وكان من بين الحاضرين إمام مسجد كوتونو المركزى ورئيس اتحاد المسلمين الشيخ/ كيلانى عبد الحميد ، ومندوبون عن سفارة مصر وكبار الشخصيات الإسلامية فى بنين .

ترميم وإصلاح قبة الصخرة

توجه وفد مصرى إلى القدس للإشراف والعمل فى ترميم وإصلاح قبة الصخرة بالمسجد الأقصى وضم الوفد الأساتذة د. يحيى الزينى أستاذ العمارة بجامعة حلوان ، و د. عبد الفتاح أبو العيد أستاذ الأساسات وميكانيكا التربة ، والمهندس ماهر حامد رئيس جهاز تجديد أحياء القاهرة الإسلامية .

مشـــاريع خيريـــة

تقيم الكويت داراً لرعاية الأيتام فى باكستان بتكلفة نحو مليون وستمائة وسبعة عشر ألف دولار ، ويضم مدرسة ومعهداً مهنياً و (ورش) لتعليم الحرف وسكناً ومسجداً . وتقوم بتمويله لجنة الدعوة الإسلامية وبيت الزكاة الكويتى .

تعليم اللغـــة العربيـــة فى المدارس الثانوية بتركيـــا

أصدر مجلس الأمن التركى قراراً بتعليم اللغة العربية فى المدارس الثانوية العامة والمهنية فى تركيا . وذلك بعد أكثر من ستين عاماً . كان تدريس اللغات الأجنبية خلالها حكراً على الانجليزية والفرنسية ..

تدعيم العلاقات العلمية بين مصر وتركيا

عُقدت فى تركيا أعمال الاجتماع العاشر للمجلس العلمى الاستشارى للمؤسسة الإسلامية للعلم والتكنولوجيا والتنمية وقد مثل مصر فيها دكتور/ على حبيش رئيس (الأكاديمية) الذى قام بزيارة لـ (أنقرة) استغرقت خمسة أيام تفقد خلالها مؤسسات البحث العلمى هناك تدعيماً للعلاقات العلمية وتبادل الزيارات بين علماء وخبراء المعاهد العلمية فى كلا القطرين المسلمين .

ندوة الوحدة الأوروبية وأثرها على المستوى الطلابى

عُقدت بمدينة بِرِنكْوِيف بألمانيا ندوة إسلامية عن الوحدة الأوروبية وأثرها على المستوى الطلابى شارك فيها جمع من الاتحادات الإسلامية للطلاب هناك ، وبعض أعضاء البعثات الدبلوماسية العربية والإسلامية والهيئات الإسلامية وعدد من أفرع الاتحادات المختلفة فى خمسة وثلاثين جامعة ألمانية ينتمون إلى أكثر من اثنتين وعشرين جنسية لمواكبة المتغيرات على الساحة الأوروبية وبحث مشاكل الطالب المسلم فى أوروبا وإيجاد الحلول لها . وكيف يمكن للطالب بايجابيته أن يتعامل مع هذه المتغيرات .

أكاديميات

قام مجلس البحوث الإسلامية فى (إسلام آباد) منذ أنشىء سنة ١٩٥٨ م بأعمال أكاديمية عديدة تخدم تطبيق الشريعة فقد أصدر مجموعة من الكتب باللغة الأردية تسمى (مجموعة قوانين الإسلام) إضافة إلى كتب أخرى هدفها التعريف بالأحكام الشرعية والأصول الفقهية . كما يصدر المجمع ثلاث مجلات بالعربية والانجليزية والأردية ؛ لنشر الأبحاث الدينية .

أكد مدير المجمع دكتور ظفر إسحاق أنصارى : أن الهدف من إنشاء المجمع هو تطوير ونشر منهجية البحث فى مختلف حقوق المعارف الإسلامية ، وشرح تعاليم الإسلام بلغة تناسب العصر فى إطار التطور الثقافى والعلمى المعاصر إلى جانب نشر الكتب والتقارير والمجلات ، وتنظيم ندوات البحث والمؤتمرات والمعارف الإسلامية المختلفة .

قناة تليفزيونية إسلامية بألمانيا

افتتح فى كولونيا بألمانيا قناة تليفزيونية إسلامية تبث برامج تتناول القضايا الإسلامية باللغة العربية والتركية والألمانية . ويُشرف عليها اتحاد المنظمات الإسلامية فى أوروبا .

مؤتمر الزكاة وبيت المال

عُقد مؤتمر الزكاة وبيت المال بولاية مالقة الماليزية وحضره عدد كبير من المسئولين والعلماء والدعاة وبعض المشاركين من المركز الإسلامى الماليزى ، وشمل جدول الأعمال زكاة الأموال والتجارة وزكاة الفطر ، ووظائف وخدمات بيت المال لمساعدة مسلمى ماليزيا .

من أخبار المرأة المسلمة في الدانمـــــــــرك

حققت جمعية المرأة المسلمة بالدانمرك نتائج طيبة فى نشر تعاليم الدين الإسلامى بين النساء والفتيات ، وأنشأت مكتبة إسلامية وقسماً إعلامياً ملحقاً بها وقسماً لاستقبال الأسئلة والرد عليها ومدرسة وحضانة تُعنى بالنشء الإسلامى وتربيته تربية إسلامية صحيحة .

قسم جديد لدراسة الشريعة الإسلامية بجامعة نيويـــورك

قررت جامعة نيويورك الأمريكية إنشاء قسم جديد لدراسة الشريعة الإسلامية بها .

صرح بذلك القنصل المصرى العام هناك وذلك خلال لقاء وفد جمعية رجال الأعمال المصرين والأمريكيين برئيس وأعضاء إتحاد الكتاب وأعضاء مجلس الشورى بالقاهرة وطالب القنصل الأزهر والأوقاف بارسال نخبة من رجالاتها الذين يجيدون اللغة الانجليزية إلى أمريكا

من أخبار المسلمين فى النمسا

قررت حكومة النمسا مضاعفة المساعدات الدراسية لأبناء الجالية الإسلامية هناك .

تقوم وزارة التعليم بتزويد المدارس النمساوية الإسلامية بالكتب والأدوات اللازمة لتدريس الدين الإسلامى الذى أصبح تدريسه إجبارياً للمسلمين فى النمسا .

ويبلغ عدد مسلمى النمسا نحو (١٥٠٠٠٠) ألف نسمة لهم عدد كبير من المساجد فى فيينا العاصمة تؤدى فيها الصلوات تعنى بتحفيظ القرآن الكريم .

كتابة لغات الشعوب الإسلامية بالحـــرف العـــــربى

تم الاتفاق بين المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ومقرها الرباط وبين البنك الإسلامى للتنمية بجدة على الاستمرار فى تنفيذ مشروع كتابة لغات الشعوب الإسلامية فى آسيا الوسطى وجنوب شرق آسيا بالحرف العربى . هذا وتعقد المنظمة بالتعاون مع الإتحاد العام للمنظمات الإسلامية فى فرنسا دورة تدريبية لمدرسى اللغةالعربية والتربية الإسلامية بمدينة (نيس) يحاضر فيها ٧٣ مدرساً لغير الناطـــقين بالعربية .

فهـــرس العـــدد

الموضوع — الصفحة

• الافتتاحية : أرض السهول البيضاء
للدكتور على أحمد الخطيب ١٤٦١
• عيد الأضحى ـ وفتوى
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر : ... ١٤٦٨
• مع سورة الأنفال
لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الجليل شلبى ١٤٧٩
• قبس من أنوار النبوة بين الحرمين الشريفين
للشيخ على حامد عبد الرحيم ١٤٨١
• الحج من الخليل إلى خاتم المرسلين
بقلم رئيس التحرير ١٤٨٤
• قطرات السلسبيل على طريق ام إسماعيل
للدكتور مبروك عطية أحمد أبو زيد ١٤٩١
• أندونيسيا الخضراء بقلم الشيخ عبد المنصف محمود عبد الفتاح ١٤٩٤
• السوق الإسلامية المشتركة
لواء أ.ح .د/.فوزى محمد طايل ١٤٩٨
• امبراطورية المغول
للدكتور أحمد محمد الدسوقى المنوفى ١٥٠٥
• لحظات طيبات مع الإمام عبد الله بن مبارك
للأستاذ/ عادل خفاجة ١٥١٤
• أُبَىّ بن كعب للأستاذ الدكتور عبد العزيز غنيم ١٥١٧
• الفتاوى اعداد الأستاذ عبد المنعم فودة ١٥٢١
• الاتجاهات المعاصرة فى دراسة العلم الإسلامى
أ. د. أحمد فؤاد باشا ١٥٢٨
• العقم ـ التشخيص والعلاج .. الفصل الأخير
للأستاذ الدكتور أحمد رجاء عبد الحميد ... ١٥٣٤
• الجديد فى العلم والتقنية
اعداد الدكتورة نجوى السيد أحمد ١٥٣٦

الموضوع — الصفحة

• الشعر والشعراء
إلى أعضاء رحلة الأزهر
للشاعر : رشاد محمد يوسف ١٥٤٥
• فى رحاب منى
للشاعر : يوسف العظم ١٥٤٢
• تشوق إلى الحجاز
للشاعر : محمد مصطفى الماحى ١٥٤٢
• من وحى الحرمين
للشاعر : مصطفى حمام ١٥٤٣
• مهبط الوحى
للشاعر : العوضى الوكيل ١٥٤٤
• ماذا للبوسنه
أ. د. عبد الغفار حامد هلال ١٥٤٥
• من روائع الماضى بمجلة الأزهر
للأستاذ عبد الفتاح حسين الزيات ١٥٤٦
• طرائف ومواقف
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبدالحليم ... ١٥٥٠
• فى طريق علم اللغة الحديث عند الغربيين
للدكتور توفيق محمد شاهين ١١٥٢
• نحو دراسة مقارنة لمدرسة الديوان
بقلم الأستاذ أحمد مصطفى حافظ ١٥٥٦
• قراءة فى كتاب
للأستاذ أحمد السيد تقى الدين ١٥٦٠
• أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر
للأستاذ مصطفى عبد المجيد ١٥٦٤
• أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير ١٥٦٦
• الفهرس السنوى ١٥٧٢
• القسم الفرنسى
• المقالة الثانية ١٥٩٨
• المقالة الأولى ١٦٠٩
• القسم الانجليزى
• المقالة الثانية ١٦١٦
• المقالة الأولى ١٦١٨

الفهرس السنوى
للمجلد الرابع والستين
أسماء الكتاب (أ)

اعداد : سيد أحمد على الغرباوى
محمد زكى حسن

حرف الألف

الموضـــوع	صفحة
ـ إبراهيم محمد الجمل	٦
ـ أبو نواس (الشاعر)	٦٦٩
ـ احمد بن محمد طاحون (الشيخ)	١٣٦
	٥١٣
ـ أحمد السيد تقى الدين (محرر)	٦١
	١٧٩
	٣٠٣
	٤١٨
	٥٤٠
	٦٦٥
	٧٨٩
	٩٧٠
	١١١٧
	١١٩٩
ـ أحمد حسن الزيات (الأستاذ)	١٢٤٦
ـ أحمد حسن مسلم (الدكتور)	٨٨٨
ـ أحمد حسين التمكى (الاستاذ)	٥٤٢
ـ أحمد رجاء عبد الحميد (الدكتور)	٦٩٠
	٩٤٤
	١٢٣٩
	١٣٧٦
ـ أحمد عبد السلام على (الشاعر)	٩٢٢
ـ أحمد عبد العزيز عبد الله (الدكتور)	٩٦
	٢٠٨

- أحمد فؤاد باشا ٧٠
(الدكتور) ١٩٢
٣١٤
٤٣٨
٥٥٤
٦٨٤
٨٠٨
٩٤٠
١٠٨٩
١٢٣٤
١٣٦٨

- أحمد فهمى أبو سنة ٣٩
(الدكتور)

- أحمد محمد إبراهيم ٤١٠
(المستشار الدكتور) ٥٣٤
٦٢٠
٧٥٦
١٠٥٣

- أحمد محمد الدسوق ١٢٠١
(الدكتور) ١٣٤٧

- أحمد محمد عيسى (الدكتور) ١١٧٧

- أحمد محمود مبارك ٥٥١
(الشاعر)

- أحمد مصطفى حافظ ٨٣٦
(الشاعر) ٩٦٠
١١١٤
١٢٥٧
١٤٢٤

- إسراء على أحمد ١٩٧
(الأستاذة)

- الأزهر (بيان) ٨٧٦

- السيد الجميلى ٨٨٦
(الدكتور)

- السيد الصديق حافظ ٤٣٦
(الشاعر) ٥٥٠
١٠٧٥

- السيد الشريف ٨٦
(الشيخ)

- السيد حسن قرون ١٨٦
(الشيخ) ٦٩٧
٨٢٦
١٤١١

- الشريف الرضى ٤٣٤
(الشاعر)

- أيمن محمد ميدان ٦٧٠
(الأستاذ) ٩٢٧
١٠٧٦
١٢٢٣
١٤٠٠

حرف البـــاء

حرف التـــاء

- توفيق إسلام يحى ١٥٢
(الأستاذ) ٣٢٦

٤٠٤
٥١٩

ـ توفيق محمد شاهين ٣٤٤
(الدكتور) ٤٥٤
٩٥٦
١١٠٩
١٢٥٢
١٤٠٧

حرف الثـــاء

حرف الجـــيم

ـ جاد الحق على جاد الحق
الامام الاكبر شيخ الازهر.......... ١
٩
١٠٧
١٣٤
٢٥٧
٢٦٢
٣٨١
٦١٨
٧٣٩
٨٧٢
٨٧٤
٨٧٨
٩٩٦
١١٥٦
١٣١٢

ـ جليلة رضا ١٨٢
(الشاعرة) ٦٦٨
٩٢٤
١٣٩٨

ـ جمال قطب ٢٨٧
(الشيخ)

حرف الحـــاء

ـ حسن على العنيبسى ٥٦
(الأستاذ) ٢٩٨

ـ حلمى الخولى ١٥
(الأستاذ) ٢٨٨

حرف الخـــاء

حـــرف الدال

حـــرف الذال

حـــرف الراء

ـ رشاد محمد يوسف ٦٦
(الشاعر) ١٨١

٣٠٥
٤٣٣
٤٣٥
٥٤٩
٧٩٢
٩٢١
١٠٧٢
١٢٢٠
١٣٩٥

حـــــرف الزاى

- زين العابدين متولى متولى ١٠٩٤
(الدكتور)

حرف السـين

- سليمان موسى ٩٠
(الأستاذ)

- سمير عبد الحميد رضوان ٤٩
(الأستاذ)

- سيد أحمد الغرباوى ٨٤٢
(الاستاذ)

- سيد عبد الرؤوف سيد ١٨٣
(الشاعر) ٩٢٦

حرف الشـين

- شكرى يوسف حسين أحمد ٨٣١
(الدكتور) ٩٦٤

- شوقى محمود أبو ناجى ١٨٤
(الشاعر) ١٢٢٢

حرف الصـاد

- صفوت جودة أحمد ٦٧٦
(الأستاذ)

حرف الضـاد

حرف الطـاء

- طه جابر العلوانى ١٠٥٧
(الأستاذ)

حرف الظـاء

حـــرف العين

- عادل رفاعى خفاجه" ٢٢٠
(الأستاذ) ٣٥٢

٥٤٥
٧٦٢
٧٠٢
٩٠٥
١٠٤٨
١٢١٣
١٣٥٨

- عاطف شحاته زهران ١٠١
(الأستاذ)

- عبد البصير خليفة حسن ٣٩٨
(الدكتور)

- عبد الجليل شلبى ٤٨٧
(الدكتور) ٦٢٠
٧٤٣
٨٨٢
١٠٠٠
١١٥٩
١٣١٧
١٣٥٥

- عبد الجواد رمضان ٣٤٠
(الشيخ)

- عبد الحفيظ غرغلى على القرنى ١١
(الأستاذ) ٢١٤
٢٩٣

- عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٨٤
(الأستاذ) ٢٠٢
٣٣٨

٤٤٦
٥٧٠
٦٧٨
٨٢٠
٩٣٤
١٠٨٠
١٢٥٠
١٣٨٨

- عبد الستار أبو غدة ١٦٠
(الدكتور)

- عبد الصبور الكاشف ٥٧٢
(الأستاذ)

- عبد العاطى موسى عبد العاطى ٩٢٣
(الشاعر)

- عبد العال عطوة ٤٤
(الدكتور) ١٦٦

- عبد العزيز عزت عبد الجليل ٤٣٠
(الدكتور)

- عبد العُزيز غنيم ٦٣٤
(الدكتور) ١٠٣٨

- عبد الفتاح حسين الزيات ٨٦
(الأستاذ) ٢٠٤
٣٤٠
٤٤٨
٥٦٦

٦٨٠
٨٢٢
٩٣٦
١٠٨٢
١٢٤٦
١٣٨٣

– عبد اللطيف خليف ٣٣٤
(الدكتور)

– عبد اللطيف السبكى ٤٤٨
(الشيخ)

– عبد الله نجيب محمد ١٢١٠
(الدكتور) ١٣٢٩

– عبد المجيد سليم ٢٠٤
(الامام الأكبر)

– عبد المقصود محمد نصار ٢٤
(الدكتور) ١٠٣٢

– عبد المنصف محمود عبد الفتاح ٨٩٠
(الشيخ)

– عبد المنعم فودة ١٠٤
(الأستاذ) ٢٢٣
٣٥٧
٤٦٥
٥٨٠
٧٠٧
٨٤٣

٩٧٣
١٠٦٧
١٢١٦
١٣٦٥

– عبد المنعم محمد عمر ٣٦
(الأستاذ)

– على أحمد الخطيب ٦
(الدكتور) ١٢٩
٢٦٣
٣٦٩
٤٨١
٦٠٩
٦٩٤
٧٣٧
٨٦٥
٩٩٣
١١٥٣
١٣٠١

– على حامد عبد الرحيم ٣٤
(الشيخ) ١٧٠
٢٦٨
٣٨٤
٤٩٠
٦٢٤
٧٤٧
٩١٧
١٠٠٤
١١٦٣
١٣٢٠

ـ علي عبد الواحد وافي ١٣٨٣
(الدكتور)

ـ عمر البسطويسي (قرار شيخ الأزهر) . ٩
(الأستاذ) ١٠٧

حـــــرف الغين

حرف الفـــــاء

ـ فوزي محمد طايل ٥٢٦
(اللواء الدكتور) ٦٥٤
٧٦٧
٩٠٩
١٠٤٢
١١٨٨
١٣٢٤

حرف القـــــاف

قسم التحرير ١٣٠٧
١٣٢٣
١٤٢٩

حـــــرف الكاف

حـــــرف اللام

حـــــرف الميم

ـ ماهر زكريا الشيمي ٦٥٠
(الأستاذ) ٧٧٤
٩٠٢

ـ مبروك عطية أحمد أبو زيد ٥٧٥
(الدكتور) ١٠٢١

ـ مجاهد توفيق الجندي ٦٣٩
(الدكتور) ٧٧٨

ـ مجدي عبد الحميد بشير ٣٤٨
(الأستاذ) ٤٦٠
٩٤٨
١٠٩٩
١٢٦٩
١٤٣٣

ـ محمد إبراهيم الجيوشي ٤٨٣
(الدكتور)

ـ محمد أحمد الناغي ١٣٧٢
(الدكتور)

ـ محمد أحمد جمعة ٣٩٣
(الدكتور)

- محمد الدسوق ٧٥٠

- محمد الطاهر الزنكلونى ٦٤
(الأستاذ) ١٢٣٠

- محمد جمال الدين محفوظ ١٣٩
(اللواء) ٦٦٠
٩٣٠
١٣٤٠

- محمد حافظ سليمان ١٧٤
(الشيخ) ١١٨٢
١٣٣٣

- محمد حسام الدين ٢٩
(الشيخ) ٢٧٦
٤٩٦
٦٢٦
١٠٠٦

- محمد حسنى مبارك ٣٧٤
(الرئيس) ٦١١
٨٦٧

- محمد حسين قنديل ٨٩٣
(الدكتور) ١٠١٠
١١٦٦

- محمد رجب البيومى ٣٨٨
(الدكتور)

- محمد زين العابدين محمد العزازى ٧٨٦

- محمد شامة ٢٨١
(الدكتور)

- محمد شاور ربيع ٤٢٢
(الأستاذ)

- محمد صابر البرديسى ٣٨٦
(الأستاذ)

- محمد عبد الرحمن سلامة ٨١٢
(الدكتور)

- محمد عبد الرحمن صان الدين ١٨٥
(الشاعر) ٥٥٢
١٢٢١
١٣٩٦

- محمد عبد العليم العدوى ٥٠٢
(الدكتور) ٦٤٤
١٠٦٣
١١٩٤

- محمد عبد الوهاب جنيدى ١٣٩٩
(الشاعر)

- محمد عزت الطهطاوى ١٤٥
(المستشار) ٧٩٦
١٣٩١

- محمد فايد هيكل ٢٧١
(الدكتور)

- محمد لطفى جمعة ٦٩٧
(الشيخ) ٨٢٦

- محمد محمد المدنى ٦٨٠
(الشيخ) ٨٢٢

- محمد مرسى عامر ١٠٢٥
(الشيخ)

- محمود جمعة أمين خليفة ١٢٦٢
(الدكتور) ١٤١٧

- محمود جمعة ٩٣٦
(الشيخ)

- محمود شلتوت ١٠٨٢
(الشيخ)

- محمود عبد المتجلى خليفة ٤٩٢
(الدكتور)

- محمود محمد بكر هلال (الشاعر) ١٠٧٤

- مصطفى أحمد خليل التماس ٤٢٧
(الدكتور)

- مصطفى حسين عطار ٩٧٠
(الأستاذ)

- مصطفى عبد المجيد ١٠٤
(الأستاذ) ٢٢٣
٣٥٧
٤٦٥
٥٨٠
٧٠٧
٨٤٣
٩٧٣
١١٢١
١٢٦٩
١٤٣٣

- معوض عوض إبراهيم ٢٢
(الشيخ) ١٠١٨
١٣٦٢

- موسى مدنى مصطفى ٧٤
(الدكتور)

- ميرفت السيد عوض ٧٨
(الدكتورة) ٣١٩
٥٦٠

حـــــرف النون

- نجوى السيد أحمد ٨٢
(الدكتورة) ٢٠٠

٣٢٣
٤٤٣
٥٦٣
٦٨٧
٨١٧
٩٥٢
١١٠٥
١٢٤٣
١٣٧٩

حرف الهـــاء

حـــرف الواو

حرف اليـــاء

- يوسف كمال أحمد ١١١٧
(الأستاذ)

- يوسف ولى شاه ٥١٦
(الأستاذ)

الفهرس السنوى
للمجلد الرابع والستين
المقـــالات (ب)

إعـداد : أبو القاسم عبد الكريم عبد الموجود
محمد عبد اللطيف عثمان

الألف

الموضـوع	صفحة
ـ ابن بسام ولمحاته النقدية	١٢٦٢
	١٤١٧
ـ أبو عبيده بن الجراح ومحمد صبيح	١٤١١
ـ اتق الله حيثما كنت	١١٨٢
ـ أثر العقيدة فى تحقيق النصر وتأثيره على الروح المعنوية	٢٦٢
ـ أحكام نية الصوم فى الفقه الإسلامى	١٠١٠
	١١٦٦
ـ أحمد شحاته (الشيخ) من أعلام الأزهر	٥٤٢
ـ أحمد عبد اللطيف بدر من أعلام الأزهر ..	٤٢٢
ـ أحمد موسى المنوفى (الشيخ)	١٣٩١
ـ أزمة التقنية والتنظير فى الفكر الإسلامى ...	١٢١٠
ـ الأزهر والدعم المطلوب	٢٨٧
ـ أساسيات علوم الأرض من العلوم الكونية والتراث الإسلامى	٤٣٨
ـ استحقاق الشفقة فى الفقه الإسلامى	٨٩٣
ـ الاستشفاء بالدعاء	١٠١
ـ الاستقرار فى الجماعة حتمية تطبيق الشريعة الإسلامية	٢٨١

- الإسراء معجزة ذاتية للرسول علينا أن نحمى بيت المقدس ٨٧٢

- الإسراء والمعراج (شعر) رحلة النور وأرض الفداء ٧٩٢

- الاسكندرية (شعر) ١٨٢

- الإسلام فى عالمه الجديد ٦٠٩

- الإسلام والمسلمون فى الاتحاد السوفيتى .. ٥٠٢
٦٤٤
٧٦٢
٩٠٥
١٠٦٣
١١٩٤

- الأعشاب الطبيـة وفوائدها فى العـلاج (من العلوم الكونية فى التراث الإسلامى) ٧٤

- إكرام القادم إلى المجلس بالقيام فى ضوء سنة خير الأنام ٣٩٨

- إلـه واحد وأمة واحدة لا إلـه إلا الله ٣٦٩
- ألبانيا الإسلامية وأخوة الإسلام ٥١٩

- ألفاظ الصدارة فى أساليب العرب ٩٦
٢٠٨

- إلى العابثين بالدين و الفن (قصيدة)..... ١٠٧٢

- إمبراطورية المغول بين الإسلام وغيره من الأديان ١٢٠١
١٣٤٧

- امتشق حرفك المضىء حساما (قصيدة) ٥٥١

- أمجاد الأسطول الإسلامى الأول فى معركة ذات الصوارى صفـــــــر ٣٤هـ أغسطس ٦٥٤م ١٣٤٠

- الأمة الإسلامية وعصر الفضاء ٣١٩

- الأمـواج الكهرومغناطيسـية من العلـوم الكونية فى التراث الإسلامى ٨١٢

- أنباء وأراء ١٠٤
٢٢٣
٣٥٧
٤٦٥
٥٨٠
٧٠٧
٨٤٣
٩٧٣
١١٢١
١٢٦٩
١٤٣٣

- إن السعادة فى الرضا .... ١٨٣ (قصيدة)

- إنها مصر (شعر) ٤٣٥

- أهلا بقدومك يا عيد (شعر) ١٢٢٠

- أيــن المسلمــون اليــوم من الإسلام (من روائع الماضى) ١٢٤٦

- أيها الإنسان (شعر) ٥٥٢

البــــاء

الموضـوع — صفحة

ـ البديل الإسلامى للأدوات الربوية فى أسواق رأس المال ٤٩

ـ بطاقة لعالم من السلف أبو على شقيق البلخى ٨٤٢

ـ بيان من الأزهر الشريف حول الفتن المثارة على الساحة ٨٧٦

ـ بيان من الأزهر الشريف باستنكار التعدى على المحكمة الشرعية بالقدس ٦١٨

التــــاء

ـ تأخر الحمل والعقم (من العلوم الكونية) . ٦٩٠

ـ التأصيل الإسلامى لعلم الجبر (من العلوم الكونية) ١٢٣٤

ـ تحت السمأء البيضاء سيل من الدموع ... ١٣٠١

ـ تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة الشريفة ٨٩٠

التراضى على خروج وريث أو التخارج ٤٩٢

ـ التسامح (قصيدة) ٩٢٦

ـ التشريع اللغوى فى نموه وانتشاره وتنوعه . ٣٤٤
٤٥٤

ـ التعريف بمؤلفات علماء نيجيريا من ١٩١٤ ـ ١٩٨٨م ٩٠

ـ التغيير والاجتهاد ٢٧٦

ـ التقوى فى القرآن(من روائع الماضى)...... ١٠٨٢

ـ التقويم القمرى وتحديد أوائل الشهور الهجرية (من العلوم الكونية) ١٠٩٤

ـ تقنية الاتصالات عبر الفضاء (من العلوم الكونية والتراث الإسلامى) ٧٨

ـ تقنية الصوتيات (من العلوم الكونية) .. ٧٠

ـ التوجيه الإسلامى للعلوم ضرورة حضارية ٥٥٤
(من العلوم الكونية) ٦٨٤
٨٠٨

حرف الثـــاء

حــــرف الجيم

ـ الجديد فى العلم والتقنية ٨٢
(من العلـــوم الكونيـــة فى التـــراث الإسلامى) ٢٠٠
٣٢٣

٤٤٣
٥٦٣
٦٨٧
٨١٧
٩٥٢
١١٠٥
١٢٤٣
١٣٧٩

ـ الجوع والمسلمون داخل الوطن الشيوعى ٥١٦
ـ جليلة رضا رائدة الشعر النسائى المعاصر
، عرض لدراسة اكاديمية ، ١١١٤

خرف الحـــاء

ـ الحاقدون يعترضون على مقسم الأرزاق .. ١٧٤
ـ حتى متى ؟ (قصيدة) ١٢٢٢
ـ حديث قدسى ١٣٢٣
ـ حسن إسلام يحيى (الشيخ) ٣٢٦
(من أعلام الأزهر)
ـ حصاد الألم ـ (قصيدة) ٩٢٤
ـ حقائق وآراء علمية حول كوكب المريخ .. ٥٦٠
(من العلوم الكونية)
ـ الحلال والحرام فى معاملات البنوك والمال ٣٩
ـ الحنين إلى الرسول (ﷺ) (قصيدة) ٩٢٢
ـ حنين يتصل إلى مهد العقيدة ٢٢
ـ حول شهادات الاستثمار ٤١٠
.... ٥٣٤
.... ٦٣٠
.... ٧٥٦
.... ١٠٥٣
ـ حول القضاء فى الإسلام ٨٨٨

حرف الخـــاء

ـ الخلق ما له وما عليه ٧٨٦
ـ خواطر رمضانية بين يدى شهر الصيام ... ١٠٢١

حرف الـــدال

ـ دراسة النَّص القرآنى على الطريقة ٢٧١
اليسارية نقد كتاب مفهوم النص

حرف الـــذال

ـ ذكرى المولد الشريف (موشحة) ٣٤٠
من روائع الماضى
ـ ذو الجناحين جعفر بن أبى طالب ٦٣٤

حرف الـــــراء

الموضــوع	صفحة
ـ الرئيس مبارك فى الاحتفال بليلة القدر	١٣٠٧
ـ رجل يتصدى لكل الأخطار بعد وفاة .... الرسول (ﷺ) .	٢٤
ـ رسالة إلى شعوب العالم الاسلامى .... من روائع الماضى	٢٠٤
ـ الرسول ـ ﷺ ـ واليتم والبيئة	٢٦٣
ـ رفقا بالديمقراطية	٨٦٥
ـ رمضان والصلاة الخاصة	١٠١٨
ـ روح الصف فى المعركة	١٣٩

حرف الـــــزاى

ـ زائر كريم	٥٤٥
ـ الزبير بن العوام حوارى رسول الله ...... ـ ﷺ ـ	١٠٣٨

حرف الســـــين

ـ سؤال إلى أمة ممتحنة (شعر)	٤٣٦
ـ السوق الاسلامية المشتركة بين .... النظرية والتطبيق	١٣٢٤

حرف الشـــــين

ـ شاطىء الإيمان (شعر)	٦٦٨
ـ شجرة الليمون (قصيدة)	١٣٩٨
ـ شرك العقيدة وشرك العمل .... من روائع الماضى	٨٢٢
ـ شعر الأخنس بن شهاب التغلبى (شعر) ..	١٢٢٣
....	١٤٠٠
ـ شعر السفاح التغلبى (شعر)	٦٧٠
ـ شهر شعبان وليلة النصف منه	٨٧٤

حرف الصـــــاد

ـ الصائمون والاعلام	٩٩٣
ـ صدى وصية إلى حبيب	٦٩٤
ـ صلح الحديبية	٣٦

حرف الطـــــاء

الموضـــوع — صفحة

ـ طاقة الرياح وتقنية الطواحين الهوائية ١٣٦٨
(من العلوم الكونية)

ـ الطاقة النووية مالها وما عليها ١٣٧٢

ـ طرائف ومواقف ٨٤
.... ٢٠٢
.... ٣٣٨
.... ٤٤٦
.... ٥٧٠
.... ٦٧٨
.... ٨٢٠
.... ٩٣٤ ـ ١٠٨٠
.... ١٢٥٠ ـ ١٣٨٨

ـ طوابق المسجد والانتفاع بها ١٣٤

حرف الظـــــاء

حرف العـــــين

ـ العالم الاسلامى والمستقبل ٤٨٣

ـ عبد العظيم على الشناوى (الدكتور) ٣٣٤
من أعلام الأزهر ٤٢٧

ـ عبدا لغنى عبد الخالق (الدكتور) ١٠٥٧
(من أعلام الأزهر)

ـ عبد المنعم فارس (الشيخ) ١٨٦
(من أعلام الأزهر)

ـ عبد ربه مفتاح (الشيخ) ١٢٣٠
(من أعلام الأزهر)

ـ عبرة إلى كل ظالم (شعر) ٥٥٠

ـ العظة وكبار النفوس ٧٣٧

ـ العقم ٩٤٤
(من العلوم الكونية والتراث الاسلامى) . ١٢٣٩
.... ١٣٧٦

ـ على لسان محتضر (قصيدة) ١٨٥

ـ علامات المؤمنين وجزاؤهم ٦٢٠

ـ علم التربية وطبيعة الأراضى ١٩٢
من العلوم الكونية والتراث الاسلامى

ـ علم الفلاحة
من العلوم الكونية فى التراث الاسلامى .. ٣١٤

ـ على محفوظ (الشيخ) من أعلام الأزهر ... ٩٣٠

ـ عود إلى الله (قصيدة) ٩٢٣

حرف الفـــــاء

ـ الفتاوى ٦١
.... ١٧٩
.... ٣٠٣
.... ٤١٨
.... ٥٤٠
.... ٦٦٥

.... ٧٨٩
.... ٩١٧
.... ١٠٦٧
.... ١٢١٦
.... ١٣٦٥

ـ فتويان ١٣١٢

ـ فريضة العمر أحكاما وأسرارا ١٣٦٢

ـ فضل الرسالة الربانية : كلمة الرئيس ٣٧٤
محمد حسنى مبارك فى الاحتفال بذكرى
مولد الرسول ـ ﷺ ـ

ـ فقه الأصول والفروع ٦٢٦

ـ فقه الخلاف ٤٩٦

(وصية إلى حبيب فى الأدب المقارن) ٥٧٢

ـ فى استقبال رمضان ٩٩٦

ـ فى ذكرى ميلاد الرسول ـ ﷺ ـ ٢٥٧
كان فى آدم سر وجود الانسانية وكان فى
محمد سر كمالها

ـ فى شهر رجب الفرد كانت ٧٣٩
منحة أذهبت المحنة

ـ فى طريق علم اللغة الحديث عند الغربيين . ١٢٥٢
ـ رواد ومبادىء) ١٤٠٧

ـ فى الفخر والاعتزاز (شعر) ٤٣٤

ـ فى مجلس القرآن (من روائع الماضى) ٨٦

القـــاف

ـ قبسات من النور المحمدى (شعر) ٣٠٥

ـ قبس من أنوار النبوة ٣٤
١٧٠
٢٦٨
٣٨٤
٤٩٠
٦٢٤
٧٤٧
١٠٠٤
١١٦٣
١٣٢٠

ـ القرآن وقواعد النحو (من روائع الماضى) ٦٨٠

ـ قراءة إسلامية فى كتاب الكون ١٠٨٩
(من العلوم الكونية)

ـ قراءة جديدة فى كتاب غير جديد ٢١٤

ـ قراءة فى كتاب مستقبل الحضارة ١١١٧
العلمانية والشيوعية والاسلام

ـ قراءة فى كتاب مواقف من السيرة النبوية . ٩٧٠

ـ القراءة وطن (شعر) ١٠٧٥

- قرارات الإمـــام الأكبر بشأن الفتـــوى فى
القاهرة والأقاليم ١٠٧

- قضية كشمير المسلمة ومشكلتها بين الهند ١٤٥
وباكستان ٦٥٠
٧٧٤
٩٠٢

- قلت للعراف (قصيدة) ١٢٢١

الـــكاف

- كلمــات لحضرة الأستــاذ الدكتــور محمـــد
يوسف موسى "من روائع الماضى" ٥٦٦

- كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى
احتفال الدولة بالمولد النبوى الشريف .. ٣٨١

- كنا .. ولكن !!! (قصيدة) ١٠٧٤

- كلمة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك فى
ذكرى الإسراء والمعراج ويوم الدعاة ... ٨٦٧

- كلمة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك فى
ذكرى مرور مائة عام على إنشاء كلية
دار العلوم ٦١١

- كيف عالج الإسلام الفقر ؟ ١٠٣٢

حـــرف اللام

- لحظات طيبات مع :

إبراهيم الحربى .. أبى اسحاق ١٢١٣

الفضيل بن عياض ٣٥٢
زيد بن أسلم ٢٢٠
سعيد بن المسيب ١٠٤٨
محمد بن شهاب الزهرى ١٣٥٨

- للزيف قناع متهرىء (قصيدة) ١٨٤

- اللغز العجيب ٩٤٨
١٠٩٩

- لغة الاسبرانتوبين المد والجزر ٩٥٦
١١٠٩

المـــيم

- المادة ونقيضها فى الكون ١٩٧
(من العلوم الكونية فى التراث الإسلامى)

- مبحث الصيام ١٠٢٥

- المتعصبون فى غفلة عن الحق المبين ٣٨٦
- مجدنا فى ديننا (من روائع الماضى) ٩٣٦

- المحافظة على المنشئات الإقتصادية أمانة
فى تقدير الإسلام ٦٦٠

- محمد نور الحسن عضو جماعة كبار العلماء
ووكيل الأزهر الأسبق (من أعلام
الأزهر) ٦٤

- محمد عبده - مفتى الديار المصرية الأسبق ٧٩٦
من أعلام الأزهر ١٢٦٥هـ - ١٣٢٣هـ
١٨٥٠م - ١٩٠٥م

- محمد يوسف النبوى وجهوده ٤٣٠
العلمية (من أعلام الدعوة الإسلامية)

- محمود بن الشريف (من أعلام الأزهر ... ٦٧٦
(الدكتور)

- مساكين يعملون فى البحر ٨٨٦

- المساواة - فى الإسلام (من روائـــع
الماضى) ١٣٨٣

- مسئوليات الهجرة ١٢٩

- المستدرك على ديوان شعر عمرو بن كلثوم ٩٢٧
التغلبى (شعر) ١٠٧٦

- مسلمو بورما المأساة بين الحقيقة والابتزاز ١١٩٩

- المسلمون فى الولايات المتحدة الأمريكية . ٣٤٨
٤٦٠

- مشاهد من الهجرة (قصيدة) ٦٦

- مع الأدب المقارن بواكير الحصاد فى مصر ٨٣٦

مشيخة علماء أسيوط ٦٣٩
٧٧٨

- مصرى فى رحاب آل البيت ٤٨١

مع سورة الأنفال النصر من عند الله ٤٨٧
٨٨٢
١٠٠٠
١١٥٩
١٣١٧

- مغامرات ماسونى ١٣٥٥

- المفهوم الحيوى للهجرة ١١

- مقدمة بدر ٧٤٣

- الملاحة وعلوم البحار (من العلوم الكونية
فى التراث الإسلامى) ٩٤٠

- ملامح النظام السياسى للدولة اليهودية ٥٢٦
٦٥٤
٧٦٧
٩٠٩
١٠٤٢
١١٨٨

- من بشائر المولد تصدع الإيوان ورؤيا
الموبذان ٢٩٣

- من توجيهات القرآن فى تربية الخلق ٤٤٨
(من روائع الماضى)

- من فقه الأئمة ١٠٠٦

- من فقه الشافعى .. المسئولية التقصيرية .. ٢٩
وجناية السلطان

- منهج أبى الأثير فى تأليف كتابيه الكامل فى
التاريخ ،وأسد الغابة فى معرفة الصحابة .. ٨٣١
٩٦٤

- موقف المسلمين فى يوغسلافيا ١٥٢
من حوادثها الجارية ٤٠٤

النـــــون

الموضـوع	صفحة
ـ ناصح أمين	١٣٦
	٥١٣
ـ نحو اعلام إسلامى	٥٦
عالمية الإسلام مدخلنا لإعلان إسلامى دولى	٢٩٨
ـ نحو دراسة مقارنة لمدرسة الديوان	٩٦٠
ـ بين العقاد وهينى	
ـ بين العقاد وبلاماس	١٢٥٧
ـ الفجيعة فى صديق الروح	١٤٢٤
ـ نداء من مشيخة الأزهر للوفاق بين الفرقاء المتقاتلين من المسلمين	٨٧٨
ـ نسوة فى طريق الهجرة	١٥
	٢٨٨
ـ نظرات فى كتاب معاملات البنوك وأحكامها الشرعية .	٤٤
	١٦٦
ـ نظرات عصرية فى القرآن الكريم	٦٩٧
	٨٢٦
ـ النفس الإنسانية حرمتها وموقف الإسلام من المعتدى عليها .	٣٩٣
ـ النهى عن أكل الأموال بالباطل وعما يدعو إليه من الحسد	١١٧٧

الهـــــاء

ـ هذا العام الهجرى الجديد نظرة أمل ودعوة عمل	١
ـ هذا المخطوط تلخيص تقريب النشر فى القراءات	١٤٢٩
ـ هذا يوم عيد الفطر	١١٥٦
ـ هجرات غير المكيين	٦
ـ هموم المسلمين فى شرق إفريقية	١٣٢٩

الـــــواو

ـ ودائع البنوك العادية	١٦٠
ـ وسائل الاجتهاد فى الفقه الإسلامى	٧٥٠
ـ وقفات مع كتاب قواعد اللغة العربية	٥٧٥

اليـــــاء

ـ يا أم (قصيدة)	١٣٩٦
ـ يا نفس خافى الله (شعر)	٦٦٩
ـ يا هاجرا (قصيدة)	١٣٩٩
ـ يلحدون دون دليل	٣٨٨
ـ يوم مبارك	١١٥٣
ـ يقظة الضمير	١٣٣٣

هدايـــا صدرت مع المجلة لعـــام ١٤١٢هـ

إعداد : سيد أحمد على الغرباوى

عنوان الهدية	المؤلف	شهر الاصدار
الإسلام والتدخين	بقلم فضيلة الشيخ عطية صقر	المحرم
واجبات الأمة نحو كاشف الغمة « صلى الله عليه وسلم »	إعداد: د. حلمى عبد المنعم صابر	صفر
نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين	المؤلف : محمد الخضرى « بك »	جـ ١ ربيع الأول جـ ٢ ربيع الآخر جـ ٣ جمادى الأولى جـ ٤ جمادى الآخرة
فتاوى الإمام الأكبر	لفضيلة الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق ـ شيخ الأزهر	رجب
القضاء الشاهد واليقين	بحث بقلم محمود عبد المتجلى خليفة	شعبان
المختار من فضائل القرآن « للإمام ابن كثير »	تقديم وتعليق الشيخ السيد عبد القصود عسكر	رمضان
الحرمين الشريفين « قمة العمارة الإسلامية المعاصرة »	إعداد منصور حسين عطار	شوال
أحسن رفيق لزيارة البيت العتيق	لفضيلة الشيخ عطية صقر	ذو القعدة

Mais les mécréants n'ont pas tenu compte de l'Appel d'Allah, c'est pourquoi ils ont mérité de subir les terribes conséquences de leurs mauvaises actions et de leur désobéissance :

(Voici la géhenne qui vous a été promise : brûlez-y aujourd'hui pour prix de votre impiété) (le sens des versets 63-64).

Ensuite nous nous retrouvons devant un tableau particulièrement saissaint de la Résurrection : Allah mettra un sceau sur les lèvres des incrédules alors que leurs mains parlent et leurs pieds témoignent de ce qu'ils ont accompli (le sens des versets 65).

. "La tradition rapporte qu'on place un homme devant le Allah fort et Majestueux et qu'Allah lui dit : "O méchant serviteur, tu as été impie et rebelle". Il répond : "Qu'ai-je fait ? "Allah lui répond : "Nous avons une preuve évidente contre toi", et l'on amène les anges chargés d'inscrire ses œuvres. Il les accuse de mensonge et cherche à plaider sa propre cause, selon ce passage du Coran : "Le jour où chaque âme vient plaider pour elle même..."[1].

Mais on met un sceau sur ses lèvres, selon un autre passage : "le jour où nous apposons un sceau sur leurs lèvres, où leurs mains nous parlent et où leurs pieds témoignent de actions qu'ils ont commises ..."[2] Ainsi ses membres témoignent contre lui, et on ordonne de la jeter en enfer"[3].

A la fin de la sourate l'idée de la Résurrection revient sous forme de dialogue :

(... Qui fera revivre les ossements après qu'ils sont réduits en poussière ? Dis : "celui qui les a crées une première fois les fera revivre. Il est parfaitement au courant de toute création) (le sens de versets 78-79).

En effet, c'est Allah qui donne la vie pour la première fois et c'est Lui aussi qui sera Capable de la redonner une seconde fois le Jour de la Résurrection.

"Quand Il décrète une chose il suffit qu'Il lui dise : "Sois!" et elle est. Gloire à Celui qui détient en Sa main la royanté absolue de toute chose et vers Qui vous serez ramenés) (le sens des versets 82-83).

Par ces deux versets impressionants, d'une éloquence inimitable, la sourate se termine par une nouvelle évocation de la souveraineté d'Allah sur l'univers.

Inès Abdel Fattah Amer

---

1. Voir Sourate "Les Abeilles, le sens du verset 112.
2. Voir Sourate "YâSîn" le sens du verset 65.
3. Ghazali, La perle précieuse, (Ad-Dourra al-Fakhira) présentation et traduction de l'arabe par L. gauthier, Les Deux Océans, Paris, 1986, pp 65-68.

Le fait de nier l'avènement de l'Heure dernière ou d'en douter amènerait à refuser la notion de rétribution qui est le fondement de toute morale monothésite.

Dans la sourate "YâSîn", les scènes eschatologiques se déroulent avec une réalité saisissante. Nous voyons les personnages parler et agir, ainsi les incrédules demandent :

(A quand la réalisation de cette promesse si vous dites vrai?)

(le sens du verset 48)

La réponse est rapide :

(Ils n'ont point à attendre : Ce n'est qu'un seul cri qui les terrassera en pleine dispute. Ils ne pourront alors ni faire un testament ni retourner dans leurs familles) (le sens des versets (49-50)

Telle sera la scène après le premier souffle de trompette. Lorsque le son de trompette retentit pour la seconde fois, les incrédules sortent de leurs tombeaux. Terrifiés par leur résurrection ils se demandent :

(Qui nous a sortis de nos tombeaux?) le sens du verset 52

C'est alors qu'ils saisissent la vérité :

(C'est là la réalisation des promesses du Miséricordieux. Les énvoyés ont dit vrai!) (le sens du verset 52).

"Ce jour-là tout homme et toute femme comparaîtra devant Allah pour le Jugement Dernier où sera décidée la rétribution de chaque créature selon ce qu'elle aura accompli :

(Ce jour là aucune âme ne sera lesée en rien. Vous ne serez rétribués que selon ce que vous avez fait) (le sens du verset 54).

Ceux qui sortiront vainqueurs de cette épreuve iront au Paradis et les portes de la béatitude éternelle s'ouvriront devant eux :

(Ce jour-là, les hôtes du Paradis seront absorbés par leur fécilité). (le sens du verset 55).

Il n'y aura plus pour eux ni chagrin, ni affliction. "Salam" (ou paix) sera la formule de salut par laquelle Allah accueillera les hôtes du Paradis :

("Paix!" telle est la parole que leur adressera le Seigneur Miséricordieux) (le sens du verset 58).

Par contre l'Enfer sera le séjour éternel de ceux qui auront mérité le châtiment. Dans une tournure éloquente, Allah reproche aux coupables leur soumission à Satan :

(Ne vous ai-je pas engagés, ô fils d'Adam, à ne point adorer Satan : il est votre ennemi déclaré; et à M'adorer : c'est là la voie droite?) (le sens de versets 60-61).

La seconde est l'invitation à observer les éléments de la nature et les faits cosmologiques qui sont des signes-témoignages qui doivent amener les hommes à reconnaître l'Unicité d'Allah et à découvrir qui Lui seul est digne d'adoration, digne qu'on s'incline devant Lui avec humilité et soumission. Ainsi, l'homme est invité à ne pas se contenter de rechercher les signes divins dans le phénomènes naturels, mais aussi à comprendre la signification de ces signes. Car Allah (qu'Il soit exalté) ne nous propose pas la création comme un objet d'étude qui aurait en lui-même sa propre finalité, au contraire, la création n'est qu'un signe prouvant l'existence d'un Créateur.

Vers le milieu de la sourate "YâSîn", une série de versets reprennent, comme un refrain, la même expression : "Voici, pour eux, un signe" (Sourate "YâSîn" 33, 37, 41). Dans ces versets Allah rappelle aux humains les bienfaits dont Il les a comblés : la resurrection de la terre morte, la création des arbres fruitiers, de l'eau, don d'Allah, qui est à l'origine de toute chose vivante (Sourate "YâSîn", les sens des versets 34 - 35).

Dans le domaine cosmique les bienfaits d'Allah sont innombrables : Il a créé le soleil et la lune et leur a fixé un cycle determiné (Sourate "YâSîn" les sens des versets 38 - 40.

C'est encore Allah qui a fait don aux hommes des vaisseaux qui voguent sur les mers et c'est Lui qui les ramène sains et saufs des périls maritimes par Sa miséricorde (Sourate "YâSîn" le sens des versets (41-43)

En outre, l'attention du lecteur est attirée par les interrogations successives : "Ne voient-ils pas ..." (le sens du verset 71) "lhomme n'a-t-il pas vu ..." (le sens du verset 71). Il ne s'agit pas à proprement parler de voir mais surtout de réfléchir, de comprendre et par suite d'être reconnaîssant. Allah a octroyé aux hommes de moyens de subsistance :

(ne seront-ils pas reconnaissants) (le sens du verset 73)

De même le verset 77 fait naître chez le lecteur tout un ensemble de réflexions et de sentiments : comment l'être humain a-t-il pu être aussi ingrat à l'égard d'Allah, alors qu'il n'était qu'une goutte de sperme ? Thème que rappelle l'ingratitude et l'orgueil de l'homme à l'égard de son Créateur.

La mort, la Résurrection et le Jugement Dernier : tel est le thème majeur autour duquel tourne la sourate "YâSîn". En fait la croyance en la vie future constitue un élément fondamental de la doctrine islamique :

Ceux qui doutent de l'Heure
ne sont-ils pas profondément égarés)

Sourate La Délibération le sens du verset 18(1).

---

(1) قال تعالى ﴿ ألا إن الذين يمارون فى الساعة لفى ضلال بعيد ﴾ سورة الشورى، آية ١٨ .

En effet, la sourate débute par deux lettres de l'alphabet arabe "YâSîn". Ces dernières sont suivies par une formule sacramentelle où Allah jure par le sage Coran que Mohammed (paix soit sur lui) fait partie de Ses Envoyés. Il lui a révélé le Coran tant pour guider les hommes vers la voie de la Vérité éternelle que pour les avertir du mauvais sort qui attend ceux qui vivent dans l'égarement et restent sourds à l'Appel d'Allah. A ceux-ci, Allah demande à son Envoyé (paix soit sur lui) de proposer l'exemple d'une cité incroyante, à laquelle furent envoyés trois prophètes. Ses habitants les traitèrent d'imposteurs ... et la cité fut anéantie. D'une part ce récit vise à réconforter le Prophète (paix soit sur lui) après ce que lui avaient fait endurer les païens de la Mecque qui ne croyaient pas à sa mission; d'autre part, il met en garde les peuples pervers contre le châtiment divin. Ainsi, par la même occasion, les habitants de la Mecque sont invités à ne pas imiter les communautés antérieures dans leur égarement et leur mécréance et à tirer des leçons de l'expérience de leurs prédécesseurs.

"Aussi le Koran, nous explique Dr. Draz, utilise-t-il sans cesse, l'histoire de l'antiquité pécheresse, afin que les injustes qui se succédent sur la terre aient toujours présent à l'esprit l'exemple de leurs prédécesseurs. Sourtout les infidèles du temps du Prophète, qui ne, furent ni meilleurs ni plus puissants que les anciens"(1).

La foi en l'unicité d'Allah est la pierre angulaire sur laquelle est fondée la religion islamique. La sourate traite cette vérité de deux façons :

la première est l'exhortation traditionnelle à la foi prononcée par l'homme croyant dans le récit :

(Pourquoi n'adorerais-je pas Celui qui m'a créé? Alors que c'est vers Lui que vous serez ramenés.

Prendrais-je des divinités en dehors de Lui? Si le Miséricordieux me voulait du mal, leur intercession ne me servirait à rien : elles ne me sauveraient pas;

Je serais alors manifestement égaré)

Sourate "YâSîn" le sens des versets 22 -24

De même, on lit à la fin de la sourate :

(Ils adorent des divinités en dehors d'Allah dans cespoir d'être secourus; or, ces dérnières ne peuvent leur être d'aucun secours et ce sont eux qui leur servent de défenseurs)

Sourate "YâSîn" le sens des versets 74-75

---

1. M. Draz, La Morale du Koran, édition Al Maaref, Le Caire, 1950, p. 273.

D'après 'Anas (qu'Allah sort satisfait de lui) l'Envoyé d'Allah (paix soit sur lui) a dit :

"Lorsqu'un homme entre dans un cimetière et récite la sourate "YâSîn", Allah allège la peine des morts qui s'y toruvent et cet homme recevra autant de régributions qu'il y a de morts dans le cimetière"(1).

Ibn 'Abbas (qu'Allah soit satisfait de lui) rapporte que l'envoyé d'Allah (paix soit sur lui) a dit :

"Quiconque récite "YâSîn" et "Ceux qui sont placés en rang" durant la journée du vendredi, puis implore une faveur à Allah, son vœu sera exaucé"(2).

La sourate "YâSîn" tire son nom des deux lettres inaugurales figurant dans le premier verset. Cette sourate est entièrement mecquoise, à l'exception du verset 45 (selon l'édition égyptienne)(3). Elle a été révélée dans la période moyenne de la vie de la communauté musulmane à la Mecque, c'est-à-dire entre l'émigration des Musulmans en Abyssinie (dans la 5ème année du Message de Mohammad) et le Voyage nocturne du Prophète (paix soit sur lui). Elle se compose de 83 versets. Elle suit la sourate "les Djinns" dans l'enchaîmement chronologique de la Révélation.

La sourate "YâSîn" se caractérise par la concision de son style : en effet les versets y sont assez courts. La succession et la diversité des images évocatrices retiennent l'attention du lecteur et surtout de l'auditeur. Tous les versets s'achèvent par une consonne nasale (m) (n), la voyelle qui précède la consonne finale est toujours longue et diffuse (u), (i). Indépendamment de leur ordre d'apparition et leur ordre d'alternance, les rimes forment trois groupes importants :

1. **rimes en un = 55 fois (ex : gafilun, Yu'minun).**
2. **rimes en in = 16 fois (ex : mubin, mursalin).**
3. **rimes en im = 12fois (ex : rahim; hakim).**

Comme toutes le sourates mecquoises, la sourate "YâSîn" pose trois fondements due dogme islamique :

- **La véracité du Message divin.**
- **La foi en l'unicité d'Allah.**
- **L'affirmation de l'existence d'une vie future dans l'au-delà après le Jugement Dernier.**

---

١ — عن انس رضى الله عنه ، ان رسول الله (ﷺ) قال : « من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنهم وكان له بعدد من فيها حسنات » .

٢ — عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله (ﷺ) من قرأ يس والصافات يوم الجمعة ثم سأل الله تعالى اعطاه سؤاله .

3. Cette édition fut imprimée pour la première fois au Caire en 1342 H/1923 JC. Elle respecte la lecture de Hafs. Actuellement, elle est l'édition la plus répandue.

Place et importance de la sourate yâ Sîn dans le Coran

Par
Inès Abdel Fattah Amer

Plus de trente Hadiths évoquent le mérite de la sourate "YâSin," ce qui prouve l'importance qu'occupe cette sourate chez les Musulmans. Ils la récitent jour et nuit, pour les malades afin qu'ils guérissent, pour les agonisants afin d'alléger les affres de la mort et même sur les tombes pour qu'Allah accorde Sa miséricorde aux morts.

D'après 'Anas Ibn Malik, l'Envoyé d'Allah (paix soit sur lui) a dit :

"Toute chose possède un cœur, et la sourate "YâSîn" est le cœur du Coran"(1)

Abu Horayra rapporte que le Prophète (paix soit sur lui) a dit :

*"Celui qui récite la sourate "yâSîn" durant la nuit pour l'amour d'Allah, sera pardonné la même nuit"*2.

Selon Ma'kil ben Yasar (qu'Allah soit satisfait de lui), l'envoyé d'Allah (paix soit sur lui) a dit :

"le cœur du Coran est la sourate" YâSîn"
Tout homme qui la récite pour l'amour d'Allah et dans l'espoir d'être rétribué dans la vie future, sera pardonné. Récitez-la pour vos morts"(3).

D'après Ibn 'Abbas, l'Envoyé d'Allah (paix soit sur lui) a dit à propos de la sourate "YâSîn":

"je souhaite qu'elle soit conservée dans le cœur de chaque personne de ma communauté" (4).

---

1. Tous les Hadiths qui évoquent le mérite de la sourate "YâSîn" font l'objet d'une traduction personnelle.

١ — عن انس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) : «ان لكل شىء قلبا ، وقلب القرآن يس» .

٢ — عن ابى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى (ﷺ) : « من قرأ يس فى ليله ابتغاء وجه الله تعالى غفر له فى تلك الليلة » . قال الامام ابن كثير : اسناده جيد .

٣ — روىَ عن معقل بن يسار أن رسول الله (ﷺ) قال : « قلب القرآن يس لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الاخرة إلا غفر الله له . أقرؤها على موتاكم ، رواه أبو داود والنسائى وصححه ورواه الامام أحمد فى مسنده واللفظ له » .

٤ — عن ابن عباس انه قال : قال رسول الله (ﷺ) فى صورة يس « لوددت انها فى قلب كل انسان من أمتى » واسناده هكذا .

La définition de la valeur que nous sommes en train de donner fait entrer en jeu tous ces éléments qui s'imbriquent dans le processus de communication pour produire le sens. Mais comment connaître les sentiments intimes, peut être contradictoires, que certains signifiés peuvent évoquer pour chaque récepteur selon son idéologie, selon sa mentalité, comment donc carner l'effet produit?

Or, il est difficile de mesurer l'effet produit sur le récepteur; il peut varier selon les individus, en fonction de leurs traîts particuliers : idéologie, vécu personnel, rapport affectif avec le locuteur, ou encore dans quel sens les gens emploient-ils un terme. Toutefois, il faut distinguer ce qui découle du texte et ce qui fait partie d'une interprétation personnelle.

Comme nous l'avons déjà mentionné au début de cette étude, nous sommes loin d'avoir effectué une analyse de l'ensemble exhaustive de la Sourate "la vache", le but essentiel étant d'approfondir la conception de la "valeur" comme un tout, en montrant le fonctionnement imbriqué de tous ces éléments.

Dans ce domaine, il faut faire attention dans l'interprétation du contenu du Coran à la connotation et à la valeur affective des mots et des expressions.

On peut conclure enfin en constant l'impossibilité de faire coïncider les éléments de deux champs sémantiques pris dans deux langues (arabe et française dans notre cas), d'autant plus que le même mot employé par différentes personnes peut avoir des connotations très différentes dans différentes circonstances.

Toutefois, cette étude est loin d'être exhaustive, elle n'est que le fruit d'une première réflexion. Nous avons en effet, trouvé un créneau vacant ou quasi-vacant pour l'examen méticuleux du domaine de l'interprétation de sens du Coran.

Nous avons donc la ferme intention de progresser dans cette voie, de porter plus loin notre étude et d'affiner notre méthode. D'une part, nous avons l'impression de n'avoir pas poussé assez loin notre étude, c'est effectivement un champs immense que nous n'avons pas fini d'explorer tant s'en faut. D'autre part, de nouveaux outils permettront peut-être une poursuite de cette réflexion et une actualisation de la méthode de travail.

Dr. Soheir Aly Ezzat

CONCLUSION

Venir au fond du problème, peut-on parler de l'interprétation du Coran comme d'une discipline à part? le traducteur est amené à comprendre qu'une même information peut-être transmise de différentes manières, c'est à dire, qu'il n' y a pas un lien obligatoire entre la conceptualisation et certaines formes grammaticales.

Il en résulte que, pour découvrir le sens d'un énoncé, il ne suffit pas d'analyser les constituants de la phrase indépendamment les uns des autres mais il faut considérer le discours dans son ensemble et particulièrement tout ce qui a trait à la situation de parole.

L'étude de ces exemples nous a servi à montrer : premièrement, comment les mots perdent leurs virtualités de signification dans un discours, pour acquérir un sens unique en fonction de leur entourage contextuel. En second lieu, ils nous montrent que la phrase n'est pas une unité autonome du discours. C'est un système où tout se tient.

La comparaison des langues arabe et française, qui sont opérées à la faveur de la réflexion sur la traduction font apparaître que les vocables ainsi comparés ont des emplois divers, c'est à dire que chaque terme est porteur de plusieurs virtualités sémantiques. par conséquent, les idiomes des deux langues ne sont pas interchangeables.

Or, cela n'est pas suffisant : les mots possèdent également une certaine charge affective, c'est-à-dire qu'à coté de la compréhension intellectuelle des mots, il faut prendre en considération les réactions subjectives de récepteurs. L'existence de ces valeurs affectives est déjà apparue de façon évidente dans notre étude sur l'interprétation des sens du Coran.

Ainsi qu'il est apparu au cours de notre article, la "valeur" est en réalité un fait central dans le mécanisme de la traduction; elle fait apparaître que le signifié n'est pas une donnée simple et immédiate. D'autre part, la notion saussurienne de "valeur" et de "signification", dès qu'on l'appli que à l'étude comparative des deux langues en question, suppose que l'on examine avec attention la totalité du message.

L'analyse ainsi établie sur des exemples concrets permet de parvenir à deux conclusions : la première c'est qu'il est bon de faire la distinction entre langue (ou plutôt signification linguistique) et sens, dans un contexte déterminé. Les énoncés du texte tirent en effet leur sens autant que possible de la signification de la langue, de l'entourage contextuel. La deuxième conclusion porte sur la façon dont sont ressentis les traits émotionnels : il s'agit sans aucun doute de l'opération qui consiste à explorer les explications linguistiques d'éléments situationnels non linguistiquement formulés et à décrire un énoncé message prenant en considération toute une gamme de paramètres de la situation d'émission.

1. D. Masson

[Ils ont dit :
Nos coeurs sont incirconcis
Non :
qu'Allah les maudisse à cause de leur incrédulité.]

(le sens du verset 88)

2. Dr. Kawsr Abdel Salam El Beheiri

Ils disent "Nos coeurs sont entouré d'enveloppes" Certes, Non ! Mais Allah les maudit à cause de leur incrédulité. Combien peu ils croient.

(le sens du verset 88)

3. Si Hamza Boubakeur

Nos coeurs sont remplis de science disent-ils.
Pas du tout ! Allah, les maudisse pour leur incrédulité !
Il est rare qu'ils croient (sincèrement).

(le sens du verset 88)

Si Boubakeur a précisé de même dans son commentaire :
"Ghulf ou Ghuluf" **le sens d'***"incirconcis"* **qui ne peut s'appliquer aux cœurs, est mentionné et rejeté par les commentateurs qui interprètent ainsi ce passage :**
"Nos cœurs sont déjà pleins de science; nous n'avons pas besoin de connaître le message de Mohammed. paix soit sur lui" le mot Ghulf est également interprété dans le sens de "voile" ou couvert d'un voile"[1]

Examinons chacun des deux signes (arabe et français) en premier lieu au niveau de la langue, ensuite au niveau du message, c'est-à-dire au niveau d'un système dont les parties ne tirent leur valeur et leur existence propre que de leurs relations avec le tout. Commençons par *"incirconcis"* **: il donne au niveau de la langue : "qui n'est pas circonsis, n'appartient à la nation Juive; tandis que dans la version (2) l'expression "entourés d'enveloppes", qui est aussi littérale, donne un sens apparemment satisfaisant. Toutefois, vérification faite dans les diverses interprétations des exégètes islamiques, la meilleure traduction de ce terme serait : Nos cœurs refusent d'être éclairés sur ce point (ou encore de comprendre ce que dit le prophète Mohammed (paix soit sur lui) ou bien comme l'a signalé Si Hamza Boubakeur," Nos cœurs sont pleins de science 1. (C'est-à-dire ne veulent pas comprendre ce que dit Mohammed paix soit sur lui).**

Cette interprétation fondée sur l'avis des exégètes peut sembler obscure au lecteur francophone si elle n'est point accompagnée d'une note explicative.

---

1. Le Coran 1er volume, p. 79.

٢ — ويقولون قلوبنا « غلف » مملوءة لا تحتاج إلى علم محمد ولا غيره — ويقولون عليها غلاف وهو الغطاء ، بمعنى فلا تعى ولا تفقه أى بمعنى عدم طهارة قلوبهم وانها بعيدة عن الخير .

قلوبنا غلف هى القلوب المطبوع عليها ، عليها غشاوة ، عليها طابع .

تفسير القرآن العظيم (ابن كثير جزء أول صـ١١٨)

Toutefois le traducteur a ajouté dans son commentaire :
"Hanifiya : religion du salut **(Tab. 1,564)**, *fondée sur le culte d'un Allah unique, la condamnation de l'idolâtrie et la confiance totale (Tawakkul) en Allah créateur, maître de l'univers, souverain juge, Omniscient, Omnipotent, Absolu Libre et Sage. A lui le croyant doit se livrer entièrement, se soumettre inconditionnellement et directement à sa volonté...*
Abraham *"il n'était ni juif, ni chrétien mais monothéiste convaincu (hanif) et soumis sincèrement à Allah (muslim)"* **dit la Sourate la Famille de Imran, 67 Hanif signifie aussi pélerin"[1]**

Qu'est-ce donc que le sens de "hanif" vu sous cet angle? ce n'est plus un seul sens mais au moins trois : Celui qui suit la religion d'Abraham (milatu Abraham). Celui qui se dirige au cours de sa prière vers la Kaaba, qui fait le pélerinage si cela est possible. Celui qui ne donne point d'associé à Allah (muslim).[1]

Nous citerons le sens du verset 79 de la Sourate "Les Troupeaux" où Si Boubakeur a rendu "Hanif" tout en maintenant la valeur réelle du terme.

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَٰوَاتِ والأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .
صدق الله العظيم (٧٩-الأنعام)

En monothéiste sincère, je tourne mon visage vers Celui qui a créé les cieux et la terre, je ne suis point au nombre des associateurs de fausses divinités à Allah.

La controverse est souvent ardente sur le point que nous venons de soulever; or, nous ne traduisons par une langue, c'est au texte que nous sommes fidèles et les textes ne se servent pas dans les différentes langues des mêmes signes pour évoquer les mêmes choses.

L'Expression : «قلوبهم غلف»

Mais procédons à l'examen de ce verset :

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُم اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ صدق الله العظيم (٨٨-البقرة)

1. Si Hamza Boubakeur, 1er volume p. 95.

ـــ ملة ابراهيم حنيفا : أى مستقيما .
الحنيف الذي يستقبل البيت بصلاته ويرى أن حجه عليه ان استطاع اليه سبيلا .
حنيفا أي متبعا .
الحنيف الذى يؤمن بالرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم .
الحنيفية شهادة أن لا اله إلا الله .

تفسير القرآن العظيم «ابن كثير» «الجزء الأول» صـ ١٧٧

Al-Forqân ici est identifié ici avec le Pentateuque.[1]

Mais dans la Sourate la Vache le sens du verset 53, cela n'est guère possible car, dans un contexte semblable l'Ecriture est nommée en premier lieu et en second lieu Al Forqân.

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ وإذ ءاتينا موسى الكتـب والفرقان لعلكم تهتدون ﴾ . صدق الله العظيم (٥٣ البقرة)

Il est impossible de traduire الفرقان **par Thora, d'où la nécessité de dire "La Thora et le discernement entre le bien et le mal".**

le terme « حنيف » **:**

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ﴾ .
صدق الله العظيم (١٣٥-البقرة)

rendu par D. Masson :
Ils ont dit :
"Soyez Juifs, ou soyez chrétiens,
vous serez bien dirigés
Dis !
"Mais non , ...
Suivez la Religion d'Abraham, un vrai croyant qui n'était pas au nombre des polythéistes.
(Sourate II, le sens du verset 135)

Examinons le signe حنيف **qui aurait aussi le même sens que le "vrai croyant" mais non pas la même valeur. Dès qu'on essaie decerner le signifié, on se trouve en face du problème que, pose inévitablement la polysémie qui difffére dans les deux langues arabe et française.**

Si Hamza Boubakeur a ainsi traduit ce verset :

"Soyez juifs ou chrétiens et vous serez dans la bonne voie" **ont prétendu** *(ceux qui réclament de l'Ecriture !) Dis (leur) "Il n'en est rien ! (suivez plutôt) la religion d'Abraham, ce croyant sincère qui ne donne jamais d'associé à Allah.*

---

1. Le Livre : Le Pentateuque ou plus exactement l'Hexateuque, compte tenu du livre de Josué ... Le mot Forqân séparation s'emploie pour désigner en général tout livre révélé et notamment le Coran. Le même terme désigne métaphoriquement la bataille de Badr au cours de laquelle l'Islam triompha du paganisme (Tab. 1,285), Boubakeur, le Coran 1er volume p. 65).

Ainsi, si nous empruntons à l'Encyclopédie de l'Islam les définitions corresponsdant aux emplois les plus usuels du mot "Forqân", nous constatons que ce terme pourrait être interprété de différentes façons :

Par exemple, la teneur du verset 185 de la Sourate la Vache est particulièrement digne d'intérêt :

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ .
صدق الله العظيم (١٨٥-البقرة)

Il est précisé dans ce verset que la révélation du Coran notamment au cours du mois de Ramadan devrait servir aux hommes de la bonne direction et elle est une preuve irréfutable de discernement entre le bien et le mal, le licite et l'illicite.

Le sens de ce verset a été habilement traduit par Si Hamza Boubakeur :
le mois de Ramadan est celui au cours duquel le Coran fut révélé pour servir de bonne direction aux hommes, d'explication claire aux préceptes (divins) de critère à la vérité et à l'erreur.[1]

Pour appuyer notre hypothèse, nous citons le verset (1) de la Sourate XXV (Al-Forqân) où Al-Forqân est identifié avec le Coran.

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ . (١-الفرقان)

rendu comme suit (par Boubakeur)
Béni soit Celui qui a révélé [graduellement le livre de] la distinction à Son serviteur pour faire de lui l'avertisseur des mondes !

Cependant, nous estimons que Forqân peut être ainsi interprété dans ce verset :

Béni soit Celui qui a envoyé du ciel le Coran à Son serviteur, pour faire de lui l'avertisseur des mondes. Tandis que dans la Sourate Les Prophètes (XXI) le sens du verset 48,

Forqân pourrait désigner la thora :

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴾ . صدق الله العظيم (٤٨-الأنبياء)

---

1. Boubakeur a précisé dans son commentaire : La tradition enseigne qu'au cours du mois de Ramadân fut révélée, avant le Coran, l'Ecriture à Abraham puis à Moïse et Jésus (Tab. 11, 145). Le Coran fut graduellement révélé durant plus de vingt ans. Il faut entendre par ce message, disent les commentateurs, la révélation du Coran dans son ensemble à l'ange Gabriel, qui le transmet au gré des circonstances au prophète.

acceptions) particulière dans laquelle ils sont pris, de sorte qu'on traduit une acception d'un mot et non l'aire sémantique de ce mot''[1]

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ وَإِذْ ءاتَيْنَا مُوسَى الكِتَٰبَ والفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ . صدق الله العظيم (٥٣ البقرة)

rendu par D. Masson par :

Nous avons donné à Moïse le livre et la loi.
Peut-être serez-vous dirigés?
(le sens du verset 53)

par Dr. Kawsar A.S. El Béheiri :

(Rappelez-vous) *lorsque nous donnâmes à Moussa l'Ecriture et la distinction pourvu que vous fûtes dirigés dans la bonne voie.*
Dans une tentative de reformuler la valeur réelle de ce verset, une note explicative a été ajoutée : ''Al-Forqun''[2] est tout livre Saint distinguant entre le bien et le mal, le licite et l'illicite. Dans ce verset ce sont les signes distinguant entre le bien et le mal et qui sont descendus vers Moussa qui sont visés.''[3]

par R. Blachère :

(Rappelez-vous) *quand Nous donnâmes à Moïse l'Ecriture et la Salvation,* **(espérant que)** *peut-être vous seriez dans la bonne direction !*

(le sens des versets 50-53)

L'analyse que nous avons faite sur les diverses acceptions du mot ''Forqân'' est naturellement importante; elle sert à mieux expliquer la valeur de ce terme. Nous ne traitons pas les mots isolément mais selon plusieurs éléments sémantiques qui agissent ensemble d'une façon très complexe de manière à sélectionner le sens d'un mot.

Dans la version I, ''Al Forqân'' est rendu par ''la Loi'', qui englobe une série d'acceptions sémantiques contenant en général les règles impératives imposées à l'homme. De même, c'est ''la règle exprimant la volonté d'Allah de la divinité — commandement, decret Religion jud., la loi de Moïse, de l'Ancien Testament[4], ''tandis que Salvation signifie dans le Grand Larousse de la langue française (T.6), action de sauver, salut de salvatum. Spécialement : action d'assurer le salut de l'âme ou des âmes''.

---

1. Jean Claude Margot, Traduire sans Trahir
2. Forgân, vu ses rapports avec le mot syriaque ''purgânâ'' salvation doit signifier quelque chose comme la délivrance du jugement. Encyclopédie de l'Islam.
3. Note ajoutée par la traductrice.
4. Définition donnée par le P. Robert.

Ces diverses acceptions sont la preuve irréfutable que "tous adressent leurs prières" ne transmet qu'un des traits de signification de ce qui est l'action même de la prière. Or, comme nous l'avons déjà montré il englobe différentes significations de soumission et d'obéissance qui reflètent le fait d'accepter volontairement la dépendance. Cette expression donnée par D. Masson "adressent leurs prières" manque de précision car elle n'exprime pas la valeur du terme "Kanata".

Par souci de communiquer exactement "La valeur" de ce terme, nous trouvons opportun d'ajouter certaines explicitations nécessaires pour exprimer toutes les nuances contenues dans le mot. N'est-on pas plus fidèle au vrai sens de la parole divine en ayant recours à une paraphrase pour exprimer toutes les significations voulues, plutôt que de se limiter à un seul mot, ou à une seule expression, lorsque ceux-ci ne rendent que partiellement le sens de l'original ?

Nous voyons la nécessité de prendre la liberté d'ouvrir l'éventail des diverses significations du signe de la langue source en rendant « كل له قانتون » : par

Tous Lui adresse leurs prières avec sincérité
en se pliant inconditionnellement à Sa volonté

En donnant cet exemple de paraphrase, il était relativement facile de caractériser le genre et d'en montrer en même temps les dangers. Nous reconnaissons que, à côté d'avantages certains, la paraphrase comporte également des dangers : le traducteur peut en effet ajouter à son texte quelque chose qui ne correspond pas au texte original. Cela tient au fait que la paraphrase est déterminée seulement par l'aptitude du traducteur à simplifier l'expression, mais elle dépend aussi de la façon dont le traducteur comprend le texte original et de ses présupposés théologiques. Elle nécessite, à notre avis, une manière habile d'expliquer de bonnes connaissance exégetiques, et toutefois, elle n'élimine pas totalement la part subjective de l'inerprétation.

Le terme « الفرقان » :

Examinons cet exemple qui prouve que "les mots s'insèrent dans des phrases, dans un contexte qui déterminent l'acception (et non les

---

١ ــ وفقا لما جاء في تفسير ابن كثير :
قانتون : مقرون بالعبودية
الاخلاص
مطيعون وبجمع الأقوال كلها وهو أن القنوت والطاعة والاستكانة إلى الله سبحانه وتعالى
مرجع سبق ذكره

rendu par D. Masson :

[Ils ont dit :
Allah s'est donné un fils !
Mais gloire à Lui'
Ce qui se trouve dans les cieux et sur la terre Lui appartient en totalité; tous Lui adressent leurs prières]
(le sens du verset 116)

Allah s'est donné un fils !
Mais gloire à Lui !
Ce qui se trouve dans les cieux et sur la terre Lui appartient en totalité; tous Lui adressent leurs prières]
(le sens du verset 116)

Dr. Kawsar Abdel Salam El Béheiri[1]

Ils disent : ["Allah a pris un enfant gloire à lui ? Non, certes, à Lui tout ce qui est dans les cieux et sur la terre tout Lui est soumis.

Par kasimirski

Ils disent ("Allah a des enfants, loin de lui ce blasphème ! Tout ce qui est dans les cieux et sur la terre Lui appartient, *et tout Lui obéit.*
(le sens du verset 116)

En procédant à l'analyse des diverses acceptions du verbe «قنت» mentionnées dans l'interprétation d'Ibn Kathir, nous nous trouvons en face de plusieurs signifiés :
"Kanata" contient le fait de s'acquitter de la prière مقرون بالعبودية la foi sincère envers Allah T.P. : «الاخلاص»

Le fait de se soumettre aux commandements d'Allah T.P., en se livrant entièrement à sa volonté : الاستكانة إلى الله سبحانه وتعالى

C'est un aspect de la communion entre l'homme et son créateur.

Dans une autre interprétation du M.A. Al-Sabouni[2] : "Tous résignent à la volonté d'Allah, se pliant à Ses décisions.

En effet, le verbe "Kanata"(3) renferme trois notions fondamentales, à savoir : l'adoration d'Allah T.P., à laquelle vient s'ajouter le fait d'accomplir la prière avec soumission et foi sincère, en s'abandonnant entièrement à la volonté d'Allah.

---

1. Dans la version les sens du coran" Dr. Kawsar Abd Al Salam El Beheiri a essayé de rendre la valeur du verbe « قنت » en ajoutant en note : Kanata" qui veut dire se soumettre admet aussi le sens de se prosterner.

١ ــ وفقا لما جاء فى تفسير الصابونى :

قانتون : أى الكل منقادون له لا يستعصى شىء منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته .

مرجع سبق ذكره

Ces exemples mettent en évidence les différences sémantiques entre les deux langues arabe et française ainsi que l'importance que revêt le contexte pour produire la valeur et annuler la polysémie des mots.

En effet, nous pouvons constater que le verbe "se soumettre" et "embrasser" (sous-entendu, embrasser la religion de l'Islam) peuvent donner le sens de "se soumettre à Allah en embrassant la Religion d'Abraham. Toutefois, nous pouvons conserver la valeur du terme en ayant recours au terme spécifique "muslimûn"[1] ou "musulmans".

Reprenons en guise d'exemple la traduction du sens des deux versets suivants par S.H. Boubakieur :

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ رَبَّنَا واجعلنا مُسلِمَينِ لَكَ وَمِن ذُرِيَّتِنا أُمَّة مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَينا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ .
صدق الله العظيم (١٢٨ـ البقرة)

Seigneur ! fais de nous des musulmans[1] et de notre postérité une communauté musulmane. Indique-nous les rites [que nous devons observer] et agrée notre repentir, car Tu es l'indulgent et le Compâtissant par excellence.

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ قُل إِنِى أُمِرتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَاتَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .
صدق الله العظيم (١٤ الأنعام)

dis : *"il m'a été ordonné d'être le premier de ceux qui se livrent à Allah et s'abandonnent à Sa volonté et de n'être jamais au nombre des polythéistes.*[2]

(Sourate les Troupeaux, le sens du verset 14)

Procédons à l'examen du terme «قانتون»

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الله ولدا سُبْحَانَهُ بَل لَهُ مَافِى السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾
صدق الله العظيم (١١٦ البقرة)

---

1. Le traducteur a précisé dans son commentaire. Musulmans, muslimina laka, litt "livrés, soumis à toi, à ta volonté". L'Islam nom d'action du verbe aslama, signifie se livrer à la volonté d'Allah s'en remettre à lui et à Sa sagesse.
En vertu de ce verset, la tradition fait d'Abraham le premier musulman sur terre et c'est dans ce sens que le Coran adresse d'inlassables appels aux chrétiens et aux juifs pour un retour à la religion d'Abraham, c'est-à-dire l'Islâm en tant que religion originelle professant un monothéisme pur.
(Tab 1, 558-559) Le Coran, 1er volume, p. 95)

2. Bien que ce verset ne figure pas dans la Sourate la Vache, sujet de notre étude, nous le citons, à titre d'exemple, pour le besoin de notre démonstration.

AL AZHAR

Signification, sens et valeur du signe linguistique.

Etude appliquée sur quelques exemples tirés de la Sourate "La Vache" (Suite)

présentée par

Dr. Soheir Aly Ezzat
Faculté des Sciences Humaines
Université "Al-Azhar"

Département de Langue, de Littérature Françaises et de Traduction

Le Caire 1992

١٦٠٩

REVUE AL-AZHAR

Zoul Higua 1412
Volume 64 — Partie XII

Section Française

Comité de Rédaction :
Dr. Rokaya GABR, Professeur adjoint au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

Shawal:

1. Omar Ibn Al Khattab.
   The Death of Omar.
   Anas Moustafa El Naggar.
2. Intention and Sincerity
   Lotfi Ali Sultan.

Zu Al-Qida:

1. Omar Ibn Al Khaṭtab.
   The Acme of Responsibility.
   Anas Moustafa El Naggar.
2. Tawhid: The Principle of Knowledge.
   Ismail Raji Al-Faruqi.

Zu Al- Hijah.

1. Omar Ibn Al Khattab.
   The Epilogue.
   Anas Moustafa El Naggar.
2. Tawhid, The Essence of Family Institution.
   Ismail Raji El-Faruqi.

Jumadah Al Ullah:

1. Omar Ibn Al Khattab.
   Omar and the Muslim Nation (Part II).
   Anas Moustafa El Naggar.
2. Themes of Islamic Culture.
   Saad Moustafa Moustafa.

Jumadah Al Akhirah:

1. Themes of Islamic Culture
   Saad Moustafa Moustafa.
2. Sayyidah Maryam, The Islamic Symbol of Purity and Faith
   Aliah Schleifer.

Ragab:

1. Omar Ibn Al Khattab
   The Islamic Renaissance.
   Anas Moustafa El Naggar.
2. The Dignity of Labour
   Lotfi Ali Sultan.

Shaaban:

1. Omar Ibn Al Khattab.
   The Process of Islamization.
   Anas Moustafa El Naggar.
2. The Moral System of Islam.
   Lotfi Ali Sultan.

Ramadan:

1. Omar Ibn Al Khattab.
   The Life of Omar.
   Anas Moustafa El Naggar.
2. The Quintessence of Tawhid
   Ismail Raji Al-Faruqi.

REGISTERY OF 1412 HIJRAH

Muharram:

1. Omar Ibn Al Khattab.
   The Enactments of Liberation.
   Anas Moustafa El Naggar.
2. The Roots fo Wisdom.
   The Best amongst you is He who is most affable to his family"
   Abdel Hakim Ahmad Taha.

Safar:

1. Omar Ibn Al Khattab.
   The Man at Al-Madinah.
   Anas Moustafa El Naggar.
2. The Roots of Wisdom.
   Elimination of Danger from the Road is an Act of Benignity.
   Abdel Hakim Ahmad Taha.

Rabie Al Awal:

1. Omar Ibn Al Khattab.
   Man of Distinction
   Anas Moustafa El Naggar.
2. The Roots of Wisdom
   Fasting is Safety
   Abdel Hakim Ahmad Taha.

Rabie Al Akhar:

1. Omar Ibn Al Khattab.
   Omar and the Islamic Nation (Part I).
   Anas Moustafa El Naggar.
2. Themes of Islamic Culture
   Saad Moustafa Moustafa.

ordinances. These are all rationally linked together, and inseparable from one another. Allah has indeed commanded the actualization of these values, directed the method and specified the requirement for doing so. These are the family and the relations to which it gives rise, the necessity of which can be established rationally. Divine specification of these values and requirements is supreme confirmation of their rational necessity. Therefore, family structure and relationship values as standardized and organized by Islamic doctrines are basic elements of Tawhid.

Islamic principles offers equality of man and woman in their religious, ethical, civil rights and responsibilities. Differences in function pertain to their position as fathers and mothers; and the duties incumbent upon each of them to justify their position in that function. The equality of both is achieved at its maximum when each optimizes the requirements that function best in their separate or mutual responsibilities. The adherent observance of Divine prescriptions is the process of maximization of function. Female and male are created for differing but complementary functions, and Islamic teachings promote this differentiation as necessary for self fulfillment of both sexes. Differentiation must be understood as different from discrimination; the differentiation in structure and function of male and female still makes them equally subject to the same religious and ethical norms, requiring the same intelligence, talent, energy, and self effort that each individual can achieve.

Islamic doctrines do not insulate or isolate women from having an active role in society. There is Quranic evidence of recognition of woman's rights to participate in public life; such participation should however be most careful to avoid that kind of woman exposure which leads to immorality and fornication. Islamic teachings forbid deliberate exposure of feminine beauty and body features and ornament, in order to prevent temptation and frivolous conduct that may result in unchastity. Avoidance of temptation and preservation of chastity is a high ethical ideal of maximal social value that must be preserved during all feminine activities in society in the fulfillment of the woman's role as an integral function component of the Ummah. The woman being mother, sister or daughter must train herself to become a useful competent member of the large Islamic society of the Ummah. She must acquire the knowledge, the skills, the wisdom by continuous culture, education and training; to mobilize all her human functions in the service of the Divine cause.

Excerpts from the Writings of
The Late, Ismail Raji Al-Faruqi
Professor of Islamic Studies
Temple University, U.S.A.

The fulfillment of Allah's purpose for mankind requires the sequential continuity of the human race by the process of intermarriage and procreation. This necessitates a theater of mutual relationship where in humans live together bound by a divine code which is fulfilled by human decision and action. This theater consists of three levels of identity, namely the individual, the family, and the Ummah. Within the capacity of the individual is to enter an ethical relationship with one's self in order to attain the fulfillment of morality; to recognize, preserve and promote moral values. The Ummah is the universal framework within which the integrated religious doctrines are implemented with even distribution among the social fractions of the Ummah. The concept of Ummah in Islamic conceptualization abolished the meanings of the tribe, nation or race. The Ummah relationship is humane, preserves dignity, founds the relationship between its members on theistic divine doctrines, and extends its arena of membership to all its followers regardless of birth, language, color, or history. The intermediate most important link between the individual level and the Ummah level on the theater of human interrelationships, is the family. This is the ultimate social unit which is flanked by the individual on one side and by the universal Ummah on the other.

The family as an integrated unit is of significant importance in cosmic order as has been emphasized in the Holy Quran. "It is of Allah's signs that He created out of yourselves spouses in whom to find quiescence; that He established between you and them love and compassion. For those who are rational, this is certainly a great sign of evidence (Surat Al-Room, XXX 21). This family structure is based on the concept of a divine bond association with an individual of the opposite sex, within the framework of divine ordinances. This concept of association, gives matrimony its true prestigious significant purport as the prime organization of family structure. Sex differentiation of male an female is the biological manifestations of the processes of intermarriage and procreation. The sexual urge and attraction are fundamental to the physical processes of intercourse; and the subsequent mechanisms of embryonic and foetal development are the most spectacular supreme portrayal of Divine wondrous powers of creation. For that very purpose, sexual relations are regarded in Islamic teachings as fundamental, highly valued, necessary, functionally magisterial and duly respected and dignified as precursor to the justified purposes of procreation. However, Islamic concepts do not recognize that sex relationship between man and woman are the only elements fulfilling the purpose of matrimony; and that marriage built purely on sex relationship, the love syndrome of romanticism, is imperfect, and incomplete. The divine trust of marriage generates a wide complex spectrum of man woman relations which are the fundamental infrastructure of the moral code of matrimony. The duties and responsibilities of procreation, adoration, love, respect, support, guidance, counselling, friendship, culture, help, mutual understanding, compassion, compromise and magnanimity are all important elements that constitute the strong matrix of matrimonial life.

The family unit and structure is the single area which the Quranic Revelation gives optimal organization in detailed prescriptions concerning the laws of marriage, divorce, adultery, inheritance, paternal and filial relationships. Islamic doctrinal teachings regard the family as indispensable for the fulfillment of the Divine purpose. Tawhid, which is the recognition and acknowledgement that there is no god except Allah [La illaha illa Allah] compels the recognition and acceptance of Divine Will, commandments, and purpose for mankind. The adherent conscientious observance of Divine commandments are the true reflections of Tawhid; to experience the ordinances of Allah as obligatory, and to seek the realization of the materials which actualize the values implicit in those

Tawhid, The Essence of Family Institution

By: Ismail Raji Al-Faruqi

Throughout the world in both communist and capitalist societies, the institution of the family has undergone radical disintegration and collapse. This feature is intimately associated with the general decay of society cohesion, and the discontinuity of traditions through the generations. Regardless of which is cause and which is effect, human civilization and family institution seem to be destined together in progress or decay.

The communist ideology inspired doctrines by which they deliberately replaced the family order by the commune; visualizing that the ideal conditions of human life was to regard human offsprings as the children of the state. The communist experience soon realized that the collective method of human organization was failing; and that the traditional family from continued to function. In the capitalist societies, population movements into urban concentrations in search of employment made everybody separate and anonymous. Mixing of sexes, loose morality, economic independence of women, the urge of individualism, and the traditional human inclination towards permissiveness; have all contributed towards the erosion of family bonds. The licence and sexual promiscuity of the second half of the century express the deplorable state to which the institution of the family has sunk. Currently more than half of all children born in cities are illegitimate; and the value concept of matrimony has become corrupted, degraded, and restrictive to the promiscuous slovenly demands of carnal lusts.

Even when families are formed, they become animal-like in function and nature; in the sense of lasting only so long as the children are physically helpless and require the constant attention of their parents. Once they reach adult age, the material needs disappear, and the family bond disintegrates. The preoccupation of parents, lack of emotional satisfaction, diversity of interest and thought patterns, and the absence of the fundamental understanding of family structure and marriage life; are all factors that have weakened the family bonds even when children are still in tender age. The family institution as it has been known, is practically on its deathbed.

The hope for any survival of the family institution remains in the fractions of the human populations of the Muslim communities and the Third World; in so far as the preserve their own cultural identity from the onslaught of communist and capitalist ideologies. These small fractions are the only societies left where the family institution still keeps its integrity, understanding, sacred tradition, respect and honour. The Islamic institution stands the better chance to survive because it is supported and sustained by the Islamic law, and determined by its intimate association with Tawhid, the essence of Islamic religious experience.

intimate problems of every man, woman, child and infant. These unique potentials of responsibility widened to encompass the rapid enlargement of the Muslim Ummah, and the wide expansions of its territorial limits.

The policies of managerial administration instituted by Omar ibn Al-Khattab were the basic doctrinal teachings of Islam. That was the binding power that united the whole Ummah into one unison of strength, whose solid platform was an optimized established matrix of social justice. That concept was the fundamental concern of Omar ibn Al-Khattab, the energizer of all his actions, the everlasting shinning lantern in the illustrious history of the great man. The reign of Omar ibn Al-Khattab will continue to symbolize the true patterns of Muslim governance, the reality of Islamic renaissance, and the genuine paradigm of value concepts of duty and responsibility.

The life Ameer Al-Moumineen Omar ibn Al-Khattab had come to an end, but the remarkable achievement which he had accomplished during his reign in office still remain. The ramified dominion of Islam as an established culture for human enlightenment; and the true paradigm of governance will continue to challenge the mental faculties of mankind through all ages. The chronicles of history in the most genuine texts of truth will narrate the biography of the great man as the champion of Islam, the chancellor of social justice, and the unique example of humbleness and human modesty.

The Shurah council appointed by Omar ibn Al-Khattab just before his death, finally came to a resolution after three days. The decision was to proclaim Osman ibn Affan as Ameer Al-Moumineen after Omar ibn Al-Khattab. The Muslim Ummah was preparing to face the transition of governance, another phase of Khalifate, the third after the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The moving finger continues to record the dynamic events through the march of time; and the human mind will always be the judge of man's achievements.

Omar ibn Al-Khattab
The Epilogue

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

Omar ibn Al-Khattab died a martyr; the most profound paradigm of justice, responsibility, human excellence, and the pontific supremacy of spirit above earthly demands of ego and the vanity of the self. With his death was the sound of the last trumpet, the fall of the curtain, the last syllable of the summit zenith of the recognized acclamation of the true Islamic renaissance. Then, there was silence, to mark the psychological trance of an Ummah through its historical transition from one phase to another. The unification of credence, proliferation of Islamic thought, the propagation of the universal doctrinal elements of Muslim theism, and the institution of Islam as a paradigm of dignified civilized pattern of human life, continued to exist.

The justice, responsibility, and devotion exercised by Omar ibn Al-Khattab recorded in the annals of history as the crescendo of achievements for the man of such unique character. These rare qualities of character originated from the man's true piety and real understanding of the Muslim Theism. These qualities were instrumental in the domination of Muslim culture and the evolutionary social transformation that took place by the comprehensive institution of Islamic teachings, upon which was founded the Islamic Dominion. This Islamic social political economic integration, actively promoted within its templates all the manifold resources of human faculties, culture, and all patterns of enlightenment. This emerged into a social evolution that touched every facet of social life.

The office of Ameer Al-Moumineen Omar ibn Al-Khattab lasted for about ten and half years. During his life as a muslim, he denounced mundane worldly luster, distinction and arrogance of vanity; condemning all channels of life that distract from Divine Ordinances. He rejected for himself, his family and his kinsmen, all aspects of materialistic abundance. He practiced a life of self-abnegation, humbleness, and extreme denial of luxury. His broad knowledge accentuated his perceptive wisdom, and optimized his judicious faculty of discrimination. Omar ibn Al-Khattab died, and left behind to the generations of the Muslim Ummah, an islamic cultural institution that remained as landmarks in the records of human history. It is truly said that the Islam of Omar was a gateway, his hijrah was victory, and his leadership was mercy, greatness, ascendancy and opulence. He was a unique matrix of human substance, a yardstick by which all other leaders of nations are to be measured and judged. The man who during his life as Ameer Al-Moumineen, walked the lanes of Al-Madinah to concern himself with the most

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 64, Part XII

Zu Al Hijah, 1412, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH. D.

CONTENTS

1. Omar Ibn Al Khattab

The Epilogue.

By: Anas Moustafa El Naggar.

2.Tawhid, the Essence of Family Institution

By: Ismail Raji El-Faruqi.

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR

MAGAZINE

ENGLISH SECTION